

تفسير القرآن العظيم

تفسير القرآن العظيم
أبي القاسم محمد بن كثير بن عيسى
القرطبي

في تفسير القرآن العظيم
مع ما ذكره من تفسيره

المجلد الثالث

حفظه الله



نُقُصُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين
أبي الفداء إسماعيل بن كثير الفريسي الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ



General Organization of the Alexandria
Library (GOAL)
Bibliothèque d'Alexandrie

جزء الثالث

[قوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية]
وصححها نخبة من العلماء

المجلد	١
العدد	١
رقم التسجيل	١

دار الفكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(تفسير سورة سبحان وهي مكية)

قال الإمام الحافظ للثقة أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري : حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد سمعت ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم : إنهم من المتأقي الأول وهن من تالدي . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد بن زيد عن مروان عن أبي لابة سمعت عائشة تقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول ما يريد أن يفطر ، ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم وكان يقرأ كل ليلة بين إسرائيل والزمزم .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

يعبد تعالى نفسه ، ويعظم شأنه ، قدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه ، فلا إله غيره ولا رب سواه ، (الذي أسرى عبده) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم (ليلاً) أي في جح الليل (من المسجد الحرام) وهو مسجد مكة (إلى المسجد الأقصى) وهو بيت المقدس الذي يليه بعد الأنبياء من قبل إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا جموا له هناك كلهم فأنهم في محلهم ودارهم فدل على أنه هو الإمام الأعظم ، والرئيس للقسمة ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . وقوله تعالى (الذي باركنا حوله) أي في الزروع والثمار (ليريه) أي محمداً (من آياتنا) أي العظام كما قال تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وسنذكر من ذلك ما وردت به السنة من الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم ، وقوله تعالى (إنه هو السميع البصير) أي السميع لأقوال عباده مؤمنهم وكافرهم ، مصدقهم ومكذّبهم ، البصير بهم فيعطى كلا منهم ما يستحقه في الدنيا والآخرة .

(ذكر الأحاديث الواردة في الإسراء : رواية أنس بن مالك رضي الله عنه)

قال الإمام أبو عبد الله البخاري : حدثني عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان - هو ابن بلال - عن شريك بن عبد الله قال : سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو ؟ فقال أولهم هو خيرهم فقال آخرهم خلدوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة فلم يرحم حتى أتوه ليلة أخرى فيها يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه . وكذلك الأنبياء تمام أعينهم ولا تمام قلوبهم - فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى إبطه حتى فرغ من صدره وجوفه ففسله من ماء زمزم بيده حتى أتى جوفه ثم أتى بطنه من ذهب فيه نور من ذهب محشو إسفاناً وحكمة فحشا به صدره ولثاديه - يعني عروق حلقه - ثم أطلقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فنضرب باباً من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا ؟ فقال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال معي محمد قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم قالوا فرحباً به وأهلاً ، يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يسلمهم ، فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلم عليه ورد عليه آدم فقال مرحباً

وأهلاً بابي نعم الابن أنت ، فإذا هو في السماء الدنيا بهزيم يطران فقال « ماهذان التهران يا جبريل ؟ » قال هذان النيل والفرات عصرهما ، ثم مضى به في السماء فإذا هو بهن آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ف ضرب بيده فإذا هو مسك أذفر فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا السكور الذي خبالك ربك ، ثم عرج به إلى السماء الثانية فقالت للملائكة له مثل ما قالته للملائكة الأولى من هذا ؟ قال جبريل قالوا ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم قالوا مرجأ به وأهلاً ، ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الأولى الثانية ثم عرج به إلى السماء الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماه فيها أنبياء قد مامم فوصيت منهم لإدريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله تعالى فقال موسى رب لم أظن أن ترفع علي أحدا ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلم إلا الله عز وجل حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله إليه فيها يوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط به حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد إليك ربك ؟ قال « عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة » قال إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعندهم الفاتحة التي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت فعلا به إلى الجبار تعالى وتقدس فقال وهو في مكانه « يا رب خفف عنا فان أمتي لا تستطيع هذا » فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردد موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند المحسن فقال يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا ففضفوا فتركوه فأمثك أضف أجسادا وقتلوا وأبدنا وأبشروا وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك يلتفت التي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفضه عند الخامسة فقال « يا رب إن أمتي ضفء أجسادهم وقتلهم وأسماعهم وأبشروهم وأبدانهم ففخف عنا » فقال الجبار تبارك وتعالى : يا محمد قال « لييك وسعديك » قال إنه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك في أم الكتاب فكل حسنة بشر أمثالثها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك ، فرجع إلى موسى فقال كيف فعلت ؟ فقال « خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالثها » قال موسى قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه فارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا موسى قد والله استحيت من ربي عز وجل مما أختلفت إليه » قال فاقبض باسم الله . قال واستيقظ وهو في المسجد الحرام ، هكذا ساقه البخاري في كتاب التوحيد ورواه في صفة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن إسماعيل بن أبي أوفس عن أخيه أبي بكر عبد الحميد عن سليمان بن بلال . ورواه مسلم عن هرون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان قال فزاد وحسن وقدم وأخر وهو كقالبه مسلم فإن شريك بن عبد الله بن أبي نحر اضرب في هذا الحديث وسام حفظه ولم يشطبه كما سيأتي بيانه إن شاء الله في الأحاديث الأخر ومنهم من يجعل هذا مناماً موطئة لما وقع بعد ذلك والله أعلم . وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه صلى الله عليه وسلم رأى الله عز وجل يعني قوله ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى . قال وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حلمهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أمض وهذا الذي قاله البيهقي رحمه الله في هذه المسألة هو الحق فإن أبا ذر قال يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال « نور آتى أراء » وفي رواية « رأيت نورا » أخرجه مسلم وقوله (ثم دنا فتدلى) إنما هو جبريل عليه السلام كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين ، وعن ابن مسعود وكذلك هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أنبت البارقي وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البقل يضع ساقه عند منتهى طرفه فركبته

فسار في حتى أتيت بيت القدس فربطت الهابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت
فأتاني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل : أصبت الفطرة قال ثم عرج بي إلى السماء الدنيا
فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه
فتفتح لنا فلذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل
قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه فتفتح لنا فلذا أنا بآدم الحالة يحيى وعيسى فرحبا بي
ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك قال ؟ محمد
قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه فتفتح لنا فلذا أنا بيوسف عليه السلام وإذاهو قد أعطى الشطر الحسن فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد
فقيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد بث إليه فتفتح لنا فلذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير ثم يقول الله تعالى (ورفعه
مكنا عليا) ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد
فقيل قد أرسل إليه ؟ قال قد بث إليه فتفتح لنا فلذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة
فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد فقيل وقد بث إليه ؟ قال قد بث إليه فتفتح
لنا فلذا أنا بنوسي عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟
قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد فقيل وقد بث إليه قال قد بث إليه فتفتح لنا فلذا أنا بإبراهيم عليه السلام
وإذا هو مستند إلى البيت للعمود وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرة
النتهى فلذا ورثها كذا كان القبة وإذا تمرها كالتلال فلما غشينا من أمر الله ما غشينا تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى
يستطيع أن يصفا من حسننا قال فأوحى الله إلي ما أوحى ، وقد فرض على في كل يوم ويلة خمسين صلاة فترلت حتى
أتهيت إلى موسى قال ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة في كل يوم ويلة قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف
لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك وإلى قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقالت أي رب خفف عن
أمتي فسطع عني خمسا فترلت حتى انتهيت إلى موسى فقال ما فعلت قلت قد حط عني خمسا فقال إن أمتك لا تطيق ذلك
فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى وحط عني خمسا حتى قال :
يا محمد هن خمس صلوات في كل يوم ويلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بمحنة فلم يعملها كذبت
له حسنة فان عملها كتبت عشرا ومن هم بسيفة فلم يعملها لم تكتب فان عملها كتبت سيئة واحدة ، فنزلت حتى انتهيت
إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فان أمتك لا تطيق ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « لقد رجعت إلى ربي حتى استجيت » ورواه مسلم عن شيان بن فروخ عن حماد بن سلفة بهذا السياق وهو
أصح من سياق شريك . قال . الباقى وفى هذا السياق دليل على أن للعراج كان لية أسرى به عليه الصلاة والسلام
من مكة إلى بيت المقدس وهذا الذي قاله هو الحق الذى لا شك فيه ولا مرية ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا
معمر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق لية أسرى به مسرجا ملجأ ليركه فاستصعب عليه
فقال له جبريل ما عملك على هذا فوائه ما ركبك قط أكرم على الله منه . قال فافرض غرقا ورواه الترمذى عن
إسحق بن منصور عن عبد الرزاق وقال غريب لا نعرفه إلا من حديثه . وقال أحمد أيضا حدثنا أبو الثيرة حدثنا صفوان
حدثني راشد بن سعيد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما عرج بي إلى ربي عز وجل
مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدرهم قطعت من هولاء يا جبريل ! قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم
الناس ويشعون في أعراضهم » وأخرجه أبو داود من حديث صفوان بن عمرو به ومن وجه آخر ليس فيه أنس فأنه
أعلم ، وقال أيضا حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سليمان التيمي عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت
لية أسرى بي على موسى عليه السلام فأما بصلى في قبره » ورواه مسلم من حديث حماد بن سلفة عن سليمان بن طرخان

التي وثابت البناي كلاهما عن أنس قال النسائي هذا أصح من رواية من قال سليمان عن ثابت عن أنس ، وقال الحافظ أبو يعلى اللؤلؤي في مسنده حدثنا وهب بن بنية حدثنا خالد عن النبي عن أنس قال أخبرني بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر على موسى وهو يصلي في قبره ، وقال أبو يعلى حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة حدثنا مضمهر عن أبيه قال سمعت أنسا أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر بموسى وهو يصلي في قبره قال أنس ذكر أنه حمل على البراق فأوثق الدابة أو قال القرس . قال أبو بكر صفها لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هي كنهه وده » فقال أشهد أنك رسول الله وكان أبو بكر رضى الله عنه قد رآها ، وقال الحافظ أبو بكر أحمد ابن عمرو البزار في مسنده حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور حدثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كفتي فقممت إلى شجرة فيها كوكري الطير فقممت في أحدها وقممت في الآخر فسمت وأرذعت حتى سدت الحافقين وأنا أقبل طرفي ولو شئت أن أمس السماء لمست فالتفت إلى جبريل كأنه حلس لاط فاعرفت فضل عليه بالله على وتفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم وإذا دون الحجاب رفرق البدر والياقوت وأوحى إلى ما شاء الله أن يوحى » ثم قال ولا نعلم روى هذا الحديث إلا أنس ولا نعلم رواه عن أبي عمران الجوني إلا الحارث ابن عبيد وكان رجلا مشهوراً من أهل البصرة . ورواه الحافظ البيهقي في الدلائل عن أبي بكر الصفي عن أبي جعفر محمد بن علي بن دهم عن محمد بن الحسين بن أبي الحسين عن سعيد بن منصور فقد ذكره بسند مثله ثم قال وقال غيره في هذا الحديث في آخره ولطحوي أو قال دون الحجاب رفرق البدر والياقوت ثم قال وهكذا رواه الحارث ابن عبيد ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطارد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في ملا من أصحابه فجاء جبريل ففكت في ظهره فذهب به إلى الشجرة وفيها مثل وكري الطير فقممت في أحدها وقممت بجبريل في الآخر فنفثت بناحتي بلغت الأفق فلو بسطت يدي إلى السماء لالتها فدلني بسبب وهبط إلى النور فوقع جبريل فغشيا عليه كأنه حلس فعرفت فضل خشيتي على خشيتي فأوحى إلى نبياً ملكاً أو نبياً عبداً وإلى الجنة ما أنت فاقوماً إلى جبريل وهو مضطجع أن تواضع قال قلت لا بل نبياً عبداً قلت وهذا إن سح يقتضي أنها واقعة غير ليلة الإسراء فإنه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود إلى السماء فهي كالجنة غير ما نحن فيه والله أعلم . وقال البزار أيضاً حدثنا عمرو بن عيسى حدثنا أبو يعر حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل . وهذا غريب . وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا يونس حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن عبد الرحمن ابن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس بن مالك قال : لما جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فكأنها حركت ذنبها فقال لمسا جبريل مه يا براق فوالله ما ركبت مثله وسار رسول الله تعالى عليه وسلم فإذا هو بهجوع على جانب الطريق فقال « ما هذه يا جبريل ؟ » قال سر يا محمد ، قال فسار ما شاء الله أن يسير فإذا هم يدعوه منتحبين عن الطريق فقال لهم يا محمد فقال له جبريل سر يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير ، قال فلقبه خلق من خلق الله فقالوا السلام عليك يا أولئ السلام عليك يا آخرئ السلام عليك يا حاضرئ فقال له جبريل اردد السلام يا محمد فردوا والسلام ثم لقبه الثانية فقال له مثل مقالته الأولى ثم الثالثة كذلك حتى انتهى إلى بيت المقدس ففرض عليه الحجر والماء واللبن فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن فقال له جبريل أصبت القطرة ولو شربت الماء لترقت وغرقت أمثلك ، ولو شربت الحجر لتويت ولتوت أمثلك ثم بث له آدم فمن دونه من الأنبياء عليهم السلام فأهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة . ثم قال له جبريل : أما المعجوز التي رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا كما بقي من عمر تلك المعجوز . وأما الذي أراد أن تبلى إليه فذلك عدو الله إبليس أراد أن يبلى إليه ، وأما الذين سلموا عليك إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن وهب . وفي بعض ألفاظه نكارة وغرابة (طريق أخرى) عن أنس بن مالك وفيها غرابة ونكارة جداً وهي في سنن النسائي

الجبتي ولم أرها في الكبر قال : حدثنا عمرو بن هشام حدثنا عجلد هو ابن الحسين عن سعيد بن عبد العزيز حدثنا يزيد بن أبي مالك حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بداية فوق الحمار ودون البقل خطوها عند منتهى طرفها فركبت ومعى جبريل عليه السلام فسرقت فقال انزل فصل فضليت ، فقال أنبرى أين صليت ؟ صليت بطيبة وإليها للهاجرة ، ثم قال انزل فصل فضليت فقال أنبرى أين صليت ؟ صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ؟ ثم قال انزل فصل فضليت ، فقال أنبرى أين صليت ، صليت ببيت لم حيث ولد عيسى عليه السلام ، ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الأنبياء عليهم السلام فقدمني جبريل عليه السلام حتى أمّتهم ثم صعد في إلى السماء الدنيا فإذا آدم عليه السلام ، ثم صعد في إلى السماء الثانية فإذا فيها ابننا الحاله عيسى ورحي عليها السلام ، ثم صعد في إلى السماء الثالثة فإذا فيها يوسف عليه السلام ، ثم صعد في إلى السماء الرابعة فإذا فيها هارون عليه السلام ، ثم صعد في إلى السماء الخامسة فإذا فيها إدريس عليه السلام . ثم صعد في إلى السماء السادسة فإذا فيها موسى عليه السلام ، ثم صعد في إلى السماء السابعة فإذا فيها إبراهيم عليه السلام ، ثم صعد في فوق سبع سموات وأقيمت سدرة الشهي فضئت ضيابة فخرت ساجداً قنيل لي إلى يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمك فرجعت بذلك حتى أمر بموسى عليه السلام فقال ما فرض ربك على أمك قلت خمسين صلاة ، قال فانك لا تستطيع ان تقوم بها لا أنت ولا أمك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فرجعت إلى ربى فخفف عني عشرين ، ثم أتيت موسى فأمرني بالرجوع فرجعت فخفض عني عشرين ثم ردت إلى خمس صلوات ، قال فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فانه فرض على بنى إسرائيل صلاتين فما قاموا بها فرجعت إلى ربى عزوجل فأسأله التخفيف فقال إلى يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمك خمس صلوات فخمسين فقم بها أنت وأمك ، قال فعرفت أنها من الله عزوجل صرئ فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال ارجع ففرقت أنها من الله عزوجل صرئ — يقول أى حتم — فلم أراجع » (طريق أخرى) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام ابن عمار حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لما كان ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس أتاه جبريل بداية فوق الحمار ودون البقل حمله جبريل عليها ينتهى خلفها حيث ينتهى طرفها ، فلما بلغ بيت المقدس وبلغ للكان الذى يقال له باب محمد صلى الله عليه وسلم أتى إلى الحجر الذى عمه فغمزه جبريل بأصبعه فثقبه ثم ربطها ثم صعد فلما استويا في صرحة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين ؟ فقال « نعم » فقال فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن وهن جلوس عن يسار الصخرة ، قال « فأنتيتن فسلمت عليهن فرددن على السلام فقلت من أنتين فقلن نحن خيرات حسان نساء قوم أربار نقوا فلم يدنونا . وأقاموا فلم يظنونا ، وخذلوا فلم يموتوا ، قال ثم انصرف فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة قال قمنا صفوا ينتظر من يؤمنا فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فضليت بهم ، فلما انصرفت قال جبريل يا محمد أنبرى من صلى خلفك . قال . قلت لا . قال صلى خلفك كل نبى بعثه الله عز وجل . قال . ثم أخذ بيدي جبريل فصعدني إلى السماء فلما انتهينا إلى الباب استفتح فقالوا من أنت ؟ قال أنا جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث إليه قال لهم قال . ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك . قال . فلما استوى على ظهرها إذا فيها آدم فقال لي جبريل يا محمد ألا تسلم على أهلك آدم . قال . قلت بلى فأنتيه فسلمت عليه فرد على وقال مرحباً بابى الصالح والنبي الصالح . قال . ثم عرج في إلى السماء الثانية فاستفتح فقالوا من أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها عيسى وابن خالته عيسى عليهما السلام ، قال . ثم عرج في إلى السماء الثالثة فاستفتح ، قالوا من أنت ؟ قال جبريل : قالوا ومن معك ؟ قال محمد قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها يوسف عليه السلام ، ثم عرج في إلى السماء الرابعة فاستفتح قالوا من أنت ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث إليه قال نعم ففتحوا له وقالوا له مرحباً بك

وبين مملك فإذا فيها إدريس عليه السلام - قال فرج في إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت قال جبريل
قالوا ومن مملك قال محمد ، قالوا وقد بث إليه ؟ قال نعم - قال ففتحوا وقالوا مرحباً بك وبين مملك وإذا فيها
هرون عليه السلام ، ثم عرج في إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت ، قال جبريل ، قالوا ومن مملك ؟
قال محمد ، قالوا وقد بث إليه ؟ قال نعم - قال ففتحوا وقالوا مرحباً بك وبين مملك ، وإذا فيها موسى عليه السلام ،
ثم عرج في إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت قال جبريل ، قالوا ومن مملك قال محمد ، قالوا وقد بث
إليه ؟ قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبين مملك وإذا فيها إبراهيم عليه السلام فقال جبريل يا محمد ألا تسلم على
أيك إبراهيم ؟ قلت بلى فأنيته فسلمت عليه فرد على السلام وقال مرحباً بابي الصالح والنبي الصالح ، ثم انطلق في إلى ظهر
السماء السابعة حتى انتهى في إلى نهر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والبرجد وعليه طير خضر أتم طير رأيت قطعت بأجبريل إن
هذا الطير ناعم قال يا محمد كله أنعم منه ، ثم قال يا محمد أتدري أي نهر هذا - قال قلت لا ، قال هذا الكوثر الذي أعطاك الله
إياه فإذا فيه آنية الذهب والفضة يجري على رضاء من الياقوت والمرز مؤه أشد بياضاً من اللبن - قال فآخضت من آنيته آنية
من الذهب فاغترقت من ذلك لئلا تخربت فإذا هو أحلى من العسل وأشد راحة من اللسك ثم انطلق في حتى انتهت في إلى
الشجرة ففتشيتي سحابة فيها من كل لون فرفض جبريل وخرت ساجدا لله عز وجل فقال الله لي : يا محمد اني يوم
خلقت السموات والأرض افترضت عليك وعلى أمك خمسين صلاة قم بها أنت وأمك - قال - ثم انجلت عن السحابة
فأخذ بيدي جبريل فانصرفت سريعاً فأنيته على إبراهيم فلم يقل لي شيئاً ، فأنيته على موسى فقال ما صنعت يا محمد ؟
قلت فرض ربي علي وعلى أمي خمسين صلاة . قال فلن تستطيعها أنت ولا أمك فأرجع إلى ربك فأسأله أن يخفف
عنك فرجعت سريعاً حتى انتهت في إلى الشجرة ففتشيتي السحابة ورفض جبريل وخرت ساجدا وقلت رب إنك
فرضت علي وعلى أمي خمسين صلاة ولني استطيعها أنا ولا أمي فخفف عنا قال قد وضعت عنك عشرين - قال - ثم انجلت
عن السحابة وأخذ بيدي جبريل - قال - فانصرفت سريعاً حتى أنيته على إبراهيم فلم يقل لي شيئاً ثم أنيته على موسى
فقال لي ما صنعت يا محمد ؟ قلت وضع عن ربي عشرين قال فأرجعون صلاة لن تستطيعها أنت ولا أمك فأرجع إلى ربك
فأسأله أن يخفف عنك . فذكر الحديث كذلك إلى خمس صلوات وخمس خمسين ثم أمر موسى أن يرجع فبأسأله
التخفيف فقلت اني قد استعيت منه تعالى . قال ثم انحدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل « مالي لم آت
أهل ساء إلا رحوا في وضحكوا لي غير رجل واحد فسلمت عليه فرد على السلام ورحب بي ولم يضحك لي » قال
يا محمد ذاك مالك خازن جهنم لم يضحك منذ خلق ولو ضحكك إلى أحد لضحكك إليك ، قال ثم ركب منصرفاً فينا هو
في بعض الطريق مر بعر لقرشي يحمل طعاماً منها حمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى البعير
خربت منه واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر ، ثم إنه مضى فأصبح فأخبر عما كان فلما سمع للشركون قوله
آتوا أبوبكر فقالوا يا أبا بكر هل لك في صاحبك ؟ غير أنه آني في ليته هذه سيرة شهر ورجع في ليته فقال أبو بكر
رضي الله عنه أنه إن كان قاله فقد صدق وإننا لنصدق فيه هو أيدي من هذا لنصدق على خبر السماء فقال للشركون لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ما علامة ما هو قال « مروت بعر لقرشي وهي في مكان كذا وكذا فنفرت الإبل منا واستدارت
وفيا بعر عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فصرع فانكسر » فلما قدمت البعير سألوهم فأخبروهم الخبر على
على مثل ما حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك مما سمى أبو بكر الصديق وسأله وقالوا هل كان فيمن خسر
مملك موسى وعيسى ؟ قال « نعم » قالوا فصفهم لنا قال « نعم ما موسى فرجل آدم كأنه من رجال أزدعمان ، وأما عيسى
فرجل ربيعة بسيط قملوه حمرة كأنما يتحادر من شمرة الجنان » هذا سياق فيه غرائب عجيبة (رواية أنس بن مالك عن
مالك بن نفع) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام قال سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك أن مالك بن نفع
حدثه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال « بينا أنا في الحطيم - وربما قال قتادة في الحجر -
مضطجعا إذ أناني آت فقبل يقول لصلح الأوسط بين الثلاثة - قال - فأناني قد - سمعت قتادة يقول نفق - ما بين هذه

إلى هذه » وقال قتادة قتل للجارود وهو إلى جني مابين قال من ثمرة نحره إلى شعرته وقد سمعته يقول من قصته إلى شعرته قال رجا : تخرج قلبي - قال فأثبت بطست من ذهب ملءوا إيماناً وحكمة فسل قلبي ثم أعيد ثم أثبت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض » قال قتال الجارود هو البراق يا أبا حمزة ؟ قال نعم قطع خلووه عند أقصى طرفه قال : فحصلت عليه فانطلق في جبريل عليه السلام حتى أتى في إلى السماء الدنيا فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك ؟ قال محمد قبل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قبل مرحباً به ولتم المهيء جاء - قال ففتح لنا فلما خلصت فإذا فيها آدم عليه السلام قال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقبل من هذا فقال جبريل قبل ومن معك ؟ قال محمد قبل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قبل مرحباً به ولتم المهيء جاء - قال ففتح لنا فلما خلصت فإذا عيسى ويحيى وهما ابنا الحائلة قال هذان يحيى وعيسى فسلم عليهما - قال فسلمت فردا السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقبل من هذا ؟ قال جبريل قبل ومن معك ؟ قال محمد قبل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قبل مرحباً به ولتم المهيء جاء - قال ففتح لنا فلما خلصت فإذا يوسف عليه السلام قال هذا يوسف - قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقبل من هذا ؟ قال جبريل قبل ومن معك ؟ قال محمد قبل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قبل مرحباً به ولتم المهيء جاء - قال ففتح لنا فلما خلصت فإذا هرون عليه السلام قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح - قال - ثم صد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك ؟ قال محمد قبل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم قبل مرحباً به ولتم المهيء جاء - قال ففتح لنا فلما خلصت فإذا نوح عليه السلام قال هذا نوح فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح - قال - ثم صد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك ؟ قال نعم قبل مرحباً به ولتم المهيء جاء - قال ففتح لنا فلما خلصت فإذا إبراهيم عليه السلام فقال هذا إبراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح - قال - ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فلما بقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل أركان النيلة فقال هذه سدرة المنتهى قال وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات - قال - ثم رُفِعَ إلى البيت المعمور » قال قتادة وحدثنا الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفاً ثم لا يمودون فيه ثم رجع إلى حديث أنس قال « ثم أثبت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من بصل - قال - فأخذت اللبن قال هذه القطرة أثبت عليها وأمتك - قال - ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم - قال - فزلت حتى أثبت موسى فقال ما فرض ربك على أمتك ؟ قال قلت خمسين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد للعالمية فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك - قال - فرجعت فوضعت عنى عشر إلى موسى فقال به أمرت ؟ قلت بأربعين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد للعالمية فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك - قال - فرجعت فوضعت عنى عشر إلى موسى فقال به أمرت ؟ قلت بشربن صلاة كل يوم فقال إن أمتك لا تستطيع

لشربين صلاة كل يوم وإنى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف
لأمّتك قال فرجعت فوضع عنى عشرين آخر فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ قلت أمرت بشرب صلوات كل يوم
فقال إن أمّتك لا تستطيع لشرب صلوات كل يوم وإنى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فأرجع إلى
ربك فأسأله التخفيف لأمّتك قال فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت
بخمس صلوات كل يوم فقال إن أمّتك لا تستطيع لخمس صلوات كل يوم وإنى قد خبرت الناس قبلك وعالجت
بني إسرائيل أشد المعالجة فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمّتك قال قلت قد سألت ربى حتى استحييت ولكن
أرضى وأسلم فقلت فنادى مناد قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى « وأخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة
بنحوه . (رواية أنس عن أبي ذر) قال البخارى حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس
ابن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال « فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج
صدري ثم غلبه بهاء زمزم ثم جاء بطست من ذهب بمنى فحكمة وإيمانا فأفرغته في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي
فخرج بي إلى السبأ الدنيا فلما جئت إلى السبأ قال جبريل لحازن السبأ افتح قال من هذا قال جبريل قال هلممنا
أحد قال نعم بى محمد صلى الله عليه وسلم فقال أرسل إليه ؟ قال نعم فلما فتح علونا السبأ ألبنا فإذا رجل قاعد على
يمينه أسودة وعلى يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن
الصالح قال قلت لجبريل من هذا قال وهذا آدم هذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نعم بنيه فأهل اليمن منهم أهل الجنة
والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى ثم عرج بي إلى السبأ الثانية فقال
لحازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قاله الأول ففتح قال أنس فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى
وعيسى وإبراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السبأ الدنيا وإبراهيم في السبأ السادسة قال أنس
فلما مر جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم بإدريس قال مرحبا بإدريس قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا قال إدريس
ثم مر بموسى قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا قال هذا موسى ثم مررت بميسى قال مرحبا
بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا ؟ قال هذا عيسى ثم مررت بإبراهيم قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت
من هذا قال هذا إبراهيم قال الزهري فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا جبة الأنصاري كانا يقولان قال النبي ﷺ
« ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صرغ الأقطام » قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله ﷺ « ففرض
الله على أمي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى عليه السلام فقال ما فرض الله على أمّتك قلت فرض خمسين
صلاة قال موسى فأرجع إلى ربك فإن أمّتك لا تطيق ذلك فرجعت فوضع شطرها فرجعت إلى موسى قلت وضع شطرها فقال
ارجع إلى ربك فإن أمّتك لا تطيق ذلك فرجعت فوضع شطرها فرجعت إليه فقال ارجع إلى ربك فإن أمّتك لا تطيق ذلك فرجعت
فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدى فرجعت إلى موسى فقال ارجع إلى ربك قلت قد استحييت من ربى ثم
انطلق بي حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فتشباها ألوان لا أدرى ما هي ثم أدخلت الجنة فإذا بها جبال للؤلؤ والياقوت وإذا بها إلهام
وهذا لقول البخارى في كتاب الصلاة ورواه في ذكر بني إسرائيل وفي الحج وفي أحاديث الأنبياء من طرق أخرى عن يونس
به . ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن حرمة عن ابن وهب عن يونس بن نحوه

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم لسأله قال وما كنت تسأله هل رأى ربك قال إني قد سأله فقال « قد رأيته نورا
أتى أراه » هكذا قد وقع في رواية الإمام أحمد وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي بكر بن أبي شيبة وعن وكيع عن يزيد بن
إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيته قال « نور أنى أراه »
وعن محمد بن بشار عن معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم لسأله فقال هل رأيته قال « قال كنت تسأله ؟ قال كنت أسأله هل رأيته قال أبو ذر قد سألت

فقال رأيت نوراً ﴿رواية أنس عن أبي بن كعب الأنصاري رضى الله عنه﴾ قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا محمد
 ابن إسحاق بن محمد بن السفي حدثنا أنس بن عياض حدثنا يونس بن يزيد قال : قال ابن شهاب قال أنس بن مالك كان أبي بن
 كعب يحدث أن رسول الله ﷺ قال « فرج سقف بيتي وأنا مكة فترى جبريل صدى ثم غسله من ماء زمزم
 ثم جاء بطست من ذهب على حكمة وإعانة فأفرغها في صدري ثم طبقتني ثم أخذ يدي فخرج بي إلى السماء فلما جاء السماء
 الدنيا إذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه تبسم وإذا نظر قبل يساره بكى فقال مرحبا
 بالتي الصالح والابن الصالح قال قلت لجبريل من هذا ؟ قال هذا آدم وهذه الأسودة التي عن يمينه وعن شماله نسمة
 بنه فأهل يمينه هم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله هم أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى
 -قال- ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال خازنها اتبع فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح له
 قال أنس قد ذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وإبراهيم وعيسى ولم يثبت لي كيف منازلهم غير أنه ذكر
 أنه وجد آدم عليه السلام في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء السادسة ، قال أنس فلما مر جبريل عليه السلام ورسول الله
 صلى الله عليه وسلم بإدريس قال مرحبا بالتي الصالح والأخ الصالح ، قال وقتل من هذا بإدريس قال هذا إدريس ،
 -قال- ثم مررت بموسى قال مرحبا بالتي الصالح والأخ الصالح وقتل من هذا موسى ، ثم مررت بيسى قال مرحبا
 بالتي الصالح والأخ الصالح ، قلت من هذا قال عيسى بن مريم -قال- ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبا بالتي الصالح
 والابن الصالح قلت من هذا قال هذا إبراهيم ﴿ قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأباجة الأنصاري كانا
 يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرج الله على أمي خمسين صلاة ، قال فرجت بذلك حتى أمر على
 وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرج الله على أمي خمسين صلاة ، قال فرجت بذلك حتى أمر على
 موسى فقال موسى ماذا فرض ربك على أمك قلت فرض عليهم خمسين صلاة ، فقال لي موسى راجع ربك فإن
 أمك لا تطيق ذلك قال فرجعت ربي فوضع شطرها فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فإن أمك لا تطيق
 ذلك فرجعت فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدك القول لدى ، قال فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك قلت قد
 استحيت من ربي ، قال ثم انطلق لي حتى أتى سدرة المنتهى قال ففتشها ألوان ما أدرى ما هي قال ثم دخلت الجنة فإذا فيها
 جنابذ الأول وإذا ترابها للرك ﴿ هكذا رواه عبد الله بن أحمد بن مسند أبيه وليس هو في شيء من الكتب الستة ، وقد تقدم
 في الصحيحين من طريق يونس عن الزهري عن أنس عن أبي ذر مثل هذا السياق سواء فله أعلم
 ﴿رواية بريدة بن الحصيب الأسلمي﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عبد الرحمن بن التوكل وصقوب بن إبراهيم
 والنظله قال : حدثنا أبو نعيم حدثنا الزبير بن جندة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « لما كان ليلة أسرى بي - قال - فأتى جبريل الصخرة التي بيئت للقدس - قال - فوضع أصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق »
 ثم قال البزار لا نعلم رواه عن الزبير بن جندة إلا أبو نعيم ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة وقد رواه الترمذي
 في التفسير من جامعه عن يعقوب بن إبراهيم الدوري به وقال غريب . ﴿رواية جابر بن عبد الله رضى الله عنه﴾ قال الإمام
 أحمد حدثنا يعقوب بن عبد الله عن أبي صالح عن ابن شهاب قال : قال أبو سلمة سمعت جابر بن عبد الله يحدث أنه سمع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول « لما كذبتني قريش حين أسرى بي إلى بيت المقدس قلت في الحبر فبلى الله في بيت المقدس فطقت
 أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » أخرجاه في الصحيحين من طرق عن حديث الزهري به ، وقال البيهقي حدثنا أحمد بن
 الحسن القاضي حدثنا أبو الهيثم الأسلمي حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن صالح بن
 كيسان عن ابن شهاب قال سمعت سعيد بن المسيب يقول : إن رسول الله ﷺ حين أتى إلى بيت المقدس لقي
 فيه إبراهيم وموسى وعيسى وإنه أتى بجدحين قدح من لبن وقدح من خمر فنظر إليهما ثم أخذ قدح اللبن فقال جبريل
 أصبت هديت للنفرة لو أخذت الخمر لتوت أمك ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة فأخبر أنه أسرى به فأتين
 ناس كثير كانوا قد صلوا معه . وقال ابن شهاب قال أبو سلمة بن عبد الرحمن تنبئ عن أوكمة نحوها ناس من قريش إلى

أبي بكر فقالوا هل لك في صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة . قال أبو بكر أوقال ذلك ؟ قالوا نعم ، قال فأنا أشهد لمن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا فتصدقه في أن يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح ؟ قال نعم أنا أسدقه بأهد من ذلك أسدقه بخبر السماء . قال أبو سلمة فيها سمى أبو بكر الصديق . قال أبو سلمة فسمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ولا كذبني فريش حين أسرى إلى بيت المقدس كنت في الحجر فجلى الله في بيت المقدس فطفت أسيرهم عن آباءه وأنا أنظر إليه

(رواية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه) قال الإمام أحمد ثنا أبو النضر ثمال بن سليمان عن شيان عن عاصم عن زر بن حبیش قال أتيت على حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وهو يحدث عن ليلة أسرى محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول : فانطلقا حتى أتيا بيت المقدس فلم يدخلاه قال قلت بل دخله رسول الله ﷺ ليتنظروا وصلي فيه قال ما أمك يا أصلع ؟ فأنا أعرف وجهك ولا أدري ما أمك قال قلت أنا زر بن حبیش قال فإني عليك بأن رسول الله ﷺ صلى فيه ليتنظروا قال قلت القرون يخبرني بذلك قال فمن تكلم بالقرآن فليجأ اقرأ قال قلت (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) قال يا أصلع هل تجد صلي فيه ؟ قلت لا قال والله ما صلي فيه رسول الله ﷺ ليتنظروا ولو صلي فيه لكعب عليكم صلاة في كعب عليكم صلاة في البيت العتيق والله ما زالا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء فرأيا الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع ثم عادا عودهما على بديهما قال ثم ضحك حتى رأيت نواجذه . قال وتحدثوني أنه ربطه لآسره منه وإنما أسخره في عالم التيب والشهادة قلت أبا عبد الله أي دابة البراق ؟ قال دابة أبيض طويل هكذا خطوه مد البصر . ورواه أبو داود الطيالسي عن حماد ابن سلمة عن عاصم به ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث عاصم وهو ابن أبي النجود به وقال الترمذي حسن وهذا الذي قاله حذيفة رضي الله عنه نفي ما أثبتته غيره عن رسول الله ﷺ من ربط الدابة بالحلقة ومن الصلاة بيت المقدس مما سبق وما سبق مقدم على قوله والله أعلم بالصواب (رواية أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري) قال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أبو بكر يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا أبو محمد راشد الحناني عن أبي هرون البدي (١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال له أصحابه يا رسول الله أخبرنا عن ليلة أسرى بك فيها قال : قال الله عز وجل (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) الآية قال فأخبرهم قال

« فبينما أنا نائم عشاء في المسجد الحرام إذ أتاني آت فأيقظني فاستيقظت فلم أر شيئا فإذا أنا بكعبة خيال فأبتمته بصرى حتى خرجت من المسجد الحرام فإذا أنا بدابة أدنى شيا بدوابكم هذه ، بئالكم هذه غير أنه مضطرب الأذنين يقال له البراق وكانت الأنبياء تركبه قبل يقع حافره عند مد بصره فركبته فبينما أنا أسير عليه إذ دعاني داع عن يميني يا محمد انظرنى أسألك يا محمد انظرنى أسألك يا محمد انظرنى أسألك فلم أجبه ولم أتم عليه ، فبينما أنا أسير عليه إذ دعاني داع عن يساري يا محمد انظرنى أسألك فلم أجبه ولم أتم عليه ، فبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعها وعليها من كل زينة خلقها الله فقالت يا محمد انظرنى أسألك فلم ألتفت إليها ولم أتم عليها حتى أتيت بيت المقدس فأوقفت دابتي بالحلقة التي كانت الأنبياء توثقها بها ثم أتاني جبريل عليه السلام بإناء من أحدها خمر والآخر لبن فشربت اللبن وأبليت الحجر فقال جبريل أصبت العطرة أما إنك لو أخذت الحجر غوت أمك قتلت الله أكبر الله أكبر فقال جبريل ما رأيت في وجهك هذا ؟ قال قلت بينا أنا أسير إذ دعاني داع عن يميني يا محمد انظرنى أسألك فلم أجبه ولم أتم عليه قال ذاك داعي اليهود أما إنك لو أجبتهم أوقعت عليه لهودت أمك . قال فبينما أنا أسير إذ دعاني داع عن يساري قال يا محمد انظرنى أسألك فلم ألتفت ولم أتم عليه قال ذاك داعي النصارى أما إنك لو أجبتهم لتنصرت أمك . قال فبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعها عليها من كل زينة خلقها الله تحول يا محمد انظرنى أسألك فلم أجها ولم أتم عليها قال تلك الدنيا أما إنك لو أجبتها أوقعت عليها لاخترت أمك الدنيا على الآخرة . قال ثم دخلت وأنا وجبريل بيت

القدس فصل كل واحد منا وكنتين ثم أتميت بالعراج الذي كانت تعرج عليه أرواح الأنبياء فلم ير الخلاق أحسن من للعراج أما رأيت لليت حين يثقب بصره طامحا إلى السماء فيأتمسك يثقب بصره طامحا إلى السماء عجبه بالعراج قال ضمنت أنا وجبريل فاذا أنا بملك يقال له إسماعيل وهو صاحب السماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنوده مائة ألف ملك قال : قال الله عز وجل (وما يعلم جنود ربك إلا هو) قال فاستفتح جبريل باب السماء قبل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد بعث إليه ، قال نعم فاذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله عز وجل على صورته ؟ فاذا هو تعرض عليه أرواح ذريته من المؤمنين فيقول روح طيبة وشس طيبة اجعلوها في عليين ، ثم تعرض عليه أرواح ذريته فيقول روح خبيثة وشس خبيثة اجعلوها في سجين فمضيت هنية فاذا أنا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأنثن عندها أناس يأكلون منها قلت يا جبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء من أمتك يأتون الحرام ويتركون الحلال ، قال ثم مضيت هنية فاذا أنا بأقوام متافرقم كغفار الإبل قال فتفتح أنوفهم فيلقمون من ذلك الجمر ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يمشون إلى الله عز وجل فقلت من هؤلاء يا جبريل ، قال هؤلاء من أمتك (الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) أما يأكلون في بطونهم ناراً وسيطون سعيراً) قال ثم مضيت هنية فاذا أنا بنساء تملقن بشدين فسمعتن يمشجن إلى الله عز وجل قلت يا جبريل من هؤلاء النساء ، قال هؤلاء الزناة (من أمتك) قال ثم مضيت هنية فاذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلها نهض أحدهم خر فيقول اللهم لا تهم الساعة قال وهم على سابلة آل فرعون قال فتجىء السابلة فتطوهم قال فسمعتهم يمشون إلى الله - قال قلت يا جبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء من أمتك (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا إذا يقوم الذي يخبطه الشيطان من اللس) قال ثم مضيت هنية فاذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال له كل كأكنت تأكل من لحم أخيك قلت يا جبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء المهازون من أمتك الممازون قال ثم صعدنا إلى السماء الثانية فاذا أنا برجل أحسن ماخلق الله عز وجل قذفه في الجنة في الحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب قلت يا جبريل من هذا ، قال هذا أخوك يوسف ومعه ثمر من قومه فسلمت عليه فرد علي ، ثم صعدنا إلى السماء الثالثة واستفتح فاذا أنا بيحيى وعيسى عليهما السلام ومعهما ثمر من قومهما فسلمت عليهما وسلم علي ، ثم صعدنا إلى السماء الرابعة فاذا أنا بإدريس قد رفعه الله مكاناً علياً فسلمت عليه فسلم علي ، ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فاذا أنا بهرون ونصف لحيت يضاء ونصفها سوداء تكاد لحيت تصيب سره من طولها قلت يا جبريل من هذا ، قال هذا المحبب في قومه هذا هرون بن عمران ومعه ثمر من قومه فسلمت عليه وسلم علي . ثم صعدت إلى السماء السادسة فاذا أنا بموسى بن عمران رجل آدم كثير الشعر لو كان عليه قيصان لشفق شعره دون القيصين فاذا هو يقول يرفع الناس آتى أكرم على الله من هذا بل هذا أكرم على الله مني قال قلت يا جبريل من هذا ، قال هذا أخوك موسى بن عمران عليه السلام ومعه ثمر من قومه فسلمت عليه وسلم علي ، ثم صعدت إلى السماء السابعة فاذا أنا بآبنا إبراهيم خليل الرحمن ساند ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال قلت يا جبريل من هذا ، قال هذا أبوك إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ومعه ثمر من قومه فسلمت عليه فسلم علي وإذا أنا بأمرئ شطرين شطر عليهم ثياب يمين كأنها القراطيس وشطر عليهم ثياب برمد - قال فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمدمع ومعهم خير فضليت أنا ومن معي في البيت المعمور ثم خرجت أنا ومن معي . قال والبيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يوردون إليه إلى يوم القيامة قال ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تكاد تغطي هذه الأمة ، وإذا فيها عين تجري يقال لها سلسيل فينشق منها نهران (أحدهما) الكوثر (والآخر) يقال له نهر الرحمة فاعتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر . ثم إنني رفعت إلى الجنة فاستقبلني جارية فقلت لمن أنت يا جارية قالت يزيد بن حارثة وإذا بأنتار من ماء غفر آسن ، وأنتار من لبن لم يغير طعمه ، وأنتار من خمر لذة للشاربين ، وأنتار من عسل مصفى ، وإذا رماثها كاللآلء عظما وإذا أنا بطيها كأنها جحش هته فقال عندها ﷺ إن الله تعالى قد

أعد لعباده الصالحين ملاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر - قال ثم عرضت على النار فإذا فيها غضب الله وزجره وهتمة ولو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها ثم أغلقت دوني ثم إنى رصت إلى سدره التي تفتشني فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى . قال وينزل على كل ورقة منها ملك من اللائكة - قال وفرضت على خصمون صلاة ، وقال لك بكل حسنة عشر فإذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة فإذا عملتها كتبت لك عسراً ؟ وإذا هممت بالسئة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء . فان عملتها كتبت عليك سيئة واحدة ثم رجعت إلى موسى فقال بما أمرك ربك ؟ قلت بمحسنة صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فان أمتك لا تطيق ذلك ، ومضى لا تطيقه تكفر فرجعت إلى ربي قلت يا رب خفف عن أمتي فانها أضعف الأمم فوضع عني عشرًا وجعلها أربعين فما زلت أختلف بين موسى وربي كلما أتيت عليه قال لي مثل مقالته حتى رجعت إليه فقال لي بم أمرت فقلت أمرت بشهر صلوات قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت إلى ربي قلت أي رب خفف عن أمتي فانها أضعف الأمم فوضع عني خمسًا وجعلها خمسًا فناداني ملك عندها تمت فريضتي وخففت عن عبادي وأعطيتهم بكل حسنة عشر . أمثلها ثم رجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ قلت بخمس صلوات قال ارجع إلى ربك فانه لا يؤوده . فاسأله التخفيف لأمتك فقلت رجعت إلى ربي حتى استجيت . ثم أصبح بمكة فخرجهم بالأعاجيب : إلى أبيات الباردة بيت المقدس وعرجى إلى السماء ورأيت كذا وكذا فقال أبو جهل بني ابن هشام ألا تعجبون كما قال محمد ؟ يزعم أنه أتى الباردة بيت المقدس ثم أصبح فينا وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهرا ومقعدة شهرا فلهذه مسيرة شهرين في ليلة واحدة قال فأخبرتهم بمير لقريش لما كنت في مصدري رأيتها في مكان كذا وكذا وأنها شرفت فلما رجعت وجدتها عند العقبة وأخبرهم بكل رجل وبعبه كذا وكذا ومتاعه كذا وكذا فقال أبو جهل بخبرنا بأخبار فقال رجل منهم أنا أعلم الناس ببيت المقدس وكيف بناؤه وهيئته وكيف قربه من الجبل فان بك محمد صادقاً فأخبركم كذا بك كاذباً فأخبركم فساء ذلك للشرك فقال يا محمد أنا أعلم الناس ببيت المقدس فأخبرني كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل قال فرجع لرسول الله ﷺ بيت المقدس من مقدمه فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته قال بناؤه كذا وكذا وهيئته كذا وكذا وقربه من الجبل كذا وكذا فقال الآخر صدقت فرجع إليهم فقال صدق محمد فيما قال أو نحو من هذا الكلام وكذا رواه الإمام أبو جعفر بن جرير بطلوه عن محمد بن عبد الأعلى عن محمد بن ثور عن معمر عن أبي هارون البدي ، وعن الحسن بن عجي عن عبد الرزاق عن معمر عن أبي هارون البدي ، ورواه أيضاً من حديث ابن إسحق حدثني روح بن القاسم عن أبي هارون به نحو سيقه للتقدم ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أحمد بن عبد الله عن أبي عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد عن أبي هارون البدي عن أبي سعيد الحدرى فذكره بسياق طويل حسن أنيق أجود كما ساقه غيره على غرابته وما فيه من النكارة ، ثم ذكره البيهقي أيضاً من رواية روح ابن قيس الخداني وهشيم ومعمر عن أبي هارون البدي واسمه حمارة بن جوين وهو مصنف عند الأئمة ، وإنما سقنا حديثه ههنا لما فيه من الشواهد لتبره ، ولما رواه البيهقي أخبرنا أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن أنبأنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم البزار حدثنا أبو حامد بن بلال حدثنا أبو الأضرع حدثنا يزيد بن أبي حكيم قال رأيت في النوم رسول الله ﷺ قلت يا رسول الله رجل من أمتك يقال له سفيان الثوري لا بأس به . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا بأس به » حدثنا عن أبي هارون البدي عن أبي سعيد الحدرى عنك يا رسول الله ليله أسرى بك قلت رأيت في المنام فحدثني بالحدث فقال لي « نعم » قلت له يا رسول الله إن ناساً من أمتك يمددون عنك في السرى بمجانِب ؟ فقال لي « ذلك حديث القصاص » (رواية شاذة بن أوس) قال الإمام أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي حدثنا إسحق ابن إبراهيم بن الولاء بن الفضل الأثري حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله بن سالم الأشعري عن محمد بن الوليد ابن عامر الأثري حدثنا أبو الوليد بن عبد الرحمن عن جبير بن نفير حدثنا شاذ بن أوس قال : قلنا يا رسول الله كيف أسرى بك ؟ قال « صليت لأصحابي صلاة البتة بمكة معاً فأتاني جبريل عليه السلام بدابة أبيض - أو قال بيضاء - فوق الحمار

ودون البقل فقال اركب فاستصعب على فرازها بأذنها ثم حولى عليها فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث انتهى طرفها حتى بلغنا أرضاً ذات غل فأنزلى فقال صل فصليت ثم ركبت فقال أندري أين صليت ؟ قلت الله أعلم ، قال صليت يثرب صليت بطيبة فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها عند منتهى طرفها ثم بلغنا أرضاً قال انزل ثم قال صل فصليت ثم ركبتا فقال أندري أين صليت ؟ قلت الله أعلم ، قال صليت بمدين عند شجرة موسى ، ثم انطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضاً بدت لنا قصور فقال انزل فنزلت فقال صل فصليت ثم ركبتا فقال أندري أين صليت ؟ قلت الله أعلم ، قال صليت بيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم ثم انطلق في حق دخلنا المدينة من بابها الجاني فأبى قبة للسجد فربط فيه دابته ودخلنا للمسجد من باب جميل فيه الشمس والقمر فصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذني من العطش أشد ما أخذني فأثبتت يداي في أحداهما لبن وفي الآخر عسل أرسل إلى بهما جميعاً فمدلت بينهما ثم هداني الله عز وجل فأخذت اللبن فضربت حتى عرفت به جيبني وبين يدي شيخ متكئ على مثواه له فقال أخذ صاحبك القطرة إله لهدى ، ثم انطلق في حق أعينا الوادي الذي فيه المدينة فلما جهنم تنكشف عن مثل الروابي (١) قلت يا رسول الله كيف وجدتها ؟ قال وجدتها مثل الحلة السخنة ثم انصرف في فرونا بعير قريش بمكان كذا وكذا قد أضلوا بعيراً لهم قد جمه فلان فملت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أثبت أصحابي قبل الصبح بمكة فأتاني أبو بكر رضى الله عنه فقال يا رسول الله أين كنت الليلة فقد التفتك في مناك ، فقال علمت أني أثبتت بيت المقدس الليلة ، فقال يا رسول الله إنه مسيرة شهر فصفه لي ، قال فتفتح لي صراطاً كأنني أنظر إليه يأتني عن شيء إلا أنباته به ، قال أبو بكر أشهد أنك لرسول الله ، وقال للفركون انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة ، قال فقال إن من آية ما أقول لكم أتى مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيراً لهم فجمعه لهم فلان وإن سيرهم يزلون بكذا وكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يخدمهم جل آدم عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان قريباً من نصف النهار حتى أقبلت الميرقد منهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله ﷺ هكذا رواه البيهقي من طريقين عن أبي إسماعيل الترمذي به ثم قال بسد نخامه هذا إسناد صحيح ، وروى ذلك مفرقاً من أحاديث غيره ونحن نذكر من ذلك إن شاء الله ما حضرنا ثم ساق أحاديث كثيرة في الإسراء كالشاهد لهذا الحديث ، وقد روى هذا الحديث عن شداد بن أوس بطوله الإمام أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن إسحق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي به ، ولا شك أن هذا الحديث أغنى الحديث المروى عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقي ومنها ما هو منكراً كالصلاة في بيت لحم . وسؤال الصديق عن نعمت بيت المقدس وغير ذلك والله أعلم (رواية عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) قال الإمام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه قال حدثنا ابن عباس قال : ليلة أسرى رسول الله ﷺ دخل الجنة فسمع في جانبها وخشاً (٢) فقال يا جبريل ما هذا ؟ قال هذا بلال المؤذن فقال النبي ﷺ حين جاء إلى الناس « قد أطلع بلال رأيته كذا وكذا » قال فلقية موسى عليه السلام فرحب به وقال مرحباً بالنبي الأبي قال وهو رجل آدم طويل بسيط شعره مع أذنيه أو فوقهما فقال من هذا ؟ قال هذا موسى ، قال ففضي فلقية شيخ جليل متعب فرحب به وسلم عليه وكلهم يسلم عليه قال من هذا ؟ قال جبريل قال هذا أبوك إبراهيم قال ونظر في النار فإذا قوم يأكلون الخبث قال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ورأى رجلاً أحمر أزرق جداً قال من هذا ؟ قال جبريل قال هذا عاقراً الناقة ، قال : فلما أتى رسول الله ﷺ المسجد الأقصى قام يصلي فإذا النبيون أجمعون يصاون معه ، فلما انصرف جاء به فمدحني أحدهما عن الجن والآخر عن الشياطين في أحدهما لبن وفي الآخر عسل فأخذ اللبن فضرب منه فقال الذي كان معه القدر أصبت القطرة إسناد صحيح ولم يخرجوه . (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ثابت أبو زيد حدثنا هلال حدثني عكرمة عن ابن عباس قال : أسرى برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس ثم جاء من ليته فخدمهم بسيرة وبعلامات بيت المقدس وبسيرهم فقال ناس نحن لا نصدق محمدًا بما يقول فارتدوا كفاراً فضرب

(١) في نسخة الأثر: والأهيرة الزراي، وكذا في النسخة (٢) في النسخة كلها وخشاً : وهو متصف، والرجس والجبر والسبع الصوت الماني.

الله رافهم مع أبي جهل وقال أبو جهل يخوفنا محمد بشجرة الرقوم هاتوا تمرا وزبدا فتزقروا ، ورأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس برؤيا منام وعيسى وموسى وإبراهيم ، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال فقال « رأيت فيماني أقرهجهان ، إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري كأن شعر رأسه أغصان شجرة ، ورأيت عيسى عليه السلام أيضاً جدار الرأس حديد البصر وموطن الخلق ، ورأيت موسى عليه السلام أسهم آدم كثير الشعر شديد الخلق ، ونظرت إلى إبراهيم عليه السلام فلم أنظر إلى إرب منه إلا نظرت إليه مني حتى كأنه صاحبك ، قال جبريل سلم على أيك فسلمت عليه » ورواه النسائي من حديث أبي يزيد . ثابت بن زيد عن هلال وهو ابن جابر به وهو إسناد صحيح

(طريق أخرى) قال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو بكر الشافعي أنبأنا إسحق بن الحسن حدثنا الحسين بن محمد حدثنا شيخان عن قتادة عن أبي العالية قال حدثنا ابن عم نبيك ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما قال « قال رسول الله ﷺ رأيت ليلة أسرى بي موسى بن عمران رجلاً طويلاً جسدًا كأنه من رجال شتوة ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام مربوع الخلق إلى الحمرة والياض سبط الرأس » وأرى مالكا خازن جهنم والدجال في آيات أراهم الله إياه قال (فلا تكن في مرة من لقاءه) فكان قتادة يفسر هذا أن نبي الله ﷺ قد لقي موسى عليه السلام (وجعلناه هدى لبني إسرائيل) قال جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل رواه مسلم في الصحيح عن عبد بن حميد عن يونس بن محمد عن شيخان وأخرجه من حديث شعبه عن قتادة عن حمص (طريق أخرى) وقال البيهقي أخبرنا علي بن أحمد بن عبد الله أنا أحمد بن عبيد السائر ثنا ديس للبدل ثنا عفان قال ثنا حماد بن سلمة عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لما أسرى بي مرت بي راحلة طيبة قتلت ما هسنه الراحلة » قال ما عطلة بنت فرعون وأولادها سقط للشط من يدها قتلت باسم الله قتلت بنت فرعون أني قالت ربي وربك ورب أبيك قالت أولك رب غير أبي ؟ قالت نعم ربي وربك ورب أبيك الله . قال فدعاها فقال لك رب غيري قالت نعم ربي وربك الله عز وجل . قال فأمر بقرعة من نحاس فأحيت ثم أمر بها أن تلقى فيها قالت إن لي إليك حاجة قال ما هي ، قال تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع فإدراك لك لما لك علينا من الحق قال فأمر بهم فألقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم فقال يا أمه قمي ولا تناعى فإنك على الحق . قال وتمككم أربعة في الهدى وهم صفار هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام . إسناد لا بأس به ولم يخرجوه (طريق أخرى) قال الإمام أحمد أيضاً حدثنا محمد بن جعفر وروح بن المين قالا حدثنا عوف عن زرارة ابن أوى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لما كان ليلة أسرى بي فأصبحت بمكة فظمت وعرفت أن الناس مكذبون فقدمت منزلاً حزينا فر بهعدوا لله أبو جهل فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمسزى هل كان من شيء ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قال وما هو . قال « إني أسرى في الليلة » قال إلى أين ، قال « إلى بيت المقدس » قال ثم أصبحت بين ظهرائني ، قال « نعم » قال فلم ير أن يكذبه مخافة أن يبعد الحديث إن دعا قومه إليه ، فقال أرأيت إن دعوت قومك أتهدتهم بما حدثني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » فقال بإسهم بنى حكيم بن لؤي قال فاضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليها قال جديت قومك بما حدثني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أسرى في الليلة » فقالوا إلى أين ، قال « إلى بيت المقدس » قالوا ثم أصبحت بين ظهرائني قال « نعم » قال فمن بين مصفق ومن بيت واسع يده على رأسه متجنباً فكذب ، قالوا وتستطيع أن تتعت لنا للسجد وفهم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد ، فقال رسول الله ﷺ « لما زلت أنتحت حتى التيس على بعض الثمت » قال فجاء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل وأعقال ففتحوها وأنا أنظر إليه قال وكان مع هذا نمت إذ أخطفه . قال فقال القوم أما التمت فوالله لقد أصاب فيه » وأخرجه النسائي من حديث عوف بن أبي جميلة وهو الأعرابي به ، ورواه البيهقي من حديث النضر بن شميل وهوذة عن عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي أحد الأئمة الثقات (رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه) قال

الحافظ أبو بكر البهيقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا السري بن خزيمة حدثنا يوسف ابن يهول حدثنا عبد الله بن غير عن مالك بن مقل عن الزبير بن عدي عن طلحة بن مصرف عن مرة الهمداني عن عبد الله ابن مسعود قال : لما أسرى رسول الله ﷺ فأتى إلى السدة التي وهى في الساء السادسة والها يتبى ما يصعد به حتى يقبض منها ، والها يتبى ما يهبط به من فوقها حتى يقبض (إذ يشى السدة مايتبى) قال غشها فراش من ذهب وأعطى رسول الله ﷺ الصلوات الخمس وخواتم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً للفتحات يعني الكبائر . ورواه مسلم في صحيحه عن محمد بن عبد الله بن غير وزهير بن حرب كلاهما عن عبد الله بن غير ، ثم قال البهيقي وهذا الذي ذكره عبد الله ابن مسعود طرف من حديث العراج ، وقد رواه أنس بن مالك عن مالك بن مسعدة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم رواه مرة مرسل من دون ذكرها ثم إن البهيقي ساق الأحاديث الثلاثة كأنهم قلت وقد روى عن ابن مسعود بأيسر من هذا وفيه غرابة وذلك فيما رواه الحسن بن عرفة في جزئه للشهور حدثنا مروان بن معاوية عن قتادة بن عبد الله التيمي حدثنا أبو ظبيان الجني قال : كنا جلوساً عند أبي عبيدة بن عبد الله يعني ابن مسعود ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وهما جالسان فقال محمد بن سعد لأبي عبيدة حدثنا عن أبيك ليلة أسرى محمد صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة لا بل حدثنا أنت عن أبيك فقال محمد لو سألتني قبل أن أسألك لقلت ، قال فأنشأ أبو عبيدة يحدث يعني عن أبيه كما سئل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أناني جبريل عليه السلام بداية فوق الحمار ودون البغل فحملني عليه ثم انطلق يهوى بنا كما صعد عقبه استوت رجلاه كذلك مع يديه وإذا هبط استوت يده مع رجليه حتى مررنا برجل طوال سبط آدم كأنه من رجال أزدشونة فيرفع صوته يقول أكرمه وفضلته قال لندفنا إليه فلفنا عليه فردا السلام فقال من هذاملك يا جبريل ؟ قال هذا أحمد ، قال مرحباً بالنبي الأمي العربي الذي بلغ رسالتك به ونصح لأمته ، قال ثم اندفنا فقلت من هذا يا جبريل ، قال هذا موسى بن عمران قال قلت ومن ياتب قال ياتب ربه فيك ، قلت ويرفع صوته على ربه قال إن الله قد عرفه حدث . قال ثم اندفنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمرها السرح نحا شيخ وعياله قال فقال لي جبريل أحمد إلى أبيك إبراهيم فندفنا إليه فلفنا عليه فردا السلام فقال إبراهيم من هذاملك يا جبريل ، قال هذا ابنك أحمد قال فقال للمرحب بالنبي الأمي الذي بلغ رسالتك به ونصح لأمتي يابني إنك لا قربك الليلة وإن أمك آخر الأمم وأخضعها فإن استطعت أن تكون حاجتك أو جعلها في أمك فافعل . قال ثم اندفنا حتى أتينا إلى المسجد الأقصى فنزلت فربطت الدابة في الحلقة التي في باب المسجد التي كانت الأنبياء تربط بها ثم دخلت المسجد ففرقت النبيين من بين قائم وراكع وساجد قال ثم أتيت بكأسين من عسل ولبن فأخذت اللبن فضربت جبريل عليه السلام منكبي وقال أصابت الفطرة ورب محمد قال ثم أقيمت الصلاة فأتمتهم ثم انصرفنا فأقبلنا « إسناده غريب ولم يخرجوه ، فيه من الترائب سؤال الأنبياء عنه عليه السلام ابتداء ثم سؤاله عنهم بعد انصرافه وللشهور في الصحاح كما تقدم أن جبريل كان يعلمهم أولاً ليس عليهم سلام معرفة ، وفيه أنه اجتمع بالأنبياء عليهم السلام قبل دخوله المسجد الأقصى ، والصحيح أنه إنما اجتمع بهم في السموات ثم نزل إلى بيت المقدس ثانياً وهم معه وصلى بهم فيه ثم إنه ركب البراق وكر راجعاً إلى مكة والله أعلم (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا العوام عن جبلة بن صبح عن مرثد بن جندة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال « لقيت ليلة أسرى في إبراهيم وموسى ويعيسى عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة قال فردوا أمرهم إلى إبراهيم عليه السلام فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال أما وجبتاً فلا يعلم بها أحد إلا الله عز وجل وفيه عهد إلى ربي أن الله سجل خارج قال ومعنى قضيان فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله إذا رآني حتى إن الحجر والشجر يقول يا مسلم إن نحني كافرًا فتعال فاقفه قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك يخرج أجاج ومأجوج ومن كل حذب ينسلون فيطأون بلادهم فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يبرون على ماء إلا شربوه قال ثم يرجع الناس إلى فيشكونهم فأدعوا الله عليهم فهلكهم وبقيتهم حتى تجوى الأرض من ثن رجهم أي تنق قال فيزل الله

الطريق فيعرف أجسادهم حتى يخذلهم في البحر فنيا عهد إلى ربي أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل للتم لا يدرى أهلها متى تضجهم بولادها لئلا أو نهرا . وأخرجه ابن ماجه عن بندار عن يزيد بن هارون عن العوام ابن حوشب رواية عبد الرحمن بن قرط أخى عبد الله بن قرط النخلى قال سمعت بن منصور حدثنا مسكين بن يميون مؤذن مسجد الرمة حدثني عروة بن روم عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى من بين زمزم ولقاهم جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطارا به حتى بلغ السموات التي فلما رجع قال سمعت تسبيحا في السموات التي مع تسريح كثير سمعت السموات التي من ذى المهابة مشغقات من ذى الملو بما على سبحان التي الأعلى سبحانه وتعالى . ونذكر هنا الحديث عند قوله تعالى من هذه السورة (تسبح له السموات السبع) الآية

(رواية عمر بن الخطاب رضى الله عنه) قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شبيب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان بالجاية فذكر فتح بيت المقدس قال : قال أبو سلمة فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب أين ترى أن أصل قتال إن أخذت عن صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضاهيت اليهودية ولكن أصل حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم إلى القبلة فصل ثم جاء فيسقط رداؤه وكنت الكناسة في رداؤه وكنت الناس فلم يظم الصخرة تعظيما صلى وادها وهي بين يديه كما أشار كعب الأبحار وهو من قوم يظلمونها حتى جعلوها قبتهم ولكن من الله عليه بالإسلام فهدى إلى الحق ولهذا لما أشار بذلك قال له أمير المؤمنين عمر ضاهيت اليهودية ولا أمانيها إهانة النصارى الذين كانوا قد جعلوها مذبحة من أجل أنها قبلة اليهود ولكن أملا عنها الأدنى وكنت عنها الكناسة رداؤه . وهذا شيء بما جاء في صحيح مسلم عن أبي مرثد الثنوي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها »

(رواية أبي هريرة وهي مطولة جداً وفيها غرابة) قال الإمام أبو جعفر بن جرير في تفسيره سمعت أبا جعفر على بن سهل ثنا حجاج ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالقة الرازي عن أبي هريرة وأبو جعفر في قول الله عز وجل (سبحان الذي أسرى بيمينه ليلا) الآية قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ ومعه ميكائيل فقال جبرائيل لميكائيل اتقي بطست من ماء زمزم كفا أظهر قلبه وأشرح له صدره قال فشق عنه بطنه فنهله ثلاث مرات واختلف إليه ميكائيل ثلاث طلس من ماء زمزم فشرح صدره ففرغ ما كان فيه من غل وملاء علماً وحلماً وإماناً وقبناً وإسلاماً وختم بين كفيه بخاتم النبوة ثم أتاه بفرس فحمله عليه كل خطوة منه متهي بصره أو أقصى بصره قال فسار وسارمه جبريل عليهما السلام قال فأتى على قوم يزدعون في يوم ويحسدون في يوم كلما حسدوا عاد كما كان فقال النبي ﷺ « يا جبريل ما هذا ؟ » قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسببانه ضف وما اتفقوا من شيء فهو خلقه وهو خير الرازيين ثم أتى على قوم ترشح رموسهم بالسخر كلها وضحت عادت كما كانت ولا يفر عنهم من ذلك شيء فقال « ما هؤلاء يا جبريل ؟ » قال هؤلاء الذين يتناكروا رموسهم من الصلاة للكسوة ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أديارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والنم . ويأكلون الفربيع والرقوم ورضف جهنم وجبرتها قال « ما هؤلاء يا جبريل ؟ » قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله تعالى شيئا وما الله بظالم للعبيد ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم تضيح في قدر ولم يذوق في قدر خيث ففصلوا يأكلون من اللحم الذي الخيث ويدعون التضيق الطيب فقال « ما هؤلاء يا جبريل ؟ » قال هذا الرجل من أمك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة يأتي امرأة خيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حللاً طلياً فتأتي رجلاً خيثة فتبيت معه حتى تصبح قال ثم أتى على خبيثة على الطريق لا يمر بها نوب ألا شقته ولا شيء إلا خرقة قال « ما هذا يا جبريل ؟ » قال هذا مثل أقوام من أمك يعمدون على الطريق فيقطعونها ثم تلا (ولا تصعدوا

بكل صراط توعدون وتعدون) الآية قال ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال « ما هذا يا جبريل ؟ » قال هذا الرجل من أمثك يكون عليه أمانات الناس لا يقدري أن يأخذها وهو يريد أن يعمل عليها ثم أتى على قوم تعرضوا لهم وبغواهم بغيرهم من حديد كما فرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال « ما هذا يا جبريل ؟ » فقال هؤلاء خطباء الفتنة ثم أتى على حجر صغير يخرج منه نور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال « ما هذا يا جبريل ؟ » قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها . ثم أتى على واد فوجد ريحاً طيبة باردة وريحاً شديدة ومع صوتا فقال : « يا جبريل ما هذه الريح الطيبة الباردة وما هذا للساك وما هذا الصوت ؟ » قال هذا صوت الجنة يقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت غريفي وإستبرقي وحريري وسندي وعبري ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وسحابي وأبارقي وأكؤسي وعسلي ومائي ولبي وحمري فأتتني بما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك بي شيئا ولم يتخذن دونا أندادا ، ومن خشني فهو آمن ، ومن سألني أعطيت ، ومن أقرضني جزيت . ومن توكل على كفيته ، إلى أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف اليعاد ، وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين ، قالت قد رضيت قال ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا أو وجد ريحاً خبيثة فقال « ما هذا يا جبريل وما هذا الصوت ؟ » قال هذا صوت جهنم يقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وغشائي فقال هذا صوت جهنم يقول يا رب ائتني بما وعدتني ، قال لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل خبيث وعداني وقد بعد قسري واشتد حري فأتتني بما وعدتني ، قال ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه وخيخته . وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب . قالت قد رضيت ، قال ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى الصخرة ثم دخل فضلى مع اللاتكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا ملك قال عجل عليه السلام قالوا أوتد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله من أع ومن خليفة فتم الأعم ونعم الجليفة ونعم المجد جاء . قال ثم لقى أنوار الأنبياء فأثنا على ربه فقال إبراهيم عليه السلام : الحمد لله الذى أخذنى خيلا وأعطانى ملكا عظيما وجعلنى أمة قائما يؤتمن بي وأخذنى من النار وجعلها على بردا وسلاما ثم إن موسى عليه السلام أتى على ربه فقال : الحمد لله الذى كلمنى تكليما وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بنى إسرائيل على يدي وجعل من أمي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون . ثم إن داود عليه السلام أتى على ربه فقال : الحمد لله الذى جعل لى ملكا عظيما وعلمنى الثبور والأمان لى الحديد وسخر لى الجبال يسبحن والطير وأعطانى الحكمة وقصل الخطاب ثم إن سليمان عليه السلام أتى على ربه فقال : الحمد لله الذى سخر لى الريح وسخر لى الشياطين يعملون لى ما شئت من محارب وغنائم وجنان كالجواب وقدور وإسيات ، وعلمنى منطق الطير وآتاني من كل شيء فضلا وسخر لى جنود الشياطين والإنس والطير وفضلى على كثير من عباده المؤمنين ، وآتاني ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعدى وجعل ملكى ملكا عظيما ليس فيه حساب . ثم إن عيسى عليه السلام أتى على ربه عز وجل فقال : الحمد لله الذى جعلنى كلمته وجعل منى كل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعلنى أخلق من الطين كهيئة الطير فأنشخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وجعلنى أرى الأكمة والأبرص وأصيحى للموتى بإذن الله ورفضى وطهرنى وأعزى وأمى من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليا سبيل . قال ثم إن محمد عليه السلام أتى على ربه عز وجل فقال « كلّمك أنى على ربه وإني من على ربي فقال : الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل على القرآن فيه بيان لكل شيء وجعل أمي خير أمة أخرجت للناس وجعل أمي أمة وسطا وجعل أمي هم الأولين وهم الآخرين وشرح لى صدرى ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا وخاتما » فقال إبراهيم عليه السلام : بهذا فضلكم محمد عليه السلام ، قال أبو جعفر الرازى خاتم النبوة فاتح الشفاعة يوم القيامة ، ثم أتى بأية ثلاثة مظلة أنوارها فاتى بإضاء منها فيه ماء قليل له اشرب فشرب منه بيرا ، ثم دفع إليه آية آخر فيه لبن قليل له اشرب فشرب منه حتى روى ، ثم دفع إليه آية آخر فيه خمر قليل له اشرب فقال لا أريده قد رويت ، فقال له جبريل أما إنها ستحرم على أمثك ولو شربت منها لم يتبعك من

أنتك إلا القليل ، قال ثم صعد به إلى السماء فاستفتح قفيل من هذا يا جبريل فقال محمد ، فقالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أئح ومن خليفة فتم الأئح ونعم الخليفة ونعم الهيء جاء ففتح لهما ، فدخل فاذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خلق الناس عن يمينه باب يخرج منه ربح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ربح خبيثة فاذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر وإذا نظر إلى الباب الذي عن شماله بكى وحزن فقلت يا جبريل من هذا الشيخ التام الخلق الذي لم ينقص من خلقه شيء وما هذان البابان ؟ فقال هذا أبوك آدم وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة فاذا نظر إلى من يدخل الجنة من ذريته ضحك واستبشر ، والباب الذي عن شماله باب جهنم إذا نظر إلى من يدخلها من ذريته بكى وحزن ، ثم صعد به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح قفيل من هذا معك ؟ فقال محمد رسول الله ، قالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أئح ومن خليفة فتم الأئح ونعم الخليفة ونعم الهيء جاء قال فدخل فاذا هو بشاين فقال يا جبريل من هذان الشابان ؟ قال هذا عيسى بن مريم ورحي بن زكريا ابنا الحلة عليهما السلام ، قال فصعد به إلى السماء الثالثة فاستفتح فقالوا من هذا ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد قالوا أو قد أرسل إليه قال نعم ، قالوا حياه الله من أئح ومن خليفة فتم الأئح ونعم الخليفة ونعم الهيء جاء قال فدخل فاذا هو برجل قد فضل على الناس في الحسن كما فضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قال من هذا يا جبريل الذي قد فضل على الناس في الحسن ؟ قال هذا أخوك يوسف عليه السلام ، قال ثم صعد به إلى السماء الرابعة فاستفتح قفيل من هذا قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أئح ومن خليفة فتم الأئح ونعم الخليفة ونعم الهيء جاء ، قال فدخل فاذا هو برجل قال من هذا يا جبريل ، قال هذا إدريس عليه السلام وضعه الله مكاناً علياً ، ثم صعد به إلى السماء الخامسة فاستفتح فقالوا من هذا ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أئح ومن خليفة فتم الأئح ونعم الخليفة ونعم الهيء جاء قال فدخل فاذا هو برجل جالس وحوله قوم يقص عليهم قال من هذا يا جبريل ومن هؤلاء حوله قال هذا هارون المحب وهؤلاء بنو إسرائيل ، ثم صعد به إلى السماء السادسة فاستفتح قفيل من هذا قال جبريل قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أئح ومن خليفة فتم الأئح ونعم الخليفة ونعم الهيء جاء قال فدخل فاذا هو برجل جالس فبأوزه فيكي الرجل فقال يا جبريل من هذا ، قال موسى ، قال لما باله يكي ، قال زعم بنو إسرائيل أني أكرم بن آدم على الله عز وجل وهذا رجل من بني آدم قد خلقني في دنيا وأنا في أخرى فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن مع كل بني أمته ، قال ثم صعد به إلى السماء السابعة فاستفتح قفيل من هذا ، قال جبريل قيل ومن معك قال محمد ، قالوا أو أرسل إليه قال نعم ، قالوا حياه الله من أئح ومن خليفة فتم الأئح ونعم الخليفة ونعم الهيء جاء ، قال فدخل فاذا هو برجل أعمى جالس عند باب الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس يبيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم في ألوانهم شيء فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فدخلوا نهرًا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ثم دخلوا نهرًا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل ألوان أصحابهم فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم فقال يا جبريل من هذا الأعمى ثم من هؤلاء البيض الوجوه ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء وما هذه الأنهار التي دخلوا فيها فجاؤا وقد صفت ألوانهم ، قال هذا أبوك إبراهيم أول من سمط على وجه الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا لعصاهم بظلم ، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فتابوا كتاب الله عليهم ، وأما الأنهار فأولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث مقام ربهم شراباً طهوراً ، قال ثم انتهى إلى السدة قفيل له هذه السدة ينتهي إليها كل أحد خلا من أمتك على سترك . فاذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لؤلؤا عذرا ، وأنهار من عسل مصفى وحى شجرة يسير الراكب في ظلها مبعين عاماً لا يعظمها وأورقة منها تنطى الأمة كلها قال فنفثها نور الخلق عز وجل

وغشيتها لللائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة، من حب الرب تبارك وتعالى ، قالوا فكلمه الله عند ذلك فقال له سبل ، فقال انك اتخذت إبراهيم خيلا وأعطيته ملكا عظيما وكنت موسى تسكيا ، وأعطيته داود ملكا عظيما وأنت له الحديد ، وسخرت له الجبال وأعطيته سليمان ملكا وسخرت له الجن والإنس والشياطين وسخرت له الريح وأعطيته ملكا لا ينفى لأحد من بعده ، وعلت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يرى الأكنة والأبصر ورعى للوفى يلائك وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل ، فقال له الرب عز وجل وقد اتخذتك خليلا - وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن - وأرسلتك إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك . ورفعت لك ذكرك ، فلاذكر إلا ذكرت معي ، وجعلت أمتك خیرة أخرجت للناس ، وجعلت أمتك أمة وسطا ، وجعلت أمتك هم الأولين وهم الآخرين وجعلت أمتك لا يجوز لهم خطية حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى ، وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم وجعلتك أول التبيين خلقا وآخرهم بشرا ، وأولهم قضى له ، وأعطيتك سبعا من الثنائى لم يعطها نبي قبلك وأعطيته خواتم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبي قبلك ، وأعطيته الكوثر وأعطيته ثمانية أشهر الاسلام والمجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلتك فاتحا خاتما ، فقال النبي ﷺ « فضلى ربى بست : أعطاني فوائع الكلام وخواتمه وجوامع الحديث ، وأرسلنى إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا . وقذف فى قلوب أعدائى الرعب من مسيرة شهر ، وأحللتى للقائم ولم تخل لأحد قبلى وجعلتلى الأرض كلها طهورا ومسجدا » قال وفرض عليه خمسين صلاة . فلما رجع إلى موسى قال أمرت يا محمد ، قال بخمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة ، قال فرجع النبي ﷺ إلى ربه عز وجل فأسأله التخفيف فوضع عنه عشرا ثم رجع إلى موسى فقال له بك أمرت قال بأربعين قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة : قال فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه فأسأله التخفيف فوضع عنه عشرا فرجع إلى موسى فقال بك أمرت قال بأمرت بثلاثين . فقال له موسى ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة . قال فرجع إلى ربه فأسأله التخفيف فوضع عنه عشرا فرجع إلى موسى عليه السلام فقال بك أمرت قال بأمرت بشرين قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة ، قال فرجع إلى ربه عز وجل فأسأله التخفيف فوضع عنه عشرا فرجع إلى موسى فقال بك أمرت قال بأمرت بشرين ، قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من إسرائيل شدة ، قال فرجع على حياته إلى ربه فأسأله التخفيف فوضع عنه خمسا فرجع إلى موسى عليه السلام فقال بك أمرت قال بأمرت بخمس ، قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة ، قال قد رجعت إلى ربى حتى استحييت فلما أتابعه إليه ، قيل أما إنك كاصرت نفسك على خمس صلوات فأتين بجزين عنك خمسين صلاة فإن كل حسنة بشرا أمثالها ، قال فرضى محمد ﷺ كل الرضا ، قال وكان موسى عليه السلام من أشددم عليه حين مر به وخبرهم له حين رجع إليه . ثم رواه ابن جرير عن محمد بن عبيد الله عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالقة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قد كره . وقال ابن أبي حاتم ذكره أبو زرعة حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا يونس بن بكير حدثنا عيسى بن عبد الله التميمى عن أبي جعفر الرازى عن الربيع بن أنس البكرى عن أبي العالقة أو غيره شك الحافظ أبو بكر الباقى عن أبي سعيد اللاتى عن ابن عدى عن محمد بن الحسن السكونى البالى بالمرقة حدثنا طى بن سهل فذكر مثل ما رواه ابن جرير عنه ، وذكر كرايبقى أن الحاكم أباعبد الله رواه عن إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشعراى عن جده عن إبراهيم بن حمزة الأزيرى عن حاتم بن إسماعيل حدثنى عيسى بن مهان يبنى أباجعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالقة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قد كره . وقال ابن أبي حاتم ذكره أبو زرعة حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا يونس بن بكير حدثنا عيسى بن عبد الله التميمى عن أبي جعفر الرازى عن الربيع بن أنس البكرى عن أبي العالقة أو غيره شك عيسى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى (سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام)

فذكر الحديث بطوله كنجو مما سقناه (قلت) وأبو جعفر الرازي قال فيه الحافظ أبو زرعة الرازي بهم في الحديث كثيراً وقد ضعفه غيره أيضاً ووجه بعضهم ، والظاهر أنه سيء الحفظ فيها فخره به نظر . وهذا الحديث في بعض ألقاظه غرابة ونسكارة شديدة وفيه شيء من حديث النام في رواية سمرة بن جندب في اللام الطويل عند البخاري ويشبه أن يكون مجموعاً من أحاديث شتى أو منام أو قصة أخرى غير الإسراء والله أعلم

وقد روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « حين أسرى في قيت موسى عليه السلام — فنتعت فلما رجع حسبه قال — مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة ، قال ولقيت عيسى — فنتعت النبي ﷺ قال — ربعة أحر كأنها خرج من ديماس — يعني حمام قال — ولقيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به قال وأتيت يثايب في أحدهما لين وفي الآخر حمر قيل لي خذا أيهما عشت فأخذت اللين فشربت قليل لي هديت القطرة — أو أصبت القطرة — أما إنك لو أخذت الحجر غرقت أمتك » وأخرجاه من وجه آخر عن الزهري به نحوه وفي صحيح مسلم عن محمد بن رافع عن الحسين بن الليث عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن عبد الله بن الفضل الهاماني عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لقد رأيته في الحجر وقرى تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أنبتها ففكرت كريباً ما كرمتم الله قط فرفضه الله إلى أنظر إليه ما سألتني عن شيء إلا أنبأهم به وقد رأيته في جماعة من الأنبياء وإذا موسى قائم يصلي وإذا هو رجل جعد كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس منها به عروة بن مسعود الثقفي وإذا إبراهيم قائم يصلي أقرب الناس منها به صاحبك — يعني نفسه — فحانت الصلاة فأنتمت فلما فرغت قال قال يا محمد هذا مالك خازن جهنم فالتفت إليه فبدأني بالسلام وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حجاج بن منال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي الصلت عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت ليلة أسرى في لما انتهيت إلى السماء السابعة فنظرت فوق فلذا رعد وبرق وصواعق قال وأتيت على قوم بطونهم كالبيت فيها الحياة يرمي من خارج بطونهم قتل من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء آكلوا الربا فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل مني فإذا أنا برهح ودخان وأصوات قتل من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم لا يتفكرون في ملكوت السموات والأرض ولولا ذلك لأرأوا العجايب » ورواه الإمام أحمد عن حسن وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة به ورواه ابن ماجه من حديث حماد به (رواية جماعة من الصحابة ممن تقدم وغيرهم) قال الحافظ البيهقي حدثنا أبو عبد الله يعني الحاكم حدثنا عبيد الله بن يزيد بن يعقوب الله قاق الحمداني حدثنا إبراهيم بن الحسين الحمداني حدثنا أبو محمد هو إسماعيل بن موسى الزناري حدثنا عمر بن سعد التميمي عن بني نضرة بن معين حدثني عبد العزيز بن أبي سلمة وسليمان الأحمشي وعطاء بن السائب بعضهم يزيد في الحديث على بعض عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعن محمد بن إسحق بن يسار ممن حدثه عن ابن عباس وعن سلم بن مسلم العقيلي عن عامر الشعبي عن عبد الله بن مسعود وجوير عن الضحاك بن مزاحم قالوا كان رسول الله ﷺ في بيت أم هانئ راقداً وقد صلى المشاء الآخرة قال أبو عبد الله الحاكم قال لنا هذا الشيخ وذكر الحديث فيكتبه اللحن من نسخة مسموعة منه فذكر حديثاً طويلاً يذكر فيه عدد الدرج والملائكة وغير ذلك مما لا ينكر شيء منها في قدرة الله إن صححت الرواية . قال البيهقي فيها ذكرنا قبل في حديث أبي هارون البغدادي في إثبات الإسراء والعراج كفاية والله التوفيق (قلت) وقد أرسلنا هذا الحديث غير واحد من التابعين وأئمة التفسيرين رحمة الله عليهم أجمعين (رواية عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها) قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني مكرم بن أحمد القاضي حدثني إبراهيم بن الهيثم البكري حدثني محمد بن كثير الضناني حدثنا معمر بن راشد عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت لما أسرى رسول الله ﷺ إلى للسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر فقالوا هل لك في صاحبك ؟ يزعم أنه أسرى به الية إلى بيت المقدس فقال أو قال ذلك ؟ قالوا نعم قال لأن كان قال ذلك لقد صدق قالوا فتصدقه أنه ذهب الية إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ، قال نعم إني لأسدقة فيها هو أسد من ذلك أصدقه في خير

الساء في غدوة أو رومة فقللك ممي أبو بكر الصديق (رواية أم هانئ بنت أبي طالب) قال محمد بن إسحق حدثني محمد بن محمد السائب الكلبي عن أبي صالح بإذن عن أم هانئ بنت أبي طالب في مسرى رسول الله ﷺ أنها كانت تقول ما أسرى برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي قائم عندي تلك الليلة فصل المشاء الآخرة ثم نام وعنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا برسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وسلينا معه قال «أم هانئ لقد صليت معك المشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة النداء معك الآن كما قرين» «الكلبي متروك مرة ساقط لكن رواه أبو يعلى في مسنده عن محمد بن إسماعيل الأصبغ عن شمسة بن ربيعة عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن أبي صالح عن أم هانئ بأبسط من هذا السياق فليكتبه هنا وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الأعلى بن أبي المساور عن عكرمة عن أم هانئ قالت بات رسول الله ﷺ ليلة أسرى به في بيتي ففقدته من الليل فامتنع من النوم خوفاً أن يكون عرض له بعض قريش فقال رسول الله ﷺ «إن جبريل عليه السلام أتاني فأخذايدي فأخرجني فلذا على الباب دابة دون البغل ونوق الحمار فحملني عليها ثم انطلق حتى انتهى إلى بيت المقدس فأراني إبراهيم عليه السلام يشبه خلقه خلقى وشبه خلقه وأراني موسى آدم طويلا بسط الشعر شبهته برجال أزد شونة ، وأراني عيسى بن مريم ربة أبيض يضرب إلى الحفرة شبهته بمرورة بن مسعود الثقفي ، وأراني النجاشي عسكس الدين اليمنى شبهته بطبن بن عبد العزيز - قال - وأنا أريد أنا أخرج إلى قريش فأخبرهم بما رأيت » فأخذت بثوبه قتلتي إني أذكرك الله إنك تأتي قومك يكذبونك ويكرهون مقاتلتك فأخاف أن يسطوا بك قالت فضرب ثوبه من يدي ثم خرج إليهم فأناهم وهم جلوس فأخبرهم ما أخبرني فقام جبر بن مطعم فقال يا محمد أن لو كنت لك شأن كما كنت ما تكلمت بما تكلمت به وأنت بين ظهرائنا . فقال رجل من القوم يا محمد هل مررت بإبل لنا في مكان كذا وكذا ؟ قال « نعم والله قد وجدتكم قد أضلوا بيرا لهم فهم في طلبه » قال هل مررت بإبل لبني فلان ؟ قال « نعم ووجدتهم في مكان كذا وكذا وقد انكسرت لهم ناقه حمرأ وعندكم قسعة من ماء فضربت ما فيها » قالوا فأخبرنا عدتها وما فيها من الرعاة قال « قد كنت عن عدتها مشغولا » فقام فأوثق بالإبل فعددها وعلم ما فيها من الرعاة ثم أتى قريشاً فقال لهم « سألقونني عن إبل بني فلان فهي كذا وكذا وفيها من الرعاة فلان وفلان وسألقونني عن إبل بني فلان فهي كذا وكذا وفيها من الرعاة ابن أبي حقاة وفلان وفلان وهي تصيحكم بالنداء على الثنية » قال فعددوا على الثنية ينظرون أصدقتهم ما قال فاستقبلوا الإبل فسالوهم هل ضل لكم بئر ؟ فقالوا نعم فسالوا الآخر هل انكسرت لكم ناقه حمرأ قالوا نعم قالوا فهل كانت عندكم قسعة قال أبو بكر أنا والله وضعتها فاشربها أحد ولا أهرأقوه في الأرض فصدقه أبو بكر وأمن به فسمى يومئذ الصديق

(فصل) وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس وأنه مرة واحدة ، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة فأنبت أسراآت متعددة فقد أبعد وأغرب ، وهرب إلى غير مهرب ولم يحصل على مطلب . وقد صرح بعضهم من التأخرين بأنه عليه السلام أسرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ومرة من مكة إلى الساء فقط ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى الساء وفرج بهذا للسلك وأنه قد ظفر بشيء غلط من الإشكالات وهذا ببين جدا ولم يقل هذا عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي صلى الله عليه وسلم به أمته ونقله الناس على التعدد والتكرار . قال موسى بن عتبة عن الزهري كان الإسراء قبل الهجرة بسنة وكذا قال عروة وقال السدي ستة عشر شهرا والحق أنه عليه السلام أسرى به يقظة لا نائما من مكة إلى بيت المقدس رابعا البراق فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ثم أتى بالمراج وهو كالمسلم دودج برقي فيها فصدف فيه إلى الساء الدنيا ثم إلى ثنية السموات السبع فقلقه من كل ماء

مقبوها وسلم على الأنبياء الذين في السموات حسب منازلهم ودرجاتهم حتى موسى الكليم في السادسة وإبراهيم الخليل في السابعة ثم جاوز منزلتهما صلى الله وسلم وعليهما وعلى سائر الأنبياء حتى انتهى إلى مستوى يسع فيه صريف الأقدام أى أقلام القدر بما هو كائن ورأى سدة للشي وغشيا من أمر الله تعالى عظمة عظيمة من فراش من ذهب وأركان متعددة وغشيتها لللائكة ورأى هناك جبريل على صورته وله ستائة جناح ورأى رفرقا أخضر قد سد الأفق . ورأى البيت المعمور وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية مسند ظهره إليه لأنه الكعبة الهاوية يدخله كل يوم سبعون ألفاً من اللائكة يتبعون فيه ثم لا يسودون إليه إلى يوم القيامة . ورأى الجنة والنار وفرض الله عليه هناك الصلوات خمسين ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفاً بعباده وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها . ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط معه الأنبياء صلى الله عليهم في ملائكة الصلاة . ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أهم في السماء والذي تظاهرت به الروايات أنه بيت المقدس ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه . والظاهر أنه بعد رجوعه إليه لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحدا واحدا وهو يجبره بهم وهذا هو اللائق لأنه كان أولاً مطلوباً إلى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى ثم لما فرغ من الذي أريد به اجتمع به هو وإخوانه من النبيين ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام في ذلك . ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة ببسلى والله سبحانه وتعالى أعلم وأما عرض الآية عليه من اللبن والسمل وأولابن والحجر ، أولابن وللاء أولابن قد ورد أنه في بيت المقدس وجاءته في السماء . ويحتمل أن يكون ههنا معناً لأنه كالتضاد للقادم والله أعلم ثم اختلف الناس هل كان الاسراء بيده عليه السلام وروحهُ أو بروحه فقط على قولين فالأكثر من العلماء على أنه أسرى بيده وروحهُ فقط لا مناماً ولا ينكرون أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك مناماً ثم رآه بيده فقط لأنه كان عليه السلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح والدليل على هذا قوله تعالى (سبحانه) الذي أسرى بعبديلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله (فالتسريح إنما يكون عند الأمور العظام فلو كان مناماً لم يكن فيه كبرياء ولم يكن مستعظماً ولا بادرته كفاً رقيباً إلى تكذيبه ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم ، وأيضاً فإن العبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال (أسرى بعبده ليلاً) وقال تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) قال ابن عباس هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به والشجرة للعبوة هي شجرة الزقوم . رواه البخاري ، وقال تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) والبصر من آلات البصائر لا الروح وأيضاً فإنه حمل على البراق وهو دابة يساء براقها لمان وإعنا يكون هذا للبدن لا للروح لأنها لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه والله أعلم . وقال آخرون بل أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم بروحه لا بجسده قال محمد بن إسحق بن يسار في السيرة حدثني يعقوب بن عتبة بن النيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال : كانت رؤيا من الله صادقة . وحدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن أسرى بروحه . قال ابن إسحق فلم ينكر ذلك من قولها قول الحسن إن هذه الآية نزلت (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) وقول الله في الحجر عن إبراهيم (إنى أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) قال ثم مضى على ذلك فترت أن الوحي يأتي للأنبياء من الله أخطاؤاً ونياماً فكان رسول الله ﷺ يقول « تمام عيني وقلبي يقظان » والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه وعابن من الله فيه ما عابن على أى حاله كان نائماً أو يقظاً نائماً أو يقظاً نائماً كل ذلك حق وصدق انتهى كلام ابن إسحق . وقد تقبى أبو جعفر بن جرير في تفسيره بالرد والانكار والتشنيع بأن هذا خلاف ظاهر سياق القرآن وذكر من الأدلة على رده بعض ما تقدم والله أعلم فائدة حسنة جليلة روى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب دلائل النبوة من طريق محمد بن عمر الواقدي حدثني مالك بن أبي الرجال عن عمر بن عبد الله عن محمد بن كعب القرظي . قال بث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة إلى قيصر قد ذكر وروده عليه وقدمه إليه ، وفي السياق دلالة عظيمة على وقور عقل هرقل ثم استدعى من بالشام من التجار فجيء بأبي سفيان

صخر بن حرب وأصحابه فسألم عن تلك اللسائل المشهورة التي رواها البخاري ومسلم كما سيأتي بيانه وجعل أبو سفيان
يحمد أن يعمّر أمره ويصغر عنه . قال في هذا السياق عن أبي سفيان والله ما مني من أن أقول عليه قولا أسقطه من
عيني إلا أني أكره أن أكذب عنده كرامة يأخذها على ولا يصدقني في شيء . قال حتى ذكرت قوله ليلة أسرى به قال
قتلت أيتها الملك ألا تحرك خبراً تعرف أنه قد كذب ؟ قال وما هو ، قال قلت إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض
الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا مسجد إيلياء ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح . قال وبطريق إيلياء عند رأس قيسر
فقال بطريق إيلياء قد علمت تلك الليلة قال فنظر إليه قيسر وقال وما عليك بهذا قال إني كنت لا أنام ليلة حتى أغلق
أبواب المسجد فلما كان تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبيت فاستعنت عليه بهمي ومن يحضرنى كلهم
معالجة فقلنا فلم نستطع أن نحركه كأنما زاول به جبلا فدعوت إليه التجارعة فنظروا إليه فقالوا إن هذا الباب سقط
عليه النجاف والبيان ولا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين آتى . قال فرجعت وتركت البابين مفتوحين . فلما
أصبحت غدوت عليها فلما الحجر الذي في زاوية المسجد مقحوب وإذا فيه أثر مربوط الدابة قال قتلنا لأصحابي ما حبس
هذا الباب الليلة إلا على نبي ، وقد صلى الليلة في مسجدنا وذكر تمام الحديث (عائدة) قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية
في كتابه (التوير في مولد السراج للنير) وقد ذكر حديث الاسراء من طريق أنس ومكلم عليه فأجاد وأفادهم قال : وقد
تواترت الروايات في حديث الاسراء عن حمير بن الخطاب وعلى وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن سفيان وأبي هريرة وأبي
سعيد وابن عباس وشهداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قريط وأبي حبة وأبي لى الأنصاريين وعبد الله بن
حمرو وجابر وحذيفة وبريدة وأبي أيوب وأبي أمامة ومرة بن جندب وأبي الحجاز وصهيب الرومي وأم هانئ وعائشة
وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين ، منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ما وقع في السناد ، وإن لم
تكن رواية بعضهم بشرط الصحة فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملاحدون (يريدون
ليطفنوا نور الله بأنوارهم والله متم نوره ولو كره الكافرون)

﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَمَّلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا
مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾

لما ذكر تعالى أنه أسرى بيده محمد ﷺ عطف بالذكر موسى عبده ورسوله وكنيته أيضاً فإنه تعالى كثيراً
ما يقرن بين ذكر موسى وحمد عليهما من الله الصلاة والسلام وبين ذكر التوراة والقرآن ولهذا قال بعد ذكر الإسراء
(وآتيناهم موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه) أي الكتاب (هدى) أي هادياً (لبني إسرائيل) أي لاتتخذوا (أي لاتتخذوا) أي لاتتخذوا
(من دوني وكيلًا) أي ولياً ولا معبوداً دوني لأن الله تعالى أنزل على كل نبي أمره أن يرسله من قبله ولا شريك
له ثم قال (ذرية من حملنا مع نوح) تقديره يأذرية من حملنا مع نوح فيه تيسر وتنبيه على لئلا أي بإسلافة من نجينا
فحملنا مع نوح في السفينة تشبهوا بأنبياءكم (إنه كان عبداً شكوراً) فاذكروا أنتم نفعي عليكم بإرسال إليكم محمداً صلى
صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الحديث وفي الأثر عن السلف أن نوحاً عليه السلام كان يحمده الله على
طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله فلهاذا مسمى عبداً شكوراً . قال الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا أبو نعيم
حدثنا سفيان عن أبي حصين عن عبد الله بن سنان عن سعد بن مسعود الثقفي قال إنما مسمى نوح عبداً شكوراً لأنه
كان إذا أكل أو شرب حمد الله وقال الإمام أحمد حدثنا أبو أسامة حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن سعيد بن أبي بردة عن
أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب
الشرية فيحمد الله عليها » وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق أبي أسامة ، وقال مالك عن زيد بن أسلم
كان يحمده الله على كل حال ، وقد ذكر البخاري هنا حديث أبي ذرعة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

«وَأَناسِيدَ وَهَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ - بطوله ، وفيه - فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عِبَادًا شُكْرًا فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ» وذكر الحديث بكلامه

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلَمُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا • فَبَدَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بِمَنَّا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا • ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا • إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا • فَبَدَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسُوبُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا • عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾

غير تعالى أنه قضى إلى بنى إسرائيل في الكتاب أى هدم إلههم وأخبرهم في الكتاب الذى أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويسألون علوا كبيرا أى يتجبرون ويظنون وغشرون على الناس كقوله تعالى (وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أى هدمنا إلهه وأخبرناه بذلك وأعلمناه به . وقوله (فَبَدَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا) أى أولى الأفساديين (بمنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد) أى سلطنا عليكم جندا من خلقنا أولى بأس شديد أى قوة وعدة وسلطنة شديدة فجاسوا خلال الديار أى تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم أى بينا ووسطها واضربوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحدا وكان وعدا مفعولا . وقد اختلف للفسور من السلف والخلف في هؤلاء السلاطين عليهم من ؟ فمن ابن عباس وقناة أنه جالوت الجبرى وجنوده سلب عليهم أولادهم أدبوا عليه بذلك . وقتل داود جالوت ولهذا قال (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) الآية وعن سعيد بن جبير أنه ملك الوصل سنجارب وجنوده وعنه أيضا وعن غيره أنه مختصر ملك بابل وقد ذكر ابن أبى حاتم له قصة عجيبة في كيفية تزيين من حال إلى حال إلى أن ملك البلاد وأنه كان قبرا مقصدا ضيقا يستعطى الناس ويستطعمهم ثم آل به الحال إلى ما آل وأنصار إلى بلاد بيت المقدس قتل بها خلقا كثيرا من بنى إسرائيل ، وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثا أسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا وهو حديث موضوع لا محالة لا يسترب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث والعجب كل العجب كيف راجع عليه مع جلالة قدره وإمامته وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج الذى رحمه الله بأنه موضوع مكذوب وكتب ذلك على حاشية الكتاب . وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها لأن منها ماهو موضوع ومن وضع بعض زنايقهم ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحا ونحن في غنية عنها وفي الحمد . وفيها قص الله علينا في كتابه غيبة حمى سواء من بقية الكتب قبله ولم يهوجنا الله ولا رسوله إلههم . وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وضوا سلب الله عليهم عديم فاستباح يرضهم وسلط خلال بيوتهم وأنزلهم وقهرهم جزاء وفاقة وما ربك بظالم للعبد فاتهم كانوا قد تبردوا وقتلوا خلقا من الأنبياء والعلماء وقد روى ابن جرير حديثي يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال : سمعت سعيد بن السبي يقول : ظهر مختصر على النمام فغضب بيت المقدس وقتلهم ثم أتى دمشق فوجد بها ما يخل على كبا فسألهم ما هذا الدم : فقالوا أدركنا آباءنا على هذا وكنا ظهر عليه السكا ظهر قال قتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم فكأن وهذا صحيح إلى سعيد بن السبي وهذا هو المشهور وأنه قتل أشراهم وعلماءهم حتى إنه لم يبق من يحفظ التوراة وأخذ معه منهم خلقا كثيرا أسرى من أبناء الأنبياء وغيرهم وجرى أمور وكواثن يطول ذكرها ولو وجدنا ماهو صحيح أو ما يقرب لجاز كتابته وروايته والله أعلم ثم قال تعالى (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) أى فعلها بكافال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فلها)

وقوله (فإذا جاء وعد الآخرة) أى الكرة الآخرة أى إذا أقدمتم الكرة الثانية وجاء أعداؤكم (ليسوءوا وجوهكم) أى يبتونكم ويهزؤكم (وليدخلوا المسجد) أى بيت القدس (كما دخلوه أول مرة) أى فى التى جاسوا فيها خلال الديار (وليتبرؤا) أى يعمروا ويضربوا (ما علوا) أى مظهروا عليه (تقيرا) أى ربحكم أن يرحمكم أى يصرقهم عنكم (وإن عدتم عدنا) أى متى عدتم إلى الأسناد (عدنا) إلى الإدالة عليكم فى الدنيا مع مآذخه لكم فى الآخرة من العذاب والنكال، ولهذا قال (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أى مستقرا وحصيرا وسجلا مجيدا لم عنه قال ابن عباس حصيرا أى سجناء وقال مجاهد يحصرون فيها وكذا قال غيره ؛ وقال الحسن فراشا ومهادا ، وقال قتادة قد عاد بنو إسرائيل فسلط الله عليهم هذا الحى محمد ﷺ وأصنأ به يأخذون منهم الجزية عن يدهم صاغرون

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ أُمُوهم وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَفْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)

يهدى تعالى كتابه العزيز الذى أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن بأنه يهدى لأقوام الطرق وأوضح السبل ويبشر للمؤمنين به الذين يعملون الصالحات على مقتضاه أن لهم أجرا كبيرا أى يوم القيامة وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أى ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن لهم عذابا أليما أى يوم القيامة كما قال تعالى (فبشرهم بمداب اليم)

(وَيَذِيعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا)

غير تعالى عن عجلة الإنسان ودعائه على بعض الأحيان على نفسه أو لولده أو ماله بالشر أى بالموت أو الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك فلما استجاب له ربه لمهلك بدمائه كما قال تعالى (ولو يجعل الله للناس الشر الآيات وكذا قسره ابن عباس ومجاهد وقتادة وقد تقدم فى الحديث « لا تدعوا على أنفسكم ولا على أموالكم أن توافقوا من الله ساعة إجابة يستجيب فيها » وإنما جعل ابن آدم على ذلك قلقه وجعلته ولهذا قال تعالى (وكان الإنسان عجولا) وقد ذكر سلمان الفارسي وابن عباس ههنا قصة آدم عليه السلام حين تم بالتهوض قائما قبل أن تصل الروح إلى رجليه وذلك أنه جاءته النفخة من قبل رأسه فهاو صلت إلى دماغه عطس فقال الحمد لله فقال الله : يرحمك ربك يا آدم . فلما وصلت إلى عينيه فتحصا فهاو صلت إلى أعضائه وجسده جعل ينظر إليه ويسبى فهم بالتهوض قبل أن تصل إلى رجليه فلم يستطع ، وقال يارب عجل قبل الليل

(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَنْ تَبَوَّأْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً تَبَتَّغُوا فُضُلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّاعَةِ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلَنَّا تَفْصِيلًا)

عنى تعالى على خلقه بآياته العظام فيها مخالفة بين الليل والنهار ليسكنوا فى الليل ويتنصروا فى النهار للمعاش والصنائع والأعمال والأسفار وليلموأ عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام ويعرفوا مضى الأجل الضرورية للديون والعبادات والمعاملات والاجارات وغير ذلك ولهذا قال (لتبتوا فضلا من ربكم) أى فى معايشكم وأسفاركم ونحو ذلك (ولتعلموا عدد السنين والحساب) فانه لو كان الزمان كله نسقا واحدا وأسلوبا متساويا لما عرف شيء من ذلك كما قال تعالى (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله أتنبئكم شيئا ؟ أفلا تسمعون ؟ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله أتنبئكم بئيل تسكنون فيه أفلا تبصرون ؟ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتوا من فضله ولعلكم تشكرون) وقال تعالى (تبارك الذى جعل فى السماء رجوا وجعل فيها سراجا وقررا متبرا وهو الذى جعل الليل والنهار خلقا لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) وقال تعالى (وله اختلاف الليل والنهار) وقال (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل

يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز التبار) وقال تعالى (فألق الإسباح وجعلوا الليل سكنا والشمس والقمر حسيبانا ذلك تحذير العزيز العليم) وقال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري مسرعة لهندك تحذير العزيز العليم) ثم إنه تعالى جعل الليل آية أى علامة يعرف بها وهى الظلام وظهور القمر فيه ، ولقائه علامة وهى النور وطلوع الشمس الثيرة فيه وفاتت بين نور القمر وضياء الشمس ليعرف هذا من هذا قال تعالى (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق - إلى قوله - لآيات لقوم يعقلون) وقال تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج) الآية قال ابن جرير عن عبد الله ابن كثير فى قوله (فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) قال ظلة الليل وسدف النهار وقال ابن جرير عن مجاهد الشمس آية النهار والقمر آية الليل (فحونا آية الليل) قال : السواد الذى فى القمر وكذلك خلقه الله تعالى وقال ابن جرير قال ابن عباس كان القمر يضىء كما تضىء الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار فحونا آية الليل السواد الذى فى القمر وقد روى أبو جعفر بن جرير من طرق متعددة جيدة أن ابن السكواء سأل أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقال يا أمير المؤمنين ماهذه اللطخة التى فى القمر فقال وحكك أما تقرأ القرآن ؟ فحونا آية الليل فهذه محوه . وقال قتادة فى قوله (فحونا آية الليل) كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر الذى فيه وجعلنا آية النهار مبصرة أى منيرة وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم وقال ابن أبى نجيب عن ابن عباس (وجعلنا الليل والنهار آيتين) قال ليل والنهار كذلك خلقهما الله عز وجل

(وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْفَةً فِي عَقَفِهِ وَنُخْرِجُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا * أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)

يقول تعالى بعد ذكر الزمان وذكر ما يقع فيه من أعمال بني آدم (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عقه) وطائره هو ما طار عنه من عمله كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما من خير وشر ويلهم وبجأى عليه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وقال تعالى (عن الذين وعن الصالحين) ما يلقف من قول إلا لله رقيب عتيد) وقال (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما ضمون) وقال (إنما يجزون ما كنتم تعملون) وقال (من يعمل سويا يجره) الآية والقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليلا وكثيره ويكتب عليه ليلا ونهارا صباحا ومساء

وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر سمعت رسول الله ﷺ يقول (لطائر كل إنسان فى عقه) قال ابن لهيعة بنى الطيرة ، وهذا القول من ابن لهيعة فى تفسير هذا الحديث غريب جدا والله أعلم . وقوله (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) أى نجيع له عمله كله فى كتاب يسطاه يوم القيامة إما يمينه إن كان سعيدا أو شماله إن كان شقيا منشورا أى مفتوحا يقرؤه هو وغيره فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره (نبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر * بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى ما ذكره) ولهذا قال تعالى (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أى إنك تعلم أنك لم تقلم ولم يكتب عليك إلا ما عملت لأنك ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى أحد شيئا مما كان منه وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأبى وقوله (ألزمناه طائره فى عقه) إنما ذكر الصق لأنه عضو من الأعضاء لا نظيره فى الجسد ، ومن ألزم شئ فيه فلا محيد له عنه كما قال الشاعر .

انذهب بها انذهب بها طوقها طوق الحما

قال قتادة عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال (لا عدوى ولا طيرة وكل إنسان ألزمناه طائره فى عقه) كذا رواه ابن جرير ، وقد رواه الإمام عبد بن حميد فى مسنده متصلا فقال : حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (طير كل عبد فى عقه)

وقال الإمام أحمد حدثنا على بن إسحق حدثنا عبد الله حدثنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي الحارث حدثنا مع عقبة بن عامر

رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ قال « ليس من عمل يوم إلا وهو حرم عليه ، فإذا مرض المؤمن قالت لللائكة ربنا عبدك فلان قد حبسته فيقول الرب جل جلاله : اختصوا له على مثل عمله حتى يرى أوعىوت » إنسانه جديوق ولم يخرجوه وقال معمر عن قتادة (أن مناه طائرته عن عقبه) قال عمله (ونخرج له يوم القيامة) قال يخرج ذلك العمل (كتابا يلقاه منشورا) قال معمر وثلا الحسن البصري (عن العيين وعن الضيالك قيد) يا ابن آدم بسط لك صحيفةك ووكلك بكمسكان كرمعان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، فأعمل ما عشت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفةك فجعلت في عتقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه فيشوروا اقرأ كتابك الآية قد عدل والله من جعلك حبيب نفسك هذا من أحسن كلام الحسن رحمه الله

﴿ مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبَيِّنَ رَسُولًا ﴾

خير تعالى أن من اهتدى واتبع الحق واتقى أمر النبوة فإنما يحصل عاقبة ذلك الجنة لنفسه (ومن ضل أي عن الحق وزاغ عن سبيل الرشاد فإنما يعني على نفسه وإنما يعود وبال ذلك عليه ثم قال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا يحمل أحد ذنب أحد ولا يعني جان إلا على نفسه كما قال تعالى (وإن تبع متقى إلى حملها لا يحمل منه شيء) ولا منافاة بين هذا وبين قوله (ولحملن أثقالم) وأثقالا مع أثقالم) وقوله (ومن أوزار الذين يضلونهم بنهر علم) فإن البعثة عليهم إثم ضلالتهم في أنفسهم وإثم آخر بسبب ما أضلوا من أضلوا من غير أن يتقص من أوزار أولئك ولا يحمل عنهم شيئا وهذا من عدل الله ورحمته بعباده وكذا قوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبين رسولاً) أخبر عن عدله تعالى وأنه لا يظلم أحد إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه كقوله تعالى (كلما أتى فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير) قالوا بلى قد جاء نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أثم الإل في ضلال كبير) وكذا قوله (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها نجتعت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم من قبلكم نذير فقولوا لهم إنهم هم الذين كفروا وبكم ويبدونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وقال تعالى (وهم يصدرون فيها ربنا أخرجنا لمعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ، أولم نمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا عسا للظالمين من نصير) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحدا النار إلا بعد إرسال الرسول إليه ، ومن ثم طعن جماعة من العلماء في اللفظة التي جاءت مصحمة في صحيح البخاري عند قوله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين) حدثنا عبد الله بن سعد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح بن كيسان عن الأعرج بإسناده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « اختصمت الجنة والنار » فذكر الحديث إلى أن قال « وأما الجنة فلا يظلم الله من خلقه أحدا وإنه ينشئ النار خلقا فيقول فيها فتقول هل من مزيد ؟ ثلاثا » وذكر تمام الحديث فهذا إنما جاء في الجنة لأنها دار فضل وأما النار فإنها دار عدل لا يدخلها أحد إلا بعد الاعذار إليه وقيام الحجة عليه . وقد تكلم جماعة من الحفاظ في هذه اللفظة وقالوا لعله اختلف على الراوي بدليل ما أخرجه في الصحيحين واللفظ للبخاري من حديث عبد الرزاق عن معمر عن هام عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ « حاجت الجنة والنار » فذكر الحديث إلى أن قال « فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع فيها قدمه فتقول قط قط فهذاك تمتلئ ويترى بضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدا ، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقا »

في ههنا مسألة قد اختلف الأئمة رحمهم الله تعالى فيها قديما وحديثا وهي الوجدان الذين ماتوا وهم صغار وآباؤهم كفار ماذا حكمهم وكذا الجنون والأصم والشيخ الحرف ومن مات في الفترة ولم تبلغه دعوته وقد ورد في شأنهم أحاديث أنا أذكرها لك بدون الله وتوفيته ثم تذكر فصلا ملخصا من كلام الأئمة في ذلك والله المستعان (فالحديث الأول) عن الأسود

ابن سريج قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن الأنحف بن قيس عن الأسود بن سريج عن أنس رسول الله ﷺ قال « أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة ، فأما الأصم فيقول رب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول رب قد جاء الإسلام والصبيان يخفونني بالبر ، وأما الهرم فيقول رب قد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول . فأتوا خدوا فيهم ليطهونه فيقول الله أن ادخلوا النار ، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً ، وبإسناد عن قتادة عن الحسن عن أبي ذر عن أبي هريرة مثله غير أنه قال في آخره « فدخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن لم يدخلها يسحب اليها » وكذا رواه إسحق بن راهويه عن معاذ بن هشام ، ورواه النبي في كتاب الاعتقاد من حديث أحمد بن إسحق عن علي بن عبد الله اللبني به وقال هذا إسناد صحيح ، وكذا رواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي ذر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أربعة كلهم يدلى على الله بحجة » فذكر نحوه ، ورواه ابن جرير من حديث معمر بن عمار عن أبي هريرة فذكره مرفوعاً ، ثم قال أبو هريرة قالوا إن نشتم (وما كنا مدينين حق نبئ رسولاً) وكذا رواه معمر بن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة موقوفاً

(الحديث الثاني) عن أنس بن مالك . قال أبو داود الطيالسي حدثنا الربيع عن يزيد هو ابن أنس قال : قلنا لأنس يا أبا حمزة ما قولك في أطفال المشركين ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ « لم يكن لهم سيئات فيعذبوا بها فيكونوا من أهل النار ، ولم يكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من أهل الجنة »

(الحديث الثالث) عن أنس أيضاً . قال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن ليث عن عبد الوارث عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يؤتى بأربعة يوم القيامة : بالولود والنسوة ومن مات في الفترة والشيخ الفاني الم كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تبارك وتعالى لنفسي من النار أبرز ويقول لهم إن كنت أبئت إلى عبادي رسلاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم ادخلوا ههنا قال : فيقول من كتب عليه الشقاء يارب أبي ندخلها ومنها كنا نقرأ ؟ قال ومن كتب عليه السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعاً ، قال : فيقول الله تعالى أتم لرسلي أعد مكدياً ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار ، وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد بإسناده مثله (الحديث الرابع) عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال الحافظ أبو يعلى اللوصلي في مسنده أيضاً حدثنا قاسم بن أبي شعبة حدثنا عبد الله يعني ابن داود عن حمير بن ذر عن يزيد بن أمية عن البراء قال . سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المسلمين قال « هم مع آبائهم » وسئل عن أولاد للمشركين فقال « هم مع آبائهم » قيل يا رسول الله ما يسلون ، قال « الله أعلم بهم » ورواه حمير بن ذر عن يزيد بن أمية عن رجل عن البراء عن عائشة فذكره

(الحديث الخامس) عن ثوبان قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الحاق البزار في مسنده حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا ربحان بن سعيد حدثنا عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أمامة عن ثوبان أن النبي ﷺ عظم شأن للسالة قال « إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل إلينا رسلاً ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت إلينا رسلاً لكاننا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرايت إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيقولون نعم ، فيأمرهم أن يمددوا إلى جهنم فيدخلوها فينطقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تقيظاً وزفيراً فرجوا إلى ربهم فيقولون ربنا أخرجنا أو أجرنا منها ، فيقول لهم ألم ترعوا أني إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيأخذ على ذلك مواثيقهم يقول احمدوا اليها فادخلوها فينطقون حتى إذا رأوها فرجوا منها ورجعوا وقالوا ربنا فرقتنا ولا نستطيع أن ندخلها فيقول ادخلوها الذين قال الله صلى الله عليه وسلم « لو دخلوها قالوا ربنا فرقتنا ولا نستطيع أن ندخلها فيقول ادخلوها الذين قال الله صلى الله عليه وسلم « لو دخلوها »

أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً » ثم قال البزار ومتن هذا الحديث غير معروف إلا من هذا الوجه لم يروه عن أيوب إلا عباد ولا عن عباد إلا ربحان بن سعيد ، قلت وقد ذكره ابن حبان في كتابه ، وقال يحيى بن معين والنسائي لا بأس به ولم يرضه أبو داود ، وقال أبو حاتم شيخ لا بأس به يكتب حديثه ولا يحتج به (الحديث السادس) عن

أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الحدرى : قال الإمام محمد بن يحيى السهل حدثنا سعيد بن سليمان عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المالك في الفترة والمتموه والولود : يقول المالك في الفترة لم يأتني كتاب ، ويقول المتموه رب لم تجعل لي عقلا أعقل به خيرا ولا شرا ، ويقول للولود رب لم أدرك العقل فترفع لهم نار فيقال لهم ردوها ، قال فريدها من كان في علم الله سيدا أو أدرك العمل ، ويسكت عنها من كان في علم الله شقيا أو أدرك العمل ، فيقول إياي عصيت فكيف لو أن رسل أتتكم ؟ » وكذا رواه البزار عن محمد بن عمر بن هياج الكوفي عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن مرزوق به ثم قال لا يعرف من حديث أبي سعيد إلا من طريقه عن عطية عنه ، وقال في آخره « فيقول الله إياي عصيت فكيف برسلي بالقيص » (الحديث السابع) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال هشام بن حماد وعبد بن المبارك السورى حدثنا عمرو بن واقد عن يونس بن جليس عن أبي إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل عن نبي الله ﷺ قال « يؤتى يوم القيامة بالمسوخ عقلا وبالمالك في الفترة وبالمالك صغيرا فيقول المسوخ يارب لو آتيتني عقلا ما كان من آتيتني عقلا بأسعد مني » وذكر في المالك في الفترة والصغير نحو ذلك « فيقول الرب عز وجل إلى أمركم بأمر قطيعوني ، فيقولون نعم فيقول اذهبوا فادخلوا النار قالوا دخلوها ما ضربتهم فتخرج عليهم قوايس فيظنون أنها قد أهلكنا ما خلق الله من شيء فيرجعون سراعا ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك فيقول الرب عز وجل قبل أن أخلقكم علف ما أنتم عاملون وعلى علمي خلقتكم وإلى علمي تصيرون ، ضميم ، فتأخذهم النار » (الحديث الثامن) عن أبي هريرة رضى الله عنه وأرضاه . قد تقدم روايته مدرجة مع رواية الأسود ابن سريع رضى الله عنه وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » ، وفي رواية قالوا : يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرا ؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » . وقال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت عن عطاء بن قره عن عبد الله بن ضرمة عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ فيما أعلم شك موسى قال « ذراري للسليين في الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام » ، وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أنه قال « إني خلقت عبادي حنفاء » ، وفي رواية لغيره « مسلمين » (الحديث التاسع) عن سمرة رضى الله عنه رواه الحافظ أبو بكر البرقاني في كتابه المستخرج على البخارى من حديث عوف الأعرابي . عن أبي رجاء الطاردي عن سمرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « كل مولود يولد على الفطرة » فناداه الناس يا رسول الله وأولاد للشركين ، قال « وأولاد للشركين » وقال الطبراني : حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عقبه ابن مكرم المضي عن عيسى بن شبيب عن عباد بن منصور عن أبي رجاء عن سمرة قال سألت رسول الله ﷺ عن أطفال للشركين فقال « هم خدم أهل الجنة »

(الحديث العاشر) عن عم خنساء . قال أحمد حدثنا روح حدثنا عوف عن خنساء بنت معاوية عن يونس بن مكرم قالت حدثني عمي قال : قلت ليارسول الله من في الجنة ، قال « النبي في الجنة والشهيد في الجنة والولود في الجنة والزويد في الجنة » . فمن العلماء من ذهب إلى الوقوف فيهم لهذا الحديث ، ومنهم من جزم لهم بالجنة لحديث سمرة بن جندب في صحيح البخارى أنه عليه الصلاة والسلام قال في جملة ذلك للنام حين مر على ذلك الشيخ تحت الشجرة وحوله ولدان فقال له جبريل هذا إبراهيم عليه السلام وهؤلاء أولاد السليين وأولاد للشركين قالوا يا رسول الله وأولاد للشركين ، قال « نعم وأولاد للشركين » ومنهم من جزم لهم بالنار لقوله عليه السلام « هم مع آبائهم » ومنهم من ذهب إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات فمن أطاع دخل الجنة وانكشف علم الله فيهم يسابق السعادة ، ومن عمى دخل النار داخرا وانكشف علم الله فيه يسابق الشقاوة . وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها وقد صرحنا بالأحاديث القديمة للتعاضد الشاهد بعضها لبعض : وهذا القول هو الذى حكاه الشيخ أبو الحسن بن بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة وهو الذى نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد وكذلك غيره من عتقى العلماء والحفاظ

والنقاد . وقد ذكر الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري بعد ما تقدم من أحاديث الامتحان ثم قال ، وأحاديث هذا الباب ليست قوية ولا تقوم بها حجة وأهل العلم ينكرونها لأن الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا ابتلاء فكيف يكفون دخول النار وليس ذلك في وسع الخلقين والله لا يكلف نفساً إلا وسعها (والجواب) عما قال أن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما تقدم على ذلك كثير من أئمة العلماء ومنها ما هو حسن ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن ، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا الخطأ فادت الحجة عند الناظر فيها . وأما قوله إن النار الآخرة دار جزاء فلا شك أنها دار جزاء ولا ينافي التكليف في عرابتها قبل دخول الجنة أو النار كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الأطفال وقد قال تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود) الآية ، وقد ثبت في الصحيح وغيره أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة وأن المنافق لا يستطيع ذلك ويود ظهره كالصفحة الواحدة طبعاً واحداً كما أراد السجود خر لقلعه . وفي الصحيحين في الرجل الذي يكون آخر أهل النار خروجاً منها أن الله يأخذ عهده ومواريثه أن لا يسأل غير ما هو فيه ويتكرر ذلك مراراً ويقول الله تعالى يا ابن آدم ما أفبكرك ثم يأذن له في دخول الجنة ، وأما قوله فكيف يكلفهم الله دخول النار وليس ذلك في وسعهم فليس هذا بما عمن من صحة الحديث فإن الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط وهو جسر على جهنم أخذ من السلف وأدق من الشجرة ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم كالبرق كالريح وكأجويد الخيل والركاب ومنهم الساعي ومنهم اللathi ومنهم من يحبو جواراً ومنهم للكندوش على وجهه في النار . وليس ما ورد في أولئك بأعظم من هذا بل هذا أعلم وأعظم ، وأيضاً فقد ثبت السنة بأن الدجال يكون معه جنة ونار ، وقد أمر الشارع للمؤمنين الذين يدركونه أن يشرب أحدهم من الذي يرى أنه نار فإنه يكون عليه برداً وسلاماً فهذا نظير ذلك ، وأيضاً فإن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم قتل بضمهم بضاً حتى قتلوا فيما قيل في غداة واحدة سبعين ألفاً يقتل الرجل أياه أمراً من إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم قتل بضمهم بضاً حتى قتلوا فيما قيل في غداة واحدة سبعين ألفاً يقتل الرجل أياه وأخاه وهم في حماية غمامة أرسلها . الله عليهم وذلك عقوبة لهم على عبادتهم الجبل وهذا أيضاً شاق على النفوس جدا لا يتقاصر عما ورد في الحديث للذكور والله أعلم . (فصل) إذا قرر هذا فقد اختلف الناس في ولدان للشركين على أقوال (أحدهما) أنهم في الجنة واحتجوا بحديث سمرة أنه عليه السلام رأى مع إبراهيم عليه السلام أولاد للسليمان وأولاد للشركين وبما تقدم في رواية أحمد عن خنساء عن عمار أن رسول الله ﷺ قال « والمولود في الجنة » وهذا استدلال صحيح ولكن أحاديث الامتحان أخس منه . فمن علم الله منه أنه يطبع جبل روحه في البرزخ مع إبراهيم وأولاد المسلمين الذين ماتوا على الفطرة ، ومن علم منه أنه لا يجيب فأمره إلى الله تعالى ويوم القيامة يكون في النار كما دلت عليه أحاديث الامتحان وقوله الأشعري عن أهل السنة ، ثم إن هؤلاء القائلين بأنهم في الجنة منهم من يحصل مستغنين فيها ومنهم من يحصل لهم كما جاء في حديث علي بن زيد عن أنس عند أبي داود الطيالسي وهو ضعيف والله أعلم (وأقول الثاني) أنهم مع آياتهم في النار واستدل عليه بما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي حمزة حدثنا عتبة بن شمرة ابن حبيب حدثني عبد الله بن أبي قيس مولى غطفان أنه أتى عائشة فسألها عن ذراري الكفار فقالت : قال رسول الله ﷺ « هم تبع آياتهم » فقلت يا رسول الله بلا أعمال ؟ فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وأخرجه أبو داود من حديث محمد بن حرب عن محمد بن زياد الألهاني سمعت عبد الله بن أبي قيس سمعت عائشة تقول سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذراري المؤمنين قال « هم مع آياتهم » قلت فذراري المشركين ؟ قال « هم مع آياتهم » فقلت بلا عمل ؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » ورواه أحمد أيضاً عن وكيع عن أبي عقيل يحيى بن المتوكل وهو متروك عن مولاته بنية عن عائشة أنها ذكرت أطفال المشركين لرسول الله ﷺ فقال « إن شئت أمنتك تضاعفهم في النار » وروى عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا عثمان بن أبي شيبة عن محمد بن فضيل بن غزوان عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي رضي الله عنه قال : سألت خديجة رسول الله ﷺ عن ولدك لما مات في الجاهلية فقال « ما في النار » قال فلما رأى الكراهية في وجهها فقال لها « لو رأيت مكانهما لأبغضتهما » قالت فوالذي منك ؟ قال

« إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن للمشركين وأولادهم في النار - ثم قرأ - (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) » وهذا حديث غريب فإن في إسناده محمد بن عثمان مجهول الحال وشيخه زاذان لم يدرك علماً والله أعلم . وروى أبو داود من حديث ابن أبي زائدة عن أبيه عن الشعبي قال : قال رسول الله ﷺ « الوائدة والموودة في النار » ثم قال الشعبي حدثني بعلمة عن أبي وائل عن ابن مسعود ، وقد رواه جماعة عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن سلمة بن قيس الأشجعي قال : أتيت أنا وأخي النبي ﷺ فقلنا إن أئمتنا ماتت في الجاهلية وكانت تقرأ الضيف وتصل الرسم وإنها وأدت أختنا في الجاهلية لم تبلغ الحث فقال « الوائدة والموودة في النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فتسلم » وهذا إسناده حسن

« والقول الثالث » التوقف فيهم واعتمدوا على قوله صلى الله عليه وسلم « الله أعلم بما كانوا عاملين » وهو في الصحيحين من حديث جعفر بن أبي إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وكذلك هو في الصحيحين من حديث الزهري عن عطاء بن يزيد ، وعن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سئل عن أطفال المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » ومنهم من جعلهم من أهل الأعراف وهذا القول يرجع إلى قول من ذهب إلى أنهم من أهل الجنة لأن الأعراف ليس دار قرار ومآل أهلها إلى الجنة كما تقدم تقرير ذلك في سورة الأعراف والله أعلم

« فصل » ولعلم أن هذا الخلاف مخصوص بأطفال المشركين ، فأما ولدان المؤمنين فلا خلاف بين العلماء كما حكاه القاضي أبو يعى بن القراء الحنبلي عن الإمام أحمد أنه قال : لا يختلف فيهم أنهم من أهل الجنة وهذا هو المشهور بين الناس وهو الذي قطع به إن شاء الله عز وجل . فأما ما ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن بعض العلماء أنهم توقفوا في ذلك وأن الولدان كلهم تحت الشبهة ، قال أبو عمر ذهب إلى هذا القول جماعة من أهل الفقه والحديث منهم حماد بن زيد وحماد ابن سلمة وابن المبارك وإسحق بن راهويه وغيرهم قالوا وهو يشبه ما رسم مالك في موطنه في أبواب القدر وما أورده من الأحاديث في ذلك ، وعلى ذلك أكثر أصحابه وليس عن مالك فيه شيء منصوص إلا أن التأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال المشركين خاصة في المشبهة انتهى كلامه وهو غريب جداً ، وقد ذكر أبو عبد الله القرطبي في كتاب التذكرة نحو ذلك أيضاً والله أعلم . وقد ذكرنا في ذلك أيضاً حديث عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت : دعى النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه ، قال « أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلها وهم في أصلا ب . وخلق النار وخلق لها أهلها وهم في أصلا بآبائهم » رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه . ولما كان الكلام في هذه المسئلة يحتاج إلى دلائل صحيحة جيدة وقد يتكلم فيها من لا علم عند عن الشارع كره جماعة من العلماء الكلام فيها ، روى ذلك عن ابن عباس والقاسم بن محمد بن أبي بكر السديقي ومحمد بن الحنفية وغيرهم وأخرج ابن حبان في صحيحه عن جرير بن حازم سمعت أبا رجاء الطلاردي سمعت ابن عباس رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزال أمر هذه الأمة مؤمناً أو مقارباً ما لم يتكلموا في الولدان والقدر » قال ابن حبان يعني أطفال المشركين ، وهكذا رواه أبو بكر البرزاني عن طريق جرير بن حازم به ثم قال وقد رواه جماعة عن أبي رجاء عن ابن عباس موقوفاً

« وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَنْهَكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدِمْنَا تَدِميراً »

اختلف القراء في قراءة قوله (أمرنا) فالمشهور قراءة التخفيف واختلف للسرور في معناها ف قيل معناها أمرنا مترفياً ففسقوا فمأمرنا أي تدرأ كقولهم تعالى (أتأثم أم تأثم) إن الله لا يأمر بالفحشاء ، قالوا معناه أنه سخرهم إلى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب ، وقيل معناه أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة رواه ابن جرير

عن ابن عباس وقاله سعيد بن جبير أيضاً ، وقال ابن جرير يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ جَلَنَاهُمْ أَمْرًا قُلْتُ إِنَّمَا يَجِيءُ هَذَا عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ (أَمْرًا مَرْتَفِعًا) قَالَ بَنُ طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ (أَمْرًا مَرْتَفِعًا أَتَقْسَمُونَ فِيهَا) يَقُولُ سُلَيْمَانُ الْأَشْرَاهُ أَنْصَابُهَا فَيُذْنُ لَعَلَّوْا ذَلِكَ أَهْلُكُمْ اللَّهُ بِالْعَنْبَابِ وَهُوَ قَوْلُهُ (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرُمًا) الْآيَةُ وَكَذَا قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَجَاهِدُ الرَّيْحِ بْنِ أَنَسٍ ، وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (وَإِنَّا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرًا مَرْتَفِعًا أَتَقْسَمُونَ فِيهَا) يَقُولُ أَكْثَرُ نَاعِدِهِمْ وَكَذَا قَالَ عِكْرَمَةُ وَالْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ ، وَعَنْ مَالِكٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ (أَمْرًا مَرْتَفِعًا) أَكْثَرْنَا ، وَقَدْ اسْتَشْهَدَ بِضَمِّهِمُ بِالْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَيْثُ قَالَ : حَدَّثَنَا رُوحُ بْنُ عُبَادَةَ حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ الْحَدَّادِيُّ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ بَيْدِيلٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زَيْهْرِ عَنْ سُؤْدَةَ بْنِ هَبِيرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « خَيْرُ مَالٍ أَمْرٍ لَهُ مِهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ أَوْ سَكَةٌ مَأْمُورَةٌ » قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ الْقَاسِمِ بْنُ سَلَامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْغَرِيبِ لِلْأَمُورَةِ كَثِيرَةُ النَّسْلِ وَالسَّكَةُ الطَّرِيقَةُ لِلصُّلْفَةِ مِنَ النَّخْلِ وَالْمَأْمُورَةُ مِنَ التَّأْمِيرِ ، وَقَالَ بِضَمِّهِمُ إِنَّمَا جَاءَ هَذَا مُتَنَاسِبًا كَقَوْلِهِ : « وَأَمُورَاتٌ غَيْرُ مَأْمُورَاتٍ »

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَدِلٍ نُوحٍ وَكَفَىٰ يَرْبُكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا ﴾

يقول تعالى منذراً كقصر قريش في تكذيبهم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه قد أهلك أمتاً من اللكذيين للرسول من بعد نوح وذلك هذا على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح على الإسلام كما قاله ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام . ومعناه أنكم أيها اللكذيون لستم أكرم على الله منهم وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم الخلائق فنصوبكم أولى وأحرى . وقوله (وَكَفَىٰ يَرْبُكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا) أَي هُوَ عَلِيمٌ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ خَيْرًا وَشَرًّا لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهَا خَالِيَةٌ سَجِيحَةً وَتَعَالَىٰ .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدِ التَّلَاجُلَ جَعَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا • وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴾

يُخْبِرُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ يَحْصِلُ لَهُ بَلْ إِنَّمَا يَحْصِلُ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ وَمَا يَشَاءُ وَهَذِهِ مُقَدِّمَةٌ لِإِطْلَاقِ مَا سَوَّاهَا مِنَ الْآيَاتِ فَإِنَّهُ قَالَ (جَعَلْنَا لَهَا فِيمَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ) أَي فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ (يَصْلَاهَا) (يَصْلَاهَا) أَي يَدْخُلُهَا حَتَّى تَقْرَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا (مَذْمُومًا) أَي فِي حَالِ كَوْنِهِ مَذْمُومًا عَلَى سِوَةِ تَقَرُّفِهِ وَصِغِهِ ، إِذَا اخْتَارَ الْفَائِزُ عَلَى الْبَاقِي (مَدْحُورًا) مَبْعُودًا مُقْصِيًا حَقِيرًا ذَلِيلًا مَهَانًا . رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ حَدَّثَنَا رُوَيْدٌ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ زُرْعَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ » وَقَوْلُهُ (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ) أَي أَرَادَ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَمَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ وَالسُّرُورِ (وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا) أَي طَلَبَ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِهِ وَهُوَ مُتَابِعَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) أَي قَلْبُهُ مُؤْمِنٌ أَي يَصْدُقُ بِأَثَوَاتِهَا وَالْجَزَاءُ (فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا)

﴿ كُلًّا نُّبْدِي هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَمَلِهِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَمَلُهُ رَبِّكَ حَظًوْرًا • أَنْظِرْ حَتَّىٰ فَضَّلْنَا بِضَمِّهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَكَذَا لَآخِرُهُ أَكْبَرُ دَرَجَتِهِ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾

يقول تعالى (كُلًّا) أَي كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَرِيبَيْنِ الَّذِينَ أَرَادُوا الدُّنْيَا وَالَّذِينَ أَرَادُوا الْآخِرَةَ نَحْنُمْ قِيَا فِيهِ (مِنْ عَمَلِهِ رَبِّكَ) أَي هُوَ التَّصَرُّفُ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا يَجُورُ فَيُطْلَى كَلَامًا يَسْتَحِقُّ مِنَ السُّعَادَةِ وَالشَّوْاقَةِ فَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ وَلَا مَانِعٌ لِمَا أَعْطَى وَلَا مُغِيرٌ لِمَا أَرَادَ وَلِهَذَا قَالَ (وَمَا كَانَ عَمَلُهُ رَبِّكَ حَظًوْرًا) أَي لَا يَمْنَعُهُ أَحَدٌ وَلَا يَرُدُّهُ رَادٌّ . قَالَ قَتَادَةُ (وَمَا كَانَ عَمَلُهُ رَبِّكَ حَظًوْرًا) أَي يَمْنَعُوهَا ، وَقَالَ الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ أَي مَنُوعًا ثُمَّ قَالَ تَعَالَى (أَنْظِرْ حَتَّىٰ فَضَّلْنَا

بعضهم على بعض) أى فى الدنيا فتمهم التنى والفقر وبين ذلك ، والحسن والقيس وبين ذلك ، ومن يموت صغيراً ، ومن يمر حتى يبقى شيخاً كبيراً ، وبين ذلك (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) أى ولثوابهم فى الدار الآخرة أكبر من الدنيا فإن منهم من يكون فى الدرجات فى جهنم وسلسلها وأغلالها ، ومنهم من يكون فى الدرجات العلى وتسميها وسورورها ، ثم أهل الدرجات يتفاوتون فيما كان أن أهل الدرجات يتفاوتون فإن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض وفى الصحيحين « إن أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب النابى فى أفق السماء » ولهذا قال تعالى (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) وفى الطبرانى من رواية زاذان عن سلمان مرفوعاً « ما من عبد يريد أن يرتفع فى الدنيا درجة فارتفع إلا وضعه الله فى الآخرة أكبر منها » ثم قرأ (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) .

﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾

يقول تعالى والمراد للكفون من الأمة لا تجعل أبها الكلف فى عبادتك ربك له شريكاً (فتقعد مذموماً) أى على إشراكك به (مخذولاً) لأن الرب تعالى لا ينصر بك بل يكلك إلى الذى عبثت معه وهو لا يملك لك ضرراً ولا نصراً لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا بشير بن سلمان عن سيار أبي الحكم عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « من أصابه فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أرسل الله له بالنى إما أجلاً وإما غنى عاجلاً » ورواه أبو داود والترمذى من حديث بشير بن سلمان به ، وقال الترمذى حسن صحيح قريب

﴿ وَقَفَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَبْئُتَن عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَنَلْ لَهُمَا نَفْسًا وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبُّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ۖ ﴾

يقول تعالى آمر بإبادة وحده لا شريك له فإن القضاء ههنا بمعنى الأمر ، قال مجاهد (وقفى) معنى وصى ، وكذلك قرأ أى بن كسب وابن مسعود والضحاك بن مزاحم (وصى بك أن لا تعبدوا إلا إياه) ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال (وبالوالدين إحساناً) أى وأمر بالوالدين إحساناً كقوله فى الآية الأخرى (أن اشكر لى ولوالديك إلى الصير) وقوله (إما يبلتن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف) أى لا تسميها قولاً سيئاً حتى ولا التأنيب الذى هو أدنى مراتب القول السيئ (ولا تنهرهما) أى ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح كما قال عطاء بن أبى رباح فى قوله (ولا تنهرهما) أى لا تنفض يدك عليهما ، ولما نهى عن القول القبيح والقيل القبيح أمره بالقول الحسن والقيل الحسن فقال (وقل لهما قولاً كريماً) أى لينا طيباً حسناً بتأدب وتوقير وتظم (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أى تواضع لهما بفطك (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) أى فى كبرهما وعند فاقتهما ، قال ابن عباس ثم أنزل الله (ما كان لنى والدين أن يستغفروا للشركين) الآية وقد جاء فى بر الوالدين أحاديث كثيرة منها الحديث الروى من طرق عن أنس وغيره أن النبى ﷺ صعد للبر ثم قال « آمين آمين آمين » قيل يا رسول الله علام ماأمنت ؟ قال « أتاني جبريل فقال يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك ، قل آمين » قللت آمين ، ثم قال رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له ، قل آمين قللت آمين ، ثم قال رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فم يداخله الجنة ، قل آمين ، قللت آمين » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا على بن زيد عن زبارة بن أوفى عن مالك بن الحارث عن رجل منهم أنه سمع النبى ﷺ يقول « من ضم يتيماً من أبوين

مسلمين إلى طعامه وشرا به حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة البتة ومن أعتق امرأ مسلماً كان فكاكه من النار يجرى بكل عضو منه عضواً منه » ثم قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت علي بن زيد فذكر معنا إلا أنه قال عن رجل من قومه يقال له مالك أو ابن مالك وزاد « ومن أدركه والديه أو أحدهما فدخل النار فأبده الله »

(حديث آخر) وقال الإمام أحمد حدثنا عفان عن حماد بن سلمة حدثنا علي بن زيد عن زرارة بن أوفى عن مالك بن عمرو القشيري سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أعتق رقبة مسلمة فهي فداءه من النار فإن كل عظم من عظامه محررة بسظم من عظامه ، ومن أدرك أحد والديه ثم لم يفترقه فأبده الله عز وجل ، ومن ضم بنتاً من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرا به حتى يشفيه الله وجبت له الجنة » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا حجاج ومحمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن قتادة سمعت زرارة بن أوفى يحدث عن أبي مالك القشيري قال : قال النبي ﷺ «

من أدرك والديه أو أحدهما ثم دخل النار من بعد ذلك فأبده الله وأسحقه » ورواه أبو داود الطيالسي

عن شعبة به وفيه زيادات أخرى (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا سهيل بن أبي

صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف رجل أدرك أحد أبويه

أو كلاهما عنده الكبر ولم يدخل الجنة » صحيح من هذا الوجه ولم يخرجوه سوى مسلم من حديث أبي عوانة وجابر

وسليمان بن بلال عن سهيل به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا ربیع بن إبراهيم قال أحمد وهو أخو إسماعيل

ابن علي وكان يفضل علي أخيه عن عبد الرحمن بن إسحق عن سعيدين أبي سعيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان فأنسلخ فلم

يفترقه ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخل الجنة » قال ربیع لا أعلمه إلا قال « أو أحدهما »

ورواه الترمذي عن أحمد بن إبراهيم السدوسي عن ربیع بن إبراهيم ثم قال غريب من هذا الوجه (حديث آخر) قال

الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا محمد حدثنا عبد الرحمن بن النسيب حدثنا أسيد بن علي عن أبيه عن أبي عبيد عن أبي

أسيل وهو مالك بن ربيعة الساعدي قال بينا أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من الأنصار

فقال يا رسول الله هل بقي على من برأ بؤى شيء بعد موتها أبرها به ، قال « نعم خصال أربع : الصلاة عليها

والاستغفار لها وإفادتها وإكرام صديقها وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلها فهو الذي بشى عليك

من برها بعد موتها » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن سليمان وهو ابن النسيب به

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرني محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن عن أبيه عن

معاوية بن جاهمة السلمي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أردت الفوز وجئتك أستشيرك فقال « فهل لك من

أم » قال نعم قال « فأرهما فإن الجنة عند رجلها » ثم الثانية ثم الثالثة في مقاعد حتى كمل هذا القول ، ورواه النسائي

وابن ماجه من حديث ابن جريج به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عباس عن يحيى بن

سعد عن خالد بن ميمان عن القدام بن معد يكرب عن النبي ﷺ قال « إن الله يوصيكم بآلائكم إن الله يوصيكم بآمائكم

إن الله يوصيكم بآمائكم إن الله يوصيكم بآلائكم إن الله يوصيكم بالآقرب فالأقرب » وأخرجه ابن ماجه من حديث

عبد الله بن عباس به .

(حديث آخر) قال أحمد حدثنا يونس حدثنا أبو عوانة عن أشعث بن سلمة عن أبيه عن رجل من بني ربوع قال

أنيت النبي ﷺ فسمعت وهو يكلم الناس يقول « يد للمطى العليا أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك »

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الحاقق البزار في مسنده حدثنا إبراهيم بن السمر

المرقوق حدثنا حمرون بن مفيان حدثنا الحسن بن أبي جعفر عن ليث بن أبي سلمة عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة

عن أبيه أن رجلاً كان في الطواف حاملأه يطوف بها فسأل النبي صلى الله عليه وسلم هل أدت حقها قال « لا ولا زفرة

واحدة » أو كما قال ثم قال البزار لا تلمه يروى إلا من هذا الوجه . قلت والحسن بن أبي جعفر ضعيف والله أعلم

(رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي قُلُوبِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غُفْرًا)

قال سعيد بن جبير هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبيه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤخذ به ، وفي رواية لا يريد إلا الخير بذلك فقال (ربكم أعلم بما في قلوبكم إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ) وقوله (فإنه كان للأوابين غفورا) قال قتادة للطيبين أهل الصلاة ، وعن ابن عباس السبعين وفي رواية عنه للطيبين المحسنين ، وقال بشهم م الذين يصلون بين السماء والارض وقال بعضهم م الذين يصلون الضمى ، وقال شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله (فإنه كان للأوابين غفورا) قال الذين يصيبون الذنب ثم يتوبون ويصيبون الذنب ثم يتوبون ، وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري ومحمد بن يحيى بن سعيد عن ابن السيب بنحوه وكذا رواه الليث وابن جرير عن ابن السيب وقال عطاء بن يسار وسعيد بن جبير ومجاهد م الرجوعون إلى الخير وقال مجاهد عن عبيد بن عمير في الآية هو الذي إذا ذكر ذنوبه في الخلوة فيستغفر الله منها وواقفه مجاهد في ذلك ، وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلمة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير في قوله (فإنه كان للأوابين غفورا) قال كنا نعد الأواب الحفيظ أن يقول اللهم اغفر لي ما أميت في مجلسي هذا . وقال ابن جرير والأولى في ذلك قول من قال هو التائب من الذنب الرجوع من العصية إلى الطاعة مما يكره الله إلى ما يحبه ويرضاه ، وهذا الذي قاله هو الصواب لأن الأواب مشتق من الأوب وهو الرجوع يقال آب فلان إذا رجع قال تعالى (إِنْ إِلَيْنَا لِيَأْجِبَنَّ) وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رجع من سفر قال « آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون »

(وَأَمَّا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) وَإِنَّمَا تَرَضَّ عَنْهُمْ أَبَيْتَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوعًا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا)

لما ذكر تعالى بر الوالدين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام ، وفي الحديث « أمك وأباك ثم أدناك أدناك » وفي رواية « ثم الأقرب فالأقرب » وفي الحديث « من أحب أن يسطر في رزقه وينسأ له في أهله فليصل رحمه » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن يعقوب حدثنا أبو يحيى التيمي حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد قال لما نزلت (وَأَمَّا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فذلك ثم قال لان لم حدث به عن فضيل بن مرزوق إلا أبو يحيى التيمي وحيد بن حماد بن الحواري وهذا الحديث بشكل لو صح إسناده لأن الآية مكية وفذلك إنما فتحت مع خير سنة سبع من الهجرة فكيف يلتزم هذا مع هذا ؟ فهو إذا حديث منكسر والأشبه أنه من وضع الرافضة والله أعلم : وقد هجم الكلام على السالكين وأبناء السبيل في سورة براءة بما أغنى عن إعادته هنا ، وقوله (ولا تبذر تبذيرا) لما أمر بالاخلاق نهى عن الإسراف فيه بل يكون وسطا كما قال في الآية الأخرى (والذين إذا أغفوا لم يسرفوا ولم يقتروا) الآية ثم قال منفر عن التبذير والسرف (إن البذر كانوا إخوان الشياطين) أي أشباههم في ذلك . قال ابن مسعود التبذير الاخلاق في غير حق وكذا قال ابن عباس وقال مجاهد لو أمق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو أمق مدا في غير حق كان مبذرا . وقال قتادة: التبذير النفقة في معصية الله تعالى وفي غير الحق والتسادم . وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال آتى رجل من بني تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إني ذو مال كثير وذو أهل وولد وحاضرة فأخبرني كيف أمق وكيف أصنع ؟ فقال رسول الله ﷺ « تخرج الزكاة من مالك إن كان فاتها طهرة تطهرك وتصل أقرباك وتعرف حق السائل والجار والمساكين » فقال يارسول الله أقلل لي ؟ قال (فأت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) فقال حسبي يارسول الله إذا أدبت الزكاة إلى رسولك فقد برعت منها إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله ﷺ

« نعم إذا أدبنا إلى رسولٍ قد برئت منها ولا أجربها » وإنما على من بلغها « وقوله (إن للبدلين كانوا إخوان الشياطين) أى فى التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب محبته ولهذا قال (وكان الشيطان لربه كفوراً) أى جعولاً لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته بل أثبل على محبته ومخالفته ، وقوله (وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك) الآية أى إذا سألك أقربك ومن أمرتك بأعطائهم وليس عندك شيء وأعرضت عنهم فقد التفتة (قل لهم قولاً ميسوراً) أى عدم وعداً بسهولة ولين إذا جازى الله فينسلحكم إن شاء الله ، هكذا فسر قوله (قل لهم قولاً ميسوراً) بالوعد : مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغير واحد

﴿ وَلَا تَجْمَلْ بِدَعْمِكَ مَفْلُوءَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْ كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۚ إِن رَّبَّكَ يُبْسِطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝﴾

يقول تعالى أكرم بالاعتقاد فى العيش ذاماً للبل ناهياً عن السرف (ولا تجمل بدعمتك مفلوءة إلى عنقك) أى لا تكن غيلاً لمنوها لا تعطى أحدا شيئاً كما قالت اليهود عليهم لعائن الله يد الله مفلوءة أى نسبوه إلى البخل تعالى وتقدس الكريم الوهاب وقوله (ولا تبسطها كل البسط) أى ولا تسرف فى الانفاق فتعطى فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتعقد ملوماً محسوراً وهذا من باب ألف والنسر أى فتعقد إن بخلت ملوماً بلومك الناس وبذمتك ويستخونونك قال فى زهير بن أبى سلمى فى الملقاة

ومن كان ذا مال فيبخل بماله • على قومه يستخون عنه ولطم

ومق بسطت يدك فوق طاقتك قدمت بلائىء فتكون كالخسيف وهو الدابة التى قد عجزت عن السير فوقت ضعفاً وجعراً فانها تسمى الخسيف وهو مأخوذ من الكلال كما قال (فارجع البصر هل ترى من فطور • ثم ارجع البصر كرتين يقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير) أى كيل عن أن يرى عيباً هكذا فسر هذه الآية بأن الراد هنا البخل والسرف : ابن عباس والحسن وقتادة وابن جرير وابن زيد وغيرهم ، وقد جاء فى الصحيحين من حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « مثل البخل وللنفق كمثل رجلين عليهما جبان من حديد من تدبهما إلى مراقيهما فأما للنفق فلا ينفق إلا سبباً أو وفرت على جلده حتى تخفى بئانه وتنفو أثره وأما البخل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكائها فهو يوسمها فلا تسع » هذا لفظ البخارى فى الزكاة وفى الصحيحين من طريق هشام بن عروة عن زوجته فاطمة بنت النضر عن جدتها أسماء بنت أبى بكر قالت : قال رسول الله ﷺ « اتقى هكذا وهكذا وهكذا ولا توعى فيوعى الله عليك ولا توكى فيوكى الله عليك » وفى لفظ « ولا تخشى فيحسى الله عليك » وفى صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قال لى أتق أتق عليك » وفى الصحيحين من طريق معاوية ابن أبى مزرع عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان يزلان من السماء يقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً ثقلاً » وروى مسلم عن عتبة بن ربيعة عن إسماعيل بن جعفر عن الملاء عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعاً « ما هوس مال من صدقة وما زاد الله عبداً أثق إلا عزاً ومن تواضع لله رقه الله » وفى حديث أبى نعيم عن عبد الله بن عمر مرفوعاً « ياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم أرمم بالبخل فبخلوا وأرمم بالقطعة فقطعوا وأرمم بالبور فبجروا » وروى البيهقى من طريق سديد بن نصر عن أبى معاوية عن الأعمش عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ما يخرج رجل صدقة حتى يترك لحية سبعين شيطاناً » .

وقال الإمام أحمد بن محمد حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا سكين بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم الجعفى عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد » وقوله (إن ربك يبسط الرزق

لن يشاء وقدّر (إخبار أنه تعالى هو الرزاق القابض الباسط التصرف في خلقه بما يشاء فيغي من يشاء ويفقر من يشاء
إله في ذلك من الحكمة ولهذا قال (إنه كان يباده خيرا بصيرا) أى خيرا بصيرا بمن يستحق الفنى ويستحق الفقر
كما جاء في الحديث (إن من عبادى من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه ، وإن من عبادى من لا يصلحه
إلا الثنى ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه) وقد يكون الفنى فى حق بعض الناس استدراجا ، والفقر عقوبة عيادا
بالله من هذا وهذا

(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِنْ تُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا)

هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الولد بولده لأنه نهى عن قتل الأولاد كما أوصى الآباء
بالأولاد فى الميراث وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لثلاث أكثر عليه قبحه الله تعالى
عن ذلك وقال (ولا تقتلوا أولادكم خشية إِمْلَاقٍ أى خوف أن تنفقوا فى ثأنى الحال ، ولهذا قسم الاهتمام برزقهم
قتال (نحن نرزقكم وإياكم) وفى الأنعام (ولا تقتلوا أولادكم من إِمْلَاقٍ أى من فقر (نحن نرزقكم وإياكم) وقوله
(إن قتلهم كان خطئا كبيرا) أى ذنباعظما وقرا بعضهم كان خطئا كبيرا وهو يعمده ، وفى الصحيحين عن عبد الله بن
مسعود قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك — قلت ثم أى ؟ — قال أن تقتل ولدك
خشية أن يطعم معك — قلت ثم أى ؟ — قال أن تزاني بحليلة جارك »

(وَلَا تَقْرَبُوا الرِّثَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)

يقول تعالى ناهيا عباده عن الرثا وعن مقاربتهم ومخالطة أسبابه ودواعيه (ولا تحربوا الرثا إنه كان فاحشة) أى ذنبا
عظيما (وساء سبيلا) أى وبئس طريقا ومسلكا

وقد قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا جرير حدثنا سليم بن عامر عن أبي أمامة أن فقي شاة أتى النبي
ﷺ فقال : يا رسول الله ائذن لى بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه فقال « ادنه » فدنأ منه
قريبا فقال « اجلس » فجلس فقال « أجهب لأمك » ؟ قال لا والله جلننى الله فذاك قال ولا الناس يحبونه لأمهاتهم
قال « أفتجه لابنتك ؟ » قال لا والله لا رسول الله جلننى الله فذاك قال ولا الناس يحبونه لابناتهم قال « أفتجه لأختك ؟ »
قال لا والله جلننى الله فذاك قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال « أفتجه لعمتك ؟ » قال لا والله جلننى الله فذاك قال
ولا الناس يحبونه لعماتهم قال « أفتجه لخالتك ؟ » قال لا والله جلننى الله فذاك قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال
فوضع يده عليه وقال « اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه و أحسن فرجه » قال فلم يكن بعد ذلك الفنى يلتفت إلى شيء . وقال
ابن أبي الدنيا حدثنا عمار بن نصر حدثنا بقة عن أبي بكر بن أبي مريم عن الهيثم بن مالك الطائى عن النبي ﷺ قال
« ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نقطة وضعا رجل فى رحم لا يحمل له »

(وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ
فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)

يقول تعالى ناهيا عن قتل النفس بغير حق شرعى كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال
« لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا بأحدى ثلاث : النفس بالنفس والزانى
المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة » وفى السنن (لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم » وقوله (ومن قتل
مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) أى سلطنته على القاتل فانه بالخيار فيه إن شاء قتله قودا وإن شاء عفا عنه على الدية
وإن شاء عفا عنه مجانا كما ثبتت السنة بذلك . وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة والآية معاوية

السلطنة أنه سيملك لأنه كان لى عبان وقد قتل عبان مظلوما رضى الله عنه وكان معاوية يطالب علياً رضى الله عنه أن يسلمه فقتله حتى يقتض منهم لأنه أموى وكان على رضى الله عنه يستمعه في الأمر حتى يتمكن وفعل ذلك ويطلب على من معاوية أن يسلمه الشام فيأتى معاوية ذلك حتى يسلمه القتل وأنى أن يبايع علياً هو وأهل الشام ثم مع المعاوية تمكن معاوية وصار الأمر إليه كما قاله ابن عباس واستنبطه من هذه الآية الكريمة وهذان الأمر العجب ، وقدرى ذلك الطبراني في معجمه حيث قال حدثنا يحيى بن عبد الباقي حدثنا أبو حميد بن النحاس حدثنا شمعة بن ربيعة عن ابن شاذب عن مطر الوراق عن زهلم الجرمي قال : كنا في ممر ابن عباس فقال : إني محدثكم بحديث ليس يسر ولا علانية إنه لما كان من أمر هذا الرجل ما كان بيني عبان قلت لمي اعتزل فلو كنت في جسر طلبت حتى تستخرج فصاني ، وأيم الله ليتأمرن عليكم معاوية وذلك أن الله يقول (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل) الآية وليحملنكم قريش على سنة فارس والروم ولقيمن عليكم النصارى واليهود والمجوس ، فمن أخذ منكم يومئذ بما يعرف بها ، ومن ترك وأتم تاركون كنتم كفرن من القرون هلك فيمن هلك ، وقوله (فلا يسرف في القتل) قالوا معناه فلا يسرف الولي في قتل القاتل بأن يثل به أو يقتص من غير القاتل ، وقوله (إنه كن منصوراً) أي إن الولي منصور على القاتل شرعاً وظالماً وقدرنا

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۖ وَأَوْفُوا السَّكِينَ إِذَا كَلِمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۖ ﴾

يقول تعالى (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده) أي لاتصرفوا في مال اليتيم إلا بالقسط (ولا تأكلواها) إسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً فليستغف ومن كان فقيراً فليأكل كل المبرور) وقد جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر « يا أبا ذر إني أراك ضيقاً وإن أحب لك ما أحب لنفسى لاتأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم » وقوله (وأوفوا بالعهد) أي الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاهدونهم بها فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه (إن العهد كان مسئولاً) أي عنه وقوله (وأوفوا السكينة إذا كلمتم) أي من غير تظنن ولا تبخسوا الناس أشياءهم (وزنوا بالقسطاس) قرئ بضم القاف وكسرهما كالمقسط وهو الميزان قال مجاهد هو العدل بالرومية وقوله (المستقيم) أي الذي لا عوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب (ذلك خير) أي لكم في معاشكم ومعادكم ولهذا قال (وأحسن تأويلاً) أي ما لا ومشاباً في آخركم . قال سعيد عن قتادة (ذلك خير وأحسن تأويلاً) أي خير نوايا وأحسن طائفة . وابن عباس كان يقول يأمشر الموالى إنكم ولستم أمرين بهما هلك الناس قبلكم هذا السكينة وهذا الميزان ، قال وذكرنا أن نبي الله عليه الصلاة والسلام كان يقول (لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله إلا أبده الله به في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك »

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۖ ﴾

قال بن جرير أي جلعة عن ابن عباس يقول لا تسمع ، وقال الصوفي لاترم أحداً بما ليس لك به علم وقال محمد ابن الحنفية يعني شهادة الزور ، وقال قتادة لاتقل رأيت ولم تر وصمت ولم تسمع وعشت ولم تعلم فإذن الله تعالى سائلك عن ذلك كله ، ومضمون ما ذكره أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم بل بالنظر الذي هو التوهم والخيال كما قال تعالى (اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم) وفي الحديث « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » وفي سنن أبي داود « بشى مطية الرجل زعموا » وفي الحديث الآخر « إن أفرى أفرى أن يرى الرجل عينه ما لم تريا » وفي الصحيح « من حلم حلفاً كلف يوم القيامة أن يقدر بين شعيرتين وليس بفاحل » وقوله (كل أولئك) أي هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد (كان عنه مسئولاً) أي سيسأل العبد عنها يوم القيامة وتساءل عنه وعما عمل فيها . (١) في جميع النسخ: ولا تأكلوا أموالكم إسرافاً ولا تجوروا ، وربما كان سيدياً بالمتن: كروا لآية ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم ثم ذكر حذف سقط من النسخ أكثر الآية الأولى وأول الثانية .

ويصح استعمال أولئك مكان ذلك كما قال الشاعر :

فم للنازل : - منزة الهوى • والبئس بعد أولئك الأيام

(وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَغْفِرَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا • كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا)

يقول تعالى تاهياً عباده عن التجبر والتبئز في الشبهة (ولا تمس في الأرض مراحاً) أي متبئزاً متايلاً متى الجبارين (إنك لن تغفر الأرض) أي لن تخطع الأرض بمسبك قاله ابن جرير واستشهد عليه بقول رؤية بن العجاج :

• وقاتم الأعماق خاوي المخترمين •

وقوله (ولن تبلغ الجبال طولا) أي تباليك وفخرك وإعجابك بنفسك ، بل قد يجازي فاعل ذلك بقض قصده كما ثبت في الصحيح « بينا رجل يمشى فيمن كان قبلكم وعليه بردان يتبئز فهما إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وكذلك أخبر الله تعالى عن فارون أنه خرج على قومه في زينة وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض وفي الحديث « من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ، ومن استكبر وضعه الله فهو في نفسه كبير وعند الناس حقير ، حتى لو أبغض إليهم من الكلب والحنزير » وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الجمل والتواضع : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير حدثنا حجاج بن محمد عن أبي بكر الهذلي قال : بينا نحن مع الحسن إذ مر عليه ابن الأهم يريد للتصور وعليه جباب خر قد تضد بضها فوق بعض على ساقه وأخرج منها بقاؤه وهو يمشى ويتبئز إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال : أف أف ، شامخ بأفه ، ثاني عطفه ، مصر خده ، ينظر في عطفيه ، أي حقيق ينظر في نعم غير مشكورة ولا مذكورة ، غير للأخذ بأمر الله فيها ، ولا للمؤدى حق الله منها ، والله إن يمشى أحدم طبيسته يتجلجل يتجلجل الجنون في كل عضو منه نعمة ، والشیطان به لفة فسمه ابن الأهم فرجع يستند إليه ، فقال لا تستند إلى وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى (ولا تمس في الأرض مراحاً إنك لن تغفر الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) ورأى البصري المأبد رجلاً من آل على يمشى وهو يخطر في مشيته فقال له ياهذا : إن الذي أكرمك به لم تكن هذه مشيته قال فتركها الرجل يمد . ورأى ابن عمر رجلاً يخطر في مشيته فقال إن الشياطين إخواننا وقال خالد بن معدان : إياكم والخطر فإن الرجل يده من سائر جسد رواها ابن أبي الدنيا ، وقال ابن أبي الدنيا حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « إذا مشيت أمق للطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض » وقوله (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً) أما من قرأ سيئة أي فاحشة ففناء عنده كل هذا الذي نينا عنه من قوله (ولا تتقوا أولادكم خفية إملأ) إلى هنا فهو سيئة مؤاخذ عليها مكروهاً عند الله لا يجه ولا يرضاه ، وأما من قرأ سيئته على الإضافة ففناء عنده كل هذا الذي ذكرناه من قوله (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) إلى هنا فسيئته أي قبيحه مكروه عند الله ، هكذا وجه ذلك ابن جرير رحمه الله

(ذَلِكَ بِمَا أَوْتَيْتَ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا خَرَفْتُنِي فِي جَهَنَّمَ لَوْلَا مَذْهُورًا)

يقول تعالى هذا الذي أمرناك به من الأخلاق الجليلة ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة مما أوحينا إليك بإحدا تأمر به الناس (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ماوما) أي تلومك نفسك ويلومك الله والخلق (مذكوراً) أي مبدأ من كل خير ، قال ابن عباس وقتادة مطروداً وللراد من هذا الخطاب الأمة بواسطة الرسول ﷺ فانه سواوات الله وسلامه عليه مصوم .

(أَفَأَمْسَكْتُمْ رَبِّكُمْ بِالْيَمِينِ وَأَتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتَابًا إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ عَظِيمًا)

يقول تعالى راداً على الشركيين الكاذبين الراضعين عليهم لعائن الله إن للملائكة بنات الله فجاءوا للملائكة الذين هم عباللرحمن إناثاً ، ثم ادعوا أنهم بنات الله ثم عيدهم فأخطأوا في كل من اللغات الثلاث خطأ عظيماً فقال تعالى منكراً عليهم (أَفَأَمْسَكْتُمْ رَبِّكُمْ بِالْيَمِينِ) أي خصصكم بالله كور (وأخذ من الملائكة إناثاً) أي واختار نفسه على زعمهم البنات ثم شدد الإنكار عليهم فقال (إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا) أي في زعمكم أن لله ولداً ثم جعلكم ولده الإناث التي تأخون أن يكن لكم ورعاً قتلتموهن بالوآد فتلك إذا قسبة ضيئة وقال تعالى (وقالوا آخذ الرحمن ولداً * لقد جئتم شيئا إداً * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً * أن دعوا للرحمن ولداً * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتية يوم القيامة فرداً) .

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا)

يقول تعالى (ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي صرّفنا فيه من الوعيد لهم يذكرون ما فيه من الحسج والبنات والوعاظ فيزجرها محام فيمن الشرك والظلم والافك (وما يزيدهم) أي الظالمين منهم (إلا نفورا) أي عن الحق وبعداً منه .

(قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَافْتَقُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا * سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا)

يقول تعالى قل يا محمد هؤلاء الشركيين الراضعين أن لله شركاً من خلقه الباطنين معه غيره ليقربهم إليه زلفاً لو كان الأمر كما يقولون وأن معه آلهة تعبد تقرب إليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودين يبدونه ويقربون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقربة فأعدهم أنهم وحده كما يبدمن تدمونهم دونه ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه فإنه لا يجب ذلك ولا يرضاه بل يكرهه وبأباه وقد نبه عن ذلك على السنة جميع رسله وأنبأه ثم نزه نفسه الكريمة وقدسها فقال (سبحانه وتعالى عما يقولون) أي هؤلاء الشركيون للشدون الظالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرى (علواً كبيراً) أي تعالوا كبيراً ، بل هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحداً

(تَسْبِيحٌ لَهُ أَلْسُنَاتٌ تُسَبِّحُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيفًا قَبُورًا)

يقول تعالى تحسب السموات السبع والأرض ومن فیهن أي من الخلقات وتزهره وتظلمه وتبجله وتكبره عما يقول هؤلاء الشركيون وتشهد له بالوحدانية في ربوبية وإلهيته

ففي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

كما قال تعالى (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً * أن دعوا للرحمن ولداً) وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا سعيد بن منصور حدثنا سليمان بن ميمون مؤذن مسجد الرملة حدثنا عروة بن ربيع عن عبد الرحمن بن قريط أن رسول الله ﷺ لبه أسرى به إلى المسجد الأقصى كان بين القمام وزمزم، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطار به حتى بلغ السموات السبع . فلما رجع قال * سمعت تسبيحاً في السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى ، من ذى الهابة مشفقات لدى الملو بما علا ، سبحان

العلي الأعلى سبحانه وتعالى . وقوله (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) أي وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله . (ولكن لا يفقهون تسبيحهم) أي لا يفقهون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغاتكم وهذا جام في الحيوانات والجمادات والنباتات وهذا أشهر القولين كآبنت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل . وفي حديث أبي ذر أن النبي ﷺ أخذ في يده حصيات فسمع لمن تسبيح كخبز النحل ، وكذا في يد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وهو حديث مشهور في السانيد ، وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زيان عن سهل بن معاذ عن ابن أنس عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم « اركبوها سالمة ودعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله منه » وفي سنن الترمذي عن عبد الله بن عمرو قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال « تقيها تسبيح » وقال قتادة عن عبد الله بن أبي عن عبد الله بن عمرو أن الرجل إذا قال لا إله إلا الله فهي كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملا حتى يقولها ، وإذا قال الحمد لله فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها ، وإذا قال الله أكبر فهي تملأ ما بين السماء والأرض ، وإذا قال سبحانه الله فهي صلاة الخلاق التي لم يدع الله أحدا من خلقه إلا قرره بالصلاة والتسبيح . وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عبدي واستسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا ابن وهب حدثنا جرير حدثنا أبي سمعت مصعب بن زهير يحدث عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال أن النبي ﷺ أعرابي عليهجة من طيلة مكشوفة بدياج : أو مزودة بدياج فقال إن صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع بين راع ويضع كل رأس بين رأس قدام إليه النبي ﷺ منضبا فأخذ بجامع جبهته فاجتذ به فقال « لا أرى عليك ثياب من يملأ » ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فقال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه فقال إني قاص عليك الوصية أتركها باثنين وأنها كما عن اثنين أي أنها كما عن الشرك بالله والكبر ، وأمركا بلا إله إلا الله فإن السموات والأرض وما فيها لو وضعت في كفة الزنزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح ولو أن السموات والأرض كانتا حقة فوضعت لا إله إلا الله عليهما لقصصتهما أولقصصتهما ، وأمركا بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء ورواه الإمام أحمد أيضا عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مصعب بن زهير به أطول من هذا وتفرده به ، وقال ابن جرير حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي حدثنا محمد بن يحيى عن موسى بن عبيدة عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبيد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه ؟ إن نوحا عليه السلام قال لابنه يا بني أترك ما أن تقول سبحان الله فانها صلاة الخلق وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق » قال الله تعالى (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) إسناده فيه ضعف فان الأودي ضعيف عند الأكثرين ، وقال عكرمة في قوله تعالى (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) قال الاسطوانة تسبح والشجرة تسبح الاسطوانة السارية وقال بعض السلف: صرر الباب تسبيحه وخرر لواء تسبيحه قال الله تعالى (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال الطعام يسبح ويشهد لهذا القول آية السجدة في الحج ، وقال آخرون إنما يسبح من كان فيه روح ينون من حيوان ونبات قال قتادة في قوله (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) قال كل شيء فيه روح يسبح من شجر أو شيء فيه ، وقال الحسن والضحاك في قوله (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) قال كل شيء فيه أرواح وقال ابن جرير حدثنا محمد بن حميد حدثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب قال حدثنا جرير أبو الخطاب قال كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام قدموا الخوان ، فقال يزيد الرقاشي يا أبا سعد يسبح هذا الخوان ؟ فقال كان يسبح مرة - قلت الخوان هو اللائدة من الحطب - فكان الحسن رحمه الله ذهب إلى أنه لا كان حيا فيه خضرة كان يسبح فلما قطع وصار خشبة بإيسة أقطع تسبيحه وقد يستأنس لهذا القول بحديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقرتين فقال « إنيهما ليعذبان وما جذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتره من القول وأما الآخر فكان

يحيى بالخمسة ثم أخذ جريدة وطبة فشقها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة ثم قال « لعله يخفف عنها ما لم يسب » أخرجه
 في الصحيحين قال بعض من تكلم على هذا الحديث من العلماء إنما قال عالم يسب لأتبعها يسبحان مادام فيها خضرة فلذا يسب
 اقتلع تسبيحهما والله أعلم وقوله (إنه كان حلياً غفوراً) أي إنه لا يساجل من عصاه بالعقوبة بل يؤجله وينظره
 فان استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر كما جاء في الصحيحين « إن الله ليل للظالمين إذا أخذهم لم يشك »
 ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) الآية وقال تعالى (وكان من قرية أئملت
 لها وهي ظالمة) الآية وقال (وكان من قرية أهلكتها وهي ظالمة) الآية ومن أفلح مما هو فيه من كفر أو عصيان
 ورجع إلى الله وتاب إليه تاب عليه كما قال تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله) الآية وقال ههنا (إنه
 كان حلياً غفوراً) كما قال في آخر فاطر (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد
 من بعده إنه كان حلياً غفوراً) إلى أن قال (ولو يؤاخذ الله الناس إلى آخر السورة .

(وَإِذْ أَرَأَيْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ
 أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَكَتْ فِي الْقُرْآنِ وَخَذَهُ وَلَوْ أَنَّ عَلَى أَذُنِ كَبِيرِهِمْ قُرْآنًا)

يقول تعالى رسوله محمد ﷺ (وَإِذْ أَرَأَيْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا)
 قال قتادة وابن زيد هو الأكنة على قلوبهم كما قال تعالى (وقالوا قلوبنا في أكنة مما سمعوا) وفي كذا تأويل
 ومن بيننا وبينك حجاب أي مانع حال أن يصل إلينا ما نقول شيء وقوله (حجاباً مستوراً) يعني يستر كيمون
 ومشتم بمعنى يامن وعلم لأنه من بينهم وقيل مستوراً عن الأبصار فلا تراه وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدى
 ومال إلى ترجيحه ابن جرير رحمه الله وقال الحافظ أبو عيسى اللوصي حدثنا أبو موسى الهروي إسحق بن إبراهيم حدثنا
 سفيان عن الوليد بن كثير عن زيد بن ثعلبة عن أبي بكر رضي الله تعالى عنها قالت ما لآلت (تبت يدا أبا لي)
 جاءت السوراء أم جميل ولما ولوة وفي رواية أخرى يقول: مذهبنا أئمتنا أو أئمتنا قال أبو موسى الشكشي، وروى قتاديا وأمره
 عسينا، وروى الله ﷺ جالس وأبو بكر إلى جنبه فقال أبو بكر رضي الله عنه قد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك فقال
 « إنها لن تراني » وقرأ آتانا اعتصم بهننا (وَإِذْ أَرَأَيْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا)
 قال فجاءت حتى قامت على أبي بكر فلم تراني ﷺ فقالت يا أبا بكر لئن أن صاحب حجابي فقال أبو بكر لا ورب هذا البيت
 ما هجلك قال فاصرفت وهي تقول لقد علمت قريش أني بنت سيدها . وقوله (وجعلنا على قلوبهم أكنة) وهي جمع كنان
 الذي يشي القلب (أن يفقهوه) أي لا يفهموا القرآن (وفي آذانهم وقراً) وهو الثقل الذي ينسج من سمع القرآن سمعاً
 ينسجه ويبتدونه . وقوله تعالى (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) أي إذا وجدت الله في تلاوته وقلت لا إله إلا الله
 (ولوا) أي أدبروا راجعين (على أذانهم قوراً) وقور جمع نافر تكتمد جميع قاعد ويهز أن يكون مصدران غير الثقل
 والله أعلم كقوله تعالى (وإذا ذكرك الله وحده المأذرت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) الآية قال قتادة في قوله (وإذا
 ذكرت ربك في القرآن) الآية أن للسليين لما قالوا لا إله إلا الله أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم صفاتها لما ليس
 وجوده فأى إلا أن يمشي ويصلها ونصرها ويظهرها على من نأواها ، إنها كلمة من خاصها فلج ومن قال بها نصر
 إنما يبرها أهل هذه الجزيرة من السليين التي يقطعها الركب في ليال قلائل ويسير المهر في فقام من الناس لا يعرفونها
 ولا يعرفونها (قول آخر في الآية) روى ابن جرير حدثني الحسين بن محمد الطبري وسير روح بن السيب أبو رجاء
 السكبي حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في قوله (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أذانهم
 قوراً) ثم السليين وهما غرب جدا في شبرها والافالسليين إذا قرأ القرآن أو نوى بالأذان أو ذكر الله الصرغوا

(نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْمَعُونَ إِنَّهُمْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ وَإِنْ هُمْ تَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَقَوُّيُونَ إِلَّا رَجُلًا

مَسْحُورًا * أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿١٠﴾

يخبر تعالى نبيه محمداً ﷺ بما يتاجى به رؤساء كفار قريش حين جاءوا يستمعون قراءته ﷺ سرا من قومهم بما قالوا من أنه رجل مسحور من السحر على الشهور أو من السحر وهو الرأى أنه إن تتبعون إن اتبعتهم محمداً إلا بشراً يأكل كل ما قال الشاعر :

فإن تسألينا قيم نحن فانتا * مصافير من هذا الأنام للسحر

وقال الراجز : * يسحر بالطعام وبالشراب * أى يشذى وقد صوب هذا القول ابن جرير وفيه نظر لأنهم أرادوا هينا أنه مسحور له رضى يأتيه بما استمعه من الكلام الذى يتلوه ومنهم من قال شاعر ومنهم من قال كاهن ومنهم من قال مجنون ومنهم من قال ساحر ولهذا قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) أى فلا يهتدون إلى الحق ولا يجدون إليه مخلصا ، قال محمد بن إسحق في السيرة حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث أن أباسفيان بن حرب وأباجهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بن زهرة خرجوا ليلة يستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يسلى بالليل في بيته فأخذ كل واحد منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم مكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعهم الطريق تلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو راكم بعض سفاهكم لأوقفتم في قسه شيئا ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا وجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى تتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس ابن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أباسفيان بن حرب في بيته فقال أخبرني يا أباجهل ما رايتك فيما سمعت من محمد قال يا أباجهلية والله قد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما راد بها وبسمت أشياء ما عرفت معناها ولا ما راد بها قال الأخنس وأنا والى حلفت به . قال ثم خرج من عنده حتى أتى أباجهل فدخل عليه بيته فقال يا أباجهل ما رايتك فيما سمعت من محمد ؟ قال ما خامست ؟ قال تزلعننا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا نجاينا إلى الركب وكنا كغرسى رهان قالوا مناهي يأتيه الوسى من السماء فتنبى ندرك هذه وإياه لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه . قال فقام عنه الأخنس وتركه .

﴿ وَقَالُوا أَهَذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفَاتًا أَمْ أَنَا لَنَبْمُوتُونَ خَلَقَا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا * أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْتُمُونَ فِي صُدُورِهِمْ فَنَقُولُ قُلْ أَلَّذِي فَطَرَ كُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْخِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَكُونُونَ مَتًى هَوًى قُلْ هَؤُلَاءِ أَمْ أَنْ يَكُونُ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

يقول تعالى خبرا عن الكفار المستعدين وقوع للماد القاتلين استقحام إنكارهم لئلا يك (أنذا كنا عظاما ورفاتا) أى تريا قاله مجاهد وقاله بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما غبارا (أنثى الميمونون خلقا جديدا) أى يوم القيامة بعدما يلبثون وصرنا عظاما لا نذكر كأخبر عنهم في الوضع الآخر (يقولون أننا مردودون في الحافرة) أى أننا كنا عظاما ثم خفرت قالوا تلك إذا كرة خاسرة (وقوله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) الآيتين فأمر الله سبحانه رسول الله ﷺ أن يجيبهم فقال (قل كونوا حجارة أو حديدا) إذما أشهد امتناعا من العظام والرفات (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) قال ابن إسحق عن ابن أبى نجیح عن مجاهد سألت ابن عباس عن ذلك فقال : هو اللوث وروى عطية عن ابن عمر أنه قال في تفسير هذه الآية لو كنتم موتى لأحييتكم ، وكذا قال سعيد بن جبير وأبو صالح والحسن وقادة

والضحاك وغيرهم ، ومعنى ذلك أنكم لو فرضتم أنكم لو صرتم إلى الموت الذى هو ضد الحياة لأحياكم الله إذا شاء فانه لا يمنع عليه شئ إذا أراحه

وقد ذكر ابن جرير ههنا حديثا « جاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فوقف بين الجنة والنار ثم قال يا أهل الجنة أنصرفون هذا ؟ فيقولون نعم : ثم يقال يا أهل النار أنصرفون هذا ؟ فيقولون نعم ، فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال يا أهل الجنة خلود بلا موت وبأهل النار خلود بلا موت » وقال مجاهد (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) بين السماء والأرض والجنال وفي رواية : ما علمتم فكونوا فسيحكم الله بعد موتكم ، وقد وقع في التفسير للروى عن الإمام مالك عن الزهرى في قوله (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) قال النبي ﷺ قال مالك ويقولون هو الموت . وقوله تعالى (فسيقولون من مبدنا) أى من مبدنا إذا كنا حجارة أو حديدًا أو خلقا آخر شديداً (قل الذى فطركم أول مرة أى الذى خلقكم ولم تكونوا شيئا مذكورا ثم صرتم شيئا فتتنبهون فإنه قادر على إعادةكم ولو صرتم إلى أى حال (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) الآية وقوله تعالى (فسيقولون إليك رءوسهم) قال ابن عباس وتنادى محركونها استنزاء وهذا الذى قاله هو الذى ترمه الرب من ثنائها لأن الاتناض هو التحرك من أسفل إلى أعلى أومن أعلى إلى أسفل ، ومنه قيل للظلم وهو وله الصامعة تنض لأنه إذا مضى جمل بمشيته وحرك رأسه ويقال تنضت سنه إذا تحركت وارتخمت من ميتها . وقال الرازي :

• وتنضت من هرم أسنانها •

وقوله (ويقولون متى هو) إخبار عنهم بالاستبعاد منهم لوقوع ذلك كما قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) وقال تعالى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) وقوله (قل عسى أن يكون قريبا) أى احدثوا ذلك فانه قريب إليكم سيأتيكم لا محالة لكل ما هو آت . وقوله تعالى (يوم يدعوكم) أى الرب تبارك وتعالى (إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) أى إذا أمركم بالخروج منها فانه لا يخالف ولا يانع بل كما قال تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وقوله (فإما هي ذريرة واحدة • فإذا هم بالساهرة) أى إنما هو أمر واحد بانتهار فإذا الناس قد خرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها كما قال تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون لمحمد) أى تقولون كلهم إجابة لأمره وطاعة لا رادة قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس فتستجيون لمحمد أى بأمره وكذا قال ابن جريج . وقال قتادة بجزقته وطاعته ، وقال بشهم (يوم يدعوكم فتستجيبون لمحمد) أعذوله الحمد في كل حال . وقد جاء في الحديث « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم كأتى بأهل لا إله إلا الله يقومون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم يقولون لا إله إلا الله » وفي رواية يقولون (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) وسأنى في سورة طاهر . وقوله تعالى (وتظنون) أى يوم تقومون من قبوركم (إن لبئس) أى في الدار الدنيا (إلا قبلا) وكقولهم تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) وقال تعالى (يوم ينفع في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا • يتخافتون بينهم إن لبئس إلا عشرا • نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبئس إلا يوما) وقال تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون) وقال تعالى (قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فأسأل العادين ، قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم تعلمون)

(وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّذِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا)

يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومجاورتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة فانهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعالم ووقع الشر والحاسنة ولتقاتل فانه عدو لأدم وذرئته من حين امتنع من السجود لأدم ، وعداوته ظاهرة بينة ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديثه فان الشيطان ينزع في يده أى يغري بأصابعه بها .

هذه الآية وفي رواية عن ابن مسعود كانوا يبدون صنفا من اللاتكة يقال لهم الجن فذكره وقال السدي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) قال عيسى وأمه وعزير وقال مغيرة عن إبراهيم كان ابن عباس يقول: في هذه الآية: هم عيسى وعزير والشمس والقمر، وقال مجاهد عيسى والزمير واللاتكة، واختار ابن جرير قول ابن مسعود قوله (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) وهذا لا يبره عن اللاتكة فلا يدخل فيه عيسى والزمير واللاتكة وقال الوسيلة هي القرية كما قال قتادة ولهذا قال (أيهم أقرب) وقوله تعالى (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) لأنهم العبادة إلا بالخوف والرجاء فيالخوف ينكف عن التلويح وبالرجاء ينكر من الطاعات، وقوله تعالى (إن عذاب ربك كان محذورا) أي يبنون أن يخفونه وخاف من وقوعه وحصوله عياذا بالله منه

(وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُؤَذَّيْنَهُمَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا)

هذا إخبار من الله عز وجل بأنه قد حتم وقضى بما قد كتب عنده في اللوح المحفوظ أنه مأمون قرية إلاهلكها بأن يبيد أهلها جميعهم أو يبدلهم (عذابا شديدا) إما قبل أو ابتلاء بها يشاء وإما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم كما قال تعالى عن الأمم للآئين (وما ظنناهم ولكن ظنلوا أنفسهم) وقال تعالى (فذاقت وبال أمرها وكان عاقب أمرها خسرًا) وقال «وكان من قرية عنت من أمر ربها ورسله» الآيات

(وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْهِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا)

قال سعيد عن حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال: قال للسكران يا محمد إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء فمنهم من سخرته له الريح ومنهم من كان يحيى الموتى فإن سرك أن تؤمن بك ونصدقك فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهباً فأوحى الله إليه: إني قد سمعت الذي قالوا فإن شئت أن فعل الذي قالوا فإن لم يؤمنوا نزل العذاب فإنه ليس بيد زول الآية منظره وإن شئت أن لستأني بقومك استأنيت بهم. قال «يارب استأن بهم» وكذا قال قتادة وابن جريج وغيرهما، وروى الإمام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينسج الجبال عنهم فيردعوا فقيل له: إن شئت أن لستأني بهم وإن شئت أن يأتيهم الذي سألتهم فقالوا فإن كفروا هلكت كما هلكت من كان قبلهم من الأمم. قال «لا، بل استأن بهم» وأزل الله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) الآية ورواه النسائي عن حديث جبريل. وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس قال: قالت قريش لبي ﷺ ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك. قال «وتظلمون؟» قالوا نعم قال فمدا فأتاه جبريل فقال إن ربك قرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً فنكفر منهم بعد ذلك عذابه لا أعذبه أحداً من العالمين وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة فقال «بل باب التوبة والرحمة». وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا محمد بن إسماعيل بن علي الأنصاري حدثنا خلف بن تميم المصيصي عن عبد الجبار بن عمر الأبلج عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم عن جده أنه أعطاه مولاتا من بني النعمان قالت: سمعت أبا بكر يقول لما نزلت (وأندع عشرين الأقرين) صاح رسول الله ﷺ على أبي قبيس «يا آل عبد مناف إني نذير» فجاءته قريش فحزروهم وأنهم فقالوا تزعم أنك نبى يوحى إليك وإن سليمان سخر له الريح والجبال وإن موسى سخر له البحر وإن عيسى كان يحيى الموتى فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال ويحجر لنا الأرض أنهارا فتتخذ عمارت فنزعه ونأكل ولا فاع الله أن يحيى لنا موتانا لنكلمهم ويكلمونا والإفادع الله أن يسير لنا هذه الصخرة التي تحتك ذهباً فننتج منها وتقتني عن رحمة الشتاء والصيف فإنك تزعم أنك كاهنهم. قال فبينما نحن حوله إذ نزل عليه الوحي فننتج منها

فما سرى عنه قال « والذى تسمى بيده لقد أعطاني ما سألتكم ولو شئت لكان ولكنه خبرني بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين أن تكلمكم إلى ما اخترتم لأفهمكم فتضاروا عن باب الرحمة فلا يؤمن منكم أحد فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وأخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أنه يذبكم عذاباً لا يذهب أحدكم من المالمين » ونزلت (وما متعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) وقرأ ثلاث آيات ونزلت (ولو أن قرأتاً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) الآية ولهذا قال تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات) أي نبش الآيات ونأتى بها على مسائل قومك منك فإنه سهل علينا بسير لدينا إلا أنه قد كذب بها الأولون بعد ما سألوها وجرت سنتنا فيهم وفي أمثالهم أنهم لا يؤخرون إن كذبوا بها بعد نزولها كما قال الله تعالى في السائلة (قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحدكم من المالمين) وقال تعالى عن عهود حين سألو آية ناقة تخرج من صخرة عينوها فدعا صلح عليه السلام ربه فأخرج لهم منها ناقة على ما سألوها فلما ظلموا بها أي كفروا بمن خلقها وكذبوا رسوله وعقروها فقال (تعتصوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكتوب) ولهذا قال تعالى (وأتينا نجاد الناقة مبصرة فظلموا بها) أي على طاعة وحداثة من خلقها وصدق رسوله الذي أوجب دعاؤه فيها (فظلموا بها) أي كفروا بها ومنعوا شربها وقتلوا فأبادهم الله عن آخرهم وانتهى منهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر وقوله تعالى (وما نرسل بالآيات إلا تخوفاً) قال قتادة إن الله تعالى يخوف الناس بما جاء من الآيات لهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون، ذكر لنا أن الكوفة رجعت على عهد ابن مسعود رضى الله عنه فقال يا أيها الناس إن ربكم يستبكي فاعتبهوه، وهكذا روى أن المدينة نزلت على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرات فقال عمر أحدثتم والله أن عادت لأفعلن ولأفعلن. وكذا قال رسول الله ﷺ في الحديث للفق عليه « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله وإلهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياة ولكن الله عز وجل يخوف بهما عباده فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره - ثم قال - يا أمة محمد والله ما أحد غير من الله أن ربي عبده أو تزني أمته، يا أمة محمد والله لو لموطن ما أعلم لضحككم قليلاً ولبكيكم كثيراً »

(وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا آيَاتِكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُفَعْنَاهُمْ مِمَّا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا)

يقول تعالى لرسوله ﷺ محرضاً له على إبلاغ رسالته وغيرها بأنه قد عصمه من الناس فانه القادر عليهم وهم في قبضته وتحت قهره وغلته. قال مجاهد وعروة بن الزبير والحسن وقاتدة وغيرهم في قوله (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ) أي عصمك منهم وقوله (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) الآية قال البخاري حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) قال هي رؤيا حين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به (والشجرة الملعونة في القرآن) شجرة الزقوم وكذا رواه أحمد وعبد الرزاق وغيرهما عن سفيان بن عيينة به وكذا رواه الوقي عن ابن عباس. وهكذا فسر ذلك. ليلة الإسراء مجاهد وسعيد بن جبير والحسن ومسروق وإبراهيم وقاتدة وعبد الرحمن بن زيد وغير واحد وقد خدمت أحاديث الإسراء في أول السورة مستقصاة لله الحمد ولله. وتقدم أن ناساً رجوا عن دينهم بعدما كانوا على الحق لأنه لم يحمل قلوبهم وعقولهم ذلك فكذبوا بما لم يحيطوا به وجمال الله ذلك بآياتنا وحينئذ لاخرين ولهذا قال (إلا فتنة) أي اختباراً وامتحاناً، وأما الشجرة الملعونة فهي شجرة الزقوم لما أخبرهم رسول الله ﷺ أنه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم فكذبوا بذلك حتى قال أبو جهل عليه لعائن الله: هاتوا لنا ناعراً وزبداً وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول تزفوا فلا تلم الزقوم غير هذا، حتى ذلك ابن عباس ومسروق وأبو مالك والحسن

البصري وغير واحد وكل من قال إنها ليلة الإسراء فسر كذلك بشجرة الزقوم وقيل الراد بالشجرة للمعنى بنو أمية وهو غريب ضعيف ، وقال ابن جرير حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد الرحمن بن عباس بن سهل بن سعد حدثني أبي عن جدي قال رأى رسول الله ﷺ بنى فلان يزنون على منبره نزو القروود فساء ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات قال وأتزلنا الله في ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) وهذا السند ضعيف جدا فان محمد بن الحسن بن زبالة متروك وشيخه أيضا ضعيف بالكوفة ، ولهذا اختار ابن جرير أن الراد بذلك ليلة الإسراء وأن الشجرة للمعنى هي شجرة الزقوم قال لاجمع الحجة من أهل التأويل على ذلك أى فى الرؤيا والشجرة وقوله (ونخوفهم) أى الكفار بالوعيد والعذاب والهلاك (لما يزيدم إلا طغيانا كبيرا) أى تماديا فيما هم فيه من الكفر والضلال وذلك من خذلان الله لهم

(وَإِذْ قُلْنَا لِمَيْمَنَكَ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا • قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَىٰ نَفْسٍ أُخْرَىٰ إِنَّ يَوْمَ الْفَيْصَةِ لَأُخْتَنِكُنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا)

يذكر تبارك وتعالى عداوة إبليس لعنه الله لأدم وذريته وأنها عداوة قديمة منذ خلق آدم فانه تعالى أمر للابكة بالسجود لأدم فسجدوا كلهم إلا إبليس استكبر وأى أن يسجد له افتخارا عليه واحتقاراه (قال أسجد لمن خلقت طينا) كما قال في الآية الأخرى (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) وقال أيضا أرايتك يقول للرب جراءة وكفرا والزب يحم وينظر (قال أرايتك هذا الذى كرمت على) الآية قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يقول لأنتولين على ذريته إلا قليلا وقال مجاهد لأخوتين وقال ابن زيد لأخوتهم وكلها متغاربة وللعن أرايتك هذا الذى شرفته وعظمته على ثلث أنظرتنى لأعلن ذريته إلا قليلا منهم

(قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَثُ لَهُمْ فَلِنْ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ كَمْ جَزَاءٌ مَوْفُورًا • وَاسْتَغْفِرُكُمْ مَنْ اسْتَغْفَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَبِيرِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْنَهُمْ وَمَا يَدْعُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا • إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا)

باسأل إبليس النظره قال الله له (اذهب) فقد أنظرتك كما قال في الآية الأخرى قال (فإنك من النظرين إلى يوم الوقت للموم) ثم أوعده ومن ابنيه من ذرية آدم جهنم (قال اذهب لمن تبعك منهم فلن جهنم جزاؤكم) أى على أعمالكم (جزاء موفورا) قال مجاهد وانفرا ، وقال قتادة موفورا عليكم لا ينقص لكم منه . وقوله تعالى (واستغفر من استطعت منهم بصوتك) قيل هو النناء قال مجاهد بالهوى والنساء أى استغفهم بذلك وقال ابن عباس فى قوله (واستغفر من استطعت منهم بصوتك) قال كل فاع دعا إلى محبة الله عزوجل ، وقال قتادة واختاره ابن جرير ، وقوله تعالى (وأجلب عليهم بخبرك ورجلك) يقول واحمل عليهم بمجنودك خيالهم ورجلهم فإن الرجل جمع راجل كما أن الركب جمع راكب وصحب جمع صاحب ومنه تنسلط عليهم بكل ما تهدر عليه وهذا أمر قدرى كقوله تعالى (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزموهم أزا) أى تزعجهم إلى المصاى إزعاجا وتسوتهم إليها سوفا وقال ابن عباس ومجاهد فى قوله (وأجلب عليهم بخبرك ورجلك) قال كل راكب وماش فى محبة الله وقال قتادة: إن له خيلا ورجالا من الجن والإنس وهم الذين يطعنونه ، تقول العرب أجلب فلان على فلان إذا صاح عليه ومنه نهى فى المسابقة عن الجلب والجلب ومنه اشتقاق الجلبة وهى ارتضاع الأصوات ، وقوله تعالى (وشاركهم فى الأموال والأولاد) قال ابن عباس ومجاهد هو ما أكرم به من اتحاق الأموال فى مصاصى الله تعالى ، وقال عطاء: هو الرأى ، وقال الحسن

هو جميعا من حيث وإشاتها في حرام ، وكذا قال قتادة وقال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما أما مشاركة
إياهم في أموالهم فهو ما حرموه من أنماهم ينى من البحار والموائب ونحوها وكذا قال الضحاك وقتادة ، وقال
ابن جرير والأولى أن يقال إن الآية تم ذلك كله . وقوله (والأولاد) قال العوفي عن ابن عباس وعجده والضحاك
ينى أولاد الزنا ، وقال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس هو ما كانوا قتله من أولادهم سفها بغير علم . وقال قتادة عن
الحسن البصرى قد والله شاركهم في الأموال والأولاد مجسوا وهودوا ونصروا وسفوا غير صفة الإسلام وجزوا
من أموالهم جزءا للشیطان ، وكذا قال قتادة سواء . وقاله أبو صالح عن ابن عباس هو تسميتهم أولادهم عبد الحارث
وعبد شمس وعبد فلان . قال ابن جرير وأولى الأقوال بالصواب أن يقال كل مولود ولدته أنثى عصى الله فيه بتسميته
بما يكرهه الله أو بادخاله في غير الدين الذى ارتضاه الله أو بالزنا بأمة أو بقتله أو وأده أو غير ذلك من الأمور التى
يعصى الله بفعله به أو فيه فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك الولد له أومنه لأن الله لم يخص بقوله
(وشاركهم في الأموال والأولاد) معنى الشراكة فيه بمعنى دون معنى نكل ما عصى الله فيه أو أواطىح الشيطان فيه
أو به فهو مشاركة ، وهذا الذى قاله متجه وكل من السلف رحمهم الله فسر بعض للشاركة فقد ثبت في صحيح مسلم
عن عیاض بن حماد أن رسول الله ﷺ قال « يقول الله عز وجل إني خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين
فاجتاتهم عن دينهم وحزمت عليهم ما أحلت لهم » وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « لو أن أحداكم إذا أراد أن يأتي
أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا »
وقوله تعالى (وعدم وما يدم الشيطان إلا فرورا) كما أخبر تعالى عن إبليس أنه يقول إنا حصص الحق يوم
ينفى بالحق (إن الله وعدمك وعد الحق ووعدهم فأخلفتم) الآية وقوله تعالى (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان)
إخبار بتأييده تعالى مباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراستهم من الشيطان الرجيم ولهذا قال تعالى (وكفى
بربك وكلا) أى حافظا ومؤيدا ونصيرا ، وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لحيعة عن موسى ابن وردان عن
أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن المؤمن لينفى شياطينه كما ينفى أحدكم بیره في السفر » ينفى
أى يأخذ بناصيته ويقهره

﴿ رَبِّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ كُفُّمُ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

يخبر تعالى عن لطفه خلقه في تسخيره لعباده الفلك في البحر وتسهيله لمصالح عباد لا يتأثم من فضله في التجارة
من إقلم إلى إقلم ولهذا قال (إنه كان بكم رحيا) أى إنما فعل هذا بكم من فضله عليكم ورحمته بكم

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًُا فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾

يخبر ببارك وتعالى أن الناس إذا مسهم ضر دعوه منيدين إليه مخلصين له الدين ولهذا قال تعالى (وإذا مسكم الضر
في البحر ضل من تدعون إلا إياه) أى ذهب عن قلوبكم كل ماتبيدون غير الله تعالى كما اتفق لمكرمة بن أبى جهم
لما ذهب فارا من رسول الله ﷺ حين نزع مكة فذهب هاربا فركب في البحر ليدخل الحبشة فجاثهم ريح عاصف
فقال القوم بعضهم لبعض إنه لا ينشئ عنكم إلا أن تدعوا الله وحده فقال عكرمة في نفسه والله إن كان لا ينفع في البحر
غيره فإنه لا ينفع في البر غيره اللهم لك طى عهد لئن أخرجتني منه لأذهبن فلا أضمن يدي في يد مجده فلا تجده ردوفا
رحيا ، فخرجوا من البحر فرجع إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه رضى الله عنه وأرضاه . وقوله تعالى (فلما
نجاكم إلى البر أعرضتم) أى تسيمت ما عرفت من توحيد في البحر وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له (وكان
الإنسان كفورا) أى سبته هذا ينفى النعم ويحجبها إلا من عصم الله

﴿ أَتَأْمِنْتُمْ أَنْ يَتَّصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾

يقول تعالى أفصبتُم مخرُوجكم إلى البر أمئتُم من انتقامه وعذابه أن تحسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاسبا وهو اللط الذي فيه حجارة قاله مجاهد وغير واحد كما قال تعالى (إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجينا بمصر نعمة من عندنا) وقد قال في الآية الأخرى (وأمطرنا عليهم حجارة من طين) وقال (ألمئتُم من في السماء أن تحسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمئتُم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستلذثون كيف تذر) وقوله (ثم لا تجدوا لكم وكيلة) أي ناصرا يرد ذلك عنكم وينقذكم منه

﴿ أَمْ أَمِئْتُمْ أَنْ يُعِيدَ لَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى قَبْرُكُمْ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْكُمْ نَصِيرًا ﴾

يقول تبارك وتعالى ألم أمئتُم أميأ للعرضون عنا بعد ما اعترفوا بتوحيدنا في البحر وخرجوا إلى البر أن يبدكم في البحر مرة ثانية فيرسل عليكم قاصفا من الريح أي يقصف الصواري ويرق للراكب قاصدا ابن عباس وغيره القاصف ربع البحار التي تكسر للراكب وترققها وقوله (فيغرقكم بما كفرتم) أي بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالى وقوله (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيها) قال ابن عباس: نصبرا وقال مجاهد: نصبرا ثارا أي يأخذ بثاركم بصدكم . وقال قتادة ولا تخاف أحدا يتبعنا شيء من ذلك

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبَرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

يخبر تعالى عن تكميله لبني آدم وتكرمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الميثاق وأكملها كقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) أن يمشي قائما منتصبا على رجله وبأكل يديه ، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل غصه وجملته مما وصرا وفواذا يفقه بذلك كله وينتفع به ويغرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية وحملناهم في البراءة على الدواب من الأنعام والحيل والبغال وفي البحر أيضا على السفن الكبار والصغار ورزقناهم من الطيبات أي من زروع وعمار وطيوم وألبان من سائر أنواع الطعوم والألوان المشبهة اللذينة والناظر الحسنة والملابس الرفيعة من سائر الأنواع على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها مما يصنعونه لأنفسهم وجلبه إليهم غيرهم من أنظار الأناجم والنواحي وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا أي من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات ، وقد استدلت بهذه الآية الكريمة على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم قال : قالت الملائكة يا ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطانا الآخرة فقال الله تعالى : وعزني وجلالي لا أجعل صالح ذرية من خلقت يدي كمن قلت كن فكان . وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه ، وقد روى من وجه آخر متصل . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن خازجة العمري حدثنا حجاج بن محمد حدثنا محمد أبو غسان محمد بن مطرف عن صفوان بن يسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « إن الملائكة قالت يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ولا تأكل ولا نشرب ولا نلهو فكلما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة قال لا أجعل صالح ذرية من خلقت يدي كمن قلت كن فكان » وقد روى ابن عساکر من طريق محمد بن أيوب الرازي حدثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثني عثمان بن حسن بن عبيدة بن علقم تمت عروة بن روم الأنخمي حدثني أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال « إن الملائكة قالوا ربنا خلقتنا وخلقت بني آدم وجعلتهم يأكلون الطعام ويشربون الشراب

ويلبسون الثياب ويتزوجون النساء ويركبون الدواب، ينامون ويستريحون ولم يحمل لنا من ذلك شيئاً فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله عز وجل: لا أجل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان» وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا عمر بن سهل حدثنا عبد الله بن عامر عن خالد الحذاء عن بشر بن شافع عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «ما شيء أكرم على الله يوم القيامة من ابن آدم» قيل يا رسول الله ولا للثلاثة قال «ولا للثلاثة، للثلاثة مجبرون بمنزلة الشمس والقمر» وهذا حديث غريب جداً

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِبَيْعَتِهِ فَأُولَئِكَ يَفْرَحُونَ كِتَابُهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أُنْعَمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أُنْعَمَىٰ وَأَصْلُ سَبِيلًا﴾

غير تبارك وتعالى عن يوم القيامة أنه يحاسب كل أمة بإمامهم، وقد اختلفوا في ذلك فقال مجاهد وقادة أي بنهم وهذا كقوله تعالى (ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط) الآية وقال بعض السلف هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث لأن إمامهم النبي ﷺ وقال ابن زيد بكتابتهم الذي أنزل على نبيهم من التوراة واختاره ابن جرير، وروى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال بكتبتهم فيحتمل أن يكون أراد هذا وأن يكون أراد ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) أي بكتاب أعمالهم وكذا قال أبو العباس الحسن والشحاذ وهذا القول هو الأرجح لقوله تعالى (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) وقال تعالى (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) الآية ويحتمل أن المراد بإمامهم أي كل قوم عن يأتمون به فأهل الإيمان اتسموا بالأنبياء عليهم السلام وأهل الكفر اتسموا بأئمتهم كما قال (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) وفي الصحيحين (تنتع كل أمة ما كانت تعبد فينتع من كان يبد الطواغيت الطواغيت) الحديث وقال تعالى (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون) هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وهذا لا ينافي أن يباه بالنبي إذا حكم بين أمة فانه لابد أن يكون شاهداً على أمة بأعمالها كقوله تعالى (واشرفت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء) وقوله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) ولكن المراد هنا بالإمام هو كتاب الأعمال ولهذا قال تعالى (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن أوفى كتابه بيئته فأولئك يفرحون بكتابهم) أي من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح يفرحوه ويحب قراءته كقوله (فأما من أوفى كتابه بيئته فيقول هاؤم اقرءوا كتابي - إلى قوله - وأما من أوفى كتابه بجاهله) الآيات، وقوله تعالى (ولا يظلمون شيئاً) قد تقدم أن القتل هو الخط للستيل في شق النواة. وقد روى الجافظ أبو بكر البرزاز حديثاً في هذا فقال: حدثنا محمد بن يسير ومحمد بن عثمان بن كرامة قالوا: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله تعالى (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) قال «يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيئته وعده في جسمه ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلأأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم آتنا بهذا، وبارك لنا في هذا فيأتهم فيقول لهم أباؤنا فإن لكل رجل منكم مثل هذا، وأما الكافر فيسود وجهه وعده في جسمه ويراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من هذا أو من شر هذا اللهم آتنا بما فيأتهم فيقولون اللهم آخره فيقول أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا» ثم قال البرزاز لا يروى إلا من هذا الوجه، وقوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى) الآية، قال ابن عباس ومجاهد وقادة وابن زيد (ومن كان في هذه) أي في الحياة الدنيا (أعمى) أي من حجة الله وآياته وبيناته (فهو في الآخرة أعمى) أي كذلك يكون (وأصل سبيلًا) أي وأصل منه كما كان في الدنيا عياداً بالله من ذلك

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا

أَنْ تَبْعَتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِيَّاهُمْ شَيْئًا قَلِيلًا • إِذَا لَأَذْنُكَ ضِيفَ الْحَيَوَةِ وَضِيفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا ﴿

يُخبر تعالى عن تأييده ورسوله صلوات الله عليه وسلّمه وتثبيت وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار وأنه تعالى هو التلوي أمره ونصره وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومغفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه ودناؤه في مشارق الأرض ومغاربها ﷺ تسلياً كثيراً إلى يوم الدين

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾

قبل نزلت في اليهود إذ أشاروا على رسول الله ﷺ يسكن الشام بلاد الأنبياء وترك سكنى المدينة . وهذا القول ضعيف لأن هذه الآية مكية وسكنى المدينة بعد ذلك ، وقيل إنها نزلت بتيوك وفي صحته نظر . روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار الطرادى عن يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن اليهود أنوار رسول الله ﷺ يوما فقالوا يا أبا القاسم إن كنت صادقا أنك نبى فالحق بالشام فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء فصدق ما قالوا ففزا غزوة تيوك لا يريد إلا الشام فلما بلغ تيوك أنزل الله عليه آيات من سورة بنى إسرائيل بعد ما ختمت السورة (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا — إلى قوله — تحويلا) فأمره الله بالرجوع إلى المدينة ، وقال : فيها عيالك وعماك ومنها تبث . وفى هذا الإسناد نظر والأظهر أن هذا ليس بصحيح فإن النبى ﷺ لم يفر تيوك عن قول اليهود وإنما غزاها امتثالا لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) ولقوله تعالى (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ ذَاكِرُونَ) وغزاها ليقص ويقيم بمن قتل أهل مؤتة من أصحابه والله أعلم ، ولو صح هذا لجل عليه الحديث الذى رواه الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن سليمان بن عامر عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثَةِ أَمَكْنَةٍ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالشَّامَ » قال الوليد يعنى بيت المقدس وتفسير الشام بتيوك أحسن مما قال الوليد إنه بيت المقدس والله أعلم . وقيل نزلت في كفار قريش هموا بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم فتوعدهم الله بهذه الآية وأتهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرا ، وكذلك وقع فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعد ما اشتد أذىهم له إلا سنة ونصف حتى جمعهم الله وإليه يدر على غير مياد فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفرهم بهم فقتل أشراهم وسبي ذراريهم ، ولهذا قال تعالى (سَنَ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا) الآية أى هكذا دأبتنا في الذين كفروا برسولنا وأذوم بخروج الرسول من بين أظهرهم بأنهم العذاب ولولا أنه صلى الله عليه وسلم رسول الرحمة لجامد من النقم في الدنيا مالا قبل لأحد به ، ولهذا قال تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) الآية

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا • وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ بِحَمْدِ اللَّهِ فَكَفَى لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾

يقول تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أمراً له بإقامة الصلوات للكتوبات في أوقاتها (أَمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسِ) قبل لمرورها قاله ابن مسعود ومجاهد وابن زيد وقال هشيم عن مثيرة عن الشعبي عن ابن عباس : دلوكها والها

ورواه نافع عن ابن عمر ورواه مالك في تفسيره عن الزهري عن ابن عمر وقاله أبو برزة الأسلمي وهو رواية أيضاً عن ابن مسعود وجماد وبه قال الحسن والضحاك وأبو جعفر الباقرون وقادة ، وإخارته ابن جرير وعما استشهد عليه ما رواه عن ابن حميد عن الحكم بن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر بن عبد الله قال دعوت رسول الله ﷺ ومن شاء من أصحابه فطمعوا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج جابر الذي ﷺ فقال « اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس » ثم رواه عن سهل بن بكر عن أبي عوانة عن الأسود بن قيس عن نبيح الغزي عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فملى هذا تكون هذه الآية دخل فيها أوقات الصلوات الخمس فمن قوله (لدلولك الشمس إلى غسق الليل) وهو ظلامه وقبل غروب الشمس أخذ منه الظهر والعصر والشرب والعشاء وقوله (وقرآن الفجر) يعني صلاة الفجر ، وقد ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ تواتراً من أقواله وأفعاله بنماصيل هذه الأوقات على ما عليه أهل الإسلام اليوم عما تلقوه خلفاء من سلف وقرناً بعد قرن كما هو مقرر في مواضعه والله الحمد (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) قال الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في هذه الآية (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) قال تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار . وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ، ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر » يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً)

وقال الإمام أحمد حدثنا أسباط حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) قال « تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار » ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ثلاثين عن عبيد بن أسباط ابن محمد عن أبيه وبه قال الترمذي حسن صحيح . وفي لفظ في الصحيحين من طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يتماثلون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويحتمون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر ، فيخرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أنيناكم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون » وقال عبد الله بن مسعود يجمع الحرسان في صلاة الفجر فيصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء . وكذا قال إبراهيم النخعي ومجاهد وقادة وغير واحد في تفسير هذه الآية . وأما الحديث الذي رواه ابن جرير ههنا من حديث الأئمة بن سعد عن زيادة عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي النضر عن رسول الله ﷺ فذكر حديث النزول وأنه تعالى يقول : من يستغفرني أغفر له ، من يسألني أعطيه ، من يدعني فأستجيب له حتى يطلع الفجر . فذلك يقول (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) فيشبهه الله وملائكة الليل وملائكة النهار فانه يرد به زيادة ، وله بهذا حديث في سنن أبي داود . وقوله تعالى (ومن الليل فتجده نائلاً) أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال « صلاة الليل » ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل فإن التهجيد ما كان بعد نوم . قاله علقمة والأسود وإبراهيم النخعي وغير واحد وهو المعروف في لغة العرب ، وكذلك ثبتت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتهجيد بعد نومه عن ابن عباس وعائشة وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم كما هو مبسوط في موضعه والله الحمد ولله ، وقال الحسن البصري هو ما كان بعد العشاء وعمل على ما كان بعد النوم واختلف في معنى قوله تعالى (نائلاً) قيل معناه أنك مخصوص بوجوب ذلك وحده فبصلوا قيام الليل واجباً في حقه دون الأمة رواه العوفي عن ابن عباس وهو أحد قولين للماء وأحد قولين للشاقبي رحمه الله وإخارته ابن جرير ، وقيل إنما جعل قيام الليل في حقه نائلاً على الخصوص لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

وغيره من أمته إنما يكفر عنه صلواته التوفيقية التي عليه . قال مجاهد وهو في السند عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه . وقوله (عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) أي أفضل هذا الذي أمرتك به لتحيك يوم القيامة مقاما محموداً يحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى . قال ابن جرير قال أكثر أهل التأويل ذلك هو المقام الذي يقومه محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليرحمهم ربهم من عظم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم ﴿ ذكر من قال ذلك ﴾ حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبي إسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال : يجمع الناس في صعيد واحد يسمعون الله داعي ويغذم البصر حفاة عراة كاخلقوا قياما لا تكلم نفس إلا بإذنه ينادي يا محمد فيقول « ليك وسعديك ، والحبر في يديك ، والشبر ليس إليك ، وللهدي من هديت ، وعبدك بين يديك ، ومنك وإليك لا منجي ولا ملجأ منك إلا إليك ، تباركت وتعاليت سبحانك رب الميث » فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله عز وجل ، ثم رواه عن بشار عن غندر عن أبي إسحق ، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر والثوري عن أبي إسحق به ، وقال ابن عباس هذا المقام المحمود مقام الشفاعة ، وكذا قال ابن أبي نجیح عن مجاهد وقاله الحسن البصري ، وقال قتادة هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأول شافع ، وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذي قال الله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) قلت لرسول الله ﷺ تشرىفات يوم القيامة لا شرف فيها أحد ، وتشرىفات لا يساويه فيها أحد فهو أول من تنشق عنه الأرض ويبحث رأكبا إلى المحضر وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحت لوائه ، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر واردا منه ، وله الشفاعة العظمى عند الله يأتي لفصل القضاء بين الخلائق وذلك بعد ما سأل الناس آدم ثم نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكل يقول لست لها حق بأنوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول « أنا لما أنا لما » كما سندر ذلك مفصلا في هذا الموضع إن شاء الله تعالى ، ومن ذلك أنه يشفع في أقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها وهو أول الأنبياء يقضى بين أمته وأولهم إجازة على الصراط بأتمته وهو أول شافع في الجنة كما ثبت في صحيح مسلم . وفي حديث الصور أن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة إلا بشفاعته وهو أول داخل إليها وأتمته قبل الأمم كلهم ، ويشفع فيرفع درجات أقوام لا تبشئ أعمالهم وهو صاحب الوسيعة التي هي أعلى منزلة في الجنة لاتلاق إلاه وإذا أذن الله تعالى في الشفاعة للصفة شفع الملائكة والنبون والمؤمنون فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى ولا يشفع أحد مثله ولا يساويه في ذلك ، وقد بسطت ذلك مستقصى في آخر كتاب السيرة في باب الحاصل والله الحمد والمنة ولذكر الآن الأحاديث الواردة في المقام المحمود والله المستعان . قال البخاري حدثنا إسماعيل بن إبان حدثنا أبو الأحوس عن آدم بن علي سمعت ابن عمر يقول إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء كل أمة تتبع نبيا يقولون : يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى محمد ﷺ فذلك يوم يبعث الله مقاما محموداً . ورواه حمزة بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله عن ابن عبد الحكم حدثنا شعب بن الليث ثنا الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر أنه قال سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ « إن الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن فينأى كذاك استأثوا بأدم فيقول لست بصاحب ذلك ، ثم موسى فيقول كذاك ، ثم محمد ﷺ فيشفع بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقه باب الجنة فيؤتم به الله مقاما محموداً . وهكذا رواه البخاري في الزكاة عن يحيى بن بكير وعلقمة عن عبد الله بن صالح كلاهما عن الليث بن سعد . وزاد فيؤتم به الله مقاما محموداً يحمد أهل الجح كليم . قال البخاري وحدثنا علي بن عياض حدثنا شعب بن أبي حمزة عن محمد بن النكسر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محموداً الذي وعدته . حلت له شفاعتي يوم القيامة » انضربه دون مسلم ﴿ حديث أبي بن كعب ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أبو طاهر الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطليل بن أبي بن كعب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر » وأخرجه الترمذي من حديث أبي

عمر عبد الملك بن عمرو المقدى وقال حسن صحيح وابن ماجه من حديث عبدالله بن محمد بن يعقيل به ، وقد قمنا في حديث
أبي بن كعب في رواية القرآن على سبعة أحرف ، قال عليه السلام في آخره « قلت اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي
وأخبرت الثالثة ليوم يرغب إلى فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام » (حديث أنس بن مالك) قال الإمام أحمد حدثنا
يحيى بن سعيد حدثنا سعيد بن أبي عروبة حدثنا قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يجتمع للؤمنين يوم القيامة
فيلبسهم ذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فأراحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر
خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلك أساء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك حتى يرشحنا من مكاننا هذا . فيقول لهم
آدم لست هناكم . ويذكر ذنبه الذي أصاب فيستجي ربه عز وجل من ذلك ويقول ولكن اتوا نوحا فإنه أول رسول بعث الله
إلى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئة سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستجي ربه من ذلك
ويقول ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن . فيأتونه فيقول لست هناكم ولكن اتوا موسى عبدا لله أعطاه
التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس فيستجي ربه من ذلك ويقول ولكن
اتوا عيسى عبدا لله ورسوله وكنه روحه فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن اتوا محمدا غفر الله له ما تقدم من
ذنبه وما تأخر فيأتوني - قال الحسن هذا الحرف - فأقوم فأمتي بين سباطين من المؤمنين - قال أنس - حتى استأذن
علي بن أبي طالب رأيت ربي وقت له - أو خربت - ساجدا لربي فيدعني ماشاء الله أن يدعني فقال - ثم قال ارفع محمد قل
يسمع واشفع تشفع ، وسل تعطه فأرفع رأسي فأجده بتحميد يبلينه ثم أشفع فيحذل حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه
الثانية فإذا رأيت ربي وقت له - أو خربت - ساجدا لربي فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم قال ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه
واشفع تشفع فأرفع رأسي فأجده بتحميد يبلينه ثم أشفع فيحذل حدا فأدخلهم الجنة قال ، ثم أعود الثالثة فإذا رأيت ربي
وقت - أو خربت - ساجدا لربي فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم قال ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه ، واشفع تشفع فأرفع
رأسي فأجده بتحميد يبلينه ثم أشفع فيحذل حدا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود الرابعة فأقول يارب ما بقى إلا من حبسه
القرآن فحدثنا أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « فيخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزين صغيرة ،
ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزين برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في
قلبه من الخير ما يزين ذرة » أخرجه من حديث سعيد به ، وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة عن
ثابت عن أنس بطوله . وقال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا حرب بن ميمون أبو الخطاب الأنصاري عن النضر
ابن أنس عن أنس قال حدثني نبي الله صلى الله عليه وسلم قال « إني قائم أنتظر أمتي تميز الصراط إذ جاءني عيسى عليه السلام
فقال هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون - أو قال يجتمعون إليك - ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث
يشاء الله ثم قام فيه فخلق ملجومون بالقرق ، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة وأما الكافر فيشاه اللوث فقال انتظر
حتى أرجع إليك فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم قام تحت العرش فلقى مالم يلق ملك مصطفي ولا نبي مرسل فأوحى الله عز وجل
إلى جبريل أن اذهب إلى محمد وقل له ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فأمتي أن أخرج من كل تسعة
وتسعين إنسانا واحدا فلما زلت أتردد إلى ربي عز وجل فلا أقوم منه مقام إلا شفت حتى أعطاني الله عز وجل
من ذلك أن قال يا محمد أدخل من أمتك من خلق الله عز وجل من شهد أن لا إله إلا الله يوما واحدا غلصا ومات
على ذلك » (حديث بريدة رضى الله عنه) قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا الأسود بن عامر أخبرنا أبو إسرائيل عن
الحارث بن حضير عن ابن بريدة عن أبيه أنه تدخل على معاوية فإذا رجل يتكلم فقال بريدة يماضيو تأذنى في السلام ؟
فقال نعم وهو يرى أنسيتمكم مثل ما قال الآخر فقال بريدة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني لأرجو أن
أشفع يوم القيامة عدد ما على الأرض من شجرة ومدة » قال فترجوها أنت يماضيو ولا يرجوها على رضى الله عنه
(حديث ابن مسعود) قال الإمام أحمد حدثنا عازم بن الفضل حدثنا سعيد بن الفضل حدثنا سعيد بن زيد حدثنا على
ابن الحكم البناي عن عفان عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن ابن مسعود قال : جاء ابن ملكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم

قَالَ: إِنْ أَمَنَّا تَكْرِمَ الزَّوْجِ وَتَعَطَّفَ عَلَى الْوَلَدِ ، قَالَ وَذَكَرَ الصَّنِيفُ غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ وَأَدَّتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، قَالَ « أَمَكَا فِي النَّارِ » قَالَ قَادِرًا وَالسَّوْدَ بَرَى فِي وَجْهِهِمَا فَأَمَرَ بِهِمَا فَرَجَا وَالسَّرُورَ بَرَى فِي وَجْهِهِمَا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ شَيْءٌ فَقَالَ « أُمَى مَعَ أَمَكَا » فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ التَّائِقِينَ وَمَا بَيْنِي هَذَا عَنْ أُمَى شَيْئًا وَنَحْنُ نَطْفَأُ عَقْبِيهِ . قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَلَمْ أَرْ رَجُلًا قَطُّ أَكْثَرَ سُؤْلًا مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ وَعَدَكَ رَبُّكَ قَبْهَا أَوْفُجَهَا . قَالَ فَنَظُنُّ أَنْهُ مِنْ شَيْءٍ قَدْ صَبَّحَهُ فَقَالَ « مَا شَاءَ اللَّهُ رَبِّي وَمَا أَطْمَعُنِي فِيهِ وَإِنِّي لَأَقُومُ لِلْعَامِ الْمُحَمُّودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » قَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا ذَاكَ لِلْعَامِ الْمُحَمُّودِ ؟ قَالَ ذَاكَ إِذَا جِئَ بِكُمْ حَاضَةً عَرَاةً غَرَلَا فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَكْسِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ أَكْسَا خَلِيلِي فَيُؤْتَى بِرَبِيعَتَيْنِ يِشَاوِينَ قِلْبَسَهُمَا ثُمَّ يَقْعِدُهُ مَسْتَقْبِلَ الْعَرْشِ ثُمَّ أَوْتَى بِكِسْوَتِي فَأَلْبَسَهَا فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ أَحَدٌ فَيُطْفِئُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ » قَالَ وَفُتِحَ لَهْمُ مِنَ السَّكَاوَةِ إِلَى الْحَوْضِ فَقَالَ التَّائِقُ إِنَّهُ مَاجَرَى مَا عَلَى إِطْلَاقِ أَوْ زُرَارَتِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « حَالَهُ لَلْسَكِ وَزُرَارَهُ الْوُؤُؤُ » فَقَالَ التَّائِقُ لَمْ أَسْمَعْ كَالِيَوْمِ فَانْهَ قَالَ جَرَى مَا عَلَى حَالِ أَوْ زُرَارَتِ إِلَّا كَانَ لَهُ نَبْتُ ؟ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَهُ نَبْتُ ؟ فَقَالَ: « نَبْتُ قُضْبَانِ الدَّهَبِ » قَالَ التَّائِقُ لَمْ أَسْمَعْ كَالِيَوْمِ فَانْهَ قَالَ بَنْتُ قُضْبٍ إِلَّا أَوْرَقُ وَإِلَّا كَانَ لَهُ تَمَرٌ قَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَهُ تَمَرٌ قَالَ « نَبْتُ الْوَانِ الْجَوْهَرِ وَمَاؤُهُ أَشَدُّ يَأْسًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ مِنْ شَرِبَ مِنْهُ ثَرِبَ لَا يَنْظُمُ بِهِدَمٌ مِنْ حَرَمٍ لَمْ يَرَوْهُ » وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ حَدَّثَنَا عِجِّي بْنُ سَلَمَةَ بْنِ كَبِيلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي الزُّعْرَاءِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : ثُمَّ يَأْذَنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الشَّفَاعَةِ فَيَقُومُ رُوحُ الْقُدُسِ جِبْرِيلُ ثُمَّ يَقُومُ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ ثُمَّ يَقُومُ عِيسَى أَوْ مُوسَى قَالَ أَبُو الزُّعْرَاءِ لَا أَدْرِي أَجَمًّا قَالَ : ثُمَّ يَقُومُ نَبِيُّكَ ﷺ رَابِعًا فَيَشْفَعُ لَا يَشْفَعُ أَحَدٌ بَعْدَهُ أَكْثَرًا مِمَّا شَفَعَ وَهُوَ الْقَامُ الْمُحَمُّودُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (عِيسَى أَنْ يَشْفَعَ لَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مُحَمَّدًا) (حَدِيثُ كُتُبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ عَبْدِ رَحْمَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا الزُّبَيْدِيُّ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كُتُبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ كُتُبِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « يَشْفَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمِّي عَلَى تَلٍّ وَيَكْسُوَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ حُلَّةَ خُضْرَاءٍ ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَتُوبَ فَبِذَلِكَ الْقَامُ الْمُحَمُّودُ » (حَدِيثُ أَبِي الرِّدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا حَسَنُ حَدَّثَنَا ابْنُ لُحَيْعَةَ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبْرِ عَنْ أَبِي الرِّدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بِالسُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ فَأَنْظُرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيَّ فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ وَمَنْ خَلْفِي مِثْلَ ذَلِكَ وَعَنْ يَمَانِي مِثْلَ ذَلِكَ » قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ فَبِأَيِّ بَيْنِ نُوْحٍ إِلَى أُمَّتِكَ ؟ قَالَ « هُمْ عَرَجُ حُجُلُونَ مِنْ أُمَّتِ الْوَضُوءِ لَيْسَ أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ وَأَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِأَيْتَانِهِمْ وَأَعْرِفُهُمْ كَيْسِي مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ذَرِيَّتُهُمْ »

(حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ حَدَّثَنَا عِجِّي بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانٍ حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ بْنُ حَمْرٍو بْنِ جَبْرِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلِّغْهُمْ قُرْآنَهُ إِلَى الدَّرَاجِ وَكَانَتْ تَجِبُهُ قُرْآنُهُ مِنْهَا نَبْهَةٌ ثُمَّ قَالَ « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَاكَ ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يَسْمَعُهُمُ اللَّهُ وَيَنْفَعُهُمُ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَلْبِغُ النَّاسَ مِنَ التَّمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يَطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ الْآتُونَ مَا آتَمَ فِيهِ عَمَّا قَدْ بَلَّغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ عَلَيْكُمْ بِأَكَمَ فَيَأْتُونَ أَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ يَا أَدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ يَدُهُ وَخَضَعَ فَيْكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَمَجِدُوا ذَاكَ فَخَفَعْنَا لَكَ إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا ؟ فَيَقُولُ أَدَمُ إِنَّ رُبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَانْهَ قَدْ نَهَى عَنْ الشَّجَرَةِ فَصَبَّيْتُ نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى نُوْحٍ ، فَيَأْتُونَ نُوْحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوْحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَقَدْ صَالَكَ اللَّهُ عِبَادًا شُكْرًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا فَيَقُولُ نُوْحٌ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ

يغضب بعده مثله قط وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قوى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم .
 فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا
 ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله فذكر كذباته
 نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى أنت رسول الله
 اصطفاك الله برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول
 لهم موسى إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها
 نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلته ألقاها
 إلى مريم وروح منه وكلت الناس فى الهدى صيأ فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول
 لهم عيسى إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً نفسى نفسى اذهبوا
 إلى غيرى اذهبوا إلى محمد ﷺ ، فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء
 وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأقوم
 فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى عز وجل ثم يفتح الله على ويلمضى من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على
 أحد قبلى ، فيقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع . فأرفع رأسى فأقول أمق يا رب أمق يا رب أمق يارب ؟
 فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيها سوى ذلك
 من الأبواب ، ثم قال والذى نفس محمد بيده إن ما بين للصراعين من مصارع الجنة كما بين مكة وجهراً وكأين مكة
 وبصرى ، أخرجه فى الصحيحين . وقال مسلم رحمه الله حدثنا الحكم بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الأوزاعى حدثنى
 أبو عمار حدثنى عبد الله بن فروخ حدثنى أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول
 من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع » وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن داود بن
 يزيد الزعفرانى عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً)
 سئل عنها فقال « هى الشفاعة » رواه الإمام أحمد عن وكيع عن عبيد بن عبيد عن داود عن أبيه عن أبي هريرة عن
 النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) قال « هو المقام الذى أشفع لأمتى فيه »
 وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن على بن الحسين قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كان يوم القيامة
 مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه فقال النبي صلى الله عليه وسلم - فأكون أول
 من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن تبارك وتعالى والله ما رآه قبلها ، فأقول أى رب إن هذا أخبرنى أنك أرسلته
 إلى يقول الله عز وجل صدق ثم أشفع فأقول يا رب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض قال فهو المقام المحمود »
 وهذا حديث مرسل

« وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِّىْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا * وَقُلْ
 جَاءَ الْحَقُّ وَزَقُّوا الْبَاطِلَ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوْقًا »

قال الإمام أحمد حدثنا جرير عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال كان النبي ﷺ بمكة ثم
 أمر بالهجرة فأنزل الله (وقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِّىْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا)
 وقال الترمذى حسن صحيح ، وقال الحسن البصرى فى تفسير هذه الآية : إن كفار أهل مكة لما اتهموا برسول الله
 صلى الله عليه وسلم لقتلوه أو يطردهوه أو يوثقوه فأراد الله تعالى أهل مكة أمرهم أن يخرج إلى المدينة فهو الذى قال الله
 عز وجل (وقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ) الآية ، وقال قتادة (وقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ)

بني المدينة (وأخرجني مخرج صدق) يعني مكة ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا القول هو أشهر الأقوال وقال الموفى عن ابن عباس (أدخلني مدخل صدق) يعني اللوت (وأخرجني مخرج صدق) يعني الحياة بعد اللوت ، وقبل غير ذلك من الأقوال والأول أصح وهو اختيار ابن جرير . وقوله (واجبلي من ليلتك سلطاناً نصيراً) - قال الحسن البصري في تفسيره - هادعه رب ليلتين ملك فارس وعز فارس وليجعله ، وملك الروم وعز الروم وليجعله . وقال قتادة فيها إن نبي الله صلى الله عليه وسلم علم أن لاطاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله ، ولحدود الله ، ولقراض الله ، ولإقامة دين الله فإن السلطان رحمة من الله جلّه بين أظهر عباده ولولا ذلك لأغار بهم على بعض فأكل شديد من ضيقهم قال مجاهد (سلطاناً نصيراً) حجة بينة ، واختار ابن جرير قول الحسن و قتادة وهو الأرجح لأنه لا يذهب مع الحق من قهر لمن عاداه وتناوأه ولهذا يقول تعالى (لقد أرسلنا رسلاً بالبينات - إلى قوله - وأنزلنا الحديد) الآية . وفي الحديث « إن الله يرزق بالسلطان مالا ينزع بالقرآن » أي ينجع بالسلطان عن ارتكاب القواش والآثام ما لا يتبع كثير من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد وهذا هو الواقع . وقوله (وقل جاء الحق وزهق الباطل) الآية : تهديد وعيد لكفار قریش فانه قد جاءهم من الله الحق الذي لا مرام فيه ولا قبل لهم به وهو ما بهت الله به من القرآن والإيمان والعلم النافع وزهق باطلهم أي اضمحل وهلك ، فإن الباطل لا يثبت له مع الحق ولا بقاء (بل قد فز الحق على الباطل فيدمنه فإذا هوزاهق) وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي عمر عن عبد الله بن مسعود قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثة نصب فقبل بطعن يهود في يده ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . جاء الحق وما يبدى الباطل وما يبيد » وكذا رواه البخاري أيضاً في غير هذا الموضع ومسلم والترمذي والنسائي كلهم من طرق عن سفيان بن عيينة به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن ابن أبي نجيح به .

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا شبابة حدثنا الثوري حدثنا أبو الزبير عن جابر رضي الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله ﷺ مكة وحول البيت ثلثة وثلاثون سنة بعد من دون الله . فأمر بها زحول الله ﷺ فأكبت على وجوهها وقال « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » .

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَاءَهُ شِفَاءً وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خُسَارًا ﴾

يقول تعالى خبراً عن كتابه الذي أنزله على رموه محمد ﷺ وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد إنه شفاء ورحمة للمؤمنين أي يذهب مافي القلوب من أمراض من شك وفاق وشرك وزين وبيل فالقرآن يشفي من ذلك كله وهو أيضاً رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه فانه يكون شفاء في حقه ورحمة ، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيد سماعه إقرآن إلا يبدد وكفراً والآفة من الكافر لامن القرآن كقوله تعالى (قل هو الذي آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) وقال تعالى (وإذا ما أنزلت سورة فهم من يقول آيكم زادت هذه إيماناً * فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم ومآواهم النار) والآيات في ذلك كثيرة ، قال قتادة في قوله (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) إذا صممه للمؤمن اتنع به وحفظه ووعاه (ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) أي لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يبعه فانه جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين

﴿ وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى حِمَاهُ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُكُفِّرُ ۚ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِيضِكُمْ أَكْمَلُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾

غير تعالى عن قس الانسان من حيث هو إلا من عصمه الله تعالى في حالتي السراء والضراء فإنه إذا أنعم الله عليه بال ومافية ونجح ورزق ونصر وتال ما يريد أعرض عن طاعة الله وعبادته ونأى بجانبه. قال مجاهد بعد عنا قلت وهذا كقوله تعالى (فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره) وقوله (فلما نجما إلى البر أمرتم) وبأنه إذا مسه الشئ وهو المصاب ، والحوادث والثواب (كان ثوباً) أى قط أن يمدد يحصل له بذلك خير كقوله تعالى (ولئن أدقنا الانسان منارحة ثم نزعناها منه إنه ليؤمن كفور) ولئن أدقناه لنماد بعد ضراء مسته ليقول ذهب الميتات عن إنه لفرح قخور * إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) وقوله تعالى (قل كل يعمل على شاكته) قال ابن عباس على حاجته . وقال مجاهد على حديثه وطيبته . وقال قتادة على نيته . وقال ابن زيد دينة وكل هذه الأقوال متقاربة في اللق . وهذه الآية والله أعلم تهديد للمشركين ووعيد لهم كقوله تعالى (وقل للذين لا يؤمنون أعمالوا على مكائسكم) الآية . ولهذا قال (قل كل يعمل على شاكته فربكم أعلم من هو أهدى سبيلا) أى منا ومنكم وسيجزى كل عامل بمعمله فإنه لا تخفى عليه خافية

(وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)

قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنت أمتى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرت في المدينة وهو متوكئ على عسيب لم يرقم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح : وقال بعضهم لا تسألوه . قال فسألوه عن الروح فقالوا يا عجمي ما روح ؟ فإنا لم متوكئنا على العسيب قال فقلت أنه يوحى إليه فقال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمرى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) قال : فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه . وهكذا رواه البخارى ومسلم من حديث الأعمش به ولفظ البخارى عند تفسيره هذه الآية عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : بينا أنا أمتى مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرت وهو متوكئ على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال ما رأيكم إليه ، وقال بعضهم لا يستجيبكم شئ متكروهون . فقالوا سلوه فسألوه عن الروح فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً فعلت أنه يوحى إليه فقصت مقامى فلما نزل الوحي قال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمرى) الآية وهذا السياق يقتضى فيما يظهر بآدى الرأى أن هذه الآية مدنية وأنها نزلت حين سألها اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية . وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك أو أنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سألوهم بالآية المتقدم إنزالها عليه وهى هذه الآية (ويسألونك عن الروح) ومما يدل على نزول هذه الآية بمكة ما قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا يحيى بن زكريا عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : قالت قريش يهود أعطونا شيئاً نسألكم هذه الرجل فقالوا سلوه عن الروح فسألوه فنزلت (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمرى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) قالوا أوتيتنا علماً كثيراً أوتيتنا التوراة ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيراً كثيراً قال وأنزل الله (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر) الآية . وقد روى ابن جرير عن محمد بن النضر عن عبد الأعلى عن داود عن عكرمة قال سأل أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح فأئزل الله (ويسألونك عن الروح) الآية فقالوا نزعنا أنما لم نؤت من العلم إلا قليلا وقد أوتيتنا التوراة وهى الحكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) قال فنزلت (ولأنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر) الآية قالما أوتيت من علم فتجاءم الله به من النار فهو كثير طيب وهو في علم الله قليل

وقال محمد بن إسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت بمكة (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أجبار يهود وقالوا يا محمد ألم يملنا عنك أنك تقول (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) أوتيتنا أم عنيت قومك فقال « كلا قد عنيت » فقالوا إنك تتلوأنا أوتيتنا التوراة وفيها تبين كل شئ

فقال رسول الله ﷺ « هي في علم الله قليل وقد أتاكم الله ما إن علمتم به انتقم » وأزل الله (ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر عوده من معدن سبعة أجهر ما تعدت كلمات الله إن الله عزير حكيم)
وقد اختلف للفسرون في المراد بالروح هنا على أقوال (أحدها) أن المراد أرواح بني آدم وقال الوقي عن ابن عباس في قوله (ويسألونك عن الروح) الآية وذلك أن اليهود قالوا لنبى ﷺ أخبرنا عن الروح وكيف تصب الروح القى في الجسد وإنما الروح من الله ولم يكن نزل عليه فيه شيء فلم يجر إليهم شيئا فأتاه جبريل فقال له (قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) فأنخبرهم النبى ﷺ بذلك فقالوا من جاءك بهذا قال جاءنى به جبريل من عند الله فقالوا له والله ما قاله لك إلا عدونا فأزله الله (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه) وقيل للمراد بالروح هنا جبريل فإنه قنادة قال وكان ابن عباس يكتمه ؛ وقيل المراد به ههنا ملك عظيم بقدر الخسوفات كلها ؛ قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله (ويسألونك عن الروح) يقول الروح ملك . وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس للمصرى حدثنا وهب بن روى بن هيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعى حدثنا عطاء عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لله ملكا لو قيل له انتم السموات السبع والأرضين بقعة واحدة فصل ، تسيحه سبعانك حيث كتبت » وهذا حديث غريب بل منكبر . وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنى على حدثنى عبد الله حدثنى أبو مروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية عمن حدثه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال فى قوله (ويسألونك عن الروح) قال هو ملك من الملكة لسبعون ألف وجه لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها خلق الله من كل تسيحة ملكا يطير مع الملكة إلى يوم القيامة وهذا أثر غريب عجيب والله أعلم . وقال السهيلي روى عن على أنه قال : هو ملك له مائة ألف رأس لكل رأس مائة ألف وجه فى كل وجه مائة ألف ثم فى كل ثم مائة ألف لسان يسبح الله تعالى بلفظ مختلفة . قال السهيلي وقيل للمراد بذلك طائفة من الملكة على صور بنى آدم ، وقيل طائفة يرون للملكة ولا تراهم فهم للملكة كالملكة لبنى آدم ، وقوله (قل الروح من أمر ربى) أى من شأنه وما استأثر بطفه دونكم ولهذا قال (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) أى وما أطلعكم من علمه إلا على القليل فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى ، والمعنى أن علمكم فى علم الله قليل وهذا الذى تسألون عنه من أمر الروح مما استأثر به تعالى ولم يطلعكم عليه كما أنه لم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى ، وسيأتى إن شاء الله فى قصة موسى والحضر أن الحضر نظر إلى عصفور وقع على حافة السفينة فنقر فى البحر فقرة أى شرب منه فنفقاه فقال يا موسى ما علمى وعلمك وعلم الخلاق فى علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه ولهذا قال تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) وقال السهيلي قال بعض الناس لم يجهم همما سألوا لأنهم سألوا على وجه التثنية وقيل أجابهم . وعول السهيلي على أن المراد بقوله (قل الروح من أمر ربى) أى من شرعه أى فادخلوا فيه وقد علمت ذلك لأنه لا سبيل إلى معرفة هذا من طبع ولا فلسفة وإنما ينال من جهة الشرع وفى هذا المسلك الذى طرقة وسلكه نظر والله أعلم . ثم ذكر السهيلي الخلاف بين العلماء فى أن الروح هى النفس أو غيرها وقرر أنها ذات لطيفة كالنفس واسارية فى الجسد كسريان الماء فى عروق الشجر وقرر أن الروح القى يتفخها الملك فى الجنين هى النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها بيبه صفات منح أو فم هى إمراض مطمئنة أو أمارة بالسوء ، قال كما أن الماء هو حياة الشجر ثم يكسب بسبب اختلاطه معها إمراضا خاصا فإذا اصل البنية وعصر منها صار ماء مطارا أو خرا ولا يقال له ماء حيث لا على سبيل الجواز ، وكذا لا يقال للنفس روح إلا على هذا النحو وكذا لا يقال للروح نفس إلا باعتبار ما تؤول إليه ، فحاصل ما تؤول إن الروح هى أصل النفس وادانتها والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن فهى من وجه لا من كل وجه وهذا معنى حسن والله أعلم . قلت وقد تكلم الناس فى ماهية الروح وأحكامه وسفوا فى ذلك كتابا ومن أحسن من تكلم على ذلك الحافظ ابن منده فى كتاب صفاته فى الروح

﴿وَلَيْنَ شَيْئًا لَّنْذَهَبَ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا وَيَكِيلًا ۖ إِلَّا رِزْقًا مِّن رَّبِّكَ إِن فَضَّلَهُ كَانَتْ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۚ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۚ وَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾

يذكر تعالى نعمته وفضله العظيم على عبده ورسوله الكريم ﷺ في أوحاه إليه من القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال ابن مسعود رضى الله عنه بطرق الناس ربع حراء بيني في آخر الزمان من قبل الشام فلا يبق في مصحف رجل ولا في قلبه آية ثم قرأ ابن مسعود (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) الآية ثم نبه تعالى على شرف هذا القرآن العظيم فأخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم وافقهوا على أن يأتيوا بمثل ما أنزله على رسوله لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا فإن هذا أمر لا يستطيعون وكيف يشبه كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثال له ولا عدل له وقد روى محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في شر من اليهود جاءوا رسول الله ﷺ فقالوا له إنا نأتيك بمثل ما جئتناه فأنزل الله هذه الآية . وفي هذا نظر لأن هذه السورة مكية وسيأتي كله مع قريش ، واليهود إنما اجتمعوا به في المدينة فأنزل الله أعلم . وقوله (ولقد صرفنا للناس) الآية . أى بينا لهم الحجج والبراهين القاطعة ووضحنا لهم الحق وشرعناهم وبسطناه ومع هذا فأبى أكثر الناس إلا كفورا أى جعولوا للحق وردا للصواب

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبْهُوعًا ۚ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّجِيلٍ وَعَنْبٍ فَتَقْجِرَ الْأَنْهَارُ خِلْفَهَا فَيَجِيرَ ۚ أَوْ نَسْفِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِلَهُ وَالْمَلَكَةِ قَبِيلًا ۚ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِزُخْرَفِكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِفَّةً هَرَبُوكَ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾

قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن إسحاق حدثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلا من بني عبد الدار وأبا البختري أخا بني أسد والأمود بن المطلب بن أسد وزعمة بن الأسود والوليد بن القيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والماس بن وائل ونبها ومنها ابني الحجاج السهميين اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ايتوا إلى محمد فكلوه وخاصموه حتى تخذلوا فيه ، فبشوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك . فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سرايا وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بداء . وكان عليهم حرصا يحب رشدهم ويمز عليه عتتهم حتى جلس إليهم ، فقالوا يا محمد : إننا قد بشنا إليك للمزنيك وإننا والله مانظم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفنت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة لما بقي من قبيلع إلا وقد جثته فينا وبيننا وبينك ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جئناك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك ربنا تراه قد غلب عليك . وكانوا يسعون التابع من الجن الرئي - فرجما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرك منه أو نضد فيك .

قصوراً • بل كذبوا بالساعة وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً . وقوله تعالى (حتى تجر لنا من الأرض يبنوا)
 ينبوع : العين الجارية سألوه أن يجري لهم عينا مينا في أرض الحجاز ههنا وههنا وذلك سهل على الله تعالى يسر
 لو شاء لقوله ولأجابه إلى جميع ما سألوا وطلبوا ولكن علم أنهم لا يهتدون كما قال تعالى (إن الذين حقت
 عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) وقال تعالى (ولو أننا نزلنا إليهم
 للآلئكة وكلمهم للورى وحضرنا عليهم كل شيء قبل ما كانوا ليؤمنوا) الآية . وقوله تعالى (أو تسقط السماء كما سحبت) أى
 أنك وعدتنا أن يوم القيامة تنشق فيه السماء وتسمى وتزلى أطرافها فمبجل ذلك في الدنيا وأسقطها كسفا أى قطعاً كقولهم
 (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) الآية وكذلك سأل قوم شعيب منه فقالوا
 (أسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين) فماتهم الله بسذاب يوم الظلة أنه كان عذاب يوم عظيم ،
 وأما نبي الرحمة ونبي التوبة للبعوث رحمة للعالمين فقال انظروا وتأجيلهم لعل الله أن يخرج من أسلاهم من عبده
 لا يترك به عينا وكذلك وقع فلان من هؤلاء الذين ذكروا من أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه حتى عبد الله بن أبي أمية
 الذي تبع النبي ﷺ وقال له ما قال أسلم إسلاماً تاماً وأتاب إلى الله عز وجل . وقوله تعالى (أو يكون لك بيت
 من زخرف) قال ابن عباس ومجاهد وقادة هو الذهب ، وكذلك هو في قراءة ابن مسعود أو يكون لك بيت من
 ذهب (أو ترق في السماء) أى تصد في سلم ونحن ننتظر إليك (ولن يؤمن لريقك حتى نزل علينا كتاباً أقرؤه)
 قال مجاهد أى مكتوب فيه إلى كل واحد واحد صحيفة هذا كتاب من الله لقلان بن فلان تصبغ موضوعة عند رأسه ،
 وقوله تعالى (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا) أى سبحانه وتعالى وتقدس أن يقدم أحد بين يديه في أمر
 من أمور سلطانه ولم يكن به لعل الفعل لا يشاء إن شاء أجابكم إلى ما سألتهم وإن شاء لم يجبكم وما أنا إلا رسول
 إليكم أبلغكم رسالات ربي وأصح لكم وقد فعلت ذلك وأمركم فيما سألت من الله عز وجل
 قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا علي بن إسحق حدثنا ابن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن جرح عن
 ابن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال « عرض على ربي عز وجل ليصل لي بطعام مكة فغضباً قلت
 لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً - أو نحو ذلك - فلذا جئت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شئت حمدتك
 وشكرتك » ورواه الترمذي في الزهد عن سويد بن نصر عن ابن المبارك به وقال هذا حديث حسن وعلى بن يزيد
 يصف في الحديث

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَشَرًا يَمْلِكُنَا رَسُولًا • قُلْ لَوْ كَانَ
 فِي الْأَرْضِ مِثْلُكَ مَبْشُورٌ مُّطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾

يقول تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا أي أكرمهم) أن يؤمنوا) ويتابعوا الرسل إلا استعجابهم من بعثة البشر رسلا
 كما قال تعالى (أ كان للناس عيباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وجبر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند
 ربهم) وقال تعالى (ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبرر يهودنا) الآية . وقال فرعون ومؤذو (أنؤمن
 لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) وكذلك قال الأمم لرسلهم (إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد
 آباؤنا فأتونا بسلطان مبين) والآيات في هذا كثيرة ، ثم قال تعالى منها على لطفه ورحمته مبيد أنه يبعث إليهم الرسول
 من جنسهم ليقتلوا عنه ويضعوا منه لحسنهم من مخاطبته ومكانته ولو بعث إلى البشر رسولا من اللاتكلام استطاعوا
 مواجهته ولا الأخذ عنه كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) وقال تعالى (لقد
 جاءكم رسول من أنفسكم) وقال تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويملككم الكتاب
 والحكمة ويسلمكم ما لم تكونوا تعلمون • فلذا كروني أذكركم واتكروا ولا تكفرون) ولهذا قال ههنا (قل لو كان

في الأرض ملائكة يشئون مطمئنين) أى كَأْتَمَ فِيهَا (لئلا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) أى من جنسهم. ولا كنتم أنتم بشراً يشفائكم رسلنا منكم لطفاً ورحمة

(قُلْ كَفَىٰ يَٰأَيُّهَا الشَّهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِبَيَادِرِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا)

يقول تعالى مرشداً نبيه ﷺ إلى الحجة على قومه في صدق ما جاءهم به إنه شاهد على وعليكم ، عالم بما جئكم به فلو كنتم كاذباً عليه لانتم مني أشد الانتقام كما قال تعالى (ولو تحول علينا بض الأذويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) وقوله (إنه كان بياده خبيراً بصيراً) أى علياً بهم بمن يستحق الانعام والإحسان والمداية ممن يستحق العقاب والاضلال والازافة ولهذا قال :

(وَمَنْ يَتَذَكَّرْهُ اللَّهُ فَلَهُ الْهُدَىٰ وَكَانَ خَيْرًا لِّمَنْ يُضِلُّ فَلَنْ تَعِدَّ لَهُمْ أُولَٰئِكَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عُتْبًا وَبَكَاءٌ مَّا وَهُمْ جَهَنَّمَ كَلَمًا خَبَثَ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا)

يقول تعالى خبراً من صرفة في خلقه وشؤده حكمه وأنه لا مضب له بأنه من يده فلا مضل له ومن يضل فلن تجد لهم أولياء من دونه أى يهدونهم كما قال (من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) وقوله : (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) قال الإمام أحمد حدثنا ابن عمر حدثنا إسمايل عن نفع قال سمعت أنس بن مالك يقول : قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال « ألقى أمشام على أرجلهم قادر على أن يحشهم على وجوههم » وأخرجه في الصحيحين وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا الوليد بن جميع القرشي عن أبيه عن أبي الطفيل عامر بن واثقه عن حذيفة بن أسيد قال : قام أبو ذر فقال يا بني غفار قولوا ولا تحلقوا لأن الصادق للصديق حدثني أن الناس يحشرون على ثلاثة أنواع ، فوج رأكبين طامعين كاسين ، وفوج يمشون ويسمون ، وفوج تسحبهم للملائكة على وجوههم وتحشرون إلى النار ، فقال قائل منهم هذان قد عرفناهما فما بال الذين يمشون ويسمون ؟ قال « يلقى الله عز وجل الآفة على الظهر حتى لا يبقى ظهر حتى إن الرجل لتكون له الحديقة للحببة فيعطها بالشارف ذات القتب فلا يقدر عليها » وقوله (عتياً) أى لا يصرون (وبكاء) يعنى لا ينطقون (وصفاً) لا يسمعون وهذا يكون في حال دون حال جزاء فلم كانوا في الدنيا بكاء وصفاً عن الحق فجزوا في عيشهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه (مأوام) أى منقلبهم ومصيرهم (جهنم كلاً خبت) قال ابن عباس سكنت ، وقال مجاهد طقت (زدناهم سعيراً) أى لهباً ووهجاً وجراً كما قال (غلظوا فلن تزيدكم إلا عذاباً) .

(ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِبَيِّنَاتٍ وَقَالُوا أَهَذَا كُنُفٌ عَظِيمٌ وَرَفَعْنَا أَعْيُنًا لِّمَنُوءُونَ خَلَقْنَا جَدِيدًا ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ قَالُوا أَنُظَلُّونَ إِلَّا كُفُورًا)

يقول تعالى هذا الذى جازيناهم به من البعث على المعى والبسك والسم جزاؤهم الذى يستحقونه لأنهم كذبوا (بآياتنا) أى بأدلتنا وحجتنا واستمدوا وقوع البعث (وقالوا أهذا كنا عظاماً ورفاتاً) أى بالية نخرة (أنما لمبرمئون خلقاً جديداً) أى بعد ما صرنا إلى ما صرنا إليه من البلى والمهلك والتفرق والتهاب في الأرض نعاد مرة ثانية ؟ فاحتج تعالى عليهم ونهيبهم على قدره على ذلك بأنه خلق السموات والأرض قديرته على إعادتهم أسهل من ذلك كما قال : (خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقال (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يمس

خالقهم بقادر على أن يحيى الموتى (الآية وقال) أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم • إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (إلى آخر السورة . وقال ههنا (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم) أى يوم القيامة يعيد أبنائهم وينشئهم نشأة أخرى كما بدأهم ، وقوله (وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه) أى جعل لاعادتهم وإقامتهم من قبورهم أجلاً مضروباً ومدة مقدرة لا بد من انقضاءها كما قال تعالى (وما تؤخره إلا لأجل معدود) وقوله (فإبى الظالمون) أى بعد قيام الحجة عليهم (إلا كفوراً) إلا تعادياً فى باطلهم وضلالهم .

﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَوْرًا ﴾

يقول تعالى لرسوله صلات الله وسلامه عليه قل لهم يا محمد لو أنكم أيها الناس تملكون التصرف فى خزائن الله لأمسكتم خشية الإنفاق قال ابن عباس وقتادة أى الفقر أى خشية أن تنهبوها مع أنها لا تفرغ ولا تنفد أبداً لأن هذا من طباعكم وسجاىكم ولهذا قال (وكان الإنسان قورا) قال ابن عباس وقتادة أى يغلا منوعاً ، وقال الله تعالى (ثم لم نصيب من تلك فإذا لا يؤتون الناس حقاً) أى لو أن لهم نصيباً فى ملك الله لما أعطوا أحداً شيئاً ولا مقدار تغير والله تعالى يصف الإنسان من حيث هو إلا من وفقه الله وهده فأن البخل والجور والميل صفة له كما قال تعالى (إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا للصلين) ولهذا نظائر كثيرة فى القرآن العزيز وبدل هذا على كرمه وجوده وإحسانه وقد جاء فى الصحيحين « يد الله ملائى لا يفيسها ثقة سحاء الليل والنهار أرايت ما أتفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يفض ما فى يمينه »

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ آيَاتِنَا فَتَنَّا ۖ فَتَنَّا بَنِي إِسْرَٰءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۚ قَالَ قَدْ عَلِمْتُ مَا أُنْزِلُكَ بِهِ ۖ وَلَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَٰئِرٍ ۖ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ بُرْهَٰنٌ مِّنْ مَّبْرُورٍ ۚ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ ۚ وَمَنِ مِمَّ جَمِيعًا ۚ وَقُلْنَا مَنِ بَدَّلَ رَبِّي إِسْرَٰءِيلَ ۚ أَشْكُلُوا الْأَرْضَ ۚ فَلَمَّا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَاقِيًا ۚ ﴾

غير تعالى أنه بحث موسى تسع آيات بينات وهى الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيها أخبر به عن أرسه إلى فرعون وهى الصا واليد والسنين والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات قاله ابن عباس وقال محمد بن كعب هى اليد والصا والجش فى الأعراف والطمس والحجر ، وقال ابن عباس أيضاً وجاهد وعكرمة والشعي وقتادة هى يده وعصاه والسنين وهى الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وهذا القول ظاهر جلى حسن قوى ، وجعل الحسن البصرى والسنين وهى الثمرات واحدة وعنده أن التاسعة هى تلقف الصا ما يافسون (فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) أى ومع هذه الآيات ومشاهدتهم لها كفروا بها وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً وما نجت منهم ، فكذلك لو أبجنا هؤلاء الذين سألوا منك مسألاً وقالوا لن تؤمن لك حتى تخبر لنا من الأرض ينبوعاً إلى آخرها لما استجابوا ولا آمنوا إلا أن يشاء الله كما قال فرعون لموسى وقد شاهد منه ما شاهد من هذه الآيات (إنى لأظنك يا موسى مسحوراً) قيل بمعنى ساحر والله تعالى أعلم ، فهذه الآيات التسع التى ذكرها هؤلاء الأئمة هى للزادة ههنا وهى النية فى قوله تعالى (وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يقبِ بموسى لا تخف — إلى قوله فى تسع آيات — إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين) فذكر هاتين الآيتين الصا واليد وبين الآيات الباقيات فى سورة الأعراف وفصلها . وقد أوتى موسى عليه السلام آيات

آخر كثيرة منها ضربه الحجر بالصا وخروج الماء منه ومنها تقطيعهم بالصام وإنزال اللن والسواى وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ولكن ذكر هنا التسع الآيات التى شاهدتها فرعون وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فخالقوها وباندوها وكفروا وجحدوا . فأما الحديث الذى رواه الإمام حدثنا يزيد حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن سلفة يحدث عن صفوان بن عسال الرادى رضى الله عنه قال : قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبى حى نسأله عن هذه الآيات (وقد آتينا موسى تسع آيات بينات) فقال لائل له نبى فإنه لو سمك لصارت له أربع أعين فسأله فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا تكبروا بالله هيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا تسحرروا ولا تأكلوا الربا ولا تشموا يرى ، إلى ذى سلطان يفتقه ولا تقذفوا حصنة . أو قال لا تظفروا من الخرف شعبة الشاك . وأثم يهود عليكم خاصة أن لا تصدوا فى السبت » قبل يديه ورجليه وقال تشهد أنك نبى قال « فما بمنكا أن تتيمانى ؟ » قال لأن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبى وأنا نعى إن أسلنا أن نختلنا يهود . فهذا حديث رواه هكذا الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن جرير فى تفسيره من طرق عن شعبة بن الجبلج به وقال الترمذى حسن صحيح . وهو حديث مشكل وعبد الله بن سلفة فى حفظه شيء وقد تكلموا فيه ولله اشبهه عليه التسع الآيات بالشر الكلمات فاتها وصايا فى التوراة لالعلق لها بقيام الحجة على فرعون والله أعلم ، ولهذا قال موسى لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر) أى حجباً وأدلة على صدق ما جئت به (وإن لأظنك يافرعون مشبوراً) أى هالكاً قاله مجاهد وقناة ، وقال ابن عباس ملعونه ، وقال أيضاً هو والضحاك (مشبوراً) أى مغلوباً والمالك كما قال مجاهد هذا كله قال الشاعر :

إذا جارى الشيطان فى سنن الله • ومن ماله ميه مشبور

وقرأ بعضهم برفع التاء من قوله علمت وذلك عن طى بن أبى طالب ولكن قراءة الجمهور بفتح التاء على الخطاب لفرعون كما قال تعالى (فلما جاءهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا) الآية فهذا كله مما يدل على أن المراد بالتسع الآيات إنما هى ما تقدم ذكره من الصا واليد والسنين وقس من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم التى فيها حجب إبراهيم على فرعون وقومه وخوارق ودلائل على صدق موسى ووجود القاعل المختار الذى أرسله ، وليس المراد منها كما ورد فى هذا الحديث فإن هذه الوصايا ليس فيها حجب على فرعون وقومه وأى مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون ؟ وما جاء هذا الوهم إلا من قبل عبد الله ابن سلفة فإن له بعض ما ينكر والله أعلم . ولعل ذلك اليهوديين إنما سألوا من الشر الكلمات فاشتبه على الراوى بالتسع الآيات فصلل وهم فى ذلك والله أعلم بقوله (فأراد أن يستغفر من الأرض) أى يخلص منها ويخلصهم عنها (فأغفرناه ومن معه جميعاً وقتلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض) وفى هذا بشارة لمحمد ﷺ بفتح مكة مع أن السورة مكية نزلت قبل الهجرة وكذلك وقع فإن أهل مكة هموا بإخراج الرسول منها كما قال تعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها) الآيتين ولهذا أورث الله رسوله مكة فدخلها عنوة على أشهر القولين وقهر أهلها ثم أطلقهم حفا وكراً كما أورث الله القوم الذين كانوا يستغفرون من بنى إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها وأورثهم بلاد فرعون وأموا لهم ووزروهم وعارهم وكنوزهم كما قال كذلك وأورثها لبنى إسرائيل وقال هبنا (وقتلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لقياً) أى جميعكم أثم وعدكم ، قال ابن عباس ومجاهد وقناة والضحاك : لقياً أى جميعاً

(وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا • وَفَرَمَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ وَتُزَكِّيَهُمْ تَبَارَكَ)

يقول تعالى خبرنا عن كتابه العزيز وهو القرآن المجيد إنه بالحق نزل أى متنعنا للحق كما قال تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنه بطله وللآنكة يشهدون) أى متنعنا علم الله الذى أراد أن يطلعكم عليه من أحكامه وأمره ونبيه وقوله (والحق نزل) أى ونزل إليك يا محمد محفوظا محروسا لم يشب بغيره ولا زيد فيه ولا نقص منه بل وصل إليك بالحق فانه نزل به شديد القوى الأمين للكين للطاع فى اللأ الأعلى وقوله (وما أرسلناك) أى يا محمد (إلا مبشرا ونذيرا) مبشرا لمن أطاعك من المؤمنين ونذيرا لمن عصاك من الكافرين ، وقوله (وقرأنا فرقناه) أما قراءة من قرأ بالتخفيف فمعناه فصلناه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفرقا منجما على الوقائع إلى رسول الله ﷺ فى ثلاث وعشرين سنة ، قاله عكرمة عن ابن عباس . وعن ابن عباس أيضا أنه قرأ فرقناه بالتشديد أى أنزلناه آية آية مبينا مفسرا ولهذا قال (لنقرأه على الناس) أى لتبلغه الناس وتتلوه عليهم أى (على مكث) أى مهل (ولنلناه تزيلا) أى شيئا بهشوى

﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذْ يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِثْرَاتٍ مِثْرَاتٍ سَحَابًا * وَهُمْ يَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخْرُونَ لِلَّذِينَ يَكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء الكافرين بما جنتهم به من هذا القرآن العظيم (آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا) أى سواء آمنتم به أم لا فهو حق فى نفسه أنزله الله ونوه بذكره فى سالف الأزمان فى كتبه للنزلة على رسله ، ولهذا قال (إن الذين أوتوا العلم من قبله) أى من صالحى أهل الكتاب الذين تمسكوا بكتابتهم ويقيمونه ولم يبدلوه ولا روفوه (إذا تلى عليهم) هذا القرآن (يخرون للآذقان) جمع ذقن وهو أسفل الوجه (سجدا) أى لله عز وجل شكر على ما أنعم به عليهم من جبهه أيام أعلن أن أدركوا هذا الرسول الذى أنزل عليه هذا الكتاب ، ولهذا يقولون (سبحان ربنا) أى تعظيما وتوقيرا على قدرته التامة وأنه لا يغفل العبادة الذى وعدم على ألسنة الأنبياء المتضمنين على سنة محمد ﷺ ولهذا قالوا (سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) وقوله (ويخرون للآذقان يكون) أى خضوعا لله عز وجل وإيمانا وتصديقا بكتابه ورسوله (ويزيدهم خشوعا) أى إيمانا وتسليما كما قال (والذين اعتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقوله (ويخرون) عطف صفة على صفة لاعطف السجود على السجود كما قال الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام • وليت الكتيبة فى الزدحم

﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْادْعُوا الرِّحْمَنَ أَيُّمَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا وَقُلْ أَلْحَدُ لَهُ الَّذِي لَمْ يَغْضُذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَالِ وَكَبِيرًا تَكْبِيرًا ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء الشركيين النسكرين صفة الرحمة لله عز وجل للأمين من تسميته بالرحمن (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى) أى لا فرق بين دعائك له بسم الله أو باسم الرحمن فانه ذو الأسماء الحسنى كما قال تعالى (هو الله الذى لا اله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم - إلى أن قال - له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض) الآية ، وقد روى مكحول أن رجلا من الشركيين مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول فى سجوده « يا رحمن يا رحيم » فقال إنه يزعم أنه يدعو واحدا وهو يدعو اثنين فأُنزل الله هذه الآية ، وكذا روى عن ابن عباس رواها ابن جرير ، وقوله (ولا تجهر بصلواتك) الآية ، قال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو هريرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متواتر

بكة (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فذا مع ذلك للشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به قال : قال الله تعالى لبيك ﷺ (ولا تجهر بصلاتك) أي اقرأ بك فسمع للشركون فيسبون القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه منك (وايتج بين ذلك سبيلا) أخرجه في الصحيحين من حديث أبي جسر جعفر بن إياس به ، وكذا رواه الضحاك عن ابن عباس وزاد فذا هاجر إلى المدينة سقط ذلك فعمل أي ذلك شاء ، وقال محمد بن إسحق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلي خرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ يسن ما يتلو وهو يصلي استرق السمع هونهم فرقا منهم فإذا رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أدام فلم يسمع فإن خفض صوته ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئا فأنزله الله (ولا تجهر بصلاتك) فيترقوا عنك (ولا تخافت بها) فلا يسمع من أراد أن يسمع ممن يترق ذلك منهم فلمعه يروى إلى بسن ما يسمع فيتشع به (وايتج بين ذلك سبيلا) وهكذا قال عكرمة والحسن البصري وقادة نزلت هذه الآية في القراءة في الصلاة ، وقال شعبة عن أشعث بن سلم عن الأسود بن هلال عن ابن مسعود (ولا تخافت بها) من أسمع أذنيه قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن عليه عن سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى قرأ خفض صوته وأن عمر كان يرفع صوته قبيلا لبي بكر لم تصع هذا ؟ قال أنابي ربي عز وجل وقد علم حاجتي ، قيل أحسنت . وقيل لعمري لم تصع هذا ؟ قال أطرط الشيطان وأوقظ الوسنان ، قيل أحسنت فذا نزلت (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وايتج بين ذلك سبيلا) قيل لأن بكر أرفع شيئا ، وقيل لعمري أخفض شيئا ، وقال أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس نزلت في الدعاء ، وهكذا روى الثوري ومالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أنها نزلت في الدعاء وكذا قال مجاهد وسعيد ابن جبير وأبو عباس ومكحول وعروة بن الزبير ، وقال الثوري عن ابن عباس العامري عن عبد الله بن شداد قال كان أعرابي من بني نعيم إذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال « اللهم ارزقني إبلا وولدا » قال فنزلت هذه الآية (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) (قول آخر) قال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا خص بن غياث عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها نزلت هذه الآية في التشهد (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وبه قال خص بن أشعث بن سوار عن محمد بن سيرين مثله (قول آخر) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال لا تصل مراة للناس ولا تدعها مخافة الناس ، وقال الثوري عن منصور عن الحسن البصري (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال لا تخفيين علانيتها وتسى سريرتها وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن الحسن به وهشام عن عوف عنه به وسعيد عن قتادة عنه كذلك (قول آخر) قال عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم في قوله (وايتج بين ذلك سبيلا) قال أهل الكتاب يخافتون ثم يجهر أحدهم بالحرف فيصيح به وصيحوه ثم به وراءه فنهاه أن يصيح كما يصيح هؤلاء وأن يخافت كما يخافت القوم ثم كان السبيل الذي بين ذلك الذي سن له جبريل من الصلاة . وقوله (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) لما أثبت تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى نزه نفسه عن التناهي فقال (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك) بل هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (ولم يكن له ولي من الدن) أي ليس بذليل فيحتاج إلى أن يصكون له ولي أو وزير أو مشير بل هو تعالى خالق الأشياء وحسنه لا شريك له ومدبرها ومقدرها بمشيئته وحده لا شريك له قال مجاهد في قوله (ولم يكن له ولي من الدن) لم يخالف أحدا ولم يبتغ نصر أحد (وكبره تكبرا) أي عظمه وأجله مما يقول الظالمون المتدنون علوا كبيرا ، قال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) الآية قال إن اليهود والنصارى قالوا أخذ الله ولدا وقالت العرب : لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك . وقال الصابئون والمجوس لولا أولياء

الله قبل فأنزل الله هذه الآية (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن
وكبره تكبيراً) وقال أيضاً حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم
أهله هذه الآية (الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) الآية ، الصغير من أهله والكبير . قلت وقد جافى حديث أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سمى هذه الآية آية العز وفي بعض الآثار أنها ما قرئت في بيت في ليلة فيصبيه سرق أو آفة والله
أعلم ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا بشر بن سيجان البصري حدثنا حرب بن سيمون حدثنا موسى بن عبيدة الزبيدي عن
محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال خرجت أنا ورسول الله ﷺ وبه في يدى أودى في يده فأتى على رجل
رث الهيئة فقال « أي فلان ما بلغ بك ما أرى ؟ » قال السقم والضر يا رسول الله قال « ألا أعلمك كلمات تنهب
عنك السقم والضر ؟ » قال بلى ، ما يسرنى أن شهدت بها معك يدرا أو أحدا ، قال فضحك رسول الله ﷺ وقال
« وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع ؟ » قال: فقال أبو هريرة يا رسول الله إني فعلت قال « قل
يا أبا هريرة توكلت على الحى الذى لا يموت ، الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من
الدن وكبره تكبيراً » قال فأتى على رسول الله ﷺ وقد حسنت حالى قال : فقال لى « مهيم » قال قلت يا رسول الله لم
أزلاً أقول الكلمات التى علمت ، إسناده ضعيف وفيه نكارة والله أعلم . آخر تفسير سورة سبحان وه الحمد والملة .

(تفسير سورة الكهف وهى مكة)

(ذكر كما ورد في فضلها والشر الآيات من أولها وآخرها وأنها عصمة من الدجال) قال الإمام أحمد حدثنا محمد
ابن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت البراء يقول : قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة فقصت تنفر فظفر
فلذا ضيابة أو سحابة قد غشيت فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « اقرأ فلان فلان السكينة تنزل عند القرآن أو تنزلت
للقرآن » أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به وهذا الرجل الذى كان يتلوها هو أسيد بن الحضير كما تقدم
في تفسير سورة البقرة . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحيى عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان
ابن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال »
رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذى من حديث قتادة به ، وهظ الترمذى « من حفظ ثلاث آيات من أول
الكهف » وقال حسن صحيح ، (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن
أبي الجعد يحدث عن معدان عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف
عصم من فتنة الدجال » ورواه مسلم أيضاً والنسائي من حديث قتادة به ، وفي لفظ النسائي « من قرأ عشر آيات
من الكهف » فذكره ، (حديث آخر) وقد رواه النسائي في اليوم واليلة عن محمد بن عبد الأعلى عن خاله عن شعبة
عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قرأ العشر الأواخر من سورة
الكهف فإنه عصمة له من الدجال » فيحتمل أن سلا سمعه من ثوبان ومن أبي الدرداء وقال أحمد حدثنا حسين
بحدثنا ابن لهيعة حدثنا زيان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
« من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين السماء
والأرض » انفرد به أحمد ولم يخرجوه ، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه في تجميعه بإسناد له غريب عن خاله
ابن سعيد بن أبي عمر عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ سورة الكهف في يوم
الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين » وهذا الحديث في رصفه
نظر وأحسن أحواله الوقف . وهكذا روى الإمام سعيد بن منصور في سننه عن هشام بن بشير عن أبي هاشم عن
أبي جابر عن قيس بن عباد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من
النور ما بينه وبين البيت العتيق . هكذا وقع موقوفنا ، وكذا رواه الثوري عن أبي هاشم عن أبي سعيد الخدري

وقد أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي بكر محمد بن المؤمل حدثنا الفضيل بن محمد الشمراني حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم حدثنا أبو هاشم عن أبي جعفر عن قيس بن عباد عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجنة » ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وهذا ما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في سننه عن الحاكم ، ثم قال البيهقي ورواه يحيى بن كثير عن شعبة عن أبي هاشم بإسناده أن النبي ﷺ قال « من قرأ سورة الكهف كان نوراً كانت له نوراً يوم القيامة » وفي المختار للحافظ الفناء القدسي عن عبد الله بن معصوم عن منظور بن زيد بن خالد الجهني عن طي بن الحسين عن أبيه عن علي مرفوعاً : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو مصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة ، وإن خرج الدجال عصم منه .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي اَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهِ الْكِتٰبَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا • قَيِّمًا لِّيُنْذِرَ بَاسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ يَتَّقُوْنَ الْعَذْلَةَ اَنَّ لَهُمْ اَجْرًا حَسَنًا • مَّكَثِيْنَ فِيْهِ اَبَدًا • وَيُنْذِرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ اِنْ يَقُوْلُوْنَ اِلَّا كَذِبًا)

قد تقدم في أول التفسير أنه تعالى محمد نفسه القدسة عند قوائم الأمور وخوتها فإنه المممود على كل حال وله الحمد في الأولى والآخرة ولهذا حمد نفسه على إزالة كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه فإنه أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور حيث جعله كتاباً مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا زيف بل يهدي إلى صراط مستقيم واضحاً بيناً جلياً نديراً للكافرين بشيراً للمؤمنين ولهذا قال (ولم يجعل له عوجاً) أي لم يجعل فيه اعوجاجاً ولا زيفاً ولا ميلاً بل جعله معتدلاً مستقيماً ولهذا قال (قياً) أي مستقيماً (لينذر بأساً شديداً من لده) أي لمن خلقه وكذبه ولم يؤمن به ينذر بأساً شديداً عقوبة عاجلة في الدنيا وآجلة في الآخرة (من لده) أي من عند الله الذي لا ينسب عذابه أحد ، ولا يوفق وثاقه أحد . (وبشر المؤمنين) أي بهذا القرآن الذين صدقوا بإيمانهم بالعمل الصالح (أن لهم أجراً حسناً) أي ثوبة عند الله جميلة (ما كثر فيه) في ثوابهم عند الله وهو الجنة خالدين فيه (أبداً) دائماً لا زوال له ولا انقضاء . وقوله (وبشر الذين قالوا إناخذ الله ولداً) قال ابن إسحاق وم مشركو العرب في قولهم نحن نريد لللائكة وم بنات الله (ما لهم به من علم) أي بهذا القول الذي اتقروه واتنسكوه (ولا لآبائهم) أي لأسلانهم (كبرت كلمة) نصب على التبريز تخديره كبرت كلمته هذه . وقيل على التصجب تقدير ما عظم يكلمهم كلمة كما يقول أكرم يزيد رجلاً قاله بعض البصريين ، وقرأ ذلك بعض قراء مكة كبرت كلمة كما يقال عظم قولك وكبر شأنك ، والمعنى على قراءة الجمهور أظهر فإن هذا تبشيع لقائهم واستعظام لافكتهم ولهذا قال (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) أي ليس لها مستند سوى قولهم ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم واقترافهم ولهذا قال (إن يقولون إلا كذباً) وقد ذكر محمد بن إسحق سبب نزول هذه السورة الكريمة فقال حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال : بشت قريش النضر بن الحارث ومقبة بن أبي معيط إلى أخبار يهود بالمدينة فقالوا لهم سلام من محمد وصفوا لهم صفته وأخبرهم بقره فأنهم أهل الكتاب الأول وعندما ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجنا حتى أتينا المدينة فساءلوا أخبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره وبشره قوله وقالوا : إنكم أهل التوراة وقد بشناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال فقالوا لهم سلوه عن ثلاث تأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فجل منقول فتروا فيه رأيكم : سلوه عن نية ذهبوا في الشهر الأول ما كان من أمرهم فأنهم قد كان لهم حديث عيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كانت نبؤه ،

وسأله عن الروح ما هو ؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم ، فأقبل الضر وعقبة حتى قفيا على قرش قتلا لمعشر قریش قد بشاكم بغسل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أجياب يهود أن نسأله عن أمور فأخبرهم بها فجاؤا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد أخبرنا فسأله عما أمرهم به فقال لهم رسول الله ﷺ « أخبركم غدا عما سألتكم عنه » ولم يستثن فاضرفوا عنه وبكت رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لأبعدت الله في ذلك وحيا ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرفج أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس مضرمة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا شيء عما سألتاه عنه وحتى أحزن رسول الله ﷺ بكت الوحى عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معانيه إياه على حزنه عليهم وخبر مأسأله عنه من أمر القنينة والرجل الطواف وقول الله عز وجل (ويشتلونك عن الروح) قال الروح) الآية .

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْهَهُمْ أَلَيْسَ أَهْمًا أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾

يقال تعالى مسليا الرسول صلات الله وسلامه عليه في حزنه على المشركين تركهم الإيمان وبسبهم عنه كما قال تعالى (فلا تنذهب نفسك عليهم حسرات) وقال (ولا تحزن عليهم) وقال (فلما باغض نفسك أن لا يكونوا مؤمنين) باغض أى مهلك نفسك بحزنك عليهم ولهذا قال (فلما باغض نفسك على آثارهم إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ) أى القرآن (أسفا) يقول لانهلك نفسك أسفا ، قال قتادة : قاتل نفسك غضبا وحزنا عليهم ، وقال مجاهد جزءا واللى متقارب أى لاتأسف عليهم بل ابغضهم رسالة الله فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فاعنا بضل عليها ، ولا تنذهب نفسك عليهم حسرات ، ثم أخبر تعالى أنه جعل الدنيا دارا فانية مزينة بزينة زائلة ، وإنما جعلها دار اختبار لادار قرار فقال (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أليهم أحسن عملا) قال قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظر ما نأتملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء » ثم أخبر تعالى بزوالها وفنائها وفراغها وانقضائها وذهابها وخرابها فقال تعالى (وإنا لجاعلون ما عليها صعيد جرزا) أى وإنا لمصيروها بعد الزينة إلى الخراب والسمار فنجعل كل شيء عليها هالكا صعيدا جرزا لا يثبت ولا ينتفع به كما قال الموفى عن ابن عباس في قوله تعالى (وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) يقول هلك كل شيء عليها ويبيد وقال مجاهد صيدا جرزا بلقا ، وقال قتادة : الصيد الأرض التى ليس فيها شجر ولا نبات ، وقال ابن زيد : الصيد الأرض التى ليس فيها شيء . ألا ترى إلى قوله تعالى (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم ألا يبصرون) وقال محمد بن إسحق (وإنا لجاعلون ما عليها صيدا جرزا) أى الأرض وإن ما عليها لقان وبإيد وإن المرجع لألى الله فلا تأس ولا يحزنك ما سمع وترى .

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَارُوا رَبَّنَا هَاتِنَا لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿ فَضَرْبَتَا عَلَى أَعْيُنِنَا فَنَبْهَتُنَا إِلَى الْكَهْفِ سِينِينَ عَبْدًا ﴿ ثُمَّ بَقَسْتَهُمْ لِنُفِثَهُنَّ أَهْلَ الْخَرْبِ مِّنْ أَهْصَىٰ لِمَا لَيْسُوا أَتَدَا ﴾

هذا إخبار من الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف على سبيل الإجمال والاختصار ثم بسطها بعد ذلك فقال (أم حسب) أى يا محمد (أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا) أى ليس أمرهم عجيبا فى قدرتنا وسلطاننا فإن

خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى وأنه على ما يشاء قادر ولا يمحض شيء. أعجب من أخبار أصحاب الكهف كما قال ابن جريج عن مجاهد (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجباً) يقول قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك ، وقال الموقى عن ابن عباس (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجباً) يقول الذي أتيتكم من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقم ، وقال محمد بن إسحق ما أظهرت من حجبى على العباد أعجب من شأن أصحاب الكهف والرقم ، وأما الكهف فهو الثار في الجبل وهو الذي لجأ إليه هؤلاء الفتية للذكورون ، وأما الرقم فقال الموقى عن ابن عباس هو واد قريب من أبة وكذا قال عطية الموقى وقناة . وقال الضحاك أما الكهف فهو غار الوادى والرقم اسم الراوى وقال مجاهد الرقم كتاب بنيانهم ويقول بعضهم هو الوادى الذي فيه كهفهم . وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن ممالك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله الرقم كان يزعم كعب أنها القرية ، وقال ابن جريج عن ابن عباس الرقم الجبل الذي فيه الكهف ، وقال ابن إسحق عن عبد الله بن أبي نعيم عن مجاهد عن ابن عباس قال اسم ذلك الجبل بنجلوس ، وقال ابن جريج أخبرني وهب بن سليمان عن شبيب الجبالي أن اسم جبل الكهف بنجلوس واسم الكهف حيزم والسكب حيران . وقال عبد الرزاق أنبأنا إسرائيل عن ممالك عن عكرمة عن ابن عباس قال القرآن أصله إلا حناناً والأواه والرقم وقال ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة يقول قال ابن عباس ما أدري ما الرقم ؟ كتاب أم بنيان ؟ وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس : الرقم الكتاب ، وقال سعيد ابن جبيرة : الرقم لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضوه على باب الكهف

وقال عبد الله بن محمد بن زيد بن أسلم : الرقم الكتاب ثم قرأ كتاب مرقوم . وهذا هو الظاهر من الآية وهو اختيار ابن جرير . قال الرقم فعيل بمعنى مرقوم كما يقال الفتول قليل والسجروج جريح والله أعلم ، وقوله (إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً) خبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم ثلاثين سنة فمعههم نفوسهم فلجأوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم فقالوا حين دخاوا سائمين من الله تعالى رحمة وألقاهم . ربنا آتنا من لدنك رحمة (أى هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترننا عن قومنا) وهيئ لنا من أمرنا رشداً (أى وقدر لنا من أمرنا رشداً هذا أجل عاقبتنا رشداً كما جاء في الحديث « وما قضيت لنا من قضاء فأجل عاقبتنا رشداً » وفي السنن من حديث بسر بن أرطاة عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعوهم « اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة » وقوله (فضرينا على آفاتهم في الكهف سنين عدداً) أى ألقينا عليهم النوم حين دخاوا إلى الكهف فناموا سنين كثيرة (ثم يفتنهم) أى من رقتهم تلك وخرج أحدهم بديرام معه ليشتري لهم بها طعاماً ما يكونه كما سيأتى ياته ونصيه ولهذا قال (ثم يفتنهم أى الخزيين) أى المختلفين فيهم (أحصى لما لبثوا أمداً) قيل عدداً ، وقيل غاية فإن الأمد الناية كقولهم * سبق الجواد إذا استولى على الأمد *

(مَن قُصِّرْ عَلَيْكَ نَبَأُكَ بِالْحَقِّ أَنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى وَرَبَّنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ الْأَرْضِ لَنَدْعُو مِن دُونِهِ إِنَّمَا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا هُوَ لَا يَفْعَلُ مَا نَشَاءُ وَمَا دُونُهُ إِلَهٌ لَّا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) وَإِذْ اغْتَرَفْنَاهُم مِّن مَّاءٍ يَبْسُفُونَ إِلَّا أَنَّهُ قَالُوا إِلَى الْكَهْفِ نَفْسُكُمْ رَيْبُكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيَهْتِكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَّرْفَقًا

من هنا شرع في بسط القصة وشرحا فذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب وهم أتبل للحق وأهدى السبل من الشيوخ الذين قد عتوا واتسموا في دين الباطل ، ولهذا كان أكثر المتبعين لله تعالى ولرسوله ﷺ شباباً ، وأما

الشايع من قريش فنامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل . وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا قية عبايا ، وقال مجاهد بنى أنه كان في آذان بعضهم القرطة يبنى الخلق فأنهم الله رعدهم وآتاهم قرواهم فأنوا برهم . أى اعترفوا له بالوحدانية وشهدوا أنه لا إله إلا هو (وزدناهم هدى) استدلل بهذه الآية وأمثلا غير واحد من الأئمة كالبخارى وغيره ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وخاضه وأنه يزيد وينقص ، ولهذا قال تعالى (وزدناهم هدى) كما قال (والذين اعتدوا زناهم هدى وآتاهم قرواهم) وقال (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون) وقال (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك . وقد ذكر أنهم كانوا على دين للشيخ عيسى بن مريم الله أعلم ، والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالسكية فانهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمبايعتهم لهم ، وقد خدم عن ابن عباس أن قريشا بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدنية يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبشروا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء وعن خبر رضى القرنين وعن الروح فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب وأنه متقدم على دين النصرانية والله أعلم . وقوله (وربطنا على قلوبهم) إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض (يقول تعالى وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغد والسعادة والجمعة فانه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم وأنهم خرجوا يوماً في بعض أعياد قومهم وكان لهم مجتمع في السنة يمتحنون فيه في ظاهر البلد ، وكانوا يمدون الأسماء والطواغيت ويدعون لها وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له قيانوس وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه فلما خرج الناس لاجتماعهم ذلك وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى ما يصنع قومهم بين بصيرتهم عرفوا أن هذا الذى يصنعه قومهم من السجود لأسنامهم والذبح لها لا يقضى إلا لله الذى خلق السموات والأرض فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم ويبرز عنهم ناحية فكان أول من جلس منهم وحده أحدهم جلس تحت ظل شجرة فبدأ الآخر فجلس إليها عنده وجاء الآخر فجلس إليها وجاء الآخر فجلس إليهم وجاء الآخر وجاء الآخر ولا يصر فواحد منهم الآخر وإنما جمعهم هناك الذى جمع قلوبهم على الإيمان كما جاء في الحديث الذى رواه البخارى تعليقاً من حديث يحيى بن سعيد عن حمزة عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث سهيل عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ والناس يقولون : الجنسية علة الضم ، والترض أنه جعل كل أحد منهم يكتم ما هو عليه عن أصحابه خوفاً منهم ولا يدري أنهم مثله حتى قال أحدهم تعلمون والله يا قوم إنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شئ ، فليظهر كل واحد منكم بأمره . فقال آخر أما أنا فإني والله رأيت ما قومي عليه فعرفت أنه باطل وإنما الذى يستحق أن يمد وحده ولا يشرك به شئ هو الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما وقال الآخر وأنا والله وقع لى كذلك وقال الآخر كذلك حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة فصاروا يداً واحدة وإخوان صدق فأتخذوا لهم معبداً يمدون الله فيه فصرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم فاستحضرهم بين يديه فسالهم عن أمرهم وما هم عليه فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله عز وجل ولهذا أخبر تعالى عنهم بقوله (وربطنا على قلوبهم) إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً (ولن تلقى التائبين لا يسمع منا هذا أبدأ لأننا لم نكن باطلاً ولهذا قال عنهم) لقد قلنا إذا شططاً (أى باطلاً وكذباً وبهتاناً) هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهاة لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أى هلاً قاموا على صفة ما ذهبوا إليه دليلاً واضعاً صحيحاً فن أظلم عن اقتضى على الله كذباً (يقولون بل هم ظالمون كاذبون) في قولهم ذلك يقال إن ملكهم لا يدعو إلى الإيمان بالله أن عليهم وتهدمهم وتوعدهم وأمر برفع لباسهم عنهم الذى كان عليهم من زينة قومهم وأجلهم لينظروا في أمرهم لئلاهم يرجعون عن دينهم الذى كانوا عليه ، وكان هذان لطف الله بهم فانهم في تلك النظرة توجهوا إلى الحرب منه والفرار بدينهم من الفتنة وهذا هو الشرع عند وقوع الفتنة فى الناس أن يراى البعد منهم خوفاً على دينه كما جاء في الحديث « يوشك

أن يكون خير مال أحدهم غنا يتبع بها شرف الجبال ومواقع القطر فيريدن من الفتن في هذه الحال تشجع العزلة عن الناس ولا تشجع فيما عددها لما يغوث بها من ترك الجماعات والجمع فلما وقع عزمهم على الذهاب والحرب من قومهم واختار الله تعالى لهم ذلك وأخرج عنهم بذلك في قوله (وإذا عرفت قوم وما يريدون إلا الله) أي وإذا عرفت قومهم وخالفتمهم بأيمانكم في عبادتهم غير الله فارتقوا أيضاً بأيمانكم (فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته) أي يسقط عليكم رحمة يستريح بها من قومكم (ويهيئ لكم من أمركم) الذي أنتم فيه (مرقفاً) أي أمراً تفتقون به فنشد ذلك خروجهم إلى الكهف فأووا إليه ففقدتهم قومهم من بين أظهرهم وتطلبهم للالك فقال إنه لم ينظروهم وعسى الله عليه خير مما كانوا عليه محمد ﷺ وصاحبه الصديق حين لجأ إلى غار ثور وجاء للشركون من قريش في الطلب فلم يهتدوا إليه مع أنهم يبرون عليه وعندها قال النبي ﷺ حين رأى جذع الصديق في قوله يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأسيرنا فقال «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟» وقد قال تعالى (اللاتصروه قد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأزلى الله سكة عليه وأيده بجند لم نروها وجعل كلفة الذين كفروا السفل وكلفة الله على الصالحين) قصة هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف ، وقد قيل إن قومهم ظفروا بهم ووقفوا على باب الغار الذي دخلوه فقالوا ما كنا نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم فأمر الملك بردم بابه عليهم ليلسكوا مكانهم ففعلوا ذلك ، وفي هذا نظر والله أعلم . فإن الله تعالى قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة وعشيا كما قال تعالى .

﴿ وَتَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَّتْ تَزُولُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَنُسَخَ الذِّكْرُ مِنْهَا نَوْءٌ آخَرٌ وَلَهُمْ فِي السَّائِغِ آيَاتٌ ﴾

فهذا فيه دليل على أن باب هذا الكهف كان من نحو الشمال لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه (ذات اليمين) أي يخلص إلى يمينه كما قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة (تزاور) أي قبل وذلك أنها كما اقتصت في الأفق تخلص شعاعها حتى لا يقي من شدة عند الزوال في مثل ذلك المكان ، ولهذا قال (وإذا غربت تعرضهم ذات الشمال) أي تدخل إلى غارهم من شمال باب وهو من ناحية الشرق فدخل على صفة ما قلناه وهذا بين من تأمله وكان له علم بصفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب ويانه أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل إليه مناهش وعند الغروب ولو كان من ناحية القبلة لما دخل مناهش عند الطلوع ولا عند الغروب ولا تزاور إلى يمينه ولا شمالاً ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلى الغروب فتبين ما ذكرناه والله الحجد ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة تعرضهم تركهم ، وقد أخبر الله تعالى بذلك وأراد منافقهم وتبره ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلد من الأرض إذ لا ثلاثة لنا فيه ولا قصد شرعي ، وقد تكلف بعض المفسرين تذكروا فيه أقوالاً تقدم عن ابن عباس أنه قال هو قريب من أيلة ، وقال ابن إسحق هو عند نينوى وقيل ببلاد الروم وقيل ببلاد البقاء والله أعلم بأي بلاد الله هو ، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه فقد قال صلى الله عليه وسلم «ما تركت شيئاً يقرئكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أعلمتكم به» فأعلمنا تعالى بصفته ولم يسلنا بمكانه فقال (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم) قال مالك عن زيد بن أسلم تبيل (ذات اليمين) وإذا غربت تعرضهم ذات الشمال وهم في كهفهم منه) أي في متسع منه داخل بحيث لا يصيبهم إذ لو أصابتهم لأحرقت أبدانهم وثيابهم قاله ابن عباس (ذلك من آيات الله) حيث أرشدهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء والشمس والربع تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم ، ولهذا قال تعالى (ذلك من آيات الله) ثم قال (من يهد الله فهو المهتد) الآية أي هو الذي أرشد هؤلاء القبة إلى الهداية من بين قومهم فإنه من هداها الله اهتدى ومن أضله فلا هادي له .

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَانًا وَمَنْ زُوْدُوا وَهَلْبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّالِ وَكَتَبَهُمْ بِسِطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَكَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلِمَتْ مِنْهُمْ رُحْبًا ﴾

ذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم لم تنطق أعينهم لئلا يسرع إليها البلى فلذا بقيت ظاهرة الهراء كان أبق لها ، ولهذا قال تعالى (وتحسبهم أيقانًا وهم زوود) وقد ذكر عن الثعلبي أنه ينام فيطبق عينه ويشتع عينا ثم يفتح هذه ويطبق هذه وهو راقد كما قال الشاعر :

ينام بأحدى مقلتيه ويثق * بأخرى الرزايا فهو يحفظان نائم

وقوله تعالى (وهلمهم ذات اليمين وذات الشمال) قال بعض السلف يقلبون في المنام مرتين قال ابن عباس لولم يقلوا لأكلهم الأرض وقوله (وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة : الوصيد الفناء ، وقال ابن عباس بالباب وقيل بالصعيد وهو التراب والصحيح أنه بالفناء وهو الباب ومنه قوله تعالى (إنها عليهم مؤسدة أي مغطاة مغلقة ويقال الوصيد وأعيد ربض عليهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب) قال ابن جريج يحرص عليهم الباب وهذا من سجنته وطبيعته حيث يربض يياهم كأنه يحرسهم وكان جلوسه خارج الباب لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب كما ورد في الصحيح ولا صورة ولا جنب ولا كافر كما ورد به الحديث الحسن . وملت عليهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وهذا فائدة صحة الاختيار فانه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن . وقد قيل إنه كان كلب صيد لأحدهم وهو الأشبه وقيل كلب طباخ الملك وقد كان واقفهم على الدين وصحبه كلبه فله أعلم ، وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة همام بن الوليد السمطي حدثنا صدقة بن عمر النسائي حدثنا عباد للقرني سمعت الحسن البصري يقول كان اسم كبش إبراهيم عليه الصلاة والسلام جرير واسم دهنده سليمان عليه السلام عنز واسم كلب أصحاب الكهف قطمير واسم عجل بن إسرائيل الذي عبده يهوت . وهبط آدم عليه السلام بالمقد وحواء بمجنة وإبليس بنبت بيسان والحية بأصفهان ، وقد تقدم عن شعب الجبائي أنه ساء حمران واختلقوا في لونه على أنوال لا حاصل لها ولا طائل تحتها ولا دليل عليها ولا حاجة إليها بل هي مما يبئ عنه فإن مستندنا رجم بالتيب ، وقوله تعالى (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا وملت منهم رعبا) أي أنه تعالى ألقى عليهم للمهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم لما ألبسوا من المهابة والذعر لئلا يدنو منهم أحد ولا تسهم يد لاسحق يبلغ الكتاب أجله وتتشفى رقتهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم لما له في ذلك من الحكمة والحجة البالغة والرحمة الواسعة .

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَاقْبَئِرُوا أَحَدَكُمْ يَوْمَ رَقَدْتُمْ هَذِهِ إِلَى الدِّينَةِ فَلْيَنْظُرْ إِنَّمَا أَزْكَى طَلَكًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِنْ يَنْظَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعْدُوْكُمْ فَمِلْتُمْ إِلَيْهِمْ وَكُنْ تَقْلَعُوا إِذَا أَبَدًا ﴾

يقول تعالى كما أوردناهم بشهائمهم وأسماءهم وأبشارهم لم يشقوا من أحوالهم وهياتهم شيئا وذلك بعد ثلثة سنة وتسع سنين ولهذا نساءلوا بينهم (كم لبئتم) أي كم رقدتم (قالوا لبئنا يوما أو بعض يوم) لأنه كان دخوله إلى الكهف في أول نهار واستيقاظهم كان في آخر نهار ولهذا استدرکوا فقالوا (أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبئتم) أي الله أعلم بأمركم وكأنه حل لهم نوع تردد في كثرة نومهم فله أعلم أنهم شتم عدلوا إلى الأهم في أمرهم إذ ذاك وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب فقالوا (فاقبئروا أحدكم يورقكم)

أى فضحك هذه وذلك أنهم كانوا قد استصحروا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم إليها فتصدقوا بها وبقي منها فلهمذا قالوا (فابشوا أحكم بورقكم هذه إلى المدينة) أى مدينتكم التى خرجتم منها والألف واللام العهد (فليظنوا أنكم طماعاً) أى أطيّب طماعاً كقولهم (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكنى منكم من أحد أبداً) وقوله (قد أفلح من ترك) ومنه الزكاة التى تطيب للال وتطهره وقيل أ أكثر طماعاً ومنه زكا الزرع إذا كثر قال الشاعر :

قبائلنا سبع وأنت ثلاثة والسبع أذكى من ثلاث وأطيب

والصحيح الأول لأن مقصودهم إنما هو الطيب الحلال سواء كان كثيراً أو قليلاً ، وقوله (وليتلطف) أى فى خروجه وذهابه وشراؤه وإيابه يقولون وليخف كل ما يقدر عليه (ولا يشعروا) أى ولا يظنوا (بكم أحداً) إنيهم إن يظهروا عليكم يرموكم (أى إن علموا بمكانكم) (يرجموكم أو يبيدوكم فى ملتهم) يبنون أصحاب دقيانوس مخافون منهم إن يظلموا على مكانكم فلا يزالون يذبونهم بأنواع العذاب إلى أن يسيدوهم فى ملتهم التى هم عليها أوعوتوا وإن وافقتهم على العود فى الدين فلا فلاح لكم فى الدنيا ولا فى الآخرة ولهذا قال (ولن تفلحوا إذا أبداً)

﴿وَكَذَلِكَ أَفْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَمْلِكُوا أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنْ السَّاعَةَ لَا رَبَّ فِيهَا إِذْ يَنْتَظِرُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرًا﴾
فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَظْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾

يقول تعالى (و كذلك أفتروا عليهم) أى أظلمنا عليهم الناس (ليملوا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها) ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك فى البعث وفى أمر القيامة ، وقال عكرمة : كان منهم طائفة قد قالوا تبث الأرواح ولا تبث الأجساد فبث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك ، وذكرنا أنه لما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلى المدينة فى شراء شيء لهم ليأكلوه تسكر وخرج بشئ فى غير الجادة حتى انتهى إلى المدينة وذكرنا أن اسمها دقوس وهو يظن أنه قرب المهد بها وكان الناس قد تبدلوا قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة وتغيرت البلاد ومن عليها كما قال الشاعر :

أما البشير فلها حكايدهم وأرى رجالاً لم يغير رجلا

فبصل لا يرى شيئاً من معالم البلد التى يمر فيها ولا يعرف أحداً من أهلها لاختصاصها ولا عوامها فبصل يتغير فى نفسه ويقول لعل لي جنونا أوساً أو أنا حالم ويقول : والله ما بي شيء من ذلك وإن عهدى بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة . ثم قال : إن فصيل الخروج من هنا لأولى لي ، ثم حمد إلى رجل من بيع الطعام فدفع إليه مائة من النفقة وسأله أن يبيعه بها طعاماً فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضربها فدفعها إلى جاره وسجلوا يتداولونها بينهم ويقولون لعل هذا وجد كنزنا فسألوه عن أمره ومن أين له هذه النفقة لعله وجدها من كنز وعن أن ؟ فبصل يقول أنا من أهل هذه البلدة وعهدى بها عشية أمس وفيها دقيانوس ففسبوه إلى الجنون فحصلوه إلى ولى أمرهم فبصله عن شأنه وغيره حتى أخبرهم بأمره وهو متغير فى حاله وما هو فيه فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف - ملك البلد وأهلها - حتى انتهى بهم إلى الكهف فقال لهم دعوني حتى أتجدكم فى السخول لأعلم أحوالكم فدخل ، فقال إنيهم لا يدرون كيف ذهب فيه وأخفى الله عليهم خبرهم ، وقال بل دخلوا عليهم ورأوهم وسلم عليهم للثقة واعتقهم وكان مسلماً فيها قيل واسم يندوسيس ففروا به وأكسوه بالكلام ثم دعوه وسلموا عليه وعادوا إلى مساكنهم ووافقهم الله عز وجل فأله أعلم . قال قتادة : غزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة ففروا بكهف فى بلاد الروم فأروا فيه عظاماً فقال قائل هذه عظام أهل الكهف فقال ابن عباس لقد بليت عظامهم من أكثر من ثلثائة سنة رواه ابن جرير وقوله (وكذلك أفتروا عليهم) أى كما أرفقناهم وأظفناهم بآياتهم أظلمنا عليهم أهل ذلك الزمان (ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها) إذ ينتزعون بينهم أمرهم (أى فى أمر القيامة فمن ثبت لها ومن منكر فبصل الله عليهم على أصحاب الكهف

حجة لهم وعليهم (فقالوا ابنوا عليهم بنايا ربهم أعلم بهم) أى سبوا عليهم باب كنههم وذروهم على حالهم (قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن عليهم مسجداً) حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين (أحدهما) أنهم للسكون منهم (والثاني) أهل الشرك منهم فآله أعلم ، والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ ولكن هل هم محمودون أم لا فيه نظر ، لأن النبي ﷺ قال « فمن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا وقدمونا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده فيها شيء من اللاصم وغيرها

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُمْ كَذِبَهُمْ يَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَذِبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَتَأْمِنُهُمْ كَذِبُهُمْ قُلْ رَأَيْتُمْ أُعْلِمَ يَمْدَنُهُمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارَ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظُورًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾

يقول تعالى عبراً عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف فحكى ثلاثة أقوال فدل على أنه لا قتال براجع ولما ضعف القولين الأولين بقوله (رجما بالغيب) أى قولاً بلا علم كمن يرى إلى مكان لا يعرفه فإنه لا يكاد يصيب وإن أصاب فلا قصد . ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله (وتأمنهم كذبهم) فدل على صحته وأنه هو الواقع في نفس الأمر وقوله (قل ربي أعلم بمدتهم) إرشاد إلى أن الأحسن في مثل هذا التمام رد العلم إلى الله تعالى إذ لا احتياج إلى الحوض في مثل ذلك بلا علم لكن إذا أطلعنا على أمر قلنا به وإلا وقفنا . وقوله (ما يعلمهم إلا قليل) أى من الناس . قال قتادة قال ابن عباس أنا من القليل الذي استثنى الله عز وجل كانوا سبعة وكذا روى ابن جرير عن عطاء الخراساني عنه أنه كان يقول أنا ممن استثنى الله عز وجل ويقول عدتهم سبعة . وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (ما يعلمهم إلا قليل) قال أنا من القليل كانوا سبعة فهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس أنهم كانوا سبعة وهو موافق لما قدمناه

وقال محمد بن إسحق بن يسار عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد قال لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة سنه وضع الورك . قال ابن عباس فكانوا كذلك ليلهم ونهارهم في عبادة الله يسكرون ويستغيثون بالله وكانوا ثمانية عشر: مكسلبينا وكان أكبرهم وهو الذي كلم الملك عنهم وعليينا ومرطونس وكسطنونس وديرموس وبطونوس وقالوش هكذا وقع في هذه الرواية ويحتمل أن هذا من كلام ابن إسحق ومن بينه وبينه فإن الصحيح عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة وهو ظاهر الآية وقد تقدم عن شعب الجبائي أن اسم كلبهم حمران وفي تسميتهم بهذه الأسماء واسم كلبهم نظر في صحته والله أعلم فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب ، وقد قال تعالى (فلا تمار فيهم إلا مرءاه ظاهراً) أى سهلاً حينئذ فإن الأمر في معرفة ذلك لا يرتب عليه كبير فائقة (ولا تستفت فيهم منهم أحداً) أى فمنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجماً بالغيب أى من غير استناد إلى كلام مصوم ، وقد جاءك يا أحمد بالحق الذي لا شك فيه ولا مراءية فيه فهو تقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۚ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادَّ كُرْبُكَ إِذْ نَبِئْتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَحْمَةً ۖ ﴾

هذا إرشاد من الله تعالى لرسول الله ﷺ إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون كما نبئ في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على سبعين امرأة - وفي رواية تسعين امرأة وفي رواية مائة امرأة - فتد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله فقيل له - وفي رواية قال

له الملك . قل إن شاء الله قل يلق نطف من قلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان ، قال رسول الله ﷺ
 -والذي قضى يده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان حركاً لحاجته . وفي رواية : ولقاتلوا في سبيل الله فرساناً
 أجمون . وقد تضمن في أول السورة ذكر سبب نزول هذه الآية في قول النبي ﷺ لما سئل عن قصة
 أصحاب الكهف وغداً أحييهم . تأخر الوحي خمسة عشر يوماً ، وقد ذكرناه بطوله في أول السورة فأخفى عن
 إعادته وقوله (واذكر ربك إذا نسيت) قيل معناه إذا نسيت الاستثناء فاستثنى عند ذكره أنه قاله أبو العباس والحسن
 البصري ، وقال هشيم عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس في الرجل يحلف قال له أن يستقي ولو إلى سنة وكان
 يقول (واذكر ربك إذا نسيت) ذلك قيل للأعمش سمعته عن مجاهد فقال حدثني به ليث بن أبي سليم يرى ذهب
 كسائي هذا ورواه الطبراني من حديث أبي معاوية عن الأعمش به . ومعنى قول ابن عباس أنه يستقي ولو ببلصة أي
 إذا نسي أن يقول في حلقه أبوي كلامه إن شاء الله وذكر ولو بعد سنة فالتسنة أن يقول ذلك ليكون آتياً بسنة
 الاستثناء حتى ولو كان بعد الحنث قاله ابن جرير رحمه الله ونسب على ذلك لأن يكون رافضاً لحنث البليين ومسطقاً
 للكفارة وهذا الذي قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح وهو الأليق بعمل كلام ابن عباس عليه والله أعلم وقال
 عكرمة (واذكر ربك إذا نسيت) إذا غضيت وقال الطبراني حدثنا محمد بن الحارث الجبلي حدثنا صفوان بن صالح
 حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد العزيز بن حصين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (ولا تقولن لشيء
 إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله . واذكر ربك إذا نسيت) أن تقول إن شاء الله ، وروى الطبراني أيضاً عن
 ابن عباس في قوله (واذكر ربك إذا نسيت) الاستثناء فاستثنى إذا ذكرت ، وقال هي خاصة برسول الله ﷺ
 وليس لأحد منا أن يستقي إلا في سنة من يمينه ثم قال انشده به الوليد عن عبد العزيز بن الحصين ، ويحتمل
 في الآية وجه آخر وهو أن يكون الله تعالى قد أريد من نسي الشيء في كلامه إلى ذكر الله تعالى لأن النسيان منقوش
 من الشيطان كما قال فقي موسى (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) وذكر الله تعالى يطرد الشيطان فلذا ذهب الشيطان
 ذهب النسيان فذكر الله تعالى سبب للذكر ولهذا قال (واذكر ربك إذا نسيت) وقوله (وقل عسى أن يهدين ري
 لأقرب من هذا رشداً) أي إذا سلت عن شيء لا تعلم فاسأل الله تعالى فيه وتوجه إليه في أن يوفقك للصواب والرشد في
 ذلك ، وقيل في تفسيره غير ذلك والله أعلم .

(وَلَيْسُوا فِي كُفْرِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ وَأَزْدَادُوا تَسْمًا • قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ قَبِيحُ السُّوءِ وَالْأَرْسِ
 أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمِعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)

هذا خبر من الله تعالى لرسوله ﷺ بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أوردتهم إلى أن بشهم الله
 وأشعر عليهم أهل ذلك الزمان وأنه كان مقداره ثلاثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية فإن تفاوتت
 ما بين كل مائة سنة بالشمسية إلى الشمسية ثلاث سنين فقلنا قال بعد الثلاثمائة وأزدادوا تسماً ، وقوله (قل الله أعلم بالشيء)
 أي إذا سلت عن لبهم وليس عندك علم في ذلك فتوقف من الله تعالى فلا تقدم فيه شيء بل قل في مثل هذا (الله أعلم بالشيء)
 له غيب السموات والأرض) أي لا يعلم ذلك إلا هو ومن أطلعه عليه من خلقه وهذا الذي قلناه عليه غير واحد من
 علماء التفسير كجهاود وغير واحد من السلف والخلف وقال قتادة في قوله (وليسوا في كهفهم ثلاثمائة سنين) الآية هذا قول أهل
 الكتاب وقد رده الله تعالى بقوله (قل الله أعلم بالشيء) قال وفي قراءة عبد الله وقالوا وليسوا يعني أنه قاله الناس وهكذا قال
 قتادة ومطرف بن عبد الله وفي هذا الذي رجمه قتادة نظر فإن الذي بأيدي أهل الكتاب أنهم لبسوا ثلاثمائة سنة من غير تسع سنين
 بالشمسية ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال وأزدادوا تسماً والظاهر من الآية إنما هو إخبار من الله لا حكاية عنهم وهذا
 اختيار ابن جرير رحمه الله ورواية قتادة قراءة ابن مسعود مقطعة ثم هي شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور فلا يحتاج بها

والله أعلم وقوله (أبصر به وأمع) أي أنه بصير بهم جميع لهم . قال ابن جرير وذلك في معنى البالغة في اللحن كأنه قيل ما أبصره وأمعه وتأول السلام ما أبصر الله لكل موجود وأمعه لكل مسموح لا يخفى عليه من ذلك شيء . ثم روى عن قتادة في قوله (أبصر به وأمع) فلا أحد أبصر من الله ولا أعم . وقال ابن زيد (أبصر به وأمع) يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم ميمًا صيرًا وقوله (ما لم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحد) أي أنه تعالى هو الذي له الخلق والأمر الذي لا معقب لحكمه وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير تعالى وتقدس

﴿وَأَنزَلَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا * وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَم مِّنْ أَغْنَانَا قُلْ هِيَ دَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِّنْ دَارِ الْآخِرَةِ وَلَن آتِيَنَّهُا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾

يقول تعالى أمرًا رسوله ﷺ بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس (لا يبدل لكلماته) أي لا تغير لما ولا تحرف ولا مزيل . وقوله (ولن تجد من دونه ملتحدًا) عن مجاهد ملتحدًا قال ملجأ وعن قتادة وليا ولا مولى قال ابن جرير يقول إن أنت يا محمد لم تقل ما أوحى إليك من كتاب ربك فانه لا ملجأ لك من الله كما قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يصمك من الناس) وقال (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي سالك مما فرض عليك من إبلان الرسالة . وقوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللون ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا من عباد الله سواء كانوا قراء أو أغنياء أو أتوايا أو ضغفاء ، يقال إنها نزلت في أشرف قرشي حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضغفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود ولينفرد أولئك يجلس على حدة فنهأ الله عن ذلك فقال (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء فقال (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية وقال مسلم في صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي عن إسرائيل عن القدام بن شرحبيل عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص قال كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال للشركون فبني صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجتمعون علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما فوقع في نفسي رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدثت نفسي فأنزل الله عز وجل (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) (انظر إنباه أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبه عن أبي التياح قال سمعت أبا الجعد يحدث عن أبي أمامة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قاص يقص فأمسك فقال رسول الله ﷺ «قص فلان أتعبد غداة إلى أن تشرق الشمس أحب إلى من أن أعشق أربع رقاب» وقال أحمد أيضا حدثنا هاشم ثنا شعبه عن عبد الملك بن مسيرة قال سمعت كردوس بن قيس وكان قاص العامة بالكوفة يقول أخبرني رجل من أصحاب بدر أنه مع النبي ﷺ يقول «لأن أتعبد في مثل هذا المجلس أحب إلى من أن أعشق أربع رقاب» قال شعبه قتلت أي مجلس قال كان قاصا وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا محمد حدثنا يزيد بن أبان عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «لأن أجالس قوما يذكرون الله من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إلى من أن أعشق ثمانية من ولد إسماعيل دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفا» فحسبنا دياتهم ونحن في مجلس أنس فبلغت ستة وتسعين ألفا وههنا من يقول أربعة من ولد إسماعيل والله ما قال إلا ثمانية دية كل واحد

منهم اثنا عشر ألفاً . وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا محمد بن إسحق الأهوازي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عمرو ابن ثابت عن علي بن الأقرع عن الأغر أبي مسلم وهو الكوفي أن رسول الله ﷺ مر برجل يقرأ سورة الكهف فلما رأى النبي ﷺ سكت فقال النبي ﷺ « هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نسي معهم » هكذا رواه أبو أحمد عن عمرو بن ثابت عن علي بن الأقرع عن الأغر مرسلًا وحدثنا يحيى بن الليل عن منصور حدثنا محمد بن الصلت حدثنا عمرو بن ثابت عن علي بن الأقرع عن الأغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: جاء رسول الله ﷺ ورجل يقرأ سورة الحج أو سورة الكهف فسكت فقال رسول الله ﷺ « هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نسي معهم » وقال الإمام أحمد ثنا محمد بن بكر ثنا ميمون الليثي ثنا ميمون ابن سياه عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات » ثم روى أحمد رحمه الله . وقال الطبراني ثنا إسماعيل بن الحسن ثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب عن أسامة بن زيد عن أبي حازم عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال : نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض أبياته (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالتداعى) الآية فخرج يلتمسهم فوجد قوما يذكرون الله تعالى منهم ثلث الراس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد فلما راكهم جلس معهم وقال « الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نسي معهم » عبد الرحمن هذا ذكره أبو بكر بن أبي داود في الصحابة وأما أبوه فمن سادات الصحابة رضى الله عنهم . وقوله (ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) قال ابن عباس ولا تجاوزهم إلى غيرهم يعني تطلب بدلهم أصحاب الكفر والثروة (ولا تلعب من أغفنا قلبه عن ذكرنا) أي شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا (وكان أمره فرطاً) أي أعماله وأفعاله سهفه وتفرط وشياع ولا تكن مطيلاً له ولا عجا لطريقته ولا تقبض بما هو فيه كما قال (ولا تمدن عينيك إلى ما متنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى)

﴿ وَقُلِ الْمُحْسِنُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ فَرًا أَحْطَاءً بِهِمْ مُرَادِّهَا وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يَمُوتُوا إِنَّمَا كَالْهَيْلِ يَشْوِي أَلْوَجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ وقل يا محمد للناس هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مزية فيه ولا عك (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا من باب التهديد والوعيد الشديد ولهذا قال (إنا أعتدنا) أي أرسدنا (للظالمين) وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه (نارا أحاط بهم سرادقها) أي سورها . قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال « لسرادق النار أربعة جدر كثافة كل جدر مسافة أربعين سنة » وأخرجه الترمذي في صفة النار وابن جرير في تفسيره من حديث دراج أبي السمع به

وقال ابن جرير قال ابن عباس (أحاط بهم سرادقها) قال حاط من نار . قال ابن جرير : حدثني الحسين بن نصر والعباس بن محمد قالا حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن أمية حدثني محمد بن يحيى بن يعلى عن صفوان بن يعلى عن علي ابن أمية قال : قال رسول الله ﷺ « البحر هو جهنم » قال قيل له كيف ذلك ؟ قتلاه هذه الآية أو قرأ هذه الآية (نارا أحاط بهم سرادقها) ثم قال « والله أدخلها أبداً أو ما مدت حيا لا تصيب منها قطرة » . وقوله (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه) الآية قال ابن عباس : المهل للساء القليظ مثل دردي الزيت ، وقال مجاهد هو كالماء والقيح وقال عكرمة هو الشيء الذي انتهى حره ، وقال آخرون هو كل شيء أذيب . وقال قتادة : أذاب ابن مسعود شيئا من الذهب في أخذود فلما انماع وأزبد قال : هذا أشبه شيء بالمهل . وقال الضحاك : ماء جهنم أسود

وهي سوداء وأهلها سوداء وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفى الآخر فإن الليل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها فهو أسود
منق غليظ حار ولحمنا قال (يشوى الوجوه) أى من حره إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواء
حتى تسقط جلدة وجهه فيه كما جاء في الحديث الذى رواه الإمام أحمد يستأنس بالتقدم في سراقذ النار عن أبي سعيد
الحمدى عن رسول الله ﷺ أنه قال « ماء كلليل حلال كسكر الترت فإذا قربته إليه سقطت فروة وجهه
فيه » وهكذا رواه الترمذى في صفة النار من جملة من حديث رشيدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج به .
ثم قال لا نعرفه إلا من حديث رشيدين وقد تكلم فيه من قبل حفظه هكذا قال : وقد رواه الإمام أحمد كما تقدم عن
حسن الأصبغ عن ابن لمية عن دراج والله أعلم . وقال عبد الله بن المبارك وشية بن الوليد عن صفوان بن عمرو عن
عبد الله بن بشر عن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله (ويسقى من ماء صديد يتجرعه) قال : « يقرب إليه
فيتكره فإذا قرب منه شوى وجهه ووقت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه ، يقول الله تعالى (وإن يستغيثوا يغاثوا
بماء كلليل يشوى الوجوه بشى الشراب) » وقال سعيد بن جبير : إذا جاع أهل النار استغاثوا فأغاثوا بشجرة الزقوم
فأكلون منها فاختلبت جلود وجوههم فلو أن مارا مر بهم يرفقهم لرف جلود وجوههم فيها ، ثم يصب عليهم المطش
فيستغيثون فيغاثون بماء كلليل وهو الذى قد انتهى حره فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم
التي قد سقطت عنها الجلود ولهذا قال تعالى بعد وصفه هنا الشراب بهذه الصفات السميمة القبيحة (بشى الشراب) أى
بشى هذا الشراب كما قال في الآية الأخرى (وسقوا ماء حيا قطع أمعاءهم) وقال تامل (تسقى من عين آية) أى حارة
كما قال تعالى (وبين حميم آن) (وساءت مرفقا) أى وساءت النار منزلا ومقيلا ومجتمعا وموضعا للارتفاق كما قال في
الآية الأخرى (إنها ساءت مستقرا ومقاما)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ تَحْلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى
مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُسْقَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَشَكِّينَ
فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَبِمْ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مَرْفَقًا ﴾

لما ذكر تعالى حال الأشقياء ثم يذكر السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا للرسلين فيما جاءوا به وعملوا بما أمرهم
به من الأعمال الصالحة فلهم جنات عدن والعدن الإقامة (تجرى من تحتهم الأنهار) أى من تحت غرفهم ومنزلهم .
قال فرعون (وهذه الأنهار تجري من تحتي) الآية (يحاون) أى من الحلية (فيها من أساور من ذهب) وقال في السكان
الآخر (ولؤلؤا ولباسهم فيها حر) (وفصله هنا فقال) ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق) فالسندس لباس
رفيع رقيق كالقطن وما جرى مجراها وأما الإستبرق فغليظ الدياج وفيه بريق وقوله (متكئين فيها على الأرائك)
الانكاس قيل الاضطجاع وقيل التربع في الجلوس وهو أشبه بالمراد هنا ومنه الحديث الصحيح « أما أنا فلا أكل
متكئا » فيه القولان . والأرائك جمع أريكه وهي السرير تحت الحبة والحجة كما يعرف الناس في زماننا هذا
بالبخانة والله أعلم . قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة (على الأرائك) قال هي المجال قال معمر وقال غيره السررف
المجال . وقوله (نعم الثواب وحسنت مرفقا) أى نعمت الجنة ثوابا على أعمالهم وحسنت مرفقا أى حسنت منزلا
ومقيلا ومقاما كما قال في النار (بشى الشراب وساءت مرفقا) وهكذا قابل بينهما في سورة القرقان في قوله (إنها
سائت مستقرا ومقاما) ثم ذكر صفات المؤمنين فقال (أولئك يمزون الرفقة بما صبروا ويقعون فيها تحية وسلاما خالدين
فيها حسنت مستقرا ومقاما)

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾

كَلِمَاتِ الْجَنَّتَيْنِ ؕ أَتَتْهُ أَسْكُفَاتُهَا وَلَمْ تُظَلِّمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا • وَكَانَ لَهُ مُدْرِكُ فَتَالُ لَصَاحِبِهِ هُوَ
يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَهْرًا • وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا •
وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا)

يقول تعالى بعد ذكره للشركين للسكرين عن مجالسة الضعفاء وللساكنين من المسلمين واتخروا عليهم بأموالهم
وأحسابهم فغضب لهم ولهم مثلاً رجلين جعل الله لأحدهما جنتين أي بستنتين من أعشاب مخوفتين بالتحليل المهدقة
في جناتهما وفي خلالهما الزروع وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة ولهذا قال (كنتا الجنتين
أتت أكلها) أي أخرجت ثمرهما (ولم تظلم منه شيئاً) أي ولم تنقص منه شيئاً (وفجرتا خلالهما نهراً) أي والأنهار متفرقة
فيهما ههنا وههنا (وكان له نهر) قيل للراد به المال روى عن ابن عباس ومجاهد وقادة وقيل النهر وهو أظهر ههنا
ويؤيده القراءة الأخرى (وكان له نهر) بضم الناء وتسكين اللام فيكون جمع ثمرة خشبية وخشب. وقرأ آخرون نهر
بفتح الناء ولهم فقال أي صاحب هاتين الجنتين لصاحبه وهو يحاوره أي يجادله ويخاصمه يفتخر عليه ويترأس (أنا
أكثر منك مالا وأعز نهرًا) أي أكثر خيلاً وحشياً ولهما. قال قتادة تلك والله أمانة الفاجر كثرة المال وعزة
النهر وقوله (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) أي بكفره وبتمرده وبكبره وبجبره وإنكاره للهاد (قال ما أظن أن تبدي
هذه أبداً) وذلك اغتراب منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأثمار اللطيفة في جوانبها وأرجائها ظن أنها
لا تضي ولا تفرغ ولا تهلك ولا تلتف وذلك لقلة عقله وضيق قلبه وإعجاباه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة
ولهذا قال (وما أظن الساعة قائمة) أي كائنة (ولئن رددت إلى ربي لأجدن منها منقلباً) أي ولئن كان معاد ورجعة
ومرد إلى الله ليكونن لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا كما قال في الآية
الأخرى (ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده الحسن) وقال (أن رأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولها) أي
في الدار الآخرة تأتي على الله عز وجل. وكان سبب نزولها في العاص بن وائل كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله وبه
الثقة وعليه الكلام

(قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفْثَةٍ ثُمَّ سُوءَكَ رَجُلًا • لَكِنَّا
هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا • وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ
أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَلَوْلَا • فَسَيَرَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْنَا حِسَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ
صَعِيدًا زَلَقًا • أَوْ يُضْمِرُ مَاؤُهُمَا غُورًا فَلَن لاَّ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا)

يقول تعالى غيراً عما أجابه به صاحبه المؤمن واعطاه وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والافتقار (أكثر
بالذي خلقك من تراب) الآية وهذا إنكار وتظلم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان
من طين وهو آدم ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين كما قال تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم)
الآية أي كيف تتحدون ربكم ودلائله عليكم ظاهرة جلية كل أحد يعلمها من نفسه فانه ما من أحد من المخالقات إلا ويعلم
أنه كان معدوماً وجد وليس وجوده من نفسه ولا مستنداً إلى شيء من المخالقات لأنه بمثابة فعل إسناد إجماعه إلى خلقه
وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء ولهذا قال المؤمن (ولكننا هو الله رب) أي لكن أنا لا أقول بمقتاضك بل
أعترف لله بالوحدانية والربوبية (ولا أشرك بربي أحداً) أي بل هو الله المعبود وحده لا شريك له ثم قال :

مشركون) وكفوله إخباراً عن فرعون (حق إذا أدركه الفرق قال آمنت أنه لا إله إلا الله آمنت به بنو إسرائيل وأما من السليين * الآن وقد عصيت قبل وكنت من اللسدين) ومنهم من كسر الواو من الولاية أي هناك الحكم لله الحق ثم منهم من رفع الحق إلى أنه نعت للولاية كقوله تعالى (للك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) ومنهم من خفض القاف إلى أنه نعت له عز وجل كقوله (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) الآية ولهذا قال تعالى (هو خير ثواباً) أي جزاء (وخيراً عقاباً) أي الأعمال التي تكون لله عز وجل ثوابها خير وعقابها حجة رشيده كلها خير

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا هِيَ آتِزَتُهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيًا تَذْرُوهُ أَرْيَحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا * أَلْبَلٌ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَغِيَّتُ الصَّابِرَاتُ خَيْرٌ مِنْهُنَّ وَكَانَ ثَوَابُهُمْ وَأَجْرُهُمْ أَكْبَرَ﴾

يقول تعالى (واضرب) يا محمد للناس (مثل الحياة الدنيا) في زوالها وقائما وانقضائها (كما أنزلنا من السماء فاستخبط به نبات الأرض) أي ما فيها من الحب فنب وحبس وعلاء الزهر والنور والنفرة ثم بعد هذا كله (أصبح هشياً) يابساً (تذروه الرياح) أي تفرقه وتطرعه ذات اليمين وذات الشمال (وكان الله على كل شيء مقتدراً) أي هو قادر على هذه الحال وهذه الحال وكثيرا ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل كما قال تعالى في سورة يونس (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام) الآية وقال في الزمر (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه نباته في الأرض ثم فرج به زرعاً مختلفاً ألوانه) الآية وقال في سورة الحديد (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته) الآية وفي الحديث الصحيح «الدنيا خضرة حولة» وقوله (اللآل والبون زينة الحياة الدنيا) كقوله (زين للناس حب الضمومات من النساء والبنين والقناطر المتقطرة من الذهب) الآية وقال تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) أي الإقبال عليه والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم والجمع لهم والشقة للفرقة عليهم ، ولهذا قال (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً) قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف الباقيات الصالحات الصلوات الحسنى ، وقال عطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير عن ابن عباس : الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وهكذا مثل أمير المؤمنين عثمان بن عفان عن الباقيات الصالحات ما هي قال هي لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، رواه الإمام أحمد حدثنا أبو عبيد الرحمن القرقي حدثنا حوثة حدثنا أبو عتيق أنه سمع العارث بن مولى عثمان رضي الله عنه يقول جلس عثمان يوماً وجلسنا معه فعباد للؤمن فدعا بما في إناؤه أظنه سيكون فيه مد فتوضأ ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وضوئى هذا ثم قال «من توضأ وضوئى هذا ثم صلى صلاة الظهر غفر له ما كان بينها وبين الصبح ثم صلى العصر غفر له ما بينها وبين الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بينها وبين الصبح ثم صلى صلاة الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء غفر له ما بينها وبين المغرب ثم لمه لي بيت تشرع ليته ثم إن قام فتوضأ وصلى صلاة الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء وعن الحسنات بنهين السيثان» قالوا هذه الحسنات فما الباقيات الصالحات يا عثمان؟ قال هي لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فخر به ، وروى مالك عن عمارة بن عبد الله بن صياد عن سعيد بن المسيب قال الباقيات الصالحات : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال محمد بن عجلان عن عمارة قال سألت سعيد بن المسيب عن الباقيات الصالحات قلت الصلاة والصيام فقال لم تصب قلت الزكاة والصوم فقال لم تصب ولكن الكلمات الحسنى لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله . وقال ابن جرير أخبرني عبد الله ابن عثمان بن خثيم عن نافع بن سرجس أنه أخبره أنه سأله ابن عمر عن الباقيات الصالحات قال لا إله إلا الله والله أكبر

وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال ابن جريج وقال عطاء بن أبي رباح مثلك ، وقال مجاهد : الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن وقائدة في قوله (والباقيات الصالحات) قال لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله ، هن الباقيات الصالحات ، قال ابن جرير : وجدت في كتابي عن الحسن بن الصباح البزاز عن أبي نضر الحنظلي عن عبد العزيز بن مسلم عن محمد بن عجلان عن سعيد القبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات » قال وحديثي يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « استكثروا من الباقيات الصالحات » قبل وما هن يارسول الله ؟ قال « الله » قبل وما هي يارسول الله ؟ قال « التكبير والتبجيل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله » وهكذا رواه أحمد بن حنبل في حديث دراج به

قال وهب أخبرني أبو سحر أن عبد الله بن عبد الرحمن مولى سالم بن عبد الله حدثه قال : أرسلني سالم إلى محمد بن كعب القرظي في حاجة فقال قل له القى عند زاوية القبر فإن لي إليك حاجة قال فالتفتا فسلم أحدهما على الآخر ثم قال سالم ماتت الباقيات الصالحات ؟ فقال لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له سالم : متى جمعت فيها لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ قال : ما زلت أجعلها قال فراجعه مرتين أو ثلاثاً فلم ينزع قال فأبيت ؟ قال سالم أجل فأبيت فإن أبا أيوب الأنصاري حدثني أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول « عرج لي إلى السماء فرأيت إبراهيم عليه السلام فقال يا جبريل من هذا الذي معك ؟ فقال محمد فرحب بي وسهل ثم قال مرأيتك فلتكثر من غراس الجنة فإن تر بها طيبة وأرضها واسعة قتلت وما غراس الجنة فقال لا حول ولا قوة إلا بالله »

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن يزيد عن العوام حدثني رجل من الأنصار من آل النعمان بن بشير قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء فرجع يصير إلى السماء ثم خفض حتى ظننا أنه قد حدث في السماء شيء ثم قال : « أما إنه سيكون بعدى أمراء يكذبون وظلمون فمن صدقهم بكذبهم ومأثم على ظلهم فليس مني ولمست منه ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يأنسهم على ظلهم فهو مني وأمانته . ألا وإن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات » .

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام عن مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج نخس ما أهلهن في السيران : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحبسه والده - وقال - يخرج نخس من لقي الله مستقيماً بهن دخل الجنة : يؤمن بالله واليوم الآخر وبالجنة والنار وبالبعث بعد الموت وبالْحَسَابِ » وقال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : كان شداد بن أوس رضى الله عنه في سفر فزل منزلاً فقال لعلامه اتنا بالشفرة نبت بها فأناكرت عليه فقال ماتكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطئها وأزهاها غير كلقي هذه فلا تحفظوها على واحفظوا ما أقول لكم : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكثروا أتم هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والمزينة على الرشد وأسألك شكر نعمتك ، وأسألك حسن عبادتك ، وأسألك قلباً سائماً ، وأسألك لساناً صادقاً ، وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأسألك ما تعلم إنك أنت علام الغيوب » ثم رواه أيضاً النسائي من وجه آخر عن شداد بنحوه . وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثني أبي حدثنا عمر بن الحسين بن الحسن بن يونس بن شيبة الجدي عن سعد بن جنادة رضى الله عنه قال : كنت في أول من أتى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الطائف فخرجت من أعلى الطائف من السراة غدوة فأبيت مني عند العصر فتصاعدت في الجبل ثم هبطت فأبيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت وعلمني (قل هو الله أحد) و (إنا نزلت) وعلمني هؤلاء الكلمات : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

وقال « هن الباقيات الصالحات » وبهذا الإسناد « من قام من الليل توبواً ومضمض فاه ثم قال سبحان الله مائة مرة والحمد لله مائة مرة والله أكبر مائة مرة ولا إله إلا الله مائة مرة غفرت ذنوبه إلا السماء فاتها لا تظلم » وقال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (والباقيات الصالحات) قال هي ذكر الله قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحب والصدقة والحق والجهاد والصلاة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض . وقال الموفى عن ابن عباس : هي السلام الطيب . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هي الأعمال الصالحة كلها واختاره ابن جرير رحمه الله

(وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعَرْضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّ لَكُمْ مَوْعِدًا * وَوَضَعْنَا الْكِتَابَ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا يُشْفِقُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَقُولُوا مَا وَعَدُوا وَلَا يَنْفَعُكُمْ ذَلِكَ شَيْئًا وَلَا يَسْمَعُونَ)

يغير تعالى عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظام كما قال تعالى : (يوم تمور السماء مورا * وتسير الجبال سيرا) أي تلعب من أماكنها وتزلزل كما قال تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وقال تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وقال (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً * فيزورها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) يذكر تعالى أنه تلعب الجبال وتتساوى للهاد وتبقى الأرض قاعاً صفصفاً أي سطحاً مستويا لا عوج فيه ولا أمتا أي لا وادي ولا جبل ولهذا قال تعالى (وترى الأرض بارزة) أي بادية ظاهرة ليس فيها معلم لأحد ولا مكان يوراي أحدا بل الخلق كلهم ضاحون لرحم لا تخفى عليه منهم خافية . قال مجاهد وقناة (وترى الأرض بارزة) لا حجر فيها ولا غيبة قال قتادة : لا بناء ولا شجر . وقوله (وحشرناهم فلم تغادرنا منهم أحداً) أي وجسمناهم الأولين منهم والآخرين فلم تترك منهم أحداً لا صغيراً ولا كبيراً قال قال (قل إن الأولين والآخرين لم يحشروا إلى ميقات يوم معلوم) وقال (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وقوله (وعرضوا على ربك صففاً) يحتمل أن يكون المراد أن جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفاً واحداً كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) ويحتمل أنهم يقومون صفوفاً صفوفاً قال قال (وجاء ربك والملك صفاً صففاً) وقوله (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) هذا تخيير للسكران للعداء ، وتوبيخ لهم على ردوس الشهاداء، ولهذا قال تعالى مخاطباً لهم (بل زعمت أن لن نجعل لكم موعداً) أي ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم ولا أن هذا كائن وقوله (ووضع الكتاب) أي كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير والقتيل والقطمير والصغير والكبير (فترى المجرمين مشفقين مما فيه) أي من أعمالهم السيئة وأعمالهم السيئة (ويقولون يا ويلتنا) أي يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمالنا (ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) أي لا تترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا عملاً وإن صغر إلا أحصاها أي ضبطها وحفظها . وروى الطبراني بإسناده المتقدم في الآية قبلها إلى مدين جنادة قال لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة خيبر نزلنا قرا من الأرض ليس فيه شيء قال النبي ﷺ « اجعوا من وجد عوداً فليأت به ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأت به » قال فما كان إلا ساعة حتى جئناه ركعاً فقال النبي ﷺ « أثرون هذا ؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جئتم هذا فليترك الرجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فاتها حصاة عليه » وقوله (ووجدوا ما عملوا حاشراً) أي من خير وشر كما قال تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) الآية

وقال تعالى (يَبْأَيُّ الْإِنْسَانِ يَوْمَنْدُ بِمَا قَدِمَ وَآخِرَ) وقال تعالى (يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ) أي تظهر الخبايا والضمائر. قال الإمام أحمد حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به » أخرجه في الصحيحين وفي لفظ « يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه جدر غدرته يقال هذه غدره فلان بن فلان » وقوله (ولا ينظم ربك أحدا) أي فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعا ولا ينظم أحدا من خلقه بل يفوق ويصفق ويغفر ويرحم ويغضب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله وعيلا النار من الكفار وأصحاب المعاصي ثم ينجي أصحاب المعاصي ويخلد فيها الكافرين وهو الحاكم الذي لا يجوز ولا ينظم قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعفها) الآية : وقال (وضع للوازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا - إلى قوله - حاسبين) والآيات في هذا كثيرة وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد المكي عن عبد الله بن محمد ابن عقيل أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : بلغني حديث عن رجل سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فاشتريت بهيرا ثم شددت عليه رحلا فمرت عليه شهرا حتى قدمت عليه الشام فلما عبد الله بن أنس قفلت للبواب قل له جابر على الباب فقال ابن عبد الله قلت نعم فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقتني فقلت حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصص فخنيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يمشي الله عز وجل الناس يوم القيامة - أو قال العباد - عراة غرلا بهما » قلت وما بهما ؟ قال « ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا للملك أنا الدين لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى أقضيه منه حق اللطمة قال : قلنا كيف وإنا نأني الله عز وجل خاة عراة غرلا بهما ؟ قال : « بالسنن والسبائب » وعن شعبة عن العوام بن مازع عن أبي عثمان عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الجاهم ليقص من القرآن يوم القيامة » رواه عبد الله بن الإمام أحمد وله شواهد من وجوه أخر وقد ذكرناها عند قوله تعالى (وضع للوازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) وعند قوله تعالى (إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون)

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَمَنْ كَفَرَ عَذَابِي لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)

يقول تعالى منها بنى آدم على عداوة إبليس لم ولأبهم من قبلهم ومقرما لمن اتبعه منهم وخالف خلقه ومولاه وهو الذي أنشأه وأبداه، وبألفاظه رزقه وغذاه، ثم بعد هذا كله وإلى إبليس وعادى الله، فقال تعالى (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) أي سجدوا تحشرف وتكريم وتعظيم كما قال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ فَلَمَّا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) وقوله (فسجدوا لإبليس كان من الجن) أي خاذه أصله فانه خلق من مارج من نار وأصل خلق الملائكة من نور كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال « خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم فعند الحاجة نضج كل وعاء بما فيه وخاذه الطبع عند الحاجة وذلك أنه كان قد توسم بأفصال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتمسك فلهذا دخل في خطاياهم وعصى بالخالفه » وبه تعالى ههنا على أنه من الجن أي على أنه خلق من نار كما قال (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) قال الحسن البصري ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه لأصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل البشر رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه ، وقال الضحاك عن ابن عباس : كان إبليس من حمى من أحياء الملائكة يقال لهم

الجن خلقوا من نار السموم من بين اللاتكة وكان اسمه الحارث وكان خازنا من خزان الجنة وخلقت اللاتكة من نور غير هذا الخلق قالوا خلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا انتهت وقال الضحاک أيضا عن ابن عباس كان إبليس من أشرف اللاتكة وأكرمهم قبلة وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان السماء الدنيا ولسطان الأرض وكان مما سألته نفسه من قضاء الله أنه رأى أنه بذلك شرها على أهل السماء فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يملكه إلا الله واستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لأدم (فاستكبر وكان من الكافرين) قال ابن عباس قوله (كان من الجن) أي من خزان الجنان كما يقال الرجل مكى ومدنى وبصري وكوفي وقال ابن جرير عن ابن عباس نحو ذلك ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هو من خزان الجنة وكان يدبر أمر السماء الدنيا رواء ابن جرير من حديث الأعمش عن جبيب بن أبي ثابت عن سعيد به ، وقال سعيد بن المسيب كان رئيس ملائكة سماء الدنيا ، وقال ابن إسحق عن خلاد بن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال : كان إبليس قبل أن يركب المصية من اللاتكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهدا وأكثرم علما فذلك دعاه إلى الكبر وكان من حي يسمون جانا . وقال ابن جرير عن صالح مولى التوأمة وشريك بن أبي نجر أحدهما أو كلاهما عن ابن عباس قال إن من الملائكة قبيلة من الجن وكان إبليس منها وكان يسوس ما بين السماء والأرض ففسى فسخط الله عليه فسحقه شيطانا رجيا لانه الله سموحا قال وإذا كانت نخطبة الرجل في كبر فلا ترجمه وإذا كانت في مصيبة فارجه ، وعن سعيد بن جبير أنه قال كان من الجنان الذين يسألون في الجنة وقد روى في هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما قد يقطع بكذبه لخالفته لحق الذي بأيدنا وفي القرآن غنية عن كل ماعدها من الأخبار المتقدمة لأنها لا تتكاد تخلو من تبديل وزادة وقصان وقد وضع فيها أشياء كثيرة وليس لهم من الحفاظ المتقين الذين يغفون عنها تحريف التالين وانتحال البليطين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأخياء والبررة والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الأياد الذين دونوا الحديث وحرروه وبيتوا صحيحه من حسننه من ضيقه من منكره وموضوعه ومتركه ومكذوبه وعرفوا الوضعين والبكتائين والمجهولين وغير ذلك من أصناف الرجال كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام الحمدي خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم أن ينسب إليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه فرضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل ، وقوله (فسق عن أمر ربه) أي فخرج عن طاعة الله فإن الفسق هو الخروج يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من أكمامها وفسقت القارة من جبرها إذا خرجت منه للغيث والفساد ثم قال تعالى مفرقا وموفا لمن اتبعه وأطاعه (أنتخذونه وذريته أولياء من دوني) الآية أي بدلا عن ولهذا قال (يشق لفظا للذين بدلا) وهذا المقام كقولهم بعد ذكر القيامة وأهوالها ومصير كل من الفريقين السعداء والأشقياء في سورة يس (وإما نوازوا اليوم أيها المجرمون - إلى قوله - أفلم تكونوا تعقلون)

(مَا أَفْعَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتَ مُتَخَذَ الضَّالِّينَ عُصْدًا)

يقول تعالى هؤلاء الذين اتخذوهم أولياء من دون عبيد أمثالكم لا يعلكون شيئا ولا أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا كانوا إذ ذاك موجودين ، يقول تعالى أنا المستقل بخلق الأشياء كلها ومديرها ومقدرها وحدي ليس معي في ذلك شريك ولا وزير ولا مشير ولا نظير كما قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يعلكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) الآية ولهذا قال (وما كنت متخذ الضالين عسدا) قال مالك : أعوانا

(وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَّمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا * وَزَكَرُوا

الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا

يقول تعالى غضباً عما يخاطب به المشركين يوم القيامة على رؤوس الأشهاد تعريضاً لهم وتوبيخاً (نادوا شركائهم الذين زعمتم أي في دار الدنيا ادعوا اليوم ينقذونكم مما أنتم فيه كالكال تعالى (ولقد جئتنا فرداً كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) وقوله (فدعواهم فلم يستجيبوا لهم) كالكال (وقيل ادعوا شركاءكم فدعواهم فلم يستجيبوا لهم) الآية ، وقال (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) الآيتين وقال تعالى (وأخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) كلاسيكرون يباديهم ويكونون عليهم ضداً) وقوله (وجعلنا بينهم موبقاً) قال ابن عباس وقتادة وغير واحد مهلكاً ، وقال قتادة ذكر لنا أن عمراً البكالي حدث عن عبدالله بن عمرو قال هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة وقال قتادة: موبقاً وادياً في جهنم

وقال ابن جرير حدثني محمد بن سنان القزاز حدثنا عبد الصمد حدثنا يزيد بن زريع سمعت أنس بن مالك يقول في قول الله تعالى (وجعلنا بينهم موبقاً) قالوا في جهنم من قبح ودم ، وقال الحسن البصري موبقاً عداوة والظاهر من السياق هنا أنه للهلاك ويجوز أن يكون وادياً في جهنم وأغريه وللحق أن الله تعالى بين أنه لا سبيل لهؤلاء للمشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة فلا خلاص لأحد من الترفيقين إلى الآخر بل بينهما مهلك وهول عظيم وأمر كبير . وأما إن جعل الضمير في قوله بينهم عائداً إلى المؤمنين والكافرين كآل عبد الله بن عمرو فإنه يفرق بين أهل الهدى والضلالة به فهو كقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون) وقال (يومئذ يصدعون) وقال تعالى (واستأزوا اليوم أيها المجرمون) وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم قول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاءكم فزينا بينهم - إلى قوله - وضل عنهم ما كانوا يفترون) وقوله (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً) أي أنهم لما كانوا يفترون ذلك من باب تمهيل الملم والحزن لهم فإن توقع ألف ملك (فإذا رأى المجرمون النار) تحققت لا محالة أنهم مواقعوها ليكون ذلك من باب تمهيل الملم والحزن لهم فإن توقع العذاب والخوف منه قبل وقوعه عذاب ناجز وقوله (ولم يجدوا عنها مصرفاً) أي ليس لهم طريق يعدل بهم عنها ولا ينظم منها . قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الكافر ليرى جهنم فيظن أنها مواقيته من مسيرة أربعين سنة » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ ينصب الكافر مقدار خمسين ألف سنة كما لم يعمل في الدنيا وإن الكافر ليرى جهنم ويظن أنها مواقيته من مسيرة أربعين سنة »

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾

يقول تعالى ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن ووضنا لهم الأمور وفصلناها كيلاً يضلوا عن الحق ويخرجوا عن طريق الهدى ومع هذا البيان وهذا القرآن الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والممارسة للحق بالباطل لإلزام هدى الله وبصره لطريق النجاة . قال الإمام أحمد حدثنا أبو الجان أخبرنا شبيب عن الزهري أخبرني علي بن الحسين أن حسين بن علي أخبره أن علي بن أبي طالب أخبره أن رسول الله ﷺ طرقة وقاطعة بنت رسول الله ﷺ ليلة قال « ألا تصليان » فقلت يارسول الله إنما أتينا بيد الله فإذا شاء أن يبتنا ببتنا ، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شئ مما سمعته وهو مول يضرب فضله ويقول (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً) أخرجه في الصحيحين .

حوتها فأتخذ سبيله في البحر سرباً • فلما جاوزا قال لفته: أتنا غداءنا لقد قمينا من سفركا هكذا نصبا • قال أريت إذ أوتينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسيتي إلا الشيطان أن أذكركم واتخذ سبيله في البحر عجباً • قال ذلك ما كنا ننبر فارتداً على آثارهما قصصاً • فوجدوا عبداً من هبارا واتباعه رحمة من عندنا وعلقتهم من لدنا علماً

ينسب قول موسى لفته وهو يوشع بن نون هذا الكلام أنه ذكر له أن عبداً من عباد الله يجمع البحرين عندهم يعلم عالم يحيط به موسى فأجاب الرحيل إليه وقال لفته ذلك (لا أبرح) أي لا أزال سائرا (حتى أبلغ مجمع البحرين) أي هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين . قال القرطبي : لما برحوا حتى تهادت فساوهم • يطعاه ذي قار عياب الطائم • قال قتادة وغير واحد : هما بحر فارس مما يلي الشرق وبحر الروم مما يلي المغرب ، وقال محمد بن كعب القرظي مجمع البحرين عند طنجة يعني في أقصى بلاد المغرب والله أعلم ، وقوله (أو أمضى حطباً) أي ولو أني أسير حطباً من الزمان قال ابن جرير رحمه الله ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن الحطب في لغة قيس سنة ثم قد روي عن عبد الله ابن عمرو أنه قال الحطب ثمانون سنة ، وقال مجاهد سيمون خرفاً ، وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (أو أمضى حطباً) قال دهر ، وقال قتادة وابن زيد مثل ذلك . وقوله (فلما بلغنا مجمع بينهما نسيا حوتهما) وذلك أنه كان قد أمر بمحمل حوت ملوح معه وقيل له متى فقدت الحوت فهو ثمة فساروا حتى بلغنا مجمع البحرين وهناك عين يقال لها عين الحياة فلما هناك وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء فاضطرب وكان في مكل مع يوشع عليه السلام وظهر من المكل إلى البحر فاستيقظ يوشع عليه السلام وسقط الحوت في البحر فجل يسير في الماء ولما له مثل الطاق لا يتم بذه ، ولما قال تعالى (واتخذ سبيله في البحر سرباً) أي مثل السرب في الأرض قال ابن جرير قال ابن عباس صار أثره كأنه حجر . وقال السوفي عن ابن عباس جبل الحوت لا يمسي شيئا من البحر إلا لايس حتى يكون صخرة وقال محمد بن إسحق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر حديث ذلك ما أعجاب ماء منذ كان الناس غير مسير مكان الحوت الذي فيه فأعجاب كالسكة حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه فقال (ذلك ما كنا نبغي) وقال قتادة سرب من البحر حتى أفضى إلى البحر ثم سلك فيه فوصل لايسلك فيه طريقاً إلا صار ماء جامداً وقوله (فلما جاوزا) أي المكان الذي نسيا الحوت فيه ونسب النسيان إليهما وإن كان يوشع هو الذي نسب كقوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وإنما يخرج من اللؤلؤ أحد القولين فلما ذهبا عن المكان الذي نسيه فيه بحر حلة (قال) موسى (لفته أتنا غداءنا لقد قمينا من سفركا هذا) أي الذي جاوزا فيه المكان (نصبا) يعني تمبا (قال أريت إذ أوتينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسيتي إلا الشيطان أن أذكركم) قال قتادة قرأ ابن محبوب أن أذكر كقولنا قال (فاتخذ سبيله) أي طريقه (في البحر عجباً قال ذلك ما كنا نبغي) أي هذا هو الذي نطلب (فارتداً) أي رجعا (على آثارهما) أي طريقهما (قصصاً) أي يقصان آثار مشيها وقفوان آثارهما (فوجدوا عبداً من هبارا واتباعه رحمة من عندنا وعلناه من لدنا علماً) وهذا هو الحضر عليه السلام كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ . قال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرني سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس إن نوحا بالكلى يزعم أن موسى صاحب الحضرة عليه السلام ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل . قال ابن عباس كذب علو الله ، حدثنا أبي بن كعب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فقل أي الناس أعلم ؟ قال أنا فكتب الله عليه أن لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه إن لي عبداً يجمع البحرين هو أعلم منك . قال موسى : إرب وكيف لي به ؟ قال تأخذ معك حوتا فتجعله بكمل نحيباً فتقتد

أعلم ذلك به . قاللى عمرو قال حيث يشارك الحوت وقاللى يلى خذ حوتامينا حيث ينفخ فيه الروح فأخذ حوتافجعله
فى مكل فقال لفته لا أكلفك إلا أن تخبرنى بحيث يشارك الحوت قال ما كلفتك كيزا فذلك قوله (وإذا قال موسى
لفته) يوشع بن نون ليست عند سعيد بن جبر قال فينا هو فى ظل صخرة فى مكان ثريان إذ يضرب الحوت وموسى
نام فقال لفته لا أوقفه حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره وضرب الحوت حتى دخل فى البحر فأمسك اللهعنه جرية الماء
حتى كان أثره فى حجر قال : فقاللى عمرو هكذا كان أثره فى حجر وحلق بين إيهاميه والتين بليهما قال (لقدلقينا
من سفرنا هذاصبا) قال وقدقطع اللهعنه النصب ليست هذه عند سعيد بن جبر أخبره فرجعا فوجدنا خضرا قال :
قال عثمان بن أبى سليمان على طنفسة خضراء على كبد البحر قال سعيد بن جبر مسجى شوب قد جعل طرفه تحت رجليه
وطرفه تحت رأسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال هل بأرضى من سلام ؟ من أنت ؟ قال أنا موسى قال موسى
بنى إسرائيل ؟ قال نعم قال فما شأنك ؟ قال : جشك لطفى مما علت رشدا قال أما يكفيك أن التوراة يديك وأن
الوصى يأتيك ياموسى إنى على لاينبى لك أن تملء وإن لك علما لاينبىلى أن أعلمه فأخذ طائر بمنقاره من البحر
فقال والله ما علمى وعلمك فى جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر حتى إذا ركب إلى السفينة وجد ما برصغارا
تحمل أهل هذا الساحل إلى هذا الساحل الآخر عرفوه فقالوا عبد الله الصالح قال قلنا لسعيد بن جبر خضر قال نعم
لاخمله بأجر فخرتها وتود فيها وتدا قال موسى (أخرتها لتفرق أهلها لقد جئت شيئا إمرأ) قال مجاهد منكر قال
ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا كانت الأولى لسيان والثانية شرطا والثالثة عمدا قال لا تراخى بمناسبت ولا تهرق
من أمرى عسرا فأناطلقا حتى لقيا غلاما فقتله قال يلى قال سعيد وجد غلاما يملون فأخذ غلاما كافرا ظريفا فأضجعه
ثم ذهب بالسكين فقال أقتلت نفسا زكية لم تعمل الحنث وابن عباس قرأها زكية مسلمة كقولك غلاما زكيا فأناطلقا
فوجدنا جدرا يريد أن ينقض فاقامه قال بيده هكذا ودفع بيده . فاستقام قال لو شئت لأخذت عليه أجرا قال يلى حسبت
أن سيدا قال لشمعه بيده فاستقام قال لو شئت لأخذت عليه أجرا قال سعيد أجرا أنا كله وكان وراءهم ملك وكان أمامهم
قرأها ابن عباس أمامهم ملك يزعمون عن غير سعيد انه هدد بن بدد والغلام للقتول اسمه يزعمون حيسور ملك يأخذ
كل سفينة غصبا فأردت إذا هي مرت به أن يدها بيها فاذا جاوزوا أصلوها فانتفخوا بها منهم من يقول سدوها
بقارورة ومنهم من يقول بالقار كان أبوه مؤمنين وكان هو كافرا فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا أن يحملهما جبه على
أن يتابعاه على دينه فأردنا أن يبدلهماربهما خيرا منه زكاة كقوله (أقتلت نفسا زكية) وقوله (وأقرب رحما) هاهنا أرحم
منهما بالأول الذى قتل خضر وزعم غير سعيد بن جبر انهما أبدلا جارية وأما داود بن أبى صاصم فقال عن غير واحد انها جارية
وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبى إسحق عن سعيد بن جبر عن ابن عباس قال خطب موسى عليه السلام
بنى إسرائيل فقال ما أحد أعلم بالله وبأمره منى فأمر أن يلقى هذا الرجل قد كره نحو ما تهمم بزيادة وقصان والله أعلم
وقال محمد بن إسحق عن الحسن بن حمادة عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن جبر قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر
من أهل الكتاب فقال بعضهم يا أباه الباس إن نوحا بن امرأة كعب يزعم عن كعب أن موسى النبي الذى طلب العلم
إنما هو موسى بن ميثا ، قال سعيد فقال ابن عباس أنوف يقول هذا ياسعيد ؟ قلت له نعم أنا سمعت نوحا يقول
ذلك قال أنت سمعته ياسعيد قال قلت نعم قال كذب نوح . ثم قال ابن عباس حدثنى أبى بن كعب عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن موسى بنى إسرائيل سأل ربه فقال أى رب إن كان فى عبادك أحد هو أعلم بى فدلى عليه فقال له
نعم فى عبادى من هو أعلم منك ثم نمت له مكانه وأذن له فى قلبه ، فخرج موسى ومعه فته ومعه حوت مليح
فدقيل له إذا حي هذا الحوت فى مكان فصاحبك هناك وقد أدركت حاجتك فخرج موسى ومعه فته ومعه ذلك الحوت
فجملته فسار حتى جهده السير واتهى إلى الصخرة وإلى ذلك الماء وذلك الماء ماء الحياة من شرب منه خلد ولا
يقارنه شيء ميت إلا حي فلما نزل موسى الحوت الماء حي فأخذ سبيله فى البحر سريبا فأنطلقا فلما جاوزا الثقة قال
موسى لفته آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ، قال الفتى وذكر أرايت إذ أوتينا إلى الصخرة فأتى نسيت الحوت

وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا ، قال ابن عباس فظهر موسى على الصخرة حتى إذا انتهى إليها فإذا رجل متلفف في كساء له فلم موسى عليه فرد عليه السلام ثم قال له ما جاء بك إن كان لك في قومك لشغل قال له موسى جيشك لتعلمي مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكان رجلا يعلم علم النبي قد علم ذلك فقال موسى بلى قال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أي إنما تعرف ظاهرا ما ترى من العدل ولم تحط من علم النبي بما أعلم (قال متجدي إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا) وإن رأيت ما يخالفني ، قال (فان اتبعتي فلا تسألني عن شيء) وإن أنكرته (حتى أحدث لك منه ذكرا) فانطلق بمشيان على ساحل البحر يتعرضان الناس يلتصقان من يحملهما حتى مرت بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمر بهما من السفن شيء أحسن ولا أجل ولا أوفق منها فقال أهلبا أن يحملوهما فحملوهما فلما اطمانا فيها ولجت بهما مع أهلبا أخرجه متقارله ومطرقة ثم عمد إلى ناحية منها فضرب فيها بالنقار حتى خرقتها ثم أخذ لوحا فطبقه عليها ثم جلس عليها يرقعها فقال له موسى وراي أمرا أنقطع به (أخرقتها لتفرق أهلبا لقد جئت شيئا إمرا) قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا * قال لا تؤاخذني بما نسيت) أي بما تركت من عهدك (ولا تترقق من أمري عسرا) ثم خرجا من السفينة فانطلقا حتى إذا نيا أهل قرية فإذا غلمان يلعبون خلفها فيهم غلام ليس في الثمان غلام أطرف منه ولا أنرى ولا أوضأ منه فأخذه بيده وأخذ حجرا فضرب به رأسه حتى دمه قتله ، قال فرأى موسى أمرا فظيما لا صبر عليه ، صي صغير قتله لا ذنب له قال (أدلت غسا زكية) أي صغيرة (بنير نفس لقد جئت شيئا نكرا) قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا * قال إن سألتك عن شيء فسعدنا فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) أي قد أعذرت في شأني (فانطلقا حتى إذا نيا أهل قرية استطعما أهلبا فأبوا أن يضيغوهما فوجدوا فيها جدارا يريد أن ينقض) فهدمه ثم قعد بينه ، فضجر موسى بما يراه يصنع من التكليف وما ليس عليه صبر فأقانه قال (لو شئت لأخذت عليه أجرا) أي قد استطعنا ما فلم يطعمونا وشفقنا فلم يضيغونا ثم قعدت تعمل من غير صنيعه ولو شئت لأعطيت عليه أجرا في عمله ، قال (هذا فراق بيني وبينك سأبذل لك ما لم استطع عليه صبرا * أما السفينة فكانت لمساكين يملكون في البحر فأردت أن أعطيها وكان وراهم مالك يأخذ كل سفينة غصبا) وفي قراءة أبي بن كعب (كل سفينة سالحة) وإنما عنيها لأرددها عنها فسلمت منه حين رأى العيب الذي صنعت بها ، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما ، وأما الجدار فكان للغلامين يتييمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأرد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري) أي ما فعلته عن نفسي (ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) فكان ابن عباس يقول ما كان الكثر إلا علما ، وقال الموقف عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار أنزل الله أن ذكرهم بأيام الله فخطب قومه فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعمة وذكرهم إذ نجاهم الله من آل فرعون وذكرهم هلاك عدوم وما استخلفهم الله في الأرض وقال كلمه الله نبيكم تكليما واصطفاي لنفسه وأنزل على محبة منه وآتاكم الله من كل ما سألتموه فنيكم أفضل أهل الأرض وأتم تهمون التوراة فلم يترك نعمة أنعم الله عليهم إلا وعرهم إياها . فقال له رجل من بني إسرائيل هم كذلك يا بني الله قد عرفنا الذي تقول فهل على الأرض أحد أعلم منك يا بني الله ؟ قال لا . فبث الله جبرائيل إلى موسى عليه السلام فقال إن الله يقول وما يدريك أين أضع على بلدي على شط البحر رجلا هو أعلم منك . قال ابن عباس هو الخضر ، فسأله موسى ربه إن يريه إياه ، فأوحى إليه أن اتب البحر فإنك تجد على شط البحر حوتا فتخذه فأدفعه إلى تلك ثم ألقى شاطئه البحر فإذا نسيت الحوت وهلك منك قثم تجد العبد الصالح الذي تطلب . فلما طالع سفر موسى نبى الله ونصب فيه سأل فتاه عن الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه (أرايت إذ أوتينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) لك ، قال الفتى لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سربرا فأعجب ذلك ، فرجع موسى حتى أتى الصخرة فوجد الحوت فجعل الحوت يضرب في البحر ويثبته موسى وجعل

موسى يقدم عصاه فيخرج بها عنه لئلا ينع الحوت وجعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يس عنه الماء حتى يكون صخرة فجعل نبي الله يجب من ذلك حتى انتهى به الحوت جزيرة من جزائر البحر فلقى الحضرة بها فسلم عليه فقال الحضرة عليك السلام ، وأتى يكون السلام بهذه الأرض ومن أنت ؟ قال أنا موسى . قال الحضرة : صاحب بنى إسرائيل ؟ قال نعم فرحب به وقال ما جاء بك ؟ قال جئتكم (على أن تملنن بما علمت رشدًا) قال إنك لن تستطيع معي صبرا) يقول لا تطيق ذلك قال (ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا) قال فانطلق به وقال له : لا تسألني عن شيء أمنته حتى آيين لك شأنه فذلك قوله (حتى أحدث لك منه ذكرا) وقال الزهري عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس أنه سمى هو والحري بن قيس بن حسن القرظي في صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فرجها أبو بن كعب فدعا ابن عباس فقال إني تجاريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي مثل السيل إلى لقيه فهل سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بينا موسى في ملا » من بنى إسرائيل إذ جاءه رجل فقال تعلم مكان رجل أعلم منك ؟ قال لا ، فأوحى الله إلى موسى بل عبدنا خضر فسال موسى السبل إلى لقيه فجعل الله له الحوت آية وقيل له إذا قعدت الحوت فارجع فانك ستلقاه فكان موسى يتبع أثر الحوت في البحر فقال فتي موسى لموسى أرايت إذ أويتا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت قال موسى (ذلك ما كنا نبغ فارتدا على أكارهما قصصا) فوجدنا عبدا خضرا فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تَمْلِكُنِي مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْدًا ۖ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ۚ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۚ ﴾

خبر تعالى عن قيل موسى عليه السلام لذلك الرجل العالم وهو الحضرة الذي خصه الله به لم يطلع عليه موسى كأنه أعطى موسى من العلم ما لم يعطه الحضرة (قال له موسى هل أتيتك) سؤال للطف لا على وجه الإلزام والاجبار وهكذا ينبغي أن يكون سؤال للتعلم من العالم وقوله (أتيتك) أى أصحبك وأرافقك (على أن تملنن بما علمت رشدًا) أى مما علمك الله شيئا أسترشد به في أمري من علم نافع وعمل صالح ففندها (قال) الحضرة لموسى (إنك لن تستطيع معي صبرا) أى إنك لا تقدر على مصاحبتي لما ترى مني من الأفعال التي تخالف شريعتك لأن على من علم الله ما علمه الله وأنت على علم من علم الله ما علمه الله فكل منا مكلف بأمر من الله دون صاحبه وأنت لا تقدر على سحبي (وحكيك) نصير على ما لم تحط به خيرا) فانا أعرف أنك ستترك على ما أنت معذور فيه ولكن ما اطلمت على حكمته ومصلحته الباطنة التي اطلمت أنا عليها دونك (قال) أى موسى (ستجدني إن شاء الله صابرا) أى على ما أرى من أمورك (ولا أعصى لك أمرا) أى ولا أخالفك في شيء ففند ذلك شارطه الحضرة عليه السلام (قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء) أى ابتداء (حتى أحدث لك منه ذكرا) أى حتى أبدأك أنا به قبل أن تسألني

قال ابن جرير حدثنا حميد بن جبير حدثنا يعقوب عن هارون عن عبيدة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى عليه السلام ربه عن رجل فقال أى رب أى عبادك أحب إليك قال الذى يذكرني ولا ينسأني قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال أى رب أى عبادك أعلم قال الذى يبتنى علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تهدي إلى هدى أو ترده عن ردى قال أى رب هل في أرضك أحد أعلم مني قال نعم قال فمن هو ؟ قال الحضرة قال وأين أطلبه ؟ قال على الساحل عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت قال فخرج موسى يطلبه حتى كان ما ذكر الله وانتهى موسى إليه عند الصخرة فسلم كل واحد منهما على صاحبه فقال له موسى إني أحب أصحبك قال إنك لن تطيق مصحبتي قال بلى قال فان مصحبتي (فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) قال فسار به إلى البحر حتى انتهى

إلى جمع البحرين وليس في الأرض مكان أكثر ماء منه قال وبث الله الحطاف فيجعل يستقي منه بمقداره فقال لموسى كم ترى هذا الحطاف رزاً من هذا الماء قال ما أقل مارزاً قال يا موسى فإن على وعلى ك في علم الله كقدر ما ستنسى هذا الحطاف من هذا الماء وكان موسى قد حدث نفسه أنه ليس أحد أعلم منه أو تكلم به لمن ثم أمر أن يأتي الحضرود كتمام الحديث في خرق السفينة وقتل الصلح وإصلاح الجدار ونحوه له ذلك .

﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتُهَا لَعَلِّي أَفْرُقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا إِمْرًا • قَالَ أَمَّا أَقُلُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا • قَالَ لَا نَأْخُذْ بِمَا نَسِيتُ وَلَا تَزِرُ وَفَيْكَ مِنْ أَمْرِي غَمْرًا ﴾

يقول تعالى خبراً عن موسى وصاحبه وهو الخضر أنهما انطلقا لا توقفا واصطجبا واشترط عليه أن لا يسأله عن شيء أنكره حتى يكون هو الذي يتدنه من تلقاء نفسه بجرحه وببائه فركبا في السفينة وقد تقدم في الحديث كيف ركبوا في السفينة وأنهم عرفوا الخضر فحملوا بهير نول يعني أجرة تكملة للخضر فلما استقلت بهم السفينة في البحر ولجبت أي دخلت اللجج قام الخضر فخرقها واستخرج لوحاً من ألواحها ثم رقصها فلم يملك موسى عليه السلام نفسه أن قال منكراً عليه (أخرقها لتفرق أهلها) وهذه اللام الماقية للام التليل كما قال الشاعر :

﴿ فبواللوت وابنوا الخراب • (لقد جئت شيئاً إمرًا) قال بجاهد منكراً وقال قتادة عجبا فنحنه قاله الخضر منذ كرابما تقدم من الشرط (أم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا) يعني وهذا الصنيع فعلته قصدا وهو من الأمور التي اشتعلت ملك أن لا تتسرع على فيها لأنك لم تحط بها خبرا ولما دخل هو مصلحة ولم تعلمه أنت (قال) أي موسى (لا تأخذني بما نسيت ولا ترهقني من أَمْرِي عسرا) أي لا تضيق علي ولا تشدد علي ولما تقدم في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال « كانت الأولى من موسى نسيانا »

﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي قَتَلَ زَكِيَّةً بِئِنَّ عَشِيْرَتِي لَفُكْرًا • قَالَ أَمَّا أَقُلُ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا • قَالَ إِنْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَا تَصْخَبْ عَلَيَّ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾

يقول تعالى (فانطلقا) أي بعد ذلك (حتى إذا لقيا غلاما قتلته) وقد تقدم أنه كان يلعب مع الغلمان في قرية من القرى وأنه عمد إليه من بينهم وكان أحسنهم وأجملهم وأشوأهم قتلته ، وروى أنه ابتز رأسه وقيل رضخه بحجر ، وفي رواية أقتله بيده والله أعلم فلما شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أحد من الأول وبادر فقال (أقتلت نفساً زكية) أي صنيعة لم تعمل الحنت ولا عملت إنما بعد قتلته (بهير نفس) أي بهير مستند قتلته (لقد جئت شيئاً نكراً) أي ظاهر النكارة (قال أم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا) فأكد أيضا في التذكير بالشرط الأول فلهمنا قال له موسى (إن سألتك عن شيء بعدها) أي إن اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة (فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) أي قد أعذرت إلى مرة بعد مرة ، قال ابن جرير حدثنا عبد الله بن زياد حدثنا حجاج بن محمد عن حمزاتريث عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان النبي ﷺ إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم « رحمة الله علينا وعلى موسى لوليت مع صاحبه لأبصر الحب ولكنك قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا » مثله

﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْتَبَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّبُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَمَدَدْتَ عَلَيْهِ جَنَاحًا فَقَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَبَّحْ بِكَ يَتَرَوْا بِمَالِكٍ تَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾

يقول تعالى خبراً عنهما إنيهما (انطلقا) بدلتين الأوليين (حتى إذا أنتابا أهل قرية) روى ابن جرير عن ابن سيرين

أما الآية ، وفي الحديث « حتى إذا أتيا أهل قرية ثلما » أى غلاد (فأبوا أن يضيفوها فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض) إسناد الإرادة ههنا إلى الجدار على سبيل الاستعارة فإن الإرادة في الحديثات بمعنى الليل والافتراض هو السقوط ، وقوله (فأقامه) أى فرده إلى حالة الاستقامة ، وقد تقدم في الحديث أنه رده يديه ودمه حتى ردميه وهذا خارق عند ذلك قال موسى له (لو شئت لأخذت عليه أجراً) أى لأجل أنهم لم يضيفونا كان ينبغي أن لا تعمل لهم عجاناً (قال هذا فراق بيني وبينك) أى أنك شرطت عند قتل القلام أنك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني فهو فراق بيني وبينك (سأبئك بتأويل) أى بتفسير (ما لم تستطع عليه صبراً)

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَسْتَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أُعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾

هذا تفسير لما أشكل أمره على موسى عليه السلام وما كان أنكر ظاهره وقد أظهر الله الحضر عليه السلام على حكمة باطنه فقال إن السفينة إنما خرقها لأعيبها لأنهم كانوا يبرون بها على ملك من الظلة (يأخذ كل سفينة) صالحة أى جيدة (غصبا) فأردت أن أعيبها لأرده عنها لمعيبا فينتفع بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شيء يشتقون به غيرها وقد قيل إنهم أيتام ، وروى ابن جريج عن وهب بن سلمان عن شعيب الجبالي أن اسم ذلك الملك هدد بن بدو وقد تقدم أيضاً في رواية البخاري وهو مذكور في التوراة في ذرية الميص بن إسحاق وهو من الملوك المنصوص عليهم في التوراة والله أعلم

﴿ وَأَمَّا الْكَلْبُ فَكَانَ آبَاءُ مُؤْمِنِينَ فَنَسِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا فَطَفَيْنَا فِي الْكُفْرَةِ * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّاهُمْ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾

قد تقدم أن هذا القلام كان اسمه حيثور . وفي هذا الحديث عن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « القلام الذي قتله الحضر طبع يوم طبع كافر » رواه ابن جرير من حديث ابن إسحق عن سعيد بن عباس به ، ولهذا قال (فكان آبوا مؤمنين فَنَسِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طَفَيْنَا وَكُفْرًا) أى يجعلهما على منابته على الكفر ، قال قتادة قد فرح به آبوا حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيهما هلاكهما فلبس امرؤ بقضاء الله فان قضاء الله للمؤمن فبا يكره خيره من قضاؤه فبا يجب وصح في الحديث « لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له » وقال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) وقوله (فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً) أى ولداً أزكى من هذا وهما أرحم به منه قاله ابن جريج وقال قتادة أبوا الذي قد تقدم أنها بدلا جارية. وقيل لما قتله الحضر كانت أمه حاملا بفلام مسلم قاله ابن جريج

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا كُنَّا عَنْ أَمْرِ ذَلِكَ قَاتِلِينَ * تَسْمِعُ عَلَيْهِمْ صَوْرًا ﴾

في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة لأنه قال أولا (حتى إذا أتيا أهل قرية) وقال ههنا (فكان لغلامين يتيمين في المدينة) كما قال تعالى (فكأن من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) وقالوا ولا نزل هذا القرآن على رجل من البرتين عظيم) يعني مكة والطائف ومعنى الآية أن هذا الجدار إنما أصلحته لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما . قال عكرمة وقاتدة وغير واحد كان تحته مال مدفون لهما وهو ظاهر السياق من الآية وهو اختيار ابن جرير رحمه الله ، وقال الوقي عن ابن عباس كان تحته كنز علم وكذا قال سعيد

ابن جبير ، وقال مجاهد صحف فيها علم ، وقد ورد في حديث مرفوع ما يقوى ذلك . قال حافظ أبو بكر أحمد بن عمرو ابن عبد الحاقق البزار في مسنده للشهور حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا بشر بن للنذر حدثنا الحارث ابن عبد الله اليصبي عن عياض بن عباس التساني عن أبي حنيفة عن أبي ذر رضى عنه قال : إن الكثر الذى ذكره الله فى كتابه لوح من ذهب مصمت مكتوب فيه : عجب لمن آتى بالقدر لم نصب وعجب لمن ذكر النار لم يحك وعجب لمن ذكر الموت لم يغفل إلا الله إلا الله محمد رسول الله . وبشر بن للنذر هذا قاله قاضى الصيصة قال الحافظ أبو جعفر العقيلي فى حديثه وهم وقد روى فى هذا آثار عن السلف فقال ابن جرير فى تفسيره حدثني يعقوب حدثنا الحسن بن حبيب ابن ندبة حدثنا سلمة عن نعيم النخعي وكان من جلساء الحسن قال : سمعت الحسن بن يعقوب يقول فى قوله (وكان تحته كنز لهما) قال لوح من ذهب مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، وعجب لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، وعجب لمن يعرف الدنيا وهولها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله . وحدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن عباس عن عمر مولى غفرة قال إن الكثر الذى قال الله فى السورة التى يذكر فيها الكهف (وكان تحته كنز لهما) قال كان لوحا من ذهب مصمت مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن عرف النار ثم ضحك عجب لمن آتى بالقدر ثم نصب عجب لمن آتى بالموت ثم آمن أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وحدثني أحمد بن حازم التفارى حدثنا هنادة بنت مالك الشيبانية قالت سمعت صاحبى حماد بن الوليد الثقفى يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول فى قول الله تعالى (وكان تحته كنز لهما) قال سطران ونصف لم يتم الثالث : عجب للمؤمن بالرزق كيف يتعب وعجب للمؤمن بالصالح كيف يغفل وعجب للمؤمن بالموت كيف يفرح . وقد قال الله (وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) قالت وذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الأب الذى حفظا به سبعة آباء وكان ناسجا وهذا الذى ذكره هؤلاء الأئمة وورد به الحديث للتقدم وإن صح لا ينافى قول عكرمة إنه كان مالا لأهلهم ذكروا أنه كان لوحا من ذهب وفيه مال جزيل أكثر مما زادوا أنه كان مودعا فيه علم وهو حكم ومواظف والله أعلم . وقوله (وكان أبوها صالحا) فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ فى ذريته وتشمل بركة عبادته لهم فى الدنيا والآخرة بغفائهم ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة فى الجنة لثقتهم بهم كما جاء فى القرآن ووردت به السنة قال سعيد بن جبير عن ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صلاحا وتقدم أنه كان الأب السابع فآله أعلم . وقوله (فأراد ربك أن يبلغنا أشدها ويستخرجنا منها) هنا أسند الارادة إلى الله تعالى لأن بوضهما السلم لا يقدر عليه إلا الله ، وقال فى القلم (فأردنا أن يبدلهم ربهم خيرا منه زكاة) وقال فى السفينة (فأردت أن أعينها) فآله أعلم . وقوله تعالى (رحمتى من ربك وما فعلته عن أمرى) أى هذا الذى فعلته فى هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة والذى التلام وولى الرجل الصالح وما فعلته عن أمرى أى لكنى أمرت به ووقتت عليه وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام مع ما تقدم من قوله (فوجدا عبدا من عبيدنا أتيناها رحمة من عندنا وعلنا أنه قدنا) وقال آخرون كان رسولا وقيل بل كان ملكا هاهنا لاوردى فى تفسيره وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبيا بل كان وليا فآله أعلم . وذكر ابن تيمية فى المعارج أن اسم الخضر بلى بن ملكان بن طالع بن طاهر بن صالح بن ارفخشذ بن سام ابن نوح عليه السلام قالوا وكان يكنى أبا العباس ويلقب بالخضر وكان من أبناء الملوك ذكره التورى فى تهذيب الأسماء وحكى هو وغيره فى كونه بابيا إلى الآن ثم إلى يوم القيامة قولين ومال هو وابن الصلاح إلى بقاءه وذكروا فى ذلك حكايات وآثارا عن السلف وغيرهم وجاء ذكره فى بعض الأحاديث ولا يصح شيء من ذلك وأشهرها أحاديث التمزية وإنسانه ضعيف ، ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك واحتجوا بقوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر « اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد إلا الأرض » وبأنه لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله ﷺ ولا حضر عنده ولا قاتل معه ولو كان حيا لكان من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم وأصحابه لأنه عليه السلام كان مبعوثاً إلى جميع التقلين الجن والإنس وقد قال « لو كان موسى وعيسى حين لما وسمهما إلا اباعى » وأخبر قبل موته بقليل أنه لا يبق من هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليته تلك عين تطرف إلى غير ذلك من الدلائل . قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحضر قال « إنما سمى خضرا لأنه جلس على فروة يعضها فلذا هي تهتز من تحته خضراء » ورواه أيضا عن عبد الرزاق وقد ثبت أيضا في صحيح البخاري عن همام عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إنما سمى الحضر لأنه جلس على فروة فلذا هي تهتز من خضراء » والراد بالقروة هنا الحشيش اليابس وهو الحشم من النبات ، قاله عبد الرزاق . وقيل الراد بذلك وجه الأرض وقوله (ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا) أى هذا تفسير ما ضقت به ذرعا ولم تسبر حتى أخبرك به ابتداء ، ولما أن فسره له وبينه ووضحه وأزال للشكل قال (تستطع) وقبل ذلك كان الاشكال قويا تهيل قال (سأنتيك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا فقابل الأقل بالأقل والأخف بالأخف كما قال (فما استطاعوا أن يظهروه) وهو السعود إلى أعلاه (وما استطاعوا له نقبا) وهو أثق من ذلك فقابل كلا بما يناسب لفظا ومعنى والله أعلم . فان قيل : فما بال فنى موسى ذكر في أول القصة ثم لم يذكر بعد ذلك ؟ الجواب أن المقصود بالسباق إنما هو قصة موسى مع الحضر وذكر ما كان بينهما ، وفقى موسى معه تبع ، وقد صرح في الأحاديث للتقدمة في الصحاح وغيرها أنه يوشع بن نون وهو الذى كان يلى بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام ؟ وهذا يدل على ضعف ما أورده ابن جرير في تفسيره حيث قال : حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة حدثني ابن إسحق عن الحسن بن عمار عن أبيه عن عكرمة قال قيل لابن عباس : لم نسمع لقي موسى يذكر في حديث وقد كان معه قال ابن عباس فبأيدى من حديث القى قال شرب القى من الماء فخلد فأخذه السلام فطابق به سفينة ثم أرسله إلى البحر فالتجج به إلى يوم القيامة وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب ، إسناده ضيف والحسن متروك وأبوه غير معروف

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ

كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا)

يقول تعالى تبارك وتعالى (ويستلونك) يا محمد (عن ذى القرنين) أى عن خبره . وقد قدمنا أنه بمثل كفار مكة إلى أهل الكتاب يستلون منهم ما يحتجون به النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا سألوه عن رجل طواف في الأرض ، وعن فتية ما يدرى ما صنعوا ، وعن الروح ، فنزلت سورة الكهف ، وقد أورد ابن جرير هنا والأموى في معانيه حديثاً أسنده وهو ضيف عن عتبة بن طاهر أن ثغراً من اليهود جاءوا يستلون النبي صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء فكان فيما أخبرهم به أنه كان شاباً من الروم وأنه بنى الاسكندرية وأنه علا به ملك إلى السماء وذهب به إلى السور رأى أقواماً وجوههم مثل وجوه الكلاب وفيه طول ونكارة ورفضه لا يصح وأكثر ما فيه أنه من أخبار بنى إسرائيل ، والعجب أن أبا زرعة الرازى مع جلالة قدره ساقه بتمامه في كتابه دلائل النبوة وذلك غريب منه ، وفيه من النكارة أنه من الروم وإنما الذى كان من الروم الاسكندر الثانى وهو ابن فيليس القدوفى الذى تورخ به الروم ، فأما الأول (١) فقد ذكر الأزرق وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل عليه السلام أول ما بناه وآمن به وبنيه . وكان وزيره الحضر عليه السلام ، وأما الثانى فهو اسكندر بن فيليس القدوفى اليونانى وكان وزيره ارسطاطليس الفيلسوف المشهور والله أعلم . وهو الذى تورخ من مملكته ملة الروم وقد كان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثة مئة ، فأما الأول للذكور في القرآن فكان في زمن الخليل كما ذكره الأزرق وغيره وأنه طاف مع الخليل عليه السلام بالبيت العتيق لما بناه إبراهيم عليه السلام وقرب إلى الله قرباناً ، وقد ذكرنا طرفاً مما لحق أخباره في كتاب البداية والنهاية بما فيه كفاية لله الحمد . وقال وهب بن منبه : كان ملكاً وإنما سمى ذا القرنين

(١) قوله فأما الأول المكنى بالنسخ وفي البارة شبه تكرار نحرره .

لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس ، قال : وقال بعض أهل الكتاب لأنه ملك الروم وفارس ، وقال بعضهم كان في رأسه شبه القرنين ، وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال سئل على رضى الله عنه عن ذى القرنين فقال كان عبداً ناسجاً له فنامحه دما قومه إلى الله فضره على قرنه فأت فأتاه الله فدنا قومه إلى الله فضره على قرنه فأت فأتاه فسمى ذا القرنين ، وكذا رواه شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل سمع علياً يقول ذلك ، ويقال إنه إنعاصى ذا القرنين لأنه بلغ للشارق والمغرب من حيث يطلع قرن الشمس وغروب ، وقوله (إنا مكنا له في الأرض) أى أعطياه ملكاً عظيماً تمكننا فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب والحصارات ولهذا ملك للشارق والمغرب من الأرض ودانت له البلاد وخضعت له ملوك البلاد وخدمته الأمم من العرب والصم ، ولهذا ذكر بعضهم أنه إنعاصى ذا القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها ، وقوله (وأتيناه من كل شيء سبياً) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدى وقادة والضحاك وغيرهم : يعنى علما ، وقال قتادة أيضاً في قوله (وأتيناه من كل شيء سبياً) قال منازل الأرض وأعلامها ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (وأتيناه من كل شيء سبياً) قال تلميح الألسنة قال كان لا يفرق قوماً إلا كلمهم بلسانهم ، وقال ابن أبي عمير حدثني سالم ابن غيلان عن سعيد بن أبي هلال أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الاحبار أنت تقول إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثرى ؟ فقال له كعب إن كنت قلت ذلك فإن الله قال (وأتيناه من كل شيء سبياً) وهذا الذى أنكره معاوية رضى الله عنه على كعب الأجاز هو الصواب والحق مع معاوية في ذلك الانكار فإن معاوية كان يقول عن كعب إن كنا لنبلو عليه الكذب حتى فبا ينقله لأنه كان يتمدده لم يلبس في صفه ولكن الشأن في صفه أنهم من الاسرايليات التى قالها مبدل مصحف عريف عتق ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم إلى شيء منها بالسكينة فإنه دخل منها على الناس شر كثير وفساد عريض . وتأويل كعب قول الله (وأتيناه من كل شيء سبياً) واستشهاده في ذلك على ما يجده في صفه من أنه كان يربط خيله بالثرى غير صحيح ولا مطابق فإنه لا سبيل للبشر إلى شيء من ذلك ولا إلى الترقى في أسباب السموات وقد قال الله في حق بلقيس (وأوتيت من كل شيء) أى مما يؤتى مثلها من الملوك ، وهكذا ذو القرنين يرس الله له الأسباب أى الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرياسات والبلاد والأراضى وكسر الأعداء وكتب ملوك الأرض واذلال أهل الشرك قد أوتى من كل شيء ما يحتاج إليه مثله والله أعلم . وفى المختارة للمحافظ النعماني للقدس من طريق قتيبة عن أبي عوانة عن سمك بن حرب عن حبيب بن حماد قال : كنت عند على رضى الله عنه وسأله رجل عن ذى القرنين كيف بلغ الشرق والغرب ؟ فقال سبحان الله سخر له السحاب وقدر له الأسباب وبسط له اليد .

(فَأَتَيْتُ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْجُبُ فِي ظَنَبٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلُودًا يَدُورُ لِقَارَيْنِ يَمَسُّ أُنْثَى أَنْ تَضَعُ بَيْتًا أَنْ تَضَعُ فِيهِمْ خُصْبًا * قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَذِيهِ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى وَسَوْفَ يُؤْتَى لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُأْتَى الشُّرَكَاءُ)

قال ابن عباس (فأتيت سبباً) يعنى بالسبب للنزل ، وقال مجاهد (فأتيت سبياً) منزلاً وطريقاً بين الشرق والغرب ، وفى رواية عن مجاهد (سبياً) قال طرفى الأرض ، وقال قتادة أى أتبع منازل الأرض ومعالمها ، وقال الضحاك (فأتيت سبياً) أى المنازل ، وقال سعيد بن جبير في قوله (فأتيت سبياً) قال : علما وهكذا قال عكرمة وسعيد بن على والسدى ، وقال مطر : معالم وآثار كانت قبل ذلك

وقوله (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) أى تسلك طريقاً حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب وهو مغرب الأرض وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فتشعر وما يذكركه أصحاب القصص والأخبار

من أنه سار في الأرض مدة والشمس تقرب من ورائه فتسبب للاحقة له وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب
وأختلاف زنادقتهم وكذبهم وقوله (وجدها تقرب في عين حمة) أى رأى الشمس في منظره تقرب في البحر المحيط
وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تقرب فيه وهى لا تشارك الفلك الرابع الذى مثبتة فيه لا تشاركه والحمة
مشتقة على إحدى القراءتين من الحماة وهو الطين كما قال تعالى (إلى خالق يسرا من صصال من حما مسنون) أى طين
أملس وقد تقدم بيانه ، وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أنبأنا نافع بن أبي نعيم سمعت عبد الرحمن الأعرج
يقول كان ابن عباس يقول في عين حمة ثم فسرها ذات حمة قال نافع وسئل عنها كعب الأحبار فقال أتم أعلم بالقرآن
منى ولكن أجدها في الكتاب تنيب في طينة سوداء ، وكذا روى غير واحد عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد وغيره
واحد وقال أبو داود الطيالسي حدثنا محمد بن دينار عن سعد بن أوس عن مصدع عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن النبي
ﷺ أقرأه حمة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وجدها تقرب في عين حامية أى حارة وكذا قال الحسن البصري ،
وقال ابن جرير والصواب أنهما قراءتان مشهورتان وأما قرأ القارى فهو مصيب قلت ولانفاة بين معنيهما إذ قد
تكون حارة لجوارحتها وهج الشمس عند غروبها وملاقاها الشجاع بلا حائل وحمة في ماء وطين أسود كما قال كعب
الأحبار وغيره . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن الليث حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام حدثني مولى لعبد الله
ابن عمرو عن عبد الله قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غابت فقال « في نار الله الحامية
لولا ما يرفعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض » قلت ورواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وفي نسخة رفع هذا
الحديث نظر ولعله من كلام عبد الله بن عمرو من زاملته اللتين وجدتهما يوم اليرموك والله أعلم ، وقال ابن أبي حاتم
حدثنا حجاج بن حمزة حدثنا محمد بن يونس حدثنا حمرو بن ميمون أنبأنا ابن حبان أن ابن عباس ذكر له أن معاوية
ابن أبي سفيان قرأ الآية التي في سورة الكهف (تقرب في عين حامية) قال ابن عباس لماوية إلا حمة فأنزل
معاوية عبد الله بن عمرو كيف تقرأها فقال عبد الله كما قرأها قال ابن عباس فقلت لماوية في بيتي نزل القرآن فأرسل
إلى كعب فقال له أين تجد الشمس تقرب في التوراة ؟ فقال له كعب سل أهل العربية فإنهم أعلم بها . وأما أنا فإني أجد
الشمس تقرب في التوراة في ماء وطين وأما ربيده إلى القرب قال ابن حبان أن عندك أدلتك بكلام تزداد فيه بصيرة
في حمة قال ابن عباس وإذا ما هو قلت فإي يؤثر من قول تبع فيما ذكر به ذا القرنين في تخلفه بالعلم واتباعه إليه

يلتجئ للشارق والمقارب ينتهي أسباب أمر من حكم مرشد

فراعى غيب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثاط حرم

قال ابن عباس ما الحلب قلت الطين بكلامهم قال فما الثاط قلت الحماة قال فما الحرم قلت الأسود قال فقال ابن عباس
رجلا أو غلاما فقال اكتب ما يقول هذا الرجل وقال سعيد بن جبير بينا ابن عباس يقرأ سورة الكهف فقرأ (وجدها
تقرب في عين حمة) فقال كعب والذى قس كعب بيده ما سمعت أحدا يقرأها كما أنزلت في التوراة غير ابن عباس فإنا
نجدها في التوراة تقرب في مدرة سوداء ، وقال أبو يعلى اللؤلؤي حدثنا إسحق بن أبي إسرائيل حدثنا هشام بن يوسف
قال في تفسير ابن جريج (ووجد عنده قوما) قال مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب
الشمس حين تجب ، وقوله (ووجد عنده قوما) أى أمة من الأمم ذكرها أنها كانت أمة عظيمة من بني آدم وقوله
(قلنا إذا القرنين إما أن تصب وإما أن تتخذ فيهم حسنا) معنى هذا أن الله تعالى مكنه منهم وحكمه فيهم وأظفره
بهم وخبره إن شاء قتل وسي وإن شاء من أو فدى عرف عدله وإيمانه فإي أبداه عدله وبيانه في قوله (أما من ظلم)
أى استمر على كفره وشركه بربه (فسوف نمدى) قال قتادة بالقتل وقال السدي كان يحكى لهم قبر النحاس ويضمهم
فيها حتى يذوبوا وقال وهب بن منبه كان يسلط الظلمة فتدخل أجوافهم ويوتهم وتشتام من جميع جهاتهم والله أعلم ،
وقوله (ثم يد إلى ربه فيمده عذابا نكرا) أى شديدا بليتا وجعا ألبا وفي هنا إثبات للماد والجزاء . وقوله وأما
من آمن أى تابعا على ما ندعوه إليه من عبادة الله وحده لا شريك له (فله جزاء الحسنى أى في الدار الآخرة عند الله

عز وجل (وستقوله من أمرنا يسرا) قال مجاهد: معروفا .

﴿ثُمَّ أَتَيْنَا سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سَبِيلًا * كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحْبَبْنَا بِنَا لَدُنِ خُبْرًا﴾

يقول تعالى ثم سلك طريقا فصار من مغرب الشمس إلى مطلعها وكان كلما مر بأمة قهرهم وغلبهم ودعاهم إلى الله عز وجل فإن أطاعوه وإلا أضلهم وأرغم آثافهم واستباح أموالهم وأمتعتهم واستخدم من كل أمة اثنينين به جيوشه على قتال الأتباع المتأخمين لهم ، وذكر في أخبار بني إسرائيل أنه عاش ألفا وستة سنة يحوب الأرض طولها والعرض حتى يبلغ للشارق والغارب ولما انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض كما قال الله تعالى (وجدناها تطلع على قوم) أي أمة (لم نجعل لهم من دونها سبيلًا) أي ليس لهم بناء يكتفون ولا أشجار تظللهم وتستترهم من حر الشمس. قال سعيد بن جبير كانوا حرا قصارا مساكنهم القيران أكثر معيشتهم من السكك .

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا سهل بن أبي الصلت سمعت الحسن ومثله عن قول الله تعالى (لم نجعل لهم من دونها سبيلًا) قال إن أرضهم لا تحمل البناء فإذا طلعت الشمس قهروا في الليل فإذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم قال الحسن هذا حديث مرة ، وقال قتادة ذكر لنا أنهم بأرض لا تثبت لهم شيئا فهم إذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى حروثهم ومعاشهم وعن سلمة بن كهيل أنه قال : ليست لهم أكنان إذا طلعت الشمس طلعت عليهم فلا حدم أذنان يفرش إحداهما ويلبس الأخرى ، قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (وجدناها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سبيلًا) قال لم يبنوا فيها بناء قط ولم يبن عليهم فيها بناء قط كانوا إذا طلعت الشمس على قوم لم نجعل لهم من دونها سبيلًا قال لم يبنوا فيها بناء قط ولم يبن عليهم فيها بناء قط كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس وأدخلوا البحر وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل جاءهم جيش مرة فقال لهم أهلها لا تطلعن عليكم الشمس وأتم بها ، قالوا لا نبرح حتى تطلع الشمس ما هذه العظام ؟ قالوا هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس ههنا فأتوا ، قال فذهبوا هارين في الأرض وقوله (كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا) قال مجاهد والسدي: علما أي نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه لا يخفى علينا منها شيء وإن تفرقت أممهم وتقطعت بهم الأرض فإنه تعالى (لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) .

﴿ثُمَّ أَتَيْنَا سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَسْكَادُونَ يَقُولُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجُ وَمَا جُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ السَّدَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾

يقول تعالى خبرنا عن ذي القرنين ثم أتبع سببا أي ثم سلك طريقا من مشارق الأرض حتى إذا بلغ بين السدين وهما جبلان متناوحيان بينهما نفق فخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك فيميتون فيها فسادا ويهلكون الحرث والنسل ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين «ان الله تعالى يقول : يا آدم فيقول ليلك وسعديك فيقول ابعث بعث النار فيقول وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فيحتنق فيشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها فقال ان فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتهما يأجوج ومأجوج » وقد حكى النووي رحمه الله في شرح مسلم عن بعض الناس أن يأجوج ومأجوج خلقوا من منى

خرج من آدم فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك ، فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء وهذا قول غريب جداً ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ولا يجوز الاعتقاد به على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المقتضية والله أعلم

وفي مسند الإمام أحمد عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وله نوح ثلاثة : سام أبو العرب وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك » قال بعض العلماء هؤلاء من نسل يافث أبي الترك ، وقال إن سامي هؤلاء تركوا من وراء السد من هذه الجهة وإلا فهم أقرباء أولئك ولكن كان في أولئك بنى فساد وجراة وقد ذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه أنراً طويلاً عجيباً في سير ذي القرنين وبنائه السد وكيفية ما جرى له وفيه طول وغرابة ونسكارة في أشكالهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وأكثانهم وروى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة لا تصح أسانيدنا والله أعلم . وقوله (وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولاً) أى لاستعجاب كلامهم وبهمد عن الناس (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً) قال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس أجراً عظيماً يعني أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالا يعطونه إياه حتى يجعل بينه وبينهم سدا فقال ذو القرنين بصفة وديانة وصلاح وقصد للخير (ما كنى فيه ربى خير) أى إن الذى أعطانى الله من ذلك والفكرين خير لى من الذى يجمعونه كما قال سليمان عليه السلام (أعمدوني بمال لما أتانى الله من خير مما أتاكم) الآية وهكذا قال ذو القرنين الذى أنا فيه خير من الذى تبذلونه ولكن ساعدوني بقوة أى بملككم وآلات البناء (أجل بينكم وبينهم رمداً آتوني زبر الحديد) والزبر جمع زبرة وهى القطعة منه قاله ابن عباس ومجاهد وقطادة وهى كاللينة يقال كل لبنة زنة قطار بالمسقى أو تزيد عليه (حتى إذا ساوى بين الصدفين) أى وضع بضه على بعض من الأساس حتى إذا حاذى به رموس الجبلين طولاً وعرضاً واختلطوا فى مساحة عرضه وطوله على أنوال (قال اغضوا) أى أجبج عليه النار حتى صار كله ناراً (قال آتوني أفرغ عليه قطراً) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقطادة والسدى هو النحاس زاد بعضهم للذاب ويستشهد بقوله تعالى (وأسألنا له عين القطر) ولهذا يشبه بآبدر الحبر . قال ابن جرير حدثنا بشر بن يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن رجلاً قال يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال « انتهى لى » قال كالبرد الحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال « قد رأيته » هذا حديث مرسل ، وقد بث الخليفة الواثق فى دولته بعض أمراءه وجهر معه جيشاً سرية لينظروا إلى السد وما بينوه وينتوه له إذا رجعوا فتوصلوا من بلاد إلى بلاد ومن ملك إلى ملك حتى وصلوا إليه ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس وذكروا أنهم رأوا فيه باباً عظيماً وعليه أفتال عظيمة ورأوا بقية الآبن والعمل فى برج هناك وأن عنده حرساً من اللوك للتاخمة له وأنه عال منيف شاق لا يستطيع ولا ماحوله من الجبال ثم رجعوا إلى بلادهم وكانت غيبتهم أكثر من ستين وشاهدوا أهوالاً وعجائب ، ثم قال الله تعالى ،

﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ۚ قَالَ هَذَا رَسْمَةٌ مِّن رَّسْمِيْ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّيْ جَمْعًا ۚ دَكَّاهُ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّيْ حَقًّا ۚ وَتَرَكَنَا بُعْثَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَّوْجًا فِى بَعْضِ الْوُجُوْهِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ۚ ﴾

يقول تعالى غيراً عن يأجوج ومأجوج إنهم ما قدروا على أن يصدوا عن فوق هذا السد ولا قدروا على تهبه من أسفله ولما كان الظهور عليه أسهل من تهبه قابل كلا بما يناسب فقال (فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً) وهذا دليل على أنهم لم يقدروا على تهبه ولا على شيء منه فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن يأجوج ومأجوج ليخرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شراع الشمس قال الذى عليهم : ارجعوا لتستخرونه غداً

فيودون إليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس فحروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال النبي عليهم : ارجعوا قد حفرته غدا إن شاء الله فيستقي فيودون إليه وهو كعبته حين تركوه فيحفره ويخرجون على الناس فينشفون للياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فتخرج وعليها كهنة السم فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبث الله عليهم نفقا في رقابهم فيقتلهم بها قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم » ورواه أحمد أيضا عن حسن هوار بن موسى الأشهب عن سفيان عن قتادة به وكذا رواه ابن ماجه عن أنس بن مروان عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال حدث أبو رافع وأخرجه الترمذي من حديث أبي عوانة عن قتادة ثم قال غريب لا يرف إلا من هذا الوجه وإسناده جيد قوى ولكن متنه في رقبه نكارة لأن ظاهر الآية يقتضى أنهم لم يتمكنوا من ارتشائه ولا من قبه لاحكام بنائه وصلاته وشده ولكن هذا قد روى عن كعب الأحبار أنهم قبل خروجهم يأتونهم يلحسونه حتى لا يبق منه إلا القليل فيقولون غدا نفتح فيأتون من القيد وقد عاد كما كان فيلحسونه حتى لا يبق منه إلا القليل فيقولون كذلك فيصبون وهو كما كان فيلحسونه ويقولون غدا نفتح ويلمون أن يقولوا إن شاء الله فيصبون وهو كما ظرقوه فيفتحونه وهذا متجه ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب فانه كان كثيرا ما كان يجالسه ويحدثه فحدث به أبو هريرة فتوم بعض الرواة عنه أنه رفوع فرقه والله أعلم

ويؤيد ما قلناه من أنهم لم يتمكنوا من قبه ولا هب شيء منه ومن نكارة هذا الرفع قول الإمام أحمد حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة بنت أبي سفيان عن أمها أم حبيبة عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ - قال سفيان أربع نسوة - قالت استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول « لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا » وحلق قلت يارسول الله أنهلك وفيما الصالحون قال « نعم إذا كثرت الخبيث » هذا حديث صحيح اتفق البخاري ومسلم على إخرجه من حديث الزهري ولكن سقط في رواية البخاري ذكر حبيبة وأثبتها مسلم وفيه أمياد عزيزة نادرة قليلة الوقوع في صناعة الإسناد منها رواية الزهري عن عروة وبها تباين ومنها اجتماع أربع نسوة في سنده كلهن يروى بهن عن بعض ثم كل منهن صحابية ثم ثنتان رييتان وثنتان زوجتان رضى الله عنهن ، وقدرى نحو هذا عن أبي هريرة أيضا فقال البزار حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا وهب عن ابن طائوس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا » وعقد التسمين ، وأخرجه البخاري ومسلم من حديث وهب به . وقوله « قال هذا رحمة من ربى » أى لما بناء ذوالقرنين « قال هذا رحمة من ربى » أى بالناس حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلا بينهم من العيث في الأرض والفساد (فإذا جاء وعد ربى) أى إذا اقترب الوعد الحق (جعله دكا) أى ساواه بالأرض شول العرب ناقة دكا إذا كان ظهرها مستويا لاسنانهما وقال تعالى (فما نجى ربه للجل جله دكا) أى مساويا للأرض . وقال عكرمة في قوله (فإذا جاء وعد ربى جله دكا) قال طريقا كما كان (وكان وعد ربى حقا) أى كائنا لاعاله . وقوله (وتركنا بعضهم) أى الناس يومئذ أى يوم يدك هذا السد وخرج هؤلاء فيموجون في الناس ويضدون على الناس أموالهم ويتلقون أنبياءهم وهكذا قال السدى في قوله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قال ذلك حين يخرجون على الناس وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد السجال كما سيأتى بيانه عند قوله (حق إذا تفتح يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) واقترب الوعد الحق) والآية وهكذا قال هبنا (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قال هذا أول يوم القيامة (ثم نفخ في الصور) على أثر ذلك (فنجعناهم جمعا) وقال آخرون بل الراد بقوله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قال إذا ماج الجن والإنس يوم القيامة يغتلط الإنس والجن ، وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن يعقوب التميمي عن هرون بن عترية عن شيخ من بني فزارة في قوله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في

يعض) قال إذا ماج الإنس والجن قال إبليس أنا أعلم لكم علم هذا الأمر فيظنن إلى الشرقي فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض ثم يظنن إلى الغرب فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض فيقول مامن عيسى ثم يظنن بينا وهما إلى أقصى الأرض فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض فيقول مامن عيسى فيينا هو كذلك إذ عرض له طريق كالشراك فأخذ عليه هو وذريته فيبيناهم عليه إذ ذهبوا على النار فأخرج الله خازناً من خزان النار فقال يا إبليس ألم تكن لك منزلة عند ربك ألم تكن في الجنان ؟ فيقول ليس هذا يوم عتاب لو أن الله فرض على فريضة لعبده فيها عبادة لم يعبده مثلهما أحد من خلقه فيقول فان الله قد فرض عليك فريضة فيقول ما هي فيقول يأمرك أن تدخل النار فتلكك عليه فيقول به وبذريته بجناحه فيقذفهم في النار فترفر النار زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جنى تركبته ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي به ثم رواه من وجه آخر عن يعقوب عن هارون عن عثرة عن أبيه عن ابن عباس (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قال الإنس والجن يموج بعضهم في بعض

وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الاصهاني حدثنا أبو مسعود أحمد بن القرات حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا الثوري بن مسلم عن أبي إسحق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معاشهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً وإن من ورائهم ثلاث أمم تاويل وتابس ومنسك » هذا حديث غريب بل منكر ضعيف . وروى النسائي من حديث شعبة عن الثمان بن سالم عن عمرو بن أوس عن أبيه عن جده أوس بن أبي أوس مرفوعاً « إن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ماشاءوا وشجر يلقحون ماشاءوا ولا يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً » وقوله (وتغشى في الصور) والصور كجاء في الحديث قرن ينغش فيه والذي ينغش فيه إسرائيل عليه السلام كما قد تقدم في الحديث بطوله والأحاديث فيه كثيرة . وفي الحديث عن عطية عن ابن عباس وأبي سعيد مرفوعاً « كيف أنهم وصاحب القرن قد ألقم القرن وحى جهته واستمع متى يؤمر » قالوا كيف يقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وقوله (فجمعناهم جمعاً) أى أحضرنا الجميع للحساب (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً)

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿

يقول تعالى عبرا عما يفعله بالكفار يوم القيامة أنه يعرض عليهم جهنم أى يبرزها لهم ويظهرها ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها ليكون ذلك أبلغ في تسجيل ألم والحزن لهم . وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « يؤتى بجهنم شهاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك » ثم قال عبرا عنهم (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري) أى تناقلوا وقصصوا وقصصوا عن قول الهدى واتباع الحق كإسرائيل (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) وقال ههنا (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أى لا يسمعون عن الله أمره ونهيه ثم قال (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دُونِى أَوْلِيَاءَ) أى اعتقدوا أنهم يصح لهم ذلك وينفعون به (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكنون عليهم ندا) ولهذا أخبر الله تعالى أنه قد أعد لهم جهنم يوم القيامة منزلا

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَمْعُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّبِعُ رَبَّهُمْ وَلَقَدْ نَفَحْنَا فَصِطْلَتَ أَعْمَلَهُمْ فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا * ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا ﴿

قال البخارى حدثنا محمد بن يشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مصعب قال : سألت أبا يعقوب سعد بن أبي وقاص عن قول الله (قل هل ينبتكم بالأخسرين أعمالا) أم الخمرية قال لا الهود والنصارى ، أما اليهود فكذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب ، والخمرية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه فكان سعد رضى الله عنه يسميهم الفاسقين ، وقال على بن أبي طالب والضحاك وغير واحد : هم الخمرية ، ومعنى هذا عن على رضى الله عنه أن هذه الآية الكريمة تشمل الخمرية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء بل هي أعم من هذا فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الحوارج بالكلية وإنما هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية بحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول وهو غطى ، وعمله مردود كما قال تعالى (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناسبة صلى ناراً حامية) وقال تعالى (وقد منا إلى ما عملوا من عمل فصلناه هباء منثوراً) وقال تعالى (والذين كفروا بربهم أعلمهم كسراب بقعة يحسه الظلمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) وقال في هذه الآية الكريمة (قل هل ينبتكم أى غيركم بالأخسرين أعمالاً) ثم فرسم فقال (الذين ضل سبيلهم في الحياة الدنيا) أى عملوا أعمالاً باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنفاً) أى يفتقدون أنهم على شيء وأنهم مقبولون محببون ، وقوله (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) أى جحدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه التى أقام على وحدانيته وصدق رسله وكذبوا بالدار الآخرة (فلا تقم لهم يوم القيامة وزناً) أى لا تتقوا موازينهم لأنها خالية عن الخير . قال البخارى حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا سعيد بن أبى مريم أخبرنا للثيرة حدثنى أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال « لىأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة - وقال - اقرءوا إن شئتم (فلا تقم لهم يوم القيامة وزناً) » وعن يحيى بن بكير عن مثيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد مثله هكذا ذكره عن يحيى بن بكير معلقاً ، وقد رواه مسلم من أبى بكر محمد بن إسحق عن يحيى بن بكير به ، وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا أبو الوليد حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالرجل الأكل الشراب العظيم فيوزن بحبة فلا يزينها » قال وقرأ (فلا تقم لهم يوم القيامة وزناً) وكذا رواه ابن جرير عن أبى كريب عن أبى الصلت عن أبى الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة مرفوعاً عنه كره بلفظ بخارى سواء قال أحمد بن عمرو بن عبد الحاقى البراز حدثنا العباس بن محمد حدثنا عون بن حمارة حدثنا هاشم بن حسان عن واصل عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل رجل من قريش يحظر في حلة له فلما قام على النبي ﷺ قال « يا بريدة هذا بمن لا يقيم الله له يوم القيامة وزناً » ثم قال فردد به واصل مولى أبى عتبة وعون بن حمارة وليس بالحافظ ولم يتابع عليه وقد قال ابن جرير حدثنا محمد بن يشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن حمزة عن أبى يحيى عن كعب قال يؤتى يوم القيامة رجل عظيم طويل فلا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقرءوا (فلا تقم لهم يوم القيامة وزناً) وقوله (ذلك جزاؤهم بما كفروا) أى إنما جزاؤناهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم واتخاذهم آيات الله ورسله هزوا استهزوا بهم وكذبوا بهم أهد التكذيب

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْتَغُونَ فِيهَا حَوْلًا ﴾

غير تعالى عن عباده السعداء وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا للرسلين فيما جاءوا به أن لهم جنات الفردوس قال مجاهد: الفردوس هو البستان بالرومية ، وقال كعب والسدى والضحاك: هو البستان الذى فيه شجر الأعتاب وقال أبو أمامة: الفردوس سره الجنة وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وقد روى هذا مرفوعاً من حديث سعيد بن جبيرة عن قتادة عن الحسن عن حمزة عن النبي صلى الله عليه وسلم « الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأحسنها »

وهكذا رواه إسماعيل بن مسلم عن الحسن بن حمزة مرفوعاً وروى عن قتادة عن أنس بن مالك مرفوعاً نحوه وروى ذلك كله ابن جرير رحمه الله ، وفي الصحيحين « إذا سألت الله الجنة فأسأله الفردوس فانه أعطى الجنة وأوسط الجنة ومنه شجر أنهار الجنة » وقوله تعالى (نزل) أى ضيافة فان النزول الضيافة وقوله (خاله بن فيها) أى معينين ساكنين فيها لا يظنون عنها أبداً (لا يظنون عنها حولا) أى لا يختارون عنها غيرها ولا يحبون سواها كما قال الشاعر

فصلت سودا القلب لا أنا باغياً سواها ولا عن حبها أهول

وفى قوله (لا يظنون عنها حولا) تنبيه على رغبتهم فيها وجههم لها مع أنه قد يشوه فيمن هو مقيم في السكن دائماً قد يسأله أو يله فأخبر أنهم مع هذا الدوام والخلود السرمدي لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولاً ولا انتقالاً ولا ظناً ولا رجلاً ولا بدلاً

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَوْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لو كان ماء البحر مداداً لقلتم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الله عليه لنفذ البحر قبل أن يفرغ كتابة ذلك (ولو جئنا بمثله) أى مثل البحر آخر ثم آخر وهلم جرا بحور عمده ويكتب بها ما نشت كلمات الله كما قال تعالى (ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) وقال الربيع بن أنس إن مثل علم المباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها وقد أنزل الله ذلك (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى) يقول لو كانت تلك البحور مداداً لكلمات الله والشجر كله أقلام لانكسرت الأقلام وفى ماء البحر ، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنى شيء لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدر مولائى عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذى يبقى على شئ من ربنا كما يقول وفوق ما هوول ، إن مثل نسم الدنيا أولها وآخرها في نسم الأخرة كسبة من خردل في خلال الأرض كلها

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

روى الطبراني من طريق هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياش عن عمرو بن قيس الكوفي أنه سمع معاوية بن أبي سفيان أنه قال هذه آخر آية أنزلت يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه (قل) لهؤلاء المشركين الكذابين برسلتك إليهم (إنما أنا بشر مثلكم) فمن زعم أى كاذب فليأت بمثل ما جئت به فاني لا أعلم الغيب فيها أخبرتكم به من الماضى عما سألت من قصه أصحاب الكهف وخبر ذى القرنين بما هو مطابق في نفس الأمر لولا ما أطلنى الله عليه وإنما أخبركم (أما إلهكم) الذى أدموكم إلى عبادته (إله واحد) لا شريك له (فمن كان يرجو لقاءه) أى توابه وجزاءه الصالح (فليعمل عملاً صالحاً) ما كان موافقاً لشرع الله (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وهو الذى يرد به وجه الله وحده لا شريك له ، وهذا من كمال العمل للتقبل . لابد أن يكون خالفاً لله سواها على شريعة رسول الله ﷺ وقد روى ابن أبي حاتم من حديث معمر بن عبد الكريم الجزرى عن طاوس قال : قال رجل يا رسول الله إنى أقف للواثق أريد وجه الله وأجب أن يرى موطنى فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً حتى نزلت هذه الآية (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وهكذا أرسل هذا مجاهد وغير واحد ، وقال الأعمش حدثنا حمزة أبو حمارة مولى بنى هاشم عن شهر بن حوشب قال جاء رجل إلى عبادة بن الصامت فقال أنبئنى عما سألتك عنه . أرايت رجلاً يصلّى بينى وجه الله ورجب أن يحمد ، ويصوم بينى وجه الله ويجب أن يحمد ، ويتصدق بينى وجه الله ويجب أن يحمد ، ويحج بينى وجه الله ويجب أن يحمد ، فقال عبادة ليس بشيء إن الله تعالى يقول : أنا خير شريك فمن كان له معى شريك فهو له كله لا حاجة لى فيه . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا كبير بن زيد عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن جده قال كنا تتناوب رسول الله ﷺ

فنبئت عنده تكون له الحاجة أو يطرقه أمر من الليل فينبئت ففكر الجبرسون وأهل الثوب فكنا نتحدث
فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما هذه التجوى ؟ » قال قلنا لبنا إلى الله أي نبي الله إنما كنا في
ذكر المسيح وفرقنا منه فقال « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي ؟ » قال : قلنا بل قال « الشرك
الحق أن يقوم الرجل يصل لسان الرجل » . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحيد بن أبي بهرام قال :
قال شهر بن حوشب قال ابن غنم لما دخلنا مسجد الجابية أنا وأبو الدرداء قمنا بعبادة بن الصامت فأخذ يميني بجماله
وشمال أي الدرداء يمينه فخرج يمشي بيننا ونحن نتناجي والله أعلم بما تتناجي به فقال عبادة بن الصامت إن طال بكما
عمر أحذركما أو كليكما لو شكأن أن تريا الرجل من تبج المسلمين يعني من وسط قراء القرآن على لسان محمد عليه السلام
فأعاده وأبداه وأحل حاله وحرم حرامه ونزله عند منزله لا يجوز فيكم إلا كما يجوز رأس الحمار الميت . قال
فيينا نحن كذلك إذطلع شدد بن أوس رضى الله عنه وعوف بن مالك فجلسا إلىنا فقال شدد إن أخوف ما أخاف
عليكم أيها الناس لما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من الشهوة الخفية والشرك » فقال
عبادة بن الصامت وأبو الدرداء : اللهم غفرا ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حدثنا أن الشيطان
قد يسأ أن يعبد في جزيرة العرب . أما الشهوة الخفية فقد عرفناها هي شهوات الدنيا من نساها وشهواتها فسا
هذا الشرك الذي نخوفنا به يا شدد ؟ قال شدد أرأيتم رجل يصل لرجل أو يصوم لرجل أو يصدق أمرؤ
أنه قد أشرك ؟ قالوا نعم والله إن من صلى أو صام أو تصدق له قد أشرك فقال شدد فاني سمعت رسول الله عليه السلام
يقول « من صلى يرأى قد أشرك ، ومن صام يرأى قد أشرك ، ومن تصدق يرأى قد أشرك » قال عوف بن مالك
عند ذلك أفلا يعبد الله إلى ما ابتغى به وجهه من ذلك العمل كله فيقبل ما خلص له ويدع ما أشرك به فقال شدد عند
ذلك فاني سمعت رسول الله عليه السلام يقول « إن الله يقول أنا خيرتكم بين أشرك في من أشرك في شيئا فإن عمله قليل وكثيره
لشركه الذي أشرك به ، أنا عنه غنى »

(طريق أخرى لبعضه) قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني عبد الواحد بن زياد أخبرنا عبادة بن نسي عن شدد
ابن أوس رضى الله عنه أنه بكى قتيلا ما يبكيك قال شيء سمعته من رسول الله عليه السلام فأبكاني ، سمعت رسول
الله يقول « أخوف على أمي الشرك والشهوة الخفية » قلت يا رسول الله أشرك أمك من بعدك قال « نعم
أما إنهم لا يبدون شيا ولا قرا ولا حجرا ولا دتنا ولكن يرادون بأعمالهم والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائغا
فتمرض له شهوة من شهواته فيترك صومه » ورواه ابن ماجه من حديث الحسن بن ذكوان عن عبادة بن نسي وهو عبادة فيه
ضعف وفي سماعه من شدد نظر (حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا الحسن بن علي بن جعفر الأحمر
حدثنا علي بن ثابت حدثنا قيس بن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله عليه السلام « يقول
الله يوم القيامة أنا خير شريك من أشرك في أحداهم له كله » ، وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا
شعبة سمعت العلاء يحدث عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي عليه السلام روي عن الله عز وجل أنه قال « أنا خير
الشركاء فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهو للذي أشرك » فخر به من هذا الوجه (حديث آخر)
قال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا الليث عن يزيد بن أبي الحمار عن عمرو بن عجمو بن ليث أن رسول الله عليه السلام قال
« إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله ، قال « الرأية » يقول الله يوم القيامة
إذا جرى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » (حديث آخر)
قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بكر أخبرنا عبد الحميد بن أبي جعفر أخبرني أبي عن زيد بن ميناء عن أبي سعيد بن أبي
فضالة الأنصاري وكان من الصحابة أنه قال سمعت رسول الله عليه السلام يقول « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم
لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرف في عمل عمله له أحدا فيطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن
الشرك » وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث محمد وهو البرساني به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا

أحمد بن عبد الملك حدثنا بكار حدثني أبي يعنى عبد العزيز بن أبي بكرة - عن أبي بكرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من معى مع الله به ومن رأى رأى الله به » وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال « من يرأى يرأى الله به ومن يسمع يسمع الله به » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثني عمرو بن مرة قال سمعت رجلاً في بيت أبي عبيدة أنه مع عبد الله بن عمرو يحدث ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « من سمع الناس بعمله سمع الله به ، من سمع خلقه وصفه وحقره ، فنزلت غيباً عند الله ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن يحيى الأبلج حدثنا الحارث بن غسان حدثنا أبو عمران الجوني عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة في مصحف محتمة فيقول الله ﷻ ألقوا هذا وألقوا هذا فتقول اللاتكة يا رب والله ما رأينا منه إلا خيراً فيقول إن عمله كان ثبير وجهي ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي » ثم قال الحارث بن غسان روى عنه جماعة وهو ثقة بصري ليس به بأس ، وقال وهب حدثني يزيد بن عياض عن عبد الرحمن الأعمش عن عبد الله بن قيس الخزازي أن رسول الله ﷺ قال « من قام رياء وسمعة لم يزل في مقت الله حتى يجلس » وقال أبو يعلى حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا محمد بن دينار عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عوف ابن مالك عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث غاب عنه فذلك استهانة استهان بها ربه عز وجل » وقال ابن جرير حدثنا أبو عامر إسحاق بن عمرو السكوني حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عياش حدثنا عمرو بن قيس الكلبي أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية (فمن كان يرجوا لقاء ربه) الآية ، وقال إنها آخر آية نزلت من القرآن وهذا أثر مشكل فإن هذه الآية آخر سورة الكهف والكهف كلها مكية ولولمعاوية أراد أن يهمل نزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها بل هي مثبتة بحكمة فاشبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه والله أعلم. وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق حدثنا النضر بن شميل حدثنا أبو قرة عن سعيد بن السيب عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ ليلة: (فمن كان يرجوا لقاء ربه) الآية كان له من النور من عدن أربعين إلى مكة حشو ذلك النور اللاتكة » غريب جداً .

(تفسير سورة مريم وهي مكية)

وقد روى محمد بن إسحق في السير من حديث أم سلمة ، وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة أن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ كَمِيعَ * ذَكَرْتَ رَبَّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْآتُونَ بَيْنَ يَدَيَّ وَكَانَتْ أُمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا يَرْفَعُ فَنُفِئَ وَيَرْفَعُ مِن مَّالٍ يَقُولُ يَا بَعْثُوهُ وَاجْعَلْهُ رَبًّا رَضِيًّا ﴾

أما الكلام على الحروف للقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة . وقوله (ذكر رحمت ربك) أي هذا ذكر رحمة الله عليه زكريا ، وقرأ يحيى بن يعمر (ذكر رحمت ربك عبده زكريا) وذكرنا بعد وقصر قراءتان مشهورتان . وكان نبيا عظيما من أنبياء بني إسرائيل ، وفي صحيح البخاري أنه كان نجاريا كل من عمل يده في التجارة . وقوله (إذ نادى ربه نداء خفيا) قال بعض المفسرين إنما أخفى دعاءه لئلا ينسب في طلب الولد إلى الرعونة لكبره . حكاة للواردى . وقال الآخرون إنما أخفاه لأنه أحب إلى الله كما قال قتادة في هذه الآية (إذ نادى ربه نداء خفيا) إن الله يعلم القلب النقي ، ويسمع الصوت الخفي ، وقال بعض السلف قام من الليل عليه السلام وقد نام أصحابه فجعل يهتف بربه يقول:

خفية يارب يارب يارب ، فقال الله : ليك ليك ليك (قال رب إني وهن العظم مني) أي ضعف وخارت القوى واشتعل الرأس شيباً) أي اشتعل للشيب في السواد كما قال ابن جرير في مقصورته

أما ترى رأسي حاكى لونه طرقة صبح تحت أنيال الدجا

واشتعل البيض في مسوده مثل اشتعل النار في جمر النضا

والمراد من هذا الاخبار عن الضعف والكبر ودلائله الظاهرة والباطنة ، وقوله (ولم أكن بدعاك رب شقياً) أي ولم أعهد منك إلا الأجابة في الدعاء ولم تردني قط فيها سألتي ، وقوله (وإني خضت للوالم من ورأي) قرأ الأكتون بنصب الياء من اللوالم على أنه مفعول : وعن الكسائي أنه سكن الياء كما قال الشاعر

كان أيديهم في القاع الفرق أيدي جوار يتاعطن الورق

وقال الآخر فوق لومياري الشمس أفتتاعها أوالقمر الساري لأني القلدا

ومنه قول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي

قائم الشعر منه إذ سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتل

وقال مجاهد وقتادة والسدى : أراد بالوالم العصبه ، وقال أبو صالح الكلابة ، وروى عن أمير المؤمنين عمن بن عفان رضي الله عنه أنه كان يقرأها (وإني خضت للوالم من ورأي) بتشديد الفاء بمعنى قلب عصباني من يدي وقل القراءة الأولى وجه خوفه أنه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفاً سيئاً فسأل الله ولداً يكون نبياً من بعده ليسوسهم بنبوته ما يوحى إليه فأجيب في ذلك لا أنه خشي من ورثته له ماله فإن النبي أعظم منزلة وأجل قدراً من أن يشفق على ماله إلى ما هذا أحد وأن يأنس من وراثته عصبته له ويسأل أن يكون له ولد ليحوز ميراثه دونهم هذا وجه (الثاني) أنه لم يذكر أنه كان ذماً بل كان نجاراً يأكل من كسب يديه ومثل هذا لا يجمع مالا ولا سباً الأنبياء فإنهم كانوا أزهدي شيء في الدنيا (الثالث) أنه قد ثبت في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال « لا نورث ، ما تركنا صدقة » وفي رواية عند الترمذي بإسناد صحيح « نحن مشر الأنبياء لا نورث » وعلى هذا فتعين حمل قوله (فهبلي من لدنك وليا يرثني) على ميراث النبوة ولهذا قال (ويرث من آل يعقوب) كقوله (وورث سليمان داود) أي في النبوة ، إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع وللعل أن الولد يرث أباه فلو لا أنها وراثته خاصة لما أخبر بها وكل هذا يقرره ويشته ما صرح في الحديث « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة » قال مجاهد في قوله (يرثني ويرث من آل يعقوب) كان وراثته علماً وكان زكريا من ذرية يعقوب . وقال هشيم أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله (يرثني ويرث من آل يعقوب) قال يكون نبياً كما كانت آبؤه أنبياء ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن يرث نبوته وعلمه ، وقال السدي يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب وعن مالك عن زيد بن أسلم (ويرث من آل يعقوب) قال نبتهم وقال جابر بن نوح وزيد بن هارون كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله (يرثني ويرث من آل يعقوب) قال يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أن النبي ﷺ قال « يرث من آل يعقوب ما كان عليه من وراثته ماله ويرحم الله لوطاً إن كان ليأوي إلى ركن شديد » وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جابر بن نوح عن مبارك هو ابن فضالة عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « رحم الله أخى زكريا ما كان عليه من وراثته ماله حين قال : هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب » وعندهم سلات لا تمارض الصالح والله أعلم ، وقوله (واجعله رب رشياً) أي مرضياً عندك وعند خلقك تحبه وتحبه إلى خلقك في دينه وخلقه

﴿ يَزْكُرْ يَا إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

هذا الكلام يتضمن مخدفاً وهو أنه أجيب إلى ما سأل في دعائه فقيل له (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) كما قال تعالى (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك ميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك يحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين) وقوله (لم نجعل له من قبل ميماً) قال قتادة وابن جريج وابن زيد أى لم يسم أحد قبله بهذا الاسم واختاره ابن جرير رحمه الله وقال مجاهد (لم نجعل له من قبل ميماً) أى شبيهاً أخذه من معنى قوله (طاعبه واصطبر لمبادته هل تعلم له ميماً) أى شبيهاً وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أى لم تلد المواقر قبله مثله وهذا دليل على أن زكريا عليه السلام كان لا يولد له وكذلك امرأته كانت عاقراً من أول عمرها بخلاف إبراهيم وسارة عليهما السلام فانهما إنما تعجبا من البشارة بأسحق لكبرهما لا لعمرهما ولهذا قال (أيسرعو على أن مسمى الكبرفم بشرون) مع أنه كان قد ولد له قبله إسماعيل ثلاث عشرة سنة وقالت امرأته (ياويلي أألهو أنا عجوز وهذا بعل شيتا إن هذا لشيء عجيب) قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد

(قَالَ رَبِّ إِنِّي بَعُوكُنِّي فِي غُلْمٍ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا)

هذا تعجب من زكريا عليه السلام حين أجيب إلى ما سأل وبشر بالولد ففرحاً شديداً وسأل عن كيفية ما يولد له والوجه الذى يأتيه منه الولد مع أن امرأته كانت عاقراً لم تلد من أول عمرها مع كبرها ومع أنه قد كبر وعتا أى عسا عظمه ونحل ولم يبق فيه لقاح ولا جماع والعرب تقول للعود إذا يبس عتا يبتو عتياً وعتوا عسا يسو عسوا وعسيا ، وقال مجاهد: عتياً يبنى فتول النظم ، وقال ابن عباس وغيره عتياً يبنى الكبر والظاهر أنه أخص من الكبر وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشام أخبرنا حصين عن ابن عباس قال قد علمت السنة كلها غير أنى لا أدري أكان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر والعصر أم لا ولا أدري كيف كان يقرأ هذا الحرف (وقد بلغت من الكبر عتياً) أو عسياً ، ورواه الإمام أحمد عن شريح بن النعمان وأبو داود عن زيد بن أيوب كلاهما عن هشيم بن (قال أى الملك عتياً) زكريا عما استعجب منه (كذلك قال ربك هو على هين) أى إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لامن غيرها (هين) أى يسير سهل على الله ، ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه فقال (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) كما قال تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً)

(قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)

يقول تعالى خبراً عن زكريا عليه السلام أنه (قال رب اجعل لي آية) أى علامة ودليلاً على وجود ما وعدتني لتستقر نفسى ويطمئن قلبي بما وعدتني كما قال إبراهيم عليه السلام (رب أرني كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) (قال آيتك) أى علامتك (أن لا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سويًّا) أى أن تجلس لسنانك عن الكلام ثلاث ليالٍ وأنت صحيح سوى من غير مرض ولا علة قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ووهب والصدى وقاتدة وغير واحد اعتقل لسانه من غير مرض ولا علة قال ابن زيد بن أسلم كان يقرأ ويسبح ولا يستطيع أن يكلم قومه إلا إشارة ، وقال السوفى عن ابن عباس (ثلاث ليالٍ سويًّا أى متتابعات والقول الأول عنه وعن الجمهور أصح كما قال تعالى فى آل عمران (قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيامٍ إلا زمزماً واذكر ربك كثيراً وسبح بالمعنى والإسكار) وقال مالك عن زيد بن أسلم (ثلاث ليالٍ سويًّا) من غير خرس وهذا دليل على أنه لم يكن يكلم

الناس في هذه الليالي الثلاث وأيامها (إلا رمزا) أي إشارة ولهذا قال في هذه الآية الكريمة (فخرج على قومه من المحراب) أي الذي بشر فيه بالوحي (فأوحى إليهم) أي أشار إشارة خفية سرية (أن يسبحوا بكرة وعشيا) أي موافقة لما أمر به في هذه الأيام الثلاثة زيادة على أعماله شكرًا لله على ما أوفاه . قال مجاهد (فأوحى إليهم) أي أشار به وقال وهب وقادة ، وقال مجاهد في رواية عنه (فأوحى إليهم) أي كتب لهم في الأرض وكذا قال السدي :

﴿ يَسْمَعُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْعِلْمَ صَبِيًّا • وَحَنَانًا مِّنَ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا • وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا • وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾

وهذا أيضاً تضمن عندهما تذكيره أنه وجد هذا التلام للشر به وهو يحي عليه السلام وأن الله عليه الكتاب وهو التوراة التي كانوا يتدارسونها بينهم ويحرم بها النبيون الذين أسلموا فلذين هادوا والرايون والأخبار ، وقد كان سنة إذ ذاك صغيراً فلهمنا نوه بذكره وما أنعم به عليه وعلى والده فقال (يا يحي خذ الكتاب بقوة) أي تعلم الكتاب بقوة أي بجد وحرص واجتهاد (وآتيناه الحكم صبياً) أي الفهم والعلم والجد والعزم والاحبال على الخير والاكباب عليه والاجتهاد فيه وهو صغير حدث قال عبد الله بن المبارك قال معمر قال الصبيان ليحي بن زكريا اذهب بنا نلعب قال ما للعب خلقنا قال فلهذا أنزل الله بن (وآتيناه الحكم صبياً) وقوله (وحناناً من لدنا) قال بن أبي طلحة عن ابن عباس (وحناناً من لدنا) يقول ورحمته عندنا وكذا قال عكرمة وقادة والضحاك وزاد لا يقدر عليها غيرنا وزاد قادة رحم الله بها زكريا وقال مجاهد (وحناناً من لدنا) وتقطعت من ربه عليه وقال عكرمة (وحناناً من لدنا) قال هبة عليه وقال ابن زيد أما الحنان فالحبة ، وقال عطاء بن أبي رباح (وحناناً من لدنا) قال تعظيماً من لدنا وقال ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع مع عكرمة عن ابن عباس أنه قال لا والله ما أدري ما حنانا وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور سألت سعيد بن جبيرة عن قوله (وحناناً من لدنا) فقال سألت عنها ابن عباس فلم يجد فيها شيئاً الظاهر من السياق أن قوله وحناناً معطوف على قوله (وآتيناه الحكم صبياً) أي وآتيناه الحكم وحناناً وزكاة أي وجعلناه ذا حنان وزكاة للحنان هو الحبة في شفة وميل كما تقول العرب حنت الناقة على ولدها وحنت المرأة على زوجها ومنه سميت المرأة حنة من الحنية وحن الرجل إلى وطنه ومنه التعتف والرحمة كما قال الشاعر :

تعتف على هداك لليلك • فان ليكسك مقام مقالا

وفي السند للامام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يبقى رجل في النار يتأذى ألف سنة حتى يأتيه ما ينقذ » وقد يئس منهم من يحمل ما ورد من ذلك لغة يبتأها كما قال طرفة :

أيا منذر أفتيت فاستبق بئسنا • حنانك بئس الشر أهون من بئس

وقوله وزكاة معطوف على وحناناً فانزكاة الطهارة من الدنس والآثام والذنوب ، وقال قادة الزكاة العمل الصالح ، وقال الضحاك وابن جريج العمل الصالح الزكي ، وقال المولى عن ابن عباس (وزكاة) قال بركة (وكان تقياً) طهر فلم يعمل بذنوب ، وقوله (وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً) لما ذكر تعالى طاعة لربه وأنه خلقه ذا رحمة وزكاة وتقى عطف بذكر طاعته لوالديه وبره بهما وجابته عقوبتهما قولاً وقملاً أمراً ونهيماً ولهذا قال (ولم يكن جباراً عصياً) ثم قال بعد هذه الأوصاف الجلية جزاء له على ذلك (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) أي له الأمان في هذه الثلاثة الأحوال ، وقال سفيان بن عيينة أوحش ما يكون للرب في ثلاثة مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجاً عما كان فيه ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم قال فأكرم الله فيها يحي بن زكريا فضمه بالسالم عليه فقال (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) رواه ابن جرير عن أحمد بن منصور الروزي عن صدقة بن الفضل عنه ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قادة في قوله (جباراً عصياً) قال كان

ابن الليث يذكر قال : قال رسول الله ﷺ « ما من أحد يلقى الله يوم القيامة إلا ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا »
قال قتادة ما أذنب ولام بأمراء ، مرسل وقال محمد بن إسحق عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن الليث
حدثني ابن العاص أنه منع النبي ﷺ قال « كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن
زكريا » ابن إسحق مدلس وقد ضمن هذا الحديث فاعلم ، وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا طي
ابن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « ما من أحد من ولد آدم إلا وقد
أخطأ آدم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا وما ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » وهذا أيضاً ضعيف لأن
طي بن زيد بن جهمان له منكرات كثيرة والله أعلم ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أن الحسن قال إن يحيى
وعيسى عليهما السلام اتفيا فقال له عيسى استغفري أنت خير مني . فقال له الآخر أنت خير مني فقال له عيسى أنت خير مني
سألت طي نفس وسلم الله عليك فرفق والله فضلهما .

(وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا . فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا
إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا . قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ هَيِّمًا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا . قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ نَبِيًّا . قَالَ كَذَلِكِ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَجَعْنَا مَتَّى وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا)

لما ذكر تعالى قصة زكريا عليه السلام وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولداً زكياً طاهراً مباركاً عطف
بذكر قصته مريم في إجماده ولدها عيسى عليه السلام منها من غير أب فإن بين القصتين مناسبة ومشابهة ولهذا ذكرهما
في آل عمران وهما وفي سورة الأنبياء يقرب بين القصتين لتقارب ما بينهما في المعنى ليدل عباده على قدرته وعظمته
سلطانه وأنه على ما يشاء قادر فقال (وأذكر في الكتاب مريم) وهي مريم بنت عمران من سلالة داود عليه السلام
وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل ، وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها في سورة آل عمران وأنها نذرت
محررة أى تخدم مسجد بيت للقدس وكانوا يتقربون بذلك (فتقبلها ربهما بقبول حسن وأنتبها نباتا حسنا) ونشأت
في بني إسرائيل نشأة عظيمة فكانت إحدى العابدات الناصات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبذل والهدوء وكانت
في كفالة زوج أختها زكريا بن بني إسرائيل إذ ذاك وعظيمهم الذي يرجعون إليه في دينهم ورأى لها زكريا من
الكرامات الماثلة ما بهره (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أى لك هذا قالت هو من
عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فذكر أنه كان يجد عندها تمر الشتاء في الصيف وتمر الصيف في الشتاء
كما تخدم بيانه في سورة آل عمران فلما أراد الله تعالى وله الحكمة والحجة البالغة أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى
عليه السلام أمد الرسل أولى الدم الحنة العظام (انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) أى اعتزلتهم وتحتهم عنهم وذهبت
إلى شرقى المسجد القدس . قال السدي لحسن أصابها ، وقيل لغير ذلك قال أبو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه
عن ابن عباس قال إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت والحج إليه وما صرفهم عنه إلا قيل ربك (فانتبذت
من أهلها مكانا شرقيا) قال خرجت مريم مكانا شرقيا فصاروا قبل مطلع الشمس رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .
وقال ابن جرير أيضاً حدثنا إسحق بن شاهين حدثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال : إني لأعلم
خلق الله لأى شيء اتخذ النصارى للشرق قبله تقول الله تعالى (فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا) واتخذوا ميلاد
عيسى قبله ، وقال قتادة (مكانا شرقيا) عاصمة متجها ، وقال محمد بن إسحق ذهبت قبلها لتسقى الماء وقال نوف البكالي
اتخذت لها منزلا تتجده فيه فاعلم وقوله (فانتبذت من دونهما حجابا) أى استترت منهم وتوارت فأرسل

الله تعالى إليها جبريل عليه السلام (فتمثل لها جسراً سوياً) أي على صورة إنسان تام كامل ، قال مجاهد والضحاك وقتادة وابن جريج وهوب بن منبه والسدي في قوله (فأرسلنا إليها روحنا) يعني جبرائيل عليه السلام وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن فإنه تعالى قد قال في الآية الأخرى (نزل به الروح الأمين على قلبك فتكون من الذين) وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي صالح عن أبي بن كعب قال إن روح عيسى عليه السلام من جملة الأرواح التي أخذ عليها العهد في زمان آدم عليه السلام وهو الذي تمثل لها جسراً سوياً أي روح عيسى فحملت الذي خاطبها وحل فيها وهذا في غاية الترابة والتسكرة وكأنه إسرائيل (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت ضياء) أي لا تبدي لها الملك في صورة بشر وهي في مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب خافتة وظنت أنه يريد بها على نفسها فقالت (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت ضياء) أي إن كنت تخاف الله تذكرها له بالله وهذا هو الشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل فخوفته أولاً بالله عز وجل . فإنا بن جرير حدثني أبو كريب حدثنا أبو بكر عن عاصم قال : قال أبو وائل وذكر قصة مريم فقال قد علمت أن التقي ذنوبية حين قالت (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت ضياء) قال إنا أنا رسول ربك (أي فقال لها الملك عبياً لها ومزبلاً لا حصل عندها من الخوف على نفسها لست بما تظنين ولكني رسول ربك أي ينشئ الله إليك ، وقال إنها لما ذكرت الرحمن انتفض جبريل فرقا وعاد إلى هيئته وقال (إنا أنا رسول ربك ليهب لك غلاماً زكياً) هكذا قرأ أبو عمرو بن العلاء أحد مشهوري القراء ، وقرأ الآخرون (لهب لك غلاماً زكياً) وكلا القراءتين لهو وجه حسن ومعنى صحيح وكل تستلزم الأخرى (قالت أي يكون لي غلام) أي فتعجب مريم من هذا وقالت كيف يكون لي غلام أي على أي صفة يوجد هذا الغلام يعني ولست بذات زوج ولا تصور من الفجور ولهذا قالت (ولم يمسس بشر ولم ألانثيا) والبنو هي الزانية ولهذا جاء في الحديث النبي عن مهر البني (قال كذلك قال ربك هو على هين) أي فقال لها الملك عبياً لها مما سألت إن الله قد قال إنه سيوجد منك غلاماً وإن لم يكن لك بهل ولا يوجد منك فاحشة فإنه على ما يشاء قادر ولهذا قال (ولنبشركم بالأنثى) أي دلالة وعلمة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم الذي نوع في خلقهم فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق بقية الأنبياء من ذكر وأنثى إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر فتمت القصة الرباعية للهالة على كمال قدرته وعظم سلطانه فلا إله غيره ولا رب سواه وقوله (ورحمة منا) أي ونبشركم بهذا الغلام رحمة من الله نبياً من الأنبياء يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده كما قال تعالى في الآية الأخرى (إذ قالت لللائكة يا مبشرين إن الله يشرك بكلمة منه اسمه للمسيح عيسى ابن مريم وجبها في الدنيا والآخرة ومن للقرين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين) أي يدعو إلى عبادة ربه في مهده وكهولته قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الرحيم بن إبراهيم حدثنا مروان حدثنا العلاء بن الحارث السكوني عن مجاهد قال : قالت مريم عليها السلام كنت إذا خلوت حدثني عيسى وكلمني وهو في بطني وإذا كنت مع الناس سبح في بطني وكبر ، وقوله (وكان أمراً مقضياً) يحتمل أن هذا من تمام كلام جبريل لمريم غيرها أن هذا أمر مقدر في علم الله تعالى وقدره ومشيئته ، ويحتمل أن يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد ﷺ وأنه كنى بهذا عن النسخ في فرجها كما قال تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) وقال (والقي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا) قال محمد بن إسحق (وكان أمراً مقضياً) أي إن الله قد عزم على هذا فليس منه بد ، واختار هذا أيضاً ابن جرير في تفسيره ولم يحك غيره .

(فَصَلَّاهُ فَأَنْبَذَتْ بِهِ مَسْكَناً قَصِيّاً • فَأَجَاكَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثْ قَبْلِ هَذَا وَكَلْتُ نَسِيّاً)

يقول تعالى خبراً عن مريم أنها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال إنها استلمت لقضاء الله تعالى فذكر غير

واحد من علماء السلف أن الملك وهو جبرائيل عليه السلام عند ذلك فتح في جيب درعها فنزلت النخلة حتى ولجت في الفرج فحملت بالوله بإذن الله تعالى ، فلما حملت بهما فتخرجها ولم يدر ماذا تحول الناس فاتها تلم أن الناس لا يصدقونها فيها تخبرهم به غير أنها أفتت سرها وذكرت أمرها لأختها امرأة زكريا . وذلك أن زكريا عليه السلام كان قد سأل الله الوله فأجاب إلى ذلك . فحملت امرأته فخلعت عليها مريم قامت إليها فاعتنتها وقالت أعمرت يامرهم أنى حبل ؟ فقالت لهم مريم وهل علمت أيضا أنى حبل وذكرت لها شأنها وما كان من خبرها وكانوا بيت إيمان وتصديق ثم كانت امرأة زكريا بعد ذلك إذا واجهت مريم تجعد إلى في بطنها يسجد لذى في بطن مريم أى يظلمه ويغضب له فان السجود كان في ملتهم عند السلام مشروعا كما سجد ليوسف أبواه وإخوته وكما أمر الله للملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام ولكن حرم في ملته هذه تكميلا لتعظيم جلال الرب تعالى ، قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين قال قرئ على الحارث ابن مسكين وأنا أسمع أخبرنا عبد الرحمن بن القاسم قال : قال مالك رحمه الله : بلغني أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام ابنا خالة وكان حملهما جميعا معا فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم إني أرى أن ما في بطنى يسجد لما في بطنك قال . مالك أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام لأن الله جعل يحيى الولي ويرى الأكمة والأبرس ثم اختلف القسرون في مدة حمل عيسى عليه السلام فالمشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر وقال عكرمة ثمانية أشهر قال ولهذا لا يعيش ولد ثمانية أشهر وقال ابن جريج أخبرني الثوري بن عتبة بن عبد الله التميمي سمع ابن عباس وسئل عن حمل مريم قال لم يكن إلا أن حملت فوضعت وهذا غريب وكأنه مأخوذ من ظاهر قوله تعالى (فحملته فانتبذته بمكانا قصيا ، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) فالفاء وإن كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه كقوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلاطة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما) فهذه الفاء للتعقيب بحسبها . وقد ثبت في الصحيحين أن بين كل صفتين أربعين يوما وقال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فصنع الأرض خضرة) فالمشهور الظاهر والله على كل شيء قدير أنها حملت به كما تحمل النساء وبالأدهن ولهذا لما ظهرت غايل الحمل بها وكان معها في المسجد رجل صالح من قرايبها يختم معها البيت المقدس يقال له يوسف النجار فلما رأى أهل بطنها وكبره أنكر ذلك من أمرها ثم صرفه ما يطم من برامها وراحتها ودينها وعبادتها ثم تأمل ما هي فيه ففعل أمرها يحوسر في فكره لا يستطيع صرفه عن نفسه ، فحمل نفسه على أن عرض لها في القول فقال يامرهم إني سألتك عن أمر فلا تبجلي على . قالت وما هو ؟ قال هل يكون قط شجر من غير حب وهل يكون زرع من غير بذر وهل يكون ولد من غير أب . فقالت نعم وفهمت ما أشار اليه . أما قولك هل يكون شجر من غير حب وهل يكون زرع من غير بذر فإن الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب ولا بذر وهل يكون ولد من غير أب فإن الله تعالى قد خلق آدم من غير أب ولا أم فصدقها وسلم لما حالها ، ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالرية اتبذت منهم مكانا قصيا أى قاصيا منهم بعيدا عنهم ثلاثا رام ولا يروها ، قال محمد بن إسحق : فلما حملت به وملائت فقلتها ورجعت استمسكت عنها اللحم وأصابها ما يصب الحمل على الولد من الوصب والنوح وتفسير اللون حتى فطر لسانها لما دخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا وشاع الحديث في بني إسرائيل فقالوا إنما صاحبها يوسف لم يكن معها في الكنيسة غيره وتوارت من الناس واتخذت من دونهم حجابا فلا يراها أحد ولا تراه ، وقوله (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) أى فاضطرها وأجأها الطلق إلى جذع النخلة في المكان الذى تحت ياله وقد اختلفوا فيه فقال السدي كان شرقى محرابها الذى تملى فيه من بيت المقدس ، وقال وهب بن منبه ذهب هاربة فلما كانت بين الشام وبلاد مصر ضربها الطلق ، وفي رواية عن وهب كان ذلك على ثمانية أميال من بيت المقدس في قرية هناك يقال لها بيت لحم ، قلت وقد تصمم في أحداثب الاسراء من رواية النسائي عن أنس رضي الله عنه والبيهقي عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن ذلك بيت لحم فأن الله أعلم وهذا هو المشهور الذى تلقاه الناس بعضهم عن بعض ولا يشك فيه النصارى أنه بيت لحم وقد تلقاه الناس وقد ورد به الحديث إن صح ، وقوله تعالى إخبارا عنها (قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) فيه دليل على جواز نفي الموت عند

الفتنة فانها عرفت انها سبقت وتحتج بهذا الولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ولا يصدقونها في خبرها
 ويبدو ما كانت عديم عابدة ناسكة صبيح عديم فيما يظنون عاهرة زانية قالت (يا ليتني مت قبل هذا) أي قبل هذا
 الحال (وكننت نسيامنيا) أي لم أخلق ولم أكن شيئا قاله ابن عباس ، وقال السدي قالت وهي تطلق من الحبل استياء
 من الناس التي تمت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه والحزن بولادتي للولد من غيري (وكننت نسيامنيا) نسي
 قترك طلبة كغرق الحيين إذا أقيمت وطرحتم لم تطلب ولم تذكر وكذلك كل شيء نسي وترك فهو نسي ، وقال قتادة
 (وكننت نسيامنيا) أي شيئا لا يعرف ولا يذكر ولا يتدبري أنا ، وقال الربيع بن أنس (وكننت نسيامنيا) هو
 السقط ، وقال ابن زيد لم أكن شيئا قط ، وقد قدمنا الأحاديث الدالة على التي عن نسي الموت إلا عند الفتنة عند قوله
 (توفى مسلما والحقى بالصالحين)

﴿ فَتَنَّاكِ مِنْ تَحْتِهَا الْآتِ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا • وَهَزَى إِلَيْكِ جَنَاحَ النَّمْلِ تَسْقِطُ عَلَيْكِ رُكْبًا جَنِيًّا • فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقرئ عَيْنًا فَلَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا قَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾

قرأ بعضهم من تحتها بمعنى التي تحتها ، وقرأ الآخرون من تحتها على أنه حرف جر ، واختلف المفسرون في المراد
 بذلك من هو ؟ قال المولى وغيره عن ابن عباس (فناداها من تحتها) جبريل ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها ،
 وكذا قال سعيد بن جبير ، والشاذك وعمرو بن ميمون والسدي وقاتة : إنه للك جبرائيل عليه الصلوة والسلام أي ناداها
 من أسفل الوادي ، وقال مجاهد (فناداها من تحتها) قال عيسى بن مريم وكذا قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال :
 قال الحسن هو ابنها وهو إحدى الروايتين عن سعيد بن جبير أنه إنما قال أو لم تسمع الله يقول (فأشارت إليه) واختاره
 ابن زيد وابن جرير في تفسيره ، وقوله (أن لا تحزني) أي ناداها قائلا لا تحزني (قد جعل ربك تحتك سريرا) قال سفيان
 الثوري وشعبة عن أبي إسحق عن البراء بن عازب (قد جعل ربك تحتك سريرا) قال الجدول وكذا قال علي بن أبي طلحة
 عن ابن عباس : السرى التهر ، وبه قال عمرو بن ميمون نهر تشرب منه ، وقال مجاهد هو التهر بالسرانية ، وقال سعيد بن جبير
 السرى النهر الصغير بالنبطية ، وقال الشاذك هو النهر الصغير بالسرانية ، وقال إبراهيم النخعي هو النهر الصغير وقال قتادة
 هو الجدول بلفظ أهل الحجاز ، وقال وهب بن منبه . السرى هو ربيع لاء ، وقال السدي هو التهر واختار هذا
 القول ابن جرير وقد ورد في ذلك حديث مرفوع قال الطبراني حدثنا أبو شعيب الحارثي حدثنا يحيى بن عبد الله الباي
 حدثنا أيوب بن نبيك سمعت عكرمة مولى ابن عباس سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول
 « إن السرى الذي قال الله لرمي (قد جعل ربك تحتك سريرا) نهر أخرجه الله لتشرب منه » وهذا حديث غريب جدا
 من هذا الوجه . وأيوب بن نبيك هذا هو الحلي قال فيه أبو حاتم الرازي ضعيف . وقال أبو زرعة : منكر الحديث وقال
 أبو الفتح الأزدى : متروك الحديث ، وقال آخرون للراد السرى عيسى عليه السلام وبه قال الحسن والربيع بن أنس
 وعبد بن عباد بن جعفر وهو إحدى الروايتين عن قتادة وقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأقول الأول أظهر ولهذا
 قال بعده (وهزى إليك جناح النملة) أي وخذى إليك جناح النملة ، قيل كانت نايبة قاله ابن عباس وقيل مشعة
 قال مجاهد كانت عجوة ، وقال الثوري عن أبي داود سمع الأعمى كانت صرغانة والظاهر أنها كانت شجرة ولكن لم تكن
 في إبان ثمرها قاله وهب بن منبه ولهذا استثنى عليها بذلك بأن جعل عندها طعاما وشرا بها فقال (تساقط عليك طباغينا)
 فكلي واشربي وقرئي عينا أي طيبي فشا ولهذا قال عمرو بن ميمون : ما من شيء خير لنفساء من التمر والطيب ثم
 تلا هذه الآية الكريمة وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا شيخان حدثنا مسروق بن سعيد التميمي حدثنا
 عبد الرحمن بن عمرو الأزاعي عن عروة بن روم عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ « أكرموا

عنكم النخلة فانها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام وليس من الشجر شيء يلقح غيرها وقال رسول الله ﷺ « أعطوا نساءكم الولد الرطب فان لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران » هذا حديث منكر جدا ورواه أبو يعلى عن شيان به ، وقرأ بعضهم (يساقط) بنشد بديل النبيين واخرون بتضفيها ، وقرأ أبو نبيك (تسقط عليك رطبا جينا) وروى أبو إسحق عن البراء أنه قرأها (يساقط) أي الجلع والسكل متقارب

وقوله (فأما ترين من البشر أحدا) أي مهنارا يت من أحد (فتولى إلى نذرت لرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا) للراد بهذا القول الإشارة إليه بذلك لا أن الراد به القول اللفظي ثلاثين (فلن أكلم اليوم إنسيا) قال أنس بن مالك في قوله (إلى نذرت لرحمن صوما) قال: صمتا وكذا قال ابن عباس والضحاك وفي رواية عن أنس صوما وصمتا وكذا قال قتادة وغيرهما ، والراد أنهم كانوا إذا صاموا في شهر صمتهم حرما عليهم الطعام والكلام ، نص على ذلك السدي وقاتدة وعبد الرحمن بن زيد . قال ابن إسحق عن حارثة قال: كنت عند ابن مسعود فبجاء رجلا فلم أحدهما ولم يسلم الآخر فقال ما أتاك به قال أسما به حلف أن لا يكلم الناس اليوم فقال عبد الله بن مسعود كلم الناس وسلم عليهم فان تلك امرأة علت أن أحدا لا يصحبها حلف من غير زوج ، يعني بذلك مريم عليها السلام ليكون عدوا لها إذا سلت ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير رحمهما الله وقال عبد الرحمن بن زيد لما قال عيسى لمریم (لا تحزني) قالت وكيف لا أحزن وأنت معي لا ذات زوج ولا مملوكة أي شيء عذري عند الناس ؟ أليتي مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا قال لها عيسى أنا فكيف الكلام (فلما ترين من البشر أحدا فتولى إلى نذرت لرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا) قال هذا كله من كلام عيسى لأمه وكذا قال وهب

﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحِيَّةً لَهُمْ فَسُئِلَتْ عَنْهُ فَبَيَّنَتْ لَهُمْ أَمْرَهُمْ وَآيَاتِهِمْ وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ قَالَ لِيَبْنِيَ لَكُمْ يَوْمَ الْكَلْبَةِ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْعَلَاةِ وَالزُّكُوفِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَدَّلَنِي ثَمَنًا خَفِيًّا فَمَا يَكُونُ لِي بِهِ إِذْ أَقَامَ يَوْمَ تَأْتِي سَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي ذَلِكَ الْبَيِّنَاتِ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَلَى أَزْوَاجِهِمْ وَلَهُمْ فِيهَا نِسَاءٌ مُّشَابِهَاتٌ لَهُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَاللَّهُ يَبْدُلُ مَا يَشَاءُ وَيَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾

يقول تعالى خبرا عن مريم حين أمرت أن تصوم يوما ذلك وأن لا تكلم أحدا من البشر فانها ستكني أمرها وقام بحجتها فسلت لأمر الله عز وجل واستسلمت لقضائه فأخذت ولدها فأتمت به قوما تحمله فلما رآها كذلك أعطوها أمرها واستكروه جدا وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا أي أمرا عظيما قاله مجاهد وقاتدة والسدي وغير واحد وقال ابن أبي حاتم حدثنا في حديثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا عبيد بن حماد بن عمار حدثنا أبو عمران الجوني عن نوف البكالي قال وخرج قوما في طلبها قال وكانت من أهل بيت نبوة وشرف فلم يحسوا منها شيئا فلقوا راعي بقر فقالوا رأيت فتاة كذا وكذا فنها قال لا ولكن رأيت اليلة من بقرى ما لم أره منها قط قالوا وما رأيت قال رأيت اليلة تسجد نحو هذا الرادى . قال عبد الله بن أبي زياد وأحفظ عن شيان أنه قال رأيت نوراً ساطعاً فتوجهوا حيث قال لهم فاستقبلتهم مريم فلما رأتهم قدت وحملت ابنها في حجرها فبجاءوا حتى قاموا عليها (وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) أمرا عظيما (يا أخت هرون) أي ياشيعة هرون في العبادة (ما كان أبوك أمرا سوء وما كانت أمك بيا) أي أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك قال على ابن أبي طلحة والسدي قيل لها (يا أخت هرون) أي أخي موسى وكانت من نسله كما يقال لثيمى يا أختا بهم وللضري يا أخت مضر وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيه اسمه هارون فكانت تهاى به في الزهادة والعبادة وحكى ابن جرير

عن بعضهم أنهم شبهوا رجل فاجر كان فيهم يقال له هرون . ورواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير وأغرب من هذا كله ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين المجستاني حدثنا ابن أبي مريم حدثنا للفضل يعني ابن أبي فضالة حدثنا أبو صخر عن القرظي في قول الله عز وجل (يا أخت هرون) قال هي أخت هرون لأبيه وأمه وهي أخت موسى أخي هرون التي قصت أثر موسى (فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون) وهذا القول خطأ محض قاله تعالى قد ذكر في كتابه أنه قفى بميسى بعد الرسل فدل على أنه آخر الأنبياء بشا وليس بعده إلا محمد صلات الله وسلامه عليهما ولهذا ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « أنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي » ولو كان الأمر كما زعم محمد بن كعب القرظي لم يكن متأخرا عن الرسل سوى محمد ولكان قبل سلمان وداود فإن الله قد ذكر أن داود بعد موسى عليهما السلام في قوله تعالى (ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم إبعث لنا ملكا فأتاهم في سبيل الله) وذكر القصة إلى أن قال (وقتل داود جالوت) الآية والذي جراً القرظي على هذه القصة ما في التوراة بعد خروج موسى وبني إسرائيل من البحر وإغراق فرعون وقومه قال وقامت مريم بنت عمران أخت موسى وهرون النبيين فحضر بالف هي والنساء معها يسبحن الله ويشكرنه على ما أنعم به على بني إسرائيل فاعتقد القرظي أن هذه هي أم عيسى وهذه هفوة وغلطة شديدة بل هي باسم هذه وقد كانوا يسمون أبناء أنبيائهم وصالحينهم كما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن إدريس سمعت أبي يذكره عن سالك عن علقمة بن وائل عن الثيرة بن شعبة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بحران فقالوا أرأيت ما همرون (يا أخت هرون) موسى قبل عيسى بكذا وكذا ؟ قال فرجعت فذكرت ذلك رسول الله ﷺ فقال « ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم » اهـ أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سالك به ، وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن إدريس ، وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علي عن سعيد بن أبي عبيدة عن محمد بن سيرين قال أنبئت أن كبا قال إن قوله (يا أخت هرون) ليس بهرون أخي موسى قال قتالته عائشة كذبت قال يا أم المؤمنين إن كان النبي ﷺ قاله فهو أعلم وأخبر ولا فاني أجديتها سائلة سنة قال فسكت وفي هذا التاريخ نظر .

وقال ابن جرير أيضا حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله (يا أخت هرون) الآية قال كانت من أهل بيت يسمون بالصلاح ولا يعرفون بالفساد ومن الناس من يرفقون بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يرفقون بالفساد ويتوالدون به وكان هرون مصلحا محبيا في عشيرته وليس بهرون أخي موسى ولكنه هرون آخر قال وذكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أرمون ألفا كلهم يسمي هرون من بني إسرائيل ؛ وقوله (فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في اللد صيا) أي أنهم لما استأجروا إلى أمرها واستنكروا قضيتها وقالوا لها ما قالوا مرضين فذهبوا ورموها بالقرية وقد كانت يومها ذلك صائمة صائمة فأحالت الكلام عليه وأشارت لهم إلى خطابه وكلامه فقالوا متكلمين بها طائين أنها تزددى بهم وتلب بهم (كيف نكلم من كان في اللد صيا) قال ميمون بن مهران (فأشارت إليه) قالت كلوه فقالوا على ما جادت به من الدهاية تأمرنا أن نكلم من كان في اللد صيا : وقال السدي لا (أشارت إليه) غضبوا وقالوا لسخرتها بنا حتى تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها (قالوا كيف نكلم من كان في اللد صيا) أي من هو موجود في مهدة في حال صباه وصره كيف يتكلم ؟ قال ابن عبد الله ، أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبراءه عن الولد ، وأثبت نفسه العبودية لربه وقوله (آتاني الكتاب وجعلني نبيا) عبارة لأمه مما نسبت إليه من الحاجة قال نوف البكالي لا قالوا لأمه ما قالوا كان يرتفع ثديه فترفع الثدي من فيه وانكأ على جنبه الأيسر وقال (إنني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا - إلى قوله - مادمت حيا) وقال حماد بن سلمة عن ثابت البناني رفع أصبعه السبابة فوق منكبيه وهو يقول (إنني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) الآية ، وقال عكرمة (آتاني الكتاب) أي قضى أنه يؤتيني الكتاب فيا قضى ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الصنفى حدثنا يحيى بن سعيد

أنه ولد زينة ، وقالوا كلامه هذا سحر ، وقالت طائفة أخرى إنما تسكّم الله وقال آخرون بـ هو ابن الله ، وقال آخرون ثالث ثلاثة وقال آخرون بل هو عبد الله ورسوله وهذا هو قول الحق الذي أرشد الله إليه المؤمنين ، وقد روى نحو هذا عن عمرو بن ميمون وابن جريج وقتادة وغير واحد من السلف والخلف . قال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) قال اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع فقال بعضهم هو الله هبط إلى الأرض فأحيانا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء وهم البقوية فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم لثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين للأخر قل في فقال هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه إله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى عليهم لعائن الله . قال الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله وروحه ولكنه وهم السلمون . فكان لكل رجل منهم اتباع على ما قالوا فالتقوا وظهر على السلمين ، وذلك قول الله تعالى (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) قال قتادة وهم الذين قال الله (فاختلف الأحزاب من بينهم) قال اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً ، وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس وعن عروة بن الزبير عن بعض أهل العلم قريباً من ذلك ، وقد ذكر غير واحد من علماء التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم أن قسطنطين جمعهم في حفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهورة عندهم فكان جماعة الأساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفاً فالتقوا في عيسى بن مريم عليه السلام اختلافاً متبايناً جداً فقالت كل شريفة فيه قولاً فثلاثة تقول فيه شيئاً وسبعون تقول فيه قولاً آخر وخمسون تقول شيئاً آخر ومائة وستون تقول شيئاً ولم يجتمع على مقال واحد أكثر من ثلثائة وعمانية منهم اتفقوا على قول وصمموا عليه لئلا يلهم لللك وكان فيلسوفاً قدمهم ونصرهم وطرد من عدايم فوضوا له الأمانة الكبيرة بل هي الحياة العظيمة ووضوا له كتب القوانين وشرعوا له أشياء وابتدعوا بها كثيرة وحرفوا دين المسيح وغيره فابنى لهم حيتل الكنائس الكبار في عسكرته كلها بلاد الشام والجزيرة والروم فكان مبلغ الكنائس في أيامه ما يقارب اثنى عشر ألف كنيسة وبنت أمه هيلانة قائمة على السكان الذي صلب فيه الصلوب الذي يزعم اليهود أنه للمسيح وقد كذبوا بل رفعه الله إلى السماء وقوله (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) تهديد ووعيد شديد لمن كذب على الله واقرى وزعم أنه له ولكن أنظروا تعالى إلى يوم القيامة وأجلهم حلماً وحقه بقدرته عليهم فانه الذي لا يسجل على من عصاه كما جاء في الصحيحين « إن الله ليحلي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذهم شديد) وفي الصحيحين أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يسمعون له ولداً وهو يرزقهم ويصافيهم » وقد قاله تعالى (وكان من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير) وقال تعالى (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) ولهذا قال ههنا (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) أي يوم القيامة ، وقد جاء في الحديث الصحيح التفتق على صحنه من عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من شهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلته ألقاه إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل »

﴿ أَسْمِعْ يَوْمَ يُنصَرُّ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْكَسْرِ إِذْ فَُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي حَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْنَا لِيُنَجِّوُنَّ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار يوم القيامة إنهم يكونون أسمع شيء وأبصر كما قال تعالى (ولوترى إذ المجرمون لا كسوا بدهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمنا) الآية أي يقولون ذلك حين لا ينفعهم ولا ينجيهم منهم شيئاً ولو كان

لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ حَمِيمًا • يَا بَيْتَ إِيَّا أَخَافُ أَنْ يَسْكَ عَذَابُ مَنْ الرَّحْمَنُ فَتَكُونُ الشَّيْطَانُ وَرَبِّيَا

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ واذكر في الكتاب إبراهيم وأهل بيته قومك هؤلاء الذين يبدون الأصنام واذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن الذي هم من ذرية ويدعون أنهم على ملته وقد كان مسديقا نبيا مع أبيه كيف نهى عن عبادة الأصنام فقال (يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يفتي عنك شيئا) أي لا يفتك ولا يدفع عنك ضرا (يا أبت إني قد جئت من العلم ما لم يأتك) يقول وإن كنت من صلبك وتراني أصغر منك لأنني ولدك فاعلم أني قد اطلعت من العلم من الله على ما لم تعلمه أنت ولا اطلعت عليه ولا جاءك (فاتبعني أهدك صراطا سويا) أي طريقا مستقيما موثقا إلى نيل المطلوب ، والنجاة من الرهوب (يا أبت لاتعبد الشيطان) أي لا تقطعه في عبادتك هذه الأصنام فإنه هو الداعي إلى ذلك والراضي به كما قال تعالى (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) وقال (إن يدعون من دونه إلا إنانا وإن يدعون إلا شيطانا مريما) وقوله (إن الشيطان كان للرحمن عصيا) أي مخالفا مستكبرا عن طاعة ربه فطرده وأبعد فلا يتبعه فسر مثله (يا أبت إني أخاف أن يسلك عذاب من الرحمن) أي على شركك وعصيانك لما أمرك به (فتكون للشيطان وليا) يعني فلا يكون لك مولى ولا ناصر ولا مغيثا إلا إبليس وليس إليه ولا إلى غيره من الأمور شيء بل اتباعك له موجب لإحاطة الطلب بك كما قال تعالى (تالله لقد أرسلنا إلى أممهم قبلك فزينا لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم)

(قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الرَّحْمَنِ يَا بَرَاهِيمُ لَقَدْ لَمْ تَنْتَهَ لَأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا • قَالَ سَكَمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا • وَأَعَزَّ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَصَى أَلَا أَكُونُ بِدَعَاؤِ رَبِّي شَفِيًّا)

يقول تعالى عبرا عن جواب أبي إبراهيم لولاه إبراهيم فبما دعا إليه انه قال (أراغب أنت عن آلهي يا إبراهيم ؟) يعني إن كنت لا تريد عبادتها ولا تضاهي فاته عن سبها وعتمها وعيبها فانك إن لم تنته عن ذلك انقصت منك وفتنتك وسيتك وهو قوله (أأرجمك) قاله ابن عباس والسدي وابن جريج والضحاك وغيرهم ، وقوله (وأهجرني مليا) قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن إسحاق يعني دهرا وقال الحسن البصري زمانا طويلا وقال السدي (وأهجرني مليا) قال أبدأ ، وقال طي بن أبي طلحة والوقوف عن عباس (وأهجرني مليا) قال سويلا ما قبل أن تصيبك من عقوبة وكذا قال الضحاك وقادة وعطية الجدي وأبو مالك وغيرهم واختاره ابن جرير فتبعها قال إبراهيم لأبيه (سلام عليك) كما قال تعالى في سورة المؤمنين (وإذا خاطبهم الجاهلين قالوا سلاما) وقال تعالى (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتلى الجاهلون) ومعنى قول إبراهيم لأبيه (سلام عليك) يعني أما أنا فلا ينالك مني مكروه ولا أذى وذلك لحمة الأبوة (سأستغفر لك ربي) ولكن سأسأل الله فكأن يهديك ويغفر ذنبك (إنه كان بي حفيا) قال ابن عباس وغيره لطيفا أي في أن هداني لبيادته والاختلاص له . وقال قتادة ومجاهد وغيرهما إنه كان بي حفيا قال عوده الإجابة وقال السدي الحفي الذي يهتم بأمره ، وقد استغفر إبراهيم ﷺ لأبيه مدة طويلة وبعد أن هاجر إلى الشام وبني للسجد الحرام وبعد أن ولد له إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في قوله (ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) وقد استغفر للمسلمون لقرابتهم وأهلهم من الشركين في ابتداء الإسلام وذلك اقتداء بإبراهيم الخليل في ذلك حتى أنزل الله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ

قالوا لقوامهم إنا برآء منكم وبما تعبدون من دون الله - إلى قوله - إنا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء (الآية ، يعني إلا في هذا القول فلا تأسوا به ، ثم بين تعالى أن إبراهيم أقطع عن ذلك ورجع عنه فقال تعالى (ما كان لابي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين - إلى قوله - وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه أن إبراهيم لأواه حليم) وقوله (وأعتزلك وما تدعون من دون الله وأدعو ربى) أى اجنبتك وأتبرأ منك ومن الكشك الذى تعبدونها من دون الله (وأدعو ربى) أى وأعيد ربى وحده لا شريك له (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقياً) وعسى هذه موجبة لا محالة فإنه عليه السلام سيد الأنبياء بعد محمد ﷺ

﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾

يقول تعالى فلما اعتزل أباهم وقومه في الله أبده الله من هو خير منهم ووهب له إسحاق ويعقوب يعني ابنه وابن إسحاق كما قال في الآية الأخرى (ويعقوب نافلة) وقال (ومن وراء إسحاق يعقوب) ولا خلاف أن إسحاق والدي يعقوب وهو نص القرآن في سورة البقرة (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق) ولهذا إنما ذكر ههنا إسحاق ويعقوب أى جعلنا له نسلا وعقباً أنبياء أقر الله بهم عينه في حياته ولهذا قال (وكلا جعلنا نبياً) فلم يكن يعقوب عليه السلام قد نبى في حياة إبراهيم لما اقتصر عليه ولكنه رآه يوسف فإنه نبى أيضاً كما قال رسول الله ﷺ في الحديث للنفق على صحتة حين سئل عن خير الناس فقال « يوسف بنى الله ابن يعقوب بنى الله ابن إسحاق بنى الله ابن إبراهيم خليل الله » وفي اللفظ الآخر « إن الكرم ابن الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » وقوله (ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً) قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس بنى التناء الحسن وكذا قال السدي ومالك بن أنس ، وقال ابن جرير ما قال علياً لأن جميع الملل والأديان يتقون عليهم ويمدحونهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَذَرَيْنَاهُ مِنَ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾

لا ذكر تعالى إبراهيم الخليل وأثنى عليه عطف بذكر الكلام فقال (وأذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً) قرأ بعضهم بكسر اللام من الإخلاص في الصادة ، قال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي ليابة قال : قال الحواريون ياروح الله أخبرنا عن المخلص قال: الذى يعمل لله لا يجب أن يحمد الناس ، وقرأ الآخرون بفتحها بمعنى أنه كان مصطفي كما قال تعالى (إني اصطفتك على الناس) (وكان رسول نبياً) جمع الله له بين الوصفين فإنه كان من المرسلين الكبار أولى الزم الحجة وم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم على سائر الأنبياء أجمعين ، وقوله (وناديناه من جانب الطور) أى الجانب (الأيمن) من موسى حين ذهب يبتنى من تلك التارجلوة فقرأه آغا تالوح قصدها فوجدتها في جانب الطور الأيمن منه غريبه عند شاطئ الوادى فكلمه الله تعالى وناداه وقربناه به ، روى ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى هو القطان حدثنا سفيان عن عطاء بن يسار عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (وقربناه نجياً) قال أدنى حتى مع صرف القلم وهكذا قال مجاهد وأبو المألية وغيرهم ينون صرف القلم بكتابة التوراة وقال السدي (وقربناه نجياً) قال أدخل في السماء فكلم وعن مجاهد نحوه ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (وقربناه نجياً) قال نجياً بصدقه ، وروى ابن أبي حاتم حدثنا عبد الجبار بن عاصم حدثنا محمد بن سلة الحضرمي عن أبي واصل عن شهر بن حوشب عن عمرو بن معد يكرب قال لا قرب الله موسى نجياً بطور سيناء قال : ياموسى إذا خلقت لك قلباً شاكراً

ولسأنا إذا كرر زوجة تبين على الخير فلم أخزن عنك من الخير شيئاً ومن أخزن عنه هذا فلم أفتح له من الخير شيئاً. وقوله (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) أى وأجبنا سؤاله وشفاعته فى أخيه فيجلبنا نبياً كما قال فى الآية الأخرى (وأخى هارون هو المصحح لسأنا فأرسله معي رداً، يصدقنى إلى أخاف أن يكذبون) وقال (قد أوتيت سؤلك يا موسى) وقال (فأرسل إلى هارون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلوا) ولهمنا قال بسن السلف ما شفع أحد فى أحد شفاعته فى الدنيا أعظم من شفاعته موسى فى هارون أن يكون نبياً قال الله تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن حكيم قال: قال ابن عباس قوله (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) قال كان هارون أكبر من موسى ولكن أراد وهبه لئومه وقد ذكره ابن أبي حاتم معلقاً يعقوب وهو ابن إبراهيم الدورى به .

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ لِمَتَّعِلِ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ بِأَمْرِ أَهْلِهِ بِالسَّكِينَةِ وَارْتُكِبَتُهُ وَكَانَ خَشِيصًا مُرَوِّعًا﴾

هذاثناء من الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وهو والد عرب الحجاز كلهم بأنه كان صادق الوعد . قال ابن جرير لم يعد ربه عدة إلا أنجزها معنى ما التزم عبادة قط ينذر إلا قام بها ووفها حقها . وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل حدثه أن إسماعيل التى عليه السلام وعد رجلاً مكاناً أن يأتيه فيه فبها ونسى الرجل فظل به إسماعيل وبات حتى جاء الرجل من التذ فقال ما برحت من ههنا ؟ قال لا قال إلى لست قال لم أكن لأبرح حتى تأتيه فذلك (كان صادق الوعد) وقال سفيان الثوري بلغني أنه أقيم فى ذلك المكان ينتظره حولا حتى جاءه . وقال ابن شاذب بلغني أنه أخذ ذلك للوضح مكاناً ، وقد روى أبو داود فى سننه وأبو بكر محمد بن جعفر الحرالطى فى كتابه مكارم الأخلاق من طريق إبراهيم بن طهمان عن عبد الله بن ميسرة عن عبد الكريم بنى ابن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحساء قال بابت رسول الله ﷺ قبل أن يبعث فيبعث له على بقية فوعده أنه أتته بها فى مكانه ذلك قال فنسيت يومى والتذ فأنته فى اليوم الثالث وهو فى مكانه ذلك فقال لى « يا فتي قد شفقت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك » فلف الحرالطى وسأل أكاراً حسنة فى ذلك ، ورواه ابن منده أبو عبد الله فى كتاب معرفة الصحابة يسنده عن إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الكريم به وقال بعضهم إنما قيل له (صادق الوعد) لأنه قال لأبيه (ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) فصدق فى ذلك ، فصدق الوعد من الصفات الحميدة كما أن خلفه من الصفات اللطيفة قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تعملون) كبر مقنا عند الله أن تقولوا مالا تعملون) وقال رسول الله ﷺ « آية للناسق ثلاث إذا حدث ككذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » ولما كانت هذه صفات للتأقن كان التلبس بشدها من صفات المؤمنين ، ولهذا أتى الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق الوعد أيضاً لا يبدأ أحداً شيئاً إلا وفى له به ، وقد أتى على أى الناس بن الربيع زوج ابنته زينب قال « حدثنى صدقنى ووعدنى فوفى لى » ولما توفى النبي ﷺ قال الخليفة أبو بكر الصديق من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فليأتى أنجز له فبها جابر بن عبد الله قال إن رسول الله ﷺ قال « لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا » معنى ملة كفيه ففما جاء مال البحرين أمر الصديق جابر أنصرف يديه من لئال ثم أمره بدمه فلما هو خشيانة درهم فأعطاه مثليهما ، وقوله (وكان رسولاً نبياً) فى هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحق لأنه إنما وصف بالنبوة فقط وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة ، وقد ثبت فى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل » وذكر تلم الحديث قبل على صفة ما قلناه وقوله (وكان بأمر الله بالصلاة والركاة وكان عند ربه مرضياً) هذا أيضاً من الثناء الجليل والصفة الحميدة والحق السديدة حيث كان صابراً على طاعة ربه

عز وجل آمراً بها لأهلها كما قال تعالى لرسوله (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) الآية وقال (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) أي مروج بالمعروف واتهم عن النكر ولا تتعوم مملاتاً كلهم التاريخ القيام، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « رحم الله رجلا قلم من الليل صلى وأيقظ امرأته فان أبت نضح في وجهها الماء . رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فان أبي نضحت في وجهه الماء » أخرجه أبو داود وابن ماجه . وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال « إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من المالكين الله كثيرا والذاكرات » روى أبو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ له

(وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا • وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا)

ذكر إدریس علیه السلام بالتناء علیه بأنه كان صديقاً نبياً وأن الله رفعه مكاناً علياً ، وقد تقدم في الصحيح أن رسول الله ﷺ مر به في ليلة الإسراء وهو في الساء الرابعة . وقد روى ابن جرير هنا أفعراً غريباً عجيباً فقال حدثني يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني جرير بن حازم عن سليمان الأحمسي عن عمر بن عطية عن هلال ابن يساف قال سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر فقال له ما قول الله عز وجل لإدریس (ورفعناه مكاناً علياً) فقال كعب أما إدریس فان الله أوحى إليه أني أرفع لك كل يوم مثل حمل جميع بني آدم فأحب أن يزداد عملاً فأثاب خليل له من الملائكة فقال له إن الله أوحى إلى كذا وكذا فحكم لي ملك الموت فليؤخرني حتى أزداد عملاً فعمله بين جناحيه حتى صعد به إلى الساء فلما كان في الساء الرابعة تلقاه ملك الموت منجساً فكلم ملك الموت في الذي كلفه فيه إدریس فقال وأين إدریس ؟ فقال هو ذا على ظهري قال ملك الموت العجب بهت وقيل لي إقبض روح إدریس في الساء الرابعة فجعلت أقول كيف إقبض روحه في الساء الرابعة وهو في الأرض فقبض روحه هناك فذلك قول الله (ورفعناه مكاناً علياً) هذا من أخبار كعب الأحبار الأسرانيات ، وفي بعضه نكارة والله أعلم وقد روى ابن أبي حاتم عن وجه آخر عن ابن عباس أنه سأل كعباً فذكر نحوه ما تقدم غير أنه قال لذلك الملك هل لك أن تسأله يسي ملك الموت كم بقي من أجل لسى أزداد من العمل وذكر باقيه وفيه أنه لما سأله عما بقي من أجله قال لا أدري حتى أنظر فنظر ثم قال إنك تسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين فنظر الملك تحت جناحه فإذا هو قد قبض عليه السلام وهو لا يشعر به ثم زواه من وجه آخر عن ابن عباس أن إدریس كان خطاطاً فكان لا يفر إبرة إلا قال سبحان الله فكان يسمى حين يسمى وليس في الأرض أحد أفضل عملاته وذكر قبته كالذي قبله أو نحوه وقال ابن أبي نجيع عن عباد في قوله (ورفعناه مكاناً علياً) قال إدریس رفع ولم يمت كما رفع عيسى . وقال سفيان عن منصور عن مجاهد (ورفعناه مكاناً علياً) قال الساء الرابعة وقال الولي عن ابن عباس (ورفعناه مكاناً علياً) قال رفع إلى الساء السادسة فأت بها وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال الحسن وغيره في قوله (ورفعناه مكاناً علياً) قال : الجنة .

(أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَبَيْنَ سَمَلًا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَبَيْنَ هَذَيْنَا وَاجْتَنَبْنَاهُ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الْكِتَابِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَكَبَّرُوا وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَيْبِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَقْبِضُونَكَ فَذَرْهُنَّ لِمَا يَنصَرِفْنَ أَيَّامًا كَثِيرًا ثُمَّ يُنصَرِفُونَكَ لِيَأْخُذَ اللَّهُ بِالْبَاطِلِ أَعْيُنًا عَظِيمًا)

يقول تعالى هؤلاء النبيون وليس للراد المذكورين في هذه السورة فقط بل جنس الأنبياء عليهم السلام استطرده من ذكر الأشخاص إلى الجنس (الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) الآية قال السدي وابن جرير رحمهما الله فالذي عنى به من ذرية آدم إدریس والذي عنى به من ذرية من نوح إبراهيم والذي عنى به من ذرية إبراهيم

إسحق ويعقوب وإسحاق والذى عنى به من ذرية إسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم ، قال ابن جرير وذلك فرق أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة وهو إندريس فإنه جد نوح (قلت) هذا هو الأطهر أن إندريس في عمود نسب نوح عليهما السلام ، وقد قيل إنه من أنبياء بنى إسرائيل أخذوا من حديث الإبراء حيث قال في سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ولم يقل والولد الصالح كما قال آدم وإبراهيم عليهما السلام . وروى ابن أبي حاتم حدثنا يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني ابن لجة عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن عمر أن إندريس أقدم من نوح قبته الله إلى قومه فأمرهم أن يقولوا لا إله إلا الله ويعملوا ماأمرنا فأبوا فأهلكهم الله عز وجل ، وما يؤيد أن المراد بهذه الآية جنس الأنبياء أنها كقوله تعالى في سورة الأنعام (وذلك حببتنا إيمانها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) ووهبتنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذرية داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسحاق واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين * ومن آياتهم وذرياتهم وإخوانهم واجتنبناهم وهديتناهم إلى صراط مستقيم - إلى قوله - أولئك الذين هدى الله فبإمامهم اقتده) وقال سبحانه وتعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) وفي صحيح البخارى عن مجاهد أنه سأل ابن عباس أى من سجد ؟ فقال نعم ثم تلا هذه الآية (أولئك الذين هدى الله فبإمامهم اقتده) فبيك من أمر أن يقتدى بهم قال وهو منهم ينى داود . وقال الله تعالى في هذه الآية الكريمة (إذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) أى إذا سمعوا كلام الله للتضعف بحجبه ودلالته وبراهينه سجدوا لرحم خضوعا واستكانة حمدا وشكرا على ما هم فيه من النعم العظيمة ، واليكى جمع بك فلهذا أجمع العلماء على شريعة السجود ههنا اقتداء بهم وإتباعا لنوالمهم . قال سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر قال قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه سورة مريم فسجد وقال هذا السجود فأين البكى يريد البكاء . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وسقط من روايته ذكر أبي معمر فيها رأيت الله أعلم

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَدْمِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَتُوفِيَ بِلَقْوَنَ غَيًّا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾

لما ذكر تعالى حزب السعداء وهم الأنبياء عليهم السلام ومن اتبعهم من القائلين بحدود الله وأوامره المؤدين فرائض الله التاركين لزواجه ، ذكر أنه (خلف من بدمهم خلف) أى قرون أخر (أضاعوا الصلاة) وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع لأنها حماد الدين وقوامه وغير أعمال البعاد ، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملذاتها ورشوا بالحياة الدنيا وأطمأنوا بها فيؤلا سيقون غيا أى خساروا يوم القيامة ، وقد اختلفوا في المراد بإضاعة الصلاة ههنا فقال قائلون المراد بإضاعتها تركها بالكسبية قاله محمد بن كعب القرظي وابن زيد بن أسلم والسدى واختاره ابن جرير ولهذا ذهب من نهب من السلف والخلف والأئمة كما هو للشهور عن الإمام أحمد ، وقول عن القاضي إلى تكفير تارك الصلاة للحديث « بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة » والحديث الآخر « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » وليس هذا محل بسط هذه المسألة . وقال الأوزاعي عن موسى بن سلمان عن القاسم بن عيمرة في قوله (فخلف من بدمهم خلف أضاعوا الصلاة) قال إنما أضاعوا للواقيت ولو كان تركا كان كفرا . وقال وكيع عن السعدي عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن سعيد عن ابن مسعود أنه قيل له إن الله يكفر ذكر الصلاة في القرآن (الذين هم عن صلاتهم ساهون) و (على صلاتهم دائمون) و (على صلاتهم محافظون) فقال ابن مسعود على موافقتها . قالوا ما كنا نرى ذلك إلا على الترك قال ذلك الكفر ، قال مسروق لا يحافظ أحد على الصلوات المحس فيكذب من القائلين ، وفي

إفراطهم الملحة وإفراطهم إضاعتهم عن وقتهم ، وقال الأوزاعي عن إبراهيم بن يزيد أن عمر بن العزير قرأ (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) ثم قال إنكم إضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت ، وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) قال عند قيام الساعة وذهب صالحى أمة عهد عليه السلام ينزو بهم على بعض في الأرزقة وكذا روى ابن جريج عن مجاهد مثله ، وروى جابر الجعفي عن مجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح أنهم من هذه الأمة ينون في آخر الزمان ، وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا الحسن الأشعبي حدثنا شريك عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) قالهم في هذه الأمة يتراكون تراكب الأنعام والحمر في الطرق لا يخافون الله في السماء ولا يستحيون من الناس في الأرض ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا حيوه حدثنا بشر بن أبي عمرو الجولاني أن الوليد بن قيس حدثه أنه مع أبي سعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يكون خلف بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، ثم يكون خلف بقرءون القرآن لا يدور تراقيهم وقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ومناقق وفاجر » وقال بشر قلت لوليد ما هؤلاء الثلاثة ؟ قال للؤمن مؤمن به وللمناقق كافر به والفاجر يأكل به ، وهكذا رواه أحمد عن أبي عبد الرحمن المقرئ ، وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثني أبي حدثنا إبراهيم بن موسى أن أبا ثعلبة عيسى بن يونس حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن وهب عن مالك عن أبي الرجال أن عائشة كانت ترسل بالشيء صدقة لأهل الصفة وتقول لا تصلوا منه ببريا ولا بربرية فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « هم الخلف الذين قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة » هذا حديث غريب وقال أيضاً حدثني أبي حدثنا عبد الرحمن بن الضحاك حدثنا الوليد بن جرير عن شيخ من أهل المدينة أنه سمع محمد بن كعب القرظي يقول في قول الله (فخلف من بعدهم خلف) الآية قال هم أهل القرب يملكون وهم شر من ملك ، وقال كعب الأحبار والله إنني لأجد صفة للمناققين في كتاب الله عز وجل شرار من القهوات تراكين للصلوات لامين بالسكبات رقادين عن التبات مغرطين في الفتوات تراكين للجماعات قال ثم تلا هذه الآية (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وقال الحسن البصري : عطلوا المساجد وزموا الضيقات ، وقال أبو الأشهب الطاردي أوصى الله إلى داود عليه السلام بإداود حذر وأتذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها على محبوبة وإن أهون ما أصنع بالعبد من عبيدي إذا أكر شهوة من شهواته أن أحرمه طاعتي ، وقال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا أبو يزيد التميمي عن أبي قبيل أنه سمع عتبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ « إني أخاف على أمتي اثنتين : القرآن والابن » (١) أما الابن فيقبعون الزيف ويتبعون الشهوات ويتركون الصلاة ، وأما القرآن فيتعلمه للمناققين فيجادلون به المؤمنين ورواه عن حسن بن موسى عن ابن أبي ليحة حدثنا أبو قبيل عن عتبة بن مرفوعا بنحوه تفريده ، وقوله (فسوف يلقون غيا) قال طبري أن أبي طلحة عن ابن عباس (فسوف يلقون غيا) أي خسارنا ، وقال قتادة شراً وقال سفيان الثوري وشعبة ومحمد بن إسحق عن أبي إسحق السبيعي عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود (فسوف يلقون غيا) قال واد في جهنم يسيد القصر خبيث الطعم وقال الأعمش عن زيد عن أبي عاصم في قوله (فسوف يلقون غيا) قال واد في جهنم من قبح ودم وقال الإمام أبو جعفر ابن جرير حدثني عباس بن أبي طالب حدثنا محمد بن زياد حدثنا شريك بن قنطاري عن لقمان بن عامر الخزازي قال جئت أبا أمامة صدى بن عجلان الباهلي فقلت حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بطعام ثم قال : قال رسول الله ﷺ « لو أن صخرة زنة عشر أواق كذف بها من شفير جهنم ما بلت قمرها خمسين خرفاً ثم تنتهي إلى غي وأتام » قال قلت ما غي وأتام قال : قال « يتران في أسفل جهنم يسيل فيها صديد أهل النار » وما اللذان ذكرهما الله في كتابه (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وقوله في الفرقان (ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً) هذا حديث غريب ورفعه منكر ، وقوله (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً) أي إلا

(١) كذلك في النسخة المسكية وفي النسخة الأثرية : السكتي ، بدل الابن .

من رجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات فإن الله يقبل توبته ويحسن عاقبته ويحبه من ورثة جنة النعم ولهذا قال (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظنون عينا) وذلك لأن التوبة تجب ما قبلها ، وفي الحديث الآخر « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ولهذا لا ينقص هؤلاء التائبون من أعمالهم التي عملوها شيئا ولا قوبلوا بما عملوه قبلها فينقص لهم بما عملوه بعدها لأن ذلك ذهب هدرًا وترك نسيًا وذهب مجانا من كرم الكريم وحلم الحليم ، وهذا الاستثناء هنا كقوله في سورة الفرقان (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق - إلى قوله - وكان الله غفورا رحيما)

(جَنَّتٍ عَذْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّسْمُ عِبَادَهُ بِالنِّسْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا • لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَأَوْ لَا سَلَمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا • تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًا)

يقول تعالى الجنات التي يدخلها التائبون من ذنوبهم هي جنت عدن أي إقامة التي وعد الرحمن عباده يظهر النيب أي هي من التيب التي يؤمنون به ومارأوه وذلك لشدة إيمانهم وقوة إيمانهم وقوله (إنه كان وعدنا) أي كيدلصالح ذلك وثبوته واستقراره فإن الله لا يخلف الوعد ولا يبطله كقوله (كان وعدنا مفصلا) أي كانت لا محالة ، وقوله منها (مأثيا) أي العباد صائرون إليه وسياؤونه ومنهم من قال (مأثيا) بمعنى آثيا لأن كل ما أنك قد أثبتته كما تقول العرب أثت على خمسون سنة وأثبت على خمسين سنة كلاما بمعنى واحد ، وقوله (لا يسمعون فيها لئا) أي هذه الجنات ليس فيها كلام ساقط تافه لا معنى له كما قد يوجد في الدنيا ، وقوله (إلا سلا) استثناء منقطع كقوله (لا يسمعون فيها لئا ولا تأثيا) أي لا فيلا سلا سلا) وقوله (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات لأن هناك ليلا ونهارا ولكلهم في أوقات تتعاقب يعرفون مضيا بأضواء وأنوار كما قال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن حماد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صومهم على سورة القمر ليلة البدر لا يصقون فيها ولا يشمطون فيها ولا يتشطون آثيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ويجرمهم الألوة ورجسهم للسكر ولكل واحد منهم زوجتان يرى مع ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا باغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا » أخرجه في الصحيحين من حديث معمر به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثنا الحارث بن فضيل الأنصاري عن عموذ بن ليد الأنصاري عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « الشهداء على بارق نهر يساب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » فخر به أحمد من هذا الوجه . وقال الضحاك عن ابن عباس (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال مقادير الليل والنهار ، وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم قال سألت زهير بن محمد عن قول الله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال : ليس في الجنة ليل ثم في نور أبدأوهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب وبهذا الإنسان عن الوليد ابن مسلم عن خليل عن الحسن البصري وذكر أبواب الجنة فقال أبواب يرى ظاهرها من باطنها تفكك وتفكك فتنهم اغتنى أنفلق ففضل ، وقال قتادة في قوله (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) فيها ساعتان بكرة وعشى ليس ثم ليل ولا نهار وإنما هو ضوء ونور ، وقال مجاهد ليس بكرة وعشى ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا وقال الحسن وقتادة وغيرهما كانت العرب الأمم فهم من يشدو ويشدو فترز القرآن على ما في أنفسهم من النعم فقال تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وقال ابن مهدي عن حماد بن زيد عن هشام عن الحسن (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال البكرور يرد على العشى والعشى يرد على البكرور ليس فيها ليل ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي ابن الحسين حدثنا سليمان بن منصور بن حماد حدثني أبي حدثني محمد بن زياد قاضي أهل شياط عن عبد الله بن حدير

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « مامن غداة من غدوات الجنة وكل الجنة غدوات إلا أنه يزف إلى ولي الله فيها زوجة من الحور العين أدنانها التي خلقت من الزعفران » قال أبو محمد هذا حديث غريب منكر ، وقوله (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان نسيا) أي هذه الجنة التي وصفنا بهذه الصفات العظيمة هي التي نورثها عبادنا النقيين وهم المطيعون لله وزوج في السراء والضراء والكاظمون النيط والماقون عن الناس وكما قال تعالى في أول سورة المؤمن (قد أطلع المؤمنين الذين هم في صلاتهم خاشعون) إلى أن قال (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)

﴿ وَمَا تَنْزِيلُ الْإِبْرَاهِيمَ رَبِّكَ لَهُ مَا يَنْزِلُ أَيْدِينَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا يَنْزِلُ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاقْبِذْهُ وَأَصْطَبِزْ لِمَبَادَتِهِ هَلْ تَقْصُرُ لَهُ سُبُطًا

قال الإمام أحمد حدثنا يعلى وكيع قال: حدثنا عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لجبرائيل « ما يملك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ » قال فنزلت (وما تنزل إلا بأمر ربك) إلى آخر الآية . اقرء بإخراجه البخاري فرواه عند تفسير هذه الآية عن أبي نعم عن عمر بن ذر به ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عمر بن ذر به وعندهما زيادة في آخر الحديث فكان ذلك الجواب الحمد صلى الله عليه وسلم وقال العوفي عن ابن عباس أجاب جبرائيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحزن فأفاده جبرائيل وقال يا محمد (وما تنزل إلا بأمر ربك) الآية . وقال مجاهد لبث جبرائيل عن محمد ﷺ اثنتي عشرة ليلة ويقولون أقل فلما جاءه قال « لجبرائيل قد رثت حتى ظن الشركون كل ظن » فنزلت (وما تنزل إلا بأمر ربك) الآية . قال وهذه الآية كالثي في الضحى قال وكذلك قال الضحاك من مزاحم وقناة والسدي وغير واحد : إنها نزلت في احتباس جبرائيل ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة قال أبطأ جبرائيل النزول على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين يوما ثم نزل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ما نزلت حتى اشتقت إليك » فقال له جبريل بل أنا كنت إليك أشوق ولكني مأمور فأوحى الله إلى جبرائيل أن قل له (وما تنزل إلا بأمر ربك) الآية رواه ابن أبي حاتم رحمه الله وهو غريب ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مجاهد قال أبطأت الرسل على النبي ﷺ ثم أتاه جبريل فقال له « ما حبسك يا جبريل . » فقال له جبريل وكيف تأتيتكم وأنتم لا تصفون أظفاركم ولا تنفون براجمكم ولا تأخذون شواربكم ولا تستأكون . ثم قرأ (وما تنزل إلا بأمر ربك) إلى آخر الآية . وقد قال الطبراني حدثنا أبو طاهر النحوي حدثنا محمد بن إبراهيم الصوري حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الششقي حدثنا إسماعيل بن عياش أخبرني ثعلبة بن مسلم عن أبي كعب مولى ابن عباس عن ابن عباس عن النبي ﷺ أن جبرائيل أبطأ عليه فذكر له ذلك فقال وكيف أوأتم لا تستون ولا تفلون أظفاركم ولا تصفون شواربكم ولا تنفون براجمكم ؟ وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي اليمان عن إسماعيل بن عياش عن ابن عباس بنحوه ، وقال الإمام أحمد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا الثوري عن حبيب عن مالك بن دينار حدثني شيخ من أهل المدينة عن أم سلمة قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألسني لنا المجلس فانه ينزل ملك إلى الأرض لينزل إليها قط » وقوله (له ما بين أيدينا وما خلفنا) قيل المراد ما بين أيدينا أمر الدنيا وما خلفنا أمر الآخرة (وما بين ذلك) ما بين النضتين هذا قول أبي المالية وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وقناة في رواية عنهما والسدي والريبع بن أنس وقيل (ما بين أيدينا) ما يستقبل من أمر الآخرة (وما خلفنا) أي ما مضى من الدنيا (وما بين ذلك) أي ما بين الدنيا والآخرة ، وروى نحوه عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وقناة وابن جريج والثوري واختاره ابن جرير أيضا والله أعلم . وقوله (وما كان ربك نسيا) قال مجاهد والسدي : معناه ما نسيتك ربك وقد تقدم

عنه أن هذه الآية كقولہ (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) وقال ابن أبي حاتم حدثنا يزيد بن محمد ابن عبد الصمد السمشى حدثنا محمد بن عثمان بن أبي الجاهر حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا عاصم بن وجاء بن حيوة عن أبيه عن أبي الدرداء يرفعه قال « ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرمه فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله ما فيه فان الله لم يكن لئسى شيئا » ثم تلا هذه الآية (وما كان ربك نسيا) وقوله (رب السموات والأرض وما بينهما) أى خالق ذلك ومدبره والحاكم فيه ولا تصرف الذى لا مقب لحكمه (فاعبد واسطبر لمبادته هل تعلم له سميا) قال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس هل تعلم العرب مثلا أو شيئا وكذلك قال مجاهد وسعيد بن جبير وقاعدة وابن جريج وغيرهم ، وقال عكرمة عن ابن عباس ليس أحد يسمى الرحمن غيره تبارك وتعالى وتقدس اسمه

(وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَهَذَا مَا مَنَىٰ لَسَوْفَ أَخْرِجُ حَيًّا • أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا • فَوَرَّبُّكَ لَنُحْضِرَنَّهُمْ وَالنَّشِيطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا • ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّهُنَّ مِن كُلِّ شَيْعَةٍ أَيُّهِنَّ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ حَيًّا • ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَهْلَ يَالْدِّينَ هُمُ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا)

غير تعالى عن الإنسان أنه تسبب ويستبعد إعادته بعد موته كما قال تعالى (وإن تسبب فسبب قولهم أفذا كنا ربنا أنا لى خلق جديد) وقال (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نقطة فلماذا هو خصم مبين • وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من عصى العظام وهى رميم • قل يحيى الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وقال هبنا (ويقول الإنسان أنا ما مت لسوف أخرج حيا • أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) يستدل تعالى بالبداء على الإعادة أى أنه تعالى قد خلق الإنسان ولم يك شيئا أفلا يبيده وقد سار شيئا كما قال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أمون عليه) وفى الصحيح « يقول الله تعالى كذبى ابن آدم ولم يكن له أن يكذبى ، وأكاذى ابن آدم ولم يكن له أن يؤذنى ، أما تكذيبى إياى قوله لن يعيدنى كما بدأى وليس أول الخلق بأهون على من آخره ، وأما أذاه إياى قوله إن لى ولدا وأنا الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » وقوله (فوريك لنحضرهم والشططان) أنهم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة أنه لا بد أن يحضرهم جميعا وشياطينهم الذين كانوا يبعدون من دون الله (ثم لنحضرهم حول جهنم جيثا) قال السوى عن ابن عباس أى قصودا كقوله (وتزى كل أمة جاثية) وقال السدى فى قوله جيثا أى قايما ، وروى عن مرة عن ابن مسعود مثله . وقوله (ثم لنزغن من كل شية) أى من كل أمة قاله مجاهد (أيهم أشد على الرحمن عتيا) قال الثورى عن عيسى بن الأفر عن أبى الأحوس عن ابن مسعود قال: هبى الأول على الآخر حتى إذا تكاملت الأمة أنام جميعا ثم بدأ بالأكابير فالأكابر جبرما وهو قوله (ثم لنزغن من كل شية أيهم أشد على الرحمن عتيا) وقال قاعدة (ثم لنزغن من كل شية أيهم أشد على الرحمن عتيا) قال ثم لنزغن من أهل كل دين قادتهم ورؤسأهم فى الشر وكذا قال ابن جريج وغير واحد من السلف وهذا كقوله تعالى (حتى إذا ادركوا فيها جميعا قالت أحرهم أولوهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذابا مضفا من النار - إلى قوله - بما كنتم تكسبون) وقوله (ثم لننن أهل بالدين هم أولى بها صليا) ثم هبنا لطف الخير على الخير وللرأد أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى بنار جهنم ويغلب فيها وبمن يستحق تضيق العذاب كما قال فى الآية للشفعة (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون)

(وَإِن نَّسْأَلُهمُ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا • ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ آمَنُوا وَنُدْرُ الْأَطْلَفِينَ فِيهَا جِثِيًّا)

قال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا خالد بن سليمان عن كثير بن زياد البرسانى عن أبى صبة قال اخلفنا فى الورد فقال بضنا لا يدخلها مؤمن وقاضهم يدخلوها جميعا ثم ينجى الله الدين اتقوا ، فقلت جابر بن عبد الله قلت له إنا اخلفنا فى الورد فقال يردونها جميعا وقال سليمان بن مرة يدخلونها جميعا وأهوى بأصبعه إلى أذنيه وقال

صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول ولا يقر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن النار ضجبتا من بردهم ثم نبى الله الذين اتهاوا وينذر الظالمين فيها جشا . غريب ولم يخرجه وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن بكرا بن أبي مروان عن خالد بن معدان قال : قال أهل الجنة بسم الله خروا الجنة : ألم يدنا ربنا الورود على النار ؟ قال قد مررت عليها وهي خامة ، وقال عبد الرزاق عن ابن عينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال كان عبد الله بن رواحة وأمه أرواحه في حجر امرأة قال ما لي بك قالت رأيتك تبكي فبكيت قال إن ذكرت قول الله عز وجل (وإن منكم إلا واردها) فلا أدرى أجبو منها أم لا . وفي رواية وكان مريضا وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عثارة عن مالك بن مغول عن أبي إسحق كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال يا ليت أهي لم تلدنني ثم يبكي فقيل له ما يبكيك يا أبا ميسرة ؟ فقال أخبرنا أنا واردها ولم نخر أنا صادرون عنها ، وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري قال : قال رجل لأخيه هل أتاك أمك ؟ قال لا . قال قال نعم قال هل أتاك أمك ؟ قال لا ، قال قال نعم الضحك قال فما رأي ضاحكا حتى لحق بالله . وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا ابن عينة عن عمرو بن أبي عيسى عن عاصم بن الأرقم قال قال ابن عباس الورود المسمول فقال نافع : لا ، فقرأ ابن عباس ر يسبح وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) وردوا أم لا وقال (يقدم قومه يوم القيامة فأوردكم النار) فأوردكم أم لا ، أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل يخرج منها أم لا وما أرى الله يخرجها منها بتكديك فضحك نافع . وروى ابن جرير عن عطاء قال : قال أبو راشد الحنظلي وهو نافع بن الأرقم (لا يسمعون حسيها) فقال ابن عباس ويطع أمجنون أنت أين قوله (يقدم قومه يوم القيامة فأوردكم النار) (ونسوق الجرمين إلى جهنم وردا) (وإن منكم إلا واردها) والله إن كان دعاء من مضى : اللهم أخرجني من النار سلما ، وأدخلني الجنة غانما ، وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد الله بن حدثنا أسباط عن عبد الملك بن عبيد الله عن جاهد قال كنت عند ابن عباس فأنا رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الأرقم فقال له يا ابن عباس أرايت قول الله (وإن منكم إلا واردها) على ربك حتما مقضيا قال أما أنا وأنت يا أبا راشد فسردها فانظر هل تصدر عنها أم لا . وقال أبو داود الطيالسي قال شعبة أخبرني عبد الله بن السائب عن سمع ابن عباس يقرأها (وإن منهم إلا واردها) يعني الكفار وهكذا روى عمر بن الوليد البستي أنه سمع عكرمة يقرأها كذلك (وإن منهم إلا واردها) قال يوم الظلة كذلك كنا نقرأها ، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وقال الموقى عن ابن عباس قوله (وإن منكم إلا واردها) يعني البر والفاجر ، ألا تسمع إلى قول الله لفرعون (قدم قومه يوم القيامة فأوردكم النار) الآية (ونسوق الجرمين إلى جهنم وردا) فسمى الورود على النار دخولا وليس بصادر . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن إسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود (وإن منكم إلا واردها) قال رسول الله ﷺ « يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم » ورواه الترمذي عن عبيد ابن حميد عن عبيد الله عن إسرائيل عن السدي به ، ورواه عن طريق شعبة عن السدي عن مرة عن ابن مسعود مرفوعا هكذا وقع هذا الحديث هنا مرفوعا ، وقد رواه أسباط عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال : يرد الناس جميعا الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر كأجود الخيل ومنهم من يمر كأجود الإبل ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم ميرا رجل نوره على موضع إبهاميه يمر فتيكنا به الصراط والصراط دحض مزلقه حرك كحسك القناد حثاته ملائكة معهم كلاليب من نار مختطفون بها الناس . وذكر تمام الحديث رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا خالد بن أسلم حدثنا النضر حدثنا إسرائيل أخبرنا أبو إسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله قوله (وإن منكم إلا واردها) قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم ثم يبرون وللملائكة يقولون : اللهم سلم سلم ، ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم . وقال ابن جرير حدثني

يعقوب حدثنا ابن عليه عن الجبري عن أبي السليل عن غنيم بن قيس قال ذكروا ورود النار فقال كعب تحسك النار الناس كأنها مثل إهالة حتى يستوى عليها أقدام الخلاق يرم وياجرهم ثم يناديها مناد أن امسكي أصحابك ودمي أصحاب قال فتخسف بكل ولي لها هي أعلم بهم من الرجل يولده وخرج للمؤمنون ندية ثيابهم قال كعب ما بين منسكي الخازن من خزنتها مسيرة سنة مع كل واحد منهم عمود ذو شعبتين يدفع به الدفع فيصرع به في النار سبعمائة ألف وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن خصبة قالت : قال رسول الله ﷺ « إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرًا والحديبية » قالت قلت أليس الله يقول (وإن منكم إلا واردة) قالت : نعمته يقول (ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا) . وقال أحمد أيضًا حدثنا ابن إدريس حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت كان رسول الله ﷺ في بيت خصبة فقال « لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية » قالت خصبة أليس الله يقول (وإن منكم إلا واردة) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم تنجي الذين اتقوا) الآية وفق الصحاحين من حديث الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تحسه النار إلا تحته القسم »

وقال عبد الرزاق قال معمر أخبرني الزهري عن ابن السيب عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من مات لثلاثة لم تحسه النار إلا تحته القسم » يعني الورد ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا زعفة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد تحسه النار إلا تحته القسم » قال الزهري كأنه يريد هذه الآية (وإن منكم إلا واردة) كان على ربك حتم مقضيًا . وقال ابن جرير حدثني عمران بن بكار السكاسي حدثنا أبو القزعة حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جهم حدثنا إسحاق بن عبيد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج رسول الله ﷺ يود رجلا من أصحابه وعك وأنا معه ثم قال « إن الله تعالى يقول هي ناري أسلمها على عبدي المؤمن لتكون حظ من النار في الآخرة » غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه . وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو النجيان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال الحمي حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ (وإن منكم إلا واردة) . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لمية حدثنا زبائن بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد حق يحضها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة » فقال عمر إذا نسكركم يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أكرم وأطيب » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ ألف آية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا إن شاء الله ومن حرص من وراء المسلمين في سبيل الله متعلوا لأبأجر سلطان لم النار يبعينه إلا تحته القسم » قال الله تعالى (وإن منكم إلا واردة) وإن الله ذكر في سبيل الله يضاعف فوق النفقة بسبعائة ضعف ، وفي رواية بسبعائة ألف ضعف ، وروى أبو داود عن أبي الطاهر عن ابن وهب وعن يحيى بن أيوب كلاهما عن زبائن عن سهل عن أبيه عن رسول الله ﷺ « إن الصلاة على الصائم والمكة يحضها على النفقة في سبيل الله بسبعائة ضعف » . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قوله (وإن منكم إلا واردة) قال هو للمر عليها : وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (وإن منكم إلا واردة) قاله ورود المسلمين للزور إلى الجسر بيت ظهر أنبيا وورود المسلمين أن يدخلوها ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الزالون والزلات يومئذ كثير وقد أحاط بالجسر يومئذ سلطان من اللاتكة دعاؤهم يا الله سلم سلم » وقال السدي عن مرة عن ابن مسعود قوله (كان على ربك حتم مقضيًا) قال قسما واجبا : وقال مجاهد : حتم ، قال قضاة وكذا قال ابن جرير وقوله (ثم تنجي الذين اتقوا) أي إذا مر الخلاق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار والصاة ذوى المصالح بحسبهم نجى الله تعالى للمؤمنين

للتقنين منها بحسب أعمالهم فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا ثم يشفعون في أصحاب الكبار من المؤمنين فيشفع للامثلة ، النبيون والمؤمنون فيخرجون خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار إلا دارات وجوهمهم وهي مواضع السجود وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان فيخرجون أولاً من كان في قلبه مقال يدبر من إيمانهم الذي يليه ثم الذي يليه ثم الذي يليه حتى يخرجون من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى ثمقال ذرة من إيمان ثم يخرج الله من النار من قال يوماً من الدهر لا إله إلا الله ولم يعمل خيراً قط ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ ولهذا قال تعالى (ثم ننجي الذين آمنوا وننزلهم في الآيات فيها جثياً)

﴿ وَإِذَا تُمَتَّلَىٰ عَلَيْهِمْ ؕ أَبَدْنَا بَيْنَنَا قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ؕ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۖ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أُنثَىٰ وَرِيًّا ۙ ﴾

غير تعالى عن الكفار حين تلى عليهم آيات الله ظاهرة الباطل بينة الحجة واضحة البرهان أنهم يصدون ويصدون عن ذلك ويقولون عن الدين آمنوا مفتخرين عليهم ومعتبين على صفة ما هم عليه من الدين الباطل بأنهم (خير مقاماً وأحسن ندياً) أي أحسن منازل وأرفع دوراً وأحسن ندياً وهو مجتمع الرجال للحديث أي نادهم أجمع وأكثر وارداً وطارقاً يمتنون فكيف نكون ونحن بهذه الثابتة على باطل وأولئك الذين هم مخفون مستترون في دار الأرقم بن أبي الأرقم ونحوها من الدور على الحق كما قال تعالى خيراً عنهم (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه) وقال قوم نوح (أتؤمنن بك وأبغضك الأزدلون) وقال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) ولهذا قال تعالى راداً عليهم شبهتهم (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أي وكمن أمة وقرن من الكافرين قد أهلكناهم بكفرهم (هم أحسن أنثى ورياً) أي كانوا أحسن من هؤلاء أموالاً وأمتة ومناظر وأشكالاً قال الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس (خير مقاماً وأحسن ندياً) قال القمام للزول والندى المجلس والأمانات للتاع والرأي النظر ، وقال العوفي عن ابن عباس القمام للسكن والندى المجلس والنسمة والبهجة التي كانوا فيها وهو كما قال الله لقوم فرعون حين أهلكهم وقص شأنهم في القرآن (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) فالقمام للسكن والنسيم . والندى المجلس والجمع الذي كانوا يجتمعون فيه ، وقال تعالى فيما قص على رسوله من أمر قوم لوط (وتأتون في ناديكم للنكر) والعرب تسمى المجلس النادى ، وقال قتادة لما رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في عيشتهم خشونة وفيهم ثقافة فعرض أهل الشرك ما تسمعون (أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً) وكذا قال مجاهد والضحاك ومنهم من قال في الأثاث هو اللال ومنهم من قال الثياب ومنهم من قال اللعاب والرأي النظر كما قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد ، وقال الحسن البصري يعني الصور وكذا قال مالك (أنثى ورياً) أكثر أموالاً وأحسن صوراً والشكل مقارن صحيح .

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ۖ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِنَّمَا الْمَذَابُ وَإِنَّمَا السَّاعَةُ فَيَسْمَعُونَ مَن هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۙ ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء الشركيين برهم المدعين أنهم على الحق وأنكم على الباطل (من كان في الضلالة) أي منا ومنكم (فليمدده الرحمن مدداً) أي فأمدده الرحمن فيما هو فيه حتى يلقى ربه ويتقضى أجله (إما المذاب) بصيغة (وإما الساعة) بنية تأنيبه (فيسلمون) حيثئذ (من هو شر مكاناً وأضعف جنداً) في مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام وحسن الندى . قال مجاهد في قوله (فليمدده الرحمن مدداً) فليدعه الله في طغيانه هكذا قرر ذلك أبو جعفر بن جرير

رحم الله وهذه باهلة للشركين الذين زعمون أنهم على هدى فيما هم فيه كما ذكر تعالى باهلة اليهود في قوله (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا لو أن كنتم صادقين) أي ادعوا بالوث على البطل منا أو منكم إن كنتم تصحون أنكم على الحق فإنه لا يشرككم الدعاء فكلوا عن ذلك وقد هدم تهديد ذلك في سورة البقرة مبسوط وفي الحمد ، وكما ذكر تعالى الباهلة مع النصارى في سورة آل عمران حين صمموا على الكفر واستمروا على الطغيان والغلو في دعوان أن عيسى ولد الله وقد ذكر الله حججه وبراهينه على عبودية عيسى وأنه مخلوق كآدم قال تعالى بعد ذلك (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم قتل تألوا نفع أبناءنا وأبناءكم ونساءكم ونساءكم وأهنا وأهنا وأهنا ثم ينهل فنجعل الله لعنة على الكاذبين) فشكلوا أيضا عن ذلك

(وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَخَذُوا هُدًى وَالْيَقِينَةُ صَلَّيْتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا)

لما ذكر تعالى إمداد من هو في الضلالة فيها هو فيه وزيادته على ما هو عليه أخبر بزيادة المهتدين هدى كما قال تعالى (وإذا ما أنزلت سورة فهم من يقول أيسم زادته هذه إنا) الآيتين. وقوله (والباقيات الصالحات) قد تقدم تفسيرا والكلام عليها وإيراد الأحاديث المتعلقة بها في سورة الكهف (خير عند ربك ثوابا) أي جزاء (وخير مردا) أي عاقبة ومردا على صاحبها ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال جلس رسول الله ﷺ ذات يوم فأخذ عودا يابس فحط ورثه ثم قال « إن قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله تحط الخطايا كما تحط ورق هذه الشجرة الربح خذهن يا أيها الدرداء قبل أن يمال بينك وبينهن من الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة » قال أبو سلمة فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال لأهلان الله ولأكرن الله ولأسبحن الله حتى إذا رأى الجاهل حسب آتى جنون وهذا ظاهره أنه مرسل ولكن قد يكون من رواية أبي سلمة عن أبي الدرداء والله أعلم ، وهكذا وقع في سنن ابن ماجه من حديث أبي معاوية عن عمر بن راشد عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي الدرداء فذكر نحوه

(أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَا وَتَيْنَ مَا لَا رُؤُوسَ لَهُمْ أَطْلَعَ الْقَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا • كَلَّا سَكَتَ مَنَّا يَقُولُ وَتَدَّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا • وَتَرَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا)

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الأرت قال كنت رجلا قينا وكان لي على الناس بن وائل دين فأتيتهم أحتاجهم فقالوا لا والله لا أتصيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثم تبث قال فاني إذا مت ثم يثبتي ولي ثم مال ولد فأعطيتك فأزول الله (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأولين ما وولدا - إلى قوله - ويأتينا فردا) أخرجه صاحب الصحيح وغيرها من غير وجه عن الأعمش يوفي لفظ البخاري كنت قينا بمكة فملت للناس بن وائل سيفاً فبثت أحتاجهم فذكر الحديث وقال (أم أأخذ عند الرحمن عهدا) قال موهبا

وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن الأعمش عن أبي السحر عن مسروق قال : قال خباب بن الأرت كنت قينا بمكة فكنت أعمل للناس بن وائل فاجتمعت لي عليه دراهم فبثت لأحتاجهم فقال لي لا أتصيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبث قال فلذا بشت كان لي مال وولد قال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (أفرايت الذي كفر بآياتنا) الآية وقال الوقي عن ابن عباس إن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون الناس بن وائل السهمي بدين فأتوه يتشاورونه فقال ألسنتم تزعمون أن في الجنة ذهابا وقضاء وحريرا ومن كل الثمرات قالوا بلى قال فان موعدكم الآخرة فوالله لأولين ما وولدا ولأولين مثل كتابكم الذي

جثم به ف ضرب الله مثله في القرآن فقال (أنفريت الذي كفر بآياتنا - إلى قوله - ويأتينا فردا) وهكذا قال مجاهد
وتقادة وغيرهم إنها نزلت في العاص بن وائل ، وقوله (لأوتين مالا وولدا) قرأ بعضهم بفتح الواو من ولدا وقرأ
آخرون بضمها وهو بمعناه قال ربيعة :

الحمد لله العزيز فردا * لم يتخذ من ولد شيء ولدا
وقال الحارث بن حازم : ولقد رأيت محاسرا * قد شربوا مالا وولدا
وقال الشاعر : فليت فلانا كان في بطن أمه * وليت فلانا كان ولد محار

وقيل إن الولد بالضم جمع والولد بالفتح مفرد وهي لغة تيس والله أعلم ، وقوله (أطلع النيب) إنكار على هذا القائل (لأوتين
مالا وولدا) يعني يوم القيامة أي أعلم ماله في الآخرة حتى تأتي وحلف على ذلك (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) أم له عند الله
عهد سيؤتيه ذلك ؟ وقد تقدم عند البخاري أنه للوثق وقال الضحاك عن ابن عباس (أطلع النيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا)
قال لا إله إلا الله فيرجو بها وقال محمد بن كعب القرظي (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) قال شهادة أن لا إله إلا الله
ثم قرأ (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) وقوله (كلا) هي حرف ردع لا قبلها وتأكيده لا بعدها (سكتب ما يقول)
أي من طلبه ذلك وحكمه لنفسه بما يتناهى وكفره بالله العظيم (وبعد له من المذاب مدا) أي في الدار الآخرة على
قوله ذلك وكفره بالله في الدنيا (ونرته ما يقول) أي من مال وولد نسلبه منه عكس ما قال إنه يؤتي في الدار الآخرة
مالا وولدا زيادة على الذي له في الدنيا بل في الآخرة يسلب من الذي كان له في الدنيا ، ولهذا قال تعالى (ويأتينا فردا)
أي من المال والولد قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (ونرته ما يقول) قال نرته . وقال مجاهد (ونرته ما يقول)
ماله وولده وذلك الذي قال العاص بن وائل . وقال عبد الرزاق عن معمر عن تقادة (ونرته ما يقول) قال ما عنده وهو
قوله (لأوتين مالا وولدا) وفي حرف ابن مسعود ونرته ما عنده وقال تقادة (ويأتينا فردا) لا مال له ولا ولد وقال
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ونرته ما يقول) قال جامع من الدنيا وما عمل فيها قال (ويأتينا فردا) قال فردا من ذلك
لا يتبهم قليل ولا كثير .

(وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لِّيَسْكُنُوا فِيهِمُ جَزَاءُ * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِبَيْدَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا *
أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزَّؤُمُ * آزًا * فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدُّ لَهُمْ عَذَابًا)

غير تعالى عن الكفار للركن بهم أنهم اتخذوا من دونه آلهة لتكون لهم تلك الآلهة (جزأ) يعزونها ويستصرونها
ثم أخبر أنه ليس الأمر كما هم يحاولوا ليكون ما طمعوا فقال (كلا سيكفرون ببائدتهم) أي يوم القيامة (ويكونون عليهم
ضدأ) أي بخلاف ما ظنوا فيهم كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ثم
عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا ببيادتهم كافرين) وقرأ أبو نبيك (كل سيكفرون
ببائدتهم) وقال السدي (كلا سيكفرون ببائدتهم) أي ببادئة الأوثان وقوله (ويكونون عليهم ضدأ) أي بخلاف
ما رجوا منهم وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (ويكونون عليهم ضدأ) قال أعوانا قال مجاهد عونا عليهم فخاصمهم
وتكذبهم وقال العوفي عن ابن عباس (ويكونون عليهم ضدأ) قال قرئنا وقال تقادة قرئنا في النار يلعن بعضهم
بعضاً ويكفر بعضهم ببعض ، وقال السدي (ويكونون عليهم ضدأ) قال الحشاء الأعداء في الخصومة وقال الضحاك
(ويكونون عليهم ضدأ) قال أعداء . وقال ابن زيد ضد : البلاء ، وقال عكرمة : الضد الحسرة . وقوله (أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا
الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزَّؤُمُ آزًا) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس تووهم إغواءه ، وقال العوفي عنه غرضهم على
محمد وأصحابه ، وقال مجاهد تشليم إغلاء ، وقال تقادة تزعجهم إزعاجاً إلى معاصي الله ، وقال سفيان الثوري تبرهم
إغراء وتتمجبلهم استمجالاً ، وقال السدي تطعيم طغياناً ، وقال عبد الرحمن بن زيد هذا كقوله تعالى (ومن يش

عن ذكر الرحمن يفيض له شيطاناً فهو له قرن) وقوله (فلا تبجل عليهم إنما نصلهم عدا) أي لا تبجل يا محمد على هؤلاء في وقوع العذاب بهم (إنما نمد لهم عدا) أي إنما تؤخرهم لأجل معدود مضبوط وهم سائرون لا محالة إلى عذاب الله ونكاله وقال (ولا تحبين الله فأفلا عما يسمل الظالمون) الآية (فهل الكافرين أمهلهم رويدا) (إنما نمد لهم لم يزدادوا) أي (نتمهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) (قل تمتوا فإن مصيركم إلى النار) وقال السدي إنما نصلهم عدا: السنين والشهور والأيام والساعات ، وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس (إنما نصلهم عدا) قال نمد أنفسهم في الدنيا

(يَوْمَ نَخْسِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمَجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَفْدًا * لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)

يخبر تعالى عن أو لياته للثنتين الذين خافوه في الدار الدنيا واتبوا رسله وصدقوه فيما أخبروهم وأطاعوهم فيما أمرهم به واتبوا عما نهى زجروهم أنه يحشرهم يوم القيامة وفداً إليه والوفد هم القادمون ركباناً ومنه الوفود وركوبهم على نجائب من نور من مرآك الدار الآخرة وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه وأما المجرمون للكدبون للرسول المخالفون لم فانهم يساقون عنفاً إلى النار (وردا) عطاشاً قاله عطاء بن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد وههنا يقال (أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نفياً) .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن خالد عن عمرو بن قيس اللاتئ عن ابن مرزوق (يوم نخسر للثنتين إلى الرحمن وفداً) قال يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره أحسن صورة ركاها وأطيبها ربها فيقول من أنت فيقول أما تعرفني ؟ فيقول لا ، إلا أن الله قد طيب ريحك وحسن وجهك . فيقول أنا عهلك الصالح وهكذا كنت في الدنيا حسن العمل طيبه فلما لا ركبك في الدنيا فهم أركبني فيركبه فذلك قوله (يوم نخسر للثنتين إلى الرحمن وفداً) وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يوم نخسر للثنتين إلى الرحمن وفداً) قال ركباناً ، وقال ابن جرير حدثني ابن لثني حدثنا ابن مهدي عن سعيد عن إسماعيل عن رجل عن أبي هريرة (يوم نخسر للثنتين إلى الرحمن وفداً) قال طي إلى الإبل وقال ابن جريج على النجائب ، وقال الثوري على الإبل الذوق ، وقال قتادة الرحمن وفداً (قال طي إلى الرحمن وفداً) قال إلى الجنة : وقال عبد الله بن الإمام أحمد في مسنده أنه حدثنا سويد بن سعيد أخبرنا طي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق حدثنا النعمان بن سعيد قال كنا جلوساً عند طي . ابن سعيد أخبرنا طي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق حدثنا النعمان بن سعيد قال كنا جلوساً عند طي . رضي الله عنه فقرأ هذه الآية (يوم نخسر للثنتين إلى الرحمن وفداً) قال لا والله ما طي أرجلهم يحشرون ولا يحشر الوفد طي أرجلهم ولكن بنوق لم ير الحلاق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة الوفد طي أرجلهم ولا يحشر بنوق لم ير الحلاق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عبد الرحمن بن إسحاق اللدني به وزاد عليها رحائل من ذهب وأزمنها الزبرجد والياقوت مثله . وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثاً غريباً جداً مرفوعاً عن طي قال حدثنا أبي حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل التدي حدثنا مسلمة بن جعفر البجلي سمعت أبا معاذ البصري قال: إن علياً كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ فقرأ هـ هذه الآية (يوم نخسر للثنتين إلى الرحمن وفداً) فقال ما أظن الوفد إلا الركب يا رسول الله ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون أو يؤتون بنوق يفيض لها أجنحة وعليها رحال الذهب شربك نالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداها فتصل ما في بطونهم من دنس وتغسلون من الأخرى فلا تمت أبقارهم ولا أشعارهم بعدها أبداً وتجري عليهم نفرة العجم فينتهون أو فيأتون باب الجنة فإذا حلقة من ياقوت حمراء طي صفائح الذهب فضربون بالحلقة على الصفة فيسمع لها طنين باعلى فيتلج كل حوراء أن زوجها قد أتيل فتبث قيمها فيفتح له فإذا رآه خر له - قال مسلمة أراه قال ساجداً - فيقول ارفع رأسك فإنما أنا قيمك وكنت بأمرك فيقبه ويقفو أثره

فستخف الحوراء المجيلة فتخرج من خيام الحر والياقوت حتى تعشف ثم تقول أنت حي وأنا حبك وأنا الحائلة
إلى لا أموت وأنا الناعمة التي لا أياس وأنا الراضية التي لا أسخط وأنا اللقمة التي لا أظعن فيدخل بيتاً من أسه
إلى سقفه مائة ألف ذراع بناؤه على جندل الثؤلؤ طرائق : أحمر وأصفر وأخضر ليس منها طرفة تشا كل صاحبها. وفي
البيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلقية مبخساتها
من وراء الحلل يقضى جماعها بمقدار ليلة من لياليكم هذه : الأنهار من تحتهم تظرد أنهار من ماء غير آسن قال صاف
لا كدر فيه وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ولم يخرج من ضرع اللبنة وأنهار من خمر لذة للشاربين لم يتصمرها
الرجال بأقدامهم وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل فيستجلى النجار فان شاء أكل قائماً وإن شاء قاعداً
وإن شاء متكئاً ثم تلا (ودانية عليهم ظلالها وذاقت قطوفها تذليلًا) فيشتهي الطعام فيأتيه طير أبيض وربما قال أخضر
فترفع أجنحتها فيأكل من جنوبها أي الألوان شاء ثم تطير فتذهب فيدخل لذلك يقول سلام عليكم (تلك الجنة التي
أوردتموها بما كنتم تعلمون) ولو أن شجرة من شجر الحوراء وقست لأهل الأرض لأشابت الشمس معها وادى نور
هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعاً وقد رويناه في القديمت من كلام علي رضي الله عنه بنحوه وهو أشبه بالصحة وأما علم
وقوله (ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً) أي عظاماً (لا يملكون الشفاعة) أي ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنين
بعضهم لبعض كما قال تعالى غيراً عنهم (لما لنا من شافعين ولا صديق حميم) وقوله (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً)
هذا استثناء منقطع بمعنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً وهو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقوقها قال علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) قال السهد شهادة أن لا إله إلا الله وبيراً إلى الله من الحلول والقوة
ولا يرجوا إلا الله عز وجل : وقال ابن أبي حاتم حدثنا عثمان بن خالد الواسطي حدثنا محمد بن الحسن الواسطي عن السعدي
عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة عن الأسود بن زيد قال قرأ عبد الله يعني ابن مسعود هذه الآية (إلا من اتخذ عند
الرحمن عهداً) ثم قال اتخذوا عند الله عهداً فان الله يقوم يوم القيامة من كان له عند الله عهد فليقم قالوا يا أبا عبد الرحمن
فعلينا قال قولوا : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة فأي عهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك أن تكفي إلى عملي
يقربني من الله ويباعدني من الخير وإني لا أتق إلا برحمتك فأجمل لي عندك عهداً تؤذي به إلى يوم القيامة إنك لا تخلف
المعاهد قال السعدي فحدثني زكريا عن القاسم بن عبد الرحمن أخبرنا ابن مسعود وكان يلحق بهن خاتماً مستجيراً مستغفراً
راغباً راغباً إليك . ثم رواه من وجه آخر عن السعدي بنحوه

(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا • لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا • تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْهُ وَتَلْسُقُ الْأَرْضُ • وَتَنفِرُ الْجِبَالُ هَذَا • أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا • وَمَا يَلْبِغُنِي الرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا • إِنْ كُلُّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا • لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ هَذَا • وَكُلُّهُمْ أَتَيْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا)

ما قرر تعالى في هذه السورة الشريعة عبودية عيسى عليه السلام وذكر خلقه من مريم بلا أب شرع في مقام الإنكار
على من زعم أنه له ولداً تعالى وتقدس وتزه عن ذلك علواً كبيراً فقال (وقالوا اتخذوا الرحمن ولداً لقد جئتم) أي في قولكم
هذا (عيثاً إذا) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك أي عثياً وقال إذا بكسر الهمزة وتفتحها ومع مدحها أيضاً ثلاث لغات
أشهرها الأولى وقوله (تكاد السموات يتفطر منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً) أي يكاد يكون
ذلك عند جماعتهم هذه اللقاة من فجرة بني آدم إعظاما للرب وإجلالا لأنهم مخلوقات ومؤسسات على توحيدِه وأنه لا إله إلا
هو ، وأنه لا شريك له ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ولا كفو له بل هو الأحد الصمد
وفي كل شيء له آية • تدل على أنه الواحد

قال ابن جرير حدثني علي حدثنا عبد الله حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله (تكاد السموات يتفطر منه

وتنشق الأرض وتخر الجبال هدماً أن دعوا الرحمن ولداً قال إن الشرك فزع من السموات والأرض والجبال
وجميع الخلائق إلا الثقلين وكانت أن تزول منه لظمة الله وكذا لا ينفع مع الشرك إحسان للشرك كذلك نرجو أن
ينفر الله ذنوب الوحدنين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لننأ موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله فمن قالها عند
موته وجبت له الجنة » فقالوا يا رسول الله فمن قالها في صحته ؟ قال « تلك أوجب وأوجب » ثم قال « والى نسي يده
لوحى بالسموات والأرضين وما بينهن وما بينهما فوضن في كفة اليزان ووضت شهادة أن لا إله إلا الله
في الكفة الأخرى لرجحت بهن » هكذا رواه ابن جرير ويشهد له حديث البطاقة والله أعلم ، وقال الضحاك (تكاد
السموات يتفطرن منه) أى يتشققن فرقاً من عظمة الله ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وتنشق الأرض أى غضباً
له عز وجل وتخر الجبال هدماً قال ابن عباس هدماً ، وقال سعيد بن جبيرة هذا ينكسر بعضها على بعض متتابعات ،
وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن سويد القبري حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا مسعر عن ثوبان بن عبد الله
قال إن الجبل لينادي الجبل باسمه يا فلان هل مر بك اليوم ذكر الله عز وجل ؟ فيقول نعم ويستبشر ، قال عون لمى للخبز أجمع
أفيسمن الزور وأباطل إذا قيل ولا يسمن غيره ثم قرأ (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدماً)
أن دعوا للرحمن ولداً ، وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا للثوريين شاذان حدثنا هودبة حدثنا عوف عن غاب بن عجر حدثني
رجل من أهل الشام في مسجد منى قال بلغني أن الله لا خلق الأرض وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الأرض شجرة
يأتها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة - أو قال - كان لهم فيها منفعة ولم تزل الأرض والشجر بذلك حتى تكلم فجرة
بني آدم بتلك الكلمة المظلمة قوهم أخذ الرحمن ولداً فلما تكلموا بها اقتضت الأرض وشك الشجر - وقال كعب
الأخبار غضبت لللائكة واستعرت جهنم حين قالوا ما قالوا . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سعيد
ابن جبيرة عن أبي عبد الرحمن السلي عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا أحد
أصبر على أى سمع من الله أن يشرك به ولا يعمل له ولد وهو يباهم وينفع عنهم ويرزقهم » أخرجه في الصحيحين
وفي لفظ « أنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويباهمهم » وقوله (وما ينشئ للرحمن أن يتخذ ولداً) أى لا يصلح له
ولا يليق به جلالة وعظمته لأنه لا كفء له من خلقه لأن جميع الخلائق عبيد له ولهذا قال (إن كل من في السموات
والأرض إلا آت الرحمن عبداً) لقد أحصاهم وعدم عدداً أى قد علم عددهم منذ خلقهم إلى يوم القيامة ذكرهم وأقلام
وسعيرهم وكبيرهم (وكلهم آتاه يوم القيامة فرداً) أى لا ناصر له ولا عير إلا الله وحده لا شريك له فيخلق ما يشاء
وهو المائل الذي لا يظلم مثقال ذرة ولا يظلم أحداً .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الصَّالِحِينَ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا وَسِعًا فَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ الصَّالِحِينَ وَتُنَزَّلُ بِهِ الْقُرْآنُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

بغير تعالى أنه يفرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات وهي الأعمال التي ترضى الله عز وجل لتتابعها
الشريعة المحمدية - يفرس لهم في قلوب عباده الصالحين حجة ومودة وهذا أمر لا بد منه ولا يحيد عنه وقد وردت بذلك
الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير وجه . دل الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة
حدثنا سهيل بن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال يا جبريل إني
أحب فلانا فأحبه - قال - فيحبه جبريل قال ثم نادى في أهل السماء إني الله يحب فلانا فأحبوه قال فيحبه أهل السماء ثم
يوضع له القبول في الأرض وإن الله إذا أبغض عبداً دعا جبريل فقال يا جبريل إني أبغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه
جبريل ثم ينادى في أهل السماء إني الله أبغض فلانا فأبغضوه قال فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغضاء في الأرض »
ورواه مسلم من حديث سهيل ورواه أحمد والبخاري من حديث ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع مولى ابن عمر

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ، وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا
ميون أبو محمد الرازي حدثنا محمد بن عباد الخزوعي عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن
العبد يلتمس مرضات الله عز وجل فلا يزال كذلك فيقول الله عز وجل لجبريل إن فلانا عبدي يلتمس أن يرضي
ألا وإن رحمتي عليه فيقول جبريل : رحمة الله على فلان ويقولها حملة العرش ويقولها من حولها حتى يقولها أهل
السموات السبع ثم يهبط إلى الأرض » غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه ، وقال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر
حدثنا شريك عن محمد بن سعد الواسطي عن أبي ظبية عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن للقة
من الله - قال شريك هي المحبة - والصديق من السياء فإذا أحب الله عبدا قال لجبريل عليه السلام إنني أحب فلانا فنادى
جبريل إن ربكم يقب - يعني يحب - فلانا فأجابه - أرى شريكا قد قال فتزول له المحبة في الأرض - وإذا أبغض عبدا قال
لجبريل إنني أبغض فلانا فأبغضه قال فينادي جبريل إن ربكم يبغض فلانا فأبغضوه - أرى شريكا قال - فيجري له البغض في
الأرض » غريب ولم يخرجوه

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو داود الحفري حدثنا عبد العزيز - يعني ابن محمد - وهو البزارودي
عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أحب الله
عبدا نادى جبريل إنني قد أحببت فلانا فأجبه فينادي في السماء ثم ينزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله عز وجل
(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيصل لهم الرحمن ودا) » ورواه مسلم والترمذي كلاهما عن عبد الله عن قتبية
عن البزارودي به وقال الترمذي حسن صحيح ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (سيصل لهم الرحمن
ودا) قال حيا وقال مجاهد عنه سيصل لهم الرحمن ودا قال محبة في الناس في الدنيا وقال سعيد بن جبير عنه يهيم
ومجهم يهي إلى خلقه المؤمنين كما قال مجاهد أيضا والضحاك وغيرهم ، وقال العوفي عن ابن عباس أيضا : الود من
السلامين في الدنيا والرزق الحسن واللسان الصادق ، وقال قتادة (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيصل لهم الرحمن
ودا) أي والله في قلوب أهل الإيمان ، وذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول ما أقبل عبد قلبه إلى الله إلا أبجل الله
بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم ، وقال قتادة وكان عثان بن عفان رضي الله عنه يقول ما من عبد
يسمى خيرا أو شرا إلا كساه الله عز وجل رداء محله ، وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن
ابن مهدي عن الربيع بن ميسرة عن الحسن البصري رحمه الله قال : قال رجل والله لأعبدن الله عبادة أذكر بها فكان
لا يرى في حين صلاة إلا قائما يصلي وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج فكان لا يعظم فكش بذلك عبدة أشهر
وكان لا يمر على قوم إلا قالوا انظروا إلى هذا الرازي فأقبل على نفسه فقال لا أراي أذكر إلا بشر لأجلن حمل
كله لله عز وجل فلم يزد على أن قلب ينهه ولم يزد على العمل الذي كان يسهل فكان يمر بعد بالقوم فيقولون رحم
الله فلانا الآن لا اله الا الله الحسن (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيصل لهم الرحمن ودا) وقد روى ابن جرير أنرا أن
هذه الآية نزلت في هجرة عبد الرحمن بن عوف وهو خطأ فإن هذه السورة بكاملها مكية لم ينزل منها شيء بعد الهجرة
ولم يصح سند ذلك والله أعلم ، وقوله (فلما يسرناه) يعني القرآن (بلسانك) أي يا محمد وهو اللسان العربي للذين القاصح
الكامل (لتبشروا المؤمنين) أي المستجيبين لله الصديقين رسوله (وتنبه قوموا) أي عوجا عن الحق ما ملين إلى الباطل
وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد قوما لم يستقيموا وقال الثوري عن إساعيل وهو السدي عن أبي صالح (وتنبه
قوما لدا) عوجا عن الحق ، وقال الضحاك الأدهم والحكم وقال القرظي الأدهم السكنداب ، وقال الحسن البصري (قوما
لدا) صبا وقال غيره صم آذان القلوب ، وقال قتادة قوما لدا يعني قرشا ، وقال البوق عن ابن عباس (قوما لدا)
فجرا وكذا روى ليث بن أبي سلمة عن مجاهد ، وقال ابن زيد : الأدهم الظلم وقرأ قوله تعالى (وهو أدهم الحسام) وقوله (وكم
أهلكنا قبلهم من قرن) أي من أمة كفروا بآيات الله وكذبوا رسله (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) أي
هل ترى منهم أحدا أو تسمع لهم ركزا قال ابن عباس وأبو العالية وعكرمة والحسن البصري وسعيد بن جبير والضحاك

وابن زيد يعني صونا ، وقال الحسن وقادة هل ترى عينا أو تسمع صونا ، والركز في أصل القنة هو الصوت الحني ، قال الشاعر :
فخوحت ركن الأنيس فراعيا * عن ظهر غيب والأنيس مقامها .
آخر تفسير سورة مريم والله الحمد والمنة . وينالوه إن شاء الله تفسير سورة طه والله الحمد .

(تفسير سورة طه وهي مكة)

روى إمام الأئمة محمد بن إسحق بن خزيمة في كتاب التوحيد عن زياد بن أيوب عن إبراهيم بن النضر الجراحي حدثنا إبراهيم بن مهاجر بن سيار عن عمر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرة - يعني عبد الرحمن بن مقبوض - عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قرأ طه وليس قبل أن يخلق آدم بألف عام فلما سمعت لللائكة قالوا طوي لامة ينزل عليهم هذا وطوي لأجواف تحمل هذا وطوي لألسن تكلم بهذا » هذا حديث غريب وفيه شكارة ، وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيها

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(طه مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ إِلَّا تَذَكُّرًا لِّمَن يَحْسُو * تَنزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ * وَالْأَلْفُ * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِن تَجَوَّزَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)

قد ختم الكلام ط الحروف القطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسين ابن محمد بن عبيدة الواسطي حدثنا أبو أحمد - يعني الزيري - أنبأنا إسرائيل عن سالم الأنطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : طه يا رجل وهكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب وأبي مالك وعطية العوفي والحسن وقادة والضحاك والسدي وابن أبيزيم قالوا : طه يعني يا رجل ، وفي رواية عن ابن عباس وسعيد ابن جبير والثوري أنها كلمة بالبطنية معناها يا رجل . وقال أبو صالح هي معربة وأسند القاضي عياض في كتابه الشفاء من طريق عبد بن حميد في تفسيره حدثنا هاشم بن القاسم عن ابن جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبي ﷺ إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى (طه) يعني ط الأرض يا محمد (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) ثم قال ولا يخفى ما في هذا من الأكرام وحسن للعامة وقوله (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) قال جوير عن الضحاك لما أنزل الله القرآن على رسوله ﷺ قام به هو وأصحابه فقالوا للشركون من قريش ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشقى فأنزل الله تعالى (طه) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى) فليس الأمر كما زعمه البطلون بل من أناء الله العلم فقد أراد به خيرا كثيرا كما ثبت في الصحيحين عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » وما أحسن الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في ذلك حيث قال حدثنا أحمد بن زهير حدثنا الولاء بن سالم حدثنا إبراهيم الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سفيان عن ممالك بن حرب عن ثعلبة بن الحكم قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى للعلاء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه قضاء عبادته إن لم أجعل على وحسبك فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي » إسناده جيد وثعلبة بن الحكم هذا هو الذي ذكره أبو عمرو في استيعابه ، وقاله نزل البصرة ثم تحول إلى الكوفة ، وروى عنه ممالك بن حرب . وقال مجاهد في قوله (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) كقولهم (فاقروا ما تيسر منه) وكانوا يلقون الجبال يصدورهم في الصلاة وقال قادة (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) لا والله ما جعله عقابا ولكن جعله رحمة ونورا ودليلا إلى الجنة (إلا تذكرة لمن يخشى) إن الله أنزل كتابه ويشت زسوله رحمة رحم بها عباده ليتذكر ذاكر ويتفقه رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه ، وقوله (تَنزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ) أي هذا القرآن الذي

جاءك يا محمد هو تنزيل من ربك رب كل شيء ومليكه القادر على ما يشاء الله خلق الأرض بانخفاضها وكثافتها وسمواتها
السماوات العلى في ارتفاعها ولطافتها، وقد جاء في الحديث الذى صححه الترمذى وغيره أن سمك كل سماء مسيرة خمسمائة
عام وبعد ما بينها والى تلتها مسيرة خمسمائة عام، وقد أورد ابن أبى حاتم ههنا حديث الأوعال من رواية العباس عم
رسول الله ﷺ ورضى الله عنه ، وقوله (الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام على ذلك في سورة
الأعراف بما أغنى عن إعادته أيضا وأن الملك لأسلم في ذلك طريقة السلف إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة
من غير تكليف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تغثيل ، وقوله (له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما
وما تحت الثرى) أى الجميع ملكه وفى قبضته ونحو تصرفه ومشيته وإرادته وحكمه وهو خالق ذلك ومالئكه وإلهه
لا إله سواه ولا رب غيره وقوله (وما تحت الثرى) قال محمد بن كعب أى ما تحت الأرض السابعة ، وقال الأوزاعى
إن يحيى بن أبى كثير حدثه أن كعبا سئل قيل له : ما تحت هذه الأرض ؟ فقال الماء ، قيل وما تحت الماء ؟ قال الأرض
قيل : وما تحت الأرض ؟ قال الماء ، قيل : وما تحت الماء ؟ قال الأرض ، قيل : وما تحت الأرض ؟ قال الصخرة
قال الأرض ، قيل : وما تحت الأرض ؟ قال الماء ، قيل : وما تحت الماء ؟ قال الأرض ، قيل : وما تحت الأرض ؟ قال الصخرة
قيل : وما تحت الصخرة ؟ قال : ملك قيل : وما تحت الملك ؟ قال حوت معلق طرفاه بالعرش ، قيل : وما تحت الحوت ؟ قال
المهوى والظلمة والتهليل العلم ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبيدة بن أخى بن وهب حدثنا عمى حدثنا عبد الله بن عباس
حدثنا عبد الله بن سلمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصديق عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ
« إن الأرضين بين كل أرض والى تلتها مسيرة خمسمائة عام والمياه منها على ظهر حوت قد التقي طرفاه في السماء
والخوت على صخرة والصخرة مدملك والثانية من الریح والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم
والخامسة فيها حبات جهنم والسادسة فيها عقارب جهنم والسابعة نفاقر وفيها إبليس مصفد بالحديد أمامه ويد
تخلقه فإذا أراد الله أن يطلعه لما يشاء أطلقه » وهذا حديث غريب جدا ورضه فيه نظر ، وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده
حدثنا أبو موسى المروى عن العباس بن الفضل قال قلت لابن الفضل الأنصارى ، قال نعم عن القاسم بن عبد الرحمن عن محمد
ابن على عن جابر بن سميد الله قال كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فأتينا راجعين في حر شديد
فتحن متفرقون بين واحد واثنين منتشرين قال وكنت في أول السكر إذ عارضنا رجل فسلم ثم قال أياكم محمد ومضى
أصحاى ووقفت معه فإذا رسول الله ﷺ قد أقبل في وسط العسكر على جمل أحمق مقنع بثوبه على رأسه
من الشمس قللت أيها السائل هذا رسول الله قد أتاك فقال أياكم هو ، قللت صاحب البكر الأحمر فدنا منه فأخذ
نظام راحلته فكشف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنت محمد ، قال « نعم » قال إني أريد أن أسألك عن
خصال لا يملهن أحد من أهل الأرض إلا رجل أو رجلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سل عما شئت »
قال يا محمد أيتام النبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمام عيناه ولا ينام قلبه » قال صدقت ثم قال يا محمد من
أبى يصبه الولد أباه وأمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأبى
للأبوين غلب على الآخر نزع الولد » فقال صدقت فقال ما للرجل من الولد وما للمرأة منه فقال « للرجل العظام
والمرق والوصب وللرأة اللحم والدم والشعر » قال صدقت ثم قال يا محمد ما تحت هذه بنى الأرض فقال رسول
ﷺ « خلق » فقال فما عنهم ؟ قال « أرض » قال فما تحت الأرض ؟ قال « ماء » قال فما تحت الماء ؟ قال « ظلمة »
قال فما تحت الظلمة قال « الهواء » قال فما تحت الهواء ؟ قال « الثرى » قال فما تحت الثرى ؟ فاضت عينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالبكاء وقال « اهتلع علم الخلق عند علم الخالق أيها السائل ما للسؤال عنها بأعلم من السائل »
قال فقال صدقت أشهد أنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيها السائل هل تدرون من
هذا ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « هذا جبريل صلى الله عليه وسلم » هذا حديث غريب جدا وسياق عجيب تفرد به القاسم
ابن عبد الرحمن هذا وقد قال فيه يحيى بن معين ليس بأسا شيئا وضعه أبو حاتم الرازى ، وقال ابن عدى لا يعرف

قلت وقد خلط في هذا الحديث ودخل عليه شيء في حديثي في حديث وقد يجهل أنه تعدد ذلك أو أدخل عليه فيه والله أعلم وقوله (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) أي أزل هذا القرآن الذي خلق الأرض والسماوات التي يعلم السر وأخفى كما قال تعالى (قل أنزه الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يعلم السر وأخفى) قال السر ما أسر به آدم في نفسه (وأخفى) ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعلم قبل أن يعلمه الله يعلم ذلك كله فلهذا مضى من ذلك وما بقي علم واحد وجعل الخلاق في ذلك عنده كنفس واحدة وهو قوله (ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة) وقال الضحاك (يعلم السر وأخفى) قال السر ما تحدث به نفسك وأخفى ما لم تحدث به نفسك بعد وقال سعيد بن جبير أنت تعلم ما أسر اليوم ولا تعلم ما أسر غداً والله يعلم ما أسر اليوم وما أسر غداً ، وقال مجاهد (وأخفى) يعني الوسوسة وقال أيضاً هو وسعيد بن جبير (وأخفى) أي ما هو علمه مما لم يحدث به نفسه ، وقوله (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) أي الذي أنزل عليك القرآن هو الله الذي لا إله إلا هو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وقد تقدم بيان الأحاديث الواردة في الأسماء الحسنى في أواخر سورة الأعراف والله الحمد والمنة

(وَمَنْ أَتَىكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ أُجِذُّ عَلَى النَّارِ هُدًى)

من هنا شرع تبارك وتعالى في ذكر قصة موسى وكيف كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إياه وذلك بعد ما قضى موسى الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية النعم وسار بأهله قبل قاصداً بلاد مصر بعدما طالت الغيبة عنها أكثر من عشر سنين ومعه زوجته فاضل الطريق وكانت ليلة شاتية ونزل منزلاً بين شاب وجبال في برد وشتاء وسحاب وظلام وضباب وجعل يفتح يذبح معه ليوري نارا كما جرت له العادة به فيقبل لا يقدح شيئاً ولا يخرج منه شر ولا شيء فبينما هو كذلك إذ آنس من جانب الطور نارا رأى ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه قال لأهله يبرهم (إني آنست نارا لعل آتيكم منها بقبس) أي شهاب من نار وفي الآية الأخرى (أو جذوة من النار) وهي الجمر الذي معه لمب (لعلكم تصطلون) دل على وجود البرد وقوله (قبس) دل على وجود الظلام وقوله (أو أجعد على النار هدى) أي من يهدين الطريق دل على أنه قد تاه عن الطريق كما قال الثوري عن أبي سعد الأعور عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (أو أجعد على النار هدى) قال من يهدين إلى الطريق وكانوا شاتين وضلوا الطريق فصار رأى النار قال إن لم أجعد أجداً يهدين إلى الطريق أميتكم بنار توقدون بها

(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى * إِنْ أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَمْلَكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِيَ يَا يُوسَى * إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْمَى * فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَزِدُ)

يقول تعالى (فلما أتاهها) أي النار واقترب منها (نودي بموسى) وفي الآية الأخرى (نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله) وقال هبنا (إني أنا ربك) أي الذي يكلمك ويخاطبك (فاخلع نملك) قال علي بن أبي طالب وأبو ذر وأبو أيوب وغير واحد من السلف كالشامخ جلد سمير غدير ذكي ، وقيل إنما أسر به نمل فخلع نملته فخلع : وقال سعيد بن جبير كما يؤمر الرجل أن يخلع فلهذا إذا أراد أن يدخل الكعبة ، وقيل ليلاً الأرض المقدسة بدمية حافياً غير متمل وقيل غير ذلك والله أعلم . وقوله (طوى) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

هو اسم للوادي وكذا قال غير واحد ، فلي هذا يكون عطف بيان وقيل عبارة عن الأمر بالوادة بقدسية ، وقيل لأنه قدس مرتين وطوى له البركة وكثرت والأول أصح كقوله (إذ ناداه ربه بالوادي للقدس طوى) وقوله (وأنا اخترتك) كقوله (إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) أي على جميع الناس من الموجودين في زمانه ، وقد قيل إن الله تعالى قال يا موسى أتدري لم خصصتك بالتكليم من بين الناس ؟ قال لا قال لأنني يتواضع إلى أحد تواضعك ، وقوله (فاستمع لما يوحى) أي استمع الآن ما أقول لك وأوحى إليك (إني أنا الله لا إله إلا أنا) هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وقوله (فاعبدني) أي وحدني وقم بعبادتي من غير شريك (وأقم الصلاة لذكرى) قيل معناه صل لذكرني وقيل معناه وأقم الصلاة عند ذكرك لي ويشهد لهذا الثاني ما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا الثوري بن سعيد عن قتادة عن أنس عن رسول الله ﷺ قال « إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فإن الله تعالى قال وأقم الصلاة لذكرى » وفي الصحيحين عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من نام عن صلاة أو نساها فكفارتها أن يصلها إذا ذكرها ، لا كفارة لها إلا ذلك » وقوله (إن الساعة آتية) أي قائمة لا محالة وكافة لا بد منها وقوله (أكاد أخفيها) قال الضحاك عن ابن عباس أنه كان يقرؤها أكاد أخفيها من نفسي يقول لأنها لا تخفى من نفس الله أبدا ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس من نفسه وكذا قال مجاهد وأبو صالح وعبيد بن رافع ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (أكاد أخفيها) يقول لا أطلع عليها أحداً غيري وقال السدي ليس أحد من أهل السموات والأرض إلا قد أخفى الله تعالى عنه علم الساعة وهي في قراءة ابن مسعود إني أكاد أخفيها من نفسي يقول كتبها من الخلائق حتى لو استطعت أن أكتمها من نفسي لعلمت ، وقال قتادة أكاد أخفيها وهي في بعض القراءات أخفيها من نفسي ولعمري لقد أخفاها الله من اللائكة القريبين ومن الأنبياء والمرسلين ، قلت وهذا كقوله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) وقال (هلت في السموات والأرض لا تأتيني إلا بنية) أي هلت عليها هي أهل السموات والأرض ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا مناجب حدثنا أبو غيث حدثني محمد بن سهل الأسدي عن ورقاء قال أقرأنا سيد بن جبير أكاد أخفيها يعني بنصب الألف وخفض الفاء يقول أظهرها ثم أما سمعت قول الشاعر :

فاب شهرين ثم شهراً فميكاً بأربكين يفتيان خميرا

قال السدي الغمير ثبت رطب يثبت في خلال يس ، والأربكين موضع ، والمسيك الشهر التام وهذا الشعر لعمير ابن زهير . وقوله سبحانه وتعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) أي أقيمها لا محالة لأجزى كل عامل بمعملة (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (وإنما تجزون ما كنتم تعملون) وقوله (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها) الآية المراد بهذا الخطاب أحاد للكافرين أي لا تتبعوا سبيل من كذب بالساعة وأقبل على ملاذه في دنياه وعصى مولاه واتبع هواه فمن واقفهم على ذلك فقد خاب وخسر (فتردى) أي تهلك وتطرب قال الله تعالى (وما ينشئ عنه ماله إذا تدرى) .

﴿ وَمَا تَلَكَ يَمِينُكَ يَمُوسَى • قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنِيِّي وَلِي فِيهَا مَنَازِلُ أُخْرَى • قَالَ أَلَيْهَا يَمُوسَى • فَآلَهَا قَدْ آذَى هِيَ حَبِيَّةٌ تُنْسَى • قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتَبِدَّهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾

هذا برهان من الله تعالى لموسى عليه السلام ومعجزة عظيمة وخرق للعادة باهر دال على أنه لا يقدر على مثل هذا إلا الله عز وجل وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل ، وقوله (وما تلاك يمينك يا موسى) قال بعض القسرين إنا قاله ذلك على سبيل الإيثار له وقيل وإنا قاله ذلك على وجه التقرير أي أما هذه التي في يمينك عصاك التي ترمقها فستري ما نصنع بها الآن (وما تلاك يمينك يا موسى) استفهام تهرير (قال هي عصاى أتوكؤ عليها) أي أتمد عليها في حال التي

(وأعشى بها على غنى) أى أهرى بها الشجرة ليقساط ورقها لترعاه غنى ، قال عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك: المشى أن يضع الرجل الحجب في التصن ثم يحركه حتى يسقط ورقه وعمره ولا يكسر العود فهذا المشى ولا يخط وكذا قال ميمون بن مهران أيضا . وقوله (ولى فيها مآرب أخرى) أى مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك ، وقد تكلف بعضهم قد كر شئ من تلك المآرب التى أبهت قفيل كانت قضاه بالليل ونحرس له القم إذا نام وفرسها قصير شجرة تظله وغير ذلك من الأمور الحارة للعامة ، والظاهر أنها لم تكن كذلك ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه الصلاة والسلام صبرورتها لعبانها لما كان يفر منها هاربا ولكن كل ذلك من الأخبار الاسرائيلية ، وكذا قول بعضهم إنها كانت لأدم عليه الصلاة والسلام وقول الآخر إنها هى العذابة التى تخرج قبل يوم القيامة ، وروى عن ابن عباس أنه قال كان اسمها ماشا والله أعلم بالصواب . وقوله تعالى (قال ألقها ياموسى) أى هذه العصا التى فى يدك ياموسى ألقها (فألقاها فإذا حية تسعى) أى صارت فى الحال حية عظيمة ثعبانا طويلا يتحرك حركة سرية فإذا هى تتهرك كأنها جان وهو أسرع الحيات حركة ولكنه صغير فلهذه فى غاية الكبر وفى غاية سرعة الحركة (تسمى) أى تمعى وتضطرب قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن عتبة حدثنا حص بن جميع حدثنا عبد الله بن عكرمة عن ابن عباس (فألقاها فإذا هى حية تسعى) ولم تكن قبل ذلك حية فمرت بشجرة فألقها ومرت بصخرة فالتفتها فصلى موسى لسمع وقع الصخرة فى جوفها فولى مدبرا ونودى أن ياموسى خلخها فلم يأخذها ثم نودى الثانية أن خلخها ولا تغف قفيل له فى الثالثة إنك من الأمنين فأخذها . وقال وهب بن منبه فى قوله (فألقاها فإذا حية تسعى) قال فألقاها على وجه الأرض ثم حانت منه نظرة فإذا بأعظم شيطان نظر إليه الناظرون يدب يشمس كأنه يبتنى شيئا يريد أخذه يهرب الصخرة مثل الخلفة من الإبل فيلتطمها ويطعن بالناب من أنيابه فى أصل الشجرة العظيمة فيجتها ، عيناه تتقدان نارا وقد عاد الحجب منها عرفا قليل شعر مثل اليازك وعاد الشيطان منها مثل القلب الواسع فيه أضراس وأنياب لها صريف فلما عاب ذلك موسى ولى مدبرا ولم يعقب فذهب حتى أمعن ورأى أنه قد أعجز الحية ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودى ياموسى أن ارجع حيث كنت فرجع موسى وهو شديد الخوف فقال (خذها) يعينك (ولا تخف سعيدها سيرتها الأولى) وحلى موسى حينئذ مدرعة من صوف فدخلها بخلال من عيدان فلما أمره بأخذها لفت طرف للدرة على يده فقال له ملك أرايت ياموسى لوأذن الله بما تحاذر أكانت للدرة تنفى عنك شيئا قال لا ولكنى ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها على فم الحية حتى ممع حس الأضراس والأنياب ثم قبض فلما هى عصاه التى عصاها وإذا يده فى موضعها الذى كان يضمها إذا نوكأ بين الشبتين ولهذا قال تعالى (سعيدها سيرتها الأولى) أى إلى حالها التى تعرف قبل ذلك

﴿وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَكُمُ الْآيَاتِ أَنْ يَقْبَلُوا إِلَيْهَا فَرَغَنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ قَالَ رَبُّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي • وَأَخْلُفْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي • يَقْفُوهُوا قَوْلِي وَأَجْمَلَ كِي وَيَزَيِّرُوا مِنْ أَمْلِي • هَزُونُوا بَأْتِي • أَشْدُّ بِهِ أَزْرِي • وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي • كُنْ نَسِيحَكْ كَثِيرًا • وَتَذَكُّرَكْ كَثِيرًا • إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾

وهذا برهان ثان لموسى عليه السلام وهو أن الله أمره أن يدخل يده فى جيبه كما صرح به فى الآية الأخرى وهما عبر عن ذلك بقوله (واضم يدك إلى جناحك) وقال فى مكان آخر (واضم إليك جناحك من الرب فذا لك برهانان من ربك إلى فرعون وملك) وقال مجاهد وامنم يدك إلى جناحك كفك تحت عضدك وذلك أن موسى عليه السلام كان إذا أدخل يده فى جيبه ثم أخرجهما تلتالا كأنها قلقة قر وقوله (تخرج بيضاء من غير سوء) أى من غير

برص ولا أذى ومن غريشين قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك والسدي وغيرهم ، وقال الحسن البصري أخرجها وإله كأنها مصباح فلم موسى أنه قد لقي ربه عز وجل ولهذا قال تعالى (لنريك من آياتنا الكبرى) وقال وهب قاله ربه: أدته فلم يزل يذنبه حتى سجد ظهره لمجمع الشجرة فاستقر وذهب عنه الرعدة وجمع يده في الصا وخضع برأسه وعقته وقوله (أذهب إلى فرعون إنه طغى) أى أذهب إلى فرعون ملك مصر الذى خرجت فاراً منه وهارباً فادعه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ومعه فليحسن إلى بنى إسرائيل ولا يذهبهم فإنه قد طغى وبغى وأثر الحياة الدنيا ونسى الرب الأعلى . قال وهب بن منبه : قال الله لموسى انطلق برسائلى فإنك بسمى وعينى وإن معك يدى وبصرى وإنى قد ألبستك جنة من سلطانى لتستكمل بها القوة فى أمرى فأنت جند عظيم من جندى يهتلك إلى خلق ضعيف من خلقى بطر تعمق وأمن مكرى وغرته الدنيا عى حتى جحد حتى وأنكر ربه وبغى وزعم أنه لا يعرفنى فإنى أقسم بمرتى لولا القدر الذى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطلعة جبار يفضب لفضبه السموات والأرض والجبال والبحار فإن أمرت السماء حصبتها وإن أمرت الأرض ابتلعته وإن أمرت الجبال دمرته وإن أمرت البحار غرقته ولكنه هان على وسقط من عيني ووسعه حلمي واستغثت بما عندي وحق أنى أنا الذى لاخى غيرى فبلغه رسائلى وادعه إلى عبادتى وتوحيدي وإخلاصى وذكره أبامى وحلته قمى وبأسى وأخبره أنه لا يقوم شئ لضفى وقل له فى بين ذلك قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى وأخبره أنى إلى العفو والتفجرة أسرع منى إلى التضب والقوبة ولا يروعنك ما ألبسته من لباس الدنيا فإن ناصيته يدي ليس ينطق ولا يطرף ولا يتنفس إلا بإذنى وقل له أجب ربك فإنه واسع المغفرة وقد أمهلك أربعائة سنة فى كلها أنت مبارزه بالمحاربة تسبه وتتمثل به وتصد عباده عن سيئه وهو يعطر عليك السماء ويثبت لك الأرض لم تسقم ولم تهرم ولم تفقر ولم تلب ولو شاء الله أن يجعل لك العقوبة قهلاً ولكنه ذواناة وحلم عظيم وجاهده بنفسك وأخيك وأتاه تهنيتان بمجاهد فإنى لو شئت أن أتيه بجنود لأجل له بها فعلت ولكن ليم هذا العبد الضعيف الذى قد أعجبت نفسه وجوعه أن اللغة القليلة ولا قليل منى تغلب اللغة الكثيرة بأذى ولا تعجبكأ زينته ولا مامنت به ولا تمدا إلى ذلك أعينكأ لأنها زهرة الحياة الدنيا وزينة الترفين ولو شئت أن أزسك من الدنيا بزينة ليم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتها فقلت ولكنى أرغب بكأ عن ذلك وأزويه عنكأ وكذلك أفضل بأوليائى وقديما ماجرت عادنى فى ذلك فإنى لأزودهم عن نعيمها وزخارفها كأيدود الراعى الشفيق إليه عن مبارك الثرة وماذاك لمواتهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم فى دار كرامتى سلا موقراً لم تسكلمه الدنيا ، واعلم أنه لا يتزنى لى العباد بزينة هى أبلغ فى عندي من الزهد فى الدنيا فإنها زينة للتزين عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع وسياهم فى وجوههم من أثر السجود وأولئك أوليائى حقا حقا ، فإذا لقبهم فافض لهم جناحك وذلك قلبك ولسانك واعلم أنه من أهان لى ولما أو أخافه قد برزنى بالمحاربة وبأدائى وعرض لى نفسه ودعائى إليها وأنا أسرع شئ إلى نصرة أوليائى ، أفيظن الذى يحاربنى أن يقولى ، أم يظن الذى يعادىنى أن يعجزنى أم يظن الذى يبارزنى أن يسبقنى أو يغتصق . وكيف وأنا التائر لهم فى الدنيا والآخرة لا أكل نصرتهم إلى غيرى رواه ابن أبى حاتم (قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى) هذا سؤال من موسى عليه السلام لربه عز وجل أن يشرح له صدره فيما يشته به فإنه قدأمره بأمر عظيم وخطب جسم ، يشته إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذلك وأجبرهم وأشدهم كفراً وأكثرم جوداً وأعمرهم ملكاً وأطاعهم وأبغىهم تمرداً بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله ولا يعلم لرعاياه إلهاً غيره ، هذا وقد مكث موسى فى داره مدة ولبدأ عندهم فى حجر فرعون على فراشه ثم قتل منهم نفساً فظنهم أن يقتلوه فهرب منهم هذه اللذة بكاملها ثم بعد هذا يشته ربه عز وجل إلههم نذيراً يدعوهم إلى الله عز وجل أن يعبده وحده لا شريك له ولهذا قال (رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى) أى إن لم تكن أنت عوفى ونصيرى وعصدي وظهيرى وإلا فلا طاعة لى بذلك (واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قرولى) وذلك لما كان أسأبه من اللغ حين عرض عليه التجربة والجرة فأخذ الجرة فوضها على لسانه كما سيق بيانه وما سأل أن يزول ذلك بالكلية بل بحيث

يرد إلى موسى ولم يفهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة ، ولو سأل الجميع لزال ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة ولهذا بقيت جبة قال الله تعالى إخباراً عن فرعون أنه قال (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين) أي يوضح بالكلام ، وقال الحسن البصري (واحلل عقدة من لساني) قال حل عقدة واحدة ولو سأل أكثر من ذلك أعطني ، وقال ابن عباس شكوا موسى إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه فإنه كان في لسانه عقدة تمنع من كثير من الكلام وسأل ربه أن يبيحه . بأخيه هارون يكون له ردداً ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فكانه سؤله فعل عقدة من لسانه ، وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عمر بن عثمان حدثنا بقية عن أروطة بن النضر حدثني بعض أصحاب محمد بن كعب عنه قال أتاه ذو قرابة له فقال له ما بك بأس لولا أنك تلحن في كلامك ولست تمرب في قراءتك فقال القرطبي يا ابن أخي ألت أمهمك إذا حدثتك . قال نعم قال فإن موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يحلل عقدة من لسانه كي يفقه بنو إسرائيل كلامه ولم يزد عليها هذا لفظه . وقوله (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخى) وهذا أيضاً سؤال من موسى عليه السلام في أمر خارجي عنه وهو مساعدة أخيه هارون له . قال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال نبي هارون ساعدني حين نبي موسى عليهما السلام وقال ابن أبي حاتم ذكر عن ابن نعيم حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها خرجت فبأ كانت تتمتع فنزلت ببعض الأعراب فسمعت رجلاً يقول أي أخ كان في الدنيا أضع لأخيه ؟ قالوا لا ندري . قال أنا والله أدري ؟ قالت قلت في نفي في حلقه لا يستقي إنه ليعلم أي أخ كان في الدنيا أضع لأخيه . قال موسى حين سأل لأخيه النبوة ، فقلت صدق والله . قلت ومن هذا قال الله تعالى في الشتاء على موسى عليه السلام (وكان عند الله وجباً) وقوله (اشد به أزرى) قال مجاهد ظهري (وأشركه في أمري) أي في مشاورتي (كي نسبك كثيراً ونذكر لك كثيراً) قال مجاهد لا يكون العبد من الناس كرهين إلا كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً ، وقوله (إنك كنت نباً بصيراً) أي في اسماؤك لنا وإعطائك إيماناً النبوة وبشك لنا إلى عدوك فرعون فلك الحمد على ذلك

(قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى * وَقَدَّ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِنْ أَدْرِيْنَا إِلَى أَمَلِكَ مَا يُؤْتِي * أَنْ أَقْذِيْهِ فِي الْآثَابُوْتِ فَأَقْذِيْهِ فِي الْإِيْمِ فَلْيَقِيْهِ الْإِيْمُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبِيَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * إِذْ تَبَرَّأْتَ خُتْبَكَ فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمَمِكَ سَتِيَّةً رَّحِمْنَا وَلَا تَحْزَنْ وَكَفَلْنَا خَاسًا فَتَجِيَّتَكَ مِنَ الْإِيْمِ وَفَعَلْنَا قُوْتَنَا)

هذه إجابة من الله لرسوله موسى عليه السلام فيما سأل من ربه عز وجل وتذكيره بنعمه السالفة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه وتحمي عليه من فرعون ومكة أن يقتلوه لأنه كان قد ولد في السنة التي يقتلون فيها النملان فاحتلت له تابوتاً فكانت ترضعه ثم قضيه في وترسله في البحر وهو النمل ونمسه إلى منزلها فجعل فذهبته مرة ليربط الجبل فأغلت منها وذهب به البحر فصل لها من الثمن والمهم ما ذكره الله عنها في قوله (وأصبح نؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها) فذهب به البحر إلى دار فرعون (فالقطة آل فرعون ليسكون لهم عدواً وحزناً) أي قدرا مقدوراً من الله حيث كانوا يقتلون النملان من بني إسرائيل حذراً من وجود موسى فبك الله وله السلطان العظيم والقدرة التامة أن لا يرى إلا على فراش فرعون ويضئ بطعامه وشرابه مع عبته وزوجته له ولهذا قال تعالى (يأخذه عدو لي وعدو له * وألقيت عليك حبة مني) أي عند عدوك جعلته حبيك قال سلمة بن كهيل (وألقيت عليك حبة مني) قال حبيك إلى عيادي (وتضمن على عيني) قال أبو عمران الجوني تربي بين الله وقال قتادة تغذي على عيني وقال معمر بن النخعي (وتضمن على عيني) بحيث أدري ، وقال عبد الرحمن بن زيد

ابن أسلم يني أجهه في بيت الملك بنعم ويرفر وغداؤه عندهم غذاء الملك فذلك الصنعة . وقوله (إذ عشي أختك فتقول هل أدلك على من يكفله فرجناك إلى أمك كي تنزع عنها) وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون عرضوا عليه الراضع فأباه قال الله تعالى (وحرمتنا عليه للراضع من قبل) فبجاءت أخته وقالت (هل أدلك على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) تعني هل أدلك على من يرثه لك بالأجرة فلذهب به وهم معها إلى أمة فرضت عليه نديها فقبله ففرحوا بذلك فرحاً شديداً واستأجروها على إرضاعه فانها بسببه سعادة ورفقة وراحة في الدنيا وفي الآخرة أعظم وأجزل ، ولهذا جاء في الحديث « مثل الصانع الذي يختص في صنعة الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها » وقال تعالى ههنا (فرجناك إلى أمك كي تنزع عنها ولا تحزن) أي عليك (وقتلت نفساً) يعني القبطي (فنحنك من التم) وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله ففر منهم هارباً حتى ورد ماء مدين ، وقال له ذلك الرجل الصالح (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) . وقوله (وقتلك فتوتا) قال الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن حنبل في مسنده (حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا أصبغ بن زيد حدثنا القاسم بن أبي أيوب أخبرني سعيد بن جبير قال سأل عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل موسى عليه السلام (وقتلك فتوتا) فسأته عن الفتوتا ما هو فقال استأنف التهار يا ابن جبير فان لمحدثنا طويلا فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لأستبج منه ما وعدني من حديث الفتوتا فقال تذكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعده إبراهيم عليه السلام أن يصل في ذريته أبناء وملوكا فقال بسهم إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك لا يشكون فيه وكانوا ينتظرون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعده إبراهيم عليه السلام فقال فرعون كيف ترون فالتصروا وأجمعوا أمرهم على أن يمت رجالا معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا إلا يذبحوه ففعلوا ذلك فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآلهم والسنار يذبحون قالوا ليسكن ابننا ففعلوا بني إسرائيل فقصروا إلى أن جاشروا من الأعمال والحكمة التي يكونكم فالتقوا عاما كل مولود ذكر وانكروا بناتهم ودعوا عاما فلا تفتنوا منهم أحدا فغضب السنار مكان من يموت من الكبار فاتهم لن يكتروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاترتهم لإلأكم ولم يشعروا بمن تفتنون وتختجون إليهم فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهروان في العلم الذي لا يذبح فيه الضلعان فوالده علانية آمنة فلما كان من قابل حملت بموسى عليه السلام فوق في قلبها ألم والحزن وذلك من الفتوتا يا ابن جبير ما دخل عليه وهو في بطن أمه مما يراد به فأوحى الله إليها أن لا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجعلناه من الرسلين فأمرها إنا ولدت أن تحمله في تابوت ثم تقيه في ألم فلما ولدت فعلت ذلك فلما توارى عنها ابنها أعلمها الشيطان فقالت في نفسها ما فعلت يا بني لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلى من أن ألقيه إلى دواب البحر وحيثاته فاتى لها به حتى أوفى به عند فرصة مستقي جوارى امرأة فرعون فلما رأيته أخذته فأردت أن يفتحن التابوت فقال بسهم إن في هذا مالا وإننا إن فتحنا لم صدقنا امرأة نلك بما وجدنا فيه فحملته كهيئته لم يخرج منه شيئا حتى دفننه إليها فلما فتحته رأت فيه غلاما فألقى الله عليه منها محبة لم يلق منها على أحد قط وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى فلما سمع الدابحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه وذلك من الفتوتا يا ابن جبير فقالت لهم أقروه فان هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتاه فرعون فاستوبه منه فان وهبه لي كنتم قد أحستم وأجتمعت وإن أمر بذبحه لم أملك فأتت فرعون فقالت قره عين لي ولك فقال فرعون يكون لك فأما لي فلا حاجة لي فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قره عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداهها ولكن حرمه ذلك » فأرسلت إلى من حولها إلى كل امرأة لها لأن تختار له ظفرا فيصل كالأختة امرأة منهن لترضه لم يقبل على نديها حتى أشفقت امرأة فرعون أن يبتع من الابن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج إلى السوق وجمع الناس ترجوا أن يمد له ظفرا تأخذ منها فم يقبل وأصبحت أم موسى والماتت لأخته قصي أثره وأطفيها همل تسعين له ذكرا أحى ابني أم قد

أكلته الدواب ونسيت ما كان الله وعدھا فيه فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون ، والجنب أن يسمو بصير الإنسان إلى شيء ، وبد هو إلى جنبه وهو لا يشعر به فقالت من القرح خفي أعيانم الثغورات أنا أدلك على أهل بيت يكتفون لك وهم له ناصحون فأخذوها فقالوا ما يدريك ما نصيحهم لعل تعرفينه ؟ حتى عكفوا في ذلك وذلك من القنوت يا ابن جبر فقالت نصيحهم له وشفتهم عليه رغبتهم في سهر الملك ورجاء منفعة الملك فتركوها فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر فجات أمه فلما وضعت في حجرها نزا إلى نديها فمسه حيا متلا جنبه ربا وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا فأرسلت إليها فأتمت بها وبه فلما رأت ما يصنع بها قالت امكني ترضعي ابني هذا فاني لم أحب شيئا حبه قط قالت أم موسى لا أستطيع أن أضع ابني وولدي فيضيع فان طابت نفسك أن تعطيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرا فاني غير تاركة ابني وولدي ، وذكرت أم موسى ما كان الله وعدھا فيه فصارت على امرأة فرعون وأمنت أن الله منجز وعده فرجعت به إلى بيتها من يومها وأنته الله نباتا حسنا وحفظه لها قد قضى فيه فلم يزل بنو إسرائيل وهم في ناحية القرية محتجبين من السحرة والنظم ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى أزريني يا بني فوعيتها يوما تزورها إليه فيه ، وقالت امرأة فرعون لحزانتها وظهورها وقهرها لا يثقن أحد منكم إلا استجب لي اليوم هدية وكرامة لأرى ذلك وأنا باعنة أمينا يحصى ما يصنع كل إنسان منكم فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون فلما دخل عليها بجلته وأكرمه وفرحت به وتحملت أمه لحسن أثرها عليه ثم قالت لآتين به فرعون فليظنن وليكرمه فلما دخلت به عليه جعله في حجره فتناول موسى لحية فرعون فدها إلى الأرض فقال القواء من أعداء الله لفرعون ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه أنه زعم أن يرثك ويملك وصيرك فأرسل إلى الباباين ليذبحوه وذلك من القنوت يا ابن جبر بعد كل بلاد ابني به . وأريد به فنونا فجات امرأة فرعون فقالت ما بدالك في هذا التلام الذي وهبته لي ؟ فقال الآتريه يزعم أنه يصرعني ويملوني فقالت اجعل بيني وبينك أمرا يعرف الحق به ات بجمرتين ولؤلؤتين فقدمن إليه فان بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يفل وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يفل قنوت اليه الجمرتين واللؤلؤتين فتناول الجمرتين فارتعصا منه عذابة أن يحرقا يده فقالت المرأة ألا ترى ؟ نصرفه الله عنه بعد ما كان قد تم به وكان الله بالآقا فيه أمره ، فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بنظم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينما موسى عليه السلام يمضي في ناحية المدينة إذ هو ببرجلين يشتلان أحدهما فرعونى والآخر إسرائيلي فاستخاته الإسرائيلي على الفرعونى فغضب موسى غضبا شديدا لأنه تناوله وهو يعلم منزله من بني إسرائيل وحفظه لهم لا يمل الناس إلا إغا ذلك من الرضاغ إلا أم موسى إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يبلغ عليه غيره فوكر موسى الفرعونى قتلته وليس يراها أحد إلا الله عز وجل والإسرائيلي فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ثم قال (رب إنى ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم) فأصبح في المدينة خائفا يترقب الأخبار فأتى فرعون قتيلاه إن بنى إسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا جثتا ولا ترخص لهم فقال ابشري قاتله ومن يشهد عليه فان الملك وإن كان صفوة مع قومه لا يستقيم له أن يقيد بغير بينة ولا ثبت فاطلوا إلى علم ذلك أخذ لكم عسقم فيبينام بطوفون لا يجدون ثبنا إذا جوس من النسد قد رأى ذلك الإسرائيلي يقاتل رجلا من آل فرعون آخر فاستخاته الإسرائيلي على الفرعونى فصادف موسى قد قدم على ما كان منه وكره الذي رأى فغضب الإسرائيلي وهو يريد أن يعطش بالفرعونى فقال للإسرائيلي لما فعل بالأس واليوم إنك تقوى مبين فظفر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قال له ما قال فإذا هو غضبان كضبه بالأس الذي قتل فيه الفرعونى فغاف أن يكون بعد ما قال له إنك تقوى مبين أن يكون إلهام أراد ولم يكن إلهام إنما أراد الفرعونى فغاف الإسرائيلي وقال يلموس أتريد أن تقتل نسا بالأس وإغما قاله عذابة أن يكون إلهام أراد موسى ليقتله فتاركا وانطلق الفرعونى فأعبرهم بما سمع

من الإسرائيليين من الجبر حين يقول ياموسى أتريد أن تقتل نفساً بالأس فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى فأخذ رسل فرعون في الطريق الأعظم يمشون على هيتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون أن يهتكم فجاه رجل من شعبة موسى من أقصى المدينة فاختص طريقاً حتى سبقهم إلى موسى فأخبره وذلك من الفتون يا ابن جبر ، فخرج موسى متوجها نحو مدين لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل فانه قال (عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين يتدودان (ينى بذلك حابستين غنمهما فقال لهما ما خطبكما) هن التان مع الناس ؟ قالتا ليس لنا قوة نزاحم القوم وإنما نسقى من فضول حياتهم فسقى لهما فجعل يترقب في الدلو ماء كثيرا حتى كان أول الرءاء فانصرفنا بضمهما إلى أيهما وانصرف موسى عليه السلام فاستظل بشجرة وقال (ربي إني لما أنزلت إلى من خير فقير) واستنكر أبوها سرعة صدورها بضمها خلا بطانا فقال إن لك اليوم لسانا فأخبرته بما صنع موسى فأمر إحداهما أن تدعوه فأنت موسى فدعته فلما كلفه قال لا تخف نبوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولنا في مملكتنا نفقات إحداهما (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) فاحتلمته الفيرة على أن قالها ما يدريك ما قوته وما أمانته فقاتلته أما قوته لما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقى منه وأما الأمانة فانه نظر إلى حين أقبلت اليه وشخصت له فلما علم أن امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلغت رسالتك ثم قال لي امشي خلفي والتمس لي الطريق فلم يفعل هذا إلا وهو أمين فسرى عن أيها وصديقها وظن به الذي قالت فقال له هل لك أن أسكنك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فإن آمنت عشرا فن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من السالحين . ففعل فكانت على نبي الله موسى ثمان سنين وأجبة وكانت ستان عدة منه فقضى الله عنه عدته فأتمها عشرا ، قال سعيد وهو ابن جبر : فلقيني رجل من أهل الصراينة من علمهم قال هل تدري أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت لا وأنا نومي لا أدري ، فقلت ابن عباس فذكرت له ذلك ، فقال أما علمت أن ثمانيا كانت على نبي الله وجة لا يمكن نبي الله لينقص منها شيئا ويعلم أن الله كان قاضيا عن موسى عدته التي كان وعده فانه قضى عشر سنين ، فقلت النصراني فأخبرته ذلك فقال الذى سألته فأخبرك أعلم منك بذلك ، قلت أجل وأولى ، فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والصا ويده ماضى الله عليك في القرآن فشكا إلى الله تعالى ما عذر من آل فرعون في القتل وعقده لسانه فانه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هرون يكون له رداه ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه ، فأثابه الله سؤاله وحل عقدة من لسانه وأوحى الله إلى هرون وأمره أن يلقاه ، فاندفع موسى بصاح حتى لقي هرون عليه السلام ، فانطلقا جميعا إلى فرعون فأقاما على باب حينا لا يؤذن لهما ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا (إنا رسول ربك) قال فن ربك ؟ فأخبراه بالذي قص الله عليك في القرآن ؟ قال فما تريدان ؟ وذكره التتيل فاعتذر بما قد سمعت قال أريد أن تؤمن بالله وترسل منابى إسرائيل ؟ فأبى عليه وقال اثبت بآية إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فلذا هي حية تسمى عظيمة فاغرة فاهما بسرعة إلى فرعون ، فلما رآهما فرعون قاسدة اليه خافهما فاتحتم عن سريره واستنثا بموسى أن يتكلمها عنه ففعل ثم أخرج يده من جيبه فرأها يضاء من غير سوء ينى من غير برص ثم ردها فمادت إلى لونها الأول ، فاستشار اللا حولها فبأ رأى ، فقالوا له هذان ساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما وينهبا بطريقكم للثلى ينى ملكهم الذى هم فيه والمعش وأبوا على موسى أن يعطوه شيئا مما طلب وقالوا له اجمع لهما السحرة فاتهم بأرشدك كثير حتى قلب بسحرك سحرهما فأرسل إلى اللذان فحضر له كل ساحر متاعا ، فلما أتوا فرعون قالوا بما يعمل هذا الساحر ؟ قالوا يعمل بالحيات ، قالوا فلا والله ما أحد في الأرض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والنسب الذى نعمل فما أجرتا إن نحن غلبنا ؟ قال لهم أتم آثارى وخاصتى وأنا صانع اليك كل شيء أحببتهم ، فتواعدوا يوم الزينة وأن يعشر الناس ضحى . قال سعيد بن جبر فحدثني ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذى أظهر الله فيه موسى على نرعون والسحرة هو يوم عاشوراء . فلما اجتمعوا

في صيد واحد قال الناس بعضهم لبعض انطلقوا فلنحضر هذا الأمر (لما تنج السحرة إن كانوا هم التاليين) ينون موسى وهارون استهزاء بهما ؟ فقالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن اللعين فقال بل ألقوا ، فألقوا جالهم وعصيم وقالو بمزة فرعون إنا لنحن القالبون (فرأى موسى من سحرهما أوجس في نفسه خيفة فأوحى الله إليه أن ألق عصاك فلما ألقاها صارت ثعبان عظيمة فأغرة فلها فجعلت العصا تتلعب بالجبال حتى صارت جزراً إلى الثعبان تدخل فيه حتى ما أقيت عصا ولا جبال إلا ابتلعها فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان هذا سحراً لم يبلغ من سحرنا كل هذا ولكن هذا أمر من الله عز وجل آتانا بالله وبما جاء به موسى من عنده فتوب إلى الله بما كنا عليه ، ففكر الله ظهر فرعون في ذلك للوطن وأشياعه وظهر الحق وطل ما كانوا يعملون (فقلوبهم غشاوة وأهليهم صاغرين) وامرأة فرعون بارزة متبذلة تدمو الله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه فن ركبها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتذلت للشقة على فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها ومهما لموسى ، فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة كلما جاء بكاء وعده عندها أن يرسل معه بني إسرائيل فلما مضت أخلف موعده وقال هل يستطيع ربك أن ينصني غير هذا ؟ فأرسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ويواته على أن يرسل معه بني إسرائيل فلما أكس ذلك عنه أخلف موعده ونكث عهده حتى أمر الله موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلا ، فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا أرسل في اللذان حاشرين قتيبه يمجذو عظيمة - كثيرة وأوحى الله إلى البحر إذا ضربك عبد موسى بمصاه فاشلق اثني عشرة فرقة حتى يجوز موسى ومن معه ثم التقي على من بقي يهدمن فرعون وأشياعه ، فقتل موسى أن يضرب البحر بالصا وانهى إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بمصاه وهو غافل فيصير عاصيا لله ، فلما تراءى الجمعان وثاروا قال أصحاب موسى إنا لمدركون أفضل ما أمرك به ربك فانه لم يكذب ولم تكذب ، قال وعدني ربى إذا أتيت البحر انثني عشرة فرقة حتى أجاوزه ثم ذكر بعد ذلك المعنى فاضرب البحر بمصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فاضرب البحر كما أمره ربك وكما وعد موسى فلما أن جاز موسى وأصحابه كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه التي عليهم البحر كما أمر فلما جاوز موسى البحر قال أصحابه إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا تؤمن بهلاكه فلما ربه فأخرجه له بيده حتى استقيتوا بهلاكه ثم مروا بعد ذلك على قوم يكفون على أصنام لهم (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ما هم فيه) الآية . قد رأيتم من البر وصمت ما يكفكم ومضى فأنزلهم موسى منزلا وقال أطيعوا هارون فإني قد استخلفت عليكم فإني ذاهب إلى ربى وأجلهم ثلاثين يوما أن يرجع إليهم فيها فلما أتى ربه وأراد أن يكلمه ثلاثين يوما وقد سامهن ليلين ونهارهن وكره أن يكلم ربه ورجع فيه رجع فم الصائم فتناول موسى من نبات الأرض شيئا فضضه فقال له ربه حين آتاه لم أنطرت وهو أعلم بالذي كان ، قال يا رب إني كرهت أن أكلمك إلا ولفي طيب الريح قال أوما علمت يا موسى أن رجع فم الصائم أطيب عندي من رجع للسك ارجع فصم عشرين ثم اتني ففعل موسى عليه السلام ما أمر به ، فلما رأى قومه أنه يرجع إليهم في الأجل سامهم ذلك وكان هارون قد خطبهم وقال إنكم قد خرجه من مصر ولقوم فرعون عندكم عوارى وودائع ولكم فهم مثل ذلك فإني أرى أنكم تحسبون مالكم عندهم ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية ولنا برادين إليهم شيئا من ذلك ولا تمسكه لأنفسنا فضر حفيزا وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أو حلية أن يقدفوه في ذلك الحفير ثم أوقد عليه النار فأحرقت فقال لا يكون لنا ولهم وكان السامرى من قوم يهدون البقر جيران لبني إسرائيل ولم يكن من بني إسرائيل فاحتلم مع موسى وبني إسرائيل حين احتلموا قضى له أن رأى أثر اقتبض منه قبضة ثم يهارون فقال له هارون عليه السلام يا سامرى ألا تلقى ما نرى يدك وهو قابض عليه لا يراه أحد طول ذلك فقال ههنا قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بك البحر ولا تقبلها لى ، إلا أن تدمو الله إذا ألقيتها أن يجعلها ما أريد ، فألقاها ودعا له هارون ، فقال أريد أن يكون عجلًا فاجتمع ما كان في الحفيرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلا أجوف ليس فيه روح وله خوار ، قال ابن عباس : لا والله ما كان له صوت قط

إِذَا كَانَتِ الرِّيحُ تَدْخُلُ فِي دُبُرِهِ وَتَخْرُجُ مِنْ فِيهِ وَكَانَ ذَلِكَ السَّوْتُ مِنْ ذَلِكَ فَتَفْرُقُ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَرَقًا فَقَالَتْ فَرَقَةٌ
يَا سَامِرِيُّ مَا هَذَا وَأَنْتَ أَعْمَلُ بِهِ؟ قَالَ هَذَا رَبِّكَ وَلَكِنْ مُوسَى أَضَلَّ الطَّرِيقَ ، فَقَالَتْ فَرَقَةٌ لَا تَكْتُبْ بِهِذَا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَى فَإِنْ كَانَ رَبَّنَا لَمْ نَكُنْ شَيْعَانَهُ وَعَجَزْنَا فِيهِ حِينَ رَأَيْنَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَبَّنَا فَانْتَبِحْ قَوْلَ مُوسَى ، وَقَالَتْ فَرَقَةٌ هَذَا
مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ وَلَيْسَ بِرَبَّنَا وَلَا يُؤْمِنُ بِهِ وَلَا تَصْلُقُ ، وَأَشْرَبَ فَرَقَةٌ فِي قُلُوبِهِمُ الصَّدْقَ بِمَا قَالَ السَّامِرِيُّ فِي السَّجَلِ
وَأَعْنَتُوا التَّكْذِيبَ بِهِ ، فَقَالَ لَهُمُ هَارُونُ (يَا قَوْمُ إِنَّمَا قَتَلْتُمْ بِهِ وَإِنْ رَبِّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي) قَالُوا إِنَّمَا بَالَ
مُوسَى وَعَدَنَا ثَلَاثِينَ يَوْمًا ثُمَّ أَخْلَفْنَا هَذِهِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَدْ مَضَتْ ، وَقَالَ سَفَاهُومُ أَخْطَأَ رَبِّي فَمَا يَطْلُبُهُ يَتْبَعُهُ ، فَلَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ
مُوسَى وَقَالَ لَهُ مَا قَالِ أَخْبِرْهُ بِمَا لَقِيَ قَوْمُهُ مِنْ بَعْدِهِ (فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانٌ مُسْمِنًا) فَقَالَ لَهُمْ مَا مَعَكُمْ فِي التَّفَرُّكِ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجِرُهُ إِلَيْهِ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ مِنَ التَّضْبِ ثُمَّ إِنَّهُ عَذَرَ أَخَاهُ بِخَبْرِهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ وَاصْرَفَ إِلَى السَّامِرِيِّ
فَقَالَ لَهُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ قَبِضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَمْرِ الرُّسُولِ وَفَطَنْتُ لَهَا وَعَمِيتُ عَلَيْكَ (فَبَذَلَتْهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَ
لِيَ قَسِي ، قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ أَخْلِفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ مَا كُنَّا
لِنُحَرِّقَهُ ثُمَّ لَنْتُسَفِّنَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) ، وَلَوْ كُنَّا إِنَّمَا يَخْطُلُ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُ فَاسْتَقْبَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالْقِتَّةِ وَاقْبَطُوا الَّذِينَ كَانُوا
رَأْيِهِمْ فِيهِ مِثْلَ رَأْيِ هَارُونَ فَقَالُوا فَاجْتَمِعْ يَا مُوسَى لِنَارِيكَ أَنْ تَضَعُ لَنَا بَابَ تَوْبَةٍ ضَعْنَهَا يَكْفُرُ عَنْنَا مَا عَمَلْنَا فَاخْتَارَ
مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لَدَلًا لَا يَأْكُلُ الْخَبِيرَ خِيَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَنْ لَمْ يَشْرِكْ فِي السَّجَلِ فَانْطَلِقْ بِهِمْ يَسْأَلُ لَهُمُ
التَّوْبَةَ فَجَعَلَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ فَاسْتَجَابَ نَبِيُّ اللَّهِ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنْ وَفَدَهُ حِينَ فَعَلَ بِهِمْ مَا فَعَلَ فَقَالَ (رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ
مِنْ قَبْلِ وَبِإِيَّائِي أَهْلَكْتَنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا) وَفَهِمَ مِنْ كَانَ اللَّهُ أَطْلَعَ مِنْهُ عَلَى مَا أَشْرَبَ قَلْبَهُ مِنْ حُبِّ السَّجَلِ
وِلْعَانَتُهُ بِهِ فَلَدَلَتْ رَجَعَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ فَقَالَ (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ
بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرُّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) فَقَالَ يَا رَبِّ
سَأَلْتُكَ التَّوْبَةَ قَوِيٌّ قُلْتُ إِنْ رَحِمْتِي كَتَبْتُهَا لِقَوْمٍ غَيْرِ قَوْمِي هَلَا أَخْرَجْتَنِي حَتَّى تَخْرُجَنِي فِي أُمَّةٍ ذَلِكَ الرَّجُلُ لِلرَّحْمَةِ
فَقَالَ لَنْ تَوْبَتِهِمْ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَنْ لَقِيَ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدُهُ فَيَقْتُلُهُ بِالسِّيفِ وَلَا يَأْتِي مَنْ قَتَلَ فِي ذَلِكَ لِلْوَطَنِ
وَتَابَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا خُفِيَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَأَطْلَعَ اللَّهُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ فَاعْتَرَفُوا بِهَا وَفَضَلُوا مَا أَمَرُوا وَغَفَرَ اللَّهُ الْقَاتِلَ
وَالْقَتُولَ ثُمَّ سَارَ بِهِمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ الْأَرْضِ الْقُدْسَةِ وَأَخَذَ الْأَلْوَابَ بِسَدِّهَا مَا سَكَتَ عَنْهُ التَّضْبُ فَأَمَرَهُمُ
بِالَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ أَنْ يَلْبَسُوهُ مِنَ الْوِطَافِ فَقَتَلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَبَوْا أَنْ يَقْرَأُوا بِهَا فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَبَلَ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَدَنَا مِنْهُمْ
حَتَّى خَافُوا أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ فَأَخَذُوا الْكِتَابَ بِأَعْيُنِهِمْ وَهُمْ مُصْغَوْنَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْجَبَلِ وَالْكِتَابِ بِأَيْدِيهِمْ وَهُمْ مِنْ وَرَاءِ
الْجَبَلِ عَظَافَةٌ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ مَضُوا حَتَّى أَتَوْا الْأَرْضَ الْقُدْسَةَ فَوَجَدُوا مَدِينَةً فِيهَا قَوْمٌ جَبَرُونَ خَلْقَهُمْ خَلَقَ مِنْكَرٍ
وَذَكَرُوا مِنْ تَارَافٍ أَمْرًا عَجَبِيًّا مِنْ عَظَمَتِهَا فَقَالُوا يَا مُوسَى إِنْ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ وَلَا نَدْخُلُهَا مَا دُمُوا فِيهَا فَانْ
يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالُوا رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ قِيلَ لِيُزِيدَ هَكَذَا قَرَأَتْ قَالَ نَمِ مِنَ الْجَبَارِينَ آمَنَّا بِمُوسَى وَخَرَجْنَا
إِلَيْهِ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِتَوْبَتَانَا كَسْتُمْ إِنَّمَا تَخَافُونَ مَا رَأَيْتُمْ مِنْ أَجْسَامِهِمْ وَعَدَدُهُمْ فَانْهَلْ قُلُوبُكُمْ وَلَا مَنَّةَ عِنْدَهُمْ فَادْخُلُوا عَلَيْهِمُ
الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكَبُوا خَالِبُونَ وَيَقُولُ أَنَا أَنَا مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَقَالَ الَّذِينَ يَخَافُونَ بَنُو إِسْرَائِيلَ (قَالُوا يَا مُوسَى
إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ) فَغَضَبُوا مُوسَى فَعَدَا عَلَيْهِمْ وَصَامَهُمْ فَاسْتَقْبَلَ
وَلَمْ يَدَعْ عَلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ لَمَّا رَأَى مِنْهُمْ مِنَ الْعَصَةِ وَإِسَاءَتِهِمْ حَتَّى كَانَ يَوْمَئِذٍ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ وَصَامَهُمْ كَمَا صَامَهُمْ مُوسَى
فَاسْتَقْبَلَ وَحَرَمَهَا عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ يَصْحَبُونَ كُلُّ يَوْمٍ فَيَصْبِرُونَ لَيْسَ لَهُمْ قَرَارٌ وَظَلَمَ عَلَيْهِمُ التَّعَامُ
فِي التَّيْسَةِ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ اللَّحْنَ وَالسَّالْوِيَّ وَجَعَلَ لَهُمْ تَبَايَا لَا تَبْلَى وَلَا تَتَفَشَّى وَجَعَلَ يَنْظُرُ ظَهْرَانِهِمْ حَجَرًا مَرِيًّا وَأَمَرَ مُوسَى
فَضْرِبَهُ بِصَاحِجَتِهِ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عِصْفَانِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ثَلَاثَةَ أَعْيُنٍ وَأَعْلَمَ كُلَّ سَبِيحَةٍ عَيْنِهِمُ الَّذِي يَشْرَبُونَهُ فَلَا يَرْتَحِلُونَ
مِنْ مَكَانٍ إِلَّا وَجَدُوا ذَلِكَ بِالْحَجَرِ بَيْنَهُمْ بِالْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ بِالْأَمْسِ : رَفَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ
ﷺ وَصَدَّقَ ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّ مَعَاوِيَةَ مِمَّنْ ابْنُ عَبَّاسٍ يَحْدِثُ هَذَا الْحَدِيثَ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ الْفَرَعَوْنِيُّ الَّذِي أَقْسَى

على موسى أمر القتل إلى قتل فقال كيف يفتنى عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر ذلك فغضب ابن عباس فأخذ يده معاوية وانطلق به إلى سعد بن مالك الأزهرى فقال له يا أبا إسحاق هل تذكر يوم حدثنا رسول الله ﷺ عن قتل موسى الذي قتل من آل فرعون ؟ الإسرائيلي الذي أفتى عليه أم القريوني ؟ قال إنما أفتى عليه القريوني بما سمع من الإسرائيلي الذي شهد على ذلك وحضره هكذا رواه النسائي في السنن الكبرى وأخرجه أبو جعفر بن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما كلهم من حديث يزيد بن هارون به وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه وكانت لقاءه ابن عباس رضى الله عنهما بما أيسح قلبه من الإسرائيليات عن كتب الأخبار . وأخبره والله أعلم وصمت شيخنا الحافظ أبا الجليل للذي يقول ذلك أيضاً ، وقوله عز وجل

(قَلْبُكَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْؤُوسٍ * وَأَصْطَنَتُكَ لِنَفْسِي * أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بَنَاتِي وَلَا تَبْلِيَا فِي ذِكْرِي * أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَوْلَا لَهُ قَوْلَا لَيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَتَّقِي)

يقول تعالى غائبا لموسى عليه السلام إنه لبث متقاي أهل مدين فارا من فرعون ومله يرمى على صهده حتى انتهت للسدة وانقضى الأجل ثم جاء موافقا لقدر الله وإرادته من غير مياد والأمر كله لله تبارك وتعالى وهو المسير عباده وخلقه فيها يشاء ولهذا قال (ثم جئت على قدر يا موسى) قال مجاهد أى على موعد ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله (ثم جئت على قدر يا موسى) قال على قدر الرسالة والنبوة . وقوله (وأصطنعتك لنفسى) أى اصطفتك واجتبتك رسولا لنفسى أى كأريد وأشاء ، وقال البخارى عند تفسيرها حدثنا الصلت بن محمد حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال « التقي آدم وموسى فقال موسى أنت الذى أشتيت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم وأنت الذى اصطفاك الله برسائه واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة قال نعم قال فوجدته مكتوبا على قلب أن يخلقني قال نعم فنجح آدم موسى » أخرجه وقوله (اذهب أنت وأخوك ياقاى) أى بججى وبراهنى ومعجزاتى (ولا تبليا في ذكري) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس لا تبطأ ، وقال مجاهد عن ابن عباس لا تضعفا للراد أنهما لا يفترا في ذكر الله بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون ليكون ذكر الله عوناً لها عليه وقوة لها وسلطانا كاسراً له كما جاء في الحديث « إن عبدي كل عبدي الذى يذكرني وهو متاجر قرنه » وقوله (اذهبا إلى فرعون إنه طغى) أى تمرد وعتا وتبخر على الله وعصاه (قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) هذه الآية فيها غيرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه إنذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين كما قال زيد الرقاشى عند قوله (قولا له قولا لينا)

بأن يشجب إلى من يماذه ، فكيف بمن يتولا ويؤاذه ؟

وقال وهب بن منبه قولا له إلى القفو وللشفرة أقرب منى إلى التضب والقوبة وعن عكرمة في قوله (قولا له قولا لينا) قال لا إله إلا الله ، وقال عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى (قولا له قولا لينا) أعلنا إليه قولا له إن لك ربا ولك معادا وإن بين يديك جنة ونارا وقال بيه عن علي بن هارون عن رجل عن الضحاك بن مزاحم عن الزهال بن سبرة عن علي في قوله (قولا له قولا لينا) قال كنه وكذا روى عن سفيان الثوري كنه بأقرب مرة والحاصل من أقوالهم أن دعوتها له تكون بكلام بريق لين سهل رفيق ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأصح كما قال تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والوعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وقوله (لعله يتذكر أو يخشى) أى لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة أو يخشى أى يوجد طاعة من خشية ربه كما قال تعالى (لمن أراد أن يذكر أو يخشى) فالتذكر الرجوع عن المخدور والخشية تحصيل الطاعة ، وقال الحسن البصرى (لعله يتذكر أو يخشى) يقول : لا تغفل أنت يا موسى وأخوك هارون أهلكتما قبل أن أعذر إليهما ، وههنا تذكر زيد بن عمرو بن ثعلب ويروى لأمية بن

أَبِي الصَّلْتِ فِيَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ .

وَأَتَتْ الْبَنَى مِنْ فَضْلِ مَنْ وَرَحْمَةً
قَتَلَتْ لَهُ فَادَّبَ وَهَارُونَ فَادَعَوْا
قَوْلَا لَهُ هَلْ أَنْتَ سَوِيَتْ هَذِهِ
وَقَوْلَا لَهُ أَنْتَ رَفَعْتَ هَذِهِ
وَقَوْلَا لَهُ أَنْتَ سَوِيَتْ وَسَطَهَا
وَقَوْلَا لَهُ مِنْ يَخْرِجُ الشَّمْسُ بَكْرَةً
وَقَوْلَا لَهُ مِنْ يَنْبِتُ الْحَبَّ فِي الثَّرَى
وَيَخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رَدْوَسِهِ

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْلُبَنَا ﴾ * قَالَا لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأَتِيَاهُ
فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُضْمِرْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ
اتَّبَعَ الْهُدَى إِنَّا قَدْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنَّكَ كَذَبٌ وَتَوَلَّى

يقول تعالى إخبارا عن موسى وهرون عليهما السلام أنها قالا مستجيرين بالله تعالى شاكين إليه (إِنَّا نَخَافُ أَنْ
يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْلُبَنَا) بَيِّنَاتٍ أَنْ يَبْدُرَ إِلَيْهَا بِمَقْوَبَةٍ أَوْ يَبْتَدِيَّ عَلَيْهِمَا قِيَامًا وَمَا لِيَسْتَحِقَّ مِنْ ذَلِكَ قَالَا عَبْدَا الرَّحْمَنِ
ابْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنْ يَفْرِطَ يَجِبُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ يَسْطُ عَلَيْنَا وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَوْ أَنْ يَطْلُبَنَا : يَبْتَدِيَّ (قَالَا لَا تَخَافَا إِنِّي
مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى) أَيْ لَا تَخَافَا مِنْهُ فَإِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ كَلَامَكُمْ وَأَرَى مَكَانَكُمْ وَمَكَانَهُ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ أَمْرُكُمْ شَيْءٌ
وَأَعْلَمُ أَنْ نَاصِيَتَهُ يَدِي فَلَا يَسْكُمُ وَلَا يَنْتَفِسُ وَلَا يَطْلُبُ إِلَّا بِأَذْنِي وَبِهِدِ أَمْرِي وَأَنَا مَعَكُمْ بِخَفْطِي وَضَرْمِي وَتَأْيِيدِي وَقَالَ
ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَلَى بْنُ مُحَمَّدٍ اللَّيْثِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو مَعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدَةَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ لما بَشَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ فَقَالَ رَبُّهُ أَيْ شَيْءٍ أَقُولُ قَالَ قُلْ هِيَ شَرُّهَا قَالَا الْأَعْمَشُ فَسَرَّ
ذَلِكَ أَنَا الْحَيُّ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَالْحَيُّ بِمَدِّ كُلِّ شَيْءٍ إِسْنَادٌ جَيِّدٌ وَشَيْءٌ غَرِيبٌ (فَأَتِيَاهُ قَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ) قَدْ تَقَدَّمَ فِي
حَدِيثِ الْفَتْوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ مَكَانًا عَلَى بَابِهِ حِينَالَا يُؤْذَنُ لَهَا حَتَّى أَذُنَ لَهَا بِمَدِّ حِجَابٍ شَدِيدٍ وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ
يَسَارٍ أَنَّ مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ خَرَجَا فَوَقَفَا بِبَابِ فِرْعَوْنَ يَلْتَمِسَانِ الْأَذْنَ عَلَيْهِ وَهِيَ يَقُولَانِ : إِنَّا رَسُولَا رَبِّ الْعَالَمِينَ
فَأَذْنُوا بِنَا هَذَا الرَّجُلُ فَكُنَّا فِيَا بِلَفْظِ سَتَيْنِ يَنْدَوَانِ وَيَرْوَحَانِ لَا يَعْلَمُ هُمَا وَلَا يَحْتَرِيءُ أَحَدُهُمَا أَنْ يُخْبِرَهُ بِشَأْنِهِمَا حَتَّى
دَخَلَ عَلَيْهِ بِطَالٍ لَهُ بِلَاعِيهِ وَبِصَحَّتِهِ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ عَلَى بَابِكَ رَجُلًا يَقُولُ قَوْلًا عَجَبًا زَعَمُ أَنْ لَهُ إِلَهًا غَيْرَكَ
أَرْسَلَهُ إِلَيْكَ . قَالَ بَابِي ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَدْخُلُوهُ فَدَخَلَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونَ وَفِي يَدِهِ عَصَاهُ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى فِرْعَوْنَ قَالَ إِنِّي
رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَفَرَفَهُ فِرْعَوْنَ ، وَذَكَرَ السُّدِّيُّ أَنَّهُ لما قَدَّمَ بِبِلَادِ مِصْرَ ضَافَهُ أُمُّهُ وَأَخُوهُ وَهَمَّا لَا يَمْرُفَانَهُ وَكَانَ طَعَامُهُمَا
لَيْلَتَهُ الطَّيْلُ وَهُوَ الْفَتَّى ثُمَّ عَرَفَاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ مُوسَى يَا هَارُونَ إِنَّ رَبِّي قَدْ أَمَرَنِي أَنْ آتِيَ هَذَا الرَّجُلَ فِرْعَوْنَ
فَأَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ وَأَمْرُكَ أَنْ تَتَوَلَّى قَالَ أَفَلَا مَا أَمْرُكَ رَبِّكَ فَذَهَبَا وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلًا فَضَرَبَ مُوسَى بِبَابِ الْقَصْرِ بِمِصْسَاءٍ
فَسَمِعَ فِرْعَوْنَ فَضْضَ وَقَالَ مَنْ يَحْتَرِيءُ عَلَى هَذَا الصَّنِيعِ الشَّدِيدِ فَأَخْبَرَهُ السُّدَّةَ وَالبَوَابُونَ أَنَّ هُنَا رَجُلًا جَمْعُوا يَقُولُ
إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ بِهِ فَلَمَّا وَقَفَا بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَا وَقَالَ لَهَا مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَقَوْلُهُ (قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ) أَيْ
بِدَلَالَةٍ وَمُعْجَزَةٍ مِنْ رَبِّكَ (وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى) أَيْ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ إِنَّ ابْتِغَاءَ الْهُدَى وَلِهَذَا لَمْ يَكْتُبْ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ كِتَابًا كَانَ أَوَّلُهُ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ

الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام فأسلم تسلم يثبتك الله أجرك مرتين • وكذلك لما كتب مسيلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً صورته من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد فإني قد أشركتك في الأمر فذلك للرد والى الوير ولكن قريش قوم يتدون فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم • من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين • ولهذا قال موسى وهرون عليهما السلام لفرعون (والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحى إليك أن العذاب على من كذب وتولى) أى قد أخبرنا الله فيها أوحاه إلينا من الوحي للصوم أن العذاب ممتنع لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته كما قال تعالى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا • فإن الجحيم هي الأولى) وقال تعالى (فأنتنرسم نارا تلظى • لا يصلاها إلا الأشقي • الذى كذب وتولى) وقال تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) أى كذب بآياته وتولى بفسقه

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَهُوسُ • قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى • قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى • قَالَ عِلْمُنَا عِنْدَ رَبِّي • فَكِتَبَ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾

يقول تعالى يخبرنا عن فرعون أنه قال لموسى منكرا وجود الصانع الخالق إله كل شيء وربيه ومليكه قال (فمن ربكما يا موسى) أى الذى يمشك وأرسلك من هو فإني لأعترف بما علمت لكم من إله غيرى (قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) قال بن أبى طلحة عن ابن عباس يقول خلق لكل شيء زوجة وقال الضحاك عن ابن عباس جعل الإنسان إنسانا والحمار حمارا والشاء شاة وقال ليش بن أبى سلمة عن مجاهد أعطى كل شيء صورته وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد: سوى خلق كل دابة وقال سعيد بن جبير في قوله (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) قال أعطى كل ذى خلق ما يصلحه من خلقه ولم يجعل للإنسان من خلق الدابة ولا للذئب من خلق الكلب ولا للكلب من خلق الشاة وأعطى كل شيء ما ينبغي له من النكاح وهما كل شيء فى ذلك ليس شيء منها يشبه شيئا من أفعاله فى الخلق والرزق والنكاح ، وقال بعض المفسرين أعطى كل شيء خلقه ثم هدى كقوله تعالى (الذى قدر فهدى) أى قدر قدرنا وهدى الخلائق إليه أى كتب الأعمال والآجال والأرزاق ثم الخلائق ماشون على ذلك لا يحيدون عنه ولا يقدر أحد على الخروج منه . يقول ربنا الذى خلق الخلق وقدر القدر وجعل الخلق على ما أراد (قال فما بال القرون الأولى) أسع الأقوال فى معنى ذلك أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذى أرسله هو الذى خلق ورزق وقدر فهدى شرع يحتج بالقرون الأولى أى الذين لم يبدوا الله أى لما بهم إذ كان الأمر كذلك لم يبدوا ربك بل عبدوا غيره فقال له موسى فى جواب ذلك • وإن لم يبدوه فإن عملهم عند الله مضبوط عليهم وسيجزى بهم بعملهم فى كتاب الله وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمار (لا يضل ربى ولا ينسى) أى لا يسه عنه شيء ولا يفوته صغير ولا كبير ولا ينسى شيئا يصعب عليه تعالى بأنه بكل شيء عليم وأنه لا ينسى شيئا تبارك وتعالى وتقدس وتزه فان علم الخلق يمتريه نقصان أحدهما عند الإحاطة بالشيء والآخر نسيانه بعد عمله فتره نفسه عن ذلك

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى • كُلُّوْا وَارْزُقُوا • لَنَمْسُكُمْ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَا تَبْتَئُ لَأُولَى الْآخِرَى • مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى • وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾

هذا من تمام كلام موسى فيما وصف به ربه عز وجل حين سأله فرعون عنه فقال (الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)

ثم اعترض الكلام بين ذلك ثم قال (والى جبل لكم الأرض مهادا) وفي قراءة بعضهم مهادا أى قرارا تستقرون عليها وتقومون وتامون عليها وتسافرون على ظهرها (وسلك لكم فيها سبلا) أى جبل لكم طرقا تشقون في مناكبها كما قال تعالى (وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يجدون) (وأزل من السماء ماء فأخرجنا به لزواجا من نبات شقي) أى من أنواع النباتات من زروع ونمار ومن حامض وحلو ومر وسائر الأنواع (كلوا وارعوا أنعامكم) أى شئ لطعامكم وفاكهتكم وشئ لأنعامكم لأقواتها خضرا وبيضا (إن في ذلك لآيات) أى دلالات وحجبا وبراهين (لأولى البصيرة) أى لدى القول السليمة السقيمة على أنه لا إله إلا الله ولا رب سواه (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) أى من الأرض مبدؤكم فإن أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض وفيها نعيدكم أى وإليها نصبرون إذا متم ولبثتم ومنها نخرجكم تارة أخرى (يوم يدعوكم فتستجيون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) وهذه الآية كقولها تعالى (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) وفي الحديث النبوي في السنن أن رسول الله ﷺ حضر جنازة فلما دفن لبث أخذ قبضة من التراب فألقاها في القبر وقال منها خلقناكم ثم أخذ أخرى وقال فيها نعيدكم ثم أخرى وقال ومنها نخرجكم تارة أخرى وقوله (ولقد أربأنا آياتنا كلها فكذب وأبى) يعنى فرعون أنه قامت عليه الحسب والآيات والله اللات وما بين ذلك وأبصره فكذب بها وأبأها كفرا وعنادا وفيها كما قال تعالى (وجعدوا بها واستغنىا أغصم ظلما وعلا) الآية

(قَالَ أَجِئْنَا لِنُغْرِبَ بِكُمْ مِنْ أَرْضَيْنَا يَسْعَى رَبُّهُمُوسَى * فَلَمَّا تَرَيْنَاكَ يَسْعَى مُثْلَهُ فَأَجْمَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُغْلِبُكَ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوَى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ وَأَنْ بِمُحْسَرِ النَّاسِ سُحُيٌّ)

يقول تعالى محسرا عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى وهى إلقاء عصاه فصار ثيابا عظيما ونزع بده من تحت جناحه فخرجت يضا من غيسوه فقال هذا سحر جئت به لتسحرنا وتقولنى به على الناس فيبوءونك وتكاثروا بهم ولا يتم هذا معك فإن عندنا سحرا مثل سحرك فلا يتركك ما أنت فيه (فأجمل بيننا وبينك موعدا) أى يوما نجتمع نحن وأنت فيه فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر فيمكان معين ووقت معين فنقد ذلك (قال) لهم موسى (موعدا يوم الزيتة) وهو يوم عيدهم وتمرغهم من أعمالهم واجتماع جميع ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ومعجزات الأنبياء وبطلان ممارسة السحر لحوارق العادات النبوية ولهذا قال (وأن يحسرناس) أى جميعهم (سحى) أى ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجل وأبين وأوضح ، وهكذا نمان الأنبياء كل أمرهم بين واضح ليس فيه خفاء ولا ترويج ولهذا لم يقل لى ولكن نهرا سحى قال ابن عباس وكان يوم الزيتة يوم عاشوراء وقال السدى وقادة وابن زيد كان يوم عيدهم وقال سعيد بن جبيرة كان يوم سوقهم ولا منافاة قلت وفى مثله أهلك الله فرعون وجنوده كما ثبت فى الصحيح وقال وهب ابن منبه قال فرعون ياموسى اجعل بيننا وبينك أجلا ننظر فيه قال موسى لم أوسر بهذا إنما أمرت بمناجرتك إن أنت لم تخرج دخلت إليك فأوحى الله إلى موسى أن اجعل بينك وبينه أجلا وقل له أن يجعل مو قال فرعون اجعله إلى أربعين يوما ففعل وقال مجاهد وقادة مكانا سوى منصف السدى عدلا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مكانا سوى مستويين الناس وما فيه لا يكون صوت ولا شئ يغيب بعض ذلك عن بعض مستويين يرى

(فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى * قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْعَلُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِكَكُمْ يَذَابُ وَقَدْ خَلَّبَ مِنْ أَفْئَتِي * فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَأُوا التَّجْوَى * قَالُوا إِنَّ هَٰذَا نَسْجَرٌ مِنْ أَيَّدَانِ أَنْ يُغْرِبَا كَمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسُغْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرَفَيْكُمُ الْكُنَى * فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَنتَهِوا صَفَا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنَ اسْتَعْلَى)

يقول تعالى مخبراً عن فرعون أنه لما تواجد هو وموسى عليه السلام إلى وقت ومكان معلومين تولى أي شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته كل من ينسب إلى السحر في ذلك الزمان وقد كان السحر فيهم كثيراً ناقضاً جداً كما قال تعالى (وقال فرعون اتوني بكل ساحر عليم) ثم أتى أي اجتمع الناس ليقات يوم معلوم وهو يوم الزينة وجلس فرعون على سريره بمملكته واسلم له أ كبار دولته ووقت الرعايا عنة وسرة وأقبل موسى عليه الصلاة والسلام متوكئاً على عصاه ومعه أخوه هرون ووقت السحرة بين يدي فرعون صفواً وهو يعرضهم ويمنهم ويرغبهم في إعادة عملهم في ذلك اليوم ويتمنون عليه وهو يهدم ويمتهم ويقولون (إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين) (قال لهم ولكم لا تختاروا على الله كذباً) أي لا تخيلوا لناس بأعمالكم إيجاد أشياء لاخلاق لها وإنها مخلوقة وليست مخلوقة فتكونون قد كذبتم على الله (فيسحكنهم مذبذب) أي يهلككم بقوة هلاك لا يقية له (وقد خاب من اتقى فتنازعوا أمرهم بينهم) قيل معناه أنهم تشاجروا فيما بينهم فقال يقول ليس هذا بكلام ساحر إنما هذا كلام نبى ، وقائل يقول بل هو ساحر وقيل غير ذلك والله أعلم . وقوله (وأسرأوا التجوى) أي تاجروا فيما بينهم (قالوا إن هذان لساحران) وهذه لغة لبعض العرب جاءت هذه القراءة على إصراها ، ومنهم من قرأ (إن هذين لساحران) وهذه اللفظة المشهورة وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة الأولى بما ليس بهذا موضعه . والغرض أن السحرة قالوا فيما بينهم : نعلمون أن هذا الرجل وأخاه - يتنوم موسى وهرون - ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر يريدان في هذا اليوم أن يضلباكم وقومكم ويستوليا على الناس وتبنيهما العلة ومقاتلا فرعون وجنوده فينصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم . وقوله (وينبها بطريقكم للثلى) أي ويستنبها بهذه الطريقة وهى السحر فاتهم كانوا معظمين بسببها لهم أموال وأرزاق عليها يقولون إنما غلب هذان أهلنا كما وأخرجناكم من الأرض وفردا بذلك ونقضت لها الرياسة بهادونكم ، وقد تقدم في حديث القتون أن ابن عباس قال في قوله (وينبها بطريقكم للثلى) بين ملككم الذى هم فيه واليضى . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أنى حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشام عن عبد الرحمن بن إسحق مع الشئ يحدث عن على في قوله (وينبها بطريقكم للثلى) قال يصراف وجوه الناس اليهما ، وقال مجاهد (وينبها بطريقكم للثلى) قال أولوا الشرف والفضل والألسان . وقال أبو صالح بطريقكم للثلى أثرافكم وسروائكم ، وقال عكرمة بخيركم ، وقال قتادة وطريقتهم للثلى يومئذ بنو إسرائيل وكانوا أكثر القوم عدداً وأموالاً فقال عدو الله يريدان أن ينهبها بالانفسهما وقال عبد الرحمن بن زيد بطريقكم للثلى باللهى أتم عليه ، وقوله (فأجمعوا كيدكم ثم اتوا صفاً) أي اجتمعوا كلكم صفاً واحداً وأتوا ما فى أيديكم مرة واحدة تبهروا الأيصار وتلبوا هذا وأخاه (وقد أفلح اليوم من استعلى) أي منا ومنه ، أما نحن قد دعدنا هذا الملك المطاء الجزيل وأما هو فينال الرياسة الطليحة

(قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تَتْلِيَنَا وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى) • قَالَ بَلْ أَتَوْا فَإِذَا هِيَ كَالْحِيَاطِ وَعَصِيَّتُهُمْ بِمِثْلِ أَلْيَةٍ مِنْ سِجَرٍ • إِنَّمَا تَسْمَى فَلَوْ جَسَ فِي هَيْبَةِ خِيفَةِ مُوسَى • قُلْنَا لَا تَعَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى • وَأَتَى مَا فِي بَيْمِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَيرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّارِرُ حَيْثُ أَتَى • فَأَفْثَى السَّحَرَةُ سُجُوداً قَالُوا إِنَّمَا رَبُّنَا رَبُّ هَارُونَ وَمُوسَى •

يقول تعالى مخبراً عن السحرة حين تواجدوا هم وموسى عليه السلام أنهم قالوا لموسى (إما أن تلتى) أي أنت أولاً (وإما أن نكون أول من ألقى) قال بل ألقوا) أي أتم أولاً ترى ماذا تصنعون من السحر ول يظهر للناس جلبة أمرهم (فإذا جالهم وعصمهم يخيل إليهم من سحرهم أنها تسمى) وفي الآية الأخرى أنها ألقوا (قالوا بركة فرعون إنما نحن الناعلون) وقال تعالى (سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) وقالها (فإذا جالهم وعصمهم يخيل إليهم من سحرهم أنها تسمى)

وذلك أنهم أودعوا من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتعيد بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها وإنما كانت حيلة وكانوا جافياً وجمعاً كثيراً فألقى كل منهم عصا وجلا حتى صار الوادي ملأ من حبات يركب بعضها بعضاً ، وقوله (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أي خاف على الناس أن يقتلوا بسحرهم ويقتلواهم قبل أن يلقى ما في يمينه فأوحى الله تعالى إليه في الساعة الراحنة أن ألقى ما في يمينك يعني عصاك فإذا هي تلقفها صموا وذلك أنها صارت تنبت عليها هلالا ذا قوام وغنى ورأس وأضراس فصبحت تتبع تلك الحبال والى حتى لم تبق منها شيئا إلا تلقتها وابلتة والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عيانا جبهة نهارا ضحوة ، فقامت للجزرة وأتسع البرهان ووقع الحق وبطل السحر ولهذا قال تعالى (إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن موسى الشيباني حدثنا حماد بن خالد حدثنا ابن معاذ - أحسبه الصائغ - عن الحسن عن جندب بن عبد الله البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أخذتم - يعني الساحر - فاقبلوه - ثم قرأ - (ولا يفلح الساحر حيث أتى) قال لا يؤمن حيث وجد » وقد روى أصله الترمذي موقوفا ومرفوعا . فلما عان السحرة ذلك وشاهدوه ولهم خيرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه علما على اليقين أن هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل وأنه حق لا مكر فيه ولا يقدر على هذا إلا الذي يقول للشيء كن فيكون ففند ذلك وقصوا سجدا لله وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ولهذا قال ابن عباس وعبيد بن عمير : كانوا أول الثمار سحرة وفي آخر الثمار شهداء برة . قال محمد بن كعب كانوا ثمانين ألفا ، وقال القاسم بن أبي رزة كانوا سبعين ألفا وقال السدي بضمة وثلاثين ألفا ، وقال الثوري عن عبد العزيز ابن رفيع عن أبي تمامة كان سحرة فرعون تسعة عشر ألفا ، وقال محمد بن إسحق كانوا خمسة عشر ألفا ، وقال كعب الأبحار كانوا اثني عشر ألفا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن علي بن حمزة حدثنا علي بن الحسين ابن واقد عن أبيه عن يزيد النخعي عن عكرمة عن ابن عباس كانت السحرة سبعين رجلا أصبحوا سحرة وأمسا شهداء قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا السيب بن واضح بكه حدثنا ابن المبارك قال : قال الأوزاعي لما خر السحرة سجدا رفعت لهم الجنة حتى نظروا إليها ، قال وذكر عن سعيد بن سلام حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن سلمان عن سالم الأندلسي عن سعيد بن جبير قوله (وألقى السحرة سجدا) قال رأوا منازلهم تبين لهم وهم في سجودهم وكذا قال عكرمة والقاسم بن أبي رزة

﴿ قَالَ آمَنُكُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ سَلَّمَ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السَّحْرَ فَلَا تُظَنُّ أَيْدِيكُمْ وَأَنْزَلَكُمْ مِنْ خِيفَةٍ وَلَا صَلَبْتِكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَقْبَى ﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْمِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَكَ خَطِيئَتَاوَمَا كَرِهْنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَقْبَى ﴾

يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون وعنده وفيه ومكابرته الحق بالباطل حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة ورأى الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغلب كل القلب شرع في المكابرة والبهت وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في السجدة فتهددهم وتوعدهم وقال (آمئنتم له) أي صدقتموه (قبل أن أدن لكم) أي وما أمرتكم بذلك وافتنم على ذلك ، وقال قولا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بهت وكذب (إنه لكبير الذي علمكم السحر) أي أنهم إنما أخذتم السحر عن موسى وافتنم أنهم وإياه على وعلى رعيته لظهوره كقائل تعالى في الآية الأخرى (إن هذا المسكر مكرمهم في الدنيا لئخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) ثم أخذ يهددهم فقال (لأظعنن أيدىكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل) أي لأجلنكم مثلة ولأضربنكم ولأشهرنكم قال ابن عباس فكان

أول من فعل ذلك رواء ابن أبي حاتم . وقوله (ولعلنا أننا أشد عذاباً وأبقى) أي أنتم تحولون إلى وقوى على ضلالة وأنتم مع موسى وقومه على الهدى فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه ، فلما سأل عليهم بذلك وتوعدهم هانت عليهم أنفسهم في الله عز وجل (وقالوا لن نؤثر لك على ما جآءنا من البين) أي لن نخشرك على ما حصل لنا من الهدى واليقين (والذي فطرنا) يحتمل أن يكون قسماً ويحتمل أن يكون معطوفاً على البينات ، يعنون لا نخشرك على فطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من الدم للبدن خلقنا من الطين فهو السحق للعبادة والخضوع لا أنت (فاقض ما أنت قاض) أي فاقض ما شئت وما وصلت إليه يهلك (إنما تخشى هذه الحياة الدنيا) أي إنما لك تسلط في هذه الدار وهي دار الزوال ونحن قد رغبتنا في دار القرار (إنا كنا بربنا لينفر لنا خطايانا) أي ما كان منا من الآثام خصوصاً ما أكرهنا عليه من السحر لما عارض به آية الله تعالى ومجزة نبيه ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا يزيان ابن عيينة عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (وما أكرهتنا عليه من السحر) قال أخذ فرعون أربعين غلاماً من بني إسرائيل فأمر أن يملأوا السحر بالقرماء وقال علومهم تمليلاً لا يملأه أحد في الأرض ، قال ابن عباس فهم من الذين آمنوا بموسى وهم من الذين قالوا (أنما بربنا لينفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر) وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وقوله (والله خير وأبقى) أي خير لنا منك (وأبقى) أي أدام ثواباً عما كنت وعدتني ومنيتنا وهو رواية عن ابن إسحاق رحمه الله . وقال محمد بن كعب القرظي (والله خير) أي لنا منك إن أطيع (وأبقى) أي منك عذاباً إن عصي ، وروى نحوه عن ابن إسحاق أيضاً . والظاهر أن فرعون لعنه الله صمم على ذلك وفعله بهم رحمة لهم من الله ، ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء

(إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۚ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۚ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ)

الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة لفرعون يخبرونه من شدة العقوبة الدائم السرمدي ويبرهنونه في ثواب الأبدى الخلد فقالوا (إنه من يأت ربّه مجرمًا) أي يلقي الله يوم القيامة وهو مجرم (فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) كقوله (لا يخفى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك يجزي كل كفور) وقال (ويحبها الأتقي الذي يصل النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى) وقال تعالى (ونادوا يا مالك لفض علينا بك قال إنكم ما تكون) وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا إسماعيل أخبرنا سعيد بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « وأما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس تصيبهم النار بدونهم فتصيبهم إمامة حتى إذا صاروا فحما أذن في الشفاعة جيء بهم ضائر ضائر فثبوا على أنهار الجنة يقال لأهل الجنة أليسا أو أليسا أو أليسا فينبئون نبات الحبة تكون في حبل السيل » فقال رجل من التوم كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية وهكذا أخرجه مسلم في كتابه الصحيح من رواية شعبة وبشر بن الفضل كلاهما عن أبي سلمة سعيد بن زيد . وقال ابن أبي حاتم ذكره عن عبد الوارث بن عبد السميد بن عبد الوارث قال حدثنا أبي حدثنا حبان سمعت سلمان التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ « أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وأما الذين ليسوا من أهلها فان النار تصيبهم ثم يقوم الشفعاء فيشفعون فيحصل الضائر فيؤتى بهم نهرا يقال له الحياة أو الحيوان فينبئون كأن بيت الشب في حبل السيل » وقوله تعالى (ومن يأت مؤمناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ) أي ومن لقي ربّه يوم الحساب مؤمناً القلب قد صدق ضميره بقوله وعمله (فأولئك لهم الدرجات العلى) أي الجنة ذات الدرجات العالىات والقرى الآمات والساكن الطيات . قال الإمام أحمد حدثنا عفان أنبأنا همام حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عباد بن الصامت عن

الذي عليه قال « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والقدوس أعلاها درجة ومنها تخرج الأنهار الأربعة والعرش فوقها فإذا سألت الله فاسأله القدوس » ورواه الترمذي من حديث يزيد بن هارون عن حماد بن عمار به ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي أخبرنا خاله بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه قال كان يقال الجنة مائة درجة في كل درجة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فهن الباقوت والخلى في كل درجة أمير يرون له الفضل والسود ، وفي الصحيحين « إن أهل عليين يرون من فوقهم كاترون الكوكب الثابت في أفق السماء لغافل ما بينهم - قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء قال - بل والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » وفي السنن وإن أبا بكر وعمر لهنهم وأنما وقوله (جنات عدن) أى إقامة وهى بدل من الدرجات العلى (تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) أى ما كثرين أبداً (وذلك جزاء من تزكى) أى طهر نفسه من الدنس والحجب والشرك وعبد الله وحده لاشريك له واتبع المرسلين فيما جاءوا به من خير وطلب

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا مَخْشَى • فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَفَشَّيْتَهُمْ مِنَ الْمَرِّ مَا غَشَّيَهُمْ • وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾

يقول تعالى غير أنه أمر موسى عليه السلام حين أبى فرعون أن يرسل معه بنى إسرائيل أن يسرى بهم إلى اللبيل ويذهب بهم من قبضة فرعون وقد بسط الله هذا المقام في غير هذه السورة الكريمة وذلك أن موسى لما خرج بنى إسرائيل أصبحوا وليس منهم بمصر لاداع ولا عجيب فضرب فرعون غضبا شديدا وأرسل في اللدائن حاشرين أى من يجمعون له الجند من بلدانه ورساقته يقول إن هؤلاء كثر ذمة قليلون وإنهم لنا لما طوفوا في الأرض كذباب وهم كثر ذمة قليلون ساقى في طلبهم فأبهمهم مشرقين أى عند طلوع الشمس (فلما تراءى الجمعان) أى نظر كل من الفريقين إلى الآخر (قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معى ربي سيهدين) ووقف موسى بنى إسرائيل البحر أمامهم وفرعون وراءهم فعند ذلك أوحى الله إليه (أن اضرب لهم طريقا في البحر يبسا) ف ضرب البحر بصاه وقال اأخلق على يدينى الله فانلق فكان كل فرق كالطود العظيم أى الجبل العظيم فأرسل الله الريح على أرض البحر ففتحت حتى صار يبسا كوجه الأرض فلهاذا قال (فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا) أى من فرعون (ولا تخشى) يعنى من البحر أن يفرق قومك ثم قال تعالى (فأتينهم فرعون بجنوده فشبههم من اليم) أى البحر (ما غشيهم) أى الذى هو معروف ومشهور وهذا يقال عند الأمر المعروف للجمهور (وقال تعالى (وللؤنفة أهوى فشاهها ما غشى) وقال الشاعر :

• أنا أبو النجم وشعرى شعرى • أى الذى يعرف وهو مشهور . وكأهدمهم فرعون فسلك بهم في اليم فأضلمهم وما هدام إلى سبيل الرشاد كذلك قدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار وشس الورد الورود

﴿ يَبْنِي إِسْرَءِيلُ قَدْ أَتَيْنَهُمْ مِنْ عَذَابِ كُمْ وَوَعَدَ نَكْمُ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَوَرَقْنَا عَلَيْكُمْ الْتَنَ وَاللَّوَى كَلُوا مِنْ طَبِيبَاتِ مَارَزَقْتَكُمْ وَلَا تَلْقُوا فِيهِ فَيْحَلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى • وَإِنِّي لَنَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾

يذكر تعالى قصة على بنى إسرائيل المقام ومنتهى الجسام حيث آتاهم من عذوب فرعون وأقر أمينهم منه وهم ينظرون إليه وإلى جنده قد غرقوا في صبيحة واحدة لم يشع منهم أحد كما قال (وأغرقنا آل فرعون وأتم تنظرون) وقال البخارى حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا شعبة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وجد اليهود تصوم عاشوراء فسألهم فقالوا هذا اليوم الذى أنظر الله فيه

غير تعالى عما كان من نهى هرون عليه السلام لهم عن عبادتهم السجل وإخباره إياهم إنما هذا فتنة لكم وإن ربكم الرحمن الذي خلق كل شيء بقدره تخديراً وذوالعرش المجيد للفعال لما يريد (فاتبعوني وأطيعوا أمري) أي فباكمركم به واتركوا ما أنتم عليه (فالوا لن نبرح عليه ما كنتم حتى يرجع إلينا موسى) أي لا تترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه وخالفوا هرون في ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه

﴿ قَالَ يَهْرُودُ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا • أَلَا تَتَّبِعُنِ أَهْضَيْتُ أَمْرِي • قَالَ بَيِّنْتُمْ لَا تَأْخُذْ بِصِحِّيقِ وَلَا يَرَأْسِي لَأَنْ خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾

يخبر تعالى عن موسى عليه السلام حين رجع إلى قومه فرأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم فامتلاً عند ذلك غضباً وألقى ما كان في يده من الألواح الإلهية وأخذ برأس أخيه يجره إليه وقد قمتنا في سورة الأعراف بسط ذلك وذكرنا هناك حديث « ليس الجبر كالإيمان » وشرع يلوم أخاه هرون فقال (ما مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا الْآيَتَيْنِ) أي فتخبرني بهذا الأمر أول ما وقع (أَهْضَيْتُ أَمْرِي) أي فباكمركم قد كنت قدمت إليك وهو قوله (اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل القسدين) قال (يا ابن أم) ترقق له بذكر الأم مع أنه حقيقه لأبويه لأن ذكر الأم هنا أرق وأبلغ في الحنو والطف ولهذا قال (يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) الآية . هذا اعتذار من هرون عند موسى في سبب تأخره عنه حيث لم يلصقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسم (قال لئني خشيت) أن أتبعكم فأخبركم بهذا فتقول لي لم تركتهم وحدم وقررت بينهم (ولم ترقب قولي) أي وما راعيت ما أمرتك به حيث استخففتك فيهم، قاله ابن عباس وكان هرون حاكماً مطيعاً له

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْرِي • قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّيْتُ لِي نَفْسِي • قَالَ قَدْ أَهْضَيْتُ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا أَنْ تُخَلِّقَهُ وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْبِفَنَّهُ فِي الْآلَمِ نَسْفًا • إِنَّا إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

يقول موسى عليه السلام للسامري ما حملك على ما صنعت وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت قال محمد بن إسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان السامري رجلاً من أهل باجرما وكان من قوم يبدون البقر وكان حب عبادة البقر في نفسه وكان قد أظهر الإسلام مع بني إسرائيل وكان اسمه موسى بن ظفر وفي رواية عن ابن عباس أنه كان من كرمات وقال قتادة كان من قرية سامرا (قال بصرت بما لم يصبروا به) أي رأيت جبريل حين جاءه لهلاك فرعون (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي من أثر فرسه هذا هو المشهور عند كثير من المفسرين وأو كثرهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن السدي عن أبي بن عمارة عن علي بن رضى الله عنه قال إن جبريل عليه السلام لما نزل فصعد بموسى عليه السلام إلى السماء بصر به السامري من بين الناس فقبض قبضة من أثر الفرس قال وحمل جبريل موسى عليه السلام خلفه حتى إذا دنا من باب السماء صعد وكتب الله الألواح وهو يسمع صرير الأقلام في الألواح فلما أخبره أن قومه قد قتلوا ما بعده قال نزل موسى فأخذ السجل فأحرقه، وغرب، وقال مجاهد (فقبضت قبضة من أثر الرسول) قال من تحت حافر فرس جبريل، وقال القيسية، ملء الكعب والقبضة بأطراف الأصابع ، قال مجاهد نبذ السامري أي ألقى ما كان في يده على حلية بني إسرائيل فانسبك

عجلاً جسداً له خوار خفيف الرمح فيه فهو خواره ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن يحيى أخبرنا بن عليّ للدينى حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حمارة حدثنا عكرمة بن السامري رأى الرسول فألقى في روعه أنك إن أخذت من أثر هذا القرس قبضة فألقيتها في نهر قتلت له كن فكان قبض قبضة من أثر الرسول فيبست أصابعه على القبضة ، فلما ذهب موسى للقيقات وكان بنو إسرائيل قد استماروا على آل فرعون فقال لهم السامري إنما أصابكم من أجل هذا الخلق فاجمعوا فجمعوه فأودقوا عليه فذاب فذاب فرأه السامري فألقى في روعه أنك لو قذفت هذه القبضة في هذه قلت كن فكان قذفت القبضة وقال كن فكان عجلاً جسداً له خوار فقال (هذا الهك وإله موسى) ولهذا قال (فنبذتها) أى ألقيتها مع من ألقى (وكذلك سولت لى نسي) أى حسنته وأعجبها إذ ذاك (قال فذهب فلن لك في الحياة أن تقول لا مساس) أى كما أخذت ومسست مالم يكن لك أخذه ومسه من أثر الرسول فتقوتك في الدنيا أن تقول لا مساس أى لا تماس الناس ولا يمسونك (وإن لك موعداً) أى يوم القيامة لن تخلقه (أى لا عيذك عنه ، وقال قتادة (أن تقول لا مساس) قال عقوبة لهم وبقيامه اليوم يقولون لا مساس : وقوله (وإن لك موعداً لن تخلقه) قال الحسن و قتادة وأبو نبيك إن تتيب عنه وقوله (وانتظر إلى إلهك) أى مبدوك (الذى ظلت عليه ما كفا) أى ألفت على عبادته بين السجل (لنحرقه) قال الضحاك عن ابن عباس والسدى سطحه بالمبارد وأقامه على النار ، وقال قتادة استحال السجل من الذهب لحما ودما فعرفه بالنار ثم ألقى رماده في البحر ولهذا قال (ثم لننفسنه في الم نسا) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حاتم عبد الله بن رجاء أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحق عن حمارة بن عبد الله وأبي عبد الرحمن عن علي بن رضى الله عنه قال : إن موسى لما جعل إلى ربه عهد السامري فجمع ما قدر عليه من حلى نساء بنو إسرائيل ثم صوروه عجلاً قال فصد موسى إلى السجل فوضع عليه البارود فبرده بها وهو على شط نهر فلم يشرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعد السجل إلا أصفر وجهه مثل الذهب فقالوا لموسى ما توبتنا ؟ قال يقتل بسكنم بضاً وهكذا قال السدى وقد تقدم في تفسير سورة البقرة ثم في حديث التتون بسط ذلك وقوله تعالى (إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شئ علماً) يقول لهم موسى عليه السلام ليس هذا إلهكم إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو أى لا يستحق ذلك على الباطل إلا هو ولا تنبى العبادة إلا له فإن كل شئ تقدر إليه عبد له وقوله (وسع كل شئ علماً) نصب على التمييز أى هو عالم بكل شئ ، أحاط بكل شئ علماً وأحصى كل شئ عدداً ، فلا يهرب عنه مثقال ذرة ، وما تسقط من ورقة إلا يسبحها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ، وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها كل فى كتاب مبين ، والآيات فى هذا كثيرة جداً

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ عَايَنْتَكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا • مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا • خَلِيلِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ كما قصصنا عليك خبر موسى وما جرى له مع فرعون وجنوده على الجلية والأمر الواقع كذلك قص عليك الأخبار للناضية كما وقفت من غير زيادة ولا نقص ، هذا وقد أنبأناك من لدنا أى من عندنا ذكرنا وهو القرآن العظيم الذى لا يأخيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذى لم يسل نبي من الأنبياء منذ بعثوا إلى أن أتحموا بمحمد صلى الله عليه وسلم كتاباً مثله ولا أكل منه ولا أجمع لحرم ما سبق وخبر ما هو كائن وحكم الفصل بين الناس منه ، وقوله تعالى (من أعرض عنه) أى كذب به وأعرض عن اتباعه أمراً وطلباً وابتنى الهدى من غيره فإن الله يضلّه ويهديه إلى سواء السبيل ولهذا قال (من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً) أى إنما كما قال تعالى (ومن يكفر بمن الأحزاب فالنار موعده) وهذا عام فى كل من بلغه القرآن من العرب والعجم أهل الكتاب وغيرهم كما قال (لأنتدركم به ومن بلغ) فشكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع فمن اتبعه هدى

ومن خالقه وأعرض عنه ضل وعق في الدنيا والنار موعده يوم القيامة ولهذا قال (من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه) أى لا يحيد لهم عنه ولا انشكك (وسأعلم يوم القيامة حملا) أى بشى الحمل حملهم

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ وَتَنصُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَخْفَتُونَ بِهِمْ إِنَّ لِبَيْتِهِمْ إِلَّا عَشْرًا ۖ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِيتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۖ ﴾

ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ سئل عن السور فقال « قرن ينفع فيه » وقد جاء في حديث الصور من رواية أبى هريرة أنه قرن عظيم، الدائرة منه بقدر السموات والأرض ينفع فيه إسرائيل عليه السلام وجاء في الحديث « كيف أنتم وصاحب القرن قد التتم القرن وحى جهته وانتظر أن يؤذن له » قالوا يا رسول الله كيف تقول ؟ قال « قولوا حسبا والله نعم الوكيل على الله توكلنا » وقوله (ونحسر المجرمين يومئذ زرقا) قيل معناه زرق البيوت من شدة ما هم فيه من الأموال (يخافون بينهم) قال ابن عباس يتسارون بينهم أى يقول بعضهم لبعض إن لبئتم إلا عسرا أى في الدار الدنيا قد كان لبسكم فيها قليلا عشرة أيام أو نحوها قال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أى في حال تاجهم بينهم (إذ يقول أمثلهم طريقة) أى الماقل الكامل فيهم (إن لبئتم إلا يوما) أى أقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المآل لأن الدنيا كلها وإن تكررت أو ظنتها وتماقت ليالها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد ولهذا يستعصر الكافرون مدة الحياة الدنيا يوم القيامة وكان غرضهم في ذلك دعه قيام الحجة عليهم لقصر الدوام لهذا قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة - إلى قوله - ولكنكم كنتم لا تعلمون) وقال تعالى (أولم نمركم ما تنذركم فيه من نذر وجاءكم النذير) الآية وقال تعالى (كم لبثتم في الأرض عدد سنين ۖ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فأسأل العادين ۖ قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) أى إنما كان لبسكم فيها قليلا لو كنتم تعلمون لأنتم الباقى على الثاني ولكن تصرفتم فأنتم التصرف فقدم الحاضر الغائى على الدائم الباقى .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۚ لَا تَرَىٰ فِيهَا جِوْجًا وَلَا أَمْتًا ۚ يَوْمَئِذٍ يَقُولُ لِغُفَّارِ لَّهِ جِوْجٌ ۖ وَخُشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۚ ﴾

يقول تعالى (ويسألونك عن الجبال أى هل تبقى يوم القيامة أو تزول ؟ قل ينسفها ربى نسفا) أى يذهبها عن أما كتبها ويحرقها ويسيرها تسيرا (فيلحقها) أى الأرض (قاعا صفصفا) أى باسطا واحداً والقاع هو للمستوى من الأرض والصفصف تأكيد لمعى ذلك وقيل الذى لا نبات فيه والأول أولى وإن كان الآخر مرادا أيضا باللازم ولهذا قال (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) أى لا ترى في الأرض يومئذ واديا ولا راية ولا مكانا منخفضا ولا مرتعا كذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصرى والضحاك وقادة وغير واحد من السلف (يومئذ يقيمون الداعى لا عوج له) أى يوم يرون هذه الأموال والأموال يستجيبون مسارعين إلى الداعى حيث أمروا بأندوا إليه ولو كان هذا في الدنيا لكان أنفع لهم ولكن حيث لا ينفعهم كما قال تعالى (أجمع بهم وأبصر يوم بأنتوا) وقال (مهطئين إلى الداع) وقال محمد ابن كعب القرظى يحضر الله الناس يوم القيامة في ظلمة ويطوى السماء وتشتت النجوم وتغرب الشمس والقمر وينادى مناد فينبع الناس الصوت يؤمونه ، فذلك قوله (يومئذ يقيمون الداعى لا عوج له) وقال قادة لا عوج له لا يمايون عنه وقال أبو صالح لا عوج له لا عوج عنه وقوله (وخشعت الأصوات للرحمن) قال ابن عباس سكنت وكذا قال السدى (فلا تسمع إلا همسا) قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يبنى وطمه الأقدام وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وإبراهيم بن أنس وقادة وإبن زيد وغيرهم وقال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس (فلا تسمع إلا همسا) الصوت الخفى وهوروايع عن عكرمة والضحاك وقال سعيد بن جبير (فلا تسمع إلا همسا) الحديث وسره وطمه الأقدام فقد جمع سعيد كلا القولين

وهو محتمل أما وطء الأقدام فالمراد سعى الناس إلى الحشر وهو مشبه في سكون وخضوع ، وأما الكلام الحقى فقد يكون في حال دون حال فنه قال تعالى (يوم بات لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنه شق وسعيد)

(يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا * وَعَسَى أَنْ يَكُونَ لَكُمْ الْيَوْمَ وَقْدَ خَابَ مِنْ حَمَلٍ ظُلْمًا * وَنَنْ يَعْمَلُ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا)

يقول تعالى (يومئذ) أى يوم القيامة (لا تنفع الشفاعة) أى عنده (إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) كقوله (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) وقوله (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعته شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) وقال (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) وفى الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلائق على الله عز وجل أنه قال « آتى تحت العرش وأخبره ساجدا ويشفع على بعباد لا أحصيا الآن فبدعنى ما شاء أن يدعنى ثم يقول يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واضع ثغفه - قال - فيحذلى حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود » فذكر أربع مرات صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء . وفى الحديث أيضا « يقول تعالى أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من إيمان فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول أخرجوا من النار من كان فى قلبه نصف مثقال من إيمان أخرجوا من النار من كان فى قلبه ما يؤن ذرة من كان فى قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان » الحديث ، وقوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى يحيط علما بالخالق كلهم (ولا يحيطون به علما) كقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) وقوله (وعسى أن يكون لكم اليوم وقْدَ خَابَ مِنْ حَمَلٍ ظُلْمًا) قال ابن عباس وغير واحد خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحى الذى لا يموت ، القيوم الذى لا ينام وهو قديم على كل شيء يدبره ويحفظه فهو الكامل فى نفسه الذى كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به ، وقوله (وقد خاب من حمل ظلما) أى يوم القيامة فإن الله سيؤدى كل حق إلى صاحبه حتى يقتضى للشاة الجماعة الشاة الظلم ظلمات يوم القيامة والحياة كل الحياة من لقي الله وهو به مشرك فإن الله تعالى يقول إن الشرك لظلم عظيم » وقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) لما ذكر الظالمين ووعيدهم ثم بالمتقين وحكمهم وهو أنهم لا يظلمون ولا يهضمون أى لا يزداد فى سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم قاله ابن عباس وبجاهد والضحاك والحسن وقتادة وغير واحدة فالظلم الزيادة بأن يحمل عليه ذنب غيره والمضم النقص

(وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا فَهُمْ يَحْكُمُوا أَنْفُسَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)

يقول تعالى ولما كان يوم الماد والجزاء والخير والشر واقما لاهالة أنزلنا القرآن بشيرا ونذيرا بلسان عربى مبين فصيح لا لبس فيه ولا عى (وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون) أى يتركون للآسم والمحامم والنواحيش (أو يحدث لهم ذكرا) وهو إحياء الطاعة ونيل القربات (فتعالى الله الملك الحق) أى تنزه وتقدس لللك الحق الذى هو حق ووعده حق ووعيدهم حق ورسله حق والجنة حق والنار حق وكل شيء منه حق ، وعده تعالى أن لا يمتدب أحد قبل الانذار وبشارة الرسل والإعذار إلى خلقه ثلاثا يبقى لأحد حجة ولا شبهة ، وقوله (ولا تجعل بالقرآن من قبل أن

يقضى إليك وحيه) كقوله تعالى في سورة الأقسام يوم القيامة (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه *)
 فلما قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا ياته) وثبت في الصحيح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
 يبالغ من الوحي عدة فكان ما يحرك به لسانه فأُنزل الله هذه الآية يني أنه عليه السلام كان إذا جاءه جبريل بالوحي
 كلما قال جبريل آية قلنا معه من عدة حرصه على حفظ القرآن فأرشد الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه
 لتلاشيق عليه فقال (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) أي أن نجعله في صدرك ثم تقرأه على الناس
 من غير أن تنسى منه شيئا (فلذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا ياته) وقال في هذه الآية (ولا تعجل بالقرآن من
 قبل أن يقضى إليك وحيه) أي بل أنست فلما فرغ لللك من قراءته عليك فقرأه بعده (وقل رب زدني علما) أي
 زدني منك علما ، قال ابن عينة رحمه الله ولم يزل صلى الله عليه وسلم في زيادة حتى توفاه الله عز وجل ولهذا جاء في
 الحديث (إن الله تابع الوحي على رسوله حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقال
 ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة رضى
 الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم اشق بما علتني وعطيت ما ينفعني وزدني علما والحد لله
 على كل حال » وأخرجه الترمذي عن أبي كريب عن عبد الله بن نمير به وقال غريب من هذا الوجه ، وراه الزبارة
 عن عمرو بن علي الفلاس عن أبي عامر عن موسى بن عبيدة به وزاد في آخره « وأعوذ بالله من حال أهل النار »

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ قَلْبِي وَلمْ نَعِدْ لَهُ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
 إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ فَقُلْنَا يٰبٰدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَزَوْجُكَ فَلَا يَخْرُجُ جَنَّكَمَآ مِن الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ * إِنَّ لَكَ أَلًا
 تَجْبُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطٰنُ قَالَ يٰبٰدَمُ هَلْ أَدَّبْتُكَ عَلَىٰ
 شَجَرَةٍ الْغُلَّةِ وَمَنْكَ لَا يَبْكِي * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصَمًا عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ
 وَغَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ * ثُمَّ أَجْبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منان حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال :
 إنما هي الانسان لأنه عهد إليه ففسى وكذا رواه علي بن أبي طلحة عنه ، وقال مجاهد والحسن : ترك ، وقوله
 (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) يذكر تعالى تشریف آدم وتكريمه وما فضله به على كثير من خلق
 فضيلا ، وقد تقدم الكلام على هذه القصة في سورة البقرة وفي الأعراف وفي الحجر والكهف وسبأ في آخر
 سورة ص يذكر تعالى فيها خلق آدم وأمره للملائكة بالسجود تضرعا وتكريما وبين عداوة إبليس لآدم ولأبيه
 قديما ولهذا قال تعالى (فسجدوا لإبليس أبى) أي امتنع واستكبر (قلنا يا آدم إن هذا عدو لك وزوجك) يعني
 حواء عليها السلام (فلا يخرجكما من الجنة فتشقى) أي إياك أن تسعى في إخراجك منها فتصب وتشتقى في طلب
 رزقك فانك ههنا في عيش رغيد هيء بلا كلفة ولا مشقة (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى) إنما قرن بين الجوع
 والعرى لأن الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر (وأنت لا تظمأ فيها ولا تصحى) وهذا أيضا متقابلان فالظما
 حر الباطن وهو العطش والصحى حر الظاهر . وقوله (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أهلك على شجرة الخلد
 وملك لا يبلى) قد تقدم أنه لا لها فيرور (وقاسمها إلى لكما من الناصحين) وقد تقدم أن الله تعالى عهد إلى آدم وزوجها أن
 يأكل من كل الثمار ولا يقربا هذه الشجرة للعينة في الجنة فلم يزل بهما إبليس حتى أكلا منها وكانت شجرة الخلد يعني
 التي من أكل منها خلد ودام مكته وقد جاء في الحديث ذكر شجرة الخلد فقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة عن

أبي الضحاك سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها وهي شجرة الخلد » ورواه الإمام أحمد ، وقوله (فأكل منها فبنت لها سواتهما) قال ابن أبي حاتم حدثنا ابن الحسين بن اشكاب حدثنا علي بن غاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم رجلا طويلا كثير شعر الرأس كأنه نخعة سحق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر إلى عورته جل يشهد في الجنة فأخذت شعره شجرة فتأزعا فتأذاه الرحمن يأدم من شفر فلما سمع كلام الرحمن قال يارب لا ولكن استحياء أرايت إن ثبت وزجعت أعادني إلى الجنة ؟ قال نعم » فذلك قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وهذا منقطع بين الحسن وأبي بن كعب فلم يسمعه منه وفي رفته نظر أيضا وقوله (وطفقا خصفان عليهما من ورق الجنة) قال مجاهد يرقعان كثية الثوب وكذا قال قتادة والسدي ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن موفى حدثنا سفيان عن ابن أبي ليلى عن الثمال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وطفقا خصفان عليهما من ورق الجنة) قال بنزاعان ورق التين فيصلاهما على سواتهما وقوله (وعصى آدم ربه فغوى) ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدي) قال البخاري حدثنا قتبية حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « حاج موسى آدم فقال له أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشتيتهم ؟ قال آدم يا موسى أنت الذي اسطفاك الله برسالاته وبكلامه أتأومني على أمر كتبه الله على قلبك أن تخلفي أو قدره الله على قبلي أن تخلفي - قال رسول الله ﷺ - فصبح آدم موسى » وهذا الحديث له طرق في الصحيحين وغيرها من السانيد . وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني أنس بن عياض عن الحارث بن أبي ذئاب عن يزيد بن هرمز قال سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتج آدم وموسى عند ربهما فصبح آدم موسى قال موسى أنت الذي خلقك الله بيده وشفع فيك من روجه وأسجد لك ملائكته وأنت كذا في جنة ثم أهبطت الناس إلى الأرض بخطيئتك » قال آدم أنت موسى الذي اسطفاك الله برسالاته وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان لكل شيء وقربك نجيا فبك وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدتها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أتأومني على أن عملت عملا كتب الله علي أن أعمله قبل أن تخلفي بأربعين سنة - قال رسول الله ﷺ - فصبح آدم موسى » قال الحارث وحدثني عبد الرحمن بن هرمز بذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

﴿ قَالَ أَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ هَدًى وَبَاقًا يُأْتِيَنَّكُمْ مَعِيَ هُدًى فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ إِنِّي خَشِيتُكَ أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴾

يقول تعالى لآدم وحواء وإبليس اهبطوا منها جميعا أي من الجنة كلكم ، وقد بسطنا ذلك في سورة البقرة (بعضكم لبعض هدى) قال آدم وذريته ، وإبليس وذريته وقوله (فلما يأْتِيَنَّكُمْ مَعِيَ هُدًى) قال أبو العالية : الأنبياء والرسل والبيان (فمن أتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة (ومن أعرض عن ذكري) أي خالف أمري وما أنزلته على رسولي أعرض عنه وتأساه وأخذ من غيره هداة (فإن له معيشة ضنكا) أي ضنكا في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح ل صدره بل صدره ضيق حرج ل ضلاله وإن تتم ظاهره وليس ماشاء وأكل ماشاء وسكن حيث شاء فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والمسيدي فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في رية يتردد فيها من ضنك المعيشة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فإن له معيشة ضنكا) قال الشقاء وقال العوفي عن ابن عباس (فإن له معيشة ضنكا) قال كذا أعطيت عبدا من عبادي قل أو أكثر لا يتقي فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة ، وقال أيضا إن

نوما ضللا أعرضوا عن الحق وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس غفلا لهم معاشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب فإذا كان العبد يكذب بالله ويسىء الظن به والحق به اشتد عليه معيشتهم فذلك الضنك ، وقال الضحاك هو العمل السيء والرزق الحثيث وكذا قال عكرمة ومالك بن دينار والشافعيان ابن عينة عن أبي حازم عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قوله (معيشة ضنكا) قال يضيّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعها ، قال أبو حاتم الرازي : الثمان بن أبي عياش يكنى أبا سلمة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أنبأنا الوليد أنبأنا عبد الله بن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ في قول الله عز وجل (فإن له معيشة ضنكا) قال ضمة القبر له وللوقوف أسع . وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج أبو السمح عن ابن حجرية واسمه عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « للؤمن في قبره في روضة خضراء وفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور له قبره كاقترع ليلة البدر أتدرون فم أزلت هذه الآية (فإن له معيشة ضنكا) أتدرون ما للمعيشة الضنك ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تينا ، أتدرون ما التين ؟ تسعة وتسعون حبة لسبك حبة سبعة رموس ينفخون في جسمه ويسعون وفضشونه إلى يوم يبعثون » نفسه منكر جدا وقال البراءة حدثنا محمد بن يحيى الأزدي حدثنا محمد بن عمرو حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي جابر عن ابن حجرية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل (فإن له معيشة ضنكا) قال « المشقة الضنك الذي قال الله إنه يسلط عليه تسعة وتسعون حبة ينشون له حتى تقوم الساعة » وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (فإن له معيشة ضنكا) قال « عذاب القبر » إسناده جيد وقوله (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال مجاهد وأبو صالح والسدي لاحقة وقال عكرمة حمى عليه كل شيء إلا جهنم ويحتمل أن يكون المراد أنه يمت أو يحشر إلى النار أعمى والبصرة أيضا كما قال تعالى (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم غماضا وبكبا وصا وما أم لهم من الجنة) الآية ولهذا يقول (رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) أي في الدنيا (قال كذلك أتتك أيتانا فنفسيها وكذلك اليوم تنسى) أي لما أعرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها كذلك اليوم نمالك معاملة من ينساك (فالقوم تناسكوا نسوا يومهم هذا) فإن الجزء من جنس العمل . فاما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمتنزهة فليس داخل في هذا الوعيد الخاص وإن كان متوعدا عليه من جهة أخرى فانه قد وردت السنة بالهوى الأكيد والوعيد الشديد في ذلك ، قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا الحسن بن زيد بن أبي زياد عن عيسى بن فائد عن رجل عن سعد بن عباد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقى الله يوم يلقاه وهو أجند » ثم روى الإمام أحمد من حديث يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فائد عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ فذكر مثله سواء

(وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَكَذَابٌ آخِرٌ أَشَدُّ وَأَجْبَىٰ)

يقول تعالى وهكذا نجزي للسرفين المكذبين بآيات الله في الدنيا والآخرة (لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من وافي) ولهذا قال (ولعذاب الآخرة أشد وأجبي) أي أشد دلالة من عذاب الدنيا وأدوم عليهم فهم مخلدون فيه ولهذا قال رسول الله ﷺ للتلاعنين « إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة »

(أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِهَذَا النَّاسِ وَاللَّهُ غَافِلٌ عَنِ أَكْثَرِ النَّاسِ)

الشَّمْسِ وَقِيلَ غُرُوبُهَا وَمِنْ هَآئِهِ الْقِيلُ فَسَبَّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١﴾

يقول تعالى (أفلم يجد) هؤلاء الكذابين بما جنتهم بما محمدكم أهلكتنا من الأمم الكذابين بالرسول قبلهم فبادوا فليس لهم بقية ولا عين ولا أثر كما يشاهدون ذلك من ديارهم الحالية التي خلفهم فيها يعيشون فيها (إن في ذلك لآيات لأولي البصيرة) أي الأقوال الصحيحة والأبواب المنسجمة كما قال تعالى (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تسمى الأصابع ولكن تسمى القلوب التي في الصدور) وقال في سورة الم السجدة (أو لم يهتدوا بما أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مسالكهم) الآية ثم قال تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) أي لولا الكلمة السابقة من الله وهو أنه لا يعذب أحداً إلا بمذنبات الحجة عليه والأجل للمسمى الذي ضربه الله تعالى هؤلاء الكذابين إلى مدققة العذاب بئس العذاب ولقد قال لنبية مسليا له (فاصرعلى ما يقولون) أي من تكذيبهم لك (وسبح محمد ربك قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعني صلاة العصر كما جاء في الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ هذه الآية، وقال الإمام أحمد حدثنا بفيان بن عيينة عن عبد الملك بن حمير عن حمارة بن رؤيبة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن يطلع النار أحد صل قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» رواه مسلم من حديث عبد الملك بن حمير به وفي السنن والسنن عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر في ملكة مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أفضلها كما ينظر إلى أدناها وإن أعلام منزلة لمن ينظر إلى الله تعالى في اليوم مرتين» وقوله (ومن آتاه البيل فسبح) أي من ساعته فحجب به وجهه بضمهم على للغرب والشماء (وأطراف النهار) في مقابلة آتاه الليل (هلك ترضى) كما قال تعالى (ولسوف يطمئطمك ربك فترضى) وفي الصحيح «يقول الله تعالى يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطينا ما لم نعط أحدا من خلقك فيقول إنى أعطيتكم أفضل من ذلك فيقولون أى شيء أفضل من ذلك؟ فيقول أهل عليكم رضوانى فلا أسخطع عليكم بعده أبداً» وفي الحديث الآخر «يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويقل موازيننا ويخرجنا عن النار ويدخلنا الجنة فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعظم خيراً من النظر إليه، وهى الزيادة» .

﴿وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ وَأَمَرَ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْلَحْ عَلَيْهِمْ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ فَرِزْقُكَ وَالْمَقْبَةُ لِلْعَقْوَى﴾

يقول تعالى لنبية محمد صلى الله عليه وسلم لا تنظر إلى ما هؤلاء المتفرون وأشباههم ونظرناهم فيه من النعم فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لتختبرهم بذلك وقليل من عبادى الشكور ، وقال مجاهد أزواجاً منهم يعني الأغنياء فقد أتاك خيراً مما أتاكهم قال في الآية الأخرى (ولقد آتيناك سبأ من اللثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك) الآية وكذلك ما ادخره الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم في الآخرة أمر عظيم لا هدر ولا يوصف كما قال تعالى (ولسوف يطمئطمك ربك فترضى) ولقد قال (ورزق ربك خير وأبقى) وفي الصحيح أن عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله ﷺ في تلك الليلة التي كان قد اعتزل فيها نسائه حين آلى منهن فآه متوسداً مضطجاً على رمال حبيب وليس في البيت إلا صبرة من قرط واهية معلقة فابتدت حيناً عمر بالبكاء فقال له رسول الله ﷺ «ما يبكيك يا عمر؟» فقال يا رسول الله إن كسرى وقبصر فيها هما فيه وأنت سفوة الله من خلقه فقال «أولى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا» فكان صلى الله عليه وسلم أزهى الناس في الدنيا مع القدرة عليها إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله ولم يدخر لنفسه شيئاً لقد ،

قال ابن أبي حاتم أنبأنا يونس أخبرني ابن وهب أخبرني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من ذهرة الدنيا » قالوا وما ذهرة الدنيا يا رسول الله قال « بركات الأرض » وقال قتادة والسدى : ذهرة الحياة الدنيا يعني ذينة الحياة الدنيا وقال قتادة (لفتحهم فيه) لفتحهم وقوله « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » أي استقم من عذاب الله بإقام الصلاة واصبر أنت على فعلها كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب كان يبيت عنده أنا ورفقا وكان له ساعة من الليل يصلي فيها فربما لم يتم فنقول لا يقوم الليلة كما كان يقوم وكان إذا استعظم أقام يعني أهله وقال (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) وقوله (لأنسأك رزقا نحن نرزقك) يعني إذا أقت الصلاة أملك الرزق من حيث لا تحسب كما قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - إلى قوله - إن الله هو الرزاق ذو القوة لالتين) ولهذا قال لأنسأك رزقا نحن نرزقك ، وقال الثوري لأنسأك رزقا أي لأنسأك الطلب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه أنه كان إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا فإذا رجع إلى أهله فدخل الدار قرأ (ولا تمدن عينيك - إلى قوله - نحن نرزقك) ثم يقول : الصلاة ، الصلاة ورحمكم الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله ابن أبي زياد القطراني حدثنا سيار حدثنا جعفر عن ثابت قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصابه خصاصة نادى أهله يا أهلك صلوا ، صلوا ، قال ثابت وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعو إلى الصلاة وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة عن أبيه عن أبي خلف الوالي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يا ابن آدم تفرغ لبيادني أملا صدرك غنى وأسد فقرك ، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك » وروى ابن ماجه من حديث الشحاذ عن الأسود عن ابن مسعود سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول « من جعل الموموما واحدا من المعاد كفاه الله من دنياه ومن تشعب به الموموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديته هلك » ، وروى أيضا من حديث شعبة عن عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن كانت الآخرة نيته جمع له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة » وقوله (والعاقبة للمتقون) أي وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة وهي الجنة لمن اتقى الله ، وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رأيت الليلة كأننا في دار عقبة بن رافع وأنا أتينا برطب من رطب ابن طاب فأولت ذلك أن العاقبة لنا في الدنيا والآخرة وأن ديننا قد طاب »

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا بَأْتِنَا بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّهِ أَوْلَمَ تَأْتِيهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ هَؤُلَاءِ أَهْلَكْتُم مَّعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ لَمِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ ۚ قُلْ كُلُّ مَعْزُورٍ فَتَرَبَّصُوا فَنَسْتَعْمِلُونَ مِمَّنْ أَصْحَبُ الْأَرْضِ السُّرَىٰ وَمَنْ أَعْتَدَىٰ ﴾

يقول تعالى غيرا عن الكفار في قولهم (لولا) أي هلأ بآيتنا محمد بآيتم ربه أي بسلامة دالة على صدقه في أمر رسول الله؟ قال الله تعالى (أولم تأتوهم بينة ما في الصحف الأولى) يعني القرآن العظيم الذي أنزل عليه الله وهو أمي لا يحسن الكتابة ولم يدارس أهل الكتاب وقد جاء فيه أخبار الأولين بما كان منهم في سالف الدهور بما يوافق عليه الكتب للتدعيم الصحيحة منها فإن القرآن مبين عليها يسدق الصحيح ويبين خطأ للكذب فيها وعليها وهذه الآية كقوله تعالى في سورة التكبوت (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وأنا نذير مبين) أولم يكفهم أنا أنزلنا

عليك الكتاب بئلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » وإنما ذكر هنا أعظم الآيات التي أعطها عليه السلام وهو القرآن والأفظة من المعجزات مالا يعد ولا يحصى كما هو مودع في كتبه ومقرر في مواضع ثم قال تعالى (ولو أنا أهلكنكم بذياب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلنا رسولا) أي لو أننا أهلكننا هؤلاء للكاذبين قبل أن نرسل اليهم هذا الرسول الكريم ونزل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا (ربنا لولا أرسلنا رسولا) قبل أن تهلكنا حتى تؤمن به وتقبه كإله (فتنبأ آياتك من قبل أن نزل ونخزي) بين تعالى أن هؤلاء الكاذبين معتدون معاندون لا يؤمنون (ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب العظيم) كما قال تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واقفوا لعلكم ترحمون - إلى قوله - بما كانوا يصنفون) وقال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن إحدى الأمم) الآية وقال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) الآيتين ، ثم قال تعالى (قل) أي يا محمد لمن كذبت وخالفك واستمر على كفره وعناده (كل مترس) أي منا ومنكم (فترصوا) أي فانظروا (فستعلمون من أصحاب الصراط السوي) أي الطريق المستقيم (ومن اعتدى) إلى الحق وسبيل الرشاد ، وهذا كقوله تعالى (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) وقال (سيعلمون غدا من الكذاب الأشر) . آخر تفسير سورة طه وه الحمد ولله ويتناه إن شاء الله تفسير سورة الأنبياء وه الحمد

{ تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام وهي مكة }

قال البخاري حدثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحق سمعت عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال ، بنو إسرائيل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، هن من العتاق الأولى وهن من تлады

{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }

{ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَنُونَ * لَاهِيَةٌ قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَةَ وَأَنْتُمْ تُبْعِرُونَ * قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْظَمَ بَلَى أَفَعَرَكُمُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِنَايَةِ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ * مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَهْمُ يُؤْمِنُونَ }

هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ودنوها وأن الناس في غفلة عنها أي لا يعلمون لما ولا يستعدون من أجلها ، وقال النسائي حدثنا أحمد بن نصر حدثنا هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ (في غفلة معرضون) قال « في الدنيا » وقال تعالى (آتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) وقال (اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا) الآية ، وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن هانئ أبي نواس الشاعر أنه قال : أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو الهيثم حيث يقول :

الناس في غفلاتهم * ورحا للنية تطحن

فقبله من أين أخذ هذا ؟ قال من قول الله تعالى (اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) وروى (١) في ترجمة عامر بن ربيعة عن طريق موسى بن عبيد الأمدى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عامر بن ربيعة أنه نزل به رجل من العرب فأكرم عامر مثواه وكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاهد الرجل فقال إلى استعظمت

(١) هذا الخبر غير موجود في النسخة للكية .

من رسول الله صلى الله عليه وسلم واديا في العرب وقد أردت أن أطلع لك منه قطعة تكون لك ولتكن من بديك فقال
 عامر لا حاجة لي في قطيكتك زلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا (اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون)
 ثم أخبر تعالى أنهم لا يسنون إلى الوحي الذي أنزل الله على رسوله والحطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار فقال
 (نياتهم من ذكر من رهم عدت) أي جديد إزاله (إلا استمعوه وهم يلعبون) كما قال ابن عباس : ما لك تسألون
 أهل الكتب عما بأيديهم وقد عرفوه وبدلوه وزادوا فيه وخصوا منه وكتابتكم أحدث الكتب بالله فتردونه مضيا
 لم يشب رواه البخاري بنحوه ، وقوله (وأسروا النجوى الذين ظلموا) أي قاتلين فيما بينهم خفية (هل هذا إلا بشر
 مثلكم) يمتنون رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمدون كونه نبيا لأنه بشر مثلهم فكيف اختص بالوحي دونهم ولهذا
 قال (أفأتأتون السحر وأنتم تبصرون) أي أتقتبونه فتكفونون كمن يأتي السحروهو يعلم أنه سحر فقال تعالى عجبا
 لهم عما افتره واختلقوه من الكذب (قال رب يعلم القول في السماء والأرض) أي الذي يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية
 وهو الذي أنزل هذا القرآن للشمع على خير الأولين والآخرين الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله إلا الذي يعلم
 السر في السموات والأرض وقوله (وهو السميع العليم) أي السميع لأقوالكم العليم بأسوأ الكوفي هذا تبهيد لهم ووعيد
 وقوله (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه) هذا إخبار عن ضمت الكفار وإلحادهم واختلافهم فيما يفسون به القرآن وحيرتهم
 فيه وضلالهم عنه فتارة يجعلونه سحرا وتارة يجعلونه شعرا وتارة يجعلونه أضغاث أحلام وتارة يجعلونه مغترى كما قال (انظر
 كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) وقوله (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) يمتنون كثافة صالح وآيات
 موسى وعيسى وقد قال الله (وما نمنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) الآية، ولهذا قال تعالى : (ما آمنت قبلهم من
 قرية أهلكناها أنهم يأمنون) أي ما آتينا قرية من القرى الذي يمت فيهم الرسل آية على يدي نبينا فآمنوا هبل كذبوا
 فأهلكناهم بذلك أنهم هؤلاء ، يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك ؟ كلا ، بل (إن الذين هتف عليهم كذبوا لا يؤمنون
 ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) هذا كله وقد شاهدوا من الآيات الباهرات والحجج القاطعات والدلائل
 البينات على يدي رسول الله ﷺ ما هو أظهر وأجل وأبر وأقطع وأتمر مما شوهده مع غيره من الأنبياء صلوات
 الله وسلامه عليهم أجمعين . قال ابن أبي حاتم رحمه الله ذكر عن زيد بن الحباب حدثنا ابن لمية حدثنا الحارث بن
 زيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي حدثني من شهد عبادة بن الصامت يقول : كنا في المسجد ومعنا أبو بكر الصديق
 رضي الله عنه قرأ بعض القرآن فجاء عبد الله بن أبي بن ساول ومعه تمرقة وزرية فوضعوا أوتاكنا وكان صبيحا فصيحبا جدلا
 فقال يا أبا بكر قل ل محمد يأتي نبيا بآية كما جاء الأولون ؟ جاء موسى بالألواح وجاء داود بالزبور وجاء صالح بالإنفاق وجاء
 عيسى بالإنجيل وبالسائدة . فبكى أبو بكر رضي الله عنه فخرج رسول الله ﷺ فقال أبو بكر قوموا بنا إلى رسول
 الله ﷺ نسبح بيمين هذا النفاق فقال رسول الله ﷺ : « إنه لا يقام لي إنما يقام لله عز وجل » قلنا يا رسول الله
 إنا لقينا من هذا النفاق ، فقال : « إن جبريل قال لي أخرج فأخبر بعم الله التي أمم بها عليك وفضيله التي فضلت بها
 فبشرني أتى بشت إلى الأحمر والأسود وأمرني أن أندر الجن وأتاني كتابه وأنا أمي وغفر ذنبي ما هدم وما تأخر
 وذكر اسمي في الأذان وأمدني بالملائكة وآتاني النصر وجعل الرعب أمامي وآتاني الكوثر وجعل حوضي من أعظم
 الحياض يوم القيامة ووعدني اللقام المحمود والناس مهطعون مقتنون رءوسهم وجعلني في أول زمرة تخرج من الناس
 وأدخل في شفاعق سبعين ألفا من أمم الجنة بغير حساب وآتاني السلطان وللك وجعلني في أعلى غرفة في الجنة في جنات
 النعم فليس فوق أحد إلا للملائكة الذين يحملون العرش وأحل لي ولأمتي التنايم ولم تحل لأحد كان قبلنا » وهذا
 الحديث غريب جدا

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَهُمْ لَوْلَ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . وَتَاجَعَلْتُمْ
 جِدَدًا يَا كُفْرًا الطَّعَامُ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ * ثُمَّ صَدَقْتُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْتُهُمْ وَمَنْ نَسَاوْهُمْ لَعْنًا لِّلرَّسُولِ ﴾

يقول تعالى راداً على من أنكر بيعة الرسل من البشر (وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم) أى جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالاً من البشر لم يكن فيهم أحد من الملائكة كما قال فى الآية الأخرى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى) وقال تعالى (قل ما كنت بشيا من الرسل) وقال تعالى حكاية عن تقدم من الأمم بأنهم أنكروا واذكقوا (أليس يهدوننا) ولهذا قال تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) أى أسألو أهل العلم من الأمم كالهمود والنصارى وسائر الطوائف هل كان الرسل الذين أتوهم بشراً أم ملائكة وإنما كانوا بشراً وذلك من تمام نعمة الله على خلقه إذ بث فيهم رسلاً منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم ، وقوله (وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام) أى بل قد كانوا أجساداً يأكلون الطعام كما قال تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلوا الطعام ويمشون فى الأسواق) أى قد كانوا بشراً من البشر يأكلون ويشربون مثل الناس ويدخلون الأسواق للتسكيب والتجارة وليس ذلك بشراً لهم ولا ناقص منهم شيئاً كما توهمه المشركون فى قولهم (ما هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً) أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) الآية ، وقوله (وما كانوا من الذين) أى فى الدنيا بل كانوا يعيشون ثم يموتون (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) وخاصتهم أنهم يوحى إليهم من الله عز وجل تنزل عليهم للملائكة عن الله بما يحكمه فى خلقه بما يأمر به وينهى عنه ، وقوله (ثم صدقناهم الوعد) أى الذى وعدهم ربهم ليهلكن الظالمين صدقهم الله وعده وفعل ذلك ولهذا قال (فأتبعناهم ومن نشاء) أى أتباعهم من المؤمنين (وأهلكنا السرفين) أى السكدين بما جاءت به الرسل .

﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابَ فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَاهِرًا وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَاسِنَا إِذَاهُمْ مِنْهَا يَرُكْضُونَ * لَا تَرَى كُفُؤًا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكَنِكُمْ لَكُمْ كُمْ تَسْتَلُونَ * قَالُوا يُرِيدُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَكَذَّابَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلَافِيْنَ .

يقول تعالى منها على شرف القرآن ومعرضهم على معرفة قدره (لقد أنزلنا إليك كتاباً فيه ذكركم) قال ابن عباس شرفكم وقال مجاهد حديثكم وقال الحسن دينكم (أفلا تعقلون) أى هذه النعمة وتلقونها بالقبول كما قال تعالى (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تستلون) وقوله (وكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً) هذه سيفه تكبير كما قال (وكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نوحٍ) وقال تعالى (وكُنَّا مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمِنْ ذَٰلِكُمْ خَافَهُ عَلَى رُءُوسِهِمُ الْآيَةُ . وقوله (وأنشأنا بعدها قوماً آخرين) أى أمة أخرى بعدهم (فلما أحسوا بأسنا) أى يتقنوا أن العذاب واقع بهم لا محالة كما وعدهم نبيهم (إذا هم منها يركضون) أى يفرعون هاربين (لا تتركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم) هذاتكم بهم نذراً أى قيل لهم نذراً لا تتركضوا هاربين من نزول العذاب وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور واللعبشة والسكن الطيبة ، قال قتادة استهزاء بهم (لعلكم تستلون) أى عما كنتم فيه من أداء شكر النعم (قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين) اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفعهم ذلك (فلما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خالدين) أى ملازمت تلك العقاب وهى الاعتراف بالنظم هجرهم حتى صدقناهم حصداً وخذت حركاتهم وأصواتهم خمدوا

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَمَّيْنِ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَا نَتَّخِذَ لَهُ مِنْ دُونِ إِنْ كُنَّا قَادِمِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ . وَلَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ ﴾

غير تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق أى بالعدل والوسط ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويعزى الذى

أحسنوا بالحسنى وأنه لم يخلق ذلك عبثاً ولا لعباً كما قال (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا) فويل للذين كفروا من النار (وقوله تعالى) لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لآخذناها من لدنا (أي نحن) عتداء يقول وما خلقنا جنة ولا ناراً ولا موتاً ولا حياة ولا حساباً وقال الحسن وقادة وغيرها (لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً) الله للآراء بلسان أهل الجحيم ، وقال إبراهيم النخعي (لا تخذناه) من الجور المبين ، وقال عكرمة السدي : ولتراد بالهوى ههنا الولد وههنا الذي قبله متلازمان وهو كقولهم تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصبح مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) فتره فسه عن اتحاد الولد مطلقاً ولا سباً عما يقولون من الإلوهية والباطل من اتخاذ عيسى أو العزير أو اللائكة (سبحان الله عما يقولون علواً كبيراً) وقوله (إن كنا فاعلين) قال قتادة والسدي وإبراهيم النخعي ومثيرة بن مقسم أى ما كنا فاعلين وقال مجاهد : كل شيء في القرآن إن فهو إنكار ، وقوله (بل نشذف بالحق على الباطل) أى نبين الحق فيدحض الباطل ولهذا قال (فيمهنا فإذا هو زاهق) أى ذاهب مضمحل (ولك الأول) أى أيها القاتلون لله وله (عما تصفون) أى تقولون وتفترون . ثم أخبر تعالى عن عبودية اللائكة له وادبهم في طاعته ليلاً ونهاراً فقال (ولهم في السموات والأرض ومن عنده) (يعني اللائكة) (لا يستكبرون عن عبادته) أى لا يستكفون عنها كما قال (لن يستكف للشيخ أن يكون عبداً لله ولا اللائكة القربون) ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً) وقوله (ولا يسحرون) أى لا يتنبؤن ولا يعلمون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) فهم دائبون في العمل ليلاً ونهاراً مطيعون قسداً وعملوا قادرين عليه كما قال تعالى (لا يصون الله أمرهم ويعملون بما يؤمرون) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن أبي دلامة البغدادي أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال : سنا رسول الله ﷺ بين أصحابه إذ قال لهم « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا ما نسمع من شيء . فقال رسول الله ﷺ « إني لأسمع أطيح السماء وما تلام أن تنطق وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم » غريب ولم يخرجوه ثم رواه أغنى ابن أبي حاتم من طريق يزيد بن أبي زرع عن سعيد عن قتادة مرسل ، وقال محمد بن إسحق عن حسان بن عمار عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال جلست إلى كعب الأحبار وأنا غلام فقلت له رأيت قول الله تعالى لللائكة (يسبحون الليل والنهار لا يفتنون) أما يشغلهم عن التسبيح الكلام والزسالة والعمل . فقال من هذا الغلام ؟ فقالوا من بني عبد اللطاب ، قال : قبل رأسي ثم قال يا بني إنه جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس أليس تتكلم وأنت تتنفس ونفسي وأنت تتنفس ؟

(أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنْ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ • تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَقَدْ نَسِيَ اللَّهُ رَبِّهِ الْآرْشَ عَمَّا يَتَذَكَّرُونَ • لَا يَسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُنْشِتُونَ)

ينكر تعالى على من اتخذ من دونه آلهة فقال (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون) أى هم يحيون للوثى وينشرونهم من الأرض أى لا يقدرون على شيء من ذلك فكيف جلاوها لله ندا وعبدوها معه ، ثم أخبر تعالى أنه لو كان في الوجود آلهة غيره لقد سد السموات والأرض فقال (لو كان فهما آلهة) أى في السموات والأرض (لقد سدا) كقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد) وما كان معه من إله إذا ذهب كل إله بما خلق ولما يضلهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) وقال ههنا (سبحان الله رب العرش عما يصفون) أى عما يقولون أن له ولداً أو شريكاً سبحانه وتعالى وتقدس وتزه عن الذى يفترون ويأفكون علواً كبيراً . وقوله (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) أى هو الحاكم الذى لا معقب لحكمه ولا يترضى عليه أحد لظمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطيفه (وهم يسألون) أى وهو سائل خلقه عما يعملون كقوله (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) وهذا كقوله تعالى (وهو يغير ولا يجار عليه)

(أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِمَّنْ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلُ بَلْ أَعْمَدُوا كُفْرًا لَا يَعْلَمُونَ الْخُبْرَ فَمِنْ مَعْرِضُونَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)

يقول تعالى (أما اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم) أي دليلكم على ما تقولون (هذا ذكر من سمى) يعني القرآن (وذكر من قبل) يعني الكتب السابقة على خلاف ما تقولونه وتزعمون فكل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ناطق بأنه لا إله إلا الله ولكن أتم إليها للشركون لا تعلمون الحق فأتم معروضون عنه ولهذا قال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) كما قال (وإسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجبتنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطواغوت) فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له والقطرة شاهدة بذلك أيضا وللشركون لا برهان لهم وحجبت داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد

(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يُسْئَلُونَ عَنْ أَمْرِهِ يَعْملُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَمَا تَرَى مِنْ أَمْرٍ إِلَّا لِنَاسٍ أَرْسَلْنَا وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَتَنْ يَقُلُ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِي جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ)

يقول تعالى رادا على من زعم أن له تعالى وتقدس ولما من اللاتكة كن قال ذلك من العرب إن اللاتكة بنات الله فقال (سبحانه بل عباد مكرمون) أي اللاتكة عباد الله مكرمون عنده في منازل عالية ومقامات سامية وهم له في غاية الطاعة قولوا فضلا (لا يسئلو عنه بأمره يعملون) أي لا يتقدمون بين يديه بأمر ولا يخالفونه فيها أمرهم به بل يبادرون إلى فعله وهو تعالى عليه يحيط بهم فلا يخفى عليه منهم خافية (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) وقوله (ولا يشفعون إلا من ارتضى) كقوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) وقوله (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) في آيات كثيرة في معنى ذلك (وهم من خشيته) أي من خوفه ورهبته (مشفقون) ومن يقل منهم إني إله من دونه) أي ادعى منهم أنه إله من دون الله أي مع الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) أي كل من قال ذلك وهذا شرط والشرط لا يلزم وقوعه كقوله (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) وقوله (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)

(أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُولَعُونَ * وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْضُوفًا وَمِنْ عَنَانٍ فِيهَا مُرْشُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)

يقول تعالى منها على قدرته التامة وسلطانه العظم في خلقه الأشياء وقهره لجميع الخواقات فقال (أولم ير الذين كفروا) أي الجاحدون لإلهيته العابدون معه غيره ألم يعلموا أن الله هو السبق بالخلق القيد بالتدبير فكيف يابى أن يعبد معه غيره أو يشرك به ما سواه ألم يروا أن السموات والأرض كانتا رتقا أي كان الجميع متصلا ببعضه ببعض

معروضون) كقوله (وَكُنَّا مِنْ آتِيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) أي لا يتفكرون فيها خلق الله فيها من الاتساع العظيم والارتفاع الباهر وما زينت به من البكواب الثوابت والسيارات في لياليها ونهارها من هذه الشمس التي قطع فللك بكالها في يوم وليلة تفسير غاية لا يعلم قدرها إلا الله الذي قدرها وسخرها وسيهرها . وقد ذكر ابن أبي الدنيا رحمه الله في كتابه التفكير والاعتبار : أن بعض عبادي بني إسرائيل تعبد ثلاثين سنة وكان الرجل منهم إذا تعبد ثلاثين سنة أظلمت عمامة فلم يدر ذلك الرجل شيئا مما كان يحصل لتغيره فسعى ذلك إلى أمه فقالت له يا بني فللك أذهبت في مدة عبادتك هذه فقال لا والله ما أعلمه قالت فللك هممت قال لا ولا هممت قالت فللك رفعت بصرك إلى السماء ثم رجذته بغير فكر فقال نعم كثيرا قالت فمن ههنا أثبت ثم قال منها على بعض آياته (وهو الذي خلق الليل والنهار) أي هذا في ظلامه وسكوته وهذا بضيائه وأنه يطول هذا تارة ثم قصر أخرى وعكسه الآخر (والشمس والقمر) هذه لما نور بضيائها فللك بداته وزمان على حدة وحركة وسير خاص وهذا شور آخر وفلك آخر وسير آخر وتشدير آخر (وكل في فلك يسبحون) أي يدورون قال ابن عباس يدورون كما يدور النزل في الفلكة قال مجاهد فلا يدور النزل إلا بالفلكة ولا الفلكة إلا بالنزل كذلك النجوم والشمس والقمر لا يدورون إلا به ولا يدور إلا بهن . فكان تعالى (فائق الأصابع وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسياناً ذلك تقدير العزيز العليم)

﴿وَتَجِدَنَّ أَيْسَرَ مَنْ قَبْلَكَ الْخَلَائِفَ أَقْوَامٌ فَهُمْ فِي أَمْنٍ مِمَّا كُنْتُمْ تُخَافُونَ الْفَلَاحَ وَالْعَنَاءَ فِي الْحَرْبِ وَخَلَقُوا لِلْإِنْسَانِ مَا يَشْتَهُونَ﴾

يقول تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك) أي يا أيُّهم (الخلد) أي فإلذنبوا بل (كل من عليها فان) وبيق وجه ربك ذوالجلال والإكرام) وقد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الخضر عليه السلام مات وليس يحيى إلى الآن لأنه بشر سواء كان ولياً أو نبياً أو رسولاً وقد قال تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) وقوله (أأفأنمت) أي يا أيُّهم (فهم الخالدون) أي يؤمنون أن يعيشوا أبدك لا يكون هذا بل كل إلى القناء ولهذا قال تعالى (كل نفس ذائقة الموت) وقبروى عن الشافعي رحمه الله أنه أشد واستشهد بهذين البيتين

فقلت سبيل لست فيها بأوحد
فقل للذي سبني خلاف الذي سبني

وقوله (وبلواكم بالسر والخرقة) أى تخبركم بالمصائب تارة وبالنعم أخرى فنظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقطع كما قال طي بن أبي ملحمة عن ابن عباس وبلواكم يقول بئسكم بالسر والخرقة بالسر والخفاء والصحة والسقم والغنى وال فقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال وقوله (والإنارتجون) أى فنجازيك بأعمالكم

(وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَن يَخُذُوا أَهْلًا الَّذِي بُذِرَ لَهُمْ يَوْمَ تُبْحَرُ السُّفُنُ فَأَذَانٌ لِّلْغَايَةِ لَهُمْ فِيهَا مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ) ١٠٠

هُم كَافِرُونَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ ۚ سَآوَرِكُمْ ءَآيَتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه (وَإِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْنَكَ الْمُرْسَلِينَ بِآيَاتِنَا أَنْتَبِهُوا إِنَّا يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَاتَّبِعْ أَمْرَهُمْ وَلَا تُقْلَبْ وَجْهَكَ لِطَوَافِهِمْ يَحْزَنُوا) (النمل: ٢٤) أي استمعوا لآيات الله التي أرسلنا بها الرسل إليكم، فليعلموا أن الله تعالى يمدح نفسه دائماً بالليل والنهار، فليتبعوا أمرهم ولا يلقوا بوجوههم في طوافهم، فليحزنوا.

الخالق فلما أحيا الروح عليه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا محمد بن علقمة بن وقاص الليثي عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن صلى - وقضى أصابه قائلها - إلا أعطاه إياه » قال أبو سلمة فقال عبد الله بن سلام قد عرفت تلك الساعة هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة وهي التي خلق الله فيها آدم قال الله تعالى (خلق الإنسان من عجل سائرهم آياتي فلا تستعجلون) والحكمة في ذكر عجلة الإنسان ههنا أنه لا ذكر للستينين بالرسول صلات الله وسلامه عليه وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت ذلك فقال الله تعالى خلق الإنسان من عجل لأنه تعالى على الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته يؤجل ثم يعجل وينظر ثم لا يؤخر ولهذا قال (سائرهم آياتي) أي قضي وحكمي واتقار على من عصاني (فلا تستعجلون)

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * لَوْ يَسْمَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُونُونَ عَنْ وُجُوهِهُمْ أَنْنَارٌ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يَنْصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾

يخبر تعالى عن الشركين أنهم يستعجلون أيضا بوقوع العذاب بهم تكذيبا وجعودا وكفرا وعنادا واستبعادا فقال (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) قال الله تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكونون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) أي لو يتقنوا أنها واقعة بهم لا محالة لا استعجلوا . ولو يعلمون حين ينشاهم العذاب من قوتهم ومن تحت أرجلهم (لهم من قوتهم ظلم من النار ومن تحتهم ظلم) (لهم من جهنم ما دون قوتهم غواش) وقال في هذا الآية (حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) وقال (سائرهم من قطران وتضي وجوههم النار) فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم (ولا هم ينصرون) أي لا ناصر لهم كما قال (وما لهم من الله من واثق) وقوله (بل تأتيتهم بغتة) أي (تأتيتهم النار بغتة) أي نساء (فتبهم) أي تنعهم فيستدلون لها حائرين لا يدرون ما يستعملون (فلا يستطيعون ردها) أي ليس لهم حيلة في ذلك (ولا هم ينظرون) أي ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة

﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلِهِ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَّأُوا إِلَيْهِ الَّذِينَ سَخَرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * قُلْ مَنْ يَكْلَأُ كُرْمَ الْبَالِيلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ * أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ يُلْقُونَ ﴾

يقول تعالى مسلما لرسوله عما آذاه به الشركون من الاستهزاء والتكذيب (ولقد استهزىء برسلي من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزون) يعني من العذاب الذي كانوا يستبعدون وقوعه كما قال تعالى (ولقد كذبتم ورسلي من قبلك فصرروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله) ولقد جاءهم نبال الرسلين) ثم ذكر تعالى نعمته على عبده في حفظه لهم بالليل والنهار وكلايته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام فقال (قل من يكذبكم بالليل والنهار من الرحمن) أي يدل الرحمن يعني غيره كما قال الشاعر

جلية لم تلبس الرقبا ولم تلق من البقول القسقا

أي لم تلق بدل البقول القسقا وقوله تعالى (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أي لا يمتثلون بنعمة الله عليهم وإحسانه إليهم بل معرضون عن آياته وآلائه ثم قال (أم لهم آلهة تمنعهم من دونا) استفهام إنكار وتوبيخ وتوبيخ أي ألهة تمنعهم وتكادهم غيرنا ؟ ليس الأمر كما توهموا لا ، ولا كما زعموا ولهذا قال (لا يستطيعون نصر أنفسهم) أي

هذه الآلة التي استندوا إليها غير الله لا يستطيعون نصر أنفسهم وقوله (ولا هم منا يصحبون) قال الموفى عن ابن عباس
ولا هم منا يصحبون أى يجارون وقال قتادة لا يصحبون من الله غير وقال غيره ولا هم منا يصحبون بمعنىون
﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْمُرُّ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا قَائِمُ الْأَرْضِ نَنْقُصُهَا مِنْ أَغْرَافِهَا
أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ • قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالرَّحْمَةِ وَلَا يَنْصَحُ الْمَرْءُ الْأَعْمَى إِذَا مَا يُنذَرُونَ • وَلَكِنْ مَسَّحَتْهُمْ قَسََّةٌ
مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لِيَقُولُوا يَوْمَئِذٍ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ • وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾

يقول تعالى عبرا عن الشركين إنما غرهم وحلهم على ما هم فيه من الضلال أنهم متموا في الحياة الدنيا ونسوا
وطال عليهم العمر فيها هم فيه فاعتقدوا أنهم على شيء ثم قال واعظالم (أفلا يرون أننا قائم الأرض نقتصمها من
أطرافها) اختلف للسرور في معناه وقد أسلفناه في سورة الرعد وأحسن ما قسر بقوله تعالى (ولقد أهلكناكم بالويل
من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) وقال الحسن البصري يبنى بذلك ظهور الإسلام على الكفر والبنى أفلا
يشعرون بنصر الله لأوليائه على أعدائه وإهلاك الأمم للكذبة والقرى الظالمة وإنيما له ليهاد للمؤمنين ولهذا قال
(أنهم الغالبون) يبنى بل هم للقبور الأسمفون الأخسرون الأذلون وقوله (قل إنما أندركم بالرحمة) أى إنما أنا مبلغ
عن الله ما أندركم به من العذاب والتكال ليس ذلك إلا عما أوحاه الله إلى ولكن لا يبعدى هذا عن معنى الله
بصيرته وختم على سمعه وقلبه ولهذا قال (ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون) وقوله (ولئن مسستهم شدة من عذاب
ربك ليقولوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين) أى ولئن مس هؤلاء الكذابين أدنى شيء من عذاب الله ليعترفوا بذنوبهم
وأهم كانوا ظالمين أنفسهم في الدنيا وقوله (ونضع للموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) أى ونضع
للموازين العدل ليوم القيامة ، الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد وإنيما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه ، وقوله
(فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) كما قال تعالى (ولا يظلم ربك أحدا)
وقال (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة بضاعفها ويؤت من لده أجر عظما) وقال لقمان (يا بني إنما إن تك
مثقال حبة من خردل فتشك في صحرة أوفى السموات أوفى الأرض بأث بها الله إن الله لطيف خبير) وفي الصحيحين
عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن
ليث بن سعد عن عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحبلى قال سمعت عبد الله بن عمرو بن الماس يقول : قال رسول الله
صلى الله عليه وعلى وسلم « إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمته على رموس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه
تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أمتك من هذا شيئا ؟ أظلمت كتيبتي الحافظون ؟ قال لا يارب قال
أظلمت عذر أو حسنة ؟ قال فهت الرجل يقول لا يارب فيقول بل إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم
فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول أحضروه فيقول يارب ما هذه
البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات
وتقلت البطاقة قال ولا يظلم شيء مع يسم الله الرحمن الرحيم ^(١) » ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث الليث بن سعد
وقال الترمذى حسن غريب وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لمية عن عمرو بن يحيى عن أبي عبد الرحمن
الحبلى عن عبد الله بن عمرو بن الماس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى
بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيها بل به الميزان قال فيبث به إلى النار قال فإذا أدير به إذا صاح

من عند الرحمن عز وجل يقول لا تجعلوا فاته قد جرى له فيؤتى بطلاقة فيها لا إله إلا الله توضع مع الرجل في كفة حتى يميل به لليزان » وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا أبو نوح مراراً أننا رأينا لث بن سعد عن مالك بن أنس عن الزهري عن عروة عن عائشة أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبوني ويخونوني ويسمونني وأضرهم وأغتمهم فكيف أنا منهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فإن كان عقابك إياهم خسر ذنوبهم كان كفافاً لك ولا عليك وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتصر لهم منك الفضل الذي بقي قبلك » فجعل الرجل يكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف فقال رسول الله ﷺ « ما له لا يقرأ كتاب الله (ونضع للوازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) » فقال الرجل يا رسول الله ما أجد شيئاً خيراً من فراق هؤلاء - يعني عبده - إني أشهدك أنهم أحرار كلهم

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْفُرْقَانَ وَضَيْأَ ذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ • الَّذِينَ يُخَشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ • وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكَةٍ أَنْزَلْنَاهُ لَكَ مُسْكِرُونَ ﴾

قد تقدم التنبيه على أن الله تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى وعهد صلوات الله وسلامه عليهما وبين كتابهما ولهذا قال (وقد آتينا موسى وهارون الفرقان) قال مجاهد يعني الكتاب وقال أبو صالح التوراة وقال قتادة التوراة حلالتهم وحرامها وما فرق الله بين الحق والباطل والهدى والضلال والحق والرشاد والحلال والحرام وعلى ما يحصل نوراً في القلوب مشتملة على التفرقة بين الحق والباطل والهدى والضلال والحق والرشاد والحلال والحرام وعلى ما يحصل نوراً في القلوب وهداية وخوف وإثابة وخشية ولهذا قال (الفرقان وضياء وذكر للشعبي) أي تذكيراً لهم وعظة ، ثم وصفهم فقال (الذين يخشون ربهم بالغيب) كقوله (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) وقوله (إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) (وهم من الساعة مشفقون) أي خائفون وجلون ، ثم قال تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) يعني القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (أنعمت له منكرتون) أي أتفكرتونه وهو في غاية الجلاء والظهور ؟

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ حَالِينَ • إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الْقَوْمُ يَأْتِي السَّحَرَاءَ لَهَا شَيْكُورٌ • قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبْدِينَ • قَالَ قَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ الْقَائِلِينَ • قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنْ الشَّاهِدِينَ ﴾

يخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه آتاه رشده من قبل أي من سفره إليه الحق والحجة على قومه كما قال تعالى (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال آية له في السرب وهو رضيع وأنه خرج به بعد أيام فظهر إلى الكوكب والمناجيات فتبصر فيها وما قصه كثير من القسرين وغيرهم فقامتا أحاديث بين إسرائيل فما وافق الحق مما أبدينا عن الصلوة قبلناه لموافقته الصحيح وما خالف شيئاً من ذلك رددناه وما ليس فيموافق ولا مخالفة لا نصدق ولا نكذب بل نجعله وقفاً وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له بما يتفق به في الدين ، ولو كانت فائدته تجود في للكافرين في دينهم لبيته هذه التسمية الكاملة الشامة ، والذي نسلكه في هذا التفسير الاعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية

لما فيها من تنذير الزمان ولما اشتعل عليه كثير منها من الكذب الروح عليهم فاتهم لافترقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ للفقهاء من هذه الأمة. وللقصود منها أن الله تعالى أخبر أنه قد آتى إبراهيم شدة من قبل أي من قبل ذلك وقوله (وكنا به طالين) أي وكان أهلا لذلك ، ثم قال (إذ قال لا يدعو قومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها كفون هذا هو الرشد الذي أوتيته من صغره الأنكار على قومه في عبادة الأصنام من دون الله عز وجل فقال (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) أي متكفون في عبادتها قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا سعيد ابن طريف عن الأصم بن نباتة قال: مر على رضى الله عنه على قوم يلعبون بالشرط يخ قال ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون لأن يمس أحدكم حجرا أحرق بطعامه من أن يمسها (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) لم يكن لهم حجة سوى ضيق آياتهم الضلال ولهذا قال (لقد كنتم أنتم ولآباؤكم في ضلال مبين) أي الكلام مع آباءكم الذين احتجبتهم بصنيعهم كالسلام معكم فأنتم وهم في ضلال على غير الطريق المستقيم ، فلما سفه آحلامهم وضل آباءهم واحترق آياتهم (قالوا أجتنا لحاق أم أنت من اللاعنين) يقولون هذا الكلام الصادر عنك قوله لا هنا وعقابه فإنا لم نسمع به قبلك (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن) أي ربكم الذي لا إله غيره وهو الذي خلق السموات والأرض وماحوت من الخلق والذى ابتدأ خلقهن وهو الخالق لجميع الأشياء (وأنا على ذلكم من الشاهدين) أي وأنا أشهد أنه لا إله غيره ولا رب سواه

(وَتَاللَّهِ لَا يَكِيدَنَّا صُنْمُكُمْ بَدَّ أَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ • فَجَعَلَهُمْ جَذَآءًا إِذَا لَا كَيْدَ لَهُمْ لَعْنَهُمُ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ •)
قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِنَا لِهَيْتَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ • قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ • قَالُوا فَأَتَوْا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعْنَهُمْ يَنْهَدُونَ • قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِنَا لِهَيْتَا يٰإِبْرَاهِيمُ • قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْتَأْذِنُوا لِي لَئِنْ كَانُوا يَظْعِقُونَ •)

ثم أقسم الخليل قباأصمه بعض قومه ليكيدن أصنامهم أي ليحرقن على أذاهم وتكسبرهم بعد أن يولوا مدبرين أي إلى عيدهم وكان لهم عيد يخرجون إليه ، قال السدي : لما اقترب وقت ذلك العيد قال أبوه يابى لو خرجت معنا إلى عيدنا لآعجبك ديننا فخرج معهم ، فلما كان ببعض الطريق أتى نفسه إلى الأرض وقال إنى سقيم فجاؤا بمرور عليه وهو صريع فيقولون : مه فيقول إنى سقيم فلما جاز عامتهم وبقي ضفائهم قال (تالله لا يكيدن أصنامكم) فسمعه أولئك : وقال ابن إسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله قال : لما خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم مروا عليه فقالوا يا إبراهيم ألا تخرج معنا ؟ قال إنى سقيم وقد كان بالأسى قال (تالله لا يكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) فسمعه ناس منهم وقوله (فجعلهم جذاء) أي حطاما كسرهما كلها إلا كبيرا لهم يبقى إلا الصنم الكبير عندهم كما قال (فراغ عليهم ضربا باليمين) وقوله (لعلمهم إليه يرجعون) ذكرو أنه وضع القدم في يد كبيرهم لعلمهم يتقدون أنه هو الذى ظار نفسه وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار فكسرها (قالوا من فعل هذا بالهيتا إنه من الظالمين) أي حين رجوا وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإهانة والاذلال الدال على عدم إلهيتها وعلى سخافة عقول عابديها (قالوا من فعل هذا بالهيتا إنه من الظالمين) أي فى صنيعه هذا (قالوا سمعنا فتى يذكركم يقال له إبراهيم) أي قال من ممه يحلف إنه ليكيدنهم سمعنا فتى أى شاباً يذكركم يقال له إبراهيم ، قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن منصور حدثنا جرير بن عبد الحميد عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : ما بعث الله نبيا إلا شاباً ولا أوق العلم عالم إلا وهو شاب وتلا هذه الآية (قالوا سمعنا فتى يذكركم يقال له إبراهيم) . وقوله (قالوا فأتوا به على أعين الناس) أى على رؤوس الأشهاد فى اللأ الكبر بحضرة الناس كلهم وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم عليه السلام أن يبين فى هذا الحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقولهم فى عبادة هذه الأصنام التى لا تدفع عن شمسها ضرا ولا تملك لها نصرا فكيف يطلب منها شيء من

ذلك ؟ (قالوا أنت قلت هذا بالهتاء إبراهيم قال بل فله كيرم هذا) يعني الذي تركه لم يكبره (فسألوه إن كانوا ينطقون) ولما أراد بهذا أن يادروا من تلقاء أنفسهم فيشرفوا أنهم لا ينطقون وأن هذا لا يصدر عن هذا الصم لأنه جهاد . وفي الصحيحين من حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن إبراهيم عليه السلام لم يكتب غير ثلاث : تثني في ذات الله قوله (بل فله كيرم هذا) وقوله (إني سقيم) - قال وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة ومعه سارية إذ نزل منزلاً فأقْبَى الجبار رجل قتال إنه قد نزل ههنا رجل بأرضك معه امرأة أحسن الناس فأرسل إليه فجاه قتال ما هنه للراءة منك قال أخى قال فذهب فأرسل بها إلي ، فانطلق إلى سارة فقال إن هذا الجبار قد سألني عنك فأخبرته أنك أخى فلا تكذبيني عنده فانك أخى في كتاب الله وإنه ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك ، فانطلق بها إبراهيم ثم قام يسى ، فلما أن دخلت عليه فرأها أهوى إليها فتناولها فأخذ أخذ شديداً فقال ادعى الله لي ولا أضرك ، فدعت له فأرسل فأهوى إليها فتناولها فأخذ بثلبها أو أود فعل ذلك الثالثة فأخذ فذكر مثل الرتين الأولين قال ادعى الله فلا أضرك فدعت له فأرسل ثم دعا أدنى حبابه فقال إنك لي تأتني إنسان ولكنك أيتني بيطان أخرجهما وأعطيها هاجر . فأخرجت وأعطيها هاجر فأقبلت ، فلما أحس إبراهيم بمجيئها اقتلعت من صلاته وقال لهم قالت كفى الله الكفار القابجر وأخذني هاجر » قال محمد بن سيرين فكان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث قال تلك أمكم يا بني ماء البهائم

(فَرَجَوْا إِلَى أَهْلِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ • ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ • قَالَ أَتَقْبِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفَلَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ)

يقول تعالى خبراعن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال (فرجوا إلى أهلهم) أي بالامانة في عدم احترامهم وحراستهم لأهلهم فقالوا (إنكم أنتم الظالمون) أي في ترككم لها مهمة لا حافظ عندها (ثم نكسوا على رؤوسهم) أي أنهم أطرقوا في الأرض فقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) قال قتادة أدركت القوم حيرة سوء فقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) وقال السدي (ثم نكسوا على رؤوسهم) أي في الفتنة وقال ابن زيد أي في الرأي وقول قتادة أظهرني للمنى لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزاً ولهذا قالوا له (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف تحول لنا سلوم إن كانوا ينطقون وأنت تعلم أنها لا تنطق فندعها قال لهم إبراهيم لما اعترفوا بذلك (أتقبدون من دون الله مالا ينفك شيئاً ولا يضركم) أي إذا كانت لا تنطق وهي لا تنفع ولا تضر فلم تصدونها من دون الله (أف لكم ولما تصدون من دون الله أفلا تتقون) أي أفلا تدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الفيلظ الذي لا يروج إلا على جاهل ظالم فاجر . فأقام عليهم الحجة وأزعمهم بها ولهذا قال تعالى (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) الآية

(قَالُوا خَرُّوا وَأَنْصَرُوا لِأَهْلِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَٰلِينَ • قُلْنَا يَبْنَؤُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَكَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ • وَأَزَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ)

لما دحضت حجتهم وبأن عزمهم وظهر الحق واندهج الباطل عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم فقالوا جرقوه وانصروا أهلكم إن كنتم فاعلمين فجمعوا حطباً كثيراً جدا ، قال السدي حتى إن كانت للراءة تحرض فتندرن عنوقيت أن تحمل حطباً لحرق إبراهيم ثم جعلوه في جوبة من الأرض وأضرموها تارافكان لها شر عظيم ولهب مرشح لم توقد تاراقط مثلها رجعاوا إبراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب من فارس الأكراد ، قال شبيب الجبالي

استمعتن فنفس الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة قلنا آتوه قال: حسبي الله ونعم الوكيل كما رواه البخاري عن ابن عباس أنه قال: حسبي الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين أتى في النار وقالما عهد عليها السلام حين قالوا إن الناس قد جمروا لكم لاختشوم فزادهم إيماناً وقالوا حسبتا الله ونعم الوكيل وروى الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو هشام حديثاً يسحق بن سلمان عن أبي جعفر عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « لما أتى إبراهيم عليه السلام في النار قال اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك » وروى أنه لما جعلوا يوقونه قال: لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ، وقال شعيب الجبائي كان عمره إذ ذاك ست عشرة سنة والله أعلم وذكر بعض السلف أنه عرض له جبريل وهو في الهواء فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وأما من الله فبلى ، وقال السعيد بن جبير وروى عن ابن عباس أيضاً قال لما أتى إبراهيم جعل خازن للطر يقول متى وأما من الله فأرسله قال فكان أمر الله أسرع من أمره قال الله (يا نارك كونى برداً وسلاماً على إبراهيم) قال لم يبق نار في الأرض إلا فطشت وقال كعب الأحبار لم ينفذ أحد يومئذ بنار ولم تحرق النار من إبراهيم سوى وثاقه وقال الثوري عن الأعمش عن شيخ عن علي بن أبي طالب (قلنا يا نارك كونى برداً وسلاماً على إبراهيم) قال لا تضربه وقال ابن عباس وأبو العالقة لولا أن الله عز وجل قال وسلاماً لأذى إبراهيم بردها ، وقال جوير عن الشعاك كونى برداً وسلاماً على إبراهيم قالوا صنوا له حظيرة من حطب جزل وأشعلوا فيه النار من كل جانب فأصبح ولم يصب منها شيء حتى أخذها الله فقال ويذكرون أن جبريل كان معه يسوع وجهه من العرق فلم يصب منها شيء غير ذلك وقال السدي كان معه فيها ملك الظل

وقال علي بن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا يوسف بن موسى حدثنا مهران حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن الثعالبي بن عمر قال أخبرني أن إبراهيم أتى في النار قال فكان فيها إما خسين وإما أربعين قال ما كنت أياها وليالي قط أطيب عيشاً إذ كنت فيها وددت أن عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كنت فيها ، وقال أبو زرعة بن عمرو ابن جرير عن أبي هريرة قال إن أحسن شيء قال أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار وجده يرشح جبينه قال عند ذلك نعم الرب ربك يا إبراهيم وقال قتادة لم يأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار ، إلا الوزغ وقال الزهري أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله ومما فوسقا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثني حمى حدثنا جرير بن حازم أن نافعا حدثه قال حدثني مولاة النافكة بن لثيرة الخزرجي قالت دخلت على عائشة فرايت في يديها رمحا فقلت يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا الرمح ؟ قالت قتل به هذه الأوزاغ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن إبراهيم حين أتى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفيء النار غير الوزغ فانه كان ينفذ على إبراهيم » فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله ، وقوله (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين) أي المتلويين الأسفلين لأنهم أرادوا بني الله كيدا فكادهم الله ونجاهم من النار فقلبوا هناك ، وقال عطية العوفي لما أتى إبراهيم في النار جاء ملكهم لينظر إليه فطارت شرارة فوقت على إسماعيل فأحرقته مثل الصوفة

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَبْدُونَ بِآمَرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَنَلَّ الْخَبَرَاتِ وَهَلَّمَ الصَّلَاةَ وَاتَّقَا الزُّكُورَ وَكَانُوا لَنَا عِبِيدِينَ * وَلَوْ مَا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرَارَةِ الَّتِي كَانَتْ تَمْسَلُ الْخَبِيثَاتِ إِلَيْهِمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فُتِين * وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

يقول تعالى ضراب عن إبراهيم أنه سلمه القمن نار قومه وأخرج من بين أظهرهم مهجرا إلى بلاد الشام إلى الأرض

القدس منها . قال الربيع بن أنس عن أبي العالقة عن أبي بن كعب في قوله (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) قال الشام وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت السفرة وكذا قال أبو العالقة أيضاً وقال قتادة كان بأرض العراق فأجاب الله إلى الشام وكان يقال يقال أعقار حار الهجرة وما نص من الأرض زيد في الشام وما نص من الشام زيد في فلسطين ، وكان يقال هي أرض المحشر وللشعر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك للشيخ السجالي ، وقال كعب الأجر في قوله (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) إلى حران وقال السدي انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام فلقى إبراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وقد طمنت على قومها في دينهم فتزوجها على أن يغربها ، رواه ابن جرير وهو غريب وللشهور أنها ابنة عمه وأنه خرج بها مهاجراً من بلاده ، وقال العوفي عن ابن عباس إلى مكة ألا تسمع إلى قوله (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً) وقوله (ووجهنا له إسحاق ويعقوب نافلة) قال عطاء ومجاهد عطية ، وقال ابن عباس وقادة والحكم بن عتبة النافلة ولد الولد يعني أن يعقوب ولد إسحاق كما قال (فبشرناهما بإسحاق ومن وراء إسحق يعقوب) وقال عبد الله بن جبر بن زيد بن أسلم سألت واحدا فقال (رب هب لي من الصالحين) فأعطاه الله إسحق وزاده يعقوب نافلة (وكلا جعلنا صالحين) أي لجميع أهل خير وصلاح (وجعلناهم أئمة) أي يقتدى بهم (يهودنا بأمرنا) أي يدعون إلى الله بإذنه ولهذا قال (وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) من باب عطف الحاصل على العام (وكانوا لنا عابدين) أي فاعلين لا يأمرون الناس به ثم عطف بذكر لوط وهو لوط بن هاران بن أزر كان قد آمن بإبراهيم عليه السلام وأتبعه وهاجر معه كما قال تعالى (فآمنوا له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي) فآناه الله حكما وعلما وأوحى إليه وجهه نبيا وبشته إلى سدوم وأعمالها فخالقوه وكذبوه فأهلكهم الله ودمر عليهم كما قص خبرهم في غير موضع من كتابه العزيز ولهذا قال (ونجيناه من الغمر التي كانت تعمل الخبايا إنيهم كانوا قوم سوء فاسقين) وأدخلناه في رحمته إني من الصالحين)

﴿ وَثَوَّاعًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ • وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّمَا كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

غير تعالى عن استجابه لبعده ورسوله نوح عليه السلام حين دعا على قومه لما كذبوه (فدعا به أي مغلوب فانتصر) وقال نوح (رب لا تنذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) ولهذا قال ههنا (إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله) أي الذين آمنوا به كما قال (وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) وقوله (من الكرب العظيم) أي من الشدة والتكذيب والأذى فإنه لبث فيهم أنفسهم إلا حسين لما يدعوهم إلى الله عز وجل فلم يؤمن به منهم إلا القليل وكانوا يصدون لأذاه ويتواسون قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل على خلته ، وقوله (ونصرناه من القوم) أي ونجيناه وخلصناه منتصراً من القوم (الذين كذبوا بآياتنا إنيهم كانوا قوماً سوءاً فأغرقناهم أجمعين) أي أهلكهم الله بامة ولم يبق على وجه الأرض منهم أحد كما دعا عليهم نبيهم

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ عَمَلَا فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَثَ فِيهِمْ غَمٌّ الْقَوْمِ وَلَكِنْ إِصْرَيْنَا مُبْتَلِينَ • وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِهَا مِنْ هَمِّهَا وَلَقَدْ عَلَّمْنَاهُ لَقِيسَ سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ • وَعَلَّمْنَاهُ صَمُوعَ لَقِيسَ لَكُمْ لِيُخَصِّصَكُمْ مِنْ بَيْنِكُمْ فَعَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ • وَلَوْلَا تَعَيْنَ الرَّبِّ حَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي

بِرَّكَدَا فِيهَا وَكَدَا بِكُلِّ مَيِّءٍ عَلَيْهِنَ * وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَمُوصُونَ لَهُ وَيَمْلُوكُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكَدَا

لَهُمْ خَفِيفِينَ ﴿

قال ابن إسحاق عن مرة عن ابن مسعود كان ذلك الحارث كرما قد تدلت عنا قيده ، وكذا قال شريح وقال ابن عباس النقي الرعي ، وقال شريح والزهرى وقناة ، النقي لا يكون إلا بالليل زاد قتادة والمسل بالنهار وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصم قالا حدثنا الحارثي عن أشعث عن أبي إسحق عن مرة عن ابن مسعود في قوله (وداود وسليان إذ يحسبان في الحارث إذ تفت في غم القوم) قال كرم قد أنبت عنا قيده فأفسدته قال قفني داود بالنم صاحب الكرم فقال سليمان غير هذا ياني الله قال وماذا قال تدفع الكرم إلى صاحب النم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع النم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا كُنَّ الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه ودفعت النم إلى صاحبها فذلك قوله (ففهناها سليمان) وكذا روى العوفي عن ابن عباس وقال حماد بن سلمة عن طي بن زيد حدثنا خليفة عن ابن عباس قال قضى داود بالنم لأصحاب الحارث فخرج الرعاء معهم الكلاب فقال لهم سليمان كيف قضى بينكم فأخبروه فقال لو وليت أمركم لقضيت بغير هذا فأخبر بذلك داود فدعا فقال كيف قضى بينهم ؟ قال أدفع النم إلى صاحب الحارث فيكون له أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافها ويسذر أصحاب النم لأهل الحارث مثل حرثهم فإذا بلغ الحارث الذي كان عليه أخذه أصحاب الحارث وردوا النم إلى أصحابها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا خديج عن أبي إسحاق عن مرة عن مسروق قال الحارث الذي تفت فيه النم إنما كان كرما فلم تدع فيه ورقة ولا عقوداً من عنب إلا أكلته فأثما داود فأعطاهم رقابها فقال سليمان لا بل تؤخذ النم فيعطاهم أهل الكرم فيكون لهم لبنها ونعما ويمطى أهل النم الكرم فيعمروه ويصلحوه حتى يعود كالذي كان ليله تفت فيه النم ثم يملأ أهل النم غنهم وأهل الكرم كرمهم وهكذا قال شريح ومرة ومجاهد وقناة وابن زيد وغير واحد وقال ابن جرير حدثنا ابن أبي زياد حدثنا يزيد بن هارون أن أبا إسحاق عن طاهر قال جاء رجلان إلى شريح فقال أحدهما إن شيا هذا قطعت غزلا لي فقال شريح نهاراً أم ليلا فإن كان نهاراً فقد برى صاحب الشيا وإن كان ليلا فقد ضمن ثم قرأ (وداود وسليان إذ يحسبان في الحارث) الآية وهذا الذي قاله شريح شيهياً رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن الزهرى عن حرام بن سعد بن محبصة أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائطاً فأفسدت فيه قضى رسول الله ﷺ على أهل الحوائط حفظها بالنهار وما أفسدت اللواشي بالليل ضامن على أهلها ، وقد علل هذا الحديث وقد بسطنا الكلام عليه في كتاب الأحكام والله التوفيق ، وقوله (ففهناها سليمان وكلا أتينا حكا وعما) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن حميد أن إياس بن معاوية لما استفتى أمه الحسن فيكي فقال مايكيك ؟ قال يا أبا سعيد بلغني أن القتاة رجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل مال بالهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة فقال الحسن البصري إن فيها قس الله من نبي داود وسليان عليهما السلام والأنبياء حكما يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم قال الله تعالى (وداود وسليان إذ يحسبان في الحارث إذ تفت في غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين) فأنى الله على سليمان ولم يذم داود ثم قال يعني الحسن إن الله اتخذ على الحكم ثلاثا لا يشترها به ثمناً قليلا ولا يتبعوا فيه الهوى ولا يخشوا فيه أحدا ثم تلا (يادادو إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) وقال (فلا تخشوا الناس واخشوني) وقال (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا) قلت أما الأنبياء عليهم السلام فكلهم معصومون مؤيدون من الله عز وجل وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد

فأخطأ فلأجر » فهذا الحديث يرد نصا مانوهم إلياس من أن القاضي إذا اجتهد فأخطأ فهو في النار والله أعلم ، وفي السنن :
القضاء ثلاثة قاض في الجنة وقاضيان في النار ، رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل حكم بين الناس على جهل
فهو في النار ، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار وقريب من هذه القصة المذكورة في القرآن مارواه الإمام أحمد
في مسنده حيث قال حدثنا علي بن حفص أخبرنا وراق عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله
ﷺ « بيننا امرأتان معهما ابناهما إذا جاء الدين فأخذ أحد الابنين فتحا كفتا إلى داود قضى به للسكري فخرجتا
فدعاهما سليمان فقال هاتوا السكين أشق بينكما فقالت الصغرى يرحمك الله هو ابنها لا تشقه قضى به للصغرى » وأخرجه
البخاري ومسلم في صحيحهما وبوب عليه النسائي في كتاب القضاء « باب الحاكم يوم يحكم خلاف الحكم ليستلم الحق » وهكذا
القصة التي أوردتها الحافظ أبو القاسم ابن عساکر في ترجمة سليمان عليه السلام من تاريخه من طريق الحسن بن سفيان
عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشر عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس فذكر قصة مطولة ملخصها
أن امرأة حسناء في زمان بن إسرائيل راودها عن نفسها أربعة من رؤسائهم فاستمتت على كل منهم فافتقوا فيها بينهم عليها
فشهدوا عند داود عليه السلام بأنها مكنت من نفسها كلياً لها قد عودته ذلك منها فأمر برجمها فلما كان عشية ذلك اليوم
جلس سليمان واجتمع معه ولدها من مثله فانتصب حاكما وتزيا أربعة منهم بزي أولئك وآخر بزي المرأة وشهدوا عليها
بأنها مكنت من نفسها كلها فقال سليمان فرقوا بينهم فسأل أولهم ما كان لون السكب فقال أسود فمزله واستدعى الآخر
فسأله عن لونه فقال أحمر وقال الآخر أغشى وقال الآخر أبيض فأمر عند ذلك بقتلهم فسكنى ذلك لداود عليه السلام
فاستدعى من فورده بأولئك الأربعة فسألهم متفرقين عن لون ذلك السكب فاختلقوا عليه فأمر بقتلهم وقوله (وسخرنا
مع داود الجبال يسبحن والطير) الآية وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور وكان إذا ترم به تهب الطير في الهواء
فتجاوبه وترد عليه الجبال تأويها ولهذا لما مر النبي صلى الله عليه وسلم على أبي موسى الأشعري وهو يتلو القرآن من
الليل وكان له صوت طيب جدا فوقف واستمع لقراءته . وقال أبو عبيان التدي صامت صوت صنيح ولا يربط ولا مزمار
يارسول الله لو علمت أنك تسبح لحبرته لك تحميرا . وقال أبو عبيان التدي صامت صوت صنيح ولا يربط ولا مزمار
مثل صوت أبي موسى رضى الله عنه ، ومع هذا قال عليه الصلاة والسلام « لقد أوقى مزماراً من مزمار آل داود »
وقوله (وعلمناه صنعة لبوس لكم لنحسننكم من بأسكم) يعني صنعة البرقع قال قتادة إنما كانت البرقع قلبه صفائح
وهو أول من سردها حلقا كما قال تعالى (وألنا له الحديد أن يعمل سبائك وقدرة في السرد) أي لاتوسع الحلقة فتقلق
للسبابة ولا تنلظ للسبار فقد الحلقة ولهذا قال (لنحسننكم من بأسكم) يعني في القتال (فهل أنتم شاكرون) أي نعم
الله عليكم لما ألهم به عبده داود فعله ذلك من أجلكم وقوله . (وسليمان الريح عاصفة) أي وسخرنا سليمان الريح
العاصفة (نجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها) يعني أرض الشام (وكنا بكل شيء عالمين) وذلك أنه كان له بساط
من خشب يوضع عليه كل ما يحتاج إليه من أمور المملكة والحيل والجمال والحياض والجند ثم يأمر الريح أن تحمله
فتدخل تحت ثم تحمله وترفضه وتسير به وتظله الطير تحيه الحر إلى حيث يشاء من الأرض فيزل وتوضع آلاته وحشمه
قال الله تعالى (فسخرنا له الريح نجري بأمره رخاء حيث أصاب) وقال تعالى (غدوها شهر ورواحها شهر) قال ابن
أبي حاتم ذكر عن سفيان بن عيينة عن أبي سنان عن سعيد بن جبير قال كان يوضع لسليمان سبائة ألف كرسى فيجلس
مما يليه مؤمنو الإنس ثم يجلس من ورائهم مؤمنو الجن ثم يأمر الطير فتظلم ثم يأمر الريح فتحملهم صلى الله عليه
وسلم وقال عبدالله بن عبيد بن حمير كان سليمان يأمر الريح فتجتمع كالطود العظيم كالجبل ثم يأمر الريح فيوضع على
أعلى مكان منها ثم يدعو بفرس من ذوات الأجنحة فيرعى حتى يصعد على فراشه ثم يأمر الريح فتضع به كل شرف
دون السماء وهو مطأطأ . وأمه ما يلتفت بينا ولا شملا تعظما لله عز وجل وشكرا لما يعلم من صغرها هو في ملك الله
عز وجل حتى تنفض الريح حيث شاء أن تنفضه وقوله (ومن الشياطين من ينصرون له) أي في بلاد يستخرجون اللائق
والجواهر وغير ذلك (وسملون عملا دون ذلك) أي غير ذلك كما قال تعالى (والشياطين كل بناء وغواص وآخرين

مقرنين في الأسفاد) وقوله (وكنانهم حافظين) أي يحرسه الله أن يتاله أحد من الشياطين بسوء بل كل في قبضته وتحت قهره لا يتجاسر أحد منهم على الدنو إليه والقرب منه بل هو يحكم فيهم إن شاء أطلق وإن شاء حبس منهم من يشاء ولهذا قال (وآخرين مقرنين في الأسفاد) .

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّيْتُ الْفُرَّ وَآتَىٰ أَرْجَمَ الْأَرْحَامِ ۖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَ غُرَى الْمَعْدِنِ ۖ ﴾

يذكر تعالى عن أيوب عليه السلام ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحشرات شيء كثير وأولاد كثيرة ومنزل مرضية فابتلى في ذلك كله وذهب عن آخره ثم ابتلى في جسده يقال بالجذام في سائر بدنه ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عز وجل حتى قاله الجليس وأقر في ناحية من البلد ولم يبق أحد من الناس يجنو عليه سوى زوجته كانت تهم بأمه ويقال إنها احتاجت فصار تخدم الناس من أجله وقد قال النبي ﷺ «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل» وفي الحديث الآخر «يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زِيد في بلاءه» وقد كان نبي أيوب عليه السلام غاية في الصبر وبه يضرب المثل في ذلك وقال يزيد بن ميسرة لما ابتلى الله أيوب عليه السلام بهضاب الأهل والمال والولد ولم يبق شيء له أحسن الذكر ثم قال : أحمدك رب الأرباب الذي أحسنت لي أعطيتني المال والولد فلم يبق من قلبي شعبة إلا قد دخله ذلك فأخذت ذلك كله مني وفرضت قلبي فليس يحول بيني وبينك شيء لو يعلم عدوى إبليس بالذي صنعت حسدي . قال فلقي إبليس من ذلك منكراً قال . وقال أيوب عليه السلام يا رب إنك أعطيتني المال والولد فلم يبق لي شيء إلا يشكوني لظلم ظلتني وأنت تعلم ذلك وإنه كان يوطأ لي الفراش فأتركتها وأقول لنفسي يا نفس إنك لم تخلفي لوطأ الفراش ما تركت ذلك إلا ابتغاء وجهك . رواه ابن أبي حاتم وقدرى عن وهب بن منبه في خبره قصة طويلاً ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه وذكرها غير واحد من متأخري القسرين وفيها غرابة تركناها لحال الطول ، وقد روى أنه مكث في البلاء مدة طويلة ثم اختلفوا في السبب للهبج له على هذا الدعاء فقال الحسن وقتبة ابتلى أيوب عليه السلام سبع سنين وأشهراً ملقى على كناسة بني إسرائيل فختلف الدواب في جسده فخرج الله عنه وأعظم له الأجر وأحسن عليه الثناء . وقال وهب بن منبه مكث في البلاء ثلاث سنين لا يزيد ولا ينقص وقال السدي تساقط لحم أيوب حتى لم يبق إلا العصب والعظام فكانت امرأته تقوم عليه وتأنيه بالرماد يكون فيه فقال له امرأته لما طال وجهه يا أيوب لودعوت ربك يخرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحاً فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة فجزعت من ذلك فخرجت فكانت تعمل للناس بالأجر وتأنيه بما تصيب قطعته وإن إبليس انطلق إلى رجلين من أهل فلسطين كانا صديقين له وأخوين فأتهما فقال أخونا أيوب أصابه من البلاء كذا وكذا فأثابه وزوره وأحلاماً مكالاً منه من خمر أرضك فانه إن شرب منه بربى فأثابه فلما نظرا إليه بكيا فقال من أتانا فقال نحن فلان وفلان فحرب بهما وقال مرجا بن لايعقوف عند البلاء ، فقالا يا أيوب لكنت تشربنا وتظهر غيره فلذلك ابتلاك الله فرفع رأسه إلى السماء فقال : هو يعلم ، ما أسررت شيئاً أظهرت غيره ولكن ربي ابتلاني لينظر أأصبر أم أجزع فقال له يا أيوب اشرب من خمرنا فانك إن شربت منه برأت قال فيضرب وقال جاركما الحديث فأمركما بهذا ؟ لا مكالاً وطعامكاً وشرباً بكيا حرام فقاما من عنده وخرجت امرأته تعمل للناس فغيزت لأهل بيت لهم مني فجعلت لهم قرصاً وكان ابنهم نائباً ففكرهوا أن يوظفوه فذهبوا لها فأثت به إلى أيوب فأفكره وقال ما كنت تاتيني بهذا فما بالك اليوم فأخبرته الخبر قال فلمأل الصبي قد استعطف قطب القرص فلم يجده فهو يبكي على أهله فانطلق به إليه فأقبلت حتى بلغت درجة القوم فنطختها شاة لهم فقالت تص أيوب الخطاء فلما سمعت وجدت الصبي قد استعطف وهو يطلب القرص ويبكي على أهله لا يقبل منهم شيئاً غيره فقالت رحمه الله يعني أيوب فدفنت إليه

القرص ورجعت ثم إن إبليس أتاها في صورة طيب فقال لها إن زوجك قد طلع سقمة فان أراد أن يرى فلأخذ ذبا
فلذ به باسم صنم بين فلان فانه يرى ويتوب به ذلك فقالت ذلك لأيوب فقال ندناك الحديث فطلى إن برأت أن أجدك مائة
جلدة فخرجت تسمى عليه فحضر عنها الرزق فصارت لاثاني أهل بيت فيريدونها فلما اشتد عليها ذلك وخافت على أيوب
الجوع حلفت من شعرها قرنا تباعته من صية من بنات الأشراف فأعطوها طعما طيبا كثيرا فأتته به أيوب فلما رآه
أنكره وقال من أن لك هذا قالت حملت لأناس فأطعموني فأكل منه فلما كان اللند خرجت فطابت أن تعمل فلم تجد
فحلفت أيضا قرنا تباعته من تلك الجارية فأعطوها أيضا من ذلك الطعام فأتته به أيوب فقال والله لأطعمه حتى أعلم من
أن هو فوضعت خمارها فلما رأى رأسها عموقا جزع جزعا شديدا فعند ذلك دعا الله عز وجل فقتله (رب إنى مسنى
الضر وأنت أرحم الراحمين) قال ابن أبي حاتم حدثنا أني حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد حدثنا أبو عمران الجوني
عن نوف البكالي أن الشيطان الذى عرج في أيوب كان يقال له ميسوط قال وكانت امرأة أيوب تقول ادع الله فيشفيك
فجعل لا يدعو حتى ربه ثم من بني إسرائيل قال بعضهم لبعض: ما أصابه، ما أصابه إلا بدب عظيم أصابه فعند ذلك قال (رب
إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) وحدثنا أني حدثنا أبو سلمة حدثنا جابر بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن حمير قال كان
لأيوب عليه السلام أخوان فجا أيوما فلم يستطعا أن يدنوا منه من ربه فقاما من بيد فقال أحدهما للآخر لو كان الله أعلم من
أيوب خيرا ما ابتلاه بهذا فجزع أيوب من قولها جزعا لم يرجع من شيء قط فقال : اللهم إن كنت تعلم أنى لم أبت ليلة قط
شبان وأنا أعلم مكان جالغ فصدقت فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال : اللهم إن كنت تعلم أنى لم يكن لي قيسان قط وأنا
أعلم مكان عار فصدقت فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال : اللهم يمتك ثم خر ساجدا فقال اللهم يمتك لأرفع رأسى
أبدا حتى تكشف عني فإرفع رأسه حتى كشف عنه ، وقدره ابن أبي حاتم من وجه آخر مرفوعا ينحوي هذا فقال أخبرنا
يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن عذرة عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال « إن بني الله أيوب لبت به بلاء ثمانى عشرة سنة فرضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه
كانا من أخس إخوانه له كانا يشدون إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه قم والله قد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه
أحد من الملائكة فقال له صاحبه وما ذاك قال منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحم الله فكيفت ما به فلما راحا إليه لم يصبر
الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب عليه السلام ما أهدى ما تحول غير أن الله عز وجل يعلم أنى كنت أمر على
الرجلين يتنازعا فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق ، قال وكان يخرج في
حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته يده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطلت عليه فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن
اركن برجلك هذا مفلس بارد وشراب » رفع هذا الحديث غريب جدا . وروى ابن أبي حاتم حدثنا أني حدثنا
موسى بن إسماعيل حدثنا حماد أخبرنا يونس بن يزيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال وأبسه الله فتنحى
أيوب فيجلس في ناحية وجأت امرأته فلم تعرفه فقالت يا عبد الله أين ذهب هذا البلى الذى كان ههنا لعل السكاب
ذهبت به أو الدواب فجعلت تسكه ساعة . فقال وهك أنا أيوب قالت أنسخرنى يا عبد الله فقال وهك أنا أيوب
قد رددت على جسدى ، وبه قال ابن عباس ورد عليه ماله وولده عيانا ومثلهم معهم ، وقال وهب بن منبه أوحى الله إلى
أيوب قد رددت عليك أملاك ومالك ومثلهم معهم فافتسل بهذا الماء فإن فيه شفاك وقرب عن صحابك قربا
واستغفر لهم فانهم قد عصى فيك . رواه ابن أبي حاتم . وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا
همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نيك عن أبي هريرة عن أنس بن مالك قال « قال الله عليه وسلم قال « للماعز الله
أيوب أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل يأخذ منه يده ويصمغه في ثوبه قال فقيل له يا أيوب أما تنسب قال يارب ومن
يشبع من رحمتك « أصله في الصحيحين وسأيت في موضع آخر . وقوله (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قد تقدم عن ابن
عبس أنه قال ردوا عليه بأعينهم وكذا رواه الموفى عن ابن عباس أيضا وروى عنه عن ابن مسعود وعجاده وبه قال
الحسن وقتادة ، وقد زعم بعضهم أن اسم زوجته رحمة فإن كان أخذ ذلك من سياق الآية فقد أبعد النجسة ، وإن كان

قال فكان له جيباً يصل ثم يصح سائماً فيقتضى بين الناس قال وله ساعة قبلها قال فكان كذلك فأثام الشيطان عند نومه فقال له أصحابه مالك ؟ قال إنسان مسكين له على رجل حق وقد غلبني عليه قالوا كما أنت حتى يستقيظ قال وهو فوق نائم قال فبجل يسبح عمداً حتى يوقظه قال فسمع فقال مالك قال إنسان مسكين له على رجل حق قال فأذهب فقل له يطعك قال قد أتى قال أذهب أنت إليه قال فذهب ثم جاء من القدر فقال مالك قال ذهبت إليه فلم يرفع بكلامك رأساً قال أذهب إليه فقل له يطعك حقا فذهب ثم جاء من القدر حين قال : قال فقال له أصحابه أخرج فقل الله بك نبي كل يوم حين ينام لا تدعه ينام قال فبجل يصيح من أجل أني إنسان مسكين لو كنت غنياً ، قال فسمع أيضاً فقال مالك قال ذهبت إليه فضربني ، قال امش حتى أجيء معك قال فهو يحسك يده فلما رآه ذهب معه فثريده منه ففر . وهكذا روى عن عبد الله بن الحارث ومحمد بن قيس وأبي حبيزة الأكبر وغيرهم من السلف نحو هذه القصة والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو الجاهر أخبرنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن كنانة بن الأخنس قال سمعت الأعمشري وهو يقول على هذا الثبر : ما كان ذو الكفل ينهي ولكن كان — يعني في بني إسرائيل — رجل صالح يصل كل يوم مائة صلاة فتكفل له ذو الكفل من بعده فكان يصل كل يوم مائة صلاة فسمي ذا الكفل ، وقد رواه ابن جرير من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : قال أبو موسى الأعمشري فذكره مقطوعاً والله أعلم ، وقد روى الإمام أحمد حديثاً غريباً فقال حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر قال : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لو لم أصحه إلا مرة أو مرتين حتى عدت سبع مرات ولكن قد سمعته أكثر من ذلك قال « كان الكفل من بني إسرائيل لا يتودع من ذنب عمله فأثمه امرأة فأعطاه ستين ديناراً على أن يبطأها فلما قدم منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أكرهتك ؟ قالت لا ولكن هذا عمل لأعمله فط وإنيما حملني عليه الحاجة قال فضمطين هذا ولم فضله قط !! ثم نزل فقال اذهبي بالله نابر ثم قال والله لا يصحى الله الكفل أبداً فأت من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه قد غفر الله للكفل » هكذا وقع في هذه الرواية الكفل من غير إضافة والله أعلم وهذا الحديث لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة وإسناده غريب ، وعلى كل تقدير فلفظ الحديث إن كان الكفل ولم يقل ذو الكفل فلفظه رجل آخر والله أعلم

﴿ وَذَٰلِ الثَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغْنِيًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَّهْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنِجِي الْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾

هذه القصة مذكورة هنا وفي سورة الصافات وفي سورة ن ، وذلك أن يونس بن متى عليه السلام بمكة الله إلى أهل قرية نينوى وهي قرية من أرض الموصل فدعاهم إلى الله تعالى فأبوا عليه وتعادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا منه ذلك وعلموا أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأناصيرهم ومواسيهم وفرقوا بين الأمهات وأولادها ثم قترعوا إلى الله عز وجل وجأروا إليه ورجعت الإبل وفصلائها ، وخارت البقر وأولادها ، وثقت القمح وستالها ، فرجع الله عنهم العذاب قال الله تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفسها ليعانيها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتنعمهم إلى حين) وأما يونس عليه السلام فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة فلبجبت بهم وخافوا أن يغرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه فوقت القرعة على يونس فأبوا أن يلقوه ثم أعادوها فوقت عليه أيضاً فأبوا ثم أعادوها فوقت عليه أيضاً قال الله تعالى (قسام فكان من اللدخنين) أي وقتت عليه القرعة قسام يونس عليه السلام وتجرد من ثيابه ثم ألقى نفسه في البحر وقد أرسل الله سبحانه من البحر الأخضر — فيها قاله ابن مسعود —

حوتاً يشق البحار حتى جاء فالتهم يونس حين ألقى نفسه من السفينة فأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحماً ولا تهشم له عظاماً فان يونس ليس لك رزقاً وإنما بطئك تكون له سجناً ، وقوله (وذا النون) يعني الحوت صحت الإضافة إليه بهذه النسبة . وقوله (إذ ذهب مغاضياً) قال الضحاك لقومه (فظن أن لن نقدر عليه) أى تضيق عليه فى بطن الحوت يروى نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم واختاره ابن جرير واستشهد عليه بقوله تعالى (ومن قدر عليه رزقه فلننقى مما آتاهم الله فلا يكلوا منها شيئاً إلا ما آتاهم * سيجل الله بعد عسر يسرا) وقال عطية الوفى أى فظن أن لن نقدر عليه أى هضى عليه كأنه جعل ذلك بمعنى التقدير فان العرب تقول قدر وقدر بمعنى واحد ، وقال الشاعر

فلا عائد ذاك الزمان الذى مضى * تباركت ما تهدر بكن ذلك الأمر

ومنه قوله تعالى (فالتقى الماء على أمر قد قدر) أى قدر وقوله (فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) قال ابن مسعود ظلمة بطن الحوت وظلمة الليل وكذا روى عن ابن عباس وعمر بن الخطاب وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والضحاك والحسن وقادة وقال سالم بن أبي الجعد: ظلمة حوت فى بطن حوت آخر فى ظلمة البحر قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما وذلك أنه ذهب به الحوت فى البحار يشقه حتى انتهى به إلى قرار البحر فسمع يونس تسبيح الحمصى فى قراره فعند ذلك وهناك قال (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) وقال عوف الأعرابي لما سار يونس فى بطن الحوت ظن أنه قد مات ثم حرك رجليه فلما تحركت سجد مكانه ثم نادى يا رب اتخذ لك مسجداً فى موضع لم يلقه أحد من الناس وقال سعيد بن أبي الحسن البصرى مكث فى بطن الحوت أربعين يوماً رواها ابن جبير وقال محمد بن إسحق بن يسار عمن حدثه عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله حبس يونس فى بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تحشده لحماً ولا تكسر له عظاماً فلما انتهى به إلى أسفل البحر مع يونس حيا فقال فى نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو فى بطن الحوت إن هذا تسبيح دواب البحر قال وسبح وهو فى بطن الحوت فصمت اللاتكة تسبيحاً فقالوا يا ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة قال ذلك عبدي يونس عصاني فنجسته فى بطن الحوت فى البحر قالوا البعد الصالح الذى كان يصعد إليك متفقاً كل يوم وليلة حمل صالح ، قال نعم قال فثقفوا له عند ذلك فأمر الحوت فقلقه فى الساحل كما قال الله تعالى (وهو سقيم) رواه ابن جرير ورواه البزار فى مسنده من طريق محمد بن إسحق عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة فذكر بنحوه ثم قال لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد . وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن أخى ابن وهب ثنا محمد بن أبي صخر أن يزيد الرقاشى قال سمعت أنس بن مالك ولا أعلم إلا أن أنس يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ أن يونس الذى عليه السلام حين بدأ له أن يدعو بهذه الكلمات وهو فى بطن الحوت قال : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فأقبلت هذه الدعوة تحت العرش فقالت لللاتكة يا رب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال أما تعرفون ذلك ؟ قالوا لا يا رب ومن هو ؟ قال عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له حمل متقبل ودعوة مجابة قالوا يا رب أولاً ترحم ما كان يصنع فى الرخاء فتجنيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحه فى الرءاء ، وقوله (فاستجنا له ونجينا من التهم) أى أخرجه من بطن الحوت وتلك الظلمات (وكذلك نتجى المؤمنين) أى إذا كانوا فى الشدائد ودعوا متبينين اليأس ولا سباً إذا دعوا بهذا الدعاء فى حال البلاء فقد جاء الترغيب فى الدعاء به عن سيد الأنبياء . قال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن عمار حدثنا يونس بن أبي إسحاق الحميدانى حدثنا إبراهيم بن محمد بن سعد حدثنى والذى محمد عن أبيه سعد هو ابن أبى وقاص رضى الله عنه قال مررت ببتان ابن عفان رضى الله عنه فى المسجد فسلمت عليه فلما عييه منى ثم لم يرد على السلام فأبليت عمر بن الخطاب قتل يا أمير المؤمنين هل حدث فى الإسلام شيء مرتين قال لا وما ذاك قلت لا إلا آتى مررت ببتان أحمأ فى المسجد فسلمت عليه فلما عييه منى ثم لم يرد على السلام فأرسل عمر إلى عثمان فدعاه فقال ما منك أن لا تكون رددت على أخيك

السلام قال ماقلت قال سعد قلت بلى حتى حلف وحلفت قال ثم إن عثمان ذكر قال بلى وأسئفر الله وأتوب إليه إنك مرت في كثرة وأنا أحدث نفسي بكلمة سميتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا والله مذكرتها قط إلا قشى بصري وقلبي غشاوة قال سعد فأنا أنبتك بها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لنا أول دعوة ثم جاء أعرابي ففطنه حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتبه فذا أغفقت أن يسبقني إلى منزله خربت بقدرى الأرض فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من هذا أبو إسحاق؟ » قال قلت نعم يا رسول الله قال « فله قتل لا والله إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة ثم جاء هذا الأعرابي ففطنك قال « ثم دعوة ذى النون إذ هو في بطن الحوت (لا إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فانه لم يمنع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له » ورواه الترمذي والنسائي في اليوم والليالي من حديث إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه سعد به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خازم الأحمري عن كثير بن زيد عن الطلاب بن حنظل قال أبو خازم أحسبه يعني ابن سعد عن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا بدعاء يونس استجاب له » قال أبو سعيد يريد به (وكذلك تنجي المؤمنين) وقال ابن جرير حدثني عمران بن بكير السكلي حدثنا يحيى بن صالح حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن حدثني بشر بن معاذ عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اسم الله الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى » قال قلت يا رسول الله هي يونس بن متى خاصة ولجماعة المؤمنين عامة إذا دعوا بها ألم تسمع قول الله عز وجل (فنادى في الظلمات أن لا إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك تنجي المؤمنين) فهو شرط من الله أن يدعى به » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا داود بن المهدي بن محمد بن عيسى عن كثير بن سعيد قال سألت الحسن قلت يا أبا سعيد اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى ؟ قال ابن أخي أما تقرأ القرآن قول الله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضبا - إلى قوله - وكذلك تنجي المؤمنين) ابن أخي هذا اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى

﴿ وَذَكِّرْهُ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ نَجْمًا ۖ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيرِينَ ﴾

خير تعالى عن عبده ذكرنا حين طلب أن يهبه الله ولما يكون من عبده نبياً وقد تخدمت القصة مبسولة في أول سورة مريم وفي سورة آل عمران أيضاً وههنا أخبر منها (إذ نادى ربه) أي خفيه عن قومه (وب لا تدنوني فردا) أي لا ولي ولا وارث يقوم بدي في الناس (وأنت خير الوارثين) دعاء وثناء مناسب للسئلة قال الله تعالى (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) أي امرأته قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبر : كانت عاقراً لا تلد فولدت وقال عبد الرحمن بن مهدي عن طلحة بن عمرو عن عطاء كان في لسانها طول فأصلحها الله وفي رواية كان في خلقه هاشم فأسلمها الله وهكذا قال محمد بن كعب والدي والأظهر من السياق الأول . وقوله (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات) أي في عمل القربات وفعل الطاعات (ويدعوننا رغبا ورهبا) قال الثوري رغبا فيما عندنا ورهبا بما عندنا (وكانوا لنا خاشعين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي مصدقين بما أنزل الله وقال مجاهد : مؤمنين حقا وقال أبو المآلية خاشعين وقال أبو سنان الجحوشي هو الخوف اللازم للقلب لا غارقه أبداً وعن مجاهد أيضا خاشعين أي متواضعين وقال الحسن وقادة والضاحك خاشعين أي متذللين له عز وجل وكل هذه الأقوال متقاربة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الله القرشي عن عبد الله بن حكيم قال خطبنا أبو بكر رضي الله عنه ثم قال : أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله وبتقوا عليه بما هو له أهل وتخلطوا بالربة بالربة وتجمسوا

الإلحاف بالمسئلة فإن الله عز وجل أنى على زكريا وأهل بيته فقال (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)

(وَأَنزَلْنَا أَحْسَنَ فَرَجًا فَفَتَحْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَمَّلْنَاهَا بِأَنبَاءِ آيَةِ لِلْعَالَمِينَ)

هكذا يذكر تعالى قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام مقرونة بقصة زكريا وابنه يحيى عليهما السلام فيذكر أولاً قصة زكريا ثم يتبعها قصة مريم لأن تلك مربوطلة بهذه فلأنها إجماد وله من شيخ كبير قد طعن في السن ومن امرأة عجوز هاتر لم تكن تلد في حال شبابها ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب فلأنها إجماد وله من أنثى بلا ذكر هكذا وقع في سورة آل عمران وفي سورة التحریم (ومريم ابنة عمران التي أحسنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) وقوله (وجعلناها عليها السلام كما قال في سورة التحريم) (ومريم ابنة عمران التي أحسنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) وقوله (وجعلناها وابنها آية للعالمين) أي دلالة على أن الله على كل شيء قدير وأنه يخلق ما يشاء وإغما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وهذا كقوله (ولنبه آية للناس) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمر بن علي حدثنا أبو عامر الضحاك بن غلد عن شعب بن أبي بن بشير عن صكرمة عن ابن عباس في قوله (للعالمين) قال العالمين الجن والإنس

(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّلُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ * فَمَن يَسْمَلْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُونَ)

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (إن هذه أمة واحدة) يقول ذلك دين واحد وقال الحسن البصري في هذه الآية بين لهم ما يتقون وما يأقون ثم قال (إن هذه أمة واحدة) أي ستكم سنة واحدة وقوله (إن هذه) أي واسمها وأمتكم خبر إن أي هذه شريعتكم التي بينت لكم ووضعتم لكم وقوله أمة واحدة نسب على الحال ولهذا قال (وأنا ربكم فاعبدون) كما قال (يأأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - إلى قوله - وأنا ربكم فاتقون) وقال رسول الله ﷺ «نحن مآشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد» يعني أن القصد هو عبادة الله وحده لا شريك له شرائع متنوعة لرسله كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقوله (وتقطعوا أمرهم بينهم) أي اختلفت الأمم على رسلها فمن بين مصدق لهم ومكذب ولهذا قال (كل إلينا راجعون) أي يوم القيامة فيجازي كل بحسب عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ولهذا قال (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن أي قلبه مصدق وعمله عملاً صالحاً فلا كفران لسعيه) كقوله (إنا لنضع أجراً من أحسن عملاً) أي لا يكفر سعيه وهو عمله لا يشكر فلا يظلم مثقال ذرة ولهذا قال (وإنا له كاتبون) أي يكتب جميع عمله فلا ينسب عليه منه شيء

(وَحَرَّمَ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * وَأَتَتْهُمُ الْوَعْدُ الْآخِرُ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَوْنُكُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ)

يقول تعالى (وحرام على قرية) قال ابن عباس وجب يعني قد قدر أن أهل كل قرية أهلوا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة هكذا صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقادة وغير واحد وفي رواية عن ابن عباس أنهم لا يرجعون أي لا يترقبون والقول الأول أظهر والله أعلم ، وقوله (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) قد قدمنا أنهم من سالة

أثم عليه السلام بل هم من نسل نوح أيضا من أولاد يافث أي أبي الترك والترك شرفمة منهم تركوا من وراء السد الذي بناه ذوالقرنين وقال (هنا رحمة من ربى فلذا جاء وعد ربى جله ذكاه وكان وعد ربى حقا) وتركنا بعضهم يوشع بموج في بعض الآية وقال في هذه الآية الكريمة (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) أي يسرعون في النسي إلى الفساد ، والحذب هو الارتفاع من الأرض قاله ابن عباس وعكرمة أبو صالح والثوري وغيرهم وهذه صفهم في حال خروجهم كأن السامع مشاهد لذلك (ولا ينيك مثل خير) هذا إخبار عالم ما كان وما يكون الذي يعلم غيب السموات والأرض لإله إلا هو . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن منقذ حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الله بن أبي يزيد قال : رأى ابن عباس صيانا ينزو بعضهم على بعض يلعبون فقال ابن عباس هكذا يخرج يأجوج ومأجوج وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية (الحديث الأول) قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « فتحت يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل (وهم من كل حدب ينسلون) فيفتشون الناس ويحازلون للمسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم وشربون مياه الأرض حتى إن بعضهم لير بالثر فيشربون مائه حتى يتركوه يابسا حتى إن من يهدم لير بذلك الثر يقول قد كان ههنا ماء مرة حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد في حصن أو مدينة قال قائلم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء قال ثم هز أحدهم حرثته ثم رمى بها إلى السماء فترجع إليه غضبية دما لبلا والفتنة فيبيناهم على ذلك بث الله عز وجل دودا في أعناقهم كنف الجراد الذي يخرج في أعناقهم فيصيحون موتا لا يسمع لهم حس يقول للمسلمون ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو ، قال فينحدر رجل منهم محتسبا نفسه قد أوطأها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتا بعضهم على بعض فينادي بأمر السليين ألا أجروا إن الله عز وجل قد كفناكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم رعى إلا لحومهم فتشكر عنهم كأحسن ما شكرت عن شيء من الثبات أسامة قط « ورواه ابن ماجه من حديث يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، (الحديث الثاني) قال الإمام أحمد أيضا حدثنا الوليد بن مسلم أبو العباس الهمشقي حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني يحيى بن جابر الطائي قاضي حمص حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه أنه سمع النواس بن سميان الكلبي قال ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة ففضض فيه ورفع حتى ظنناه في ناحية التخل فقال « غير الدجال أخوفني عليكم فإن يخرج وأنا فيكم فأنا حبيبه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ خصم نفسه والله خليفي على كل مسلم وإنه شاب جسده قطط عنه طافية وإنه يخرج خلة بين الشام وال عراق فمثل بيننا وهما لأعباد الله أثبتوا - قلنا يارسول الله ما لبث في الأرض ؟ - قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كعشر ويوم كجعة وسائر أيامه كأيامك » قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذي هو كسنة أي كسنة فيه صلاة يوم وليلة قال « لا . اقدروا له قدره » قلنا يارسول الله فما لإسراعه في الأرض قال « كالتب استدبرته الريح قال فيمر بالي فيدعوم فيستحيون له فيأمر السماء فتعطر والأرض فتنبث وتروح عليهم سارحتهم وهي أطول ما كانت ذرى وأمدته خواصر وأسيفه شروها وعبر بالي فيدعوم فيردون عليه قوله فتنبه أموالهم فيصيحون بمحلين ليس لهم من أموالهم شيء ويعبر بالي فيقول لها أخرجي كنوزك فتنبه كنوزها كيما يسبب النحل - قال - ويأمر برجل فيقتل فيضربه بالسيف فيقطع جزئين رمية القرض ثم يدعوه فيقبل اليه فيأمرهم على ذلك إذ بث الله عز وجل للمسيح عيسى بن مريم فينزل عند التارة البيضاء شرقي دمشق بين مبرودتين وأضما يديه على أجنحة ملكين فيتبعه فيدركه فيقتله عند بابك الشرقي - قال - فينأمر كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام أني قد أخرجت عبادا من عبادي لك بقتلهم فعدر عبادي إلى الطور فيميت الله عز وجل يأجوج ومأجوج كما قال تعالى (وهم من كل حدب ينسلون) فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل عليهم نفا فيدقاهم فيصيحون نرسى كوت شس واحدة فيهبط عيسى وأصحابه فلا يجدون في الأرض بيتا إلا قد ملأه

زهمهم وتتهم فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله » قال ابن جابر فحدثني عطاه بن يزيد السكسكي عن كعب أو غيره قال تطرحهم بالمهل : قال ابن جابر فقلت يا أبا يزيد وأن للبلبل قال مطلع الشمس قال « ويرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر أربعين يوماً فيسيل الأرض حتى يتركها كالزقة ويقال للأرض انبتت ترك ودرى بركتك قال فيومئذ يأكل النفر من الرمانة فيستظلون ببقعها ويبارك في الرسل حتى إن القحمة من الإبل لتكفي القمام من الناس والقحمة من البقر تكفي القحذ . والشاة من الغنم تكفي أهل البيت قال فينبأهم على ذلك إذ بعث الله عز وجل رجلاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم - أو قال مؤمن - ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحجر وعليهم تقوم الساعة » انه قد يخرجاه مسلم دون البخاري ورواه مع بقية أهل السنن من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به وقال الترمذي حسن صحيح

(الحديث الثالث) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو عن ابن حرملة عن خالته قالت : خطب رسول الله ﷺ وهو صائب أصميه من لغة عقرب فقال « إنكم تقولون لاعدو لكم وإنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى يأتي بأجوج وأجوج عراض الوجوه صفار العيون صهب الشفاف من كل حذب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة » وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث محمد بن عمرو عن خالد بن عبدالله بن حرملة الدجلي عن خاله عن النبي ﷺ فذكره مثله سواء .

(الحديث الرابع) قد تقدم في آخر تفسير سورة الأعراف من رواية الإمام أحمد عن هشيم عن العوام عن جبلة ابن سحيم عن مرثد بن حمارة عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « لقيت ليلة أسرى في إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام - قال - فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال أما وجبتا فلا يعلم بها أحد إلا الله وفيما عهد إلى ربى أن النجاشي يخرج ومضى قضيان فلما رأني ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله إذا رأني حتى إن الحبر والشجر يقول يا مسلم إن تخشى كافراً قتالاً فاقته قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم قال فيندلك يخرج أجوج وأجوج وهم من كل حذب ينسلون فيطنون بلادهم ولا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يمررون على ماء إلا شربوه - قال - ثم يرجع الناس إلى أوطانهم يشكونهم فأدعوا الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من نثر رحيمهم وينزل الله لاطر فيجترف أجسادهم حتى يقدنهم في البحر فبقيا عهد إلى ربى أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالخامل التم لا يدري أهلها متى تمخضهم بولادها ليلاً أو نهاراً » ورواه ابن ماجه عن محمد بن بشار عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب به نحوه وزاد قال العوام ووجد تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل (حتى إذا تحمت الأجوج وأجوج وأجوج وهم من كل حذب ينسلون) ورواه ابن جرير ههنا من حديث جبلة والأحاديث في هذا كثيرة جداً والآثار عن السلف كذلك ، وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث معمر عن غيرواحد عن حميد بن هلال عن أبي الصيف قال : قال كعب إذا كان عند خروج أجوج وأجوج خفوا حتى يسمع الدين يلوهم قرع فتوسهم فإذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول نجى غدا فتخرج فيمده الله كما كان فيجيئون من القد فيجدونه قد أمده الله كما كان فيخرونه حتى يسمع الدين يلوهم قرع فتوسهم فإذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول نجى غدا فتخرج إن شاء الله فيجيئون من القد فيجدونه كما تركوه فيخرونه حتى يخرجوا فتمر الزمرة الأولى بالبحيرة فيشربون ماءها ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون قد كان ههنا مرة ماء فيمر الناس منهم فلا يقوم لهم شيء ثم يرمون بسهامهم إلى السماء فتخرج إليهم غصيبة بالدماء فيقولون غلبنا أهل الأرض وأهل السماء فيدعو عليهم عيسى بن مريم عليه السلام فيقول اللهم لا طاقة لآلدينا بهم فكفناهم بأمشث فيسلط الله عليهم دوداً يقال له الننف فيفترس رقابهم ويبعث الله عليهم طيراً تأخذهم بمنقارها فتلقهم في البحر ويبعث الله عينا يقال لها الحياطة يظهر الله الأرض ويبثها حتى إن الرمانة ليشبع منها السكن قبل ما السكن يا كعب قال أهل

البيت قال فيينا الناس كذلك إذا أنام الصريح أن ذا السويتين يريد قال فييت عيسى بن مريم طليعة سبعة أويين السبعة والثمانية حتى إذا كانوا يعرض الطريق بئ الله رجلاً بمانية طيه فيقبض فيها روح كل مؤمن ثم يبق عجاج الناس فيتساقدون كما تتساقط البهار فتل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه حتى تضع قال كعب بن قال يد قولى هذا شيئاً أويده على هذا شيئاً فهو للتكلف ، وهذا من أحسن سياقات كعب الأخبار لا شهد له من صحيح الأخبار ، وقد ثبت في الحديث أن عيسى بن مريم هيج البيت النقي ، وقال الإمام أحمد حدثنا سلمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « ليجمعن هذا البيت وليتمرن به فخرج بأجوج ومأجوج » اشهد بإخراجه البخارى وقوله (واقترب الوعد الحق) يعنى يوم القيامة إذا حصلت هذه الأحوال والازل والبلابل أزلت الساعة واقتربت فإذا كانت وقتت قال الكافرون هذا يوم عسر ، ولهذا قال تعالى (فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) أى من عدة ما يشاهدونه من الأمور العظام (ياويلنا) أى يقولون ياويلنا (قد كنا فى غفلة من هذا) أى فى الدنيا (بل كنا ظالمين) يترفنون بظلمهم لأنفسهم حيث لا ينضمهم ذلك

(إِنْكُمْ) وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ • لَوْ كَانَ هَؤُلَاءَ آلَ اللَّهِ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ • لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ • إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ • لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا نُفِيتُ عَنْهُمْ خَالِدُونَ • لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿

يقول تعالى غطابا لأهل مكة من مشركى قريش ومن دان بدينهم من عبدة الأصنام والأوثان (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) قال ابن عباس أى وقودها يعنى كقوله (وقودها الناس والحجارة) وقال ابن عباس أيضاً حصب جهنم يعنى شجر جهنم ، وفى رواية قال (حصب جهنم) يعنى حطب جهنم بالزنجية وقال مجاهد وعكرمة وقاتدة حطبها وهى كذلك فى قرأة على وعائشة رضى الله عنهما وقال الضحاك حصب جهنم أى ما رعى به فيها وكذا قال غيره والجميع قريب وقوله (أنتم لها واردون) أى داخلون (لوكان هؤلاء آلهة ما وردوها) يعنى لوكانت هذه الأصنام والأنداد التى اتخذوها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا النار وما دخلوها (وكل فيها خالدون) أى العابدون ومعبوداتهم كلهم فيها خالدون (لهم فيها زفير) كما قال تعالى (لهم فيها زفير وشريق) والزفير خروج أنفاسهم والشريق ولوح أنفاسهم (وهم فيها لا يسمعون)

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عيسى بن محمد الطنافسى حدثنا ابن فضيل حدثنا عبد الرحمن بن السعوى عن أبيه قال : قال ابن مسعود إذا بقى من يخلد فى النار جعلوا فى توايت من نار فيها مسامر من نار فلا يرى أحد منهم أنه يصبغ فى النار غيره ثم تلا عبد الله (لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) ورواه ابن جرير من حديث حجاج بن محمد عن السعوى عن يونس بن جابر عن ابن مسعود فذكره ، وقوله (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال عكرمة الرحمة وقال غيره السعادة (أولئك عنها مبعدون) لما ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله عطف بذكر السعداء للؤمنين بالله ورسوله وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة وأسلفوا الأعمال الصالحة فى الدنيا كما قال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) فكما أحسنوا العمل فى الدنيا أحسن الله إليهم وثوابهم ونجاهم من العذاب وحصل لهم جزيل الثواب فقال (أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها) أى حريقها فى الأجساد ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن عمار حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن أبيه عن أبى عثمان الحيرى عن أبى عثمان (لا يسمعون حسيها) قال حيات على الصراط تسمعهم فلما لمستم

قال حس حس وقوله (وهم فيما انتهت أنفسهم خالدون) فسلمهم من المخدور وللرهوب وحصل لهم الطلوب والمحبوب
قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد المحدثاني عن ليث بن أبي
سلم عن ابن عم الثعلب بن بشر عن الحسن بن بشير قال وصبر مع طي ذات ليلة قفراً (إن الدين سبقت لهم منا الحسن
أولئك عنها مبدون) قال أنا منهم وعمر منهم وعثمان منهم والزيبر منهم وطلحة منهم وعبد الرحمن منهم أو قال سعد
منهم قال وأقيمت الصلاة فقام وأظنه يجربونه وهو يقول (لا يسمعون حسيها) وقال شعبة عن أبي بشر عن يوسف
السكي عن محمد بن حاطب قال سمعت علياً يقول في قوله (إن الدين سبقت لهم منا الحسن) قال عثمان وأصحابه ورواه
ابن أبي حاتم أيضاً ورواه ابن جرير من حديث يوسف بن سعد وليس بأين ما هك عن محمد بن حاطب عن طي فذكره
ولفظه صيان منهم ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (إن الدين سبقت لهم منا الحسن) أولئك عنها
مبدون) فأولئك أولياء الله يهرون على الصراط مرا هو أسرع من البرق ويبي الكفار فيها جثا فهذا مطابق لما
ذكرناه ، وقال آخرون بل نزلت استثناء من لليودين وخرج منهم عزير والمسيح كما قال حجاج بن محمد الأعرور
عن ابن جريج وعثمان عن عطاء عن ابن عباس (إنكم وما تبدون من دون الله حسب جهنم أتم لها واردون)
ثم استثنى فقال (إن الدين سبقت لهم منه الحسن) فيقال هم لللائكة وعيسى ونحو ذلك مما يبعد من دون الله عن وجل
وكذا قال عكرمة والحسن وابن جريج وقال الشحاك عن ابن عباس في قوله (إن الدين سبقت لهم منا الحسن)
قال نزل في عيسى بن مريم وعزير عليهما السلام ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسين بن عيسى بن
ميسرة حدثنا أبو زهير حدثنا سعد بن طريف عن الأصبغ عن علي في قوله (إن الدين سبقت لهم منا الحسن) قال
كل شيء يبعد من دون الله في النار إلا الشمس والقمر وعيسى بن مريم إسناده ضعيف وقال ابن أبي نجيب عن
مجاهد (أولئك عنها مبدون) قال عيسى وعزير واللائكة وقال الشحاك عيسى ومريم واللائكة والشمس والقمر
وكذا روى عن سعيد بن جبير وأبي صالح وغير واحد وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثاً غريباً جداً فقال
حدثنا الفضل بن يعقوب للرخاني حدثنا سعيد بن مسلة بن عبد الملك حدثنا الليث بن أبي سليم عن ميث عن أبي
هريرة عن النبي ﷺ في قوله (إن الدين سبقت لهم منا الحسن) أولئك عنها مبدون) قال عيسى وعزير
واللائكة وذكر بعضهم قصة بن الزبيري ومناظرة للشركيين قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن علي بن سهل
حدثنا محمد بن حسن الأنطاقي حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعة حدثنا يزيد بن أبي حكيم حدثنا الحكم بن أبي أبان
عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء عبد الله بن الزبيري إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم أن الله أنزل عليك هذه
الآية (إنكم وما تبدون من دون الله حسب جهنم أتم لها واردون) فقال ابن الزبيري قد عبدت الشمس والقمر
واللائكة وعزير وعيسى بن مريم كل هؤلاء في النار مع آل هتاء؟ فزلت (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون
وقالوا آل هتاء خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون) ثم نزلت (إن الدين سبقت لهم منا الحسن
أولئك عنها مبدون) رواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه الأحاديث المختارة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا
قيصة بن عتبة حدثنا سفيان بن الثوري عن الأعمش عن أصحابه عن ابن عباس قال لما نزلت (إنكم وما تبدون
من دون الله حسب جهنم أتم لها واردون) قال للشركيون فاللائكة وعزير وعيسى يبدون من دون الله فزلت
(لو كان هؤلاء آل هتاء ما وردوها) الآية التي يبدون (وكل فيها خالدون) وروى عن أبي كدينة عن عطاء بن
السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل ذلك وقال فزلت (إن الدين سبقت لهم منا الحسن) أولئك عنها مبدون)
وقال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله في كتاب السيرة وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يلقى يوماً مع
الوليد بن القنيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المسجد غير واحد من رجال قريش فتكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض له النضر بن الحارث فكلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى أجمعهم وتلا عليه وعليهم (إنكم وما تبدون من دون الله حسب جهنم أتم لها واردون) — إلى قوله — م

فها لا يسمعون) ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبير السهمي حتى جاس معهم فقال الوليد ابن القتيبة لعبد الله بن الزبير والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد الطالب أنما ولا قد زعم محمد أنا وما بعد من ألتنا هذه حسب جهنم . فقال عبد الله بن الزبير أما والله لو وجدته لحصته فسلوا محمداً كل ما يريد من دون الله في جهنم مع من عبده فتبين لعبد الله واليهود قبيح عزيراً والنصارى قبيح للسبح عيسى ابن مريم فحبب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبير ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « كل من أحب أن يبعد من دون الله فهو مع من عبده إثمهم إنما يبعدون الشياطين ومن أمرهم بعبادته » وأنزل الله (إن الذين سبقتم لهم منا الحسن أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيبها وهم فيها أشتت أنفسهم خالدون) أي عيسى وعزير ومن عبدوا من الأجار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من يديهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله ونزل فيها يذكرون أنهم يبعدون لللائكة وأنهم بنات الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون - إلى قوله - ومن يقل منهم إلى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) ونزل فيها ذكر من أمر عيسى وأنه يبعد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجة وخصومة (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) وقالوا ألتأخيرا أم هو ما ضربه لك إلا جلد بل هم قوم خصمون * إن هو إلا عبد أئمننا عليه وجعلناه مثلاً لى إسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منك ملائكة في الأرض فغفلون * وإنه لهم الساعة فلا تفرح بها (أي ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الولي وإبراء الأستقام فكفى به دليلاً على علم الساعة) قول * فلا تفرح بها وتبمون هذا صراط مستقيم) وهذا الذي قاله ابن الزبير خطيب كبير لأن الآية إنما نزلت خطاباً لأهل مكة في عبادتهم الأستنام التي هي جادلا تعقل ليكون ذلك تحريماً وتوبيخاً لعابديها ولهذا قال (إنكم وما تصبدون من دون الله حسب جهنم) فكيف يورد على هذا السبح والعزير وهو ما نحن له عمل صالح ولم يرض بعبادة من عبده وعول ابن جرير في تفسيره في الجواب على أن ما لا يقل عند العرب وقد أسلم عبد الله بن الزبير بعد ذلك وكان من الشعراء المشهورين ، وقد كان يهاجى للسليمان أولاً ثم قال مبتدئاً

يا رسول اللئيك إن لسانى * رائق ما فتئت إذا أنا يور

إذا جارى الشيطان في سنن النسي ومن مال عليه مشور

وقوله (لا يحزنهم الفزع الأكبر) قيل المراد بذلك الموت رواه عبد الرزاق عن يحيى بن ربيعة عن عطاء وقيل المراد بالفزع الأكبر الفضة في الصور قاله الموقى عن ابن عباس وأبو سنان سعيد بن سنان الشيباني واختاره ابن جرير في تفسيره وقيل حين يؤمر بالسيد إلى النار قاله الحسن البصري وقيل حين تطبق النار على أهلها قاله سعيد بن جبير وابن جرير وقيل حين يدعى الموت بين الجنة والنار قاله أبو بكر الهذلي فها رواه ابن أبي حاتم عنه ، وقوله (وتتقام لللائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) حتى تقول لهم لللائكة تبشروهم يوم معادهم إذا خرجوا من قبورهم (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي فأملوا ما يسرركم .

(يَوْمَ تَطْوى السَّمَاءُ كَطْوى السَّجْلِ لِكُتْبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَفَعَدْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)

يقول تعالى هذا كائن يوم القيامة (يوم تطوى السماء كطوى السجل للكتب) كما قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وقد قال البخارى حدثنا مقدم بن محمد حدثني عن القاسم بن يحيى عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله قبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات يمينه » ائرد ية من هذا الوجه البخارى رحمه الله : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أني حدثنا محمد بن أحمد بن الحجاج الرقي حدثنا محمد بن سلفة عن أني الواسل عن أني اللج الأزدي عن أني الجوزاء الأزدي عن ابن عباس قال : يطوى الله السموات السبع بما فيها من الخلق والأرضين السبع بما فيها من

الخليقة يطوى ذلك كله يمينه يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردة ، وقوله (كطى السجل للكتب) قيل الراد بالسجل الكتاب ، وقيل الراد بالسجل ههنا ملك من الملائكة ، قال ابن أبي حاتم حدثنا طي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا يحيى بن يمان حدثنا أبو الوفاء الأشجعي عن أبيه عن ابن عمر في قوله تعالى (يوم تطوى السماء كطى السجل للكتاب) ، قال السجل ملك فإذا صدق بالاستخفاف قال أكتبها نورا وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان به ، قال ابن أبي حاتم وروى عن أبي جعفر محمد بن طي بن الحسين أن السجل ملك ، وقال السدي في هذا الآية السجل ملك موكل بالصحف فإذا مات الإنسان رفع كتابه إلى السجل فطواه ورقه إلى يوم القيامة ، وقيل الراد به اسم رجل صحابي كان يكتب لنبى ﷺ الوحى ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا نصر بن طي الجهمي حدثنا نوح بن قيس عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس (يوم تطوى السماء كطى السجل للكتاب) قال السجل هو الرجل ، قال نوح وأخبرني يزيد بن كعب هو المودى عن حمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : السجل كاتب للنبى ﷺ وهكذا رواه أبو داود والنسائي كلاهما عن قتبية بن سعيد عن نوح بن قيس عن يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : السجل كاتب للنبى صلى الله عليه وسلم ورواه ابن جرير عن نصر بن طي الجهمي كما تقدم ورواه ابن عدى من رواية يحيى ابن حمرو بن مالك النكري عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يسمى السجل وهو قوله (يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب) قال كما يطوى السجل الكتاب كذلك تطوى السماء ثم قال وهو غير محفوظ . وقال الخطيب البغدادي في تاريخه أنبأنا أبو بكر البرقاني أنبأنا محمد بن محمد بن يعقوب المجابجي أنبأنا أحمد بن الحسين الكرخي أن حمدان بن سعيد حدثهم عن عبد الله بن نعيم عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال السجل كاتب للنبى ﷺ وهذا منكر جدا من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلا وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبي داود وغيره لا يصح أيضا ، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه وإن كان في سنن أبي داود منه شيئا الحافظ الكبير أبو الحجاج الزى فسح الله في عمره وتسا في أجله ، وختم له بصالح عمله ، وقد أوردت لهذا الحديث جزءا على حديثه والله الحمد . وقد تصدى الإمام أبو جعفر بن جرير للإنكار على هذا الحديث ورده أتم رد وقال : لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل وكتاب الذى صلى الله عليه وسلم معروفون وليس فهم أحد اسمه السجل ، وصدق رحمه الله في ذلك وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث ، وأما من ذكره في أسماء الصحابة فإنه اعتمد على هذا الحديث لاجل غيره والله أعلم ، والصحيح عن ابن عباس أن السجل هو الصحيفة قاله طي بن أبي طلحة والموفى عنه ونس على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير لأنه المعروف في اللغة فعل هذا يكون معنى الكلام يوم تطوى السماء كطى السجل للكتاب أى على الكتاب بمعنى المكتوب كقوله (فلما أسما وثله للبين) أى على البين ، وله نظائر في اللغة والله أعلم . وقوله (كأبدنا أول خلق نبيهم وعدا علينا إنا كنا فاعلين) يعنى هذا كان لا محالة يوم يبد الله الخلائق خلقا جديدا كما يبدى هو القادر على إعادتهم وذلك واجب الوقوع لأنه من جملة وعده الله لا يخلف ولا يبدل وهو القادر على ذلك ولهذا قال (إنا كنا فاعلين) وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع أبو جعفر وعبيدة العمى قالوا حدثنا شعبة عن الثمال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قام نبي رسول الله ﷺ يوم عظة فقال « إنكم محشورون إلى الله عز وجل خافة غرلا كأبدنا أول خلق نبيهم وعدا علينا إنا كنا فاعلين » وذكرنا الحديث أخرجه في الصحيحين من حديث شعبة ذكره البخارى عند هذه الآية في كتابه ، وقد روى ليث بن أبي سلم عن مجاهد عن عائشة عن رسول الله ﷺ نحو ذلك ، وقال الموفى عن ابن عباس في قوله (كأبدنا أول خلق نبيهم) قال : يهلك كل شيء كما كان أول مرة

(وَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ • إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاءَ لِقَوْمٍ

زل يثرب وأرسل طلابه وإعما يريد أن يصيب منكم شيئا فاحذروا أن تمروا طريقه أو تقاربوه فإنه كالأسد الضارى إنه حق عليكم لأنكم قسيتوه نفي القردان عن الناس والله إن له لسحرة ما رأيته قتلوا أحداً من أصحابه إلا رأيت معهم الشياطين وإنكم قد عرقت عداوة ابني قيلة بيني الأوس والخزرج فهو عدو استعان بدو فقال له مطعم بن عدى يا أبا الحكم والله ما رأيت أحداً أصدق لساناً ولا أصدق موعداً من أخيكم الذي طردتم وإذ قتلتم الذي قتلتم فكفونا أكف الناس عنه قال أبو سفيان بن الخارث كونوا أشد ما كنتم عليه إن ابني قيلة إن ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة وإن أطمعوني ألبأعهم حير كنانة أو تخرجوا محمداً من بين ظهرانيهم فيكون جليداً مطروداً ، وأما ابنا قيلة فوالله ما جاء أهل هذلك في الليلة إلا سواء وسأ كفيكم حذم وقال

« سامنح جانباً مني غليظاً » على ما كان من قرب وبعد * رجال الخزرجية أهل ذل * إذا ما كان هزل بعد جعد فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « والذي نفسي بيده لأقتلهم ولأهلبهم ولأهدينهم وهم كارهون إني رحمة بشي الله ولا يتوفاني حتى ينظر الله دينه ، لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا لحي الذي يحو الله في الكفر وأنا الحائثر الذي يحسر الناس على قدمي وأنا الماقب » وقال أحمد بن صالح أرجو أن يكون الحديث صحيحاً . وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثني عمرو بن قيس عن عمرو بن أبي قرة الكندي قال كان حذيفة بلذائين فكان يذكر أشياء قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حذيفة إلى سلمان قال سلمان يا حذيفة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « أيعارجل سبته في غضي أو لمته لنة فلما أنا رجل من ولد آدم أغضب كما تشببون وإعما بشي الله رحمة للمالين فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة » ورواه أبو داود عن أحمد بن يونس عن زائدة قال قيل فأي رحمة حصلت لمن كفر به ؟ فالجواب ما رواه أبو جعفر بن جرير حدثنا إسحق بن شاهين حدثنا إسحق الأزرق عن السعدي عن رجل يقال له سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (وما أرسلناك إلا رحمة للمالين) قال من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي عما أصاب الأمم من الحسف والقذف وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث السعدي عن أبي سعيد وهو سعيد بن الرزيان يقال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره بنحوه والله أعلم وقد رواه أبو القاسم الطبراني عن عبدان ابن أحمد عن عيسى بن يونس الرمي عن أيوب بن سويد عن السعدي عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وما أرسلناك إلا رحمة للمالين) قال من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يتبعه عوفي عما كان يبتلى به سائر الأمم من الحسف والسحق والقذف

(قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ قُلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ تَوَلَّوْا قَتْلًا ؕ أَذْنُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبَ أَمْ بَعِيدَ مَا تُوعَدُونَ * إِنَّهُ يَسْلَمُ الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ وَالْأَعْمَالِ مَا تَكْتُمُونَ * وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّكُمْ يُفْتَنُ لَكُمْ وَاسِعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا أَرْحَمُ الْمُسْتَعِينَ قُلْ مَا تَصِفُونَ)

يقول تعالى أمر أسوله صلوات وسلامه عليه أن يقول للشركين (إعما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد قلوا له واحفظوا أنفسهم مسلمون) أي متبعون على ذلك مستسلمون متقادون له (فان تولوا) أي تركوا ما دعوتهم إليه (قل أذنتكم على سواء) أي أعلتكم أني حرب لكم كما أنكم حرب لي برى منكم كما تم برأى منكم قوله (وإن كذبوك قل لي عني ولكم عملكم أتم بريئون مما ععمل وأنابري مما قبلون) وقال (وإما تخافن من قوم خيانة فأنذ إليهم على سواء) أي ليكن عملكم وعلمهم نبذ العود على سواء وهكذا ههنا (فان تولوا قل أذنتكم على سواء) أي أعلتكم ببراءتي منكم وبراءتكم مني لعلي بذلك . وقوله (وإن أدرى أقرب أم بعيد ما توعدون) أي هو واقع لا محالة ولكن لا علم لي بقربه ولا بعده (إنه يعلم الجهر من القول

ويعلم ما تكتمون) أى إذا الله يعلم التنب جميعه ويعلم ما ينظره العباد وما يسيرون ، يعلم الظواهر والباطن ويعلم السر وأخفى ويعلم ما العباد عاملون فى أجهارهم وأسرارهم وسيجزيهم على ذلك القليل والجليل . وقوله (وإن أدرى الله فتنه لكم ومتاع إلى حين) أى وما أدرى لعل هذا فتنه لكم ومتاع إلى حين قال ابن جرير لعل تأخير ذلك عنكم فتنه لكم ومتاع إلى أجل مسمى وحكمه عون عن ابن عباس فإنه أعلم (قال رب احكم بالحق) أى افصل بيننا وبين قومنا للذين بالحق . قال قتادة كانت الأنبياء عليهم السلام يقولون (ربنا اتق بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير القاتحين) وأمر رسول الله ﷺ أن يقول ذلك ، وعن مالك عن زيد بن أسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شهد غزاة قال (رب احكم بالحق) وقوله (وربنا الرحمن للسمعان على ما تصفون) أى على ما يقولون ويفترون من الكذب ويتنوعون فى مقامات التكذيب والإفك والله المستعان عليكم فى ذلك . آخر تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام والله الحمد ولله .

(تفسير سورة الحج)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْهَا كُنتُمْ مُرْضِيَةً عما آُرِضْتُمْ وَتَصْعَكُ كُلُّ فَنَةٍ حَمَلًا فَرَأَى النَّاسُ سُكْرَى وَنَعَمٌ يُسْكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)

يقول تعالى آمرا عباده بقرعهم بما يستقبلون من أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها ، وقد اختلف القسرون فى زلزلة الساعة ، هل هى بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجدانهم كما قال تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها) وقال تعالى (وجملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ خست الواقعة) الآية ، وقال تعالى (إذا رجعت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا) الآية فقال قائلون هذه الزلزلة كائنة فى آخر عمر الدنيا وأول أسواق الساعة ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة فى قوله (إن زلزلة الساعة شىء عظيم) قال قبل الساعة ، ورواه ابن أبى حاتم من حديث الثورى عن منصور والأعمش عن إبراهيم عن علقمة فذكره ، قال وروى عن الشعبي وإبراهيم وعبيد بن عمير نحوه ذلك وقال أبو كدينة عن عطاء عن عامر الشعبي (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم) قال هذا فى الدنيا قبل يوم القيامة ، وقد أورد الإمام أبو جعفر بن جرير مستند من قال بذلك فى حديث الصور من رواية إسحاق بن رافع قاضى أهل المدينة عن يزيد بن أبى زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظى عن رجل عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاها إسرائيل فهو واضع فيه شياخص يبصر إلى العرش ينتظر متى يؤمر» قال أبو هريرة يارسول الله وما الصور ؟ قال قرن قال فكيف هو ؟ قال «قرن عظيم ينشق فيه ثلاث نضجات الأولى نضجة الفزع والثانية نضجة الصق والثالثة نضجة القيام لرب العالمين يأمر الله إسرائيل بالنضجة الأولى فيقول انشع نخضة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله وأمره فيمدها ويطلوها ولا يستر وهى التى يقول الله تعالى (وما ينظر هؤلاء إلا لصيحة واحدة مألها من فواق) تفسير الجبال فتكون ترابا وترج الأرض بأهلها رجا وهى التى يقول الله تعالى (يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة) فتكون الأرض كالسيفينة الوراقفة فى البحر فتسربها الأمواج تكفوها بأهلها وكالتنديل للطق بالفرش ترجحه الأرواح فيمتد الناس على ظهرها فتنهل الراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تاتى الأنطار فتلقاها للامسكة فتضرب وجوهاها فتزجج وبولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهى التى يقول الله تعالى (يوم تتاد يوم تدبرن ما كنتم

الله من عاصم ومن يضل الله فساه من هاد) فبينما هم على ذلك إذ انصدمت الأرض من قطر إلى قطر ورأوا أمرا عظيما فأنذرتهم من الكرب ما اشد أعلم به ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كاللؤلؤ ثم خسف فسموها وقرها وانتشرت نجومها ثم كسخت عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - والأموأت لا يملون شيء من ذلك « قال أبوهريرة فمن استغنى الله حين يقول (تفرغ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) قال « أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع إلى الأحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ووقاهم الله شر ذلك اليوم وأتمهم وهو عذاب الله يبعث على شرار خلقه وهو الذي يقول الله (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) وهذا الحديث قد رواه الطبراني وابن جرير وابن أبي حاتم وغير واحد مطولا جدا والقرص منه أنه دل على أن هذه الزلزلة كاللثة قبل يوم الساعة أضيفت إلى الساعة لقربها منها كما يقال أشرط الساعة ونحو ذلك والله أعلم ، وقال آخرون بل ذلك هول وفزع وزلزال وبلال كائن يوم القيامة في العرصات بعد القيام من القبور واختار ذلك ابن جرير واحتجوا بأحاديث : « الأول » قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن هشام حدثنا قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال وهو في بعض أسفاره وقد تخرب من أصحاب السير رفع بهاتين الآيتين سوته : (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فلما سمع أصحابه بذلك حثوا إلى الطلوع وعرفوا أنه عند قول قوله فلما دنوا حوله قال « أتدرون أي يوم ذاك ، ذاك يوم ينادى آدم عليه السلام فيناديه ربه عز وجل فيقول يا آدم ابست بشك إلى النار فيقول يارب وما بست النار فيقول من كل ألف تسعائة وتسمة وتسعون إلى النار وواحد في الجنة » قال فأبلس أصحابه حقا وأوشحوا أيضا حكمه فلما رأى ذلك قال « أجهروا واعملوا فوالذي نفس محمد بيده إنكم لم تخلقتم إلا ما كاتما مع شيء قط إلا كثرة ما أوجب وما أوج ومن هلك من بني آدم وبني إبلis » قال فسرى عنهم ثم قال « اعلموا وأجهروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو الرقة في ذراع الهذابة » وهكذا رواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما عن محمد بن بشار عن يحيى وهو القطان عن هشام وهو السعوي عن قتادة بن أنس عن الترمذي حسن صحيح (طريق آخر) لهذا الحديث : قال الترمذي حدثنا ابن أبي عمير حدثنا ميان بن عيينة حدثنا ابن جهمان عن الحسن بن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال لما نزلت (يا أيها الناس اتقوا ربكم - ولكن عذاب الله شديد) قال زلت عليه هذه الآية وهو في سفر فقال « أتدرون أي يوم ذاك ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال - ذلك يوم يقول الله لأدم ابست النار قال يارب وما بست النار قال تسعائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة » فأنشأ للسؤال يكون فقال رسول الله ﷺ « قاربوا وسددوا فلنهما لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية قال فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن عمت ولا تكلت من اللائقين ، ومما ملكت الأملم إلا كمثل الرقة في ذراع الهذابة أو كالشامة في جنب البعير - ثم قال - إلى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة - فكبروا ثم قال - إلى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة - فكبروا ثم قال - إلى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » فكبروا ثم قال ولا أدري أقال الثلثين أم لا وكنا رواه الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة بن عمارة أيضا هذا حديث صحيح وقد روى عن عروة عن الحسن بن عمران بن حصين وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن والعلام بن زياد المدوني عن عمران بن الحصين فذكره وهكذا روى ابن جرير عن بندار عن غندر عن عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله ﷺ لما قفل من غزوة السرة ومعه أصحابه بعد ما شاف المدينة قرأ (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) وذكر الحديث فذكر نحو سياق ابن جهمان والله أعلم ، « الحديث الثاني » قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن الطباع حدثنا أبو سفيان يعني للمعمر عن معمر بن قتادة عن أنس قال زلت (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) وذكر يعني نحو سياق الحسن عن عمران غير أنه قال ومن هلك من كثرة الجن والإنس ،

ورواه ابن جرير بطوله من حديث معمر (الحديث الثالث) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعد بن سليمان حدثنا عباد بن يحيى ابن العوام حدثنا هلال بن حباب عن عكرمة عن ابن عباس قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فذكر نحوه ، وقال فيه « إني لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة » ثم قال - « إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة - ثم قال - « إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة » ففرحوا وزاد أيضاً « وإنا أنتم جزء من ألف جزء » (الحديث الرابع) قال البخاري عند تفسير هذه الآية : حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد قال : قال النبي ﷺ « يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم فيقول ليك ربنا وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بشئ إلى النار قال يا رب وما بث النار قال من كل ألب - أراه قال - تسعة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم. قال النبي ﷺ « من يأجوج ومأجوج تسعة وتسعة وتسعون ومنكم واحد أنتم في الناس كالشجرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشجرة البيضاء في جنب الثور الأسود إني لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة - فكبرنا ثم قال - ثلث أهل الجنة - فكبرنا ثم قال - شطر أهل الجنة » فكبرنا وقد رواه البخاري أيضاً في غير هذا اللوح ومسلم والنسائي في تفسيره من طرق عن الأعمش به .

(الحديث الخامس) قال الإمام أحمد حدثنا عازقة بن محمد بن أخستفان الثوري وعبيدة العمي كلاهما عن إبراهيم ابن مسلم عن أبي الأحوص عن عبيد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يبعث يوم القيامة مئادياً يا آدم إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بشئ إلى النار فيقول آدم يا رب من م فبقاله من كل مائة تسعة وتسعون فقال رجل من القوم من هذا الناجي منا بعد هذا يا رسول الله قال « هل تدرون ما أنتم في الناس إلا كالشامة في صدر البعير » أورد بهذا السند وهذا السياق الإمام أحمد

(الحديث السادس) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن حاتم بن أبي صغيرة حدثنا ابن أبي مليكة أن القاسم بن محمد أخبره عن عائشة عن النبي ﷺ قال « إنكم تحشرون إلى الله يوم القيامة حفاة عراة غللا » قالت عائشة يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض قال يا عائشة إن الأمر أشد من أن يجمع ذلك « أخرجه في الصحيحين » (الحديث السابع) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة ؟ قال « يا عائشة أما عند ثلاث فلا أما عند اللذان حتى يشلا أو يهف فلا ، وأما عند تطاير الكتب إما يعطى يمينه وإما يسطى بجاهه فلا ، وحين يخرج عنق من النار فيطوى عليهم ويشبظ عليهم ويقول ذلك العنق : وكلت بثلاثة ، وكلت بثلاثة ، وكلت بثلاثة ، وكلت بمن ادعى مع الله إلها آخر ، وكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب ، وكلت بكل جبار عنيد - قال - فيطوى عليهم ويرمهم في غمرات جهنم ولجنهم جسر أرق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك يأخذان من شاء الله ، والناس عليه كالبرق وكالطرف وكالرع وكأجاويد الخيل والركاب وللألسنة يقولون : يا رب سلم ، سلم - فنج مسلم وغدوش مسلم ، ومكور في النار على وجهه » والأحاديث في أهوال يوم القيامة والآثار كثيرة جداً لها موضع آخر ولهذا قال تعالى (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) أي أمر عظيم ، وخطب جليل ، وطارق مقطع ، وحادث هائل ، وكان عجب ، والزلزال هو ما يحصل للنفس من الرعب والفرع كما قال تعالى (هنالك ابتلى المؤمنون وزلوا ولا شيدوا) ثم قال تعالى (يوم ترونها) هذا من باب ضمير الشأن ولهذا قال مفسراً له (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أي تقتشتل لول ما ترى عن أحب الناس إليها والتي هي أشق الناس عليه تدهش عنه في حال إرضاعه ولهذا قال (كل مرضعة) ولم يقل مرضع وقال (عما أرضعت) أي عن رضيتها فطامه ، وقوله (وتضع كل ذات حمل حملها) أي قبل تمامه لشدة الهول (وترى الناس سكارى) وقرئ (سكرى) أي من شدق الأمر الذي قد صاروا فيه قد دهشت عقولهم ، وظلت أذهانهم فمن رأهم حسب أنهم سكارى (وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجِدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ * كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَاتَّه بِضَلَالَةٍ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ)

يقول تعالى ذمًا لمن كذب بالبحث وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى معرضًا عما أنزل الله على أنبيائه متبعًا في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مرید من الإنس والجن وهذا حال أهل البدع والضلال المرعفين عن الحق التبعين الباطل يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق اللين ، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء ولهذا قال في شأنهم وأشباههم (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم أي علم صحيح) ويتبع كل شيطان مرید ، كتب عليه (قال مجاهد يعني الشيطان يعني كتب عليه كتابة قدرية) أنه من تولاه (أي اتبعه وقلده) فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير) أي يضله في الدنيا وقوده في الآخرة إلى عذاب السعير وهو النار المؤلم القلبي ، المزعج وقد قال السدي عن أبي مالك نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث وكذلك قال ابن جرير ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن مسلم البصري حدثنا عمرو بن البختري أبو قتادة حدثنا أبو كعب السدي قال: قال خبيث من خبيثاء قريش أخبرنا عن ربه من ذهب هو أو من فضة هو أو من نحاس هو ؟ فتعققت السماء بقعة - والقعقة في كلام العرب الرعد - فإذا عصف رأسه ساقط بين يديه ، وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد : جاء يهودي فقال يا أبا عبد الله أخبرني عن ربك من أي شيء هو من در أم من يا قوت ؟ قال فجاءت صاعقة فأخذته

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْتِ فَأَنَا خَلَقْتُكُم مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لَّئِنِ لَّكُمْ وَهْرٌ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَأْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَى أَرْضِكِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَظُنَّ مَن بَدَّلَ عِلْمَ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَلْقُ وَأَنَّهُ يَمْشِي الْغُيُوتِ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ مَن فِي الْغُيُوتِ)

لما ذكر تعالى المخالف للبحث للمعاد ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد بما يشاهد من بدئه للخلق فقال (يا أيها الناس إن كنتم في ريب) أي في شك (من البيت) وهو المعاد ، وقيام الأرواح والاجساد ، يوم القيامة (فأنا خلقناكم من تراب) أي أصل بره لكم من تراب وهو الذي خلق منه آدم عليه السلام (ثم من نطفة) أي ثم جعل نسله من سلافة من ماء مهين (ثم من علقه ثم مضغة) وذلك أنه إذا استقرت النطفة في رحم المرأة مكثت أربعين يومًا كذلك يضاف إليه ما يجتمع إليها ثم تقلب علقه حمراء فإذا الله فتمكث كذلك أربعين يومًا ثم تستحيل فتصير مضغة قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تحيط ثم يشرع في التشكيل والتخطيط فيصور منها رأس ويدان وصدر وبطن وفخذان ورجلان وسائر الأعضاء ، فتارة تستطفا للراءة قبل التشكيل والتخطيط وتارة تلقها وقد سارت ذات شكل وتحيط ولهذا قال تعالى (ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) أي كما تشاهدونها (لئني لكم وهرا في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى) أي وتارة تستقر في الرحم لا تلقها للراءة ولا تستطفا كما قال مجاهد في قوله تعالى (مخلقة وغير مخلقة) قال هو السقط مخلوق وغير مخلوق فإذا مضى عليها أربعون يومًا وهي مضغة أرسل الله تعالى ملكا إليها فنفخ فيها الروح وسواها كما يشاء الله عز وجل من حسن وقبح وذكر وأثني وكتب وزكها وأجلها وشق أو سيد كما ثبت في الصحيحين من حديث الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق

أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من معمر يمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء : الجنون والبرص والجذمل » وذكر تمام الحديث كما تقدم سواء ورواه الحافظ أبو بكر البرقاني عن عبد الله بن شبيب عن أبي شيبة عن عبد الله بن عبد الملك عن أبي قتادة الصدوي عن ابن أخي الزهري عن عمه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه أنواعا من البلاء : الجنون والجذمل والبرص فإذا بلغ خمسين سنة لين الله له الحساب فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الأناقة إليه بما يحب فإذا بلغ سبعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله وأحبه أهل السماء فإذا بلغ الثمانين قبل الله منه حسناته ونجا وزعن سيئاته فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله في أرضه وشفع في أهل بيته »

وقوله (وترى الأرض هامئة) هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء اللقي كما يحيى الأرض الميتة الهامئة وهي القحلة التي لا يثبت فيها شيء . وقال قتادة غيراء متعصمة . وقال السدي ميتة (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) أي فإذا أنزل الله عليها المطر اهتزت أي تحركت بالنبات وحيث بعد موتها وربت أي رقت لما سكن فيها الثرى ثم أنبتت ما فيها من الأغصان والفنون من ثمار وزروع وأشتات النبات في اختلاف ألوانها وطعومها وروائحها وأصنافها ونباتاتها ولهذا قال تعالى (وأنبتت من كل زوج بهيج) أي حسن للنظر طيب الريح . وقوله (ذلك بأن الله هو الحق) أي الخالق المبدئ للخلق لا يشاء (وأنه يحيى الموتى) أي كما أحيا الأرض الميتة وأنبت منها هذه الأنواع (إن الذي أحياها يحيى الموتى إنه على كل شيء قدير) (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) (وأن الساعة آتية لا ريب فيها) أي كائنة لا شك فيها ولا مريم (وأن الله يهت من القبور) أي يعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم ربما ويوجد بعد العدم كما قال تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم ؟ قل يحيى الذي أنشأها أول مرة وهو بكل شيء عليم ، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) والآيات في هذا كثيرة . وقال الإمام أحمد حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة قال أنبأنا يحيى بن عطاء عن وكيع بن حدى عن حماد بن أبي زرقة القيلي واسمه قتيب بن عامر أنه قال يارسول الله ! كنا نرى ربنا عز وجل يوم القيامة وما آية ذلك في خلقه ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس كذلك ينظر إلى القمر غليبا ؟ » قلنا بلى ، قال « فأكبر أعظم » قال : قلت يارسول الله كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك في خلقه ؟ قال « أما مررت بوادي أهلك بمحلا ؟ » قال بلى قال « ثم مررت بهت خضرا ؟ » قال بلى قال « فكذلك يحيى الله الموتى وذلك آية في خلقه » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به ثم رواه الإمام أحمد أيضا حدثنا علي بن إسحق أنبأنا ابن المبارك أنبأنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سليمان بن موسى عن أبي زرقة القيلي قال : أنبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلقت يارسول الله كيف يحيى الله الموتى ؟ قال « أمرت بأرض من أرض قومك مجدة ثم مررت بها غصية ؟ » قال نعم قال « كذلك النشور » وأحمد أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عيسى بن مروح حدثنا بكير بن السميط عن قتادة عن أبي الحجاج عن معاذ بن جبل قال : من علم أن الله هو الحق للين ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور دخل الجنة

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ * فَأَنَّى عَظُمَ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابُ الْخَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لّٰمٍ ﴾

لما ذكر تعالى حال الضلال الجهال التقليدين في قوله (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد) ذكر في هذه حال الدعاة إلى الضلالة من زوروس الكفر والبدع فقال (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) أي بلا عقل صحيح ، ولا عقل صريح ، بل مجرد الرأى والهوى ، وقوله (فأنى عظمه) قال ابن عباس

وغيره مستكبر عن الحق إذا دعى إليه ، وقال مجاهد وقادة ومالك عن زيد بن أسلم (ثاني عطفه) أي لاوى عطفه وهي رقبته يعني يمرض عما يدعى إليه من الحق ويؤخر رقبته لاستكباراً كقوله تعالى (وفي موسى إذ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مِّبِينٍ فَقَتُلُوهُ بِرُكْنِهِ) الآية وقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) وقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوووا ردوسهم ورأيهم يصدون وهم مستكبرون) وقال لقمان لابنه (ولا تصغر خدك للناس) أي تخجل عنهم استكباراً عليهم ، وقال تعالى (وإذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبراً) الآية . وقوله (ليضل عن سبيل الله) قال بعضهم هذه لام العاقبة لأنه قد لا يقصد ذلك ، ويعمل أن تكون لام التعليل . ثم إما أن يكون للراد بها للعاندون أو يكون للراد بها أن هذا الفاعل لهذا إنما جبلناه على هذا الخلق الذيء لتجعله بمن يضل عن سبيل الله . ثم قال تعالى (له في الدنيا خزي) وهو الأوهان والذل كأنه لما استكبر عن آيات الله قلناه الله لليلة في الدنيا وعاقبه فيها قبل الآخرة لأنها أكبر همه ومبلغ عمله (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك) أي يقال له هذا ثقاباً وتوبيخاً (وأن الله ليس بظلام للعبيد) كقوله تعالى (خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم) ثم صبرا فوق رأسه من عذاب الجحيم * ذق إنك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تترون . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن الصباع حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا هشام عن الحسن قال بلغني أن أحد دم يحرق في اليوم سبعين ألف مرة

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْهَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْفُسْرَانُ الْأَكْبَرُ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْصُرُهُمْ ذَلِكَ هُوَ أَضَلُّ الْبَعِيدِ * يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِّن نَّفْعِهِ لَيْسَ لِّلْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ لِّلْعَشِيرَةِ ﴾

قال مجاهد وقادة وغيره (على حرف) على شك وقال غيرهم على طرف ومنه حرف الجبل أي طرفه أي دخل في الدين على طرف فان وجد ما يحبه استقر ولا انشمر . وقال البخاري حدثنا إبراهيم بن الحارث حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا إسرائيل عن أبي الحسن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ومن الناس من يمد الله على حرف) قال كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امرأته غلاما وتنجت خيله قال هذا دين صالح . وإن لم تلد امرأته ولم تنج خيله قال هذا دين سوء وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحاق الضبي عن جعفر بن أبي الثبيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان ناس من الأعراب يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألون فإذا رجسوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد جسن قالوا إن ديننا هذا صالح فتمسكوا به وإن وجدوا عام جدوبة وعام ولاد سوء وعام قحط قالوا ما في ديننا هذا خير فأُزل الله على نبيه (ومن الناس من يمد الله على سرف فإن أصابه خير اطمان به) الآية . وقال الضملي عن ابن عباس : كان أحدهم إذا قدم المدينة وهم أرض دونه فان صح بها جسمه تشجت فرسه مهرأ حسنا وولدت امرأته غلاماً رضى به واطمان إليه وقال ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيراً وإن أصابته فتنة والفتنة البلاء أي وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرأ وذلك الفتنة ، وهكذا ذكر قتادة والضحاك وابن جريج وغير واحد من السلف في تفسير هذه الآية وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو المنافق إن سلمت له دنياه أقام على العبادة وإن فسدت عليه دنياه وقبرت اهتلب فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه فإن أصابته فتنة أو شدة أو اختبار أو ضيق ترك دينه ورجع إلى الكفر ، وقال مجاهد في قوله (انقلب على وجهه) أي ارتد كافراً وقوله (خير الدنيا والآخرة) أي فلا هو حصل من الدنيا على شيء وأما الآخرة فقد كفر بالله العظيم فهو فيها غاية الشقاء والاهانة ، ولهذا قال تعالى (ذلك هو الخسران للين) أي منه هي الخسارة المنظمة والصفقة الخاسرة وقوله

(يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه) أى من الأصنام والأنداد يستثبت بها ويستصرها ويستزقها وهى لا تنفع ولا تضره (ذلك هو الضلال البعيد) وقوله (يدعو لمن ضره أقرب من نفسه) أى ضرره فى الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفسه فيها وأما فى الآخرة فضرره محقق متيقن وقوله (لبس اللولى ولبس المشير) قال مجاهد بن الوثن يبنى بلس هذا الذى دعاه من دون الله مولى يبنى ولياً وناصرأ (ولبس المشير) وهو الخاطل والمماشر واختار ابن جرير أن المراد بلبس ابن العلم والصاحب (من يبدع على حرف فإن أصابه خير إبطاً به وإن أصابه فتنة اهتلب على وجهه) وقول مجاهد إن المراد به الوثن أولى وأقرب إلى سياق الكلام والله أعلم

﴿ إِنْ اللَّهُ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنْ اللَّهُ يَفْعَلْ مَا يُرِيدُ ﴾

ثم ذكر أهل الصلاة الأتقياء عطف بذكر الأبرار السعداء من الذين آمنوا بقاومهم وصدقوا إيمانهم بأفعالهم فعملوا الصالحات من جميع أنواع القربات وتركوا للنكرات فأورثهم ذلك سكنى الدرجات العاليات فى روضات الجنات ، ولما ذكر تعالى أنه أشد أولئك وهدى هؤلاء قال (إن الله يفعل ما يريد)

﴿ مَنْ كَانَ يَنْتَظِرْ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ • وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يُذَكِّرُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴾

قال ابن عباس من كان يظن أن لن ينصر الله محمدأ صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب أى بجمل (إلى السماء) أى سماه يته (ثم ليقطع) بقوله لم يخفق به وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وأبو الجوزاء وقتادة وغيرهم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (فليمدد بسبب إلى السماء) أى ليتوصل إلى بلوغ السماء فإن النصر إنما يأتى عمداً من السماء (ثم ليقطع) ذلك عنه إن قدر على ذلك وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر فى المعنى وأبلغ فى التهكم فإن المعنى من كان يظن أن الله ليس ناصر محمدأ وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه فإن الله ناصر لأحالة قال الله تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) الآية ولهذا قال (فلينظر هل يذهب كيد ما يغيظ) قال السدى يبنى من شأن محمد صلى الله عليه وسلم وقال عطارد الخراسانى فلينظر هل يشقى ذلك ما يبعد فى صدره من التغيظ وقوله (وكذلك أنزلناه) أى القرآن (آيات بينات) أى واضحات فى لفظها ومعناها حجة من الله على الناس (وأن الله يهدى من يريد) أى يضل من يشاء ويهدي من يشاء وله الحكمة التامة والحجة القاطعة فى ذلك (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) أما هو فلحكمته ورحمته وعدله وقهره وعظمته لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب

﴿ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنْ اللَّهُ يَفْعَلْ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

يخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين ومن سواهم من اليهود والصابئين وقد قدمنا فى سورة البقرة التعريف بهم واختلاف الناس فيهم والنصارى والمجوس والذين أشركوا فقدموا مع الله غيره فانه تعالى (يفصل بينهم يوم القيامة) ويحكم بينهم بالعدل فيدخل من آمن به الجنة ومن كفر به النار فانه تعالى شهيد على أفعالهم خفيظ لأقوالهم علم برائهم وما تكن ضمائرهم

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ

وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُنِ اللَّهُ فَالَهُ مِن مِّسْرٍ إِنِ اللَّهُ يُفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٠٠﴾

غير تعالى أنه للتحقق العبادة وحده لا شريك له فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء عما يخص به كقائل تعالى (أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفأ ظلاله عن الغين والشياطين سجدا لله وهم خاضعون) وقال ههنا (ألم أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض) أي من الملائكة في أقطار السموات والحيوانات في جميع الجهات من الإنس والجن والدواب والطيور (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) وقوله (والشمس والقمر والنجوم) أي ما ذكر هذه على التخصيص لأنها قد عُدت من دون الله فينبأ أنها تسجد لحاقها وأنها ربوبة مسخرة (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن) الآية وفي الصحيحين عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «أتدري أين تنهب هذه الشمس؟» قلت الله ورسوله أعلم قال «فإنها تنهب فتسجد تحت العرش ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت وفي السند وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه في حديث الكسوف (إن الشمس والقمر خلقان من خلق الله وإنيما لا يسكران لولت أحد ولا حياة ولكن الله عز وجل إذا غلبت لشيء من خلقه خضع له» وقال أبو المألية ماني الماء نجيم ولا قس ولا قر إلا بقه لله ساجدا حين يغب ثم لا يصرق حتى يؤذن له فيأخذ ذات الغين حتى يرجع إلى مطلعه . وأما الجبال والشجر فسجودها بنى ظلالها عن الغين والشياطين وعن ابن عباس قال جاء رجل فقال يا رسول الله إني رأيت ليلة وأنا نائم كأنني أصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها وهي تقول : اللهم اكتب لي بها عندك أجرا وضع عني بها وزرا واجعل لي عنده ذخرا وتقبلها مني فقبلتها من عبيدك داود قال ابن عباس فقرأ رسول الله ﷺ سجدة ثم سجد فسمعتة وهو يقول مثل ما أخرجه الرجل عن قول الشجرة . رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه ، وقوله (والدواب) أي الحيوانات كلها وقد جاء في الحديث عن الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اتخاذ ظهور الدواب منابر ، فربم كوبة خير أو أكثر ذكرها تعالى من رآكها وقوله (وكثير من الناس) أي يسجد لله طوعا مختارا متعبدا بذلك (وكثير حق عليه العذاب) أي من امتنع وأبى واستكبر (ومن يهن الله فما لهن مكرم إن الله يفعل ما يشاء) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن شيبان الرملي حدثنا القداح عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي قال قيل لعل إن ههنا رجلا يتكلم في الشيعة فقال له على يا عبد الله خلقك الله كأي شاء أو كما شئت قال بل كما شاء قال فيمرشك إذا شاء أو إذا شئت قال بل إذا شاء قال فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت قال بل إذا شاء قال فيدخلك حيث شئت أو حيث شاء قال بل حيث يشاء قال والله لو قلت غير ذلك لفصرت الذي فيه عينك بالسيف ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي يقول ياويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فني النار» . رواه مسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم وأبو عبد الرحمن المقرئ قالا : حدثنا ابن أبي عمير ، قال حدثنا بشر بن هاشم أبو مصعب الملقب قال سمعت عتبة بن عامر قال : قلت يا رسول الله أفصلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدة قال «نعم فمن لم يسجد بها فلا يقرأها» . ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن أبي عمير . وقال الترمذي ليس بقوى وفي هذا نظر فإن ابن أبي عمير قد صرح فيه بالهجوم وأكثر ما نهوا عليه تدليس وقد قال أبو داود في المراسيل حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح أنبأنا ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن عامر بن جثب عن خاله بن معدان رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال «فصلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدة» ثم قال أبو داود وقد أسند هذا يعني من غير هذا الوجه ولا يصح ، وقال الحافظ أبو بكر الإجماعى حدثني ابن أبي داود حدثنا يزيد بن عبد الله حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو حدثنا حفص بن غياث حدثني نافع قال : حدثني أبو الجهم أن عمر سجد بسجدة في الحج وهو بالجابة وقال إن هذه فصلت بسجدة ، وروى أبو داود وابن ماجه من حديث الحارث بن سعيد المتق عن عبد الله بن منيع عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأه خمس عشرة

سجدة في القرآن منها ثلاث في الفصل وفي سورة الحج سجدة ، فنهى شواهد يشد بعضها

﴿ هَذَانِ خَصَائِنُ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ تَأْرِ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهِرُ فِي مَتَالِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقْعٌ مِّنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا هَذَابٌ أَخْرَبِيٌّ ﴾

ثبت الصحيحين من حديث أبي جابر عن قيس بن عباد عن أبي ذر أنه كان يقسم قضا أن هذا الآية (هذان خصان اختصموا في ربهم) نزلت في حمزة وصاحبه وعتبة وصاحبه يوم برزوا في بدر . لفظ البخاري عند تفسيرها ، ثم قال البخاري حدثنا حجاج بن المنهال حدثنا التمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو جابر عن قيس بن عباد عن أبي بن أبي طالب أنه قال : أنا أول من يجرى بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة قال قيس : وفهم نزلت (هذان خصان اختصموا في ربهم) قال هم الذين بارزوا يوم بدر على حمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة . انظر به البخاري وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله (هذان خصان اختصموا في ربهم) قال اختصم المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبينا وكتابنا قبل كتابك فنحن أولى بالله منك ، وقال المسلمون كتابنا يقضى على الكتب كلها ونبينا خاتم الأنبياء فنحن أولى بالله منك فأفزع الله الإسلام على من تأواه وأنزل (هذان خصان اختصموا في ربهم) وكذا روى المولى عن ابن عباس ، وقال الشعبة عن قتادة في قوله (هذان خصان اختصموا في ربهم) قال صدق ومكتب ، وقال ابن أبي مجيش عن مجاهد في هذه الآية مثل الكافر والمؤمن اختصما في البعث ، وقال في رواية هو وعطاء في هذه الآية هم للمؤمنين والكافرون ، وقال عكرمة (هذان خصان اختصموا في ربهم) قال هي الجنة والنار قالت النار اجبني للفقوة وقالت الجنة اجبني للرحمة ، وقول مجاهد وعطاء إن الراديه الكافرون والمؤمنون يشمل الأقوال كلها وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها فإن المؤمنين يريدون نصرة دين الله عز وجل والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل وهذا اختيار ابن جرير وهو حسن ولهذا قال (قال ابن جرير) قطعتم لهم ثياب من نار) أي فصلت لهم مقطعات من النار ، قال سعيد بن جبير من نحاس وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمى (يسب من فوق رؤوسهم الحميم * يسهر به ما في بطونهم والجلود) أي إذا صب على رؤوسهم الحميم وهو الساء الحار في غاية الحرارة ، وقال سعيد بن جبير هو النحاس الذاب أذاب ما في بطونهم من اللحم والأمعاء

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم وكذلك تدوب جلودهم وقال ابن عباس وسعيد تساقط وقال ابن جرير حدثني محمد بن لثقي حدثني إبراهيم أبو إسحق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السمع عن ابن حبيزة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجحمة حتى يخلص إلى جوفه فيفسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه وهو الصبر ثم يباد كما كان » ورواه الترمذي من حديث ابن المبارك وقال حسن صحيح وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي نعيم عن ابن المبارك به ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن أبي الخوارى قال سمعت عبد الله بن السري قال : يأتيه ذلك يعمل الإتياء بجلبتين من حرارته فلذا أذناه من وجهه تكهره قال فبرقع مقعته منه فيضرب بها رأسه فيفرغ دماغه ثم يفرغ الإناء من دماغه فيصل إلى جوفه من دماغه فنلك قوله « يسهر به ما في بطونهم والجلود » وقوله (ولهم مقامع من حديد) قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الحميم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال « لو أن مقعما من حديد وضع في الأرض فاجتمع له القتلان ما أكلوه من الأرض » وقال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الحميم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « لو ضرب الجبل بمقعم من حديد لتفتت ثم عاد كما كان ، ولو أن دلوا من غسق بهراق في الدنيا

لأن أهل الدنيا « وقال ابن عباس في قوله (ولهم مقامع من حديد) قال يضيرون بها فيقع كل عضو على حاله فيعذون بالثبور ، وقوله (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) قال الأحمشي عن أبي طليان عن سلمان قال : النار سوداء مظلمة لا يضيء لها ولا جبرها ثم قرأ (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) وقال زيد بن أسلم في هذه الآية (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) قال بلقي أن أهل النار في النار لا يتفنون ، وقال الفضيل بن عياض : والله ما طعموا في الخروج إن الأرجل لتبتدئ وإن الأيدي لموتة ولكن يرفسهم لها وتردهم مقامعها ، وقوله (وذوقوا عذاب الحريق) كقولهم (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) ومعنى الكلام أنهم يهانون بالعذاب قولا وفعلا

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُصَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ • وَهُمْ فِيهَا عَلَى الطُّيْبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُمْ فِيهَا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

لما أخبر تعالى عن حال أهل النار عاذا بالله من حالهم وما هم فيه من العذاب والكال والحريق والأغلال وما أعد لهم من الثياب من النار ذكر حال أهل الجنة نسأل الله من فضله وكرمه فقال (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) أي تتفرق في أكنافها وأرجائها وجوانبها وتحت أشجارها وتصورها يصرفونها حيث شاءوا وابن أرادوا (يصلون فيها) من الخلية (من أساور من ذهب ولؤلؤا) أي في أيديهم كما قال النبي ﷺ في الحديث للنفق عليه « تبلغ الخلية من اللؤلؤ من حيث يبلغ الضوء » وقال كعب الأحبار : إن في الجنة ملكا لو شئت أن أسميه لسميته يسوع لأهل الجنة الخلى منذ خلقه الله إلى يوم القيامة لو أبرز قلب منها - أي سوار منها - لرد شعاع الشمس كما ترد الشمس نور القمر ، وقوله (ولباسهم فيها حرير) في مقابلة ثياب أهل النار التي فصلت لهم لباس هؤلاء من الحرير استبرقه وسندسه كقال (عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق) وخالف في الدنيا أساور من فضة وسقاهم بهم شرابا طهورا « إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا » وفي الصحيح « لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا فانه من لبس في الدنيا يلبس في الآخرة » قال عبد الله بن الزبير : من لبس الحرير في الآخرة يدخل الجنة قال الله تعالى (ولبسهم فيها حرير) وقوله (وهودوا إلى الطيب من القول) كقولهم تعالى (وأدخل الدين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها يلاذون بهم تحميمهم فيها سلام) وقوله (وللا تسكنه يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) وقوله (لا يسمعون فيها نقرا ولا ثائبا إلا قليلا سلا سلا) فهودوا إلى المكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب وقوله (ويلقون فيها تحية وسلاما) لا كما يهان أهل النار بالكلام الذي يؤخون به ويترعون به يقال لهم (ذوقوا عذاب الحريق) وقوله (وهودوا إلى صراط الحميد) أي إلى المكان الذي يمدون فيه ربه على ما أحسن إليهم وأنعم به وأسداه إليهم كما جاء في الحديث الصحيح « انهم يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس » وقد قال بعض التفسيرين في قوله (وهودوا إلى الطيب من القول) أي القرآن وقيل لا إلا الله وقيل الأذكار للشريعة (وهودوا إلى صراط الحميد) أي الطريق المستقيم في الدنيا وكل هذا لا ينافي ما ذكرناه والله أعلم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعُكْفِ فِيهِ وَالْبَاكِ وَمَنْ يُؤْخَرْ فِيهِ الْحَادِ يُعَذِّبُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾

يقول تعالى متكررا على الكفار في صدمهم للمؤمنين عن إتيان المسجد الحرام وقضاء مناسكهم فيه ودعواهم أنهم أوليائه (وما كانوا أوليائه أوليائه إلا للمنون) الآية وفي هذا الآية دليل على أنها مدينة كما قال في سورة البقرة (يسألك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله)

منه أكبر عند الله) وقال ههنا (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله وللجسد الحرام) أي ومن صفتهم أنهم مع كفرهم يصدون عن سبيل الله والسجد الحرام أي ويصدون عن السجد الحرام من أرادهم من المؤمنين الذين هم أحق الناس به في نفس الأمر وهذا الترتيب في هذه الآية كقوله تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أي ومن صفتهم أنهم تطمئن قلوبهم بذكر الله وقوله (الذين جئناهم للناس سواء الكافين والمؤمنين) أي بمنعهم الناس عن الوصول إلى المسجد الحرام وقد جعله الله شراً سواء لافرق فيه بين المقيم فيه أو الثاني عنه البعيد عنه (سواء المالك فيه والبالد) ومن ذلك استواء الناس في ربايع مكة وسكنائها كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (سواء المالك فيه والبالد) قال ينزل أهل مكة وغيرهم إلى المسجد الحرام وقال مجاهد (سواء المالك فيه والبالد) أهل مكة وغيرهم فيه سواء في المنازلة وكذا قال أبو صالح وعبد الرحمن بن سابط وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة سواء فيه أهله وغير أهله وهذه للسأله التي اختلف فيها الثاني وإسحق بن راهويه بسند صحيح وأحمد بن حنبل حاضر أيضاً فذهب الشافعي رحمه الله إلى أن ربايع مكة تلك ثورث وتوخر وأخرج حديث آخر في بني علي بن الحسن عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله أنزل غداً في دارك بمكة؟ قال « وهل ترك لنا عقيل من ربايع؟ ثم قال « لا يرث الكافر للسلم ولا للسلم الكافر » وهذا الحديث يخرج في الصحيحين وبما ثبت أن عمر بن الخطاب اشترى من صفوان بن أمية داراً بمكة فجعلها سجناً بأربعة آلاف درهم وبها قال طاوس وعمر بن دينار وذهب إسحاق ابن راهويه إلى أنها لا ثورث ولا توخر وهو من ذهب طائفة من السلف ونس عليه مجاهد وعطاء وأخرج إسحاق بن راهويه بما رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عيسى بن يونس عن عمر بن سعيد بن أبي حيوه عن جئان بن أبي سليمان عن علقمة بن فضالة قال : توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وما تدعى ربايع مكة إلا السواب من احتاج سكن ومن استغنى أسكن، وقال عبد الرزاق بن مجاهد عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أنه قال لا يلج بيع دور مكة ولا كراؤها وقال أيضاً عن ابن جريج كان عطاء ينهى عن الكراهة في الحرم وأخبرني أن عمر بن الخطاب كان ينهى عن تبويب دور مكة لأن ينزل الحاج في عرساتها فكان أول من بوب دار مسيل بن عمرو فأرسل إليه عمر بن الخطاب في ذلك فقال أنظرني يا أمير المؤمنين إني كنت امرأ تاجراً فأردت أن آخذ بأبين محبان لي نظري قال فلك ذلك إذا . وقال عبد الرزاق عن معمر عن منصور عن مجاهد أن عمر بن الخطاب قال يا أهل مكة لا تتخذوا لدوركم أبواباً لينزل البادي حيث يشاء قال وأخبرنا معمر عن معمر بن عطاء يقول (سواء المالك فيه والبالد) قال ينزلون حيث شاءوا ، وروى الدارقطني عن حديث ابن أبي نجيع عن عبد الله بن عمرو موقوفاً « من أكل كراهة يوت بمكة أكل ناراً » وتوسط الإمام أحمد فقال تلك ثورث ولا تؤخر جماع بين الأدلة والله أعلم ، وقوله (ومن يرد فيه إلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) قال بعض القسرين من أهل العربية الباء ههنا زائدة ، كقوله (تنتب بالههنا) أي تنبت الههنا وكذا قوله (ومن يرد فيه إلحاد) تقديره إلحاداً وكذا قال الأعشى :

ضمنت برزقي عيالا أرماحاً • بين للراجل والصريح الأجر

وقال الآخر : يواد بمان يبيت الشب صدره • وأسفله بالمرح والشبان

والأجود أنه ضمن الفعل ههنا معنى يهدم ولهذا عدها بالياء فقال (ومن يرد فيه إلحاد) أي يهدم فيه بأمر قطع من الماصي الكبار وقوله (بظلم) أي عابداً قاصداً أنه ظلم ليس بتأول كما قال ابن جريج عن ابن عباس هو التمدد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : بظلم بشرك ، وقال مجاهد أن يهدم فيه غير الله ، وكذا قال قتادة وغير واحد وقال اللوقي عن ابن عباس بظلم هو أن تستحل ما حرم الله عليك من إساءة أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فإذا فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم وقال مجاهد بظلم بصل فيه عسائراً وهذا من خصوصية الحرم أنه يعاقب البادي فيه الشر إذا كان عازماً عليه وإن لم يوقه كما قال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون أن أبا ثعلبة عن السدي أنه سمع مرة يحدث عن عبد الله بن مسعود في قوله (ومن يرد فيه

بالحاد بظلم) قال لو أن رجلا أراد فيه بالحاد بظلم وهو ببدن أمين لأذاه الله من العذاب الأليم قال شعبهوه رضى لنا وأنا لا أرفعه لكم ، قال يزيد هو قد رضى ، ورواه أحمد عن يزيد بن هارون به ، قلت هذا الإسناد صحيح على شرط البخارى ووقفه أخيه من رضى ، ولهذا صم شعبة على وقفه من كلام ابن مسعود ، وكذلك رواه أسباط وسفيان الثوري عن السدي عن مرة عن ابن مسعود موقوفاً والله أعلم ، وقال الثوري عن السدي عن مرة عن عبد الله قال ما من رجل هم ببسطة فكتب عليه ولو أن رجلا ببدن أمين هم أن يقتل رجلا هذا البيت لأذاه الله من العذاب الأليم ، وكذا قال الضحاك بن مزاحم ، وقال سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد الحاد فيه لا والله وبلى والله ، وروى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو مثله ، وقال سعيد بن جبير شتم الحاد ظلم لما فوفقه ، وقال سفيان الثوري عن عبد الله بن عطاء عن ميمون بن مهران عن ابن عباس في قوله (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) قال تجارة الأمير فيه وعن ابن عمر ريع الطعام بمكة الحاد وقاله حبيب بن أبي ثابت (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) قال المتحجر بمكة وكذا قال غير واحد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن إسحاق الجوهري أنبأنا أبو حاتم عن جعفر بن يحيى عن حمه حمارة ابن ثوبان حدثني موسى بن بإذان عن يسلى بن أمية أن رسول الله ﷺ قال « احتكر الطعام بمكة الحاد » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا ابن لعيمة حدثنا عطاء بن دينار حدثني سعيد ابن جبير قال : قال ابن عباس في قول الله (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) قال نزلت في عبد الله بن أنيس أن رسول الله ﷺ يشه مع رجلين أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار فافتخروا في الأنساب فنضب عبد الله بن أنيس فقتل الأنصارى ثم ارتد عن الإسلام ثم هرب إلى مكة فنزلت فيه (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) يمتى من لجأ إلى الحرم بالحاد يمتى ببل عن الإسلام وهذه الآثار وإن دلت على أن هذه الأشياء من الإلحاد ولكن هو أهم من ذلك بل فيها تنبيه على ما هو أغلظ منها ولهذا ما هم أصحاب القليل على تخريب البيت أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميم حجارتهن سجيل فجعلهم كغصن ما كول ، أى دمرهم وجعلهم عيرة وتكالا لكل من أراده بسوء ولذلك ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال « يفرق هذا البيت جيش حتى إذا كانوا يبداه من الأرض خسف بأولهم وآخرهم » الحديث وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن كنانة حدثنا إسحاق بن سعيد عن أبيه قال أتى عبد الله بن عمر عبد الله بن الزبير فقال يا ابن الزبير إياك والإلحاد في حرم الله فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنه سيلحد فيه رجل من قريش لو توزن ذنوبه بذنوب الثقلين لرجحت » فانظر لا تكن هو ، وقال أيضاً في مسند عبد الله بن عمرو بن النماص حدثنا هاشم حدثنا إسحاق بن سعيد حدثنا سعيد بن عمرو قال أتى عبد الله بن عمر : عبد الله بن الزبير وهو جالس في الحجر فقال يا ابن الزبير إياك والإلحاد في الحرم فأتى أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « عجلها وعجل به رجل من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لو زنتها » قال فانظر لا تكن هو ، لم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذين الوجهين

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ مُخِيطٍ ﴾

هذا فيه تفرع وتوسيع لمن عبد غير الله وأشرك به من قريش في البقرة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له فقد تعالى أنه بوأ إبراهيم مكان البيت أى أرشده إليه وسهله له وأذن له في بناءه ، واستدل به كثير ممن قال إن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى البيت العتيق وأنه لم يبن قبله كما ثبت في الصحيحين عن أبي ذر قلت يا رسول الله أى مسجد وضع أول ؟ قال « للسجد الحرام » قلت ثم أى ؟ قال « بيت المقدس » قلت كم بينهما ؟ قال « أربعون سنة » وقد قال الله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا) الآيةين وقال تعالى

(وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتنا للطائفين والماكينين (السجود) وقد قدمنا ذكر ما ورد في بناء البيت من الصحاح والآثار بما أغنى عن إعادته ههنا وقال تعالى ههنا (أن لا تشرك بي شيئا) أى ابنه على اسمي وحدي (وطهر بيتي) قال قتادة وعجابه من الشرك (للطائفين والقائمين والركع السجود) أى اجعله خالصا لغيره الذين يعبدون الله وحده لا يشرك له فالطائف به معروف وهو أحسن العبادات عند البيت فإنه لا يغفل بقية من الأرض سواها (والقائمين) أى في الصلاة ولهذا قال (والركع السجود) فقرر الطواف بالصلاة لأنهما لا يشترعان إلا عتصين بالبيت فالطواف عنده والصلاة إليه في غالب الأحوال إلا ما استثنى من الصلاة عند اشتباه القبلة وفي الحرب وفي النافلة في السفر والله أعلم ، وقوله (وأذن في الناس بالصحج) أى نادى الناس بالصحج داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذى أمرناك ببنائه فذكر أنه قال يارب كيف أبلغ الناس وسوفى لا ينفذم فقال ناد علينا البلاغ فقام على مقامه وقيل على الحجر وقيل على الصفا وقيل على أى قبس وقال يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتنا فجوه فيقال إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأمع من فى الأرحام والأصلاب وأجابه كل شيء مممة من حجر ومدد وشجر ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة ليك اللهم عليك هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف والله أعلم وأوردها ابن جرير وابن أبى حاتم مطولة ، وقوله (يأتوك رجالا وعلى كل ضامر) الآية قد يستدل بهذه الآية من ذهب من السماء إلى أن الحج لمن شأله من أفضل من الحجرا كبا أنه قدمهم فى الله كرفل على الاهتمام بهم وقوة مهمهم وشدة عزهم وقال وكيع عن أبى العيص عن أبى حنيفة عن محمد بن كعب عن ابن عباس قال ما أساء على شيء إلا لى وددت أنى كنت حبيبت ما شأ لأن الله يقول (يأتوك رجالا) والذى عليه الأكثر أن الحج راكبا أفضل اقتداء برسول الله ﷺ فإنه حج راكبا مع جماع قوته عليه السلام ، وقوله (يأتين من كل فج) يعنى طريقا كما قال (وجعلنا فيها فجاجا سبلا) وقوله (عميق) أى بعيد قاله مجاهد وعطاء والسدى وقادة ومقاتل ابن حيان والثوري وغير واحد وهذه الآية كقولته تعالى إخبارا عن إبراهيم حيث قال فى دعائه (فاجعل أئمتنا من الناس تهوى إليهم) فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحسن إلى رؤية الكعبة والطواف والناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَلَكَؤُوبُهَا نَاطِقُ مَا يَنْفَعُ الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۚ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ وَلِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾

قال ابن عباس (يشهدوا منافع لهم) قال منافع الدنيا والآخرة : أما منافع الآخرة فريضان الله تعالى ، وأما منافع الدنيا فما يسيبون من منافع البدن والبائع والتجار ، وكذا قال مجاهد وغير واحد : إنها منافع الدنيا والآخرة كقوله (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) وقوله (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) قال شعبة وهشيم عن أبى بشر عن سعيد بن ابن عباس رضى الله عنهما : الأيام للمعلومات أيام الشرع وعلقه البخارى عنه بصفة الحزم به روى مثله عن أبى موسى الأشعرى ومجاهد وقادة وعطاء وسعيد بن جبير والحسن والشحاح وعطاء الخراساني وإبراهيم النخعي وهو مذهب الشافعى والجمهور عن أحمد بن حنبل ، وقال البخارى حدثنا محمد بن عرصة حدثنا شعبة عن سليمان عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « ما العمل في أيام أفضل منها فى هذه » قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله إلا لرجل يخرج لمخاطر نفسه وماله فلم يرجع بشيء » رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه بنحوه وقال الترمذى حديث حسن غريب صحيح ، وفى الباب عن ابن عمر وأبى هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر ، فقلت وقد نصبت هذه الطرق وأوردت لها جزأ على حدة فمن ذلك ما قال الإمام أحمد حدثنا عثمان أن أبانا أبو عوانة عن يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فحين من هذه الأيام

الشر فأكثروا فبهن من التهلكة والتكثير والتحديد » وروى من وجه آخر عن مجاهد عن ابن عمر بنحوه ، وقال البخاري وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام الفطر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما وقد روى أحمد بن حنبل جابر مرفوعاً أن هذا هو الشر الذي أقسم الله به في قوله (والفطر وليال عشر) وقال بعض السلف إنه المراد بقوله (وأتبعناها بغير) وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ كان يصوم هذا الشر ، وهذا الشر يشتمل على يوم عرفة الذي ثبت فيه صحيح مسلم عن أبي قتادة قال سئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عرفة فقال أحسب على الله أن يكفر السنة الماضية والآتية ويشتمل على يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر ، وقد ورد في حديث أنه أفضل الأيام عند الله وبالجملة فهذا الشر قد قيل إنه أفضل أيام السنة كما نطق به الحديث ، وفضله كثير على عشر رمضان الأخير لأن هذا يصرح فيه ما يصرح في ذلك من سلامة وسام ومدة وغيره ، ويمتاز هذا بخصوصه بأداء فرض الحج فيه وقيل ذلك أفضل لاشتائه على ليلة القدر التي خیر من ألف شهر وتوسط آخرون فقالوا أيام هذا أفضل وليالي ذلك أفضل وبهذا يجتمع حمل الأدلة والله أعلم (قول ثان) في الأيام للملومات قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس الأيام للملومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده ، ويروي هذا عن ابن عمر وإبراهيم النخعي وإليه ذهب أحمد بن حنبل في رواية عنه (قول ثالث) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يونس بن الليث بن حداد عن يحيى بن سعيد حدثنا ابن عجلان حدثني نافع بن ابن عمر كان يقول : الأيام للملومات للمدودات من سبعين أربعة أيام فالأيام للملومات يوم النحر ويومان بعده ، والأيام للمدودات ثلاثة أيام يقدم يوم النحر هذا إسناد صحيح إليه ، وقاله السدي وهو مذهب الإمام مالك بن أنس ويضد هذا القول والذي قبله قوله تعالى (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) يصر به ذكر الله عند ذبحها (قول رابع) إنها يوم عرفة ويوم النحر ويوم آخر بعده وهو مذهب أبي حنيفة ، وقال ابن وهب حدثني ابن زبدين أسلم عن أبيه أنه قال للملومات يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق وقوله (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) يعني الإبل والبقر والغنم كما فصلها تعالى في سورة الأنعام (ثمانية أزواج) الآية وقوله (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) استعمل بهذه الآية من ذهب إلى وجوب الأكل من الأصحاب وهو قول غريب والذي عليه الأكثرون أنه من باب الرخصة أو الاستعجاب كما ثبت أن رسول الله ﷺ لما نحر هديه أمر من كل بدنة بصدقة فتطبخ فأكل من لحما وحسنا من مرقها قال عبد الله بن وهب قال مالك أصعب أن يأكل من أضحية لأن الله يقول (فكلوا منها) قال ابن وهب وسألت الألبث فقال لي مثله ذلك وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم (فكلوا منها) قال كان للشركون لا يأكلون من ذبحهم فرخص للسلين فمن شاء أكل ومن لم يشأ لم يأكل ، وروى عن مجاهد وعطاء نحو ذلك . قال هشيم عن حسين عن مجاهد في قوله (فكلوا منها) قال يحيى كقول (فإذا حللتم فاصعدوا) فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في تار أرض) وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره ، واستدل من نصر القول بأن الأصحاب يصدق منها بالنصف بقوله في هذه الآية (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) فجزأها نصفين نصف للمعني ونصف للفقراء ، والقول الآخر أنها جزأ ثلاثة أجزاء ثلث له وثلث يديه وثلث يتصدق به بقوله تعالى في الآية الأخرى (فكلوا منها وأطعموا القانع والمتر) وسيأتي الكلام عليها عندنا إنشاء الله تعالى ، وقوله (البائس الفقير) قال عكرمة هو الضطر الذي يظهر عليه البؤس وهو الفقير للتعفف : وقال مجاهد هو الذي لا يسطر يده ، وقال قتادة هو الزمن . وقال مقاتل بن حيان هو الضرب وقوله (ثم ليقتوا نهمهم) قال ط بن أبي طلحة عن ابن عباس هو وضع الإحرام من حلق الرأس وليس الثياب وقص الأظفار ونحو ذلك وهكذا روى عطاء ومجاهد عنه وكذا قال عكرمة ومحمد بن كعب القرظي وقال عكرمة عن ابن عباس (ثم ليقتوا نهمهم) قال الثفت للثناك وقوله (وليوفوا نذورهم) قال ط بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني نحر ما نذر من أمر البدن . وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد (وليوفوا نذورهم) نذر الحج والهدى وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج ، وقال إبراهيم بن ميسرة عن مجاهد (وليوفوا نذورهم) قال الذبائح . وقال ليث بن أبي سلم عن مجاهد (وليوفوا نذورهم) كل نذر إلى أجل . وقال عكرمة (وليوفوا نذورهم) قال جهم - وكذا روى الإمام أحمد وابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا بن أبي عمر حدثنا سفيان في قوله (وليوفوا نذورهم) قال نذور الحج فكل من

دخل الحج فعليه من العمل فيه الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة وعرفة ومزدلفة ورمى الجمار على ما أمروا به ، وروى عن مالك نحوه هذا وقوله (وليطوفوا بالبيت العتيق) قال مجاهد حتى الطواف الواجب يوم النحر : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن أبي حمزة قال : قال لي ابن عباس أنقروا سورة الحج يقول الله تعالى (وليطوفوا بالبيت العتيق) فإن آخر للناسك الطواف بالبيت العتيق : قلت وهكذا صنع رسول الله ﷺ فإنه لما رجع إلى مكي يوم النحر بدأ بركب الجمر فركبها بسبع حصيات ثم نحر هديه وحلق رأسه ثم أقام فطاف بالبيت ، وفي الصحيحين عن ابن عباس أنه قال أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف إلا أنه خفف عن المرأة الحائض ، وقوله (بالبيت العتيق) فيه مستدل لمن ذهب إلى أنه يجب الطواف من وراء الحجر لأنه من أصل البيت الذي بناه إبراهيم وإن كانت قريش قد أخرجه من البيت حين قصرت بهم النفقة ، ولهذا طاف رسول الله ﷺ من وراء الحجر وأخبر أن الحجر من البيت ولم يستلم الركبتين الشاميتين لأنهما لم يمتعا على قواعد إبراهيم العتيقة ، ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير حدثنا مكيان عن هشام بن حجر عن رجل عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية (وليطوفوا بالبيت العتيق) طاف رسول الله ﷺ من وراءه ، وقال قتادة عن الحسن البصري في قوله (وليطوفوا بالبيت العتيق) قال لأنه أول بيت وضع للناس وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وعن عكرمة أنه قال إنما سمى البيت العتيق لأنه أعتق يوم الفرقان نوح ، وقال خصيف إنما سمى البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار قط ، وقال ابن أبي نجيع وليث عن مجاهد أعتق من الجبارة أن يسلموا عليه وكذا قال قتادة وقال حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد لأنه لم يرد أحد بسوء إلا هلك ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن الزبير قال إنما سمى البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبارة ، وقال الترمذي حدثنا محمد بن إسماعيل وغير واحد حدثنا عبد الله بن صالح أخبرني أبي عن عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن محمد بن عمرو عن عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ « إنما سمى البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار » وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن سهل الحارثي عن عبد الله بن صالح به وقال إن كان صحيحا ، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب ثم رواه من وجه آخر عن الزهري مرسل

(ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظمْ حُرْمَةَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحْلَتْ لَكُمْ أَنْتُمْ إِلَّا مَا يُنْفَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطُّيُورُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)

يقول تعالى هذا الذي أمرنا به من الطاعات في أداء للناسك وما يلقى عليها من الثواب الجزيل (ومن يعظم حرمت الله) أي ومن يجتنب معاصيه وعقابه ويكون ارتكابها عظيما في نفسه (فهو خير له عند ربه) أي فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل فكا على فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل كذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات قال ابن جرير قال مجاهد في قوله (ذلك ومن يعظم حرمت الله) قال الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها وكذا قال ابن زيد . وقوله (وأحلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُنْفَى عَلَيْكُمْ) أي أحللتنا لكم جميع الأنعام وما جعل الله من بحيرة ولا سائمة ولا وصيلة ولا حام ، وقوله (إِلَّا مَا يُنْفَى عَلَيْكُمْ) أي من تحريم اللبنة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وللنخلة الآية قال ذلك ابن جرير وحكام عن قتادة ، وقوله (فاجتنبوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) من ههنا لبيان الجنس أي اجتنبوا الرِّجْسَ الذي هو الأوثان وقرن الشرك بالله بقول الزور كقوله (قل إنما حرم ربي القواش ما ظهر منها وما بطن) والإثم والبني بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به

سلطاناً وأن تقولوا على الله ما نملون) ومنه شهادة الزور ، وفي الصحيحين عن أبي بكرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » قلنا بلى يا رسول الله قال « الإشراك بالله وعقوق الوالدين - وكان منكناً فجلس فقال - ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور » لما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت ، وقال الإمام أحمد حدثنا مروان بن معاوية الفزاري أنبأنا سفيان بن زياد عن فاطم بن فضالة عن أيمن بن خريم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال « يا أيها الناس عدلت شهادة الزور إشراكاً بالله » ثلاثاً ثم قرأ (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور) وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن مروان بن معاوية به ثم قال غريب إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد وقد اختلف عنه في رواية هذا الحديث ولا نعرف لأيمن بن خريم سمعاً من النبي ﷺ وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا محمد بن عبيد حدثنا سفيان الصفري عن أبيه عن حبيب بن النعمان الأسدي عن خريم بن فاطم الأسدي قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فلما انصرف قام قائماً فقال « عدلت شهادة الزور الإشراك بالله عز وجل » ثم تلا هذه الآية (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حذوا لله غير مشركين به) وقال سفيان الثوري عن عاصم بن أبي النجود عن وائل بن ربيعة عن ابن مسعود أنه قال : تعدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثم قرأ هذه الآية ، وقره (حذوا لله) أي علمتم له الدين من تحريف عن الباطل قصداً إلى الحق ولهذا قال (غير مشركين به) ثم ضرب للمشرك مثلاً في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى فقال (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء) أي سقط منها (فتخططه الطير) أي تقطعه الطيور في الهواء (أو تهوى به الريح في مكان سحيق) أي يبعد مهلك لمن هوى فيه ولهذا جاء في حديث البراء : أن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه إلى السماء فلا تفتح له أبواب السماء بل تطرح روحه طرْحاً من هناك ثم قرأ هذه الآية وقد تقدم الحديث في سورة إبراهيم بحروفه والفاظه وطرقه . وقد ضرب تعالى للمشركين مثلاً آخر في سورة الأنعام وهو قوله (قل أئندعوا من دون الله مالا ينفض ولا يضرننا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى فلتافل بآلهة الهدى إلى هدى الله هو الهدى) الآية

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ كُفْرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ هَوَى الْقُلُوبِ • لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْمِلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْمَتِينِ ﴾

يقول تعالى هذا (ومن يعظم شمائر الله) أي أوامره (فإنها من هوى القلوب) ومن ذلك تعظيم الهدايا والبدن كما قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس تعظيمها استئمانها واستحسانها . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا خنيس بن غياث عن ابن أبي ليلى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (ذلك ومن يعظم شمائر الله) قال : الاستئمان والاستحسان والاعتظام ، وقال أبو أمامة عن سهل : كنا نسمن الأضحية بالبدنية وكان للسلون يسمنون . رواه البخاري وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « دم غفراء أحب إلى الله من دم سدواوين » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه قالوا : والغفراء هي البيضاء أيضاً ليس بناصع فالبيضاء أفضل من غيرها وغيرها يجوز أيضاً لما ثبت في صحيح البخاري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين أقرنين وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ ضحى بكبش أقرن كبشيل يأكل في سواد وينظر في سواد ويمشي في سواد رواه أهل السنن وصححه الترمذي - أي فيه نكتة سوداء في هذه الأماكن ، وفي سنن ابن ماجه عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ ضحى بكبشين عظيمين ميين أقرنين أملحين موجودين وكذا روى أبو داود وابن ماجه عن جابر ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أقرنين أملحين موجودين : قيل ما الحصان وقيل اللذان رض خصيماهما ولم يقطعهما والله أعلم . وعن علي رضي الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستكرف العين والأذن

وَأَنْ لَا تَضْحَى بِمَقَابِلَةٍ وَلَا مَدَابِرَةٍ وَلَا شَرْقَاءَ وَلَا خَرْقَاءَ بِرَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ وَلَهُمْ عَنْهُ ، قَالَ نَبِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ ضَحْضَى بِأَعْضَبِ الْقُرْنِ وَالْأُذُنِ ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ السَّبِيحِ : الْعَضْبُ النِّصْفُ فَأَكْثَرُ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْقِسْطِ : إِنْ كَسَرَ قُرْنَهَا الْأَعْلَى فِيهِ قِصَابُهَا فَأَمَّا الْعَضْبُ فَهُوَ كَسْرُ الْأَسْتَلِ وَأَعْضَبُ الْأُذُنُ قَطْعُ بَعْضِهَا ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ أَنَّ الْأَضْجِيَةَ بِذَلِكَ جَزْءَةٌ لَكِنْ تَكْرَهُ ، وَقَالَ أَحْمَدُ لَا يَجْزِيهِ الْأَضْجِيَةُ بِأَعْضَبِ الْقُرْنِ وَالْأُذُنِ لِهَذَا الْحَدِيثِ ، وَقَالَ مَالِكٌ إِنْ كَانَ الْعَمُ بِسِيلٍ مِنَ الْقُرْنِ لَمْ يَجْزِءْ وَلَا أَجْزَأُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَأَمَّا الْقَابِلَةُ فَهِيَ الْفَقْطُ مَقْدَمُ أَذُنِهَا وَلِلدَّابِرَةِ مِنْ مُؤَخَّرِ أَذُنِهَا ، وَالشَّرْقَاءُ هِيَ الَّتِي قَطَعْتَ أَذُنَهَا طَوْلًا . قَالَ الشَّافِعِيُّ وَالْأَصْمَعِيُّ وَأَمَّا الْخَرْقَاءُ فَهِيَ الَّتِي خَرَقَتْ السِّمَةَ أَذُنَهَا خَرْقًا مَدُورًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَرْبَعٌ لَا يَجُوزُ فِي الْأَضْجِيَةِ : الْعَوْرَاءُ الْبَيْنُ عَوْرُهَا وَلِلرِّضَةِ الْبَيْنُ مَرَضُهَا وَالرَّجَاءُ الْبَيْنُ ضَلْعُهَا وَالْكُسِيرَةُ الَّتِي لَا تَتَّقِي » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ وَهَذِهِ الْيُوبُ تَقْمِسُ الْجَمْعَ لَضَعْفِهَا وَعِجْزُهَا عَنْ اسْتِكْمَالِ الرَّغِي لَأَنَّ الشَّاءَ يَسْبِقُهَا إِلَى الرَّغِي فَلَهَذَا لَا يَجْزِئُ الضَّحْضَى بِهَا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَعْمَةِ كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ ، وَاخْتَلَفَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ فِي الرِّضَةِ مَرْضًا يَسِيرًا عَلَى قَوْلَيْنِ وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَتَبَةَ بْنِ عَبْدِ السَّلِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْمَصْفَرَةِ وَالسَّائِطَةِ وَالْبَيْضَاءِ وَالشَّعْبَةِ وَالْكُسِيرَةِ ، فَاصْفَرَةُ قِيلَ الْهَزِيلَةُ وَقِيلَ لِلْسَّائِطَةِ الْكَسُورَةُ وَالرَّجَاءُ فَهَذِهِ الْيُوبُ كُلُّهَا مَانِعَةٌ مِنَ الْإِجْزَاءِ فَإِنْ طُرِئَ الْغَيْبُ بَعْدَ تَعْيِينِ الْأَضْجِيَةِ فَانَّهُ لَا يَضُرُّ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : أَخْتَرْتُ كَيْشًا أَضْحَى بِهِ فَعَدَا الدَّيْبُ فَأَخَذَ الْأَلْيَةَ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « ضَحْ بِهِ » وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ نَسْتَشْرِفَ الْعَيْنَ وَالْأُذُنَ أَيْ أَنْ تَكُونَ الْهَدِيَّةُ وَالْأَضْجِيَةُ حَسَنَةً يَمْنَعُ كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ أَهْدَى عَمْرٍو نَجِيمًا فَأَعْطَانِي بِهَا ثَلَاثَةَ دِينَارٍ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَهْدَيْتُ نَجِيمًا فَأَعْطَيْتُ بِهَا ثَلَاثَةَ دِينَارٍ فَأَنِيَمِيَا وَأَعْتَرَى شَيْئًا بَدَنًا قَالَ لَا « انْعَمَهَا بِهَا » وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ الْبَدَنُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُوسَى الْوُقُوفُ وَمَزْدَقَةُ وَالْجَارُ وَالرَّحَى وَالْحَقُّ وَالْبَدَنُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ وَقَالَ ابْنُ عَمْرٍو أَكْثَرُ الشَّعَائِرِ الْبَيْتُ وَقَوْلُهُ (لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) أَيْ لَكُمْ فِي الْبَدَنِ مَنَافِعُ مِنْ لَبَنِهَا وَصُوفِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا وَرُكُوبِهَا إِلَى أَجْلِ مَسْمِيٍّ قَالَ مَقْسَمُ بْنُ عَبْدِ عِبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ (لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجْلِ مَسْمِيٍّ) قَالَ مَا لَمْ تَسْمِ بَدَنًا وَقَالَ جَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ (لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجْلِ مَسْمِيٍّ) قَالَ الرُّكُوبُ وَاللَّبَنُ وَالْوَلَدُ لِذَا سَمِيَتْ بِدَنَةٍ أَوْ هَدِيًا ذَهَبَ ذَلِكَ كُلُّهُ وَكَذَا قَالَ عَطَاءُ وَالنَّسَائِيُّ وَقَتَادَةُ وَعَطَاءُ الْخِرَاسِيُّ وَغَيْرُهُمْ ، وَقَالَ آخَرُونَ بَلْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا وَإِنْ كَانَتْ هَدِيًا إِذَا احتاجَ إِلَى ذَلِكَ كَمَا ثَبِتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَسُوقُ بَدَنَةً قَالَ « أُرْكَبُهَا » قَالَ إِنَّمَا بَدَنَةٌ قَالَ « أُرْكَبُهَا وَهِيَ » فِي الثَّانِيَةِ أَوْ الثَّالِثَةِ وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « أُرْكَبُهَا بِالْمَعْرُوفِ إِذَا أُجِلَّتْ إِلَيْهَا » وَقَالَ شُعْبَةُ بْنُ زُهَيْرٍ عَنْ أَبِي ثَابِتٍ الْأَعْمِيِّ عَنْ الْقَعْرِ بْنِ أَبِي الْحَرِثِ عَنْ أَبِي جَابِرٍ أَنَّ رَجُلًا يَسُوقُ بَدَنَةً وَمَعَهَا وَلَهَا قَالَ لِأَشْرَبٍ مِنْ لَبَنِهَا إِلَّا مَا فَضَلَ عَنْ وَلَهَا فَإِذَا كَانَ يَوْمَ النُّحْرِ فَادْبَحْهَا وَابْدَحْهَا وَقَوْلُهُ (ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) أَيْ عَمِلَ الْهَدْيَ وَاتَّيَاؤُهُ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَهُوَ الْكَبَّةُ كَمَا قَالَ تَعَالَى (هَدِيَا بَالِغَ الْكَبَّةِ) وَقَالَ (وَالْهَدْيُ مَسْكُوفٌ أَنْ يَبْلُغَ عَمَلُهُ) وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى مَعْنَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ قَرِيبًا وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عَطَاءٍ قَالَ : كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : كُلُّ مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ قَدْ حَلَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ)

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَرَكَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِحَادًا قَلًا أَسْمَلُوا وَأَبْشَرُ الْمُخْتَلِعِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّيْرُ يَنْقَلِبُ إِلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُتَعَبِيُّ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقَهُمْ يَنْفِقُونَ ﴾

غير تعالى انه لم يزل ذبح الناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعا في جميع الملل وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ولكل أمة جعلنا منسكا) قال عبداً وقال عكرمة ذبحا ، وقال زيد بن أسلم في قوله (ولكل أمة جعلنا منسكا) إنها مكة لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها . وقوله (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكشين أملحين أقرنين قصى وكبر ووضع رجله على صفاحهما ، وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هرون أنبا ناسلام بن مسكين عن عائشة الجاشعي عن أبي داود - وهو قتيبة بن الحارث - عن زيد بن أرقم قال : قلت أوقالوا يا رسول الله ماهذه الأضاحي ؟ قال « سنة أبيك إبراهيم » قالوا لئانماها ؟ قال « بكل شعرة حسنة » قال فالصوف ؟ قال « بكل شعرة من الصوف حسنة » وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في سننه من حديث سلام بن مسكين به .

وقوله (فألهكم إله واحد فله أسلموا) أي معبودكم واحد وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضا فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا عابدون) ولهذا قال (فله أسلموا) أي أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته (وبشر المحبتين) قال مجاهد اللطيفين وقال الضحاك وقادة التواضعين وقال السدي الوجيلين وقال عمرو بن أوس : المحبتين الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم يتصصروا ، وقال الثوري (وبشر المحبتين) قال اللطيفين الراضين بقضاء الله للتسليمين له وأحسن بما يفسر بما يهده وهو قوله (الذين إذا ذكروا بآيات الله وجلت قلوبهم) أي خافت منه قلوبهم (والصابرين على ما أصابهم) أي من الصائب ، قال الحسن البصري والله لتصبرن أو لتهلكن (والقبي الصلاة) قرأ الجمهور بالإضافة السبعة وبقية الشعرة أيضا ، وقرأ ابن السميع (والقبي الصلاة) بالنصب وعن الحسن البصري (والقبي الصلاة) وإنما حذف التون ههنا تخفيفا ولو حذف للاضافة لوجب خفض الصلاة ولكن على سبيل التخفيف فنصب أي المؤمنون حق الله فيا أوجب عليهم أداء فرضه (وما رزقناهم ينفقون) أي وينفقون ما أتاهم الله من طيب الرزق على أهلهم وأقاربهم وقرائهم وعوامهم ويحسنون إلى الخلق مع عفافهم على حدود الله ، وهذه بخلاف صفات المنافقين فإنهم بالعكس من هذا كله كآتهم ضحية في سورة براءة

﴿ وَالَّذِينَ جَعَلْنَاكُمْ فِيهَا مَنَاسِكًا لَّكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوًّاكَ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَائِمَ وَالْمَعْرُودَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاكُمْ لَكُمْ تَسْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى ممثلا على عبده فخلق لهم من البدن وجعلها من شعائره وهو أنه جعلها تهدي إلى بيته الحرام بل هي أفضل ما يهدي إليه كما قال تعالى (لا تلحوا شعائر الله ولا الصهر الحرام ولا المدي ولا القلائد ولا آيين البيت الحرام) الآية ، قال ابن جرير قال عطاء في قوله (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله) قال البقرة والبعر وكذا روى عن ابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن البصري ، وقال مجاهد إنما البدن من الإبل (قلت) أما إطلاق البدنة على البعير فنشق عليه واختلوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة على قولين أصحهما أنه يطلق عليها ذلك شرعا كما صح الحديث ، ثم جمهور العلماء على أنه تجزئ البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة كما ثبت به الحديث عند مسلم من رواية جابر بن عبد الله قال أمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك في الأضاحي البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة ، وقال إسحق بن راهويه وغيره بل تجزئ البقرة والبعير عن عشرة وقد ورد به حديث في مسند الإمام أحمد وسنن النسائي وغيرها فانه أعلم . وقوله (لكم فيها خير) أي ثواب في الأدار الآخرة ، وعن سليمان بن يزيد الكوفي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله من إهراق دم وإتيا ثلثي يوم القيامة بقرونها وظلالتها وأشجارها وإن الله يلقى من الله بكلان قبل أن يقع من الأرض فطيوا بها نسا » رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه . وقال سفيان الثوري كان أبو حازم يستدين ويسوق البدن فقيل له تستدين

وتسوق البدن ؟ فقال إني سمعت الله يقول (لكم فيها خير) وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نخرة في يوم عيد » رواه الدارقطني في مسنده ، وقال مجاهد (لكم فيها خير) قال أجز ومنافع ، وقال إبراهيم النخعي يركبها ويغلبها إذا احتاج إليها . وقوله (فاذكروا اسم الله عليها صواف) وعن المطالب بن عبد الله بن حنظل عن جابر بن عبد الله قال صليت مع رسول الله ﷺ عيد الأضحي فلما انصرفنا أتى بكيش فذبحه فقال « باسم الله والله أكبر اللهم هذا عني وعن لم يضح من أمي » رواه أحمد وأبو داود والترمذي . وقال محمد بن إسحق عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عباس عن جابر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين في يوم عيد فقال حين وجههما « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . إن مسلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وأمثه » ثم صلى الله وكبر وذبح وعن علي بن الحسين عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ كان إذا ضحى اشترى كبشين ميمين آخرين أملحين فإذا ضل وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بنفسه بالمدينة ثم يقول « اللهم هذا عن أمي جميعاً من شهد لك بالوحدانية وشهدني بالبلغ » ثم يؤتى بالآخر فيذبحه بنفسه ثم يقول « هذا عن محمد وآل محمد » فيطعمهما جميعاً للمساكين ويأكل هو وأهله منهما رواه أحمد وابن ماجه . وقال الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس في قوله (فاذكروا اسم الله عليها صواف) قال قياماً على ثلاث قوائم معقولة يدعها اليسرى يقول باسم الله والله أكبر لإله إلا الله اللهم منك ولك : وكذلك روى عن مجاهد وطى بن أبي طلحة والموقي عن ابن عباس نحو هذا . وقال ليث عن مجاهد إذا عقلت رجلها اليسرى قامت على ثلاث ، وروى ابن أبي نجیح عنه نحوه . وقال الضحاك يمشي رجلان فكون على ثلاث . وفي الصحيحين عن ابن عمر أنه أتى على رجل قد أتبع بدنة وهو ينحرها فقال إنيها قياماً مقيدة سنة أبي القاسم ﷺ وعن جابر أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا ينحرون البدن معقولة اليسرى قائمة على مابق من قوائمها رواه أبو داود وقال ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار أن أسلم بن عبد الله قال لسليان بن عبد الملك قف من شقها الأيمن وانحر من شقها الأيسر ، وفي صحيح مسلم عن جابر في صفة حبة الوداع قال فيه فحرق رسول الله ﷺ يده ثلاثاً وستين بدنة جعل يطعنها بحربة في يده . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال في حرف ابن مسعود (صوافن) أي معقولة قياماً وقال سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد من قرأها صوافن قال معقولة من قرأها صواف قال تصف بين يديها وقال طائوس والحسن وغيرهما (فاذكروا اسم الله عليها صوافي) يعني خالصة لله عز وجل وكذا رواه مالك عن الزهري . وقال عبد الرحمن بن زيد صوافي ليس فيها شرك كشرك الجاهلية لأصنامهم وقوله (فلذا وجبت جنوبها) قال ابن أبي نجیح عن مجاهد يعني سقطت إلى الأرض وهو رواية عن ابن عباس وكذا قال مقاتل بن حيان . وقال العوفي عن ابن عباس فلذا وجبت جنوبها يعني نحرها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فلذا وجبت جنوبها يعني مات وهذا القول هو مراد ابن عباس ومجاهد فإنه لا يجوز الأكل من البدنة إذا نحر حتى تعوت وتبرد حركتها ، وقد جاء في حديث مرفوع « لا تلجأوا النفوس أن تزحق » وقدرناه الثوري في جامعنا عن أيوب عن يحيى بن أبي كثير عن قرظة الحنفي عن عمر بن الخطاب أنه قال ذلك ويؤيده حديث شداد بن أوس في صحيح مسلم « إن الله كتب الإحسان على كل شيء فلذا قلتم فاحسنوا القتل وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليعد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » وعن أبي واقد الليثي قال : قال رسول الله ﷺ « ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه . وقوله (فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر) قال بعض السلف قوله (فكلوا منها) أمر بإطعامه . وقال مالك يستحب ذلك وقال غيره يجب وهو وجه لبعض الشافعية . واختلقوا في اللراد بالقانع والمعتر فقال العوفي عن ابن عباس القانع للسكنى بما أعطيته وهو في بيته وللمعتر الذي يتعرض لك ويلم بك أن تعطيه من اللحم ولا يسأل وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي . وقال طى بن أبي طلحة عن ابن عباس القانع للتشفف والمعتر السائل وهذا

قول قتادة وإبراهيم النخعي ومجاهد في رواية عنه ، وقال ابن عباس وعكرمة وزيد بن أسلم والسكاكي والحسن البصري ومقاتل بن حيان ومالك بن أنس القانع هو الذي يفتح إليك ويسألك وللمتر الذي يمتريك يضرع ولا يسألك وهذا لفظ الحسن وقال سعيد بن جبير القانع هو السائل قال أما سمعت قول الشجاع

لما للره يصلحه فيضى * مفارقة أعف من القنوع

قال يضمن السؤال وبه قال ابن زيد وقال زيد بن أسلم القانع للسكين الذي يطوف وللمتر الصديق والضعيف الذي يزور وهو رواية عن ابنه عبد الرحمن بن زيد أيضا ، وعن مجاهد أيضا القانع جارك الذي يصر ما يدخل بيتك وللمتر الذي يستزل من الناس ، وعنه أن القانع هو الطامع وللمتر هو الذي يمتز بالبدن من غنى أو فقر وعن عكرمة نحوه وعنه القانع أهل مكة ، واختار ابن جرير أن القانع هو السائل لأنه من أفتح يده فإذا رفعها للسؤال وللمتر من الاعتراء وهو الذي يتعرض لأكل اللحم ، وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء ثلث لأصحابيها كله وثلث يهديه لأصحابه وثلث تصدق على الفقراء لأنه تعالى قال (فكلوا منها وأطعموا القانع والمتر) وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لئاس « إنى كنت تهينني عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث فكلوا وادخروا ما بدا لكم » وفي رواية « فكلوا وادخروا وتصدقوا » وفي رواية « فكلوا وأطعموا وصدقوا » : والقول الثاني : أن الضحى يأكل النصف ويصدق بالنصف قوله في الآية للفقمة (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) وقوله في الحديث « فكلوا وادخروا وصدقوا » فإن أكل الكل قليل لا يضمن شيئا وبه قال ابن سريج من الشافعية وقال بعضهم يضمنها كلها بثلثها أو قيمتها وقيل يضمن نصفها وقيل ثلثها وقيل أدنى جزء منها وهو المشهور من مذهب الشافعي ، وأما الجلود ففي مسند أحمد عن قتادة بن النعمان في حديث الأضاحي « فكلوا وصدقوا واستمتعوا بجلودها ولا يبيعوها » ومن العلماء من رخص في بيعها ومنهم من قال يخاصم الفقراء فيها والله أعلم (مسألة) عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما تبدأ به يومئذ أن ترضى ثم ترجع فتسر فمن فعل فقد أصاب مستنزا ومن ذبح قبل الصلاة فأبسا هو ولم يدمه لأهله ليس من النكاح في شيء » أخرجه فلنذا قال الشافعي وجماعة من العلماء : إن أول وقت ذبح الأضاحي إذ طلعت الشمس يوم النحر ومضى قدر صلاة العيد والحطين زاد أحمد وأن يذبح الإمام بذلك لما جاء في صحيح مسلم وأن لا تذبحوا حتى يذبح الإمام ، وقال أبو حنيفة أما أهل السواد من القرى ونحوها فلم يذبحوا بعد طلوع الفجر إذ لا صلاة عيد تشرع عنده لهم ، وأما أهل الأمصار فلا يذبحوا حتى يصلي الإمام والله أعلم . ثم قيل لا يشرع الذبح إلا يوم النحر وحده وقيل يوم النحر لأهل الأمصار ليس الأضاحي عندهم وأما أهل القرى فيوم النحر وأيام التشريق بعده وبه قال سعيد بن جبير وقيل يوم النحر ويوم بعده للجميع وقيل ويومان بعده وبه قال الإمام أحمد ، وقيل يوم النحر وثلاثة أيام التشريق بعده وبه قال الشافعي لحديث جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أيام التشريق كلها ذبح » رواه أحمد وابن حبان وقيل إن وقت الذبح يمتد إلى آخر ذى الحجة ، وبه قال إبراهيم النخعي وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وهو قول غريب وقوله (كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون) يقول تعالى من أجل هذا (سخرناها لكم) أي قلنا لها لكم وجعلناها مقادير لكم خاضعة إن شئتم تركتم وإن شئتم حللتم وإن شئتم ذبحتم كما قال تعالى (أولم يروا أنا خلقناهم لمعاذ الله أن يكونوا - إلى قوله - أفلا يشركون) وقال في هذه الآية الكريمة (كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون)

(أن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولا يسكن يناله) التَّقْوَى معكم - كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون الله على ما هداكم - وَيَسِّرَ الْمُشْيِينَ ﴿

يقول تعالى إنما شرع لكم هذه الهدايا الضحايا لذكركم عنه وذبحها فانه الخالق الرزاق لا يناله شيء من لحومها ولا دماها فانه تعالى هو التي مما سواه وقد كانوا في جاهليتهم إذا ذبحوها لألهتهم وضموها عليها من لحوم قرابينهم

ونضجوا عليها من دماها فقال تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن أبي حماد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج قال كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلعوم الإبل ودماها فقال أصحاب رسول الله ﷺ فحين أحق أن تنضح فأنزله الله (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أي يتقبل ذلك ويجزي عليه كما جافى الصحيح وإن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أفعالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم وجاء في الحديث « إن الصدقة لتعم في بدال رحم قبل أن تقع في يد السائل وإن الله لم يلق من الله بمكان قبل أن يقع إلى الأرض » كما تقدم في الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه عن عائشة مرفوعاً فعناه أنه سيق لتحقيق القبول من الله لمن أخلص في عمله وليس له معنى يتبادر عند العلماء المحققين سوى هذا والله أعلم وقال وكيع عن يحيى بن مسلم ابن الضحاك سألت طامراً الشامي عن جلود الأضاحي فقال (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) إن شئت فنع إن شئت فأمسك وإن شئت فتصدق وقوله (كذلك سخرها لكم) أي من أجل ذلك سخر لكم البدن (تسكبوا الله على ما هداكم) أي لتعظموه كما هداكم لدينه وشرعه وما يحبه ويرضاه ونهاكم عن فعل ما يكرهه ويأباه وقوله (وهى المحسنين) أى وبشر يا محمد المحسنين أى في عملهم القامعين بحدود الله للتبعية ما شرع لهم للصدقين الرسول فيها أبشروهم وجاءهم بمن عند ربهم وجل (مسألة) وقد ذهب أبو حنيفة ومالك والثوري إلى القول بوجوب الأضحية على من ملك نصاباً وزاد أبو حنيفة اشتراط الإقامة أيضاً واحتج لهم بما رواه أحمد وابن ماجه بإسناد رجاله كلهم ثقات عن أبي هريرة مرفوعاً « من وجد سعة فلم يشع فلا يقربن مصلانا » على أن فيه غرابة واستكره أحمد بن حنبل وقال ابن عمر : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين يضحي رواه الترمذي وقال الشافعي وأحمد : لا تحب الأضحية بل هى مستحبة لما جاء في الحديث (ليس في المال لحق سوى الزكاة) وقد تقدم أنه على الصلاة والسلام ضحى عن أمته فأستطرد ذلك وجوبها عليهم وقال أبو سريشة كنت جاراً لأبي بكر وعمر فكننا لا يضحيان خشية أن يقتدى الناس بهما ، وقال بعض الناس الأضحية سنة كفاية لإقحام بها واحد من أهل دار أو محلة أو بيت سقطت عن الباقي لأن المقصود إظهار الشعار : وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن وحسنه الترمذي عن مخنف بن سليم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول يرفات « على كل أهل بيت في كل عام أضحية وعترة » هل تدرون ما العترة هى التى تدعونها الرجية وقد تكلم في إسناده ، وقال أبو أيوب كان الرجل في عهد رسول الله ﷺ يضحي بالشاة الواحدة عنه وعن أهل بيته فياً يكون ويطعمون حتى تباهى الناس فصار كما ترى رواه الترمذي وصححه وابن ماجه ، وكان عبد الله بن هشام يضحي بالشاة الواحدة عن جميع أهله رواه البخاري ، وأما مقدار سن الأضحية فقد روى مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال « لا تذبحوا إلا مسنة إلا أن تضرع عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن » ومن ههنا ذهب الزهري إلى أن الجذع لا يجزئ ، وقابله الأوزاعي فذهب إلى أن الجذع يجزئ من كل جنس وهما غريبان ، والذى عليه الجمهور إنما يجزئ الثني من الإبل والبقر والتمرأ والجذع من الضأن ، فأما الثني من الإبل فهو الذى له خمس سنين ودخل في السادسة ، ومن البقر ما له سنتان ودخل في الثالثة ، وقيل ما له ثلاث ودخل في الرابعة ومن للز ما له سنتان ، وأما الجذع من الضأن فقبل ما له سنة ثلث عشرة أشهر . وقيل ثمانية ، وقيل ستة أشهر وهو أقل ما قيل في سنه وما دونه فهو حمل والفرق بينهما أن الحمل شعر ظهره قائم ، والجذع شعر ظهره نائم ، قد اشرق صديعين والله أعلم

(إِنَّ اللَّهَ يُدْرِكُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ)

يخبر تعالى أنه يدرك عن عباد الله الذين توكلوا عليه وآتوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار ويعظمهم ويكلمهم وينصمهم كما قال تعالى (أليس الله بكاف عبده) وقال (ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شئ قدراً) وقوله (إن الله لا يحب كل خوان كفور) أى لا يحب من عباده من اتصف بهذا وهو الخيانة في اليهود والوثائق لا يفي بما قال ، والكفر الجحد للتعلم فلا يتصرف بها

(أَذِنَ الَّذِينَ يُهْتَكُونَ بِآثِمِهِمْ طَلُفُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ قَدِيرٌ) الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ بَنِي حَقٍّ إِلَّا

أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَقَدْ دَفَعَ إِلَيْنَا أَنْفُسَهُمْ بِمَنْزِلَةِ صَوْبِ وَبَيْعٍ وَصَلَاتٍ وَمَسْجِدٍ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيْسَ عَرَفَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ

قال المولى عن ابن عباس نزلت في محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة ، وقال مجاهد والفساح وغير واحد من السلف كابن عباس وعروة بن الربير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقادة وغيرهم هذه أول آية نزلت في الجهاد واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية ، وقال ابن جرير حدثني يحيى بن داود الواسطي حدثنا إسحاق بن يوسف عن سفيان عن الأعمش عن مسلم هو البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون لعلكن ، قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه فرقت أنه سيكون قتال . ورواه الإمام أحمد عن إسحاق بن يوسف الأزرق به ، وزاد قال ابن عباس وهى أول آية نزلت في القتال . ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من سننهما وابن أبي حاتم من حديث إسحاق بن يوسف زاد الترمذي وكيع كلاهما عن سفيان الثوري به وقال الترمذي حديث حسن وقد رواه غير واحد عن الثوري وليس فيه ابن عباس وقوله (وإن الله على نصرهم لقدير) أى هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال ولكن هو يريد من عباده أن يذلوا جهدهم في طاعته كما قال (فإذا قاتلتم الذين كفروا ضرب الرقاب حتى إذا اختمتوم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بكم بيض ، والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يغفر الله لهم ويصلح لهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) وقال تعالى (قاتلوم يهديهم الله بأيديكم ويخرجهم من نصرهم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، وينهب فيقتل قلوبهم ويثوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) وقال (أم حسبتم أن تتركوا ولا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خير بما تعملون) وقال (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) وقال (ولينبؤنكم حتى تعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبؤ أخباركم) والآيات في هذا كثيرة ، ولهذا قال ابن عباس في قوله (وإن الله على نصرهم لقدير) وقد فعل ، وإنما شرع تعالى الجهاد في الوقت الأليق به لأنهم لما كانوا بمكة كان الشركون أكثر عدداً فلو أمر للمسلمون وهم أقل من الكفر قتال الباقين لشق عليهم ، ولهذا لما بع أهل يثرب ليلالعبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا نبيا وثمانين قالوا يا رسول الله ألا نبع على أهل الوادي يسون أهل منى لئلا منى فقتلهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني لم أؤمر بهذا » فلما بعى للشركون وأخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم وهووا بقتله وقرردوا أصحابه شذر منفر فذهب منهم طائفة إلى الحبشة وآخرون إلى المدينة ، فلما استقروا بالمدينة وولاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعوا عليه وقاموا بنصره وصارت لهم دار إسلام ومعتلا يعيشون إليه شرع الله جهاد الأعداء فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك فقال تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) قال المولى عن ابن عباس أخرجوا من مكة إلى المدينة بغير حق بغير عدو وأصحابه (إلا أن يقولوا ربنا الله) أى ما كان لهم إلى قومهم إساءة ولا كان لهم ذنب إلا أنهم وحدوا الله وعبدهوا لغيره ولهذا استثناء منقطع بالنسبة إلى ما في نفس الأمر ، وأما عند الشركين فإنه أكبر الذنوب كما قال تعالى (يخرجون الرسول ولما كن أن تؤمنوا بالله ربكم) وقال تعالى في قصة أصحاب الأخدود (وما تسوا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) ولهذا لما كان المسلمون يرجزون في بناء الخندق ويقولون

لأهم لولا أنت ما هتدينا • ولا تصدقنا ولا علينا • فأنزلن سكنية علينا
وبنت الأقدام أن لا قينا • أن الألى قد بضوا علينا • إنا أرادوا قتلة أينا

فبواقفهم رسول الله ﷺ ويقول معهم آخر كل قافية فاذن قالوا : اذا أرادوا قننة أيننا يقول أيننا يمد بها صوته ثم قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولأهلك القوى الضعيف (لهدمت صوامع) وهى المبادى الصغار للرهبان قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والضحاك وغيرهم وقال قتادة هى معابد الصائين وفى رواية عنه صوامع الجوس وقال مقاتل بن حيان هى البيوت التى على الطرق (ويسع) وهى أوسع منها وأكثر عابدين فيها وهى للنصارى أيضاً قاله أبو العالية وقاتة والضحاك وابن سحر ومقاتل بن حيان وخصيف وغيرهم ، وحكى ابن جبير عن مجاهد وغيره أنها كنائس اليهود وحكى السدى عن حدثه عن ابن عباس أنها كنائس اليهود ومجاهد إنما قال هى الكنائس والله أعلم ، وقوله (وصلوات) قال الموفى عن ابن عباس الصلوات الكنائس وكذا قال عكرمة والضحاك وقاتة : إنها كنائس اليهود وهم يسمونها صلوات ، وحكى السدى عن حدثه عن ابن عباس أنها كنائس النصارى وقال أبو العالية وغيره الصلوات معابد الصائين وقال ابن أبى نجيب عن مجاهد الصلوات مساجد لأهل الكتاب ولأهل الإسلام بالطرق وأما للساجد فهى للمسلمين ، وقوله (يذكر فيها اسم الله كثيرا) فقد قيل الضمير فى قوله يذكر فيها عائذ إلى المساجد لأنها أقرب للذكورات وقال الضحاك الجميع يذكر فيها اسم الله كثيرا ، وقال ابن جرير السواب لهدمت صوامع الرهبان ويسع النصارى وصلوات اليهود وهى كنائسهم ومساجد المسلمين التى يذكر فيها اسم الله كثيرا لأن هذا هو الشتم للعرف فى كلام العرب . وقال بعض العلماء هذا ترق من الأقل إلى الأكثر إلى أن انتهى إلى المساجد وهى أكثر عمارا وأكثر عبادا وهو ذوو القصد السحيح ، وقوله (ولينصرن الله من ينصره) كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا هم الواسطون وأهل أعمالهم) وقوله (إن الله لقوى عزيز) وصف نفسه بالقوة والعزة فيقوته خلق كل شيء بقدرته تقديره لا يتغير قاهر ولا ينبله غالب بل كل شيء ذليل لديه فقبر إليه ومن كان القوى العزيز ناصره فهو للنصور وعدوه هو المقهور قال الله تعالى (ولقد سبقت لحبائنا للمسلمين إنهم لهم للنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله لقوى عزيز)

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾
وَلَهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى الربيع الزهرانى حدثنا حماد بن زيد عن أيوب وهشام عن محمد قال : قال عثمان بن عفان فيما نزلت (الذين إن مكانهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فأخرجنا من ديارنا بغير حق إلا أن قلنا ربنا الله ثم مكنا فى الأرض فأقننا الصلاة وآتينا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهينا عن المنكر ولله عاقبة الأمور فهى لى ولأصحابى وقال أبو العالية هم أصحاب محمد ﷺ وقال الصلاح بن سودة الكندى سمعت عمر بن عبد العزيز يخطف وهو يقول (الذين إن مكانهم فى الأرض) الآية ثم قال ألا إنها ليست على الوالى وحده ولكنها على الوالى واللى عليه : ألا أنبئكم بما لكم على الوالى من ذلك وما لوالى عليكم منه إن لكم على الوالى من ذلك إن يؤخذكم بحقوق الله عليكم وأن يأخذ بعضكم من بعض وأن يهديكم لى هى أقوم ما استطاع وإن عليكم من ذلك الطاعة غير للزوجة ولا للسكره بها ولا الخائف سرها علانيته ، وقال عطية الموفى هذه الآية كقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الأرض) وقوله (ولله عاقبة الأمور) كقوله تعالى (والعاقبة للمتقين) وقال زيد بن أسلم (ولله عاقبة الأمور) وعند الله ثواب ما صنعوا

﴿ وَإِنْ يَسْكَنْ ذُكُورُكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي دِيَارِكُمْ لَتَوَسَّعُنَّ فِيهَا وَلَنُخْرِجَنَّ عَنْكُمْ كُلَّ هَؤُلَاءِ مِنْهَا وَلَنُقَبِّلَنَّهُمْ مِنْ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾

مَدِينٍ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ الْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ * فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيُرْمَى مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَلَيْسَ بِنُفُسِهِمْ لَكِنِ أَفْئَادُهُمْ الَّتِي فِي الصُّدُورِ

يقول تعالى مسلماً عليه محمد ﷺ في تكذيب من قومه (وإن يكذبوك فقد كذبت قبلكم قوم نوح - إلى أن قال - وكذب موسى) أى مع ما جاء به من الآيات والنبات والله لائل الواضحات (فأملت الكافرين) أى أنظرتهم وأخترتهم (ثم أخذتهم فكيف كان نكير) أى فكيف كان إنكارى عليهم ومعاقبهم لهم ١١ وذكر بعض السلف أنه كان بين قول فرعون لقومه أنا ربكم الأعلى وبين إهلاك الله له أربعين سنة وفى الصحيحين عن أبى موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله ليلى للظالم حتى إذا أخذهم بغتته » ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذهم ألم شديد) ثم قال تعالى (فكأين من قرية أهلكناها) أى كم من قرية أهلكها (وهى ظالمة) أى مكذبة لرسولها (فهى خاوية على عروشها) قال الضحاك سقوطها أى قد خربت منازلها وتطلعت حواضرها (وبشر معطلة) أى لا يستقى منها ولا يردىها أحد بعد كثرة واردتها والازدحام عليها (وقصر مشيد) قال عكرمة بن ليلى الجلسى وروى عن طى بن أبى طالب وبجاده وعطاء وسعيد ابن جبير وأبى الليث والضحاك بنون ذلك ، وقال آخرون هو للثيف للرفع وقال آخرون للشيد للنجع الحصين وكل هذه الأقوال متقاربة ، ولا منافاة بينها فإنه لم يحرم أهل عبادة بنائه ولا ارتفاعه ولا إحكامه ولا حصانته عن حلول بأس الله بهم كما قال تعالى (أنى تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) وقوله (أفلم يسيرا فى الأرض) أى بأبدانهم وبقرهم أيضاً وذلك كاف كما قال ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكير والاعتبار حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار قال أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام أن : يا موسى أخذت نطفين من حديد وعصا ثم سح فى الأرض ثم اطلب الآثار والمبر حتى يتبرق الإعلان وتنكسر الصا . وقال ابن أبى الدنيا قال بعض الحكماء أحمى قلبك بالمواظط ونوره بالتفكير وموته بالزهد وقوه باليقين وذلك بالموت وقدره بالقناعة وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش قلب الأيام واعرض عليه أخبار الماضين وذكره ما أصاب من كان قبله وسيره فى ديارهم وآثارهم وانظر ما فعلوا وأين حلوا وعم اقبلوا . أى فانظروا ما حل بالأمم المكذبة من النقم والتكال (فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) أى فيعتبرون بها (فلانها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التى فى الصدور) أى ليس العى عى البصر وإنما العى عى البصيرة وإن كانت القوة الباصرة سليمة فانها لا تنفذ إلى العبر ولا تدرى ما الحبر وما أحسن ما قاله بعض الشعراء فى هذا المعنى وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان الأندلسى الشنفرى وقد كانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسة مائة

يا من يصح إلى داعى الشقاء وقد * نادى به الناعيان الشعب والكبر
إن كنت لا تسمع الذكري فم ترى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل * لم يهده المهادين المسين والأثر
لا الدهرىنى ولا الدنيا ولا القللك * أطل ولا التريان الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وإن كرها * فراقها التاويان البدن والحضر
(وَبَسَّطْجَلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ * وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَيْتُ لَهَا كَهَيْ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ)

يقول تعالى لئله صلوات الله وسلامه عليه (وبسجملونك بالعذاب) أى هؤلاء الكفار للحدود المكذوبون باقة وكتابه ورسوله واليوم الآخر كما قال تعالى (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة

من السجاء أو اتنا بمذاب أليم) (وقالوا ربنا عجل لنا قسطا قبل يوم الحساب) وقوله (وإن خلف الله وعده) أى الذى قد وعد من إقامة الساعة والانتقام من أعدائه ، والاكرام لأوليائه ، قال الأصمى كنت عند أبى عمرو بن العلاء فجاهد عمرو بن عبيد فقال يا أبى عمرو هل يخلف الله اليعاد ؟ فقال لا ، فذكر آية وعيد فقال له أمن المجذبات ؟ إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤما وعن الإيعاد كرمأ أما سمعت قول الشاعر :

ليرهب ابن الهم والجار سطوتى * ولا أثنى عن سطوة التهديد
فانى وإن أوعده أو وعدته * تخلف لىسادى ومنجز موعدى

وقوله (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) أى هو تعالى لا يسجل فان مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه لعله بأنه على الانتقام قادر وأنه لا يفوته شيء وإن أجل وأنظر وأملى ولهذا قال بعد هذا (وكأين من قرية أهلكناها وظلمنا أهلها وأخذناها إلى السير) قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنى عبيدة ابن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدخل قراء السليين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خيافة عام » ورواه الترمذى والنسائى من حديث الثورى عن محمد بن عمرو به وقال الترمذى حسن صحيح ، وقد رواه ابن جرير عن أبى هريرة تموقا فقال : حدثنى يقوب ثنا ابن علية ثنا سعيد الجريرى عن أبى نصره عن معمر بن نهار قال : قال أبو هريرة : يدخل قراء السليين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم ، قلت وما مقدار نصف يوم ؟ قال أو ما تقرأ القرآن ، قلت بلى ، قال (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وقال أبو داود فى آخر كتابه للإمام من سنة حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو الليثية حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبى وقاص عن النبي ﷺ أنه قال « إني لأرجو أن لا تعجز أمتى عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم » قبل لسمد وما نصف يوم ؟ قال خيافة سنة وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهندي عن إسرائيل عن ممالك عن عكرمة عن ابن عباس (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) قال من الأيام التى خلق الله فيها السموات والأرض . ورواه ابن جرير عن ابن بشار عن ابن للهدى ، وبه قال مجاهد وعكرمة ونس عليه أحمد بن حنبل فى كتاب الرد على الجهمية وقال مجاهد عنه الآية كقوله (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يصرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا عادم بن محمد بن الفضل حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق عن محمد بن سيرين عن رجل من أهل الكتاب أسلم قال : إن الله تعالى خلق السماوات والأرض فى سنة أيام (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وجعل أجل الدنيا سنة أيام وجعل الساعة فى اليوم السابع (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) فقدمت السنة الأيام وأتم فى اليوم السابع فتل ذلك قتل الحامل إذا دخلت شهرها فى أية لحظة ولست كان تماما

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُدْعِيكُمُ الْغَيْبُ فَأَتَوْنَهَا فَفُتِحُوا وَلَسْتُ مَلَكًا إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُدْعِيكُمُ الْغَيْبُ فَأَتَوْنَهَا فَفُتِحُوا وَلَسْتُ مَلَكًا إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُدْعِيكُمُ الْغَيْبُ فَأَتَوْنَهَا فَفُتِحُوا)

يقول تعالى لنبيه ﷺ حين طلب منه الكفار وقوع العذاب واستجلبوه به (قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين) أى إنما أرسلى الله إليكم نذيرا لكم بين يدي عذاب شديد لى إلى من حسابكم من شيء أمركم إلى الله إن شاء عجل لكم العذاب وإن شاء أخره عنكم ، وإن شاء تابعى على من يتوب إليه ، وإن شاء أضل من كتب عليه التفاتة وهو القفال لما يشاء ويريد ويختار (لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب) (وإنا أناكم نذير مبين) فالذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى آمنت قلوبهم وصدقوا إيمانهم بأعمالهم (لهم مغفرة ورزق كريم) أى مغفرة لما سلف من سيئاتهم ومجازاة حسنة على القليل من حسناتهم ، قال محمد بن كعب القرظى إذا سمعت الله تعالى يقول (ورزق كريم) فهو الجنة . وقوله (وإنا نسوا فى آياتنا معاجزين) قال مجاهد يشيطون الناس عن متابعتها صلى الله عليه وسلم وكذا قال عبيد الله بن الزبير مشيطين ، وقال ابن عباس معاجزين مراغمين (أولئك أصحاب الجحيم)

وهي النار الحارة الوجعة الشديد عذابها ونسكنا أجازنا الله تعالى (الذين كفروا وسعدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون)

(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يبلي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم * ليجعل ما يبلي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والفتناسة قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد * ولعلهم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم)

قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة القرانق وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة فلما منهم أن مشرك قريش قد أسلموا ولكنا من طرق كلها مرسلة وإلها مسندة من وجه صحيح والله أعلم قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله ﷺ بكة النجم فلما بلغ هذا الوضع (أقرأتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) قال فألقى الشيطان على لسانه : تلك القرانق العلى وإن شفاعتهن ترجى ، قالوا ما ذكر آلهتنا غير قبل اليوم فسجدوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يبلي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة به نحوه وهو مرسل وقد رواه البزار في مسنده عن يوسف بن حماد عن أمية بن خلف عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فها أحب الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بكة سورة النجم حتى انتهى إلى (أقرأتم اللات والعزى) وذكر قبته ، ثم قال البزار لأعلمه يروى متصلا إلا بهذا الإسناد فترد بوجه أمية بن خلف وهو ثقة مشهور وإنما يروى هذا من طريق الكشي عن أبي صالح عن ابن عباس ، ثم رواه ابن أبي حاتم عن أبي العلاء وعن السدي مرسل وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس مرسل أيضا وقال قتادة كان الذي يلقى يلقى عند اللقاع إذ نفس فألقى الشيطان على لسانه وإن شفاعتهن ترجى ، وإنها لمع القرانق العلى فحفظها المشركون وأجرى الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قرأها فذلت بها ألسنتهم فأنزل الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الآية فذبح الله الشيطان ، ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن أبي موسى الكوفي حدثنا محمد بن إسحق الشيباني حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : أنزلت سورة النجم وكان للمشركون يقولون لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا غير أقرنائه وأصحابه ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بئس الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذى وتكذيبهم وأحزنه ضلالم فكان يتنقح هدام فلما أنزل الله سورة النجم قال (أقرأتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) * ألكم الذكر وله الأذى) ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت فقال وإنهن لمن القرانق العلى ، وإن شفاعتهن لمى التي ترجى وكان ذلك من سجع الشيطان وقتته فوقت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بكة وذلت بها ألسنتهم وتبأشروا بها وقالوا إن عمدا قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر النجم سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك غير أن الوليد بن الربيع كان رجلا كبيرا فرغ ملء كفه ترابا فسجد عليه فحبب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما المسلمون فبعجوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين ولم يكن للمسلمين معيما الذي ألقى الشيطان في مسامع المشركين فألمأت أنفسهم لما ألقى الشيطان في أمنيته رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثهم به الشيطان

أن رسول الله ﷺ قد قرأها في السورة فسجدوا لتعظيم آلهتهم ففتحت الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من للسليمن عثان بن مظلون وأصحابه وتعذبوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا مع رسول الله ﷺ وبلغهم سجود الوليد بن القيرة على التراب على كفه وحذوا أن للسليمن قد أمنا بمكة فأقبلوا سراعاً وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم الله آياته وحفظه من القرية ، وقال الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا أتى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله مالقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله علم حكيم) ليصل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والفاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد) فلما بين الله قضاءه وبرأه من سجع الشيطان أهلب للشركون بضاللتهم وعداوتهم للسليمن ولشتدوا عليهم وهذا أيضاً مرسل ، وفي تفسير ابن جرير عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام نحوه وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة فلم يجزه موسى بن عقبة ساقه من مفارجه بنحوه قال وقد رويتنا عن أبي إسحق هذه القصة (قلت) وقد ذكرها محمد بن إسحق في السيرة بنحو من هذا وكلها مراسلات ومنقطعات والله أعلم ، وقد ساقها البغوي في تفسيره مجموعة من كلام ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما بنحو من ذلك ثم سأل ههنا سؤالاً كيف وقع مثل هذا المعصية للضلالة من الله تعالى لرسوله صلاة الله وسلامه عليه ، ثم حكى أجوبة عن الناس من ألحقها أن الشيطان أوقع في مسامع الشركين ذلك فتوهوا أنه صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كذلك في نفس الأمر بل إنما كان من صنيع الشيطان لأعن رسول الرحمن ﷺ والله أعلم

وهكذا تنوعت أجوبة التكميليين عن هذا بتقدير صحته ، وقد تعرض القاضي عياض رحمته الله في كتاب الشفاء لهذا وأجاب بما حاصله أنها كذلك لشربها وقوله (إلا إذا أتى ألقى الشيطان في أمنيته) هذا فيه تسمية من الله لرسوله صلاة الله وسلامه عليه أي لا يبدئك قد أصاب مثل هذا من قبلك من الرسل والأنبياء ، قال البخاري : قال ابن عباس (في أمنيته) إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله مالقى الشيطان (ثم يحكم الله آياته) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس (إذا أتى ألقى الشيطان في أمنيته) يقول إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ، وقال مجاهد (إذا أتى) يعني إذا قال أمنيته قراءته (إلا أمانى) يرون ولا يكتبون قال البغوي وأكثروا التفسيرين قالوا معنى قوله (تمى) أى تلا وقرأ كتاب الله (ألقى الشيطان في أمنيته) أى في تلاوته قال الشاعر في عثان - حين قتل :

تمى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

وقال الضحاك (إذا أتى) إذا تلا قال ابن جرير هذا القول أشبه بتأويل السلام ، وقوله (فينسخ الله مالقى الشيطان) حقيقة النسخ لفة الإزالة والرفع ، قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس أى فيبطل الله سبحانه وتعالى ما ألقى الشيطان وقال الضحاك نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان وأحكم الله آياته ، وقوله (والله علم) أى بما يكون من الأمور والحوادث لا تخفى عليه خافية (حكيم) أى في تدبيره وخلقه وأمره له . الحكمة التامة والحجة البالغة ولهذا قال (ليصل) مالقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) أى شك وشرك وكفر وحق كالمشركين حين فرحوا بذلك واعتقدوا أنه صحيح من عند الله وإنما كان من الشيطان : قال ابن جرير (الذين في قلوبهم مرض) هم المنافقون (والفاسية قلوبهم) هم المشركون . وقال مقاتل بن حيان هم اليهود (وإن الظالمين لفي شقاق بعيد) أى في ضلال وعتاة بعيد أى من الحق بالصواب (وليعلم الذين أتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به) أى وليعلم الذين أتوا العلم النافع الذى يفرقون به بين الحق والباطل والمؤمنون بالله ورسوله أن ما أوجنأه اليك هو الحق من ربك الذى أنزل به ولم يحفظه وحرسه أن يختلط بغيره لهو كتاب عزيز (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقوله (فيؤمنوا به) أى يصدقوه يتقادوا له (فتختبئ له قلوبهم) أى تخضع وتذل له قلوبهم (وإن الظالمين الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) أى في الدنيا الآخرة . أما في الدنيا فيرغمهم إلى الحق واتباعه ويوقظهم لهائفة الباطل واجتنابه وفي الآخرة يهديهم الصراط المستقيم لوصول إلى درجات الجنات ويترجمهم عن العذاب الأليم والمكرات

﴿وَلَا يَذَلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرَّةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ نَفْثَةً أَوْ يُأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَهُمْ عَقِيبٌ﴾ • الْفَتْحُ
يَوْمَئِذٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ • وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
قَالُوا لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ عَذَابَ مُعِينٍ ﴿١٠﴾

يقول تعالى خبراً عن الكفار أنهم لا يزالون في مرة أي في شك وربما من هذا القرآن قال ابن جرير واختاره ابن جرير ، وقال سعيد بن جبير وابن زيد منه أي ما ألقي الشيطان (حتى تأتيم الساعة بئنة) قال مجاهد فجاءه ، وقال قتادة (بئنة) بئت القوم أمر الله وما أخذ الله قوماً قط إلا عند سكوتهم وغرهم وتمتعهم فلا تتقروا بالله إنه لا يقتر بالله إلا القوم الفاسقون وقوله (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) قال مجاهد قال أبي بن كعب هو يوم بدر ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقاتة وغير واحد واختاره ابن جرير ، قال عكرمة ومجاهد في رواية عنهما هو يوم القيامة لا لئله وكذا قال الضحاك والحسن البصري وهذا القول هو الصحيح ، وإن كان يوم بدر من جهة ما أوعدها به لكن هذا هو المراد ولهذا قال (للآل يومئذ له يحكم بينهم) كقوله (مالك يوم الدين) وقوله (للآل يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً) (فالدين آتينا وعملوا الصالحات) أي آمنت قلوبهم وصدقوا بالله ورسوله وعملوا بمقتضى ما علوا وتوافق قلوبهم وأتواهم وأعمالهم (في جنات النعيم) أي لهم انهم للقيم الذي لا يحول ولا يزول ولا يبيد (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أي كفرت قلوبهم بالحق وجحدته وكذبوا به وخالفوا الرسل واستكبروا عن اتباعهم (فأولئك لهم عذاب مهين) أي مقابلة استكبارهم وإيائهم عن الحق كقوله تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَتَوْا أَوْتَارَهُمْ كَيْفَ زُقَّتْهُمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَكَنُورٌ خَفِيرٌ ﴿٢٠﴾

يُخبر تعالى عن خراج مهاجرة في سبيل الله ابتغاء مرضاته وطلباً ليعاضده وترك الأوطان والأهلين والخلان وفارق بلاده في الله ورسوله ونصرة لدين الله ثم قتلوا أي في الجهاد أو ماتوا أي حُتِفَ أنفُسُهُم من غير قتال على فرسهم فقد حصلوا على الأجر الجزيل والثناء الجليل كما قال تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يقدم فقد حصلوا على الأجر الجزيل) وإن شاء الله تعالى وقوله (ليرزقهم الله رزقاً حسناً) أي ليخرجن عليهم من فضله ورزقه من الجنة يدركه اللوت فقد وقع أجره على الله) وقوله (ليدخلتهم مدخلا رزقوه) أي الجنة كما قال تعالى (فأما إن كان من مآثر به أعينهم) (وإن الله لهو خير الرازقين) * ليدخلتهم مدخلا رزقوه * الجنة كما قال تعالى (وليرزقهم الله رزقاً حسناً) للقرين فروج وريحان وجنة نعيم) فأخبر أنه حصل له الراحة والرزق وجنة النعيم كما قال تعالى (وليرزقهم الله رزقاً حسناً) ثم قال (ليدخلهم مدخلا رزقوه وإن الله لعليم) أي بمن يهاجر ويجاهد في سبيله ويمن يستحق ذلك (حليم) أي يحلم ويصفح ويغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم بهجتهم إليه وتوكلهم عليه . فأما من قتل في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر فإنه حتى عنده يرزق كما قال تعالى (ولا تحزن الذين قتلوا في سبيل الله أموالاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) والأحاديث في هذا كثيرة كما تقدم وأما من توفي في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر فقد ضمنت هذه الآية الكريمة مع الأحاديث الصحيحة إجراء الرزق عليه وعظم إحسان الله إليه قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا السيب بن واضح حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن شريح عن ابن الحارث يعني عبد الكريم عن ابن عتبة يعني أبا عبيدة بن عتبة قال: قال شرحبيل بن البارقي عن عبد الرحمن بن شريح عن ابن الحارث يعني عبد الكريم عن ابن عتبة يعني أبا عبيدة بن عتبة قال: قال شرحبيل بن السمط: طال رباطنا وإقامتنا على حصن بأرض الروم فر في سبيلنا يعني الفارسي رضي الله عنه فقال إني مسترسول الله

يقول « من مات مرابطاً أجرى الله عليه مثل ذلك الأجر وأجرى عليه الرزق وأمن من القتاتين واطردوا إن شئت (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلهم مديناً يرزقونه وإن الله لعليم حليم) » وقال أيضاً حدثنا أبو زرعة حدثنا زيد بن بشر أخبرني حماد أنه سمع أبا بريقل وربيعة ابن سيف الملقب يقولان كنا برودس ومعنا فضالة بن عبيد الأنصار صاحب رسول الله ﷺ فر بيننا وبين أحدنا قتل والأخرى متوفى فقال الناس على القتل فقال فضالة مالي أرى الناس مالوا مع هذا وتركوا هذا ؟ فقالوا هذا القتل في سبيل الله قال والله ما أبالي من أي حفرتهما بشت اصموا كتاب الله (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا) حتى بلغ آخر الآية وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عبيدة بن سليمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا ابن لحيمة حدثنا سلمان بن عامر الشيباني أن عبد الرحمن بن جندب الحولاني حدثه أنه حضر فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين أحدهما أسير عجميقي والأخر توفى فجلس فضالة بن عبيد عند قبر للتوفى فقبل له تركت الشهيد فلم يجلس عنده فقال ما أبالي من أي حفرتهما بشت إن الله يقول (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقاً حسناً) الآيتين فما يتبني أيها البعد إذا أدخلت مديناً فترضاه ورزقت رزقاً حسناً والله ما إلالي من أي حفرتهما بشت . ورواه ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب أخبرني عبد الرحمن بن سريج عن سلمان ابن عامر قال كان فضالة برودس أميراً على الأرباع فخرج بيننا وبين رجلين أحدهما قتل والأخر متوفى فذكر نحو ما تقدم وقوله (ذلك ومن عاقب مثل ما عاقب به) الآية ذكر مقاتل بن حيان وابن جرير أنها نزلت في سرية من الصحابة لقوا جمعا من المشركين في شهر محرم فناداهم المسلمون لثلاث يقاتلوهم في الشهر الحرام فإني للشركون لإقتالهم وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون فنصرهم الله عليهم (إن الله لنفو غفور)

﴿ ذَٰلِكَ يَأْتِي اللَّهُ يُرْسِلُ الْغُلَّ فِي النَّهَارِ وَيُرْسِلُ الْغُلَّ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۚ ذَٰلِكَ يَأْتِي اللَّهُ هَوًّا لِّخَلْقٍ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ ﴾

يقول تعالى منها على أنه الخالق المتصرف في خلقه بما يشاء كما قال (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتنزع من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) * تولى الليل في النهار وتولى النهار في الليل وتخرج الحي من البيت وتخرج البيت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب (ومعنى إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل إدخاله من هذا في هذا ومن هذا في هذا فتارة يطول الليل ويقصر النهار كما في الشتاء وتارة يطول النهار ويقصر الليل كما في الصيف وقوله (وأن الله سميع بصير) أي سميع بأقوال عباده بصير بهم لا يخفى عليه منهم خافية في أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم ولما تبين أنه المتصرف في الوجود الحاكم الذي لا معقب لحكمه قال (ذلك بأن الله هو الحي) أي الإله الحي الذي لا ينبتني العبادة إلا له لأنه ذو السلطان العظيم الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل شيء قدير إليه ، ذليل لديه (وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) أي من الأسماء والأنداد والأوثان وكل ما عبد من دونه تعالى فهو باطل لأنه لا إله الا هو لا يعظمه ولا إله الا هو ولا رب سواه لأنه العظيم الذي لا أعظم منه المولى الذي لا أعلى منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، تعالى وتقدس وتزده عز وجل عما يقول الظالمون لئلا يحزنوا

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ خُضْرًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَهَوَّ الْغَنِيِّ الْكَافِرُ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءَ فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ يَخْرِقُ فِي الْبَحْرِ

يَا مُرْءِيهِ وَتَشِيكَ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بَإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ * وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿١﴾

وهذا أيضا من الدلالة على قدرته وعظم سلطانه وأنه يرسل الرياح فتثير سحابا فيمطر على الأرض الجزر التي لا نبات فيها وهي هامة بإسوة سواد محلة (فلماذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) وقوله (فتصبح الأرض غضرة) القاهنها لتتقرب ، وتتقرب كل شيء بحسبه كإفاله تعالى (فجللنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة) الآية وقد ثبت في الصحيحين أن بين كل شيئين أربعين يوما ومع هذا هو معقب بالقاء وهكذا هنا قال (تصبح الأرض غضرة) أي خضراء بعد ياسها (١) وعولها . وقد ذكر عن بعض أهل الحجاز أنها تصبح عقب للطر خضراء فآله أعلم وقوله (إن الله لطيف خبير) أي علم بما في أرجاء الأرض وأقطارها وأجزائها من الحب وإن صغر لا يخفى عليه خافية فيوصل إلى كل منه قطرة من الماء فينبته به كما قال لقمان (يا بني إني إنك مثقال حبة من خردل فتسكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله الله لطيف خبير) وقال (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الحب في السموات والأرض) وقال تعالى (وما تسقط من ورقة إلا يسقط ولا حبة من ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) وقال (وما يهرب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا ناصر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) ولهذا قال أمية بن أبي الصلت أو زيد بن عمرو بن ذعلج في قصيدته

وقولا له من بينت الحب في الترى • فيصبع منه البقل بهز رايا

ويخرج منه حبه في رهوسه • قضى ذلك آيات لمن كان واعيا

وقوله (له ما في السموات وما في الأرض) أي ملكه جميع الأشياء وهو غنى عما سواه وكل شيء قدير إليه عبيد لديه وقوله (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض) أي من حيوان وجماد وزروع وغار كما قال (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه) أي من إحسانه وفضله وامتنانه (والفلك تجري في البحر بأمره) أي يتسخير وتسيره أي في البحر السباح وتلاطم الأمواج تجري الفلك بأهلها برع طيبة ورفق وتؤدة فيجدون فيها ما شاءوا من تهاجر وبضائع ومنافع من بلد إلى بلد وقطر إلى قطر ويأتون بأعند أولئك إلى هؤلاء كاذهوا بما عند هؤلاء إلى أولئك ما يحتاجون إليه ويطلبونه ويريدونه (وبمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) أي لو شاء لأذن للسماء فسقطت على الأرض فهلك من فيها ، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته بمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه . ولهذا قال (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) أي مع ظلمهم كما قال في الآية الأخرى (وإن ربك ذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب) ، وقوله (وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكَفُورٌ) كقوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) وقوله (قل الله يحكمكم ثم يميتكم ثم يحكمكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) وقوله (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) ومعنى الكلام كيف نحصول أنه أئنداداً وتصدون معه غيره . وهو المستقل بالخلق والرزق والتصرف (وهو الذي أحياكم) أي خلقكم بعد أن كنتم كونوا شيئا يذكر فأوجدكم (ثم يميتكم ثم يحييكم) أي يوم القيامة (إن الإنسان لكَفُورٌ) أي جحود

﴿ لَكُمْ آيَاتُ جَعَلْنَا سَمَكَكُمْ نَارَكُمْ وَفَلَا يَنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٌ *

وَإِنْ جَدَّلْتَهُ قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَقُولُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَيَا كُفْرًا فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

يخرج تعالى أنه جعل لكل قوم منسكا ، قال ابن جرير معنى لكل أمة نبى منسكا قال : وأصل المنسك في كلام العرب هو الموضع الذي يتعاده الإنسان ويقرده إليه إما خيرا أو شرا قال ولهذا سميت مناسك الحج بذلك لترداد الناس إليها

(١) المناسب بينها لأنه يقال أرض يابس أي يابسة

وعكفوم عليها ، فان كان قال من أن للراد لكل أمة نبى جعلنا منسكا فيكون للراد بقوله فلا ينازعك في الامر أى هؤلاء المشركون وإن كان للراد لكل أمة جعلنا منسكا جعلنا قدريكا قال (ولكل وجهة هو موليها) ولهذا قال ههنا (هم ناسكوه) أى فاعلوه فالتفسير ههنا عائد على هؤلاء الذين لهم مناسك وطرائق أى هؤلاء إنما يفعلون هذا عن قدر الله وإرادته فلا تتأثر بمنازعتهم لك ولا يصرفك ذلك عما أنت عليه من الحق ولهذا قال (وادع إلى ربك إنك لى هدى مستقيم) أى طريق واضح مستقيم موصل إلى المقصود وهذه كقوله (ولا يصدك عن آيات الله بهد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك) . وقوله (وإن جادلوك قل الله أعلم بما تعملون) كقوله (وإن كذبوك فقللى على ولكم عملكم أتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) وقوله (الله أعلم بما تعملون) تهديد شديد ووعد أكيد كقوله (هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم) ولهذا قال (الله يحكم بينكم يوم القيامة فبما كنتم فيه تختلفون) وهذه كقوله تعالى (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) الآية

(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)

خبر تعالى عن كمال علمه بخلقها وأنه محيط بما في السموات وما في الأرض فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أسفر من ذلك ولا أكبر وأنه تعالى علم الكائنات كلها قبل وجودها وكتب ذلك في كتابه الأوح المحفوظ كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وفي السنن من حديث جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال « أول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال وما أكتب ؟ قال أكتب ما هو كائن فيغرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابن بكير حدثنا ابن لمية حدثني عطاء بن دينار حدثني سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس خلق الله الأوح المحفوظ كسيرة مائة عام ، وقال القلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش ببارك و تعالى اكتب فقال القلم وما أكتب قال علمى في خلقى إلى يوم تقوم الساعة فيغرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فذلك قوله تعالى ﷻ (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض) وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الأشياء قبل كونها وقدرها وكتبها أيضاً فما العباد عابون قد علمه تعالى قبل ذلك على الوجه الذى يفعلونه فيعلم قبل الخلق أن هذا يطبع باختياره وهذا يعصى باختياره وكتب ذلك عنده وأحاط بكل شيء علما وهو سهل عليه يسير له ولهذا قال تعالى (إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير)

(وَيَنْبِذُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَهُمْ يَنْزِلُ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ * وَإِذَا تَنَادَّوْهُمْ عَلَىٰ نَحْوِهِمْ هَٰؤُلَاءِ تَنَادَّوْا تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْمَعُونَ بِالَّذِينَ يَبْتُلُونَ عَلَيْهِمْ هَٰؤُلَاءِ قُلْ أَفَأَنْتُمْ تُبَشِّرُونَ بَشَرًا مِنْ دَلْعَمِ النَّارِ وَعَدَّاهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَىٰ التَّصْوِيرِ)

يقول تعالى خبرا عن المشركين فيما جعلوا وعبدوا من دون الله ما لم ينزل به سلطانا يعنى حجة وبرهانا كقوله (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسا به عند ربى إنه لا يسمع الكافرون) ولهذا قال ههنا (ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم) أى ولا علم لهم فيها اختلقوه واتفكوه وإنما هو أمر تلقوه عن آبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا حجة وأصله مما سول لهم الشيطان وزينه لهم ولهذا توعدهم تعالى بقوله (وما للظالمين من نصير) أى من ناصر يصرم من الله فيما يحل بهم من العذاب والنكال ثم قال (وإذا تنادى عليهم آياتنا بينات) أى وإذا ذكرت لهم آيات القرآن والحجج واللائل الواضحات على توحيد الله وأنه لا إله إلا هو وأن رساله الكرام حق وصديق (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) أى يكادون يبادرون الذين يحتجون عليهم باللائل

الصحيحة من القرآن ويسلطون إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء (قل) أي يا محمد هؤلاء (أفأنتنكم من ذلك النار ومعدا الله الذين كفروا) أي النار وعذابها ونكالها أشد وأشق وأظلم وأعظم مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا ، وعذاب الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما تتلون منهم إن تلت بزعيم وإرادتكم . وقوله (وبئس للسير) أي وبئس النار مثقال ومزلا ومرجطا ومولعا ومقاما (إيا ساجد مستقرا ومقاما)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلَ مَا شَقِيقُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلُكَ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُ مِنْهُ ضَرْفُ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ • مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)

يقول تعالى منها على حقارة الأسماء وسخافة عقول عابديها (يا أيها الناس ضرب مثل) أي لما يعبد المجهلون بالله للشركون به (فاستمعوا له) أي أستموا وضموا (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) أي لو اجتمع جميع ما تصدون من الأسماء والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك كما قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن حمارة بن الصقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة مرفوعا قال « ومن أظلم ممن ذهب لخلق فليخلقوا مثل خلق ذرة أو ذبابة أو حبة » وأخرجه صاحب الصحيح من طريق حمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب لخلق فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة » ثم قال تعالى أيضا (وإن يسألهم الذباب شيئا لا يستفدوه منه) أي هم عاجزون عن خلق ذباب واحد بل بلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئا من الذي عليها من الطيب ثم أرادت أن تستفده منه لما قدرت على ذلك ، وهذا الذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقها ولهذا قال (ضف الطالِب والمطلوب) قال ابن عباس : الطالِب الصنم والمطلوب الذباب واختاره ابن جرير وهو ظاهر السياق وقال السدي وغيره : الطالِب العابد والمطلوب الصنم ثم قال (ما قدروا الله حق قدره) أي ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره من هذه التي لا تقاوم الذباب لضفها وعجزها (إن الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ) أي هو القوي الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يبيده وهو أهون عليه) (إن بطش ربك لشديد إنه هو البديع ويبيد) (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله (عزیز) أي قد عز كل شيء قهره وغلبه فلا يمانع ولا يضال لمظلمته وسلطانه وهو الواحد القهار .

(اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ • يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)

غير تعالى أنه يختار من الملائكة رسلا فيما يشاء من شرعه وقدره ومن الناس رسالته (إن الله سميع بصير) أي سميع لأقوال عباده بصير بهم عليهم بمن يستحق ذلك منهم كما قال (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقوله (إعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور) أي يعلم ما يفعل برسله فيما أرسلهم به فلا يخفى عليه شيء من أمورهم كما قال (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا - إلى قوله - وأحصى كل شيء عددا) فهو سبحانه قريب عليهم شهيد على ما يقال لهم حافظ لهم ناصر لجنابهم (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يسمك من الناس) الآية

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَكُمْ تُجْعَلُونَ • وَجِدُوا فِي

اللَّهُ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا لِّإِبْرَاهِيمَ هُوَ مَنَّكُمْ لِّلسَّلِيمِ
مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِآلِهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿١﴾

اختلف الأئمة رحمهم الله في هذه السجدة الثانية من سورة الحج هل هي مشروع السجود فيها أم لا ؟ على قولين
وقد قدمنا عند الأولى حديث عقبه بن عامر عن النبي ﷺ « فضلت سورة الحج بسجدة فمن لم يسجد بها فلا
يقرأها » وقوله (وجاهدوا في الله حق جهاده) أى بأموالكم وأنتسكم وأنسكم كما قال تعالى (اتقوا الله حق
تهاته) وقوله (هو اجتباكم) أى يا هذه الأمة الله اسطقاكم واختاركم على سائر الأمم وقضلكم وشرفكم وخسكم
بأكرم رسول وأكمل شرع (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أى ما كلفكم بالالتقيون وما ألزمتكم بشئ يشق
عليكم إلا لاجل الله لكم فرجا وخرجا ، فالسلاة التى هى أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين بحج في الحضر أربعا
وفي السفر تنصهر إلى اثنتين وفي الخوف يسلبها بعض الأئمة ركعة كما ورد به الحديث وتصلى رجلا وربكنا مستقبل
القبة وغير مستقبلها وكذا في النافلة في السفر إلى القبة وغيرها والقيام فيها يسقط لسندر للرض فيصلها المريض
جالسا فان لم يستطع فعل جبه إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات في سائر القرائن والواجبات ولهذا قال عليه
السلام « يشت بالخيفية السمحة » وقال لماذ وأبى موسى حين بينهما أميرين إلى الجن « بشرا ولا تفرا ويسرا ولا
تسرا » والأحاديث في هذا كثيرة ولهذا قال ابن عباس في قوله (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أى من شيق
وقوله (ملة إيتكم إبراهيم) قال ابن جرير نصب على تقدير (ما جعل عليكم في الدين من حرج) أى من شيق ولسمعه
عليكم كلمة إيتكم إبراهيم ، قال وعملت أنه منصوب على تقدير الزموا ملة إيتكم إبراهيم (قلت) وهذا المعنى في هذه الآية
كقوله (قل إني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيا ملة إبراهيم حنيفا) الآية وقوله (هو صماكم للسلين من
وفي هذا) قال الإمام عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله (هو صماكم للسلين من
قبل) قال الله عز وجل . وكذا قال مجاهد وعطاء والضحاك والسدى ومقاتل بن حيان وقادة وقال عبد الرحمن
ابن زيد بن أسلم (هو صماكم للسلين من قبل) أى إبراهيم وذلك لقوله (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرئتنا أمة
مسلمة لك) قال ابن جرير وهذا لوجه لأنه من اللوم أن إبراهيم لم يسم هذه الأمة في القرآن مسلمين وقد قال
الله تعالى (هو صماكم للسلين من قبل وفي هذا) قال مجاهد : الله صماكم للسلين من قبل في الكتب القديمة وفي الذكر
(وفي هذا) معنى القرآن وكذا قال غيره (قلت) وهذا هو الصواب لأنه تعالى قال (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين
من حرج) ثم حشم وأغرام على ما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه بأنه ملة أبهم إبراهيم الخليل ثم ذكر كرمته تعالى
على هذه الأمة بما نوه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الشعر وقديم الزمان فى كتب الأنبياء ينلى على الأخبار
والربان فقال (هو صماكم للسلين من قبل) أى من قبل هذا القرآن (وفي هذا) روى النسائي عند تفسير هذه
الآية أنبأنا هشام بن عمار حدثنا محمد بن عيسى أنبأنا معاوية بن سلام أن أخاه زيد بن سلام أخبره عن أبي سلام أنه
أخبره قال أخبرني الحارث الأشعري عن رسول الله ﷺ قال « من دعا بدعوى الجاهلية فانه من جفى جهنم »
قال رجل يا رسول الله وإن سام وصلى قال « نعم وإن سام وصلى » فادعوا بدعوة الله التى صماكم بها للسلين المؤمنين
عباد الله ، وقد قدمنا هذا الحديث يطوله عند تفسير قوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والله ين من قبلكم
للسكم تتقون) من سورة البقرة ولهذا قال (ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) أى إننا جعلناكم
هكذا أمة وسطا وعد لا خبارا مشهودا بعد التكم عند جميع الأمم لتكونوا يوم القيامة (شهداء على الناس) لأن جميع
الأمم متفرقة يومئذ بسيادتها وفضلها على كل أمة سواها فلها قبل شهادتهم عليهم يوم القيامة أنى الرسل بلغتهم سائرهم

والرسول يشهد على هذه الأمة أنه بلغها ذلك وقد تقدم الكلام على هذا عند قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وذكرنا حديث نوح وأمه بما أغنى عن إعادته ، وقوله (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي قابلوها هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكرها فأدوا حق الله عليكم في أداء ما افترض وطاعة ما أوجب وترك ما حرم ومن أدام ذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وهو الإحسان إلى خلق الله بما أوجب للتقير على الفنى من إخراج جزء نزر من ماله في السنة للضعفاء والمهاجيج كما تقدم بيانه وتفصيله في آية الزكاة من سورة التوبة وقوله (واعتصموا بالله) أي اعتضدوا بالله واستعينوا به وتوكلوا عليه وتأيدوا به (هو مولاكم) أي حافظكم وناصرکم ومظهركم على أعدائكم (فتم الولي ونعم النصير) يعني نعم الولي ونعم الناصر من الأعداء، قال وهيب بن الورد يقول الله تعالى : ابن آدم اذكرني إذ اغشيت أذكرك إذ اغشيت فلا تحقك فيمن أحق ، وإذا ظلمت فاصبر وارض بصرتي فإن نصرتني لك خير من نصرتك لنفسك . رواه ابن أبي حاتم والله أعلم. آخر تفسير سورة الحج وثله الحمد والله

(تفسير سورة المؤمنون مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ الْفَوَاحِشِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلْكُوبِينَ * فَمَن يَأْتِنِ زَوْجًا فَا وَكَانَ فَا وَلَتِلْكَ هُمُ الْمَادُّونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ مِنْهُمْ عَهْدٌ مُّؤْتُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرني يونس بن سليم قال أُملى على يونس بن يزيد الأيلي عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال سمعت عمر بن الخطاب يقول كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه كدوى النحل فليتنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال « اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا » ثم قال - لقد أنزل على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة « ثم قرأ (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشر ، ورواه الترمذي في تفسيره والنسائي في الصلاة من حديث عبد الرزاق به ، وقال الترمذي منكر لا نعرف أحدا رواه غير يونس بن سليم ويونس لانعرفه ، وقال النسائي في تفسيره أنبأنا قتبية بن سعيد حدثنا جعفر عن أبي عمران عن يزيد بن يونس قال قلنا لائحة أم المؤمنين كيف كان خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت : كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن قرأت (قد أفلح المؤمنون) حتى انتهت إلى - والذين هم على صلواتهم يحافظون) قالت هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى عن كعب الأجار ومجاهد وأبي العالية وغيرهم لا خلق الله جنة عدن وغرسها بيده نظر إليها وقال لها تكلمي فقالت (قد أفلح المؤمنون) قال كعب الأجار لا أعدهم من الكرامة فيها وقال أبو العالية فأُنزل الله ذلك في كتابه ، وقد روى ذلك عن أبي سعيد الخدري مرفوعا قال أبو بكر البرزاني حدثنا محمد بن لثي حدثنا القعير بن مسلمة حدثنا وهيب عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها وقال لها تكلمي فقالت (قد أفلح المؤمنون) فدخلتها لللائكة فقالت طوبى لك منزل الملوكة ، ثم قال حدثنا بشر بن آدم وحدثنا يونس بن عبيد الله العمري حدثنا عدي بن الفضل حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملأها للسك - قال البرزاني ورأيت في موضع آخر في هذا الحديث -

حائط الجنة لبنة ذهب ولبنة فضة وملأها للسك. فقال لها تكلمي فقالت (قد أفلح المؤمنون) فقالت للسك طوبى لك بمنزل اللوك. ثم قال البراء لانعلم أحداً رفعه إلا عدى بن الفضل وليس هو بالحافظ وهو شيخ متقدم الموت، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن علي حدثنا هشام بن خالد حدثنا قبة عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا ذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت (قد أفلح المؤمنون) » قبة عن الجبازيين ضعيف، وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا حماد بن عيسى العيسى عن إسماعيل السدي عن أبي صالح عن ابن عباس يرفعه « لما خلق الله جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها ثم نظر إليها فقال (قد أفلح المؤمنون) قال وعزى وجللى لا يجاورنى فيك غيل » وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن المثنى البزار حدثنا محمد بن زياد السكلي حدثنا يمش بن حسين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء وملأها المسك وحباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ثم قال لها انطقى قالت (قد أفلح المؤمنون) فقال الله وعزى وجللى لا يجاورنى فيك غيل » ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون) أى قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف (الذين هم في صلاتهم خاشعون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (خاشعون) خائفون ساكنون وكذا روى عن مجاهد والحسن وقاتدة والزهري، وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه الخشوع خشوع القلب وكذا قال إبراهيم النخعي، وقال الحسن البصري كان خشوعهم في قلوبهم ففضوا بذلك أبصارهم وخفضوا الجناح، وقال محمد بن سيرين كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزلت هذه الآية (قد أفلح المؤمنون) الذين هم في صلاتهم خاشعون خفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم، قال محمد بن سيرين وكانوا يقولون لا يجاوز بصره مصلاه فإن كان قد اعتاد النظر فليغمض، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، ثم روى ابن جرير عنه وعن عطاء بن أبي رباح أيضاً مراسلاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك حتى نزلت هذه الآية، والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها واشتغل بها عما عداه وآثرها على غيرها وحينئذ تكون راحة له وقرّة عين كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « حبيب إلى الطيب والنساء وجعلت قرّة عيني في الصلاة » وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا مسعر عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن رجل من أسلم أن رسول الله ﷺ قال يا بلال « أرحنا بالصلاة » وقال الإمام أحمد أيضاً ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا إسرائيل عن عثمان بن المنيرة عن سالم بن أبي الجعد أن محمد بن الحنفية قال دخلت مع أبي على صهر لنا من الأنصار فحضرت الصلاة فقال بإجارية اتقني بوضوء لى أصلى فاسترح، فقرأنا أنكرنا عليه ذلك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « تم يا بلال فأرحنا بالصلاة »، وقوله (والذين هم عن اللغو معرضون) أى عن الباطل وهو يشمل الشرك كما قاله بعضهم والمعاصي كما قاله آخرون ومالا فائدة فيه من الأقوال والأفعال كما قال تعالى (وإذا مروا باللغو مروا كراماً) قال قتادة : أنهم والله من أمر الله ما وقفهم عن ذلك. وقوله (والذين هم للزكاة فاعلون) ألا كثرون على أن المدا بالزكاة ههنا زكاة الأموال مع أن هذه الآية مكية وإنما فرضت الزكاة بالدينة في سنة اثنتين من الهجرة، والمظاهر أن التي

فأما المؤمن فينبى بيته الذى فى الجنة ويهدم بيته الذى فى النار ، وأما الكافر فيهدم بيته الذى فى الجنة ويبنى بيته الذى فى النار . وروى عن سعيد بن جبير نحو ذلك فالؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة وتركوا أولئك ما أمروا به مما خلقوا له أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عن وجل بل أبلغ من هذا أيضاً وهو ثابت فى صحيح مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ﷺ قال : « يحىء ناس يوم القيامة من السلمين بذنوب أمثال الجبال فينظرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى » وفى لفظ له قال رسول الله ﷺ « إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقال هذا فساك من النار » فاستحلف عمر بن عبد العزيز بأبردة بالله الذى لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال تحلف له ، قلت وهذه الآية كقوله تعالى (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً) وكقوله (وتلك الجنة التى أورتتموها بما كنتم تعملون) وقد قال مجاهد وسعيد بن جبير الجنة بالرومية هى الفردوس ، وقال بعض السلف لا يسمى البستان الفردوس إلا إذا كان فيه غيب فآله أعلم

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُعْمَدُونَ ﴾

يقول تعالى مجزئاً عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين وهو آدم عليه السلام خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون وقال الأعشى عن اللهاى بن عمرو عن أبي يحيى عن ابن عباس (من سلالة من طين) قال من صفوة الماء وقال مجاهد : من سلالة أى من نبي آدم ، وقال ابن جرير إنما سمى آدم طيناً لأنه مخلوق منه . وقال قتادة استل آدم من الطين وهذا أظهر فى المعنى وأقرب إلى السياق فإن آدم عليه السلام خلق من طين لازب وهو الصلصال من الحما المسنون وذلك مخلوق من التراب كما قال تعالى (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عوف حدثنا أسامة بن زهير عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والحديث والطيب وبين ذلك » وقد رواه أبو داود والترمذى من طرق عن عوف الأعرابى به نحوه وقال الترمذى حسن صحيح (ثم جعلناه نطفة) هذا الضمير فائد على جنس الإنسان كما قال فى الآية الأخرى (وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) أى ضيف كما قال (ثم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين) يعنى الرحم مدلتك مهياً له (إلى قدر معلوم فقدرنا فم القادرون) أى مدة معلومة وأجل معين حتى استحك ونقل من حال إلى حال وصفة إلى صفة ولهذا قال ههنا (ثم خلقنا النطفة علقه) أى ثم صيرنا النطفة وهى الماء الدافق الذى يخرج من سلب الرجل وهو ظهروه وترائب المرأة وهى عظام صدرها ما بين الترقوة إلى السرة فصار علقه حمراء على شكل العلقه مستطيلة قال عكرمة وهى دم (فخلقنا العلقه مضغة) وهى قطعة كاللبنة من اللحم لاشكل فيها ولا تخطيط (فخلقنا المضغة عظاما) يعنى شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين وبظالمها وعصا وعروقه . وقرأ آخرون (فخلقنا المضغة عظاما) قال ابن عباس وهو عظم السلب وفى الصحيح من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل جسد ابن آدم يلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب » (فكسونا العظام لحماً) أى جعلنا على ذلك ما يستره ويشده ويقويه (ثم أنشأناه خلقاً آخر) أى ثم شغنا فيه الروح فحركه وصار خلقاً آخر فاصبح وبصر وإدراك وحركة

واضطرب (فتبارك الله أحسن الخالقين) ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيى بن حسان حدثنا الثوري يعني ابن كثير مولى بني هاشم حدثنا زيد بن علي عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : إذا أُنْتُ على النطفة أربعة أشهر يمُت الله إليها ملكاً فتنفخ فيه الروح في ظلمات ثلاث فذلك قوله (ثم أنشأناه خلقاً آخر) يعني نفخنا فيه الروح ، وروى عن أبي سعيد الخدري أنه نفخ الروح قال ابن عباس (ثم أنشأناه خلقاً آخر) يعني نفخنا فيه الروح ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والشعبي والحسن وأبو العالية والضحاك والريث بن أنس والسدي وابن زيد واختاره ابن جرير ، وقال الوقي عن ابن عباس (ثم أنشأناه خلقاً آخر) يعني تنفله من حال إلى حال إلى أن خرج طفلاً ثم نشأ صغيراً ثم احتلم ثم صار شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم هرمًا . وعن قتادة والضحاك نحو ذلك ولا منافاة فانه من ابتداء نفخ الروح فيه شرع في هذه التقلبات والأحوال والله أعلم ، قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله - هو ابن مسعود رضي الله عنه - قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق للصدوق «إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً» ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضطجاً مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : رزقه أجله وعمله وهل هو شقي أو سعيد ، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها » أخرجاه من حديث سليمان بن مهران الأعمش وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي خيثمة قال : قال عبد الله - يعني ابن مسعود - إن النطفة إذا وقعت في الرحم طارت في كل شهر وظفر تكسكت أربعين يوماً ثم تحدر في الرحم فتكون علقة . وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا حسين بن الحسن حدثنا أبو كدينة عن عطاء بن السائب عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال : مر يهودى برسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه فقالت قريش يا يهودى إن هذا يزعم أنه نبي فقال لأسأله عن شيء لا يملكه إلا نبي قال فجاءه حتى جلس فقال يا محمد هم يخلق الإنسان ؟ فقال «يا يهودى من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة ، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب ، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم » فقال هكذا كان يقول من قبلك . وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان بن عمرو عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الفخاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يدخل الملك على النطفة بعد ما تستمر في الرحم بأربعين ليلة فيقول يا رب ماذا ؟ شقي أم سعيد ؟ أذكر أم أنثى ؟ فيقول الله فيكتبان ويكتب عمله وأثره ومصيبته ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزداد على ما فيها ولا ينقص » وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار به نحوه ، ومن طريق أخرى عن أبي الطفيل عامر بن واثق عن حذيفة بن أسيد عن أبي شريح الفخاري بنحوه والله أعلم . وقال الخافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن عبيدة حدثنا حماد بن زيد حدثنا عبد الله بن أبي بكر عن أنس أن رسول الله ﷺ قال «إن الله وكل بالرحم ملكاً فيقول : أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فلماذا أراد الله خلقها قال أي رب ذكر أم أنثى ؟ شقي أم سعيد ؟ فما الرزق والأجل ؟ قال فذلك يكتب في بطن أمه » أخرجاه في الصحيحين من حديث حماد بن زيد به وقوله (فتبارك الله أحسن الخالقين) يعني حين ذكر قدرته وطاقته في خلق هذه النطفة من حال إلى حال وشكل إلى شكل حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السوي الكامل الخلق قال (فتبارك الله أحسن الخالقين) قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا حماد بن سلمة حدثنا علي بن زيد عن أنس قال : قال عمر يعني ابن الخطاب رضي الله عنه وافقت ربي في أربع نزلت هذه الآية (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) الآية قلت أنا فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت (فتبارك الله أحسن الخالقين) وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا آدم ابن أبي إلياس حدثنا شبيان عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي عن زيد بن ثابت الأنصاري قال أُملي على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة

(١) زاد في بعض الروايات : نطفة

من ملين - إلى قوله - خلقنا آخر (فقال معاذ (فبارك الله أحسن الخالقين) فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له معاذ مم فضحك يا رسول الله ؟ قال « بها ختمت فبارك الله أحسن الخالقين » وفي إسناد جابر بن زيد الجعفي ضعيف جدا وفي خبره هذا نكارة شديدة وذلك أن هذه السورة مكية وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة وكذلك إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضاً فله أعلم . وقوله (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) يعنى بعد هذه النشأة الأولى من الممات تصيرون إلى الموت (ثم إنكم يوم القيامة تمشون) يعنى النشأة الآخرة (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) يعنى يوم المعاد . وقيام الأرواح إلى الأجساد ، فيحاسب الحلائق ويوفى كل عامل عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر

﴿ وَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾

لما ذكر تعالى خلق الإنسان عطف بذكر خلق السموات السبع ، وكثير ما يذكر تعالى خلق السموات والأرض مع خلق الإنسان كما قال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وهكذا في أولها ألم السجدة التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بها صبيحة يوم الجمعة في أولها خلق السموات والأرض ثم يبين خلق الإنسان من سلالة من ملين وفيها أمر المعاد والجزاء وغير ذلك من المقاصد . وقوله (سبع طرائق) قال مجاهد يعنى السموات السبع وهذه كقولها تعالى (تسبيح السموات السبع والأرض ومن فیهن) (ألم تعلموا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما) لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما (وهكذا قال ههنا (وقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين) أى يعلم ما يليق في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يخرج فيها وهو معكم أينما كنتم وما يسمعون بصير ، وهو سبحانه لا يحجب عنه شيء ساء ولا أرض أرضا ، ولا جبل إلا يعلم ما فيه وعره ، ولا بحر إلا يعلم ما فيه قعره ، يعلم عدد ما في الجبال والتلال والرمال والبحار والقفار والأشجار (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين)

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِكُمْ بِقَدَرٍ * فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاقٍ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنۢبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيِّغٌ لِّللَّاسِكِيلِ * وَإِن لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُزَكِّيَكُم مَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنۢفَعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾

يذكر تعالى نعمه على عبده التي لا تعد ولا تحصى في إنزاله القطر من السماء بقدر أى بحسب الحاجة لا كثيرا فيفسد الأرض والعميران ولا قليلا فلا يكفى الزرع والتجارة بل بقدر الحاجة إليه من السقي والتربيع والانتفاع به حتى إن الأرض التي تحتاج ماء كثيرا أزرعها ولا تحتل دمتها إنزال المطر عليها يسوق إليها الماء من بلاد أخرى كما في أرض مصر ويقال لها الأرض الجرذ يسوق الله إليها ماء النيل منه ملين أحر يجتريه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها فيأتي الماء يحمل طينا أحر فيسقى أرض مصر ويقر الطين على أرضهم ليزرعوا فيه لأن أرضهم سباح يلبس عليها الرمال فسبحان اللطيف الخبير الرحيم القفور ، وقوله (فأسكنناه في الأرض) أى جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض ، وجعلنا في الأرض قابلية له ويتردى به ما فيها من الحب والنوى . وقوله (وإننا له ذهاب بكم لقادرون) أى لو شئنا أن لا تمطر لعلنا ولو شئنا أننى لصرقنا عنكم إلى السباح والبرارى والقفار لعلنا ، ولو شئنا لجعلناه أجاجا لا ينفع به لصرب ولا لسقى لعلنا ، ولو شئنا لجعلناه لا ينزل في الأرض بل ينجر على

وجها لعلنا ، ولو شئنا لجئنا إذا نزل فيها ينور إلى مدى لا تسون إليه ولا تنصون به لعلنا ولكن بطلعه
ورحمته ينزل عليكم للهدى من السحاب عذبا فرائقا زلالا فيسكنه في الأرض وسلكه ينابيع في الأرض فيفتح العيون
والأنهار ويسقي به الزروع والثمار تحسرون منه ودوابكم وأنعامكم وتحسسون منه وتنظرون منه وتنظفون فله
الجد واللذة . وقوله (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب) يعني فأخرجنا لكم بما أنزلنا من السماء جنات أي
بساتين وحدائق (ذات هبة) أي ذات منظر حسن وقوله (من نخيل وأعناب) أي فيها نخيل وأعناب وهذا كان
يألف أهل الحجاز ولا فرق بين الشيء وبين نظيره وكذلك في حق كل أهل إقليم عديم من الثمار من نعمة الله عليهم
ما يسجون عن القيام بشكره ، وقوله (لستم فيها فواكه كثيرة) أي من جميع الثمار قال (ثبت لكم به الزروع والثرثوث
والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات) وقوله (ومنها تأكلون) كأنه معطوف على شيء مقدر تقديره تنظرون إلى حسنة
وفضحه ومنها تأكلون ، وقوله (وشجرة تخرج من طور سيناء) يعني الزيتونة ، والطور هو الجبل وقال بعضهم إنما
يسمى طورا إذا كان فيه شجر فإن عرى عنها سمى جبلا لا طورا والله أعلم ، وطور سيناء هو طور سينين
وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون ، وقوله
(ثبت بالهدى) قال بعضهم الباء زائدة وتقديره ثبت بالهدى كما في قول العرب ألقى فلان يده أي يده وأما على قول من
يضمن الفعل تقديره تخرج بالهدى أو تأتي بالهدى ولهذا قال (وصيغ) أي آدم قاله قتادة (للآكلين) أي فيها ما ينتفع
به من الهدى والاصطلاح كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن عبد الله بن عيسى عن عطاء الشامي عن أبي أسيدوا اسمه مالك
ابن ربيعة الساعدي الأنصاري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كلوا الزيت وادهنوا به فإنه
من شجرة مباركة » وقال عبد بن حميد في مسنده وتقديره حدثنا عبد الرزاق أنا معمر بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اتدوموا بالزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة » ورواه الترمذي
وابن ماجه من غير وجه عن عبد الرزاق . قال الترمذي ولا يعرف إلا من حديثه وكان يضطرب فيه فرجا ذكر فيه
عمر وربما لم يذكره . قال أبو القاسم الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي حدثنا سفيان بن عيينة حدثني
الصبغ بن حكيم بن شريك بن نميلة عن أبيه عن جده قال ضفت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلته عاشورا فأطعمني
من رأس يبير بارد وأطعمنا زيتا وقال هذا الزيت للبارك الذي قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وقوله (وإن لكم في
الأنعام لعلبة نستمتع بها في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك يحملون) يذكر تعالى
ما جعل خلقه في الأنعام من النافع وذلك أنهم يحسبون من ألبانها الحاركة من بين فرث ودم وبها تكون من حملانها
ويلبسون من أصوافها وأوبرها وأشعارها ويركبون ظهورها ويحملونها الأحمال النقال إلى البلاد النائية عنهم كما قال
تعالى (ونحمل أفعالكم إلى بلد لم تكونوا باليه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم) وقال تعالى (أولم يروا أنا
خلقنا لهم ما عملت أيدينا أنعاما لهم فما مالكون وذللتنا لهم فيها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب
أفلا يشكرون)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّبِعُونَ اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَّخِذَ عَلَيْكُمْ وَتَوْ شَاءَ اللَّهُ لَا تَنْزِلَ مَلَكُوتُ
مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَرَّيَسُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام حين بشه إلى قومه لينذرهم عذاب الله وبأسه الشديد واتقامه عن أشركه وخالف
أمره وكذب رسله (فقال يا قوم اعبدوا الله مالمكن من إله غيره أفلا تتقون) أي ألا تخافون من الله في إشرارككم
به ؟ فقال الملأ وهم السادة والأكابر منهم (ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) يعني يرفع عليكم ويتعاطف

بدعوى النبوة وهو بشر مثلكم فكيف أوحى إليه دونكم (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) أى لو أراد أن يبعث نبياً لبعث ملكاً من عنده ولم يكن بشراً ما معنا هذا أى يبعث البشر فى آياتنا الأولين ينون هذا سلفهم وأجدادهم فى السهور الماضية ، وقوله (إن هو إلا رجل به جنه) أى جنون فبما يزعمه من أن الله أرسله إليكم وخصه من بينكم بالوحي (فترسوا به حتى حين) أى انتظروا به ريب النون واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه

(قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون • فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا ذَوْحِينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ • فَإِذَا اسْتَوْثَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِ فَقُلِ الْخُذْ لِلَّهِ الذِّكْرَ تَجْمَعُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ • وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ)

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام أنه دعا ربه ليستصره على قومه كما قال تعالى خبراً عنه فى الآية الأخرى (فعداه به أى مغلوب فاستصر) وقال معنا (رب انصرنى بما كذبون) فبعد ذلك أمره الله تعالى بسبعة السفينة وإحسانها وإفنائها وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين أى ذكرها وأُنثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار وغير ذلك وأن يحمل فيها أهله (إلا من سبق عليه القول منهم) أى من سبق عليه القول من الله الملاك وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله كابنه وزوجته والله أعلم ، وقوله (ولا تحاطبن فى الذين ظلموا إنهم مفروقون) أى عند معابنة إزال الطغر المظلم لا تأخذنك رافة قومك وشغفة عليهم وطمع فى تأخيرهم لهم يؤمنون فأن قد نصبت أنهم مفروقون على ما هم عليه من الكفر والظلمان وقد تقدمت القصة مبسوطه فى سورة هود بما ينسب عن إعادة ذلك معنا وقوله (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى أنجانا من القوم الظالمين) كما قال (وجعل لكم من الفلك والألغام ما تكونون لستون على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويت عليه وتشولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإننا إلى ربنا لمنقلبون) وقد امثل نوح عليه السلام هذا كما قال تعالى (وقال اركبوا فيها بسم الله جمراها ومراسها) فذكر الله تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهاءه وقال تعالى (وقال رب أنزلى منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) وقوله (إن فى ذلك لآيات) أى فى هذا الصنيع وهو إحياء المؤمنين وإهلاك الكافرين آيات أى لحججاً ودلالات واضحات على صدق الأنبياء فيما جاءوا به عن الله تعالى وأنه تعالى فاعل لما يشاء قادر على كل شيء عليم بكل شيء وقوله (وإن كنتا لمبتلين) أى تختبرين للعباد بإرسال الرسلين

(ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ • فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ • وَقَالَ الثَّلَاثُ مِنَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ وَأُتِرَفَقَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ بَاكُلُ مِمَّا تَكُلُونَ مِنْهُ وَيَسْرَبُ بِمِثْلِ آبَائِكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا الْغُسْرُونَ أَيْدِيكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَافاً أَنْكُمْ مُّخْرَجُونَ • مَبْتَلَاتِ قِيَمَاتٍ لِّمَا تَعُدُّونَ • إِنَّ مِى الْآحْيَاتِ الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَنَحْنُ بَيْنَهُمُ • إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَمَنْ نَحْنُ لَهُ يَوْمُنِينَ • قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون • قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّیُصِیْحُنَّ نَدِیمَ • فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْطَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَهُمْ

غَنَاءَ فَبَعْدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾

يُخبر تعالى أنه أنشأ قوم يدعون نوحاً وآخرين قبل المراد بهم عاداتهم كانوا مستخلفين بعدهم ، وقيل المراد هؤلاء يهود قومه (فأخذتهم الصيحة بالحق) وأنه تعالى أرسل فيهم رسولا منهم فقدمهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له فكذبوه وخالقوه وأبوا عن اتباعه لكونه بشراً مثلهم واستكفوا عن اتباع رسول بشرى وكذبوا بقاء الله في القيامة وأنكروا للعاد الجنائي وقالوا (أئحدكم) أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم يخرجون ههنا ههنا لما توعدون) أي بعد بعد ذلك (إن هو إلا لرجل أفتى على الله كذبا) أي في جاءكم به من الرسالة والندارة والاختبار بالعاد (وما نحن له بمؤمنين) قال الرب انصري بما كذبون) أي استسقم عليهم الرسول واستصم ربه عليهم فأجاب دعاءه (قال عما قليل لمبعض نادمين) أي بمخافتك وعنادك فيما جتيم به (فأخذتهم الصيحة بالحق) أي وكانوا يستحقون ذلك من الله بكفرهم وطغيانهم والظاهر أنه اجتمع عليهم صيحة مع أربع الصرصر الماصفة القوى الباردة (تدمر كل شيء) بأمر ربه فامبحوا لا يرى إلا مساكنهم) وقوله (فجعلناهم غداء) أي صرعى هلكت كغشاء السيل وهو الشيء الحقير التافه المهلك الذي لا يفتن بقاء منه (فمدد أقدام الظالمين) كقوله (وما ظلمناهم ولكن كانوا أظالمين) أي بكفرهم وعنادهم وعفالة رسول الله ، فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم

(ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قُرُونًا ۖ وَآخَرِينَ ۖ مَا نَشِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ۚ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتَوْا
كُلًّا جَاءَ أُمَّةٌ وَرَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَاهُمْ بِصَوْلَةٍ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ)

يقول تعالى (ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين) أي أمما وخلقنا (ما تسبق من أمة أجهلوا وما يستأخرون) يعني بل يؤخرون على حسب ما قدر لهم تعالى في كتابه المحفوظ وعلمه قبل كونهم أمة بعد أمة وقرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل وخلفاً بعد سلف (ثم أرسلنا رسلاً تدرى) قال ابن عباس يعني يتبع بعضهم بضاهوا كقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطواغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقوله (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) يعني جهلهم وواكثهم كقوله تعالى (يا حرة على العباد ما يأثم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) وقوله (فأبينا بعضهم بساً) أي أهلكتهم كقوله (وكم أهلكتنا من القرون من بسد نوح) وقوله (وجعلناهم أحاديث) أي أخباراً وأحاديث للناس كقوله (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق)

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۖ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۚ قَالَ أُولَٰئِكَ ابْنَتُنِي مُشْرِكًا وَظُفُرًا لِّكَافِرِينَ ۚ فَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ۚ وَقَدْ عَلَّمَ مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَمَّا بَدَّدُوا ۖ﴾

يُخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى عليه السلام وأخاه هرون إلى فرعون وملائه بالآيات والحجج الدامغة والبراهين القاطعات وأن فرعون وقومه استكبروا عن اتباعهما والاهتداء لأمرهما لكونهما بشريين كما أنكرت الأمم للماشية بقية الرسل من البشر تشابهت قلوبهم فأهلك الله فرعون وملأه وأغرقهم في يوم واحد أجمعين وأُنزل على موسى الكتاب وهو التوراة فيها أحكامه وأوامره ونواهيه وذلك بعد أن قص الله فرعون والقيبط وأخذهم أخذ عزيز مقتدر وبعد أن أنزل الله التوراة لم يهلك أمة جامعة بل أمر للؤمنين بقتال الكافرين كما قال تعالى (وقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لهم يتذكرون).

﴿ وَجَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾

يقول تعالى خبراً عن عبده ورسوله عيسى بن مريم عليهما السلام أنه جعلهما آية للناس أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى ، وقوله (وآويناها إلى ربوة ذات قرار معين) قال الضحاك عن ابن عباس : الربوة المكان المرتفع من الأرض وهو أحسن ما يكون فيه النبات وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وقتادة ، قال ابن عباس وقوله (ذات قرار) يقول ذات خصب (ومعين) يعني ماء ظاهراً وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وقتادة وقال مجاهد ربوة مستوية ، وقال سعيد بن جبيرة (ذات قرار ومعين) استوى الماء فيها وقال مجاهد وقتادة (ومعين) الماء الجاري . ثم اختلف للفسر في مكان هذه الربوة من أي أرض هي ؟ فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ليس الربى إلا بصرى والماء حين يسيل يكون الربى عليها القرى ولولا الربى غرقت القرى وروى عن وهب بن منبه نحو هذا وهو بعيد جداً وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن السيب في قوله (وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين) قال هي دمشق قال وروى عن عبد الله بن سلام والحسن وزيد بن أسلم وخالد بن معدان نحو ذلك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأصبغ حدثنا وكيع عن إسرائيل عن صالح عن عكرمة عن ابن عباس (ذات قرار ومعين) قال : أنهار دمشق وقال ليث ابن أبي سلمة عن مجاهد وآويناها إلى ربوة قال عيسى بن مريم وأمهم حين أويأ إلى غوطة دمشق وما حولها وقال عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن أبي عبد الله بن عمر في هريرة قال سمعت أبا هريرة يقول : في قول الله تعالى (إلى ربوة ذات قرار ومعين) قال هي الرملة من فلسطين ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف القرطبي حدثنا واد بن الجراح حدثنا عباد بن عباد الخواص أبو عتبة حدثنا الشيباني عن ابن وعلجة عن كريب السحولي عن مرة البهذي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرجل « إنك تموت بالربوة » فأت بالرملة وهذا حديث غريب جداً وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه الصوفي عن ابن عباس في قوله (وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين) قال للمين الماء الجاري وهو النهر الذي قال الله تعالى (ند جعل ربك تحتك سريان) وكذا قال الضحاك وقتادة إلى ربوة ذات قرار ومعين هو بيت المقدس فهذا والله أعلم هو الأظهر لأنه المذكور في الآية الأخرى والقرآن يفسر بضمه بضاً وهذا أولى ما يفسره ثم الأحاديث الصحيحة ثم الآثار

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقْتَضُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ذُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ * فَذَرْنُهُمْ فِي عَمْرِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ * أَعْتَبُونُوا أَنفُسَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ وَقَاتِلُوا فِي الْغَيْبَاتِ لَعَلَّ يَشْكُرُونَ ﴾

يأمر تعالى عباده للرسل عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال والقيام بالصالح من الأعمال فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح قيام الأنبياء عليهم السلام بهذا أتم القيام وجميعاً بين كل خير قولاً وعملاً ودلالة ونسجاً فجزأهم الله عن العباد خيراً . قال الحسن البصري في قوله (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) قال أما والله ما أمركم بأصغركم ولا أحرهم ولا حلوكم ولا حاضركم ولكن قال اتهموا إلى الحلال منه ، وقال سعيد بن جبيرة والضحاك (كلوا من الطيبات) يعني الحلال ، وقال أبو إسحق السبيعي عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل كان عيسى بن مريم يأكل من غزل أمه ، وفي الصحيح « وما من نبى إلا رعى القوم » قالوا وأنت يا رسول الله ؟ قال « نعم وأنا صككت أوعاها على قراري لأهل مكة » وفي الصحيح « إن داود عليه السلام كان يأكل من كسب يده » وفي الصحيحين « إن أحب الصيام إلى الله صيام داود وأحب القيام إلى الله قيام داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه

وبنام مئسسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجهم الحنبل بن نافع حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب أن أم عبد الله بنت شداد بن أوس قال بشت إلى النبي ﷺ بقدح لبن عند فطره وهو صائم وذلك في أول النهار وشدة الحر فرد إليها رسولها أتى كانت لك الشاة ؟ فقالت اشتريتها من مالي ، فشرى منه فلما كان من القد أنه أم عبد الله بنت شداد فقالت يارسول الله بشت لك بلبن مريئة لك من طول النهار وشدة الحر فرددت إلى الرسول فيه ، فقال لها « بذلك أمرت الرسل أن لا تأكل كل إلا طيبا ولا تعمل إلا صالحا » وقد ثبت في صحيح مسلم وجامع الترمذى ومسنند الإمام أحمد واللفظ له من حديث فضيل بن مرزوق عن عدى بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واصملوا صالحا إنى بما تعملون عليم) وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغنى بالحرام يديه إلى السماء يارب يارب فأنى يستجاب لذلك » وقال الترمذى حسن غريب لا لعله إلا من حديث فضيل بن مرزوق . وقوله (وإن هذه أممكم واحدة) أي دينكم بأمر الأئمة دين واحد وملة واحدة وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ولهذا قال (وأنا ربك فاتقون) وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الأنبياء وأن قوله (أمة واحدة) منصوب على الحال وقوله (فتعلموا أمرهم بينهم ذرا) أى الأمم الذين بشت إليهم الأنبياء (كل حزب بما لديهم فرحون) أى فرحون بما هم فيه من الضلال لأنهم يحسبون أنهم مهتدون ولهذا قال منهتدا لهم ومتواعدا (فذرهم في غمرتهم) أى في ضلالتهم (حتى حين) أى إلى حين حينهم وهلاكهم كما قال تعالى (لعل الكافرين أمهلهم رويدا) وقال تعالى (ذرهم يأكلوا ويشبعوا ويلبسون) وقوله (يا أيها الذين آمنوا) أي بشتهم به من مال وبنين تسارع لهم في الحيرات بل لا يشعرون) ينى أظن هؤلاء للفرورون أن ما منعتهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومزنتهم عندنا فلا ليس الأمر كما يزعمون في قولهم (نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجائهم بل إنما فعل بهم ذلك استدراجا وإنظارا وإملاء ولهذا قال (بل لا يشعرون) كقائل تعالى (فلا تمجيبكم أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليذهب بها في الحياة الدنيا) الآية . وقال تعالى (إنما نحلى لهم ليندادوا إنما) وقال تعالى (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » وأملى لهم الآية وقال ذرني ومن خلقت وحيدا - إلى قوله عيدا) وقال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالى تهربكم عندنا زلنى إلا من آمن وعمل صالحا) الآية والآيات في هذا كثيرة ، قال قتادة في قوله (يا أيها الذين آمنوا) قال قتادة الناس بأموالهم وأولادهم ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا أبان بن إسحق عن الصباح بن محمد عن مرة الحمداوى حدثنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كالقسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفس محمد بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يمان جواره والله قالوا وما بوائقه يارسول الله ؟ قال « غشمه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيأرك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار إن الله لا يجعوا إلى بالسوى ولكن يجعوا إلى الحسن إن الحبيب لا يجعوا إلى الحبيب »

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ • وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ • وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يَسْرَكُونَ • وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَجَّهٌ إِلَى رَبِّهِمْ رُجُوعُونَ • أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾

يقول تعالى (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أي هم مع إحسانهم وإعتابهم وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون منه وجلون من مكرهم كاللحم البصري : إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة وإن النافي جمع إساءة وأمناء (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أي يؤمنون بآياته الكونية والشرعية بقوله تعالى إخبارا عن مريم عليها السلام (وصدقت بكلمات ربها وكنية) أي أمنت أنما كان إغواها عن قدر الله وقضائه وما شرع الله فهو إن كان أمراً فما يحب ويرضاه وإن كان نهيها فهو ما يكرهه ويأباه ، وإن كان خيراً فهو حق قال الله (والذين هم بربهم لا يشركون) أي لا يبدون معه غيره بل يوحدهونه ويسلمون أنه لا إله إلا الله أحداً صمداً لا يتخذ صاحبة ولا ولداً وأنه لا نظير له ولا كفو له : وقوله (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون) أي يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصرُوا في القيام بشروط الاعطاء وهذا من باب الاشتقاق والاحتياط كما قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مالك بن مغول حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة أنها قالت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة هو الذي يسرق ويؤذي وهرب المحرو هو خاف الله عز وجل ؟ قال « لا يا بنت أبي بكر يا بنت الصديق ولكنه الذي يسلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل » وهكذا رواه الترمذي وابن أبي حاتم من حديث مالك بن مغول به بنحوه ، وقال « لا إني الصديق ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم (أولئك يسارعون في الخيرات) » وقال الترمذي : وروى هذا الحديث من حديث عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حاتم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه هذا وهكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي والحسن البصري في تفسير هذه الآية وقد قرأ آخرون هذه الآية (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة) أي يعملون ما يفعلون وهم خائفون . وروى هذا سرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها كذلك . قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا صفير بن جويرية حدثنا إسحاق السبيعي حدثنا أبو خلف مولى بني جهم أنه دخل مع عبيد بن حمير على عائشة رضي الله عنها فقالت مرحباً بأبي حاتم ما يملك أن تزورنا أو تمل بنا ؟ فقال أخشى أن أملك فقالت : ما كنت تفعل ؟ قال جئت لأسألك عن آية من كتاب الله عز وجل كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها ؟ قالت آية آية ؟ قال (الذين يؤتون ما آتوا) (والذين يؤتون ما آتوا) فقالت أيتها أحب إليك ؟ قلت والذي نفسي بيده لأحدهما أحب إلي من الدنيا جميعاً أو الدنيا وما فيها قالت وما هي ؟ قلت (الذين يؤتون ما آتوا) فقالت أشهد أن رسول الله ﷺ كذلك كان يقرأها وكذلك أنزلت ولكن المجيء حرف . فيه إسحاق بن مسلم السبيعي وهو ضعيف ، ولعن على القراءة الأولى وهي قراءة الجمهور السبعة وغيرهم أظهر ، لأنه قال (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لهاساقون) فجلهم من السابقين ولو كان المعنى على القراءة الأخرى لأوشك أن لا يكونوا من السابقين بل من المتأخرين أو القصرين والله أعلم

﴿ وَلَا نَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالنِّحْيِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ . بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَاثِلُونَ • حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ • لَا تَجْعَلُوا أَيْدِيكُمْ لِتَلْمِزُوا أَوْ لِيُنْزِلَ عَلَيْكُمْ قَدَرٌ مِّنْ سَمَرٍ مَّا نَحْنُ بِهِ غَيْرُونَ •

يقول تعالى مخبراً عن عباده في شرعه على عباده في الدنيا أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها أي إلا ما تطيق حمله والقيام به وأنه يوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شيء ولهذا قال (ولدينا كتاب ينطق بالحق) يعني كتاب الأعمال (وهم لا يظلمون) أي لا يبخسون من الخير شيئاً ، وأما السيات فبعض

ويفصح عن كثير منها لبياده المؤمنين ثم قال منكرا على الكفار والشركين من قريش (بل قلوبهم في غمرة) أي في غفلة وصلاح من هذا أي القرآن الذي أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله (ولهم أعمال من دون ذلك) أي لها عاملون) قال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس (ولهم أعمال) أي سيرة من دون ذلك يعني الشرك (لهم) عاملون) قال لا بد أن يسألوا كذا روى عن مجاهد والحسن وغير واحد، وقال آخرون (ولهم أعمال من دون ذلك) أي قد كتبت عليهم أعمال سيرة لا بد أن يسألوا قبل موتهم لاهالة لحق عليهم كافة العذاب، وروى نحو هذا عن مقاتل بن حيان والدي وعبد الرحمن بن زبد بن أسلم وهو ظاهر قوى حسن، وقد قدمنا في حديث ابن مسعود (فوالذي لا إله غيره إن الرجل ليمهل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيمهل بعمل أهل النار فيدخلها) وقوله (حتى إذا أخذنا مترقيمهم بالعذاب إذا هم يجأرون) يعني حتى إذا جاء مترقيمهم وهم للنعيم في الدنيا عذاب الله ويأسه وطمعته بهم (إذا هم يجأرون) أي يصرخون ويستغيثون كما قال تعالى (ذرني وللذين أولى النعمة ومهلهم قليلا إن لدينا أنكلا وجعيا) الآية وقال تعالى (وكم أهلكنا من قبلك من قرن فنادوا ولات حين مناص) وقوله (لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون) أي لا ينجركم أحد ما حل بكم سواء جأرتكم أو سكتكم لا عهد ولا مناص ولا وزير لهم الأمر ووجب العذاب ثم ذكر أكبر ذنوبهم فقال (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على آياتي فكنتم تكسون) أي إذا دعيت آيتهم وإن طلبتم امتنعتم (ذلك) بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا بالحكم في الطل الكبير) وقوله (مستكبرين به سامرا تهجرون) في تفسيره قولان (أحدهما) أن مستكبرين حال منهم حين تنكسهم عن الحق وإيمانهم إياه استكبارا عليه وإحذارا له ولأهله فعلى هذا الضمير في به فيه ثلاثة أقوال (أحدها) أنه الحرم أي مكة فمما كانوا يسمرون فيه بالمعبر من الكلام (والثاني) أنه ضمير القرآن كانوا يسمرون وينكرون القرآن بالمعبر من الكلام: إنه سحر إنه شعر إنه كناية إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة (والثالث) أنه عهد ^{بالحق} كانوا يذكرونه في نحرهم بالأقوال الفاسدة ويضربون له الأمثال الباطلة من أنه شاعر أو كاهن أو ساحر أو كذاب أو مجنون فكل ذلك باطل بل هو عبد الله ورسوله الذي أظهره الله عليهم وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء وقيل للراد بقوله (مستكبرين به) أي بالبيت يفتخرون به ويستقدون أنهم أولياؤه وليسوا به كما قال النسائي في التفسير من سننه أخبرنا أحمد بن سليمان أخبرنا عبيد الله عن إسرائيل عن عبد الأعلى أنه سمع سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس أنه قال إنما كره السحرة نزلت هذه الآية (مستكبرين به سامرا تهجرون) فقال مستكبرين بالبيت يقولون نحن أهل سامرا قال كانوا يتكبرون ويسمرون فيه ولا يسمرون بهجرونه وقد أطلب ابن أبي حاتم ههنا بما هذا حاصه

﴿أَقَمْتُمْ يَدْيُورُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَمَسُّوهُمْ فَمَا لَهُمْ شَكْرًا * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبًا * فَحَقَّ كَرِهُهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ لَبُغُوا فِي غَبَابِهَا أَلَمْ تَقْدَرِ السَّعُوتُ * وَالْأَرْضُ وَتَمَّتْ فِيهِمْ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ * أَمْ تَنَاسَلْتُمْ خَرْجًا فَقَرْجًا ذَرْبًا * خَيْرٌ وَمَوْ خَيْرٌ أَلَمْ تَرَوْا * وَإِنَّا لَنَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنْ الصِّرَاطِ لَنَسِيكَوْنَ * وَلَوْ رَهَقْتُهُمْ وَكُفَّتُمْ تَابِ يَوْمٍ مِنْ صُغُرِ الْجُحَا فِي طِينَتِهِمْ يَعْتَمُونَ﴾

يقول تعالى منكرا على الشركين في عدم فهمهم للقرآن العظيم وتدبرهم له وإعراضهم عنه مع أنهم قد خسوا بهذا الكتاب الذي لم ينزل الله على رسول أكل منه ولا أشرف لاسباب آياهم الذين ماتوا في الجاهلية حيث لم يبلغهم

كتاب ولا أتاهم نذير ، فكان اللاتي يهولاء أن يقابلوا النعمة التي أسداها الله عليهم بقبولها والقيام بشكرها ونهضها والعمل بمقتضاها آتاه الليل وأطراف النهار كما فعله النجباء منهم من أسلم واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم . وقال قتادة (أقبل يدبروا القول) إذا والله يجدون في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبره القوم وعقلوه ولكم أخذوا بما تشابه فهلوكوا عند ذلك . ثم قال منكرا على الكافرين من قريش (أم لم يعرفوا رسولهم له منكمرون) أي أنهم لا يعرفون محمداً وصدقه وأمانته وميائته التي نشأ بها فيهم أي أتقيدرون على إنكار ذلك واللباغتة فيه ، ولهذا قال جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه للنجاشي ملك الحبشة : أيها الملك إن الله يثب فينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته ، وهكذا قال القيرة بن شعبة لثائب كسرى حين بارزهم وكذلك قال أبو حنيفة صخر بن حرب لملك الروم هرقل حين سأله وأصحابه عن صفات النبي ﷺ ونسبه وصدقه وأمانته ، وكانوا يبد كفاراً لم يسلموا ، ومع هذا لم يمتكهم إلا الصدق فاعترفوا بذلك . وقوله (أم يقولون به جنة) يحكى قول المشركين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تحول القرآن أي افتراه أو أنه به جنونا لا يدري مايقول ، وأخبر عنهم أن قلوبهم لاتؤمن به وهم يسلون بظلم ما يقولونه في القرآن فإنه قد أتاهم من كلام الله مالا يطلق ولا يدافع وقد تحداهم وجميع أهل الأرض أن أتوا بمثل ما استطاعوا ولا يستطيعون أبداً لا بدن ولهذا قال (بل جاءهم بالحق وأكثرم للمحقكارهون) يحتمل أن تكون ههنا جملة حالية أي على حالة كراهة أكثرهم للحق ويحتمل أن تكون خبرية مستأنفة والله أعلم

وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ لقي رجلا فقال له « أسلم » فقال الرجل إنك تدعوني إلى امر أنا له كاره فقال نبي الله ﷺ « وإن كنت كارهاً » وذكر لنا أنه لقي رجلا فقال له « أسلم » فتصدده ذلك وكبر عليه فقال له نبي الله ﷺ « رأيت لو كنت في طريق وعر وعت فقلت رجلا تعرف وجهه وتعرف نسبه فعداك إلى طريق واسع سهل أكنت تتبعه ؟ » قال نعم « فوالذي نفس محمد بيده إنك لفي أوعر من ذلك الطريق لو قد كنت عليه وإنى لأدعوك لأسهل من ذلك لو دعيت إليه » وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لقي رجلا فقال له « أسلم » فتصدده ذلك فقال له نبي الله ﷺ « رأيت لو كان لك فتيان أحدهما إذا حدثك صدقك ، وإذا اتهمته أدى إليك وهو أحب إليك أم فتاك الذي إذا حدثك كذبك وإذا اتهمته خانك ؟ » قال بل فتى الذي إذا حدثني صدقني وإذا اتهمته أدى إلى قتال نبي الله صلى الله عليه وسلم « كذاكم أنتم عند ربكم » . وقوله (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) قال مجاهد وأبو صالح والسدي الحق هو الله عز وجل والمراد لو أوجبهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى وشرع الأمور على وفق ذلك لفسدت السموات والأرض ومن فيهن أي فساد أهوائهم واختلافها كما أخبر عنهم في قولهم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) ثم قال (أم هم قسمون رحم ربك) وقال تعالى (قل لو أنتم تعلمون خزائن رحمتي إذا أنسكت خشية الإنفاق) الآية ، وقال (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس شيئا) ففي هذا كله تبيين عجز البعاد واختلاف آرائهم وأهوائهم ، وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله وشرعه وقدره وتدبيره خلقه تعالى وتقدس فلا إله غيره ولا رب سواه ، ولهذا قال (بل أنيناهم بذكرهم) أي القرآن (فهم عن ذكرهم معرضون) وقوله (أم تسألهم خراجا) قال الحسن أجرة ، وقال قتادة جملا (فخراج ربك خير) أي أنت لتسألهم أجرة ولا جملا ولا شيئا على دعوتك إليهم إلى الهدى بل أنت في ذلك تعتصب عند الله جزيل ثوابه كما قال (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلى الله) وقال (قل ما أسألتكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) وقال (قل لاسألكم عليه أجرا إلا للودة في القربى) وقال (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا) وقوله (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم » وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كيون) قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف ابن مهران عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أتاه فبا يري النائم ملكا قد تقدم أحدهما عند رجله والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه : اضرب مثل هذا ومثل أمته ، فقال : إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم

عن ابن عباس أنه قال جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أشدك الله والرحم قد أكلنا الطهز - يعني الوبر والدم - فأئذن الله (ولقد أخذناهم بالعذاب لما استكفوا) الآية ، وكذا رواه النسائي عن محمد بن عوف عن علي بن الحسين عن أبيه ، وأصله في الصحيحين أن رسول الله ﷺ دعا على قريش حين استصوا فقال « اللهم أعني عليهم يسع كسب يوسف » . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا عبد الله بن إبراهيم عن عمر بن كيسان حدثني وهب بن عمرو بن كيسان قال : حبس وهب بن منبه فقال له رجل من الأبناء ألا أتشدك بيتا من شعر يا أبا عبد الله ؟ فقال وهب نحن في طرف من عذاب الله والله يقول (ولقد أخذناهم بالعذاب لما استكفوا لربهم وما يضرعون) قال وسام وهب ثلاثا متواصلة قليل له ما هذا الصوم يا أبا عبد الله ؟ قال أحدث لنا فأحدثنا : يعني أحدث لنا الحبس فأحدثنا زيادة عبادة : وقوله (حتى إذا فتحنا عليهم بابا نأذو عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون) أي حتى إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم الساعة منتزة فأنذهم من عذاب الله ما لم يكونوا يحسبون فعد ذلك ألبسوا من كل خير وأيسوا من كل راحة واقتطعت آمالهم ورجاؤهم ثم ذكر تعالى نعمه على عباده بأن جعل لهم السمع والبصائر والأفئدة وهي العقول والفهوم التي يذكرون بها الأشياء ويستبرون بمساقاة الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله وأنه الفاعل المختار لما يشاء . وقوله (قليلا ما تشكرون) أيما أقل شكركم له على ما أنعم به عليكم كقولهم (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهرة في بره الخلق وذره لهم في سائر أقطار الأرض على اختلاف أجناسهم ولقائهم وصفاتهم ثم يوم القيامة يجمع الأولين منهم والآخرين ليقات يوم معلوم فلا يترك منهم صنيرا ولا كبيرا ولا ذكرا ولا أنثى ولا جليلا ولا حقيرا إلا أعاده كابدأ ولما قال (وهو الذي يحيي ويميت أي يحيي بالرمم ويميت الأيم) وله اختلاف الليل والنهار) أي وعن أمره تسخير الليل والنهار كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا يتماقبان لا يفتران ولا يعترقان بزمان غيرها كقوله (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار) الآية . وقوله (أفلا تعقلون) أي أفليس لكم عقول تدلك على العزيز العظيم الذي قد تمهر كل شيء وموع كل شيء ، وخضع له كل شيء ، ثم قال مغبرا عن منكري البعث الذين أشبهوا من قبلهم من الكافرين (بل قالوا مثل ما قال الأولون) قالوا إنما متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) يعني يستبدون وقوع ذلك بعد صيروتهم إلى البلى (لقد وعدناهم وآبأؤنا هذا من قبل ، إن هذا إلا أساطير الأولين) يعني الإعادة حال إنما يخبر بها من تلقاها عن كتب الأولين واختلافهم وهذا الإنكار والتكذيب منهم كقوله إخبارا عنهم (أنما كنا عظاما نخرة) قالوا تلك إذا كرة خاسرة * فإعنا هي زجرة واحدة * فلماذا هم بالساهرة) وقال تعالى (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من لطفة فإذا هو خصم مبين * وضربنا أمثالنا ونسئ خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة هو بكل خلق عليم) الآيات

﴿ قُلْ لِّسِيَ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَن يَدِيرُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُعِيرُ وَلَا يُعَارِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْعَروْنَ قُلْ أَتَيْتَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴾

يقدر تعالى وحدانيته واستغلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشد إلى أنه الله الذي لا إله إلا هو ولا تنبئ العبادة إلا له وحده لا شريك له ولهذا قال لرسوله محمد ﷺ أن يقول للمشركين السابدين معه غيره المترفين له بالربوبية وأنه لا شريك له فيها ومع هذا فقد أشركوا معه في الألوية فبيدوا غيره معه مع اعترافهم أن الذين عبدوه لا يخلقون شيئا ولا يمكن شيئا ولا يستبدون به بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى (ما لم يبدعهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فقال (قل لمن الأرض ومن فيها ؟) أي من مالها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمار وسائر صنوف الخلق (إن كنتم تعلمون ؟

س يقولون لله (أى فيستوفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له ، فإذا كان ذلك (قل أفلا تذكرون) أنه لا ينبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) أى من هو خالق العالم العلوى بما فيه من الكواكب النيرات ولللائكة الخاصين به فى سائر الأنظار منها والجنات ، ومن هو رب العرش العظيم أى الذى هو سرف الخلقات كجاء فى الحديث الذى رواه أبوداود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « شأن الله أعظم من ذلك إن عرشه على مائه هكذا » وأشار بيده مثل القبة ، وفى الحديث الآخر « ما السموات السبع والأرضون السبع وما بينهما وما فيهن فى الكرسي إلا كحبة ملحقة بأرض فلاة ، وإن الكرسي بما فيه بالنسبة إلى العرش كنتك الحلقة فى تلك القلاة » ولهذا قال بعض السلف : إن مسافة ما بين قطرى العرش من جانب إلى جانب مسيرة خمسين ألف سنة ، وارتفاعها عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة ، وقال الضحاك عن ابن عباس : إنما سمى عرشاً لارتفاعه . وقال الأصمعى عن كعب الأحبار : إن السموات والأرض فى العرش كالقنديل المعلق بين السماء والأرض ، وقال مجاهد : ما السموات والأرض فى العرش إلا كحبة فى أرض فلاة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا عبد بن سالم حدثنا وكيع حدثنا سفيان الثوري عن حماد البهي عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : العرش لا يقدر قدره أحد : وفى رواية : إلا أنه عز وجل ، وقال بعض السلف : العرش من ياقوتة حمراء ، ولهذا قال حماد (ورب العرش العظيم) أى الكبير وقال فى آخر السورة (رب العرش الكريم) أى الحنن البهى فقد جمع العرش بين العظمة فى الاتساع والموال الحسن الباهر ولهذا قال من قال إنه من ياقوتة حمراء ، وقال ابن مسعود . إن ربك ليس عنده ليل ولا نهار ، نور العرش من نور وجهه . وقوله (سيقولون لله قل أفلا تذكرون) أى إذا كنتم تفترون بأنه رب السموات ورب العرش العظيم أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه فى صيادكم معه غيره وإشراككم به . قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القريشى فى كتاب التضرع والاعتبار . حدثنا إسحق بن إبراهيم أنا عبيد الله بن جعفر أخبرنى عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يحدث عن امرأة كانت فى الجاهلية على رأس جبل معها ابن لها يرمى غنياً فقال لها أبنا يا أمه من خلقك ؟ قالت الله قال فمن خلق أبى ؟ قالت الله قال فمن خلقى ؟ قالت الله قال فمن خلق السموات ؟ قالت الله قال فمن خلق الأرض ؟ قالت الله قال فمن خلق الجبل ؟ قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم ؟ قالت الله قال فاني أسمع شأناً ثم ألقى فيه من الجبل فتقطع . قال ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يحدثنا هذا الحديث ، قال عبد الله بن دينار كان ابن عمر كثيراً ما يحدثنا بهذا الحديث قلت فى إسناد عبد الله بن جعفر للدينى والى الإمام بن الدينى وقد تكلموا فيه فافهم . (قل من يده ملكوت كل شئ) أى يده الملك (مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها) أى متصرف فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا ولى نصى يده » وكان إذا اجتهد فى الإيمان قال « لا ومقلب القلوب » فهو سبحانه الخالق للملك التصرف (وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون) كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحداً لا يجتر فى جواره وليس لمن دونه أن يجير عليه ثلاث يغتات عليه ولهذا قال الله (وهو يجير ولا يجار عليه) أى وهو السيد العظيم الذى لا أعظم منه الذية الخلق والأمر ولا مقب لحكمه الذى لا يمانع ولا مخالف وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن : وقال الله (لا يسئل عما يضل وهم يسئلون) أى لا يسئل عما يفعل ليعظمه وكبريائه وغلبته وقهره وعزته وحكمته وعده فالخلق كلهم يسئلون عن أعمالهم كما قال تعالى (فوريك نسايتهم أجمعين مما كانوا يعملون) وقوله (سيقولون لله) أى سيقولون أن السيد العظيم الذى يجير ولا يجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له (قل فأتى تمحرون) أى فكيف تنهب عقولكم فى عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك ثم قال تعالى (بل أتيناكم بالحق) وهو الاعلام بأنه لا إله إلا الله وأتينا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك (وأنهم لكاذبون) أى فى عبادتهم مع الله غيره ولادليل لهم على ذلك كما قال فى آخر السورة (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربّه إنه لا يفلح الكافرون) فالشركون لا يفعلون ذلك عن دليل قادم إلى ما هم فيه من الإفك والضلال ، وإنما يفعلون ذلك اتباعاً لأبائهم وأسلافهم الحيارى الجهال كما قال

الله عنهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)

﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَمَّا لَبِثُوا عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْ بَعْضٍ أَخَذَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ • عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَمَلَّيْهَا يَمْشُرُونَ ﴾

يترى تعالى شئ من أن يكون له ولد أو شريك في الملك والتصرف والعبادة فقال تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا أذهب كل إله بما خلق ولما لا بعضهم على بعض) أي لو قدر تعدد الآلهة لافترد كل منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود ، وللمشاهد أن الوجود منتظم متنسق كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بشئ بعض في غاية السكال (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه فيملو بعضهم على بعض ولشكهم ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل الخافع وهو أنه لو فرض صانعان فصاعداً فأفراد واحد تحريك جسم والآخر أراد مكونه فإن لم يحصل فردا كل واحد منهما كان عاجزاً والواجب لا يكون عاجزاً ويحتاج اجتماع مراديهما للتغاضد ، وما جاء هذا الحال إلا من فرض التعدد فيكون محالاً فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر كان الغالب هو الواجب والآخر المفلوب ممكناً لأنه لا يليق بصفة الواجب أن يكون مقهوراً ، ولهذا قال تعالى (ولما لا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) أي عما يقول الظالمون للعدون في دعواهم الولد أو الشريك علواً كبيراً (عالم الغيب والشهادة) أي يعلم ما يفتي عن الخلوقات وما يشاهده (تعالى عما يشركون) أي تقدس وتزده وتعالى وعز وجل عما يقول الظالمون والجاحدون

﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ • رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ • وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ • لَقَدِيرُونَ • أَذْفَعُ بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ • وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَزَاتِ الشَّيْطَانِ • وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾

يقول تعالى آمراً نبيه محمداً ﷺ أن يدنو بهذا الدعاء عند حلول النقم (رب إمّا تريدني ما يوعدون) أي إن عاقبهم وأنا أشاهد ذلك فلا تجعلني فيهم كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه « وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون » وقوله تعالى (وإنا على أن نريك ما نعدهم) أي لو شئنا لأريناك ما نحل بهم من النقم والبلاء والهن . ثم قال تعالى مرشداً له إلى الترياق النافع في مخاطبة الناس وهو الإحسان إلى من يسئ إليه ليستجاب خاطره فتعود عداوته صداقة ويضئ حجة فقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) وهذا كما قال في الآية الأخرى (ادفع بالتي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وما بلغها إلا الدين سيروا) الآية أي وما يبلغ هذه الوصية أو هذه الحصلة أو الصفة (إلا الدين سيروا) أي على أي الناس فاعلموهم بأجليل مع إسدائهم إليهم التيسير (وما بلغها إلا ذوحظ عظيم) أي في الدنيا والآخرة وقوله تعالى (وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين) أمر الله أن يستيد من الشياطين لأنهم لا تنفع معهم الحيل ولا يتقادون بالمروءة ، وقد قدمنا عند الاستعاذة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه وقنقه » وقوله تعالى (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أي في شيء من أمري ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور وذلك لطرد الشيطان عند الأكل والجماع والنجس وغير ذلك من الأمور ، ولهذا روى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « اللهم إني أعوذ بك من الهرم ، وأعوذ بك من الهمم ومن الهمم ، وأعوذ بك من الهمم ومن الهمم ، وأعوذ بك أن يتجنبنى الشيطان عند الموت » وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن إسحق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان

رسول الله ﷺ يسلنا كلمات يقولون عند النوم من الفزع « باسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن هزات الشياطين وأن يحضرون » قال فكان عبد الله بن عمرو يسلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ومن كان منهم ضيقاً لا يسل أن يحفظها كتبها فخلعها في عنقه . ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث محمد بن إسحق وقال الترمذي حسن غريب

﴿ حَقًّا إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجُونِ ﴾ كَلِمَاتُ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَآئِهِم بَرَزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿

خبر تعالى عن حال المحتضر عند اللوت من الكافرين أو اللطيفين في أمر الله تعالى وفيهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أنفسهم في مدة حياته ولهذا قال (رب ارجعون لعلني أعمل صالحاً فيما تركت كلاً) قال تعالى (وأشقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت - إلى قوله - والله خير مما تعلمون) وقال تعالى (وأبشروا الناس يوم يأتيهم المذاب - إلى قوله - ما لكم من زوال) وقال تعالى (يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل) وقال تعالى (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وبمعنا فارحبنا نعمل صالحاً إنا موقنون) وقال تعالى (ولو ترى إذ أقفوا على النار قالوا يا ليتنا زدولاً نكذب بآيات ربنا - إلى قوله - وإنهم لكاذبون) وقال تعالى (وترى اللطائف لاروا المذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل) وقال تعالى (قالوا ربنا أمتنا انتنبن وأحييتنا انتنبن فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) والآية بعدها . وقال تعالى (وم يسطرخون فيها ربنا أخرجنا فعلم صالحاً غير الذي كنا نعمل أولم نمركم ما يتذكرون فبه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا العذاب لمن ينصير) فذكر تعالى أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون عند الاحتضار ويوم النشور ووقت العرض على الجبار وعين يرضون على النار وهم في هزات عذاب الجحيم . وقوله ههنا (كلاً إنها كلمة هو قائلها) لا تحرف ردع وزجر أي لا يجيبه إلى ما طلب ولا يقبل منه وقوله تعالى (إنها كلمة هو قائلها) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أي لا بد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم ، ويحتمل أن يكون ذلك علة لقوله كلاً أي لأنها كلمة أي سؤاله الرجوع ليعمل صالحاً هو كلام منه وقول لا عمل معه ولو رد لما عمل صالحاً ولكن يكذب في مقالته هذه كما قال تعالى (ولو ردوا لمادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) قال قتادة : والله ما نرى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ولا بأن يجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن نرى أن يرجع فيعمل بطاعة الله عز وجل فرحم الله امرأه لما يمتناه الكفار إذا رأى المذاب إلى النار ، وقال محمد بن كعب القرظي (حق إذا جاء أحدكم الموت قال رب ارجعون لعلني أعمل صالحاً فيما تركت) قال فيقول الجبار (كلاً إنها كلمة هو قائلها) وقال عمر بن عبد الله مولى غفرة : إذا قال الكفار رب ارجعون لعلني أعمل صالحاً يقول الله تعالى : كلاً كذبت ، وقال قتادة في قوله تعالى (حق إذا جاء أحدكم الموت) قال كان الملاء بن زياد يقول : ليزلن أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فيعمل بطاعة الله تعالى وقال قتادة : والله ما نرى إلا أن يرجع فيعمل بطاعة الله فانظروا أمانة الكفار للقرط فاعملوا بها ولا قوة إلا بالله وعن محمد بن كعب القرظي نحوه وقال محمد بن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا فضيل - يعني ابن عياض - عن ليث عن طلحة بن مصرف عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : إذا وضع - يعني الكافر - في قبره فيرى مقدسه من النار قال : فيقول رب ارجعون أتوب وأعمل صالحاً قال : فيقال قد عمرت ما كنت معمراً ، قال فيضيق عليه قبره ويلثم نفهو كالمشوي ينام ويزفع تهوى إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها

وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عمر بن علي حدثني سلمة بن تمام حدثنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ويل لأهل الملاصق من أهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سود أودهم ، حية عند رأسه

وحية عند رجله يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى (ومن وراءهم برزخ إلى يوم يمشون) . وقال أبو صالح وغيره في قوله تعالى (ومن وراءهم) يعني أمامهم . وقال مجاهد : البرزخ الحاجز ما بين الدنيا والآخرة . وقال محمد بن كعب : البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم . وقال أبو صخر : البرزخ المقابر لاهم في الدنيا ولا هم في الآخرة فهم مقيمون إلى يوم يمشون وفي قوله تعالى (ومن وراءهم برزخ) تهديهم لولا المنصرفين من الظلمة ببذاب البرزخ كما كان تعالى (من وراءهم جهنم) وقال تعالى (ومن وراءه عذاب غليظ) وقوله تعالى (إلى يوم يمشون) أي يستمر به العذاب إلى يوم البعث كما جاء في الحديث « فلا يزال معذب فيها » أي في الأرض

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَتَلَفَعُ وُجُوهُهُمْ أَلْتَارُ وَمُمْ فِيهَا كَالْعُحُوتِ ﴾

يجز تعالى أنه إذا نفخ في الصور ضعة النشور ، وقام الناس من القبور (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) أي لا تنفع الإنسان يومئذ ولا يرى والد ولده ولا يولى عليه ، قال الله تعالى (ولا يسأل حمم حميا يصرونهم) أي لا يسأل القريب قريبه وهو يصره ولو كان عليه من الأوزار ما قد أهل ظميره وهو كان أعز الناس عليه في الدنيا ما التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بوضة قال الله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه) الآية وقال ابن مسعود : إذا كان يوم القيامة جمع الأولين والآخرين ثم نادى مناد : ألا من كان له مظلة فليجيء فليأخذ حقه - قال فينفر المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيرا ، ومصدق ذلك في كتاب الله قال الله تعالى فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون (رواه ابن أبي حاتم وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أم بكر بنت السور بن حمزة عن عبيد الله بن أبي رافع عن السور - هو ابن مخزومة - رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « فاطمة بضعة مني ينظفني ما ينظفها وينشطني ما ينشطها ، وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة إلا نسي وسبي وصهرى » وهذا الحديث له أصل في الصحيحين عن السور بن مخزومة أن رسول الله ﷺ قال « فاطمة بضعة مني يربني ما يربها ويؤذي ما آذاها » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا زهير عن عبد الله بن محمد عن حمزة عن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على هذا المنبر « ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفقه قومه ؟ بل والله إن رحمى موصولة في الدنيا والآخرة وإن أيها الناس فرط لكم إذا جتم » قال رجل يا رسول الله أنا فلان بن فلان فأقول لهم : أما النسب فقد عرفت ولكنكم أحدثتم بصدى وأركدتم التهمى » وقد ذكرنا في مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من طرق متعددة عنه رضى الله عنه أنه لما تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضى الله عنهما قال : أما والله ما بي إلا آتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كل سب ونسب فانه منقطع يوم القيامة إلا سبي ونسي » رواه الطبراني والبراء والميمون بن كليب والبيهقي والحافظ الضياء في المختارة وذكر أنه أصدقها أربعين ألفا عظاما وأكراما رضى الله عنه ، وقد روى الحافظ بن عساكر في ترجمة أبي العاص ابن الرميح زوج زينب بنت رسول الله ﷺ من طريق أبي القاسم البغوي حدثنا سليمان بن عمر بن الأقطيع حدثنا إبراهيم بن عبد السلام عن إبراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد بن جعفر سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ « كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسي وصهرى » وروى فيها من طريق عمار بن سيف عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو مرفوعا « سألت ربي عز وجل أن لا أتزوج إلى أحد من أمتي ولا يتزوج

إلى أحد منهم إلا كان ممي في الجنة فأعطاني ذلك » ومن حديث عمار بن سيف عن إسماعيل عن عبد الله بن عمرو ، وقوله تعالى (فمن ثقلت موازنة فاولئك هم المفلحون) أي من رجحت حسنة على سيئاته ولو بواحدة ، قال ابن عباس (فأولئك هم المفلحون) أي الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة ، وقال ابن عباس : أولئك الذين فازوا بما طلبوا ، ونجوا من شر ما منه هربوا (ومن خفت موازنة) أي ثقلت سيئاته على حسنة (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) أي خابوا وهلكوا وباءوا بالصفة الخابرة ، وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث حدثنا داود بن المهبر حدثنا صالح اللري عن ثابت البناني وجعفر بن زيد ومنصور بن زاذان عن أنس بن مالك يرفعه قال : إن لله ملكا موكلًا بالميزان فيؤتي بآدم فيوقف بين كفتي الميزان فإن ثجل ميزانه نادى ملك بصوت يسمعه الخلاق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا ، وإن خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلاق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا : إسناد ضعيف فان داود بن المهبر ضعيف متروك ولهذا قال تعالى (في جهنم خالدين) أي ما يكون فيها دائمون مقيمون فلا يفلتون (تلعف وجوههم النار) كما قال تعالى (وتشتى وجوههم النار) وقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكونون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة ابن أبي اللفاء حدثنا محمد بن سليمان الأسدي عن أبي سنان ضرار بن مرة عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن جهنم لما سبق لها أهلها لتلقاهم لهبها ثم تلعفهم لحة فلم يبق لهم لحم إلا سقط على العرقاب » وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى القزاز حدثنا الحضرمي عن علي بن يونس القطان حدثنا عمرو بن أبي الحارث بن الحضرمي حدثنا سعيد بن سعيد القبري عن أخيه عن أبيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قول الله تعالى (تلعف وجوههم النار) قال تلعفهم لحة تسيل لحومهم على أعقابهم ، وقوله تعالى (وهم فيها كالخون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني عابسون ، وقال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوس عن عبد الله بن مسعود (وهم فيها كالخون) قال ألم تر إلى الرأس للشيط الذي قد بدا أسنانه وقصفت فشفاه . وقال الإمام أحمد رحمه الله أخبرنا علي بن إسحاق أخبرنا عبد الله هو ابن المبارك رحمه الله أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « (وهم فيها كالخون) » قال سالت سوية النار فتقلس شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه . وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ سرتة » ورواه الترمذي عن سويد ابن نصر عن عبد الله بن المبارك به وقال حسن غريب

﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَابِئِي تَقُولُ عَلَيَّكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۝ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾

هذا مخرج من الله وتوبيخ لأهل النار على ما ارتكبوه من الكفر والظلم والممارم والظلم التي أوقعتهم في ذلك فقال تعالى (ألم تكن آياتي تأتي عليكم فكنتم بها تكذبون) أي قد أرسلت إليكم الرسل وأنزلت إليكم الكتب وأنزلت شهيكم ولم يبق لكم حجة كما قال تعالى (لتلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال (وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (كلا ألتى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير — إلى قوله — فسحقاً لأصحاب السعير) ولهذا قالوا (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين) أي قد قامت علينا الحجة ولكن كنا أشقى من أن نتقاد لها وتبجح فضلنا عنها ولم نرزقها . ثم قالوا (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) أي اردنا إلى الدنيا فان عدنا إلى ما سلف منا فحن ظالمون مستحقون للعقوبة كما قال (فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل » — إلى قوله — فالحكم لله العلي الكبير) أي لاسبيل إلى الخروج لأنكم كنتم تتركون بالله إذا وحده المؤمنون ﴿ قَالُوا أَخْشَوْا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُنَّ ۝ إِنَّهُ كَانَ قَرِيْنٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْوَيْنَا بَآرِئْنَا وَأَنْتَ

خَيْرَ الرَّاحِمِينَ • فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًا حَتَّىٰ آتَوْكُمْ • ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضَعُونَ • إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَازُونَ ﴿١٠٠﴾

هذا جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجة إلى هذه النار . يقول (اخشوا فيها) أى امكثوا فيها ساغرين مهانين أذلاء (ولا تكلمون) أى لا تصدوا إلى سؤالكم هذا فإنه لا جواب لكم عندى قال العوفي عن ابن عباس (اخشوا فيها ولا تكلمون) قال هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبى حدثنا عبدة بن سليمان للروزي حدثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أبى أيوب عن عبد الله بن عمرو قال : إن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعمائة مرة ثم يرد عليهم إنكم ما تكون قال هانت دعوتهم والله على مالكم ورب مالكم ، ثم يدعون ربهم فيقولون (ربنا غلبت علينا قوتنا وكنا قوما مسالين • ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فانا ظالمون) قال فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم (اخشوا فيها ولا تكلمون) قال فوالله ما نيس القوم بعدها بكلمة واحدة ، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم قال فشبث أصواتهم بأصوات الجير أو لها زفير وآخرها شهيق ، وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل حدثنا أبو العراء قال : قال عبد الله بن مسعود إذا أراد الله تعالى أن لا يخرج منهم أحداً من جهنم غير وجوههم وألوانهم فيجبره الرجل من المؤمنين فيشفع فيقول يا رب فيقول الله من عرف أحسداً فليخرجه فيجبره الرجل من المؤمنين فينظر فلا يبرأ أحداً فيناديه الرجل يا فلان أنا فلان فيقول ما أعرفك قال فصدك يقولون (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فانا ظالمون) فصدك يقول الله تعالى (اخشوا فيها ولا تكلمون) فإذا قال ذلك أطبقت عليهم النار فلا يخرج منهم أحد ، ثم قال تعالى مذكراً لهم بدنوبهم في الدنيا وما كانوا يستهزئون بعباده المؤمنين وأوليائه قال تعالى (إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آتنا ما نغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين • فاتخذتموهم سخرياً) أى فسخرتم منهم في دعائهم إياى وتضرعهم إلى (حتى آتوكم ذكراً) أى حملكم فيضهم على أن أنسيتم معاملتى وكنتم منهم تضحكون) أى من سخطهم وعبادتهم كما قال تعالى (إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون) أى يلزمونهم استهزاء ثم أخبر تعالى عما حازى به أوليائه وعباده الصالحين فقال تعالى (إني جزيتهم اليوم بما صبروا) أى على إذا كمل لهم واستهزأكم بهم (أنهم هم الفائزون) أى جعلتهم هم الفائزين بالسعادة والسلامة والجنة والنجاة من النار

﴿ قُلْ كَمْ لَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ • قَالُوا لَيْتَنَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَتَنَّا لِلْعَادِيِّ قُلْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّا كُنْتُمْ نَعْلَمُونَ • أَنَحْنَبُذُهُمْ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ عِبَادًا لَّكُمْ إِنَّا لَنَرُّوهُمْ كَمَا نَرُّ الْوَيْلَ لَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾

يقول تعالى منها لهم على ما أضاعوه في عمرهم القصير في الدنيا من طاعة الله تعالى وعبادته وحده ولوصبروا في مدة الدنيا القصيرة فلما رأوا أوليائه للثنون (قال كم ليتم في الأرض عدد سنين) أى كم كانت إقامتكم في الدنيا (قالوا ليتنا يوماً أو بعض يوم فتننا للعادين) أى الحاسين (قال إن ليتهم إلا قليلاً) أى مدة يسيرة على كل تقدير (لو أنكم كنتم تعلمون) أى لما أنتممتم على الباقى ولما تصرقتم لأضغمتكم هذا التصرف السيء ولا استحققت من الله سخطه في تلك المدة اليسيرة فلو أنكم صبرتم على طاعة الله وعبادته كما فعل المؤمنون لفزتم كما قالوا ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن الوزير حدثنا الوليد حدثنا صفوان عن أبيغ بن عبد الكلاعى أنه سمع عطاء بن السائب يقول : قال رسول الله ﷺ « إن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال يا أهل الجنة كم ليتتم في الأرض

عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم - قال لهم ما أنجزتم في يوم أو بعض يوم ورضوانى وجنتى امكثوا فيها خالدين مخلدين ؟ ثم قال يا أهل النار كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فيقول بئس ما أنجزتم في يوم أو بعض يوم نارى وسخطى امكثوا فيها خالدين مخلدين » وقوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً) أى أفظنتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة منك ولا حكمة لنا ، وقيل للبئس أى لتلمبوا وتبشوا كما خلقت الهائم لا ثواب لها ولا عقاب وإنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل (وأنكُم إلينا لا ترجعون) أى لا تعودون في الدار الآخرة كما قال تعالى (أيعسب الإنسان أن يترك سدى) بئس هملأ ، وقوله (فضالى الله الملك الحق) أى تهدس أن يخلق شيئاً عبثاً فانه الملك الحق للزه عن ذلك (لا إله إلا هو رب العرش الكريم) فذكر العرش لأنه سقف جميع المخلوقات ووصفه بأنه كرم أى حسن للنظر بهى الشكل كما قال تعالى (وأنبتنا فيها من كل زوج كريم) : قال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا على بن محمد الطائفى حدثنا إسحق بن سليمان عن عيسى بن أهل العراق أنبأنا شعيب ابن صفوان عن رجل من آل سعيد بن العاص قال : كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز إلى أحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولن تتركوا سدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه الحكم بينكم والصل بينكم ، فغاب وخسر وشقى عبداً خرج الله من رحمته وحرم جنة عرضها السموات والأرض ألم تعلموا أنه لا يؤمن عذاب الله غدا إلا من حذر هذا اليوم وخافه وبلغ نافداً ياق وقليلاً بكثير وخوفاً بأمان ، ألا ترون أنكم من أصلاب المالكين وسيكون من بعدكم الباقين حتى تردون إلى خير الوارثين ؟ إنكم في كل يوم تشيعون ظلياً ورايحاً إلى الله عز وجل قد قضى بحبه وانقضى أجله حتى تنبوه في صدم من الأرض في بطن صدم غير محمد ولا موسى قد فارق الأحباب وباشر التراب ، ووجه الحساب ، مرتين بسمه غنى عما ترك قبري إلى ما قدم ، فأتوا الله عباداً قبل اخضاء مواليته ونزول اللوت بك ، ثم جعل طرف رداءه على وجهه فيكى وأبكى من حوله . وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عيسى الخولاني ثنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي هيرة عن حسن بن عبد الله أن رجلاً مصاباً مر به عبد الله بن مسعود فقراى أنه هذه الآية (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) فضالى الله الملك الحق) حتى ختم السورة فقرأ فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بمأنا قرأت في آذنه ؟ » فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسى بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال » وروى أبو نعيم من طريق خالد بن زرار عن سفيان بن عيينة عن محمد بن النضر عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه قال بشنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا أن نقول إذا نحن أسيئنا وأصبنا (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) قال فقراهاها ففمننا وسلفنا ، وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا إسحق بن وهب العلاف الواسطى حدثنا أبو السيب سالم بن سلام حدثنا بكر بن حبيش عن نهشل بن سعيد عن الضحاك بن مزاحم عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « أمان أمي من الترق إذا ركبو السفينة باسم الله الملك الحق ، وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ، باسم الله جبراه ومرساها إن ربى لفور رحم »

(وَتَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ)

يقول تعالى متوعدا من أشرك بغيره وعبد معه سواه ومبشراً أن من أشرك بالله لا يبرهان له أى لا دليل له على قوه فقال تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا يبرهان به) وهذه جملة معترضة وجواب الشرط في قوله (فإنما حسابه عند ربى) أى الله حاسبه على ذلك ، ثم أخبر (إنه لا يفلح الكافرون) أى لديه يوم القيامة لا فلاح لهم ولا نجاته قال قتادة : ذكر

لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل « ما تعبد ؟ » قال أعبد الله وكذا وكذا حتى عد أصناما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فأهم إذا أصابك ضرر فدعوه كشفه عنك ؟ » قال : الله عز وجل . قال « فأهم إذا كانت لك حاجة فدعوه أعطاكها ؟ » قال الله عز وجل قال « فما يحملك على أن تعبد هؤلاء معه أم حسبت أن تغلب عليه » قال : أردت شكره بعبادة هؤلاء معه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تملون ولا يملون » فقال الرجل بعد ما أسلم لقيت رجلا خسني . هذا مرسل من هذا الوجه ، وقدرى أبو عيسى الترمذى فى جامعه مستنداً عن عمران بن الحصين عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ذلك . وقوله تعالى (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) هذا إرشاد من الله تعالى إلى هذا الدماء ، فالقار إذا أطلق معناه نحو الذنب وستره عن الناس والرحمة معناه أن يسدده ويرتقه فى الأقوال والأفعال . آخر تفسير سورة المؤمنين .

(تفسير سورة النور وهى مدينة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سُورَةُ النُّورِ وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)

يقول تعالى هذه السورة أنزلناه ، فيه تنبيه على الاعتناء بها ولا ينفى مع ما عداها (وفرضاها) قال مجاهد وقادة : أى بينا الحلال والحرام والأمر والنهي والحدود . وقال البخارى : ومن قرأ فرضاها يقول فرضاها عليكم وعلى من بدمكم (وأنزلنا فيها آيات بينات) أى تفسيرات واضحات (لعلكم تذكرون) ثم قال تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) أى هذه الآية الشريفة فيها حكم الزانى فى الحد ، والملاء فيه تفصيل ونزاع ، فإن الزانى لا يغلو إما أن يكون بكراً وهو الذى لم يتزوج ، أو عسنا وهو الذى قد وطئ ، فى نكاح صحيح وهو حارب بالغ عاقل ، فأما إذا كان بكراً لم يتزوج فإن حدمائة جلدة كما فى الآية وزاد على ذلك أن يضرب عاماً عن يده عند جمهور العلماء خلافاً لى حنيفة رحمه الله فإن عنده أن الضرب إلى رأى الإمام إن شاء غرب وإن شاء لم يضرب ، وحجة الجمهور فى ذلك ما ثبت فى الصحيحين من رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أنى هريرة وزيد بن خالد الجهنى فى الأعرابيين الذين أنبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما : يا رسول الله إن ابني هذا كان عسفاً - يعنى أجيأ - على هذا فزنى بامرأته فاقتديت ابني منه بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني مائة وتضرب عام وأن على امرأته هذا : الرجم . فقال رسول الله ﷺ « والذى نسي يده لأخمين ينسكا بكتاب الله تعالى . الوليدة والتمن رد عليك ، وعلى ابنتك مائة جلدة وتضرب عام . واغد يا أنيس - لرجل من أسلم - إلى امرأة هذا فان اعترفت فارجمها » فغدا عليها فاعترفت فرجمها : وفى هذا دلالة على ضرب الزانى مع جلد مائة إذا كان بكراً لم يتزوج ، فأما إذا كان محصناً وهو الذى قد وطئ ، فى نكاح صحيح وهو حارب بالغ عاقل فإنه يجرم كما قال الإمام مالك حديث ابن شهاب أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود أن ابن عباس أخبره أن عمر فارغ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها وعوينها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشى أن يطول بالناس زمان أن يقول قائل لا نجد آية الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله . فالرجم فى مكتبات الله حق على من زنى إذا أحسن من الرجال ومن النساء ، إذا قامت البينة أو الحبل أو الاعتراف . أخرجه فى الصحيحين من حديث مالك مطولاً ، وهذه قطعة منه فيها مقصود تلهاها وروى الإمام أحمد عن هشيم عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس حديث عبد الرحمن بن عوف أن عمر

ابن الخطاب خطب الناس فسمعتهم يقول : ألا وإن نلتا يقولون ما الرجم في كتاب الله وإنما فيه الجلد وقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بسببه ولولا أن يقول قائل أو ينكمش منكم أن عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه لأمتها كما نزلت . وأخرجه النسائي من حديث عبيد الله بن عبد الله به ، وقد روى الإمام أحمد أيضا عن هشام عن عبيد بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر الرجم فقال إنا لا نجد من الرجم بدا فإنه حد من حدود الله تعالى ، ألا وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ورجمنا بسببه ، ولولا أن يقول قائلون إن عمر زاد في كتاب الله ما ليس فيه لكنت في ناحية من المصحف + وشهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن ابن عوف وفلان وفلان أن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بسببه ، ألا إنه سيكون قوم من بعدكم يكذبون بالرجم وبالشفاعة وبذاب القبر ويقوم يخرجون من النار بعد ما امتشوا . وروى أحمد أيضا عن يحيى القطان عن يحيى الأنصاري عن سعيد بن السيب عن عمر بن الخطاب « إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم » الحديث رواه الترمذي من حديث سعيد بن عمر وقال صحيح وقال الحافظ أبو يعلى اللؤلؤي حدثنا عبيد الله بن عمر التواري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا أبو عوف عن محمد بن سيرين قال ابن عمر نبت عن كثير بن الصلت قال كنا عند مروان وفيما زيد قاتل يزيد بن ثابت كنا نقرأ : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ، قال مروان ألا كنتها في المصحف ؟ قال ذكرنا ذلك وفيما عمر بن الخطاب فقال أنا أغفبك من ذلك قال قلنا فكيف ؟ قال جاء رجل إلى النبي ﷺ قال فذكر كذا وكذا وذكر الرجم فقال يا رسول الله أكتب لي آية الرجم قال « لا أستطيع الآن » هذا وأخوه ذلك . وقد رواه النسائي من حديث محمد بن الثقف عن غندر عن شعبة عن قتادة عن عونس بن جبير عن كثير بن الصلت عن زيد بن ثابت به ، وهذه طرق كلها متقدمة متعاضدة ومطابقة على أن آية الرجم كانت مكتوبة ففسخ ثلاثها وبقي حكمها معمولاً به والله أعلم

وقد أمر رسول الله ﷺ برجم هذه المرأة وهي زوجة الرجل الذي استأجر الأجير لما زنت مع الأجير ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا والتمدية وكل هؤلاء لم يقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جلد من قبل الرجم وإنما وردت الأحاديث الصحيحة للتعاضد للطرق والأقاط بالاعتصار على مجملهم وليس فيه ذكر الجلد ولهذا كان هذا مذهب جمهور العلماء وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله وذهب الإمام أحمد رحمه الله إلى أنه يجب أن يجمع على الزاني المحسن بين الجلد للآية والرجم للسنة كما روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه لما أتى بسراجة وكانت قد زنت وهي محصنة فجلدها يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة فقال جلدها بكتاب الله ورجمها بسنة رسول الله ﷺ . وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن الأربعة ومسلم من حديث قتادة عن الحسن بن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عباد بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذوا عني خلوا عني قد جعل الله من سيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام واليتيم باليتيم جلد مائة والرجم » وقوله تعالى « ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله » أي في حكم الله أي لا تأخذوا بهما في شرع الله وليس للتي عنه الرأفة الطبيعية على ترك الحد وإنما هي الرأفة التي تحمل الحاكم على ترك الحد فلا يجوز ذلك قال مجاهد « ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله » قال إقامة الحدود إذا رفعت إلى السلطان فتعلم ولا تمطل وكذا روى عن سعيد بن جبير وعطاء ابن أديريج وقديس في الحديث « تأمروا الحدود فبايئكم فبايئكم من حد قد دوج » وفي الحديث الآخر « لحد يقيم في الأرض خير لأهلها من أن يعطروا أربعين صباحا » وقيل للراد « ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله » فلا تقيموا الحد كما ينبغي من شدة الضرب الزاجر عن اللائم وليس للراد الضرب للرج . قال طاهر الشامي « ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله » قال رحمة في شدة الضرب وقال عطاء ضرب ليس بالمرح ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن حماد بن أبي سليمان يجلد القاذف وعليه ثياب والزاني تخلع ثيابه ثم تلا « ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله » قللت هذا في الحكم قال هذا في الحكم والجلد يعني إقامة الحد وفي شدة الضرب وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا

وكعب عن نافع عن ابن عمرو عن ابن أبي مليكة عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أن جارية لابن عمر زنت فضرب رجلها قال نافع أراء عل وظهرها قال قلت (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) قال يابن ورايتني أخذتني بها رأفة إن الله لم يأمر أن أقتلها ولا أن أجعل جلدها في رأسها وقد أوجعت حين ضربتها ، وقوله تعالى (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي فاضلوا ذلك وأقيموا الحدود على من زنى وشددوا عليه الضرب ولكن ليس مرحبا ليرتدع هو ومن يصنع مثله بذلك ، وقد جاء في السند عن بعض الصحابة أنه قال : يا رسول الله إني لأدع الشاة وأنا أرحمها فقال « ولك في ذلك أجر »

وقوله تعالى (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) هذا فيه تنكيل للرايين إذا جلدا بحضرة الناس فإن ذلك يكون أبلغ في زجرهما وأجعب في ردعهما فإن في ذلك تهريباً وتوبيخاً وقضيحة إذا كان الناس حضورا . قال الحسن البصري في قوله (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) يعني علانية ثم قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) الطائفة الرجل لما قوته وقال مجاهد : الطائفة الرجل الواحد إلى الألف ، وكذا قال عكرمة ولهذا قال أحمد إن الطائفة تصدق على واحد ، وقال عطاء بن أبي رباح اثنتان ، وبه قال إسحق بن راهويه وكذا قال سعيد بن جبير (طائفة من المؤمنين) قال : يخرجلين فصاعدا ، وقال الثوري ثلاثة نفر صاعدا وقال عبدالرزاق حدثني ابن وهب عن الإمام مالك في قوله (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) قال الطائفة أربعة نفر صاعدا لأنه لا يكفي شهادة في الزنا إلا أربعة شهداء فصاعداً وبه قال الشافعي وقال ديمية خمسة ، وقال الحسن البصري : عشرة وقال قتادة أمراً أنه أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين أي ثمر من المسلمين ليكون ذلك سعة وعبرة ونكالا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا جبة قال سمعت نصر بن علقمة يقول في قوله تعالى (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) قال ليس ذلك للفضيحة إنما ذلك ليبدى الله تعالى لها بالثبوت والرحمة .

﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ حَلَّى الْمُؤْمِنِينَ ﴾

هذا خبر من الله تعالى بأن الزاني لا يبطأ إلا زانية أو مشركة أي لا يطاوعه على مراده من الزنا إلا زانية حاصية أو مشركة لا ترى حرمة ذلك وكذلك (الزانية لا ينكحها إلا زان) أي عاص يزناه (أو مشرك) لا يمتدح تهرمه قال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي حمزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) قال ليس هذا بالنكاح إنما هو الجماع لا يزني بها إلا زان أو مشرك وهذا إسناد صحيح عنه وقد روى عنه من غير وجه أيضاً ، وقد روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعروة بن الزبير والشافعي ومكحول ومقاتل بن حيان وغير واحد نحو ذلك . وقوله تعالى (وحرم ذلك على المؤمنين) أي تمناه عليه والتزوج بالباطل أو تزوج الصائغ بالرجل الفجار وقال أبو داود الطيالسي حدثنا قيس عن أبي حنيفة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وحرم ذلك على المؤمنين) قال حرم الله الزنا على المؤمنين وقال قتادة ومقاتل بن حيان : حرم الله على المؤمنين نكاح الباطل وتقدم ذلك فقال (وحرم ذلك على المؤمنين) وهذه الآية كقولها تعالى (محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان) وقوله (محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان) الآية ومن ههنا ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أنه لا يصح العقد من الرجل الضيف على المرأة البغي مادامت كذلك حتى تستأب فإن تأب صحت العقد عليها وإلا فلا وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة الضيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة لقوله تعالى (وحرم ذلك على المؤمنين) وقال الإمام أحمد حدثنا هارم حدثنا معمر بن سليمان قال : قال أبي حدثنا المعمر بن عيسى عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلا من المؤمنين استأذن رسول الله ﷺ في امرأة يقال لها أم مهزل كانت تسافح وتشترط له أن

تتفق عليه قال فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ذكر له أمها قال قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) وقال النسائي أخبرنا عمرو بن عدى حدثنا للشمس بن سليمان عن أبيه عن الحضرى عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو قال كانت امرأة يقال لها أم مهزول وكانت تسافح فأراد رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن يتزوجها فأذن الله عز وجل (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) قال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا روح بن عبادة عن عبيد الله بن الأحنس أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد وكان رجلا يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم للدينة قال وكانت امرأة بغي يملكها يقال لها عناق وكانت صديقة له وأنه واعد رجلا من أسارى مكة بحمله قال فبحث حتى انتهت إلى ظل حائط من حواط مكة في ليلة مقمرة قال فبجارت عناق فأبصرت سواد ظل تحت الحائط فلما انتهت إلى عرفتني فقالت: مرثد! فقلت مرثد فقالت مرحبا وأهلا لم فبت عندنا الليلة: قال فقلت يا عناق حرم الله الزنا فقالت يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم قال فبقيت مخفية ودخلت الحديقة فأتيت إلى غار أو كهف فدخلت فيه فبجأوا حتى قاموا على رأسى فبالوا فقتل بولهم على رأسى فأعلمهم الله عنى قال ثم رجوا فرجيت إلى صاحبي فحملته وكان رجلا ثيلا حتى انتهت إلى الأخر ففككت عنه أحبه فجعلت أحبه ويسئني حتى أتيت به المدينة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنك عنقا أنكك عنقا - مرتين - فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد لي شيئا حتى نزلت (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) فقال رسول الله ﷺ «يا مرثد: الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة فلا تنكحها» ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا يرفعه إلا من هذا الوجه، وقد رواه أبو داود والنسائي في كتاب النكاح من سندهما من حديث عبيد الله بن الأحنس به، وقال ابن حاتم حدثنا أنى حدثنا مسدد أبو الحسن حدثنا عبد الوارث عن حبيب العلم حدثني عمرو بن شعيب عن سعيد القبرى عن أنى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا ينكح الزانى المجلود إلا مته» وهكذا أخرجه أبو داود في سننه عن مسدد وأنى معمر عن عبد الله بن عمرو كلاما عن عبد الوارث به وقال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا عاصم بن محمد عن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أخيه عمر بن محمد عن عبد الله بن يسار مولى ابن عمر قال أشهد لسمعت سالما يقول: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه وللرأة للترجة للشبهة بالرجال والديوث. وثلاث لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لو أديته. ومعلن الحجر، والثان بما أعطى» ورواه النسائي عن عمرو بن طي الفلاس عن يزيد بن زريع عن عمر بن محمد العمري عن عبد الله بن يسار به. وقال الإمام أحمد إذا حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا الوليد بن كثير عن قطن بن وهب عن عويم بن الأجدع عن حمدة عن سالم بن عبد الله بن عمر قال حدثني عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة حرم الله عليهم الجنة: مدمن الحجر، والعاق لوالديه، والذي يقر في أمه الخث» وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثني شعبة حدثني رجل من آل سهل بن خنيفة عن محمد بن عمار عن عمار بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة ديوث» يستشهد به لما قبله من الأحاديث وقال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار حدثنا سلام بن سوار حدثنا كثير بن سلم عن الضحاک بن مزاحم سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من أراد أن يلقى الله وهو طاهر متطهر فليزوج الحرائر» في إسناده ضعف. وقال الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري في كتابه الصالح في اللثة: الديوث القنزع وهو الذى لاغيرة له، فأما الحديث الذى رواه الإمام أبو عبد الرحمن النسائي في كتاب النكاح من سننه أخبرنا محمد بن إسماعيل بن علي عن يزيد بن هارون عن حماد بن سلفة وغيره عن هارون بن رباب عن عبد الله بن عبيد بن عمير وعبد الكريم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس. عبد الكريم رضى إلى ابن عباس وهارون لم يرفعه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ

قال إن عندي امرأة من أحب الناس إلى وهي لا تمنع يد لأمس قال « طلقها » قال لأصبر لى عنها قال « استمتع بها » ثم قال النسائي هذا الحديث غير ثابت وعبد الكريم ليس بالقوى وهارون أثبت منه وقد أرسل الحديث وهو ثقة وحديثه أولى بالصواب من حديث عبد الكريم قلت وهو ابن أبي الخارق البصري اللؤبى تابعى ضعيف الحديث وقد خالفه هارون بن رباب وهو تابعى ثقة من رجال مسلم فحديثه للرسول أولى كما قال النسائي لكن قد رواه النسائي في كتاب الطلاق عن إسحاق بن راهويه عن النضر بن شميل عن حماد بن سلمة عن هارون بن رباب عن عبدالله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس مسندا فذكره بهذا الإسناد فرجاله على شرط مسلم إلا أن النسائي يدرأه عنه روايته له قال هذا خطأ والصواب مرسل : ورواه غير النضر على الصواب وقد رواه النسائي أيضا وأبو داود عن الحسين بن حريث أخبرنا الفضل بن موسى أخبرنا الحسين بن واقد عن عمارة بن أبي خصمة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ فذكره وهذا الإسناد جيد . وقد اختلف الناس في هذا الحديث ما بين مضعف له كما تقدم عن النسائي ومنكر كما قال الإمام أحمد هو حديث منكر ، وقال ابن قتيبة : إنما أراد أنها سقيمة لا تمنع سائلا وحكاه النسائي في سننه عن بعضهم فقال وقيل سقيمة قطعي ، ورد هذا بأنه لو كان للراد لآرد به متمسك ، وقيل للراد إن سقيتها لآرد يد لأمس لأن للراد أن هذا واقع منها وأنها تعمل الفاحشة فإن رسول الله ﷺ لا يأذن في مصاحبة من هذه صنفها فإن زوجها والحالة هذه يكون ديوتا وقد تقدم الوعيد على ذلك ، ولكن لما كانت سقيتها هكذا ليس فيها عمة ولا مخالفة لمن أرادها فخلاها بها أحد أمره رسول الله ﷺ ففراقها فلما ذكر أنه عيها أباح له البقاء معها لأن عيها لما عقيقة ووقع الفاحشة منها متوم فلا يصار إلى الضرر العاجل لتوم الأجل والله سبحانه وتعالى أعلم ، قالوا فأما إذا حصلت توبة فانه يحل التزوج كما قال الإمام أبو محمد بن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالصة عن ابن أبي ذئب قال سمعت شعبة مولى ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت ابن عباس وسأله رجل فقال إني كنت لم امرأة أتت منها ما حرم الله عزوجل على فزنى الله عزوجل من ذلك توبة فأردت أن أتزوجها فقال أناس إن الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة فقال ابن عباس ليس هذا في هذا إنكها لما كان من إثم فعل وقادعى طائفة آخرون من العلماء أنه هذه الآية منسوخة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالصة عن يحيى بن سعيد عن ابن عباس قال ذكر عنده (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكها إلا زان أو مشرك) قال كان يقال نسختها التي بعدها (وأنكحوا الأيضى منكم) قال كان يقال الأيضى من المسلمين وهكذا رواه أبو عبيد القاسم ابن سلام في كتاب التامع والتسويح له عن سعيد بن المسيب ونس على ذلك أيضا الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَدْنَىٰ شَهِدَةٍ فَاعْلَمُوا أَنَّهُنَّ بَرَّاتٌ فَلَا يَدْعُونَ لَهُنَّ شَيْئًا مِّنَ الْعَدْلِ﴾
 ﴿أَبَدًا وَأَوَّلَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للصحته وهي الحرمة البالغة الشفينة فلذا كان للقول رجلا فكل ذلك يحل قاذفه أيضاً وليس فيه نزاع بين العلماء فإن أقام القاذف بينة على صحة ما قاله درأ عنه الحد ولهذا قال تعالى (ثم لم يأتوا بأدنىٰ شهادة فاعلموا أنهم براءات) ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون) فأوجب على القاذف إذا لم يتم البينة على صحة ما قال ثلاثة أحكام (أحدها) أن يحل عانين جلدته (الثاني) أنه ترد عهده أبداً (الثالث) أن يكون فاسقاً ليس يعدل له عند الله ولا عند الناس، ثم قال تعالى (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) الآية . واختلف العلماء في هذا الاستثناء هل يعود إلى الجملة الأخيرة فقط فتزعم التوبة التسق فقط ويرى مردود الشهادة وإلا وإن تاب أو يعود إلى الجملتين الثانية والثالثة : وأما الجلد فقد ذهب وأضفى سواء تلب أو أصر ولا حكم له بعد ذلك بلا خلاف فذهب الإمام مالك وأحمد الشافعي إلى أنه إذا تاب قبلت شهادته وارتفع عنه حكم التسق ونس عليه سعيد بن

للسيد التائبين وسجاعة من السلف أيضاً ، وقال الإمام أبو حنيفة إنما يرد الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط فيرفع القسق بالتوبة ويقيم مردود الشهادة أبداً وعن ذهب إليه من السلف القاضي شريح وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومكحول وعبد الرحمن بن زيد بن جابر . وقال الشعبي والضحاك لا تقبل شهادته وإن تاب إلا أن يتعرف على نفسه أنه قد قال البتة فحينئذ تقبل شهادته والله أعلم

(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَهْلُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ • وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ • وَيَذَرُونَ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ • وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ • وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا أَعْدَاءُ ثَوَابِ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ)

هذه الآية الكريمة فيها فرج للازواج وزيادة مخرج إذا خلف أحدهم زوجته وقصر عليه إقامة البينة أن يلاعنا كما أمر الله عز وجل وهو أن يحضرها إلى الإمام فيدعى عليها بما رماها به فيحلفه الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهداء إته من الصادقين أي في رماها به من الزنا (والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) فإذا قال ذلك بانت منه بنفس هذا اللعان عند القاضي وطائفة كثيرة من العلماء وحرمت عليه أبداً وعلينا مهرها وتوجه عليها حد الزنا ، ولا يدركها العذاب إلا أن تلامن فتشهد أربع شهادات بالله إته من الكاذبين أي في رماها به (والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين) ولهذا قال (ويدركها العذاب) يعني الحد (أن تشهد أربع شهادات بالله إته من الكاذبين) والخامسة أن غضب الله عليها (إن كان من الصادقين) فخصها بالضبط كما أن الغالب أن الرجل لا يتجسس فضيحة أهله وربما بالزنا إلا وهو صادق معذور وهي تعلم صدقه في رماها به ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب الله عليها وللعنوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم عيده عنه ، ثم ذكر تعالى رأفته خلقه ولفظه بهم في شرع لهم من الفرج والمخرج من شدة ما يكون بهم من الضيق فقال تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته أي لخرجنكم ولشقي عليكم كثير من أموركم) وأن الله تواب (أي على عباده ، وإن كان ذلك بعد الحلف والأيمان للفظلة (حكيم) فيها يشرع ويأمر به وفيها ينهى عنه ، وقد وردت الأحاديث بمقتضى العمل بهذه الآية وذكر سبب نزولها وفيمن نزلت فيه من الصحابة . قال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً) قال سعد بن عباد وهو سيد الأنصار رضي الله عنه أهلكنا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا مشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم ؟ » فقالوا يا رسول الله لا لله فإته رجل غيور والله ما تزوج امرأة قط إلا بكراً وما طلق امرأة قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرة . فقال سعد والله يا رسول الله إني لأعلم إتهما لحق وأنها من الله ولكني قد تسببت أني لو وجدت لكاعاً قد تخلفها رجل لم يكن لي أن أهيبه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله إني لا آتي بهم حتى يقضى حاجتي — قال فما لبثوا إلا يسيراً — حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم فبينا من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلاً فرأى بينيه وسمع بأذنيه فلم يهجه حتى أصبح فقصا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلاً فرأيت يعني وصمت بأذني ففكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه واجتمعت عليه الأنصار وقالوا : قد ابتلينا بما قال سعد بن عباد الآن يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن أمية ويوصل شهادته في الناس فقال هلال والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً . وقال هلال يا رسول الله فإني قد أرى ما اشتد عليك مما جئت به والله

يعلم إلى لصديق . فواته إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه إذ أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم الوحي ، وكان إذا أنزل الله عليه الوحي عرفوا ذلك في تريد وجهه يمين فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي . فنزلت (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادة إلا أنفسهم تشهد أحدهم أربع شهادات بالله) الآية فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أيسر يا هلال فقد جعل لك فرجاً ومخرجاً » فقال هلال قد كنت أرجو ذلك من ربى عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأرسلوا إليها » فأرسلوا إليها فجات فخلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما فذكرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا فقال هلال والله يا رسول الله لقد صدقت عليا فقالت كذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا عتاب بينهما » فقيل لهلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فلما كانت الخامسة قيل له يا هلال اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب قتال والله لا يدينى الله عليك كما لم يجلدنى عليك فشهد في الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ثم قيل للمرأة اشهدي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين وقيل لها عند الخامسة اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فتلك كانت ساعتها فباعت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفصح قولى فشهدت في الخامسة أن غضب الله عليا إن كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى أن لا يدمى ولها لأب ولا يرمى ولها فمن رماها أو رمى ولها فليءل الحكة ، وقضى أن لا بيت لها عليه ولا قوت لها من أجل أنها يفرقان من غير طلاق ولا متوفى عنها وقال « إن جاءت به أنجب أربع حصى السابق فهو للال وإن جاءت به أورك جدأ جالياً خدج السابق سايع الأيتين فهو الذى ريمت به » فجات به أورك جدأ جالياً خدج السابق سايع الأيتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا الأيمان لكان لى ولها جمان » قال عكرمة فكان بعد ذلك أمراً على مصر وكان يدمى لأمه ولا يدمى لأب ، ورواه أبو داود عن الحسن بن على عن يزيد بن هارون به نحوه مختصراً ، ولله الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرها من وجوه كثيرة ، فيها ما قال البخارى : حدثني محمد بن يشار حدثنا ابن أبي عدى عن هشام بن حسان حدثني عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم فبرك بن سحاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم « البينة أوحد في ظهرك » فقال يا رسول الله إذا أرى أحدنا على امرأته رجلاً ينطق بلفظ البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول « البينة وإلا حد في ظهرك » فقال هلال والذى يشك بالحق إلى لصديق ولينزل الله ما يرى ظهري من الحد فتزل جبريل وأنزل عليه (والذين يرمون أزواجهم — قرأ حتى بلغ — إن كان من الصادقين) فأنصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهما فجاء هلال فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يعلم أن أحداً كاذب فهل منك تاب » ثم قامت فشهدت ، فلما كان في الخامسة وقصوها وقالوا إنها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكست حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفصح قولى سائر اليوم فعضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أيسرها فإن جاءت به أ كحل العينين سايع الأيتين خدج السابق فهو لشرىك بن سحاء » فجات به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لولا ما مضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن » اشهد به البخارى من هذا الوجه ، وقد رواه من غير وجه عن ابن عباس وغيره ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور الزيدى حدثنا يونس بن محمد حدثنا صالح وهو ابن عمر حدثنا عاصم بنى ابن كليب عن أبيه حدثني ابن عباس قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى امرأته بجرل ففكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يردد حتى أنزل الله تعالى (والذين يرمون أزواجهم) قرأ حتى فرغ من الأيتين فأرسل إليهما فدعاهما فقال : « إن الله تعالى قد أنزل فيكما » فدعا الرجل قرأ عليه فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ثم أمر به فأمسك على فيه فوعظه فقال له « كل شيء أهون عليه من لعنة الله » ثم أرسه فقال « لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين » ثم دعاها قرأ عليها فشهدت أربع شهادات بالله إنه من الكاذبين ثم أمر بها فأمسك على فيها فوعظها وقال : « وجعك كل شيء أهون من غضب الله » ثم أرسلها فقالت : غضب الله عليا إن كان من الصادقين . فقال رسول الله

« أما والله لأضيق بينكما قضاء فلا » قال فقلت فما رأيت مولوداً بالمدينة أكثر منه فقال « إن جاءت به لكندا وكندا فهو كندا » وإن جاءت به لكندا وكندا فهو لكندا » فجات به يشبه الذي قلنت به : وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الله بن أبي سليمان قال : سمعت سعيد بن جبير قال سئلت عن الثلاثين أفرق بينهما في إمرأة ابن الزبير فما دريت ما أقول فسمعت من مكاني إلى منزل ابن عمر قلت يا أبا عبد الرحمن للثلاثين أفرق بينهما ؟ قال سبحان الله إن أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان فقال يارسول الله أرايت الرجل يرى امرأته على فاحشة فإن تكلم تكلم بأمر عظيم وإن سكنت سكنت على مثل ذلك فسكت فلم يجبه فلما كان بعد ذلك أتته فقال الذي سألتك عنه قد أبليت به فأزول الله تعالى هذه الآيات في سورة النور (والذين يرمون أزواجهم) حتى بلغ (أن غضب الله عليهما إن كان من الصادقين) قديماً بالرجل فوعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقال: والذى يشك بالحق ما كذبت ثم نيت المرأة فوعظها وذكرها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فالتفت للراءد : والذى يشك بالحق إنه لكاذب. قال فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم نيت المرأة فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن غضب الله عليهما إن كان من الصادقين ، ثم فرق بينهما رواه النسائي في التفسير من حديث عبد الله بن أبي سليمان به وأخرجه في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عروة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال ، كنا جالوسا عشية الجمعة في المسجد فقال رجل من الأنصار : أجدنا إذا رآنا مع امرأته رجلاً إن قتله قتلتموه وإن تكلم جلدتموه وإن سكنت سكنت على غيبه ، والله لأن أصبحت صحيحاً لأسألك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسأله فقال يارسول الله إن أجدنا إذا رآنا مع امرأته رجلاً إن قتله قتلتموه وإن تكلم جلدتموه ، وإن سكنت سكنت على غيبه اللهم أحكم ، قال فزلت آية العان فكان ذلك الرجل أول من ابتلي به . افرده بأخرجه مسلم فرواه عن طريق عن سليمان بن مهران الأعمش به وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن سهل بن سعد قال جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال له يارسول الله ﷺ أرايت رجلاً وجد رجلاً مع امرأته فقتله أقتل به أم كيف يصنع ؟ فقال عاصم رسول الله ﷺ ضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السائل قال فلقية عويمر فقال : ما صنعت ؟ قال ما صنعت أنك لم تأتني بخير ، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاب السائل فقال عويمر والله لأدين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا سأله . فأناه فوجده قد أنزل عليه فيها . قال : فدعاهما ولعن بينهما . قال عويمر ان انطلقت بها يارسول الله فقد كذبت عليهما . قال : فقارحها قبل أن يأمره رسول الله ﷺ فصارت سنة للتلائين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبصروها فإن جاءت به أسهم أدمع العينين عظم الأليتين فلا أراه إلا قد صدق ، وإن جاءت به أحمر كانه وحره فلا أراه إلا كاذبا » فجات به على النبت للكره . أخرجه في الصحيحين وبقية الجماعة إلا الترمذي ورواه البخاري أيضاً من طرق عن الزهري به فقال حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع حدثنا فليح عن الزهري عن سهل بن سعد أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أرايت رجلاً رأى مع امرأته رجلاً أقتله فقتلتموه أم كيف يفعل ؟ فأزول الله تعالى فيها ما ذكر في القرآن من التلائين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد قضى فيك وفي امرأتك » قال فتلاعا وأنا شاهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقارحها فكانت سنة أن يفرق بين الثلاثين ، وكانت حادثة فأفسر حملها وكان ابنها يدعى اليها . ثم جرت السنة في الميراث أن يرثها وتورث منه مافرض الله لها . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إسحق بن الضيف حدثنا النضر بن سميل حدثنا يونس بن أبي إسحق عن أبيه عن زيد بن بريق عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر « لورأيت مع أم رومان رجلاً ما كنت فاعلا ؟ » قال كنت والله فاعلاً به شراء قال « فأنت يا عمر ؟ » قال كنت والله فاعلاً كنت أقول لمن الله الأعجز فإنه خبيث . قال فزلت (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) ثم قال لاسلم أحدا أسنده إلا النضر بن سميل عن يونس

ابن إسحق ثم رواه من حديث الثوري عن أبي إسحق عن زيد بن بتيق مرسلًا قاله أعلم ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي حدثنا محمد بن الحسين عن هشام بن عمار عن ابن سيرين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لأول لعان كان في الإسلام أن شريك بن نجاء قد غلبه ليل بن أمية بأمراته فرغته إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « أربعة يهود ولا يصدق ظرك » فقال يارسل الله ﷺ إن الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في الصادق وليرزق الله عليك ما يريد به ظهري من الجلد فأقول الله آية اللعان (والذين يرمون أزواجهم) إلى آخر الآية قال فتداه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال « أشهد بالله إنك لمن الصادقين فيما رميته به من الزنا » فتشهد بذلك أربع شهادات ثم قال في الخامسة « ولعنة الله عليك إن كنت من الكاذبين فيما رميته به من الزنا » ففعل ثم دعاها رسول الله ﷺ فقال « قومي فاشهد بالله إنك لمن الكاذبين فيما رماك به من الزنا » فتشهدت بذلك أربع شهادات ثم قال لها في الخامسة « وغضب الله عليك إن كان من الصادقين فيما رماك به من الزنا » قال فلما كانت الرابعة أو الخامسة سكنت سكنة حتى ظنوا أنها ستترف ثم قالت لا أقضع قومي سائر اليوم فضت على القول ففرق رسول الله ﷺ بينهما وقال « انظروا فإن جاءت به جندا حمش الساقين فهو شريك بن نجاء وإن جاءت به أبيض سبطا قصير العين فهو ليل بن أمية » فجاءت به جندا حمش الساقين فقال رسول الله ﷺ « لولا ما نزل فيها من كتاب الله لكان لي ولها شأن »

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله عز وجل لها ولثبته صلوات الله وسلامه عليه فأقول الله تعالى براءتها صيانة لمرض الرسول ﷺ فقال تعالى (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) أي جماعة منكم يعني ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة فكان التقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين فإنه كان يجمعه ويستوشيه حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين فتكلموا به وجوزوه آخرون منهم وبقي الأمر كذلك قريبا من شهر حتى نزل القرآن ، ويان ذلك في الأحاديث الصحيحة ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث (١) عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله تعالى ، وكلهم قد حدثني بطائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثي من بعض وأثبت له اختصارا ، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا : ذكروا أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج لسفر أفرع بين نسائه فأبهرن خراج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ، قالت عائشة رضي الله عنها فأفرع بيننا في غزوة غزاهما فخرج فيها سهمي وخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما نزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأزل فيه قمرا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزواته تلك وقتل ودنونا من المدينة أذن لية بالرحيل فقمعت جيب كاذن بالرحيل فثبته حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلفست صدري فإذا عقدي من جزع ظفاري قد انقطع فرجعت فالتفت عقدي فحبسني ابتهاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتلموا هودجي فحرفوه على بئر الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه ، قالت وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يتعلمن ولم يخشنن العلم إنما يكن البقلة من الطعام فلم يستكر القوم خفة الموهج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبشوا الجميل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فبشت منازعهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني

فیرجعون إلی ، فینا أنا جالسة فی منزلی غلیظی عنایتی فتمت ، وكان صفوان بن العطل السلمي ثم الله کوانی قد عرس من وراء الجيش فأدلیج فأصبح عند منزلی فرأی سواد إنسان تأثم فأناهی فصرخی حیث رأی وقد کان رأی قبل الحجاب فاستیظمت بإسترجاعه حیث عرفنی فخرمت وجهی بجلبابی والله ما کلمنی کلمة ولا سمعت منه کلمة غیر إسترجاعه حیث أناخ راحلته فوطیء علی یدها فركبتها فانطلق یعودی الراحلة حتی أتینا الجيش بعدما نزلوا موغری فی نحر الظهیرة ، فهلك من هلك فی شأنی وكان الذی تولى کبره عبد الله بن أبی ابن ساول ، قدمننا للبدیة فاشتکت حیث قدمنهاها شهرنا والناس یغضبون فی قول أهل الإنفک ولا أشعر بشیء من ذلك وهو یرینی فی وجیءی أن لا أری رسول الله صلی الله علیه وسلم المطلب الذی أری منه حیث اشتکی ، إنما یدخل رسول الله صلی الله علیه وسلم فیسلم ثم یقول « کیف بیکم ؟ » فذلك الذی یرینی ولا أشعر بالشر حیث خرجت بعد ما تهت وخرجت معی أم مسطح قبل للناس وهو متبرزا ولا ینخرج إلا إلی لیل وذلك قبل أن یتخذ الکنف قریبا من یوتنا وأمرنا أمر العرب الأول فی التزمه فی البر یوتنا تتأذى بالکنف أن یتخذها من یوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهی بنت أبی رهم بن المطلب بن عبید مناف وأما ابنة صخر بن عامر خالة أبی بکر الصدیق وابنها مسطح بن أثانة بن عبید بن عبد المطلب ^(١) فأقبلت أنا وابنة یوم أم مسطح قبل یقی حیث فرضا من شأنا فشرت أم مسطح فی مرطبها فقالت تمس مسطح قتلنا لها بشما قلت تعین رجلا شهد بدرا ؟ فقالت أی هتاه ألم تسمی ما قال ؟ قلت وماذا قال ؟ قالت فأخبرنی بقول أهل الإنفک فزددت مرضا إلی مرضی فلما رجعت إلی یقی دخل علی رسول الله ﷺ فسلم ثم قال « کیف بیکم ؟ » فقلت له أناؤذن لی أن آتی أبوی ، قالت وأنا حیثه أرید أن أتین الحبر من قبلهما فأذن لی رسول الله صلی الله علیه وسلم فبعثت أبوی فقلت لأبی یا أمنا لما حدثت الناس به ؟ فقالت أی بنة هونی عليك فوالله قلسا كانت امرأة قط وضیفة عند رجل یحبها ولها ضرار إلا أکثرن علیها . قالت قتلنا سبجان الله وقد تحدث الناس بها فبیکت تک الیلة حتی أصبحت لا یرقی لی دمع ولا أکتحل بنوم ثم أصبحت أبکی ، قالت فدعا رسول الله ﷺ علی بن أبی طالب وأسامة بن زید حیث استلبت الوحی یسألهما ویستشیرهما فی فراق أهلها قالت فأما أسامة بن زید فأعاز علی رسول الله صلی الله علیه وسلم بالذی یعلم من براءة أهلها والذی یعلم فی نفسه لهم من الود ، فقال أسامة یا رسول الله أهلك ولا نعلم إلا خیرا . وأما علی بن أبی طالب فقال یا رسول الله لم یضیق الله عليك والنساء سواها کثیر وإن تسأل الجارية تصدقك الحبر . قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال « أی بريرة هل رأیت من شیء یریک من عائشه » فقالت له بريرة : والذی یشک بالحق إن رأیت منها أمرا قط أغصه علیها أكثر من أنها تجریة حدیقة السن تنام من عین أهلها فتأتی اللاحجن فتأ کله . فقام رسول الله صلی الله علیه وسلم من یومه فاستعذر من عبد الله بن أبی ابن ساول ، قالت : فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم وهو علی اللبر « یا مشر للسلین من یعدون من رجل قد بلغنی إزاءه فی أهلی فوالله ما علمت علی أهلی إلا خیرا وقد ذکرنا رجلا ما علمت علیه إلا خیرا وما کان یدخل علی أهلی إلا معی » فقام سعد بن معاذ الأنصاری رضی الله عنه فقال أنا أعنرك منه یا رسول الله إن کان من الأوس ضربنا عنقه وإن کان من إخواننا من الخزرج أمرتنا فقتلنا أمرک . قالت فقام سعد بن عبادة وهو سید الخزرج وكان رجلا صالحا ولیکن احتملته الحجة فقال لسعد بن معاذ کذبت لمر الله لا تقته ولا تقدر علی قتله ولو کان ابن رهمک ما أحببت أن یقتله ، فقام أسید بن حذیر وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة کذبت لمر الله لا تقته فأنک مناقق تجادل عن الناس ، فتناور الحیان الأوس والخزرج حتی هموا أن یقتلوا ورسول الله صلی الله علیه وسلم علی اللبر فلم یزل رسول الله صلی الله علیه وسلم یخفهم حتی سکوا وسکت رسول الله صلی الله علیه وسلم قالت وبکیت یومی ذلك لا یرقی لی دمع ولا أکتحل بنوم وأبوی یظنان أن البکاء طلق کبدی قالت فینما جا جالسان عندی وأنا أبکی إذ استأذنت علی امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست بکی معی فینما نحن علی ذلك إذ دخل علینا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ، قالت ولم یجلس عندی منذ قیل ما قیل ، وقد لبث شهرا لا یومی إلیه فی شأنی شیء

قالت فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال « أما بعد يا عائشة فانه قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة نسيرتك الله وإن كنت أملت بذنب فاستغفري الله وتوبى إليه فان العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه » قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقالة قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب عني رسول الله ﷺ فقال والله ما أدري ما أقول رسول الله ﷺ قلت لأبي أجي رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما أدري ما أقول رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم قالت فقلت وأنا جارية حديدية السن لا أقرأ كثيراً من القرآن والله لقد علمت قد سمعت بهذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أي بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت بأمر والله يعلم أي منه بريئة لتصدقوني فوالله ما أجدلى ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف (نصبر جميل والله للمنتعم على ما تصفون) قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت وأنا والله أعلم حينئذ أي بريئة وإن الله تعالى برمى يبرأه ولكن والله ما كنت أظن أن يؤزل في شأني وحى يلى ، ولشأنى كأن أجترق نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله ما رآه رسول الله ﷺ جلسته ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرءاء عند الوحى حتى إنه ليتحد منه مثل الجنان من العرق وهو في يوم شاة من ثقل القول الذى أنزل عليه : قالت فسرى عن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال « أبشرى يا عائشة أما الله عز وجل قد برأك » قالت فقالت لى أئى قوسى إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحد إلا الله عز وجل هو الذى أنزل براءه وأزل الله عز وجل (إن الدين جاءوا بالإفك عصبة منك) البشر الآيات كلها فلما أنزل الله هذا فى براءه قال أبو بكر رضى الله عنه وكان ينطق على مسطح بن أثانة لقربائه منه وبقدره والله لا أشق عليه شيئاً أبداً بعد الذى قال لعائشة فأنزله الله تعالى (ولا يأئل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القرى) إلى قوله — ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فقال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لى فرجع إلى مسطح الثقة أتى كان ينطق عليه . وقال والله لا أزعمها منه أبداً . قالت عائشة وكان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن أمرى فقال « يا زينب ماذا علمت أورات ؟ » فقالت يا رسول الله أحمى حمى وبسرى والله ما علمت إلا خيراً قالت عائشة وهى التى كانت تسامى من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقصها الله تعالى بالورع . وطلعت أختها حمزة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك قال ابن شهاب فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحهما من حديث الزهرى وهكذا رواه ابن إسحاق عن الزهرى كذلك قال : وحديث يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها وحديث عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى عن حمزة أخبرنى أنى عن عائشة بنحو ما تقدم والله أعلم . ثم قال البخارى وقال أبو أسامة عن هشام بن عروة قال أخبرنى أبى عن عائشة رضى الله عنها قالت لما ذكر من شأنى الذى ذكر وما علمت به . قام رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم وأثنى عليه بما هو أهله . ثم قال أما بعد أسيروا على ما ناس أبوا أهلى وإياهم الله ما علمت على أهلى إلا خيراً وما علمت على أهلى من سوء وأبوهم بين والله ما علمت عليهم سوء قط ولا يدخل بينى قط إلا وأنا حاضر ، ولا غبت فى سفر إلا غاب معى فقام سعد بن هذال الأنصارى فقال : يا رسول الله ائذن لنا أن نضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بن ثابت من بهط ذلك الرجل فقال كذبت أما والله لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شرفى السجد وما علمت فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتى ومعى أم مسطح فشررت فقالت تمس مسطح فقلت لها أى أم تسين ابنك ؟ فسكت ثم عثرت الثانية فقالت تمس مسطح فقلت لها أى أم تسين ابنك ؟ ثم عثرت الثالثة فقالت تمس مسطح فأنهزتها فقالت والله ما أسبه إلا إليك فقلت فى أى شأنى ؟ قالت فبقرت لى الحديث فقلت وقد كان هذا ؟ قالت نعم والله فرجعت إلى بيتى كأن الذى خرجت له لا أجد منه قليلاً ولا كثيراً ووعت وقلت لرسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم

أرسلني إلى بيت أبي فأرسل معي التلام فدخلت الدار فوجدت أم رومان في السفلى وأباً بكر فوق البيت يقرأ فقالت
 أم رومان ما جاء بك يا بنية فأخبرتها وذكرت لها الحديث وإذا هو لم يبلغ منها مثل الذي بلغ مني فقالت يا بنية خفي
 عليك الشأن فإنه والله قل ما كانت امرأة قط حسناء عند رجل يحيا لها ضرائر إلا حسدتها ، وقيل فيها قتل وقد
 علم به أي ؟ قالت نعم قلت ورسول الله ﷺ ؟ قالت نعم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبرت وبكيت
 فسمع أبو بكر صوته وهو فوق البيت يقرأ فنزل فقال لأبي ما شأنها قالت بلغها الذي ذكر من شأنها ففاضت عيناه
 رضى الله عنه فقال أقسمت عليك يا بنية إلا رجعت إلى بيتك فرجعت ، ولقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يبيح فسال عن خادمي فقالت يا رسول الله لا والله ما علمت عليها عيباً إلا أنها كانت تتردد حتى تدخل الشاة فتأكل خيرها
 أو عيبها ، وانتهرها بعض أصحابي فقال اسدق رسول الله ﷺ حتى أستطوا لها به فقالت سبحان الله والله
 ما علمت عليها إلا ما يعلم الصانع على بحر الذهب الأحمر ، وبلغ الأمر ذلك الرجل الذي قيل له ، فقال سبحان الله والله
 ما كشفت كنف أمي قط . قالت عائشة رضى الله عنها قتل شهيداً في سبيل الله قالت وأصبح أبواي عندي فلم
 يزلا حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صلى العصر ثم دخل وقد اكتنفتي أبواي عن يميني وعن
 شألي فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال « أما بعد يا عائشة إن كنت تارفت سوداً أو ظلت قلوبى إلى الله فإن الله
 يقبل التوبة عن عباده » قالت وقد جاءت امرأة من الأنصار في جالسة بالباب فقلت ألا تستحي من هذه
 المرأة أن تذكر شيئاً فوعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت إلى أبي قتلته له أجاب رسول الله ﷺ قال
 لماذا أقول ؟ فالتفت إلى أمي قتلته أجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ماذا أقول ؟ فلما لم يجيبها
 تفهمت فصدت الله وأثنت عليه بما هو أهله ثم قلت : أما بعد فوالله إن قلت لكم إن لم أقتل والله عز وجل
 يشهد إنى لصادقة ماذا بك يا بنية قد تكلمت به وأشرته قلوبكم ، وإن قلت لكم إنى قد فلت والله يعلم أنى لم
 أفعل فتقولن قديمت على نفسي وإني والله ما أجلى ولكم مثلاً واتهمت اسم يعقوب فلم أقدر عليه إلا أبا يوسف
 حين قال (فسر جميل والله للسان على ما تصفون) وأزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من ساجته فسكتنا
 فرجع عنه وإنى لأتأمين السرور في وجهه وهو عسج جيته وشوق « أشرى يا عائشة قد أنزل الله براءتك » قالت وكنيت
 أشد ما كنت غضباً فقال أبو بكر قومي إليه قتلته لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد ولا أحمداً ولكن أحمد الله
 الذي أنزل برأدي لقد ستموه لما أنكرتموه ولا غيرتموه ، وكانت عائشة تقول : أما زينب بنت جحش فصصها الله
 بدنيا فلم تزل إلا خيراً ، وأما أختها حنة بنت جحش فهلكت فيمن هلك ، وكان الذي يتكلم به مسطح وحسان بن
 ثابت والنافق عبد الله بن أبي بن سلول وهو الذي كان يستوشيه ويحميه وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمنة ، قالت
 فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحاً بنافسة أبداً فأزل الله تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم) يعنى أبا بكر (والصفة
 أن يؤثوا أولى القربى والسالكين) يعنى مسطحاً إلى قوله (ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فقال أبو بكر
 بلى والله يا ربنا إنما نحب أن تغفر لنا . وعاده بما كان يستع . هكذا رواه البخارى من هذا الوجه معطفاً بصيغة
 الجزم عن أبي أسامة حماد بن أسامة أحد الأئمة الثقات . وقد رواه ابن جرير في تفسيره عن سفيان بن وكيع عن
 أبي أسامة مطولاً به مثله أو نحوه . ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة يعضه وقال الإمام أحمد
 حديثنا شهم أخبرنا عمر بن زبني سلمة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت لما نزل عذرى من السماء جادني النبي صلى
 الله عليه وسلم فأخبرني بذلك فقلت : بحمد الله لا بحمدك . وقال الإمام أحمد حديثنا ابن أبي عدي عن محمد بن
 إسحق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة أيضاً عن عائشة قالت : لما نزل عذرى قام رسول الله ﷺ فذكر
 ذلك وتلا القرآن فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدم ورواه أهل السنن الأربعة . وقال الترمذى هذا حديث
 حسن ووقع عند أبي داود تسميتهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمنة بنت جحش . فهذه طرق متعددة عن أم
 المؤمنين عائشة رضى الله عنها في السانيد والصحاح والسنن وغيرها . وقد روى من حديث أمها أم رومان رضى الله

عنها فقال الإمام أحد حدثنا علي بن عاصم أخبرنا حسين عن أبي وائل عن مسروق عن أم رومان قالت بينا أنا عند عائشة إذ دخلت عليها امرأة من الأنصار فقالت : ضل الله بابنها وفعل ، فقالت عائشة ولم ؟ قالت إنه كان فيمن حدث الحديث قالت وأي الحديث قالت كذا وكذا قالت وقد بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قالت وبلغ أبو بكر ؟ قالت نعم فخرت عائشة رضى الله عنهما عليها لما أفادت إلا وعليها حمى بنافض قالت فتمت فدثرتها قالت فبجاء النبي صلى الله عليه وسلم قال « لما غاب هذبه » قلت يارسول الله أختني حمى بنافض قال « فله في حديث تحدث به » قالت فاستوت عائشة قاعدة فقالت والله لئن حلفت لكم لأتصدقن ولئن اعتلرت اليكم لأعذرني فثنى ومثل كمثل يقوب وبنيه حين قال (فصر جميل والله للستمان على ماصفون) قالت فخرج رسول الله ﷺ وأنزل الله علدها فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر فدخل فقال يا عائشة « إن الله تعالى قد أنزل عذرك » فقالت حمد الله لا بحمدك قال لما أبو بكر يقولين هذا لرسول الله ﷺ قالت نعم قالت وكان فيمن حدث هذا الحديث رجل كان يموله أبو بكر فحلف أن لا يصح فأنزل الله (ولا يأمل أولو الفضل منكم والسعة) إلى آخر الآية قال أبو بكر بلى فوصله . فخر به البخارى دون مسلم من طريق حسين ، وقدرناه البخارى عن موسى بن إسحاق عن أبي عوانة وعن محمد بن سلام عن محمد بن فضيل كلاهما عن حسين به وفى لفظ أبي عوانة حدثني أم رومان وهذا صريح فى سماع مسروق منها وقد أنكر ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البندادى وذلك لما ذكره أهل التاريخ أنها ماتت فى زمن النبي ﷺ قال الخطيب وقد كان مسروق يرسله فيقول سئلت أم رومان ويسوقه فامل بضمهم كتب سئلت بألف اعتقد الراوى أنها سألت فظنه متصلا قال الخطيب وقد رواه البخارى كذلك ولم تظهر له علته كذا قال والله أعلم . ورواه بعضهم عن مسروق عن عبد الله ابن مسعود عن أم رومان فانه أعلم ، وقوله تعالى (إن الذين جاءوا بالإفك) أى الكذب والبهت والافتراء (عصة) أى جماعة منكم (لا تخسبوهم) أى لا تألأ أبى بكر (بل هو خير لكم) أى فى الدنيا والآخرة لسان صدق فى الدنيا ورفعة منازل فى الآخرة وإظهار شرف لهم باعتناء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها حيث أنزل الله برادتها فى القرآن العظيم (الذى لأبائيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) الآية ولهذا لما دخل عليها ابن عباس رضى الله عنه وعنها وفى فى سياق اللوت قال لما أبصرى فإنيك زوجة رسول الله ﷺ وكان يحبك ولم يتزوج بكراً غيرك ونزلت برادتك من السماء . وقال ابن جرير فى تفسيره حدثني محمد بن عثمان الواسطى حدثنا جعفر ابن عون عن الليث بن عرفة عن محمد بن عبد الله بن جعفر قال : فاختارت عائشة وزينب رضى الله عنهما فقالت زينب أنا التى نزل تزويجي من السماء وقالت عائشة أنا التى نزل عذري فى كتاب الله حين حملت صفوان بن المغيرة على الرحلة فقالت لما زينب يا عائشة ما قلت حين ركبتيها ؟ قالت : قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت قلت كلمة للمؤمنين وقوله تعالى (لكل امرئ منكم ما اكتسب من الإثم) أى لكل من تكلم فى هذه القضية ورمى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بشيء من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب (والذى تولى كبره منهم) قيل ابتداء به وقيل الذى كان يجمعه ويستوشيه ويدينه ويشبهه (له عذاب عظيم) أى على ذلك ، ثم الأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبى بن سلول قبحه الله تعالى ولنه وهو الذى خدم النسي عليه فى الحديث وقال ذلك مجاهد وغير واحد ، وقيل بل المراد به حسان بن ثابت وهو قول غريب ولولا أنه وقع فى صحيح البخارى ما قد يدل على إيراد ذلك لما كان لإبراهيم كبير فائدة فإنه من الصحابة الذين لهم فضائل ومآثر وأحسن مآثره أنه كان يذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره وهو الذى قال له رسول الله ﷺ « هاجهم وجبريل معك » وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال كنت عند عائشة رضى الله عنها فدخل حسان بن ثابت فأمرت فأنقني له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما تصنعين بهذا ؟ ينى يدخل عليك وفى رواية قيل لها تأذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله (والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم) ؟ قالت وأي عذاب أشد من العصى وكان قد ذهب بصره لعل الله أن يجعل ذلك هو العذاب

العظيم ثم قالت إنه كان ينافس عن رسول الله ﷺ وفي رواية أنه أنشدها عند ما دخل عليها شعرا يعتد بها به فقال
حسان وزان ما تزون بيريده * وتصيح غرقى من لحوم التوافل
قالت أما أنت فلست كذلك ، وفي رواية : لكنت لست كذلك وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن قزعة حدثنا
سليمة بن علفمة حدثنا داود عن عامر عن عائشة أنها قالت ما سمعت بشعر أحسن من شعر حسان ولا يمثله به إلا عبيت
له الجنة قوله لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب

هيجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء

فإن أرى ووالله وعرضى * لعرض محمد منك وقاء

أنشتمه ولست له بكفاء * فسر كما حير كما القسداء

لساني صارم لا عيب فيه * ومجرى لا تكدره الهلا

ف قيل يا أم المؤمنين أليس هذا لغوا ؟ قالت لا إنما اللغوا ما قيل عند النساء ، قيل أليس الله يقول (والذى تولى
كبره منهم له عذاب عظيم) قالت أليس قد ذهب بصره وكنع بالسيف ؟ تنى الصبرة التى ضرب به إياها صفوان بن المطلب
السلى حين بلغه عنه أنه يتكلم في ذلك فعلاه بالسيف وكاد أن يقتله

﴿ لَوْلَا إِذْ تَبِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنَّهُمْ خَيْرٌ وَتَوَلَّوْا هَذَا إِنَّكَ شَدِيدٌ عَلَيْهِ
بِأَرْبَعَةٍ شَهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴾

هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قصة عائشة رضى الله عنها حين أفاض بضمهم في ذلك الكلام السوء وما ذكر
من شأن الألفك فقال تعالى (لولا) يعنى هلا (إذ سمعتموه) أى ذلك الكلام الذى ربيت به أم المؤمنين رضى الله
عنها (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) أى قالوا ذلك الكلام على أنفسهم فان كان لا يليق بهم فأم المؤمنين
أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى . وقد قيل إنها نزلت في أبي أيوب خاله بن زيد الأنصارى وامرأته رضى
الله عنهما كما قال الإمام محمد بن إسحق بن يسار عن أبيه عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب خاله بن زيد الأنصارى
قالت له امرأته أم أيوب يا أبا أيوب أمتسمع ما يقول الناس في عائشة رضى الله عنها ؟ قال نعم وذلك الكذب أكننت
فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ قالت لا والله ما كنت لأفعله قال فعائشة والله خير منك ، قال فلما نزل القرآن ذكر الله عز وجل
من قال في الفاحشة ما قال من أهل الألفك (إن الدين جاءوا بالأفك عصبة منك) وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا
ما قالوا ، ثم قال تعالى (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون) الآية أى كما قال أبو أيوب وصاحبه ، وقال محمد بن عمر الواقدي
حدثني ابن أبي حبيب عن داود بن الحصين عن أبي سفيان عن أنس بن مالك عن أبي أيوب أن أم أيوب قالت لأبي أيوب :
ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال بلى وذلك الكذب أفكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك ، قالت لا والله قال فعائشة
والله خير منك : فلما نزل القرآن وذكر أهل الألفك قال الله عز وجل (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين) يعنى أبا أيوب حين قال لأم أيوب ما قال ويقال إنما قلنا أن بى كعب ، وقوله
تعالى (ظن المؤمنون) الخ أى هلا ظنوا الخير فان أم المؤمنين أهلها أولى به . هذا ما يعلق بالباطن ، وقوله (وقالوا) أى
بألسنتهم هذا إفك مبين) أى كذب ظاهر على أم المؤمنين رضى الله عنها فان الذى وقع لم يكن رية وذلك أن مجيء أم
المؤمنين راءكة جبهة على راحة صفوان بن المطلب في وقت الظهيرة والجيش بكياه يشاهدون ذلك ورسول الله ﷺ بين
أظهمهم ولو كان هذا الأمر فيه رية لم يكن هكذا جبهة ولا كانا يقدمان على مثل ذلك بل عدوس الأعداء بل كان هذا يكون
لو قدر خفية مستورا ، فتمين أن مجابهة أهل الألفك بما مروا به أم المؤمنين هو الكذب البحت والقول الزور والرعونة
الفاحشة الفاجرة ، والصفة الخاسرة ، قال الله تعالى (لولا) أى هلا (جاءوا عليه) أى على ما قالوه (بأربعة شهداء)

يشهدون على صفة ما جادوا به (فإذا لم تأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) أى فى حكم الله كاذبون فاجرون
(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسَكْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ • إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ)

يقول تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة) أيها الخائفون فى شأن عائشة بأن قبل بوجعكم
 وإنابتكم إليه فى الدنيا وعفا عنكم لإيمانكم بالنسبة إلى البار الآخرة (لمسكتم فيها أنتم فيه) من قضية الافك (عذاب عظيم)
 وهذا فيمن عنده إيمان يقبل الله بسببه التوبة كسطح وحسان وحننة بنت جحش أخت زينب بنت جحش ،
 فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبي بن سلول وأشرابه فليس أولئك مرادين فى هذه الآية لأنه ليس عندهم
 من الإيمان والعمل الصالح ما يبادل هذا ولا ما يبرأه ، وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين يكون مطلقاً
 مشروطاً بعدم التوبة أو ما يقابله من عمل صالح يوازىه أو يرجع عليه : ثم قال تعالى (إذ تلقونه بالأسنكم) قال مجاهد
 وسعيد بن جبيرة أى يرويه بسنم من بسن يقول هذا سمعته من فلان وقال فلان كذا وذكر بعضهم كذا ، وقرأ
 آخرون (إذ تلقونه بالأسنكم) وفى صحيح البخارى عن عائشة أنها كانت تقرأها كذلك وتقول هو من تلقى اللسان
 يعنى الكذب الذى يستمر صاحبه عليه ، وتقول العرب : تلقى فلان فى السير إذا استمر فيه والقرائة الأولى أشهر وعليها
 الجمهور ولكن الثانية مروية عن أم المؤمنين عائشة ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأنصاري حدثنا أبو أسامة عن
 نافع عن ابن عمر عن عائشة أنها كانت تقرأ (إذ تلقونه) وتقول هى وتقول قول ابن أبى مليكة : هى أعلم به من
 غيرها ، وقوله تعالى (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أى تقولون ما لا تعلمون ، ثم قال تعالى (وتحسبونه هيناً
 وهو عند الله عظيم) أى تقولون ما تقولون فى شأن أم المؤمنين وتحسبون ذلك يسيراً سهلاً ولم تكن زوجة النبي ﷺ
 لما كان هيناً فكيف وهى زوجة النبي الأمى خاتم الأنبياء وسيد المرسلين فعظيم عند الله أن يقال فى زوجة نبيه
 ورسوله ما قيل ، فإن الله سبحانه وتعالى يبارك لهذا وهو سبحانه وتعالى لا يقدر على زوجة نبي من الأنبياء ذلك حاشا
 وكلا ، ولما لم يكن ذلك فكيف يكون هذا فى سيدة نساء الأنبياء وزوجة سيد ولد آدم على الإطلاق فى الدنيا والآخرة
 ولهذا قال تعالى (وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم) وفى الصحيحين « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدرى
 ما تبلغ بهوى بها فى النار أبعد مما بين السماء والأرض » وفى رواية « لا يلقى لها بالاً »

(وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ • يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَمُودُوا لَيْسَ لَهُ أَبَدٌ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ • وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

هذا تأديب آخر بعد الأول الأمر بظن الخير أى إذا ذكر ما لا يليق من القول فى شأن الحيرة فأولى ينبغى الظن
 بهم خيراً ، وأن لا يشعر نفسه سوى ذلك ثم إن علق بنفسه شيء من ذلك وسوسة أو خيلاً فلا ينبغى أن يتكلم به فإن
 رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى تجاوز لأمي عما حدثت به أنفسها ما لا تقل أو تعمل » أخرجه فى
 الصحيحين ، وقال الله تعالى (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) أى ما ينبغى لنا أن نتفوه بهذا الكلام
 ولا نذكره لأحد (سبحانه هذا بهتان عظيم) أى سبحانه الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسوله وحليلة خليفه ،
 ثم قال تعالى (يعظمكم الله أن تمودوا لمثله أبداً) أى ينهاكم الله المتوعداً أن يقع منكم ما يشبه هذا أبداً أى فيما يستقبل
 ولهذا قال (إن كنتم مؤمنين) أى إن كنتم تؤمنون بالله وشرعه وتعلمون رسوله صلى الله عليه وسلم فأما من كان
 متصفاً بالكفر فله حكم آخر ، ثم قال تعالى (ويبين الله لكم الآيات) أى يوضح لكم الأحكام الشرعية والحكم القدرية
 (والله عليم حكيم) أى عليم بما يصلح عباده حكيم فى شرعه وقدره

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

هذا تأنيب ثالث لمن مع شيئا من الكلام السيء قام بذنبه شيء منه وتكلم به فلا يكثر منه ولا يشيعه ويذمه فقد قال تعالى (إن الذين يحبون أن تفسح الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم) أي يختارون ظهور الكلام عنهم بالفسح (لهم عذاب أليم في الدنيا) أي بالحد ، وفي الآخرة بالعذاب (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) أي فردوا الأمور إليه ثمردوا وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون بن موسى للرفعي حدثنا محمد بن عباد الخزومي عن ثوبان عن النبي ﷺ قال « لا تؤدوا عباد الله ولا تيروهم ، ولا تطلبوا عوراتهم فانه من طلب عورة أخيه للسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته

﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَكَاةٌ عَلَيْكُمْ يَتَّبِعُ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالنَّكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

يقول الله تعالى (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله زكوة عليكم) أي لولا هذا لكان أمر آخر ولكنه تعالى ردوف بعباده رحمهم فتاب على من تاب إليه من هذه القضية وطهر من طهر منهم بالحد الذي أكرم عليهم ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) يعني طرائقه ومسالكه وما يأمرك به (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والنكس) هذا تنفير وتحذير من ذلك بأفصح عبارة وأبلغها وأوجزها وأحسنها ، قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (خطوات الشيطان) عمله وقال عكرمة زغانه وقال قتادة كل محبة فهي من خطوات الشيطان ، وقال أبو جابر : التذود في المصاحف من خطوات الشيطان ، وقال مسروق سأل رجل ابن مسعود فقال : إني حرمت أن أكل طعاماً وساء فقال هذا من زغفات الشيطان كفر عن بينك وكل ، وقال الشعبي في رجل نذر ذبيح ولله هذا من زغفات الشيطان وأفتاه أن يذبح كبشاً وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حسان بن عبد الله الصبري حدثنا السري بن يحيى عن سليمان التيمي عن أبي رافع قال غضبت على امرأتي فقالت هي يوما يهودية ويوما نصرانية وكل مملوك لها حر إن لم تطلق امرأتك ، فأثبت عبد الله بن عمر فقال : إنما هذه من زغفات الشيطان وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهي يومئذ أميرة المدينة وأثبت طاهم بن عمر فقال مثل ذلك . ثم قال تعالى (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكيت منكم من أحد أبداً) أي لولا هو يرزق من يشاء التوبة والرجوع إليه ويزكي النفوس من شرها وفجورها وذنسها ومافها من أخلاق رديئة كل محبة لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيرا (ولكن الله يزكي من يشاء) أي من خلقه وفضل من يشاء ويرديه في مهالك الضلال والقي ، وقوله (والله سميع) أي سمع لأقوال عباده (عليم) بمن يستحق منهم الهدى والضلال

﴿وَلَا يَأْتِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعْيُ أَنْ يَرْزُقُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْلَمُوا وَلَيَعْلَمُوا أَلَّا يُحْجِرُونَ أَنْ يَنْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

يقول تعالى (ولا يأت أولو الفضل منكم) أي لا يحلف أي لا يحلف (أولو الفضل منكم) أي الطول والصدقة والإحسان (والسعة) أي الجدة (أن يوزنوا أولو القربى والسالكين والمهاجرين في سبيل الله) أي لا تحلفوا أن لا تصلوا قرايبكم

الساكين والمهاجرين . وهذا في غاية الترفق والمطف على صلة الأرحام ولهذا قال تعالى (وليفوا وليصفا)
 أى عما تقدم منهم من الاساءة والأذى ؟ وهذا من حله تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم ، وهذه
 الآية نزلت في الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا يفتح مسطح بن أثانة بنافذة أبداً بعد ما قال في عائشة ما قال كما
 تقدم في الحديث فلما أنزل الله برامة أم المؤمنين عائشة وطابت النفوس للؤمننة واستقرت وتاب الله على من كان
 تكلم من المؤمنين في ذلك وأتم الحد على من أتم عليه - شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنة يعطف الصديق على تزيئة
 ونسيه وهو مسطح بن أثانة فإنه كان ابن خالة الصديق وكان مسكيناً لا مال له إلا ما يفتق عليه أبو بكر رضى الله
 عنه ، وكان من المهاجرين في سبيل الله وقد زلق زلفة تاب الله عليه منها ، وضرب الحد عليها . وكان الصديق
 رضى الله عنه معروفاً بالمعروف ، له الفضل والأيدى على الأقارب والأجانب فلما نزلت هذه الآية إلى قوله (ألا تحبون
 أن يفر الله لكم) الآية فإن الجزء من جنس العمل فكما تنفر ذنب من أذنب إليك يفر الله لك وكما تصنع يصفح
 عنك ، فعند ذلك قال الصديق : بلى والله إنا نحب أن تنفر لنا يا ربنا ، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من الثقة وقال
 والله لا أزعمها منه أبداً في مقابلة ما كان قال : والله لا أقسم بنافذة أبداً ، فلقد كان الصديق هو الصديق رضى الله عنه
 وعن بنته

(إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ لَأُولُوا فِي اللَّهِ نَبَاً وَالْآخِرَةُ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ
 تَشْهَدُ عَيْنُهُمْ أَسْلَمْتُمْ وَأَبْصَرْتُمْ وَأَنْجَلْتُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ
 اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ)

هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الفاضلات خرج مخرج الغالب للؤمنات فأما المؤمنات الأولى
 بالدخول في هذا من كل محنة ولا سيما التي كانت سبب النزول وهي عائشة بنت الصديق رضى الله عنها وقد أجمع
 العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورمأها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر
 لأنه معاند للقرآن ، ولي بقية أمهات المؤمنين قولان : أصحهما أنهن كهن بالله أعلم وقوله تعالى (لنوا في الدنيا
 والآخرة) الآية كقولهم (إن الذين يؤذون الله ورسوله) الآية . وقد ذهب بعضهم إلى أنها خاصة بعائشة رضى الله عنها
 فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبد الله بن حراش عن العوام عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الآية
 (إن الذين يرمون المحصنات الفاضلات) قال نزلت في عائشة خاصة وكذا قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان
 وقد ذكره ابن جرير عن عائشة قتال حدثنا أحمد بن عبدة الضبي حدثنا أبو عوانة عن حمير بن أبي سلمة عن أبيه عن عائشة
 رضى الله عنها قالت : رميت بما رميت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك ، قالت فبينما رسول الله ﷺ جالس عندي
 إذ أوحى إلي قالت وكان إذا أوحى إلي أخشع كهيئة السبات وإنه أوحى إلي وهو جالس عندي ثم استوى
 جالسا يمسح على وجهه وقال « يا عائشة أشرى » قالت قتلت بحمد الله لا بحمدك قرأ (إن الذين يرمون المحصنات
 الفاضلات المؤمنات - حتى بلغ - أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) هكذا أورده وليس فيه أن
 الحكم خاص بها وإنما فيه أنها سبب النزول دون غيرها وإن كان الحكم يسمها كغيرها ولله مراد ابن عباس ومن
 قال كقوله والله أعلم وقال الضحاك وأبو الجوزاء وسلمة بن نبيب : المراد بها أزواج النبي خاصة دون غيرهن من
 النساء وقال العوفي عن ابن عباس في الآية (إن الذين يرمون المحصنات الفاضلات المؤمنات) الآية يعني أزواج النبي
 ﷺ رماهن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والتعذب وبأوا بسخط من الله فكان ذلك في أزواج النبي
 ﷺ ثم نزل بعد ذلك (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء - إلى قوله - فإن الله غفور رحيم)
 فأنزل الله الجلد والثوبه فالتوبة تعيل والشهادة ترد . وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا هشام

أخبرنا العوام بن حوشب عن شيخ من بني أسد عن ابن عباس قال فسر سورة النور فلما أتى على هذه الآية (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات) الآية قال في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي مبهمة وليست لهم توبة ثم قرأ (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء - إلى قوله - إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحو) الآية قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة قال فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر به سورة النور. فقوله وهي مبهمة أي عامة في تحريم قذف كل محصنة ولست في الدنيا والآخرة وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا في عائشة ومن صنع مثل هذا أيضاً اليوم في اللواتي فله ما قال الله تعالى ولكن عائشة كانت أمّاً في ذلك . وقد اختار ابن جرير عمومها وهو الصحيح ويضد العموم ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أحمد ابن عبد الرحمن ابن أخى وهب حدثني حمى حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي التيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اجتنبوا السبع اللواتي » قيل وما هن يا رسول الله ؟ قال « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » أخرجه في الصحيحين من حديث سليمان بن بلال به ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عمر أبو خالد الطائي الحمري حدثني أبي ح وحديثنا أبو شعيب الحراني حدثنا جدي أحمد بن أبي شعيب حدثني موسى ابن أعين عن ليث عن أبي إسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قذف المحصنات عجل مائة سنة » وقوله تعالى (يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى الرازي عن حمرو بن أبي قيس عن مطرف عن النبال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إنهم يعني للتركين إذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة قالوا تمالوا حتى نجد فيجدون فيختم على أنفاهم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثاً وروى ابن أبي حاتم وابن جرير أيضاً حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني حمرون الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بسمه فيجعد ويخاصم فيقال له هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقال أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصممهم الله فتشهد عليهم أيديهم وألسنتهم ثم يدخلهم النار » وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا أبو شعبة إبراهيم بن عبد الله بن أبي شعبة الكوفي حدثنا مناجب بن الحارث التميمي حدثنا أبو طامر الأسدي حدثنا سفيان بن عبيد للكاتب عن فضيل بن عمرو القتيبي عن الشعبي عن أنس بن مالك قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال : « أندرون سم أضحك ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم قال « من جملة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرئ من الظلم ؟ فيقول بلى فيقول لا أجبر على شاهد إلا من نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً والكرام عليك شهيداً فيعتم في فيه ويقال لأركانه انطق تنطق بعمله ثم يخفى بينه وبين الكلام فيقول بمدا لكن وسجاً فتكذب أنتا ضل » وقد رواه بسلم والنسائي جميعاً عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبيه عن عبد الله الأشجعي عن سفيان الثوري به ثم قال النسائي لا أعلم أحداً روى هذا الحديث عن سفيان الثوري غير الأشجعي وهو حديث غريب والله أعلم هكذا قال : وقال قتادة : ابن آدم : والله عليك شهوداً غير منتهية من بذلك فراقهم وائق الله في شرك وعلايتك فانه لا يخفى عليه خافية ، الظلمة عنده ضوؤها عنده علانية فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن قليلاً ولا قوة إلا بالله . وقوله تعالى (يومئذ يوفيه الله دينهم) (يومئذ يوفيه الله دينهم الحق) وقوله (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) أي وعنده ووعيدته وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه

(الْعَبِيدُ الْعَبِيدُونَ الْعَمِيَّتُ وَالطَّيِّبُ وَالطَّيِّبُونَ الطَّيِّبَاتُ أُولَئِكَ مَرْهُونٌ بِمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)

قال ابن عباس : الحيات من القول للحيثيين من الرجال والحيثيون من الرجال للحيثيات من القول . والطيأت من القول للطيئين من الرجال والطيئون من الرجال للطيأت من القول - قال - ونزلت في عائشة وأهل الافك وهكذا روى عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والشعي والحسن البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك واختاره ابن جرير ووجهه بأن الكلام التبع أولى بأهل القبح من الناس والكلام الطيب أولى بالطيئين من الناس لما نسب أهل النفاق إلى عائشة من كلامهم أولى به وهي أولى بالبراءة والتزاهة منهم ولهذا قال تعالى (أولئك مردون بما يقولون) وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الحيات من النساء للحيثيين من الرجال والحيثيون من الرجال للحيثيات من النساء والطيأت من النساء للطيئين من الرجال والطيئون من الرجال للطيأت من النساء وهذا أيضا يرجع إلى ما قاله أولئك باللازم أي ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهي طيبة لأنه أعيب من كل طيب من البشر ولو كانت خبيثة لماصلته لاشترعوا قننا ولهذا قال تعالى (أولئك مردون بما يقولون) أي هم يبداء عما يقوله أهل الافك والمدون (لهم مغفرة) أي بسبب ما قيل فيهم من الكذب (وورث كرم) أي عند الله في جنات النعم ، وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة . قال ابن حاتم حدثنا محمد بن مسلم حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد السلام بن حرب عن زيد بن عبد الرحمن عن الحكم بإسناده إلى يحيى بن الجزار قال : جاء أسير بن جابر إلى عبد الله فقال قد سمعت الوليد بن عتبة يكلم اليوم بكلام أعجبني فقال عبد الله إن الرجل المؤمن يكون في قلبه الكلمة الطيبة تتجلبل في صدره ما يستقر حتى يلفظها فيمسها الرجل عنده يتلها فيمسها إليه وإن الرجل الفاجر يكون في قلبه الكلمة الخبيثة تتجلبل في صدره ما تستقر حتى يلفظها فيمسها الرجل الذي عنده يتلها فيمسها إليها ثم قرأ عبد الله (الحيات للحيثيين والحيثيون للحيثيات والطيأت للطيئين والطيئون للطيأت) الآية ويشبه هذا ما رواه الإمام أحمد في للسند مرفوعاً « مثل هذا الذي يسمع الحكمة ثم لا يحدث إلا به ما سمع كمثل رجل جاء إلى صاحب غنم فقال اجز لي شاة فقال اذهب فخذ بأذن أيها شئت فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم » وفي الحديث الآخر « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها »

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَمِّرُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُذَكَّرُونَ﴾ • فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَازْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ • لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ • وَاللَّهُ بِمَا يَفْعَلُونَ بِمَا تَعْمَلُونَ

هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين وذلك في استئذان أمرهم أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأذوا أي يستأذوا قبل الدخول وسلبوا بعده ، وبني أي يستأذن ثلاث مرات فإن أذن له وإلا انصرف حتى ثبت في الصحيح أن أبوموسى حين استأذن على عمر ثلاثاً فلم يؤذن له انصرف ثم قال عمر: ألم اسمع صوت عبد الله ابن قيس يستأذن ؟ فالدنوا له فقبلوه فوجدوه قد ذهب فاجاء به ذلك قال ما أرى جرك ؟ قال إني استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي وإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليصرف » فقال عمر أتأمرني على هذا بيعة وإلا أوجعتك ضرباً ، فذهب إلى ملا من الأنصار فذكر لهم ما قال عمر فقالوا لا يشهد لك إلا

أسفرتا قدامه أبو سعيد الخدري فأخبر عمر بذلك فقال ألمأت عن الصفاق بالأسواق . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عمر عن ثابت عن أنس أو غيره أن النبي ﷺ استأذن على سعد بن عبادته فقال « السلام عليك ورحمة الله » فقال سعد : وعليك السلام ورحمة الله ولم يسمع النبي صلى الله عليه وسلم حتى سلم ثلاثا ورد عليه سعد ثلاثا ولم يسمعه فرجع النبي ﷺ فاتبعه سعد فقال : يا رسول الله بأي أنت وأمي ما سلمت تسليمة إلا وهي بأني ، وقد رددت عليك ولم أسمك وأردت أن أمتك من سلاكم ومن البركة ثم أدخله البيت فحسب إليه زيبا فأكل نبي الله فذا فرغ قال « أكل طعامكم الأبرار . وصلت عليكم اللاتكة ، وأطفر عندكم الصائمون » وقد روى أبو داود والنسائي من حديث أبي عمرو الأزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد هو ابن عبادته قال : زارنا رسول الله ﷺ في منزلنا فقال « السلام عليكم ورحمة » فرد سعد ردا خفيا قال قيس : قلت ألا تأذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال دعه يكثر علينا من السلام فقال رسول الله ﷺ « السلام عليكم ورحمة الله » فرد سعد ردا خفيا ثم قال رسول الله ﷺ « السلام عليكم ورحمة الله » ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابته سعد فقال يا رسول الله إني كنت أسمع تسليك وأرد عليك ردا خفيا لتكثر علينا من السلام . قال فانصرف معه رسول الله ﷺ وأمر له سعد بسل فاغتسل ثم ناوله خميصة مصبوعة بزعفران أو ورس فاغتمل بها ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وهو يقول « اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادته » قال ثم أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطعام فذا أراد الانصراف قرب إليه سعد حمرا قد وطئ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اركب » فأبى فقال « إما أن تركب وإما أن تصرف » قال فانصرفت وقد روى هذا من وجوه أخر فهو حديث جيد قوي والله أعلم . ثم لعل أنه ينبغي للمستأذن على أهل المنزل أن لا يقف لتقاء الباب بوجهه ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره لما رواه أبو داود . حدثنا مؤمل بن الفضل الحارثي في آخرين قالوا حدثنا بقية حدثنا محمد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن بشر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول « السلام عليكم ، السلام عليكم » وذلك أن الدور لم يكن عليها بومئذ ستور ، انفراد به أبو داود . وقال أبو داود أيضا حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير حينئذ قال أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حمص عن الأعمش عن طلحة عن هزيل قال جاء رجل قال عثمان : سعد فوقف على باب النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن فقام على الباب قال عثمان مستقبل الباب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « هكذا عك - أو هكذا - فإنما الاستئذان من النظر » وقد رواه أبو داود الطيالسي عن سفيان الثوري عن الأعمش عن طلحة بن مصرف عن رجل عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه أبو داود من حديثه ، وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو أن أمرا أطلع عليك بشئ إذن فخذته بحصاة ففقت عينه ما كان عليك من جناح » وأخرج الجماعة من حديث شعبة عن محمد بن المنصور عن جابر قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في دين كان على أبي فدقت الباب فقال « من ؟ » قلت أنا قال « أنا » كانه كرهه وإنما كره ذلك لأن هذه اللفظة لا يعرف صاحبها حتى يفصح باسمه أو كنيتة التي هو مشهور بها ولا فكل أحد يمر عن نفسه بأنها فلا يحصل بها المقصود من الاستئذان الذي هو الاستئناس للأمر به في الآية وقال الموفى عن ابن عباس : الاستئناس الاستئذان ، وكذا قال غير واحد ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا » قال إنما هي خطأ من الكتاب حتى تستأذنوا وتسلموا وهكذا رواه هشيم عن أبي بشر وهو جعفر بن إياس عن سعيد عن ابن عباس مثله ، وزاد وكان ابن عباس يقرأ (حتى تستأذنوا وتسلموا) وكان يقرأ على قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه

وهذا غريب جدا عن ابن عباس وقال هشام أخبرنا مغيرة عن إبراهيم قال في مصنف ابن مسعود حتى تسلموا على أهلها
وتستأذنوا ، وهذا أيضا رواية عن ابن عباس وهو اختيار ابن جرير ، وقد قال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا ابن
جرير أخبرني عمرو بن أبي سفیان أن عمرو بن أبي سفیان أخبره أن كلفة بن الحنبل أخيه أن سفوان بن أمية بشه
في القبح بلبا وجداية وضائيس والنبي ﷺ بأعلى الوادي قال فدخلت على النبي ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن .
فقال ﷺ « ارجع قل السلام عليكم أأدخل » وذلك بعد ما أسلم سفوان ، ورواه أبو داود والترمذي
والنسائي من حديث ابن جرير به وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه ، وروى أبو داود حدثنا
أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو الأحوس عن منصور عن ربي قال أتى رجل من بني عامر استأذن على رسول
الله ﷺ وهو في بيته فقال أأدخل ؟ فقال النبي ﷺ لخادمه « اخرج إلى هذا فله الاستئذان قل له : قل السلام
عليكم أأدخل » فسمعه الرجل فقال السلام عليكم أأدخل فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل وقال
هشام أخبرنا منصور عن ابن سيرين وأخبرنا يونس بن عمار عن عمرو بن سعيد الثقفي أن رجلا استأذن على النبي
ﷺ فقال أأدخل أو أطلع ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأمة له يقال لها روضة « قومي إلى هذا فسلمي فإنه لا
يحسن يستأذن فتولى 4 يقول السلام عليكم أأدخل » فسمعا الرجل فقال : السلام عليكم أأدخل فقال
« ادخل » وقال الترمذي حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا سعيد بن زكريا عن عنبسة بن عبد الرحمن عن محمد بن زاذان
عن محمد بن النسيك عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « السلام قبل الكلام » ثم قال الترمذي
عنبسة ضيف الحديث ذاهب ومحمد بن زاذان في إسناده نكارة وضعف ، وقال هشام قال مغيرة قال مجاهد جاء ابن
عمر من حاجة وقد آذاه الرضاء فأق قسطاط امرأة من قريش فقال السلام عليكم أأدخل ؟ قالت ادخل سلام
فأعاد فأعادت وهو يراوح بين قدميه قال فتولى ادخل قالت ادخل فدخل . ولا بن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا
أبو نعيم الأحول حدثني خالد بن إلياس حدثني جدي أم إلياس قالت : كنت في أربع نسوة تستأذن عن عائشة فقلن ندخل ؟
فقلت لا ، قلن لصاحبتكن تستأذن فقلت السلام عليكم أأدخل ؟ قالت ادخلوا قالت (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها) الآية . وقال هشام أخبرنا أشعث بن سوار عن كردوس
عن ابن مسعود قال عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم ، وقال أشعث عن عبد بن ثابت أن امرأة من الأنصار
قالت يا رسول الله إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها لا والله ولا وله وإنه لا يزال يدخل
على رجل من أهلي وأنا على تلك الحال : قال فزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا) الآية وقال ابن جرير سمعت
عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس رضي الله عنه قال : ثلاث آيات جحدن الناس . قال الله تعالى (إن أكرمكم
عند الله أتقاكم) قال ويقولون إن أكرمهم عند الله أعظمهم بيتا قال والأدب كله قد جحدته الناس قال قلت استأذن
على أخواني أيتام في حجرى معى في بيت واحد ؟ قال نعم فرددت عليه ليرخص لي فأنى فقال تحب أن تراها عريانة ؟
قلت لا قال فاستأذن قال فرجسته أيضا فقال : أحب أن تطيع الله ؟ قال قلت نعم قال فاستأذن . قال ابن جرير وأخبرني
ابن طلوس عن أبيه قال : ما من امرأة أكره إلى أن أرى عورتها من ذات محرم قال : وكان يشدد في ذلك ، وقال
ابن جرير عن الزهري سمعت هزيل بن شرحبيل الأودي الأعمى أنه سمع ابن مسعود يقول عليكم الاذن على
أمهاتكم ، وقال ابن جرير قلت لعطاء استأذن الرجل على امرأته قال لا وهذا محمول على عدم الوجوب
ولا فالأولى أن يسلما بدخوله ولا يفاجئها به لاحتمال أن تكون على هيئة لا تحب أن يراها عليها . وقال
أبو جسر بن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن حازم عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن
يحيى بن الجزار عن ابن أخى زينب امرأة عبد الله بن مسعود عن زينب رضي الله عنها قالت كانت عبد الله
إذا جاء من حاجة فأتى إلى الباب تتحنن ويوق كراهة أن يهجم منا على أم يكرهه ، إسناده صحيح
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الله بن عمر حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي هبيرة
قال كان عبد الله إذا دخل الدار استأنس تكلم ورفع صوته ، وقال مجاهد حتى تستأذنوا قال تتحننوا أو تتخيموا

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال : إذا دخل الرجل بيته استحب له أن يتنحى أو يحرك نعليه ولهذا جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً - وفي رواية - لا يتخونهم ، وفي الحديث الآخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة نهراً فأناخ بظاهرها وقال « انتظروا حتى ندخل عشاءً - يعني آخر النهار - حتى تمسح الشمس وتستعد النخيلة » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحمن بن سليمان عن واصل بن السائب حدثني أبو ثور عن ابن أخي أبي أيوب عن أبي أيوب قال قلت يا رسول الله هذا السلام فما الاستئناس ؟ قال « يتكلم الرجل بتسبيحة أو تكبيرة أو تحميدة ويتنحى فيؤذن أهل البيت » هذا حديث غريب ، وقال قتادة في قوله (حتى تستأنسوا) هو الاستئذان ثلاثاً فمن لم يؤذن له منهم فليرجع أما الأولى فليسمع الحى ، وأما الثانية فلأخذوا حذرهم : وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا ولا تحفن على باب قوم ردوك عن بابهم فإن للناس حاجات ولم أشغال والله أولى بالمعسر . وقال مقاتل بن حيان في قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسألوا على أهلها) كان الرجل في الجاهلية إذا لقي صاحبه لا يسلم عليه ويقول حيث صباحا وحيث مساء وكان ذلك تحية القوم بينهم وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول قد دخلت ونحو ذلك فيشق ذلك على الرجل ولعله يكون مع أهل غيره الله ذلك كله في ستر وعفة وجهه شياً نزها من الدنسى والتدثر والدرن فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسألوا على أهلها) الآية وهذا الذى قاله مقاتل : حسن ولهذا قال تعالى (ذلكم خير لكم) يعني الاستئذان خير لكم بمعنى هو خير من الطرفين للمستأذن ولأهل البيت (لعلكم تذكرون) وقوله تعالى (فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) وذلك لما فيه من التصرف في ملك الغير بغير إذنه فإن شاء أذن وإن شاء لم يأذن (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أركم لكم) أى إذا ردوكم من الباب قبل الإذن أو بعده (فارجعوا هو أركم لكم) أى يرجعكم أركم لكم وأظهر (والله بما تعملون علم) وقال قتادة قال بعض المهاجرين قد طلبت عمري كله هذه الآية فأنذرتني أنها أن أستأذن على بعض أخواني فيقول لى أرجع وأنا مقتط (١) (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أركم لكم) والله بما تعملون علم) وقال سعيد بن جبير في الآية أى لا تقفوا على أبواب الناس وقوله تعالى (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) الآية هذه الآية الكريمة أخص من القبلها وذلك أنها تقتضى جواز الدخول إلى البيوت التى ليس فيها أحد إذا كان له متاع فيها بغير إذن كالبيت للمد الضيف إذا أذن له فيه أول مرة كفى . قال ابن جرير قال ابن عباس (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) ثم نسخ واستثنى فقال تعالى (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم) وكذا روى عن عكرمة والحسن البصرى وقال آخرون : هى بيوت التجار كالحانات ومنازل الأسفار وبيوت مكة وغير ذلك واختار ذلك ابن جرير وحكاه عن جماعة والأول أظهر والله أعلم ، وقال مالك عن زيد ابن أسلم هى بيوت الشعر

﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ بَيْضَاتٌ مِّنْ أَبْصَارِهِمْ رَهَقَتْهُمْ فُرُوجُهُمْ ذَٰلِكَ أَرْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾
هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يفضوا من أبصارهم مما حرم عليهم فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه وأن يفضوا أبصارهم عن المحارم ، فإن اتفق أن وقع البصر على محرّم من غير قصد فليصرف بصره عنه سرّاً كالرواه مسلم في صحيحه من حديث يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أنس بن مالك عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الشجاعة فأمرني أن أصرف بصرى . وكذا رواه الإمام أحمد عن هشيم عن يونس بن عبيد به ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديثه أيضاً وقال الترمذى حسن صحيح وفي رواية لبعضهم فقال « أطرق بصرى » معنى انظر إلى الأرض ، والصرف أعم فانه قد يكون إلى الأرض وإلى جهة أخرى والله أعلم وقال أبو داود حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري حدثنا شريك عن أبي ربيعة الأيادى (١) في النسخة السكية : منقطع .

بُؤْسِهِمْ أَوْ لِحُورِهِمْ أَوْ بَنِي أَخَوْتِهِمْ أَوْ نِسَائِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْسُهُمْ أَوْ التَّائِبِينَ
خَيْرَ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطُّفْلَ الَّذِينَ لَمْ يُنْظَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرَبْنَ بِأَرْجُلَيْهِمْ لِيُعْلَمَ
مَا يُخْفِيهِمْ مِنْ زِينَتِهِمْ وَيُؤْتُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمُوعُ السَّمِيعُ

هذا أمر من الله تعالى للنساء اللواتي وغيره من أزواجهن عباده المؤمنين وعييز لمن عن صفة نساء الجاهلية وقال
الشركات وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال : بلغنا والله أعلم أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن
أسماء بنت مرقد كانت في محل لها في حارة فقبل النساء يدخلن عليها غير متزوات فيبدو ما في أرجلهن من الخلخل وتبدو
صدورهن وذواتهن فقالت أسماء ما أتبع هذا فأمر الله تعالى (وقل للمؤمنات يفضن من أبصارهن) الآية فقله تعالى
(وقل للمؤمنات يفضن من أبصارهن) أي محارم الله عليهن من النظر إلى غير أزواجهن، ولهذا ذهب كثير من العلماء
إلى أنه لا يجوز للمرأة النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلا، واحتج كثير منهم بما رواه أبو داود
والترمذي من حديث الزهري عن نهبان مولى أم سلمة أنه حدثه أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم وميمونة قالت فبينما نحن عنده أبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحباج فقال رسول الله صلى الله عليه
« احتجبا منه » فقلت يا رسول الله اليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يبرقنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو عياوان
أنتما ؟ » ألتا تبصرانه » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهن
إلى الأجانب بغير شهوة كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون
بإبراهيم يوم العيد في المسجد وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم من وراءه وهو يسترها منهم حتى ملت ورجعت . وقوله
(ويحفظن فروجهن) قال سعيد بن جبير : عن النواحي وقال قتادة وسفيان هما لا يحل لهن وقال مقاتل عن الزنا ،
وقال أبو العالية كآية نزلت في القرآن يذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنا إلا هذه الآية (ويحفظن فروجهن)
أن لا يراها أحد ، وقوله تعالى (ولا يدين زينتكم إلا ما ظهر منها) أي لا يظهرن شيئا من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن
إخفاؤه : قال ابن مسعود كإدواء الثياب يعني على ما كان يتشابه نساء العرب من اللقمة التي تحمل ثيابها وما يبدومن
أسافل الثياب فلا حرج عليها فيه لأن هذا لا يمكن إخفاؤه ونظيره في زى النساء ما يظهر من إزارها وما لا يمكن
إخفاؤه وقال قول ابن مسعود، الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء وإبراهيم النخعي وغيرهم ، وقال الأحمد عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس (ولا يدين زينتكم إلا ما ظهر منها) قال وجهها وكفها والحاتم . وروى عن ابن عمر وعطاء وعكرمة
وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء والضحاك وإبراهيم النخعي وغيرهم نحو ذلك وهذا يحتمل أن يكون تفسير الزينة التي
نهين عن إبدائها كما قال أبو إسحق السبيعي عن أبي الأحوص عن عبد الله قال في قوله (ولا يدين زينتكم) الزينة القمطر
والدمالج والخلخال والقلاعة ، وفي رواية عنه بهذا الإسناد قال : الزينة ثياب لا يراها إلا الزوج : الحاتم والسوار
وزينة يراها الأجانب وهي الظاهر من الثياب وقال الزهري لا يبدو لهؤلاء الدين متى أمعن الله لئلا لا يطلع إلا الأسورة
والأخيرة والأفرطة من غير حصر وأما عامة الناس فلا يدينونها إلا الحواتم ، وقال مالك عن الزهري (إلا ما ظهر منها)
الحاتم والخلخال . ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بوجهها والكفين وهذا هو المشهور عند
الجمهور ويستأنس به بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه حديثا يعقوب بن كعب الانطاكي ومؤمل بن الفضل
الحراشي قالوا : حدثنا الوليد بن سعيد بن بشر عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال « يا أسماء إن الله لراة إذا بلغت المحض لم يصلح
أن يري منها إلا هذا » وأشار إلى وجهه وكفيه لكن قال أبو داود وأبو حاتم الرازي هو مرسل . خالد بن دريك لم
يسمع من عائشة رضي الله عنها والله أعلم وقوله تعالى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) يعني اللتان يعمل لهما صفات

ضاربات على صدورهن لتوازي ما تحتها من صدرها وتراتها لخالقن شعار نساء أهل الجاهلية فانهن لم يكن يفعلن ذلك بل كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة صدرها لا يواريه شيء وربما أظهرت عنها وذوائب شعرها وأقرطة آفاتها فأمر الله للؤمنات أن يستترن في هياتهن وأحوالهن كما قال تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) وقال في هذه الآية الكريمة (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) واتخذ جمع خمار وهو ما يخر به أي يغطى به الرأس وهي التي تسميها الناس القلائع . قال سعيد بن جبير (وليضربن) وليشددن (خمرها على جيوبهن) يعني على النحر والصدر فلا يرى منه شيء . وقال البخاري حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا أبي عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : رحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن مروطين فاخترن بها . وقال أيضاً حدثنا أبو نعيم حدثنا إبراهيم بن نافع عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة أن عائشة رضى الله عنها كانت تقول : لما نزلت هذه الآية (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) أخذن أزهرن فشققن من قبل الحواشي فاخترن بها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثني الزبيري بن خفاف حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن صفية بنت شيبة قالت : سئنا نحن عند عائشة قالت فذكرنا نساء قريش وفضلن فقالت عائشة رضى الله عنها إن لنساء قريش فضلاً وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أهد تصديقا لكتاب الله ولا إيماناً بالأنزال لقد أنزلت سورة النور (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) اغلب رجالهن الإهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهن فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته لما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها للرحل فاعتجرت به تصديقا وإيماناً بما أنزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان . ورواه أبو داود من غير وجه عن صفية بنت شيبة به ، وقال ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أن قرعة بن عبد الرحمن أخبره عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت رحم الله النساء المهاجرات الأول لما أنزل الله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن أكف مروطين فاخترن بها . ورواه أبو داود من حديث ابن وهب به ، وقوله تعالى (ولا يدين زينبتن إلا لبيوتهن) أي أزواجهن (أو آبائهن أو آباء يمولن أو آبائهن أو آبائهم يمولن أو إخوانهم أو بنو إخوانهم أو بنو أخواتهم) كل هؤلاء حرام للمرأة يجوز لها أن تظهر عليهم بزيها ولكن من غير تبرج وقد روى ابن النذر حدثنا موسى بن ابن هارون حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا داود عن الشعبي وعكرمة في هذه الآية (ولا يدين زينبتن إلا لبيوتهن أو آبائهن أو آباء يمولن أو آبائهم يمولن) حتى فرغ منها وقال لم يذكر الله ولا الحال لأخواتهم بنتان لأنهما ولا تضع خمارها عند العم والحال ، فأما الزوج فلما ذلك كله من أجله فتصنع له بما لا يكون محضرة غيره . وقوله (أو لئائهن) يعني تظهر بزيها أيضاً للنساء اللوات دون نساء أهل الأمة ثلاث تصفين لرجالهن وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء إلا أنه في نساء أهل الأمة أهد فانهن لا يمنعن من ذلك مانع فأما للسلعة فانهن تعلم أن ذلك حرام فتزجر عنه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تبشیر المرأة المرأة تزوجها كأنه ينظر إليها » أخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود وروى سعيد بن مسعود في سننه حدثنا إسماعيل بن عياش عن هشام بن النضر عن عباد بن نسي عن أبيه عن الحارث بن قيس أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة : أما بعد فانه بلغني أن نساء من المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك فانه من تلكم فلا رجل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل بيتها . وقال مجاهد في قوله (أو نساءهن) قال نساؤهن المسلمات ليس الشركات من نساءهن وليس للمرأة المسلمة أن تتكشف بين يدي بشركة . وروى عبد الله في تفسيره عن الكبي عن أبي صالح عن ابن عباس أو نساءهن قالن للمسلمات لا تبدي يهود ولا نصرانية وهو النحر والقرط والوشاح وما لا يجل أن يراه إلا الحرم ، وروى سعيد حدثنا جرير عن لث عن مجاهد قال لا تضع للسلعة خمارها عند مشرك لأن الله تعالى يقول (أو نساءهن) فليست من نساءهن ، وعن مكحول وعبادة بن نسي أنها كرها أن تعبل النصرانية واليهودية والمجوسية للسلعة ، فأما ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عمير حدثنا

يحيى بن سعيد القطان عن ثابت بن حمارة الحنفي عن غنم بن قيس عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كل عيب زانية وللرأة إذا استعطرت فثرت بالمجلس فهي كذا » يعني زانية ، وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حسن صحيح رواه أبو داود والنسائي من حديث ثابت بن حمارة به . وقال أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن عاصم بن عبيد الله عن عبيد مولى أبي درهم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : لقيته امرأة شمس من أراج الطيب ولديها عصا فقال يا أمية الجبار جئت من المسجد ؟ قالت نعم . قال لها : تطيبت قالت نعم . قال إني سمعت حيا بالقاسم عليه السلام يقول « لا يقبل الله صلاة امرأة طيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغسل غسلها من الجنابة » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان هو ابن عيينة به . وروى الترمذي أيضاً من حديث موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن ميمونة بنت سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها » ومن ذلك أيضاً أنهم ينهين عن اللثى في وسط الطريق لما فيه من التبرج . قال أبو داود حدثنا الثعلبي حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد عن ابن أبي الجان عن شداد بن أبي عمرو بن حماس عن أبيه عن حمزة بن أبي أسيد الأسارى عن أبيه أنه مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد ، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء « استأخرن فانه ليس لكن أن تخضن الطريق ، عليكن بحافات الطريق » فكانت الرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به وقوله تعالى (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) أي افعلوا ما أمركم به من هذا الصفات الجليلة والأخلاق الجليلة واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الذميمة فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى عنه والله تعالى هو اللطيف

(وَأَنِسُوا أَلْيَسَ الْمَسْكُومُ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ يَكُونُوا قَرَابَةً يَفْنِيهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) وَلَيْسَتْغَفِرِ الَّذِينَ لَا يَعْمِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يَفْنِيَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ يَمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تَكْرَهُوا بَيْعَتَكُمْ عَلَى الْيَمَانِ إِنْ أَرَدْتُمْ نَحْصًا لَّتُبَيِّتُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ كُرْهِهِمْ قَفُورٌ ذَرِيمٌ وَقَدْ أُنزِلَتْ آيَاتُ الْيَمَانِ عَلَيْكُمْ مَبِيتٌ وَمَبِيتٌ مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ)

اشتملت هذه الآيات الكريمات اللينة على جل من الأحكام المحكمة والأوامر للبرمة لقوله تعالى (وأنكحوا الأيامي منكم) إلى آخره هذا أمر بالتزويج . وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه على كل من قدر عليه واحتجوا بظاهر قوله عليه السلام « يا معشر الشباب من استطاع منكم البائة فليتزوج فانه أغض للسر وأحسن للفرج ومن لم يستطع فليصوم فانه له وجاء » أخرجهما في الصحيحين من حديث ابن مسعود وقد جاء في السنن من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « وتزوجوا الولود تأسلوا فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة » وفي رواية « حتى بالسقط » الأيامي جميع أبهم ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لازوجة له وسواء كان قد تزوج ثم فارق أولم يتزوج واحد منهما حكاه الجوهري عن أهل اللغة ، يقال رجل أبهم وامرأة أبهم . وقوله تعالى (إن يكونوا قراء بينهم الله من فضله) الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله في التزويج وأمر به الأحرار والعبيد وعدمه عليه التقي فقال (إن يكونوا قراء بينهم الله من فضله) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حماد بن عمار عن عمرو بن عبد الواحد عن سعيد — يعني ابن عبد العزيز — قال بلغني أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال: أطيعوا الله فإياكم أمركم به من النكاح بنحو ذلك ما وعدكم من التقي قال تعالى (إن يكونوا قراء بينهم الله من فضله) وعن ابن مسعود: التمسوا التقي

في الكساح . يقول الله تعالى (إن يكونوا اقراء بينهم الله من فضله) رواه ابن جرير وذكر البغوي عن عمر بن الخطاب وعنه البيهقي عن محمد بن عجلان عن سعيد القبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف وللناكح يريد الأداء والناكح يريد العفاف » رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه . وقد زوج النبي ﷺ ذلك الرجل الذي لم يجد عليه إلا إزاره ولم يقدر على خاتم من حديد ومع هذا فزوجه بذاك المرأة وجعل صداقها عليه أن يلبسها ملابسه من القراآن . وللمهود من كرم الله تعالى ولطفه أن يرزقه مائة كفاية لما ولده ، وأما ما يورده كثير من الناس على أنه حديث « تزوجوا اقراء بينكم الله » فلا أصل له ولم أره يلبسند قوي ولا ضعيف إلى الآن وفي القراآن غنية عنه وكذا هذه الأحاديث التي أوردناها وقها لحد ولثة ، وقوله تعالى (وليستغف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغفر لهم الله من فضله) هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد تزويجاً بالثمن عن الحرام كما قال صلى الله عليه وسلم « يامشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحسن للنفس » (ومن لم يستطع فليصوم فزانه له وجاء » الحديث ، وهذه الآية مطلقة والتي في سورة النساء أخص منها وهي قوله (ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات - إلى قوله - وأن تصبروا خير لكم) أي صبركم عن تزوج الإماء خير لكم لأن الولد يجر مرققا (والله غفور رحيم) قال عكرمة في قوله (وليستغف الذين لا يجدون نكاحاً) قال هو الرجل يرى المرأة فكانت يشتهي فإن كانت له امرأة فليذهب إليها وليقتض حاجته منها ، وإن لم يكن له امرأة فليظفر في ملكوت السموات والأرض حتى يغفر الله وقوله تعالى (والذين ينتهون الكتاب عما ملكت أيمانكم فكايتوم إن علمتم فيهم خيراً) هذا أمر من الله تعالى للسادة إذا طلب عيديم منهم الكتابة أن يكاتبوم بشرط أن يكون للبعد حيلة وكسب يؤدي إلى سيده لئلا الذي يمارط على أماله ، وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن هذا الأمر أمر إرشاد وليستحباب لا أمر تحتم وإيجاب بل السيد غير إذا طلب منه عبده الكتابة إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكاتبه ، قال الثوري عن جابر عن الشعبي إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكاتبه ، وكذا روى ابن وهب عن إسماعيل بن عياش عن رجل عن عطاء بن أبي رباح إن يشأ كاتبه وإن يشأ لم يكاتبه وكذا قال مقاتل بن حيان والحسن البصري ، وذهب آخرون إلى أنه يجب على السيد إذا طلب منه عبده ذلك أن يجيبه إلى ما يطلب أخذاً بظاهر هذا الأمر . وقال البخاري وقال روح عن ابن جريج قلت لعطاء أوجب على إذا علمت له مالا أن أ كاتبه ، قال ما أراه إلا واجباً ، وقال حمرو بن دينار قلت لعطاء أنأمرأه أن أهد ، قال : لا ، ثم أخبرني أن موسى بن أنس أخبره أن سيرين سأل أنساً للكتابة وكان كثير المال فأبي فانطلق إلى عمر رضي الله عنه فقال كاتبه فأبي ففسره بالقدرة وتلو عمر رضي الله عنه (فكايتوم إن علمتم فيهم خيراً) فكاتبه هكذا ذكره البخاري معلقاً ، ورواه عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء : أوجب على إذا علمت له مالا أن أ كاتبه ؟ قال ما أراه إلا واجباً . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن يشار حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد بن قتادة عن أنس بن مالك أن سيرين أراد أن يكاتبه فلبسها عليه فقال له عمر لنكاتبته إسناده صحيح ، وروى سعيد بن منصور حدثنا هشيم بن جوير عن الضحاك قال هي عزمة وهذا هو القول القديم من قول الشافعي وذهب في الجديد إلى أنه لا يجب لقوله عليه السلام « لا يعل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس » وقال ابن وهب قال مالك : الأمر عندنا أنه ليس على سيد العبد أن يكاتبه إذا سأل ذلك ولم أسمع أحداً من الأئمة أكره أحداً على أن يكاتب عبده . قال مالك وإنما ذلك أمر من الله تعالى وإن من تناس وليس يوجب ، وكذا قال الثوري وأبو حنيفة وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم وغيرهم واختار ابن جرير قول الوجوب لظاهر الآية ، وقوله تعالى (إن علمتم فيهم خيراً) قال بعضهم أمانة وقال بعضهم صداق ، وقال بعضهم مالا ، وقال بعضهم حيلة وكسباً ، وروى أبو داود في الراسل عن يحيى بن أبي كثير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فكايتوم إن علمتم فيهم خيراً) قال « إن علمتم فيهم حرفة ولا تسلموهم كلاً على الناس » : وقوله تعالى (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) اختلف للفسرون فيه فقال بعضهم معناه اطرحوهم لهم من الكتابة بعضهم قال بيشهم مقدار الربع ، وقيل الثلث ، وقيل النصف ، وقيل جزء من السكابة من غير حد ،

وقال آخرون بل المراد من قوله (وأتوهم من مال الله الذي آتاكم) هو النصيب الذي فرض الله لهم من أموال الزكاة وهذا قول الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأبيه ومقاتل بن حيان واختاره ابن جرير وقال إبراهيم النخعي في قوله (وأتوهم من مال الله الذي آتاكم) قال حث الناس عليه مولاة وغيره ، وكذا قال بريدة بن الحصيب الأسلمي وقتادة ، وقال ابن عباس أمر الله المؤمنين أن يعينوا في الرقاب ، وقد تقدم في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة حق على الله عونهم » فذكر منهم للكتاب يريد الأداة والقول الأول أشهر ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا وكيع عن ابن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس عن حمراء أنه كاتب عبد الله يعني أبا أمية فجاء بنجمه حين حل فقال يا أبا أمية اذهب فاستمن به في مكاتبك فقال يا أمير المؤمنين لو تركته حتى يكون من آخر نجم ؟ قال أخاف أن لا أدرك ذلك ثم قرأ (فكتبوهم إن علمت فيهم خيراً وأتوهم من مال الله الذي آتاكم) قال عكرمة فكان أول نجم أدى في الإسلام ، وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هرون بن الليث عن عتبة عن سالم الأفلس عن سعيد بن جبيرة قال : كان ابن عمر إذا كاتب مكاتب لم يضع عنه شيئا من أول نجومه مخافة أن يسبغ قدس جليله إلى يده ، ولكنه إذا كان في آخر مكاتبه وضع عنه ما أحب ، وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية (وأتوهم من مال الله الذي آتاكم) قال ضوا عنهم من مكاتبهم ، وكذا قال مجاهد وعطاء والقاسم بن أبي بزة وعبد الكريم ابن مالك الجوزي والسدي ، وقال محمد بن سيرين في الآية كان يسبغهم أن يدع الرجل لمكاتبه طائفة من مكاتبته ، وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الفضل بن هاذان القرني أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن ابن جريج أخبرني عطاء ابن السائب أن عبد الله بن جندب أخبره عن طي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ربع الكتابة » وهذا حديث غريب ورفعه منكر والأصح أنه موقوف على علي رضي الله عنه كما رواه عنه أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله وقوله تعالى (ولا تسكروا فتياتكم على البغاء) الآية كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدكم أمة أرسلها تزني وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت فلما جاء الإسلام نهى الله المؤمنين عن ذلك وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة فيها ذكر خير واحد من التفسيرين من السلف والخلف في شأن عبد الله بن أبي بن سلول فإنه كان له إماء فكان يكرهن على البغاء لطلب الحراجين وروضة في أولادهن ورياسة منه فيأزعم .

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الحالق البزار رحمه الله في مسنده حدثنا أحمد بن داود الواسطي حدثنا أبو عمرو اللخمي يعني محمد بن الحجاج حدثنا محمد بن إسحق عن الزهري قال كانت جارية لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الإسلام نزلت (ولا تسكروا فتياتكم على البغاء) الآية ، وقال الأعمش عن أبي سفيان عن جابر في هذه الآية قال نزلت في أمة لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها مسكة كان يكرهها على الفجور وكانت لا بأس بها فتأني فأنزل الله هذه الآية (ولا تسكروا فتياتكم على البغاء) - إلى قوله - ومن يكرهن فإن الله من يهد إكراههن غفور رحيم (وروي النسائي من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر نحوه ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا علي بن سعيد حدثنا الأعمش حدثني أبو سفيان عن جابر قال كان لعبد الله بن أبي بن سلول جارية يقال لها مسكة وكان يكرهها على البغاء فأنزل الله (ولا تسكروا فتياتكم على البغاء) - إلى قوله - ومن يكرهن فإن الله من يهد إكراههن غفور رحيم) صرح الأعمش بالبائع من أبي سفيان بن طلحة ابن نافع قدس على بطلان قول من قال لم يسمع منه إنما هو صحيفة حكاية البزار ، وروي أبو داود الطيالسي عن سليمان بن ماذ عن سبال عن عكرمة عن ابن عباس أن جارية لعبد الله بن أبي كانت تزني في الجاهلية فولدت أولادا من الزنا فقال لها مالك لا تزني قالت والله لا أؤذي فضرها فأنزل الله عز وجل (ولا تسكروا فتياتكم على البغاء) ، وروي البزار أيضا حدثنا أحمد بن داود الواسطي حدثنا أبو عمرو اللخمي يعني محمد بن الحجاج حدثنا محمد بن إسحق عن الزهري عن أنس رضي الله عنه قال : كانت جارية لعبد الله بن أبي يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الإسلام نزلت (ولا تسكروا فتياتكم على البغاء) - إلى قوله - ومن يكرهن فإن الله من يهد إكراههن غفور رحيم

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري أن رجلا من قريش أسر يوم بدر وكان عند عبد الله بن أبي أسير أو كانت لبعد الله بن أبي جارية يقال لها معاذة وكان القرشي الأسير يريد لها على نفسها وكانت مسلمة وكانت تنسج منه لاسلامها وكان عبد الله بن أبي بكرها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل من القرشي فيطلب فداء ولهم فقال تبارك وتعالى (ولا تسكروا فتياكم على البنا إن أردن تحسنا) . وقال السدي أنزلت هذه الآية الكريمة في عبد الله بن أبي بن مسعود رأس المنافقين وكانت له جارية تدعى معاذة وكان إذا نزل به ضيف أرسلها إليه ليواظبها إرادة الثواب منه والكرامة له فأقبلت الجارية إلى أبي بكر رضى الله عنه فشكت إليه ذلك فذكره أبو بكر لابي صلى الله عليه وسلم فأمره بقبضها فصاح عبد الله بن أبي من يمدنا من محمد ضلنا على محلوكتنا فأنزل الله فيهم هذا ، وقال مقاتل بن حيان بلنى والله أعلم أن هذه الآية نزلت في رجلين كانا يكرهان أمتين لهما إحداهما اسمها مسيكة وكانت للأشعر ، وكانت أمية أم مسيكة لبعد الله بن أبي وكانت معاذة وأروى بنتك للزفة فأتت مسيكة وأمها التي صلى الله عليه وسلم فذكرتا ذلك له فأنزل الله في ذلك (ولا تسكروا فتياكم على البنا) يعني الزنا ، وقوله تعالى (إن أردن تحسنا) هذا خرج خرج الثالب فلا مغموم له ، وقوله تعالى (لتبتوا عرض الحياة الدنيا) أى من خراجهم ومهورهن وأولادهن وقد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام ومهر البني وحلوان الكاهن ، وفي رواية (مهر البني خيث وكسب الحجام خيث ، وممن الكسب خيث) وقوله تعالى (ومن يكرهين فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) أى لمن كان خدم في الحديث عن جابر . وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس فإن فعلتم فإن الله لمن غفور رحيم وإعني على من أكرهين وكذا قال مجاهد وعطاء الخراساني والأعمش وقادة : وقال أبو عبيد حدثني إسحق الأزرق عن عوف عن الحسن في هذه الآية (فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) قال الحسن والله من الله : وعن الزهري قال غفور لمن ما أكرهين عليه وعن زيد بن أسلم قال غفور رحيم للكرهات ، حكاه ابن النضر في تحضيره بأسناده ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله حدثني ابن لميعة حدثني عطاء عن سعد بن جبير قال في قراءة عبد الله بن مسعود (فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) لمن وإعني على من أكرهين ، وفي الحديث للرفوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروها عليه » .

ولما فصل تبارك وتعالى هذه الأحكام وبينها قال تعالى (وقد أنزلنا إليكم آيات مبينات) يعني القرآن فيه آيات واضحات مفسرات (ومثلا من الدين خلوا من قبلكم) أى خبرا عن الأمم الماضية وما حل بهم في مخالفتهم أوامر الله تعالى كما قال تعالى (فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) أى زاجرا عن ارتكاب السيئات والمآثم (وموعظة للفتن) أى لمن اتقى الله وخافه . قال طي بن أبي طالب رضى الله عنه في صفة القرآن : فيه حكم ما بينكم وخبر ما قبلكم دينا ما بعدكم وهو الفصل ليس بالمرل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله .

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَيْشْكُورَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ فِي رُجَائِهِ الرُّجَابَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ، وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهَا نَارُ نُورِهِ كُلٌّ فِي نُورِهِ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَبَصُرِ بَ اللَّهُ الْأَمْثَلُ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس (الله نور السموات والأرض) يقول هادي أهل السموات والأرض . قال ابن جرير قال مجاهد وابن عباس في قوله (الله نور السموات والأرض) يدبر الأمر فيها بنجومها وقسمها حواقرها وقال ابن جرير حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرق حدثنا وهب بن راشد عن فرقد عن أنس بن مالك قال : إن الله يقول نوري هدى واختار هذا القول ابن جرير وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي ابن كعب في قوله تعالى (الله نور السموات والأرض مثل سوره) قال هو المؤمن الذي جبل الله الإيمان والقرآن

في صدره فضرب الله مثله فقال (الله نور السموات والأرض) فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمنين فقال : مثل نور من آمن به ، قال فكان أبي بن كعب يقرؤها (مثل نور من آمن به) فهو المؤمن جل الإيمان والقرآن في صدره وهكذا رواه سعيد بن جبير وقيس بن سعد عن ابن عباس أنه قرأها كذلك (مثل نور من آمن بالله) وقرأ بعضهم (المنور السموات والأرض) وعن الضحاك (الله نور السموات والأرض) وقال السدي في قوله (الله نور السموات والأرض) فنوره أضاءت السموات والأرض وفي الحديث الذي رواه محمد بن إسحق في السيرة عن رسول الله ﷺ أنه قال يدعاه يوم آذنه أهل الطائف « اعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك لك العتي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله » وفي الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يقول : « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهم ، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن » الحديث ، وعن ابن مسعود قال إن ربك ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه وقوله تعالى (مثل نوره) في هذا التفسير قولان (أحدهما) أنه عائد إلى الله عز وجل أي مثل هداه في قلب المؤمنين قاله ابن عباس (كشكاة) (والثاني) أن التسمية عائد إلى المؤمنين الذي دل عليه سياق الكلام تقديره مثل نور المؤمنين الذي في قلبه كشكاة ، فشبه قلب المؤمنين وما هو منطوق عليه من الهدى وما يتلقاه من القرآن للطابق لما هو منطوق عليه كما قال تعالى (أفن كان طى بينة من ربه ويتواوه شاهد منه) فشبه قلب المؤمنين في صفاته في نفسه بالتقديس من الزجاجة الشفاف الجوهري وما يستهديه من القرآن والشرع بالفكر الجيد الصافي للشرق للتلذذ الذي لا تترك فيه ولا انحراف ، قوله (كشكاة) قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغير واحد : هو موضع القتيلة من القديس لهذا هو المشهور ولهذا قال بعده (فيها مصباح) وهو الزجاجة التي تضيء . وقال الحوفي عن ابن عباس قوله (الله نور السموات والأرض مثل نوره كشكاة فيها مصباح) وذلك أن اليهود قالوا لهدى صلى الله عليه وسلم كيف يخلص نور الله من دون السماء ؟ فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال تعالى (الله نور السموات والأرض مثل نوره كشكاة) واليكبات كوة في البيت ، قال وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى الله طاعته نوراً ثم سماها أنواراً شتى ، وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد : هي الكوة بلغة الحبشة وزاد بعضهم فقال المشكاة الكوة التي لا منفذ لها وعن مجاهد للمشكاة الحدائد التي يعلق بها القنديل والقول الأول أولى وهو أن المشكاة هو موضع القتيلة من القنديل ولهذا قال (فيها مصباح) وهو النور الذي في الزجاجة ، قال أبي بن كعب المصباح النور وهو القرآن والإيمان الذي في صدره وقال السدي هو السراج (المصباح في زجاجة) أي هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية ، وقال أبي بن كعب وغير واحد وهو نظير قلب المؤمنين (الزجاجة كأنها كوكب دري) قرأ بعضهم بضم الهمزة من غير همزة من الدر أي كأنها كوكب من در ، وقرأ آخرون دري ودرى بكسر الهمزة وضمها مع الهمزة من الدر وهو المصباح ، وذلك أن النجم إذا رمى به يكون أشد استنارة من سائر الأحوال ، والعرب تسمى ملا يرف من الكواكب درارى ، قال أبي بن كعب : كوكب مضى ، وقال قتادة مضى مبين ضخم (يوقد من حجرة مباركة) أي يستمد من زيتون شجرة مباركة (زيتونة) بدل أو عطف بيان (لا شرقية ولا غربية) أي ليست في شرق بقعتها فلا تصل إليها الشمس من أول النهار ولا في غربها فيقلص عنها النور قبل الغروب بل هي في مكان وسط تحصرها الشمس من أول النهار إلى آخره فيجىء زيتها صافياً معتدلاً مشرقاً ، وروى ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد أخبرنا عمرو بن أبي قيس عن سالم بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال هي شجرة بالصحراء لا يظلمها شجر ولا جبل ولا كيف ولا يورابها شيء وهو أجود لزيتها وقال يحيى بن سعيد القطان عن عمران بن جرير عن عكرمة في قوله تعالى (لا شرقية ولا غربية) قال هي بصحرأ وذلك أصفى لزيتها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا عمرو بن فروخ عن حبيب بن الزبير عن عكرمة موصلاً لرجل عن قوله تعالى (زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال تلك زيتونة بأرض فلاة إذا أشرقت الشمس أشرقت عليها فإذا غربت غربت عليها فذلك أصفى ما يكون من الزيت وقال مجاهد في قوله تعالى (لا شرقية ولا غربية) قال ليست بشرقية ولا صهيها

الشمس إذا غربت ولا غربية لاصبيها الشمس إذا طلعت ولكنها شرقية وغربية تصيبها إذا طلعت وإذا غربت .
وعن سعيد بن جبير في قوله (زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء) قال هو أجد أثرت قال إذا طلعت
الشمس أصابتها من صوب الشرق فإذا أضعفت في الغروب أصابتها الشمس ، فالشمس تصيبها بالشدادة والشيء تلك
لا تعد شرقية ولا غربية . وقال السدي قوله (زيتونة لاشرقية ولا غربية) يقول ليست بشرقية يجوزها للشرق ولا
غربية يجوزها للغرب دون للشرق ولكنها على رأس جبل أو في صحراء تصيبها الشمس التبارك . وقيل المراد بقوله
تعالى (لاشرقية ولا غربية) أنها في وسط الشجر ليست بادية للشرق ولا المغرب ، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع
ابن أنس عن أبي العالقة عن أبي بن كعب في قول الله تعالى (زيتونة لاشرقية ولا غربية) قال هي خضراء ناعمة لاصبيها
الشمس على أي حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت قال فكانت هذا المؤمن قد أجبر من أن يسميه شيء من الفتن
وقد يتلى بها فيبته الله فيها فهو بين أربع خلال ، إن قال صدق ، وإن حكم عدل ، وإن ابتلى صبر ، وإن أعطى
شكر فهو في صائر الناس كالرجل الحى يعيش في قبور الأموات ، قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا مسدد
قال حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله (زيتونة لاشرقية ولا غربية) قال هي وسط الشجر
لا تصيبها الشمس شرقا ولا غربا ، وقال عطية العوفي (لاشرقية ولا غربية) قال هي شجرة في موضع من الشجر يرى
ظل نمرها في ورقها وهذه من الشجر لا تطلع عليها الشمس ولا تقرب وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن همام حدثنا
عبد الرحمن البشتكي حدثنا عمرو بن أبي قيس عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله
تعالى (لاشرقية ولا غربية) ليست شرقية ليس فيها غرب ، ولا غربية ليس فيها شرق ولكنها شرقية غربية ، وقال
محمد بن كعب القرظي (لاشرقية ولا غربية) قال هي القبلية ، وقال زيد بن أسلم (لاشرقية ولا غربية) قال الشام وقال
الحسن البصري لو كانت هذه الشجرة في الأرض لكانت شرقية أو غربية ، ولكنه مثل ضرب الله تعالى لنوره ، وقال
الضحاك عن ابن (تود من شجرة مباركة) قال رجل صالح (زيتونة لاشرقية ولا غربية) قال لا يهودى ولا نصرانى ،
وأولى هذه الأقوال القول الأول وهو أنها في مستوى من الأرض في مكان فسيح باد ظاهر شاح الشمس تفرعه
من أول النهار إلى آخره ليكون ذلك أصنى وزيتها والطف كإكال فيرواحد من تقدم ولهذا قال تعالى (يكاد زيتها يضيء)
ولو لم تحسبه نار) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني لنوره إشراق أثرت ، وقوله تعالى (نور على نور) قال العوفي عن
ابن عباس يعني بذلك إيمان العبد وعمله ، وقال مجاهد والسدي يعني نور النار ونور الأثرت ، وقال أبو بن كعب (نور
على نور) فهو يتقلب في خمسة من النور ، فكلامه نور ، وعمله نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، ومصيره إلى نور
يوم القيامة إلى الجنة وقال عمر بن عطية جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال حدثني عن قول الله تعالى (يكاد
زيتها يضيء) ولو لم تحسبه نار) قال يكاد محمد صلى الله عليه وسلم يبين للناس ولو لم يشكلم أنه نبي كما يكاد ذلك أثرت
أن يضيء . وقال السدي في قوله تعالى (نور على نور) قال نور النار ونور الأثرت حين اجتماعهما أشادا ولا يضيء واحد بغير
صاحبه كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتماعهما فلا يكون واحد منهما إلا صاحبه . وقوله تعالى (يهدي الله لنوره
من يشاء) أي يرشد الله إلى هديته من يختاره كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو
حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاري حدثنا الأوزاعي نخعي ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمرو
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ فنصب
من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأ ضل فذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل » (طريق أخرى منه) قال البزار
حدثنا أيوب عن سويد عن يحيى بن أبي عمرو السيباني عن أبيه عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول
« إن الله خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم نورا من نوره فنصب من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضل » ورواه البزار
عن عبد الله بن عمرو عن طريق آخر بلفظه وحروفه . وقوله تعالى (ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) لما
ذكر تعالى هذا مثلا لنور هداية في قلب المؤمن ختم الآية بقوله (ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم)

أى هو أعلم بمن يستحق الهداية بمن يستحق الاخلال - قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية حدثنا شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج زهر وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مضغ . فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق ، عرف ثم أنكر ، وأما القلب المضغ فقلب فيه إيمان وشقاق ، ومثل الإعانة فيه كمثل البقلة بعدها للآء الطيب ومثل الناق في ككل القرحة بعدها الدم والقيح فأى اللذين غلبت على الأخرى غلبت عليه » إسناده جيد ولم يخرجوه

(في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار)
يَجْزِيهِمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ وَأَلَّهُ يَرَىٰ مَن يُشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

لما ضرب الله تعالى مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الرجاجة الصافية للتوقد من زمت طيب وذلك كالقنديل مثلاً ذكر عملها وهي للساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض وهي بيوت التي يسجد فيها ويوحده فقال تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع) أى أمر الله تعالى بتأديتها وتطهيرها من الدنس والقنو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها . كما قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية الكريمة (في بيوت أذن الله أن ترفع) قال نبي الله سبحانه عن القفو فيها وكذا قال عكرمة وأبو صالح والضحاك ونافع بن جبير وأبو بكر بن سليمان ابن أبي خيثمة وسفيان بن حسين وغيرهم من العلماء للفسرين . وقال قتادة هي هذه للساجد أمر الله سبحانه وتعالى ببنائها وعمارها ونقشها وتطهيرها . وقد ذكرنا أن كبا كان يقول : مكتوب في التوراة إن يوفى في الأرض للساجد وإنه من تواضاً فاحسن وضوءه ثم زارني في بيتي أكرمته وحق على الزور كرامة الزائر رواه عبد الرحمن ابن أبي حاتم في تفسيره : وقد وردت أحاديث كثيرة في بناء الساجد واحترامها وتوقيرها وتطهيرها وبخيرها وذلك له محل مفرد يذكر فيه وقد كتبت في ذلك جزءاً على حدة وله الحمد وثلاثة ونحن بمون الله تعالى نذكرها هنا طرفاً من ذلك إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ، فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من بنى مسجداً يبتنى به وجه الله بنى الله له منه في الجنة » أخرجه في الصحيحين وروى ابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بنى مسجداً يذكر فيه اسم الله بنى الله بيتاً في الجنة » وللنسائي عن عمرو بن عبسة مثله والأحاديث في هذا كثيرة جداً وعن عائشة رضى الله عنها قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء الساجد في الدور وأن تطفئ وتطيب . رواه أحمد وأهل السنن إلا النسائي ، ولأحمد وأبي داود عن حمزة بن جندب نحوه وقال البخاري قال عمر : ابن الناس ما يكتفم وإياك أن تحمر أو تصفر فضن الناس ، وروى ابن ماجه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجد » وفي إسناده ضعف . وروى أبو داود عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أمرت بتشيد للساجد » قال ابن عباس أزخرفها كما زخرفت اليهود والنصارى . وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في الساجد » رواه أحمد وأهل السنن إلا الترمذي وعن بريدة أن رجلاً أنشد في للسجد فقال من دعا إلى الجمل الأحمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا وجدت إنما بنيت للساجد لما بنيت له » رواه مسلم . وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيع والابتاع وعن تناشد الأشجار في الساجد . رواه أحمد وأهل السنن وقال الترمذي حسن . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في للسجد

قولوا لأربع الله تجارتك ، وإن رأيت من تشد ضالة في المسجد قولوا لاردها الله عليك » رواه الترمذي وقال حسن غريب ، وقد روى ابن ماجه وغيره من حديث ابن عمر مرفوعا قال : اتصال لا تنقبى في المسجد : لا يتخذ طريقا ولا يشهر في سلاح ولا ينضب فيه بقوس ولا يشتره نبل ولا يمر فيه بلحم فيه ولا يضرب فيه حد ولا يقتص فيه أحد ولا يتخذ سوطا ، وعن وثابة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « جنبوا للمسجد صبيانكم ومجانينكم وشركاءكم وبيكم وخصوماتكم ورفق أسواتكم وإقامة حدودكم وسل سيفكم واتخذوا على أبوابها الطاهر وجروها في الجمع » ورواه ابن ماجه أيضا وفي إسناده ضعف ، أما أنه لا يتخذ طريقا فقد كره بعض العلماء للرووفه إلحاجة إذا وجد مندوحة عنه ، وفي الأثر إن اللائكة تنسج من الرجل يمر بالمسجد لا يسلي فيه ، وأما أنه لا يشهر فيه السلاح ولا ينضب فيه بقوس ولا ينثر فيه نبل فلما غشى من إصابة بعض الناس به لكثرة الصليين فيه ، ولهذا أمر رسول الله ﷺ إذا مر رجل يساهم أن يقبض على ضالما فلا يؤذى أحدا كما ثبت ذلك في الصحيح وأما التي عن الرووف بالعمى في فليأخذ من تقاطر الدم منه كما نويت الحائض عن الرووف في إذا خافت التلوث ، وأما أنه لا يضرب فيه حد ولا يقتص منه فليأخذ من إجماع النجاسة فيه من الضروب أو القطوع ، وأما أنه لا يتخذ سوطا فلما خدم من التي عن البيع والشراء فيه فانه إنما يبي له كراهة الصلاة فيه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الأمر إلى بال في طائفة المسجد « إن الساجد لم ين هذا إنما بنيت له كراهة الله والصلاة فيها » ثم أمر بسجل من ماء فأهريق على بوله وفي الحديث الثاني « جنبوا مساجدكم صبيانكم » وذلك لأنهم يلبون فيه ولا ينسهم ، وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا رأى صبيانا يلبون في المسجد ضربهم بالحفنة وهي الحفرة وكان يغشى المسجد بعد المشاء فلا يترك فيه أحدا « ومجانينكم » يعني لأجل ضعف عقولهم وسخر الناس بهم فيؤدى إلى اللب فيها ولما غشى من تحذير المسجد ونحو ذلك « وبيكم وشركاءكم » كما تقدم « وخصوماتكم » يعني التحاكم والحكم فيه ، ولهذا نص كثير من العلماء على أن الحاكم لا يتنصب لقصل الأفضية في المسجد بل يكون في موضع غيره لما فيه من كثرة الحكومات والتشاجر والأفراط التي لاتناسبه ، ولهذا قال بعده « وزرع أسواتكم » وقال البخارى : حدثنا علي بن عبد الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا الجعد بن عبد الرحمن قال : حدثني يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد الكندى قال : كنت قائما في المسجد فصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال : اذهب فالتني يهذين فبسته بهما فقال من أتيا ؟ أو من أين أتيا ؟ قال من أهل الطائف . قال لو كننا من أهل البلد لأوجعناكم أعراس أسواتكم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال النسائي : حدثنا سويد بن نصر عن عبد الله ابن المبارك عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : سمع عمر صوت رجل في المسجد فقال ، أتدري أين أنت ؟ وهذا أيضا صحيح وقوله « وإقامة حدودكم وسل سيفكم » قدما وقوله « واتخذوا على أبوابها الطاهر » يعني المراحض التي يتعمان بها على الوضوء وقضاء الحاجة . وقد كانت قريبا من مسجد رسول الله ﷺ آثار (١) يستقون منها فيشربون ويتطهرون ويتوضئون وغير ذلك . وقوله « وجروها في الجمع » يعني بجروها في أيام الجمع لكثرة اجتماع الناس يومئذ ، وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا عبد الله حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن عمر كان يحجر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جمعة .. إسناده حسن لأبأس به والله أعلم وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا » وذلك أنه إذا تواضعا فأسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرج إلا الصلاة لا يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة . فإذا صلى لم تزل الملائكة تصل عليه ما دام في صلاة : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه . ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة . وعند الدار قطن مرفوعا « ولصلاة لجان المسجد إلى المسجد » وفي السنن « بشر للمثابئين إلى المساجد في الظلم بالور اتام يوم القيامة » ويستحب لمن دخل المسجد أن يبدأ برجله اليمنى وأن يقول كاتبت في صحيح البخارى (٢) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد يقول « أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم » قال فإذا قال ذلك قال الشيطان حفظ من سائر اليوم . وروى مسلم بسنده عن أبي حميد وأبي أسيد قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم افتح أبواب رحمتك . وإذا خرج فليقل : اللهم إني أسألك من فضلك » ورواه النسائي عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم » ورواه ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا ليث بن أبي سليم عن عبد الله بن حسين عن أمه فاطمة بنت حسين عن جدتها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك » ورواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن وإسناده ليس بم متصل لأن فاطمة بنت حسين الصغرى لم تترك فاطمة الكبرى فهذا الذي ذكرناه مع ما تركناه من الأحاديث الواردة في ذلك كله معاذرة الطول داخل في قوله تعالى (في يوت أذن الله أن ترفع) وقوله (ويذكر فيها اسمه) أي اسم الله كقوله (يا بني آتمخذوا زينكم عند كل مسجد) وقوله (واقموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه خالصين له الدين) وقوله (وأن المساجد) الآية . وقوله تعالى (ويذكر فيها اسمه) قال ابن عباس يعني بئى كتابه ، وقوله تعالى (يسبح له فيها بالندو والآصال) أي في البكرات والمشيآت . والآصال جمع أسيل وهو آخر التيار . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : كل تسبيح في القرآن هو الصلاة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني بالندو صلاة العداة و يعني بالآصال صلاة البصر وما أول ما افترض الله من الصلاة فأحب أن يذكرهما وأن يذكرهما بعده . وكذا قال الحسن والفضال (يسبح له فيها بالندو والآصال) يعني الصلاة ، ومن قرأ من القرآن (يسبح له فيها بالندو والآصال) فتح الباء من (يسبح) على أنه يعني للمرسم فاعه وقف على قوله (والآصال) وقفاتهما وابتدأ بقوله (رجال لانهم تجارة ولا يسع عن ذكر الله) وكأنه مفسر للفاعل المذخور كما قال الشاعر :

ليك يزيد ضارب لحصوة * وعشيط عما تطيح الطوائع

كأنه قال : من يكيه قال هذا يكيه ، وكأنه قيل من يسبح له فيها ، قال الرجال . وأما طي قراءة من قرأ (يسبح) بكسر الباء فبعضه فلا فاعله (رجال) فلا يحسن الوقف إلا على الفاعل لأنه تمام الكلام بقوله تعالى (رجال) فيه إشعار بهمهم السامية ونياتهم وعزائمهم العالية التي بها صاروا عمرا للمساجد التي هي بيوت الله في أرضه ومواطن عبادته وشكره وتوحيده وتزنيه كما قال تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) الآية وأما النساء فبعضهن في بيوتهم أفضل لمن الماروا أبوداد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « صلاة للراءة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في خدعها أفضل من صلاتها في بيتها »

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن زيلان حدثنا رشدين حدثني عمرو عن أبي السرح عن السائب مولى أم سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : « خير مساجد النساء قرى يوتهن » وقال أحمد أيضا : حدثنا هرون أخبرني عبد الله بن وهب حدثنا داود بن قيس عن عبد الله بن سويد الأنصاري عن عمته أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي أنها جاءت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إني أحب الصلاة معك . قال « قد علمت أنك تحبين الصلاة معي ، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدى » قال فأمرت فبني لها مسجدا في أقصى بيت من بيوتها فكانت والله تصلي فيه حتى لقيت الله تعالى ، لم يخرجوه . وهذا ويجوز لها شهود جماعة الرجال بشرط أن لا تؤذى أحدا من الرجال بظهور زينة ولا ربح طيب كالتب في الصحيح عن عبد الله بن عمر أنه

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لآمنوا إمام الله مساجد الله » رواه البخارى ومسلم ، ولأحد وأبى داود « ويؤمنون خير لهم » وفي رواية « وليخرجن وهن ثلثات » أبى لاربع لمن . وقد ثبت في صحيح مسلم عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً » وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كان نساء المؤمنين يشهدن القبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرجعن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس ، وفي الصحيحين عنها أيضاً أنها قالت : لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنهن من الساجد كما منعت نساء بنى إسرائيل . وقوله تعالى (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) الآية وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسموا إلى ذكر الله وذروا البيع) الآية يقول تعالى لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها ولا ملاذ يبيها وربيعها عن ذكر ربهم الذى هو خالقهم ورازقهم والذين يفلتون أن الذى عنده هو خير لهم وأشفع بما بأيديهم لأن ما عندهم ينفد وما عنده الله باق ، ولهذا قال تعالى (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) أبى يقدمون طاعته ومراعاة وعيته على مرادهم وعيبتهم ، قال هشيم عن شيان قال حدثت عن ابن مسعود أنه رأى قوماً من أهل السوق حيث نودى للصلاة للكتوبة تركوا بيعاتهم ونهضوا إلى الصلاة فقال عبد الله بن مسعود هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) الآية وهكذا روى عمرو بن دينار القهرمانى عن سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنها أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فأغلقت حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) رواه ابن أبى حاتم وابن جرير وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن عبد الله بن بكير السنعانى حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عبد الله بن بجير حدثنا أبو عبد ربه قال : قال أبو الهرداء رضى الله عنى إنى قلت هذا الدرهم أبيع عليه أربع كل يوم ثلثة دينار أشهد الصلاة في كل يوم في المسجد أما أبى لا أقول إن ذلك ليس بحلال ولكنى أحب أن أكون من الذين قال الله فيهم (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) وقال عمرو بن دينار الأعمى كنت مع سالم بن عبد الله ونحن نريد المسجد ففررنا بسوق المدينة وقد قلما إلى الصلاة وخروا متاعهم فنظر سالم إلى متعتهم ليس معها أحد فتلا سالم هذه الآية (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) ثم قال هم هؤلاء ، وكذا قال سعيد ابن أبى الحسن والضحاك لا تلهيهم التجارة والبيع أن يأثوا الصلاة في وقتها . وقال مطر الوراق كانوا يبيعون ويشتررون ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه وأقبل إلى الصلاة ، وقال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) يقول عن الصلاة للكتوبة ، وكذا قال مقاتل بن حيان والريبع بن أنس وقال السدى عن الصلاى جماعة . وقال مقاتل بن حيان لا يلهيهم ذلك عن حضور الصلاة وأن يقيموها كما أمرهم الله وأن يحافظوا على مواقيتها وما استخفهم الله فيها ، وقوله تعالى (يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) أى يوم القيامة الذى تتقلب فيه القلوب والأبصار أى من شدة الفزع وعظمة الأحوال كقوله (وأنذرهم يوم الآزفة) الآية وقوله (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) وقال تعالى (ويعطون الطعام على حبه مسكيناً ويتوا أسيراً) إنما نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً) إنما نخاف من ربنا يوماً عبوساً قطيراً * فواقم الله شر ذلك اليوم ولقام نضرة وسرورا * وجزاهم بما سبوا منه وحيرا) وقوله تعالى ههنا (ليجزيهم الله أحسن مما عملوا) أى هؤلاء من الذين يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم وقوله (ويزيدهم من فضله) أى يتقبل منهم الحسن ويضاعفه لهم كما قال تعالى (إن الله لا ينظلم مثقال ذرة) الآية وقال تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) الآية وقال (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً) الآية وقال (والله ضاعف لمن يشاء) وقال ههنا (والله يزيق من يشاء بغير حساب) وعن ابن مسعود أنه سمى بلبن فصره على جلسائه واحداً واحداً فكلهم لم يصره لأنه كان صامئاً فتناوله ابن مسعود فصره لأنه كان مغطراً ثم تلا قوله (يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) رواه النسائى

وابن أبي حاتم من حديث الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عنه . وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا مويد بن سعيد - حدثنا
ابن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت : قال رسول الله ﷺ
« إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجوع من
أولى بالكريم ليقم الذين لا تليهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الخلائق » وروى
الطبراني من حديث جبة عن إسماعيل بن عبد الله السكندی عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود عن النبي
ﷺ في قوله (ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) قال أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعات وجبت
له الشفاعة لمن صنع لهم للعروف في الدنيا

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ رَاقِيَةٍ يُحْسِبُ الْغُلَّامُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ
عِنْدَهُ قُوَّةً حِسَابَهُ وَآلَهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجْجٍ يَتَجَلَّجَلُ مِنْ قُوَّةٍ مَوْجٌ مِنْ قُوَّةٍ
سَتَبَّحَ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرُهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَهُوَ مِنَ النُّورِ)

هذان مثلان ضربهما الله تعالى لنوعى الكفار كما ضرب للمناققين في أول البقرة مثلين ناريا ومائيا وكما ضرب لما
يقر في القلوب من الهدى والعلم في سورة الرعد مثلين مائيا وناريا ، وقد تكلمنا على كل منها في موضعه بما أغنى عن
إعادته وله الحمد ولله . فأما الأول من هذين اللذين فهو الكفار الباطلة إلى كفرهم الذين يحسبون أنهم على شيء من
الأعمال والاعتقادات وليسوا على شيء فتلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيحان من الأرض من
بعد كانه بحر طام ، والقيحة جمع قحج كجبار وجيرة ، والقحج أيضا واحد القيحان كما يقال نجار وجيران وهي الأرض
الستوية للتمسك للنبسة وفيه يكون السراب ، وإنما يكون ذلك بعد نصف النهار وأما الآل فلأنما يكون أول النهار
يرى كأنه ماء بين السماء والأرض فإذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء يحسبه ماء تصده ليشرب منه فلما انتهى
إليه (لم يجد شيئا) فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملا وأنه قد حصل شيئا فلما وافى الله يوم القيامة وحاسبه
عليها ونوقش على أقصاه لم يجد له شيئا بالكيفية قد قيل إما لعدم الإخلاص أو لعدم سلوك الشريعة كما قال تعالى
(وقد مدنا إلى ما حملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وقال ههنا (ووجد الله عنده قوفا حسابا والله سريع الحساب)
وهكذا روى عن أبي بن كعب وابن عباس ومجاهد وقادة وغير واحد . وفي الصحيحين أنه قال يوم القيامة لليهود
ما كنتم تصيرون ؟ فيقولون كنا نعيد عزير بن الله . فيقال كذبتم ما أخذ الله من ولم ماذا تبغون ؟ فيقولون يا رب
عطينا فاستغنا فيقال ألا ترون ؟ فتمثل لهم النار كأنها سرب يعلم بعضها بعضها فينطلقون فيها لتون فيها ، وهذا للثال
مثال لنوعى الجهل المركب فأما أصحاب الجهل البسيط وهم الطغام الأغشام للقلوب لأئمة الكفر العلم البكم الذين
لا يفتقرون فتلهم كما قال تعالى (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجْجٍ) قال قتادة (لجج) هو السميح (يشاء موج من قوفا موج
من قوفا سحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها) أي لم يشارب رؤيتها من شدة الظلام فهذا
مثل قلب الكافر الباطل البسيط اللغز الذي لا يعرف حال من يقووه ولا يدري أين يذهب بل كما يقال في الليل
للجاهل أين تذهب ؟ قال معهم ، قيل فإلى أين يذهبون ، قال لا أدري وقال . الموق عن ابن عباس رضي الله عنهما
(يشاء موج) الآية بين ذلك التشاؤم التي على القلب والسمع والبصر وهي كقوله (يتم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى أبصارهم) الآية وكقوله (أفأريت من اتخذ إلهه هواه وأخذه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على
بصره غشاوة) الآية وقال أبي بن كعب في قوله تعالى (ظلمات بعضها فوق بعض) فهو يتقلب في خمسة من الظلم
فكلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات إلى النار ، وقال السدي
والربيع بن أنس نحو ذلك أيضا ، وقوله تعالى (ومن لم يجعل الله له نورا فلما من نور) أي من لم يهده الله فهو هالك

عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد (فمنهم من يعيش على بطنه) كالخيل وما شاكلها (ومنهم من يعيش على رجلين) كالإنسان والطير (ومنهم من يعيش على أربع) كالأنعام وسائر الحيوانات ولهذا قال (يخلق الله ما يشاء) أي بقدرته لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولهذا قال (إن الله على كل شيء قدير)

﴿قَدْ أَزَلَّنَا دَاعِيًا يَبِيغُ مِنَ اللَّهِ هُدًى مِّن يَّشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

يقرر تعالى أنه أنزل في هذا القرآن من الحكمة والحكم والأمثال البينة المحكمة كثيراً جداً وأنه يرشد إلى فهمها ونفعها أولى الألباب والبصائر والتهى ولهذا قال (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)

﴿وَيَقُولُونَ، إِنَّمَا بِهِ بِالرُّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَقُولُوا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ • وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ • وَإِن يَكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ • أُولَٰئِكَ قُلُوبُهُمْ مَّرْضَىٰ أَمْ أَنزَلْنَاهُمْ إِنْ يَخَافُونَ أَنَّ يَصِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ • إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ • وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ اللَّهَ وَيَتَّقِ اللَّهَ وَبِتَقِيهِ فَآوَلَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

يخبر تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون يقولون قولاً باللسان (إنما بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك) أي يخالفون أقوالهم بأعمالهم فيقولون مالا يفعلون ولهذا قال تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) وقوله تعالى (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم) الآية أي إذا طلبوا إلى اتباع الهدى فبها أنزل الله على رسوله أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه وهذه كقوله تعالى (ألم تر إلى الذين يجمعون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك - إلى قوله - رأيت للمنافقين يصدون عنك صدوداً) وفي الطبراني من حديث روح بن عطاء عن أبي بصير عن الحسن بن علي عن مرقعة «من دعى إلى سلطان فلم يجب فهو ظالم لاحق له» وقوله تعالى (وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين) أي وإذا كانت الحكومة لهم لا عليهم جاءوا سامعين مطيعين وهو معنى قوله (مذعنين) وإذا كانت الحكومة عليه أعرض ودعا إلى غير الحق وأحب أن يتحاكم إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم ليروج باطله ثم - فاذناته أولاً لا يمكن عن اعتقاد منه أن ذلك هو الحق بل لأنه موافق لهواه ولهذا لا يخالف الحق قصده عدل عنه إلى غيره ولهذا قال تعالى (أفي قلوبهم مرض) الآية يعني لا يخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب مرض لازم لها أو قد عرض لها شك في الدين أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم، وأياً ما كان فهو كثر محض والله عليم بكل منهم وما هو منطوق عليه من هذه الصفات، وقوله تعالى (بل أولئك هم الظالمون) أي بل هم الظالمون الفاجرون، والله ورسوله معزبان عما يظنون ويتوهمون من الحيف والجور تعالى الله ورسوله عن ذلك. قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا مبارك حدثنا الحسن قال: كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محق أذعن وعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم سيقضى له بالحق، وإذا أراد أن يظلم فدعى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأعرض وقال أنطلق إلى فلان فأنازل الله هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم «من كان بينه وبين أخيه شيء فدعى

إلى حكم من حكم المسلمين فأبى أن يجيب فهو ظالم لاحقه « وهذا حديث غريب وهو مرسل ، ثم أخبر تعالى عن صفة المؤمنين الساجدين لله ورسوله الذين لا يخون ديناً سوى كتاب الله سنة رسوله فقال (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) أى سمعنا وطاعة . ولهذا وصفهم تعالى بالفرح وهو نيل المطالب والسلامة من الازهوب فقال تعالى (وأولئك هم الفلاحون) وقال قتادة في هذه الآية (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) ذكر لنا أن عبادة بن الصامت وكان عتقياً بدوياً أحد شباه الأنصار أنه لما حضره الموت قال لابن أخيه جنادة بن أبي أمية : ألا أنبئك بماذا عليك وبماذا لك ؟ قال بلى قال فإن عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك ، وعليك أن تسمع لسانك بالعدل ، وأن لاتتزعج الأمر أهله إلا أن يأمركم بمعية الله أو ما أوصى أمرك به من شيء يخالف كتاب الله فاتبع كتاب الله . وقال قتادة : ذكر لنا أن أبا الدرداء قال : لا إسلام إلا بطاعة الله ، ولا خير إلا في جماعة والنصيحة لله ورسوله وللخليفة والمؤمنين عامة ، قال وقد ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول : عروة الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لمن ولاة الله أمر للمسلمين . روى ابن أبي حاتم والأحاديث والآثار في وجوب الطاعة لكتاب الله وسنته ورسوله وللخلفاء الراشدين والأئمة إذا أمروا بطاعة الله أكثر من أن نحصر في هذا المكان وقوله (ومن يطع الله ورسوله) قال قتادة : يطع الله ورسوله فيما أمر به وترك ما نهى عنه وعصى الله فيما مضى من ذنوبه ويهتف فيما يستقبل . وقوله (فأولئك هم الفلاحون) يعنى الذين فازوا بكل خير وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة .

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ جَمْعًا يُبَيِّنُهُمْ لَنَ أَمَرَهُمْ لِيَخْرُجُنَّ كُلٌّ لَّا تَقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ كُلُّ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾

يقول تعالى خبراً عن أهل النفاق الذين كانوا يحلفون للرسول صلى الله عليه وسلم لأن أمرتهم بالخروج في الغزو ليخرجن ، قالاه تعالى (قل لا تخفوا) أى لا تخفوا ، وقوله (طاعة معروفة) قيل معناه طاعتكم طاعة معروفة أى قد علم طاعتكم إنما هي قول لافعل معكم وكما حلفتم كذبتم كما قال تعالى (يحلفون لكم لترضوا عنهم) الآية . وقال تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة) الآية ، فهم من سيجتهم الكذب حتى فيما يختارونه كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين ناقضوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لأن أخرجهم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قولتم لنصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ لأن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصروهم ، ولئن نصرهم ليولين الأعداء ثم لا ينصرون) وقيل للمنى في قوله (طاعة معروفة) أى ليكن أمركم طاعة معروفة أى بالمعروف من غير حلف ولا أقسام كما يطيع الله ورسوله المؤمنون بنذر حلف فكونوا أنتم مثلهم (إن الله خير بما تعملون) أى هو خير . بكم ومن يطيع من يصى ، فالحلف والمظهار الطاعة والباطن خلافة وإن واج على الحق خلقاً تعالى بطر السرا وأخفى لا يروج عليه شيء من التديس بل هو خير بضائر عبادته وإن أظهرها خلافها ثم قال تعالى (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أى أطيعوا كتاب الله وسنة رسوله . وقوله تعالى (فإن تولوا) أى تولوا عنه وتركوا ما ناجاكم به (فإنما عليه ما حمله) أى إبلاغ الرسالة وآداء الأمانة (وعليكم ما حملتم) أى قبول ذلك وتحملونه والقيام بمقتضاه (وإن تطيعوه تهتدوا) وذلك لأنه يدعو إلى صراط مستقيم (صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) الآية وقوله تعالى (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) كقوله تعالى (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقوله (قد ذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر) قال وهب بن منبه ، أوحى الله إلى نبي من أنبياء بنى إسرائيل يقال له شياص

أن تم في بني إسرائيل فاني سأطلق لسانك بوحى قدام فقال : يا ساء اسمعى ويا أرض أنصتى فإن الله يريد أن يقضى شأنًا ويدير أمرًا هو منفذه إنه يريد أن يحول الريف إلى القلادة والأجرام في التيطان والأشجار في الصحارى والعصمة في القفر والملك في الرعاة ويريد أن يبعث أميا من الأميين ليس يفظ ولا يظ ولا صخاب في الأسواق ليرى على السراج لم يطفئ من سكينته ولو عيش على ألصق الباياس لم يسمع من تحت قدميه ، أبشع بشيرا وتذبرا لا يقول الحق أنصح به أعتنا عيا وأكذانا صبا وقلوبا غلفا ، وأسند به بكل أمر جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره ، والحكمة منطقته ، والصدق والوفاء طبيعته ، والنفو والعرف خلقه ، والحق شريعته والعدل سيرته ، والمهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدى به بيد الضلالة ، وأعلم به من الجهالة ، وأرفع به به يد الخلة ، وأعرف به يد التكره ، وأكثر به القلة ، وأغنى به يد العيلة ، وأجمع به يد القفره ، وأؤلف بين أمم متفرقة ، وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وأستقذ به نثاما من الناس عظيما من الحكمة ، وأجل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر موحدون مؤمنون مخلصين مصدقين بما جاءت به الرسل رواه ابن أبي حاتم .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلا يَسْكُنُهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ مِنْهُم مِمَّا بَدَلُوا فَمِنْ حَتَمِ الْبَيْتِ يُقَرَّبُونَ قُلُوبُهُمْ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْأَلُونَ فِي شَيْءٍ قُلْ كَفَرَ مَا بَدَلْتُكُمْ بِهِمْ وَلَكُمْ فِيهِمْ نِزَائِمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُولَئِكَ يَوْمَئِذٍ فِي أَعْيُنِنَا ﴾

هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أى أئمة الناس والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد ، وتخضع لهم العباد ، وليبدلهم من يد خوفهم من الناس أمانا وحكما فيهم وقد فضله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة : فانه صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخير والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكاملها . وأخذ الجزيرة من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر واسكندرية وهو القوقس . وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذى تملك بهد أسحمة رحمه الله وأكرمه . ثم لما مات رسول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلم شئت ما وهى بهد موته صلى الله عليه وسلم . وأخذ جزيرة العرب ومهد بها وبثت جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صعبة خاله بن الوليد رضى الله عنه ففتحوا طرفا منها وقتلوا خلقا من أهلها . وجيشا آخر صعبة أنى عبيدة رضى الله عنه ومن ابنه من الأمراء إلى أرض الشام ، وثالثا صعبة همرو بن العاص رضى الله عنه إلى بلاد مصر ، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومغاليا منها من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة . ومن على أهل الاسلام بأن أئمة الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالأمر بعده قايما عاما لم يدرك ذلك بهد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله . وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكاملها ودوار مصر إلى آخرها وأكثر أقليم فارس . وكسر كسرى وأهان غاة الهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته وقصر قيصر ، واترج بهد عن بلاد الشام وانغدر إلى القسطنطينية ، وأتقى أقوالها في سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله ، عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة ، ثم لما كانت الدولة النبوية امتدت الممالك الاسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هناك الأندلس وقبرس : وبلاد القيروان وبلاد سبته بما على البحر المحيط ومن ناحية للشرق إلى أقصى بلاد الصين ، وقتل كسرى وياد ملكه بالكلية ، وفتح مدائن العراق وخراسان والأهواز وقتل المسلمون من التتر مقتلة عظيمة جدا ، وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان ، وجي الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وذلك بركة تلاوته ودراسته وحججه الأمة على حفظ القرآن ، ولهذا ثبت في الصحيح

أن رسول الله ﷺ قال « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيلع ملك أمق ما زوى لي منها » فيها نحن
تقلب فيها وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله فنسال الله الإعان به وبرسوله والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا
قال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه : حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن مرة
قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يزال أمر الناس ماضي ما وليهم اثنا عشر رجلا » ثم تكلم
التي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت عن فأسأت أبي ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال قال « كلهم من
قريش » ورواه البخاري من حديث شعبة عن عبد الملك بن عمير به ، وفي رواية لمسلم أنه قال ذلك عشية رجم ماعز
ابن مالك وذكر معه أحاديث أخر وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادلا وليسوا هم
بأمة الشيعة الاثني عشر فإن كثيرا من أولئك لم يكن لهم من الأمر شيء ، فأما هؤلاء فانهم يكونون من قريش يكونون
فيعدلون وقد وقعت الإشارة بهم في الكتب القديمة ، ثم لا يشترط أن يكونوا متتابعين بل يكون وجودهم في الأمة
متتابعين ومتفرقا ، وقد وجد منهم أربعة على الولاء وهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ثم كانت بعدهم
فترة ثم وجد منهم من شاء الله ، ثم قد يوجد منهم من بقي في الوقت الذي يهلك الله تعالى . ومنهم الهندي الذي اسمه
يطابق اسم رسول الله ﷺ وكنيته كنيته بملا الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وقد روى الإمام
أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث سعيد بن جهمان عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
رسول الله ﷺ قال « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا » وقال الربيع بن أنس عن أبي
المالية في قوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم
ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليدلتهم من بعد خوفهم أمنا) الآية قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
بمكة نحو من عشر سنين يدعون إلى الله وحده وإلى عبادته وحده لا شريك له سرا ، وهم يخافون لا يؤمنون
بالقتال حتى أمروا بالهجرة إلى المدينة فقدموها فأمرهم الله بالقتال فكانوا بها خائفين يسمون في السلاح ويسبحون
في السلاح فصبوا على ذلك ما شاء الله ثم إن رجلا من الصحابة قال يا رسول الله أجد الدهر نحن خائفون هكذا ؟
أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لن تصروا إلا يسيرا حتى يجلس
الرجل منكم في الملأ العظيم عتيا ليست فيه حديدة » وأنزل الله هذه الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب
فأمنوا ووضوا السلاح . ثم إن الله تعالى قبض نبيه صلى الله عليه وسلم فكانوا كذلك آمنين في إمارة أبي بكر وعمر
وعثمان حتى وقوا فيها وقوا فيه فأدخل عليهم الخوف فأتخذوا الحجة والشرط وغربوا فغيرهم وقال بعض
السلف خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حق في كتاب الله ثم تلاه الآية وقال البراء بن عازب زلت هذه
الآية ونحن في خوف شديد ، وهذه الآية الكرمة كقوله تعالى (وإذا كروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض
— إلى قوله — لم يكن تفكرون) وقوله تعالى (كما استخلف الذين من قبلهم) كما قال تعالى عن موسى عليه السلام
أنه قال لقومه (عسى ربكم أن يهلك عدوك ويستخلفكم في الأرض) الآية وقال تعالى (ونريد أن نمن على الذين
استضعفوا في الأرض) الآية . وقوله (ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) الآية كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لسدي بن حاتم حين وفد عليه « أئترف بالحجرة ؟ » قال لم أعرفها ولكن قدمت بها قال « فوالذي
نفسى بيده ليتن الله هذا الأمر حتى تخرج الظئيلة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد ، ولتفتن
كنوز كسرى بن هرمز » قلت كسرى بن هرمز ؟ قال « نعم كسرى بن هرمز ، وليذلن للالك حتى لا يهلكه أحد » قال
عدي بن حاتم فهذه الظئيلة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار أحد ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى
ابن هرمز ، والذي نفسى بيده تشكون الثالثة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها . وقال الإمام أحمد حدثنا
عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن أبي سلمة عن الربيع بن أنس عن أبي المالية عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله
ﷺ « بر هذه الأمة بالسنا والرفقة والدين والصبر والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة

للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب » وقوله تعالى (يبدؤني لا يشركون بي شيئا) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا
 هام حدثنا قتادة عن أنس أن معاذ بن جبل حدثه قال : بينا أنا رديف النبي ﷺ على حمار ليس بيني
 وبينه إلا آخرة الرحل قال « يا معاذ » قلت لي يا رسول الله وسعديك قال : ثم سار ساعة ثم قال « يا معاذ بن جبل »
 قلت لي يا رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال « يا معاذ بن جبل » قلت لي يا رسول الله وسعديك قال « هل
 تدري ما حق الله على العباد ؟ » قلت الله ورسوله أعلم ، قال « حق الله على العباد أن يبدؤوه ولا يشركوا به شيئا » قال ثم
 سار ساعة ثم قال « يا معاذ بن جبل » قلت لي يا رسول الله وسعديك قال « فهل تدري ما حق العباد على الله إذا
 فعلوا ذلك ؟ » قال قلت الله ورسوله أعلم قال « فإن حق العباد على الله أن لا يعذبهم » أخرجاه في الصحيحين من حديث
 قتادة وقوله تعالى (ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) أي فمن خرج عن طاعتي بعد ذلك فقد خرج عن
 أمر ربه وكفى بذلك ذنباً عظيماً ، فالصحابة رضي الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبي ﷺ بأوامر الله عز وجل
 وأطوعهم له كان نفرهم بحسبهم أظهروا كلمة الله في المشارق والمغرب وأيدهم تأييداً عظيماً وحكموا في سائر العباد
 والبلاد ، ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم ، ولكن قد ثبت في الصحيحين من غير وجه
 عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم
 القيامة » وفي رواية حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك - وفي رواية - حتى يقاتلوا الهذال - وفي رواية - حتى ينزل
 عيسى بن مريم وهم ظاهرون - وكل هذه الروايات صحيحة ولا تناقض بينها .

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ
 فِي الْأَرْضِ وَمَنَّا لَهُمْ لَئْسَ الصَّيْدُ

يقول تعالى آمراً بعبادة المؤمنين بإقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى
 المخلوقين ضعفائهم وقرائهم ، وأن يكونوا في ذلك مطيعين لرسول الله ﷺ أي سالكين وراءه فيها به أمرهم ، وتركوا
 ما عنه زجرهم ، لعل الله يرحمهم بذلك ، ولا شك أن من فعل هذا أن الله سيرحمهم كما قال تعالى في الآية الأخرى (أولئك
 سيرحمهم الله) . وقوله تعالى (لا تحسبن) أي لا تظن يا محمد أن (الذين كفروا) أي خالفوك وكذبوك (معجزين
 في الأرض) أي لا يهزمون الله ببلاده قادر عليهم وسيعذبهم على ذلك أشد العذاب ولهذا قال تعالى (وما أوهام) أي في
 الدار الآخرة (النارو لئس للصير) أي يشي المال مآل الكافرين ، ويشي القرار ويشي للهاد

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ
 مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَدْرِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْنَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ
 عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ
 عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
 لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » وانقوعد من النساء التي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ
 ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

هذه الآيات الكريمة اشتملت على استئذان الأقارب بضمهم على بعض وما تقدم في أول السورة فهو استئذان

الأجانب بعضهم على بعض ، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأنفهم خدمهم عما ملكت أيانهم وأطفاهم الذين لم يلبثوا
 الحلم منهم في ثلاثة أحوال (الأول) من قبل صلاة الجمعة لأن الناس إذ ذاك يكونون نياما في فرشهم (ويعين قسوم
 ثيابكم من الظهيرة) أي في وقت القبولة لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله (ومن بعد صلاة النساء)
 لأنه وقت النوم فيؤمر الخدم والأطفال أن لا يهجموا على أهل البيت في هذه الأحوال لما يخشى من أن يكون الرجل على
 أهله أو نحو ذلك من الأعمال ولهذا قال (ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) أي إذا دخلوا
 في حال غير هذه الأحوال فلا جناح عليكم في تمكينكم ليأمر ولا عليهم إن رأوا شيئا في غير تلك الأحوال لأنه قد أذن
 لهم في الهجوم ولأنهم طوافون عليكم أي في الخدمة وغير ذلك . ويشتر في الطوائف ما لا يخفى في غيرهم ولهذا روى
 الإمام مالك وأحمد بن حنبل وأهل السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المرأة « إنها ليست بنجسة إنها من الطوائف
 عليكم أو الطوائف » . ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ شيء وكان عمل الناس بها قليلا جدا أنكر عبد الله بن
 عباس ذلك على الناس كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لمية حدثني
 عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن (أيها الذين آمنوا) يستأنفكم
 الذين ملكت إيمانكم (إلى آخر الآية) والآية التي في سورة النساء (وإذا حضر القسمة أولو القربى) الآية ، والآية
 التي في الحجرات (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وفي لفظ له أيضا من حديث إسماعيل بن مسلم وهو ضعيف عن عمرو بن
 دينار عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : غلب الشيطان الناس على ثلاث آيات فلم يعملوا بهن (أيها الذين آمنوا)
 ليستأنفكم الذين ملكت إيمانكم (إلى آخر الآية) . وروى أبو داود حدثنا ابن الصباح وابن سفيان وابن عتبة وهذا
 حديثه أخبرنا سفيان عن عبد الله بن أبي يزيد مع ابن عباس يقول : لم يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن وإلى آخر
 جاريه . هل تستأذن على قال أبو داود وكذلك رواه عطاء عن ابن عباس يأمره ، وقال الثوري عن موسى بن أبي
 عائشة سألت الشعبي (ليستأنفكم الذين ملكت إيمانكم) قال : لم تنسخ قلت فإن الناس لا يعملون بها فقال : الله المستعان
 وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا ابن وهب أخبرنا سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمر عن عكرمة
 عن ابن عباس أن رجلا سأل عن الاستئذان في ثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن فقال ابن عباس : إن الله
 ستر يحب السر ، كان الناس ليس لهم سطور على أبوابهم ولا حجاب في بيوتهم فرما فاجأ الرجل خادمه أو ولده أو بيته
 في حجره وهو على أهله فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي أمر الله بها في القرآن فقال ابن عباس : إن الله
 الرزق فأتخذوا الستور واتخذوا الحجاب ، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أمروا به . وهذا إسناد
 صحيح إلى ابن عباس ، ورواه أبو داود عن القتيبي عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أبي عمر به : وقال السدي كان الناس من
 الصحابة رضى الله عنهم يحبون أن يوافقوا نساءهم في هذه الساعات ليفتسوا ثم يخرجوا إلى الصلاة فأمرهم الله أن يأمروا
 للعواكف والظنان لا يدخلوا عليهم في تلك الساعات إلا بإذن ، وقال مقاتل بن حيان ولنا والأعظم أن رجلا من الأنصار
 وأمراته أسماء بنت مرثد صمنا قتيبي ^{عليه السلام} طامعا فبطل الناس يدخلون بغير إذن : فقالت أسماء يا رسول الله
 ما أتبع هذا إنه يدخل على المرأة وزوجها وهما في ثوب واحد غلامهما بغير إذن فأمر الله في ذلك (أيها الذين آمنوا)
 ليستأنفكم الذين ملكت إيمانكم (إلى آخرها وعما يدل على أنها محكمة لم تنسخ قوه) (كل ذلك بين الله لكم الآيات والله
 حكيم عليم) ثم قال تعالى (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) يعني إذا بلغ الأطفال
 الذين إنما كانوا يستأذنون في العورات الثلاث إذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستأذنوا على كل حال يعني بالتسبب إلى أجانهم
 وإلى الأحوال التي يكون الرجل على امرأته ، وإن لم يكن في الأحوال الثلاث .
 قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير إذا كان الغلام رباعيا فانه يستأذن في العورات الثلاث على أبويه ، فإذا بلغ الحلم
 فليستأذن على كل حال . وهكذا قال سعيد بن جبير . وقال في قوه (كما استأذن الذين من قبلهم) يعني كما استأذن
 الكبار من ولده الرجل وأقاربه ، وقوله (والتواعد من النساء) قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والشعك وقادة

هن اللواتي اشبعن عنهن الحيض ويمنن من الولد (اللاتي لا يزوجون نكاحاً) أى لم يقرهن تشوف إلى الزوج (فليس
 عليهن جناح أن يضمن ثيابهن غير متبرجات بزينة) أى ليس عليهن من الحجر في التستر كما على غيرها من النساء قال
 أبو داود حدثنا أحمد بن محمد اللوزي حدثني طربن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة
 عن ابن عباس (وقل للمؤمنات يفضنن من إصاھرن) الآية فسنع واستثنى من ذلك القواعد من النساء اللاتي
 لا يزوجون نكاحاً الآية . قال ابن مسعود في قوله (فليس عليهن جناح أن يضمن ثيابهن) قال الجلباب أو الرداء وكذلك
 روى عن ابن عباس وابن عمر ومجاهد وسعيد بن جبیر وأبي القتيبة وإبراهيم التيمي والحسن وقتادة والزهري
 والأوزاعي وغيرهم . وقال أبو صالح تضع الجلباب وتقوم بين يدي الرجل في الدرع والجارح وقال سعيد بن جبیر وغيره
 في قراءة عبدالله بن مسعود (أن يضمن من ثيابهن) وهو الجلباب من فوق الجراح فلأنس أن يضمن عند غريب أو غيره
 بعد أن يكون عليها خمار صفيق . وقال سعيد بن جبیر في الآية (غير متبرجات بزينة) يقول لا يبرجن بوضع الجلباب
 ليرى ما عليهن من الزينة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أني حدثنا هشام بن عبد الله حدثنا ابن المبارك حدثني سواد بن
 ميمون حدثنا طلحة بن عاصم عن أمه للصاع^(١) أنها قالت دخلت على عائشة رضي الله عنها قلت يا أم المؤمنين ما تقولين
 في الحجاب والنفاض والصباغ والقرطين والخلخال وخاتم الذهب وثياب الرقاق فقالت : يا مفسد النساء قصتكن كلها
 واحدة أحل الله لكن الزينة غير متبرجات ، أى لا يجعل لكن أن يروا منكن محرماً . وقال السدي كان شريك لى
 يقال له سلم ، وكان مولى لامرأة حذيفة بن الجمان فجاه يوماً إلى السوق وأمر الحناء في يده فسأته عن ذلك فأخبرني
 أنه خضب رأس مولاه وهي امرأة حذيفة فأنكرت ذلك فقال إن شئت أدخلتك عليها قلت نعم فأدخلني عليها فإذا
 هي امرأة جليلة قلت لها إن مسلماً حدثني أنه خضب رأسك فقالت نعم يا بني إني من القواعد اللاتي لا يزوجون نكاحاً
 وقد قال الله تعالى في ذلك ما سمعت . وقوله (وأن يستغفرن خير لهن) أى وعرك وضهن لثيابهن ، وإن كان جائزاً
 خير وأفضل لهن والله مبيح علم

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ صَدِيقِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ مِمَّا مَلَكَتْ يَمَانُكُمُ أَوْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ لَا عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْهُمَا أَوْ فِئْتَا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

اختلف القسرون رحمهم الله في اللغز الذي رفع لأجله المخرج عن الأعمى والأعرج والمرضى ههنا فقال عطاء
فخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقال إنها نزلت في الجهاد وجاءوا هذه الآية ههنا كآتي في سورة الفتح وتلك
في الجهاد لإعلاء أي أنهم لا يأم عليهم في ترك الجهاد لأنفسهم وعجزهم وكأقال تعالى في سورة براءة (ليس على الضعفاء
ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من سيل والله غفور
رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه - إلى قوله - أن لا يجدوا ما ينفقون) وقيل
الراد ههنا أنهم كانوا يتخرجون من الأكل مع الأعمى لأنه لا يرى الطعام وما فيه من الطيبات فرميا بسبقه غيره إلى
ذلك ولا مع الأعرج لأنه لا يتمكن من الجلوس فيفتات عليه جليسه والمرضى لا يستوفى من الطعام كغيره فكروها
أن يؤاكلهم فلا يظلمون فأقرن الله هذه الآية رخصة في ذلك وهذا قول سعيد بن جبير ومقسم ، وقال الضحاك كانوا

(١) لم نر هنا الاسم في كتب أسماء الرواة وفي النسخة الأميرية أم القضاء .

قبل البعثة يخرجون من الأكل مع هؤلاء، فتدراً وتزدراً، وكلا يتفضوا عليهم فأئزل الله هذه الآية . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن أبي مجبح عن مجاهد في قوله تعالى (ليس على الأعمى حرج) الآية قال كان الرجل يذهب بالأعمى أو بالأعرج أو بالمرضى إلى بيت أبيه أو أخيه أو بيت عمته أو بيت خالته فكان الزمنى يخرجون من ذلك يقولون إنما يذهبون بنا إلى بيوت عشرينهم فنزلت هذه الآية رخصة لهم، وقال السدي كان الرجل يدخل بيت أبيه أو أخيه أو ابنة تتخذه للزنا حتى من الطعام فلا يأكل من أجل أن رب البيت ليس ثم قال الله تعالى (ليس على الأعمى حرج) الآية وقوله تعالى (ولا على أعمى أن تأكلوا من يومكم) إنما ذكر هذا وهو معلوم ليحلف عليه غيره في اللفظ وليسوا به ما بعده في الحكم وتضمن هذا بيوت الأبناء لأنه لم ينص عليهم ولهذا استدلل بهذا من ذهب إلى أن مال الولد بمنزلة مال أبيه ، وقد جاء في السند والسنن من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أنت ومالك لأبيك » وقوله (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم - إلى قوله - أو مملكتكم مفاتيحه) هذا ظاهر وقد استدلل به من يوجب نفقة الأقارب بعضهم على بعض كما هو ملحق أبي خيفة والإمام أحمد بن حنبل في الشهور عنهم ، وأما قوله (أو ما ملككم مفاتيحه) قال سعيد بن جبير والسدي : هو خادم الرجل من عبد وقهرمان فلا بأس أن يأكل مما استودعه من الطعام بأمره وقال الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان للسلمون يذهبون في الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفدون مفاتيحه إلى صناديقهم ويقولون قد أحلنا لكم أن تأكلوا ما احتجتم إليه فكانوا يقولون إنه لا يحمل لنا أن تأكل منهم أذنوا لنا عن غير طيب أنفسهم ، وإنما نحن أمناء فأئزل الله (أو ما ملككم مفاتيحه) وقوله (أو صديقكم) أي بيوت أصدقائكم وأصحابكم فلا جناح عليكم في الأكل منها إذا علمتم أن ذلك لا يشق عليكم ولا يكرهون ذلك ، وقال قتادة إذا دخلت بيت صديقك فلا بأس أن تأكل بغير إذنه وقوله (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية وذلك لما أئزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قال للسلمون إن الله قد نهانا أن تأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام هو أفضل من الأموال فلا يحمل لأحد منا أن يأكل عند أحد فكف الناس عن ذلك فأئزل الله (ليس على الأعمى حرج - إلى قوله - أو صديقكم) وكانوا أيضاً يأفون ويخرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله لهم في ذلك فقال (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) وقال قتادة : كان هذا الخي من بني كنانة يرى أحدهم أن مفزاة عليه أن يأكل وحده في الجاهلية حتى إن كان الرجل ليسوق الدود الحفل وهو جالس حتى يجد من يؤاكله ويشاره فأئزل الله (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) فهذه رخصة من الله تعالى في أن يأكل الرجل وحده ومع الجماعة وإن كان الأكل مع الجماعة أربك وأفضل كما رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم عن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنما تأكل ولا تشبع . قال « لعلكم تأكلون متفرقين ، اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم به ، وقد روى ابن ماجه أيضاً من حديث عمرو بن دينار القهرماني عن سالم عن أبيه عن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كلوا جميعاً ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة » وقوله (فلذا دخلتم بيوتاً ففسلوا على أنفسكم) قال سعيد بن جبير والحسن البصري وقاتة والزهري يعني فليسلم بضمك على بعض ، وقال ابن جريج أخبرني أبو الزبير سمعت جابر بن عبد الله يقول إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيت إلا يوجبها قال ابن جريج وأخبرني زياد عن ابن طاوس أنه كان يقول : إذا دخل أحدكم بيته فليسلم قال ابن جريج قلت لعطاء أوجب إذا خرجت ثم دخلت أن أسلم عليهم ؟ قال لا ولا أوتر وجوبه عن أحد ولكن هو أحب إلى وما أدعه إلا ناسياً . وقال مجاهد : إذا دخلت المسجد قتل السلام على رسول الله ، وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم وإذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد قتل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وروى الثوري عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد قتل بسم الله والحمد لله السلام علينا من ربنا ، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وقال

قاعدة : إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم ، وإذا دخلت ميتا ليس فيه أحد قتل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنه كان يؤمر بذلك . وحديثنا أن للامسكة ترد عليه وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا محمد بن الحسن حدثنا عويد بن أبي عمران الجنوي عن أبيه عن أنس قال : أوصاني النبي ﷺ بخمس خصال قال : « يا أنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من تليق من أمي تكسر حناتك ، وإذا دخلت - يعني بيتك - فسلم على أهلك يكثر خير بيتك وسلامة الضحى فلها صلاة الأوابين قبلك . يا أنس ارحم الصغير وقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة » . وقوله (تحية من عند الله مباركة طيبة) قال محمد بن إسحق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقول : ما أخذت التشهد إلا من كتاب الله سمعت الله يقول (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) فالتشهد في الصلاة : التحيات للبركات الصلوات الطيبات لله . أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، ثم يدعو نفسه وسلم . وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابن إسحق . والذي في صحيح مسلم عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ يخالف هذا والله أعلم وقوله (كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) لما ذكر تعالى ما في هذه السور الكريمة من الأحكام المحكمة والشرائع للفتنة المبرمة فيه تعالى عباده على أنه بين لعباده الآيات بيانا شافيا ليندبروها وتتقوها لهم يعلمون

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

وهذا أيضا آداب أرشد الله عباده المؤمنين إليه فكا أمروهم بالاستئذان عند الدخول كذلك أمروهم بالاستئذان عند الانصراف لاسيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة أو اجتماع في مشورة وهو ذلك أمروهم الله تعالى أن لا يتفرقوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته ، وإن من يفعل ذلك فانه من المؤمنين الكاملين ثم أمر رسوله صلوات الله وسلامه عليه إذا استأذنه أحد منهم في ذلك أن يأذن له إن شاء ولهذا قال (فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم) الآية . وقد قال أبو داود حدثنا أحمد بن حنبل ومسلم قالوا حدثنا بشر هو ابن الفضل عن عجلان عن سمي القصبى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة » وهكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث محمد بن عجلان به وقال الترمذى حديث حسن

﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْثِنُونَ مِنْكُمْ لَوْ أَنَّهُمْ قَلْبَحَذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

قال الصحاح عن ابن عباس كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم قهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاما لنبيه صلى الله عليه وسلم قال قولوا يا نبي الله يا رسول الله وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير . وقال قاعدة : أمر الله أن يهاب نبيه صلى الله عليه وسلم وأن يبجل وأن يحترم وأن يسود : وقال مقاتل في قوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) يقول لا تسموه إذا دعوتوه يا محمد ولا تقولوا يا ابن عبد الله ولكن شرفوه قولوا يا نبي الله يا رسول الله وقال مالك عن زيد بن أسلم في قوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) قال أمروهم الله أن يشرفوه

هذا قول وهو الظاهر من السياق كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقبلوا راعنا) إلى آخر الآية وقوله (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنت لا تشعرون - إلى قوله - إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يفقهون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) الآية فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم والكلام معه وعنده كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته. والقول الثاني في ذلك أن النبي في (لا تقبلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي لا تقبلوا أن دعاه على غيره كدعاء غيره فإن دعاه مستجاب فاحذروا أن يدعو عليكم فتلك كواحدة من آيات من ابن عباس والحسن البصري وعطية العوفي والله أعلم. وقوله (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) قال مقاتل ابن حيان هم اللاتقون كان يثقل عليهم الحديث في يوم الجمعة ويصحب الحديث الخطبة فيأخذون ببعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى يخرجوا من المسجد وكان لا يصلح للرجل أن يخرج من المسجد إلا بأذن من النبي ﷺ في يوم الجمعة بعد ما يأخذ في الخطبة وكان إذا أراد أحدهم الخروج أشار بأصبعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيأذن له من غير أن يسلك الرجل لأن الرجل منهم كان إذا تكلم والنبي صلى الله عليه وسلم بخطب بطلت جمعة وقال السدي: كانوا إذا كانوا معه في جماعة لاذب بعضهم بعضا حتى يشيخوا عنه فلا يراهم، وقال قتادة في قوله (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) يعني لواذا عن نبي الله وعن كتابه. وقال سفيان (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) قال من الصف، وقال مجاهد في الآية (لواذا) خلافا. وقوله (فليحذر الذين يخافون عن أمره) أي عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيده ومنهجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على ظاهه وفاعله كانوا من كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا وظاهرا (أن يصيبهم فتنة) أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة (أو يصيبهم عذاب أليم) أي في الدنيا يقتل أوحد أو حبس أو نحو ذلك كما روى الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «مثل ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فقام أضاء ما حولها جل القراش وهذه السواب اللأني يقمن في النار يقمن فيها وجعل محبرهن وينبذه فيقتعنن فيها - قال - فذلك مثل ومثلكم أنا أخذ محبركم من النار فلم ين النار فقلوبى وتصحون فيها» أخرجهما من حديث عبد الرزاق

(أَلَا إِنَّ فِي مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ يَوْمَ تَرجَعُونَ إِلَيْهِ قَيْتَبْتُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمًا)

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وأنه عالم القيب والشهادة وهو عالم بما العباد عاملون في سرهم وجهرم فقال (قد يعلم ما أنت عليه) وقد لتتحقيق كما قال قبلها (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) وقال تعالى (قد يعلم الله الموقنين منكم) الآية وقال تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك) الآية وقال (قد علم إنه ليحزنك الذي يقولون أنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقال (قد نرى قلب وجهك في السماء) الآية فكل هذه الآيات فيها تحقيق القبل بقدر قول المؤذن تحقيقا وثبوتا: قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة - قوله تعالى (قد يعلم ما أنت عليه) أي هو عالم به مشاهد لا يحزب عنه متعال ذرة كما قال تعالى (وتوكل على العزيز الرحيم - إلى قوله - إنه هو السميع العليم) وقوله (وما تكون في شأن وما تتول منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يحزب عن ربك من مقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصفر من ذلك ولا أكرها في كتاب مبين وقال تعالى (الذين هم قائم على كل نفس بما كسبت) أي هو شهيد على عباده بما هم عاملون من خير وشر، وقال

تعالى (ألا حين يستنشقون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون) وقال تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) الآية وقال تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها كل في كتاب مبين) وقال (وعند مغاتيغ النيب لا يعلها إلا هو يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً . وقوله (ويوم يرجعون إليه) أي ويوم يرجع الخلائق إلى الله وهو يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) أي يخبرهم بما فعلوا في الدنيا من جليل وقبح وصغير وكبير كما قال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخبر) وقال (ووضعت الكتب فقرأه المجرمين مثققين عما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يكدر صفيرة ولا كثيرة إلا أوحاهما ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً) ولهذا قال ههنا (ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم) والحمد لله رب العالمين ونسأله التمام . آخر تفسير سورة النور وفالحمد لله .

(تفسير سورة الفرقان مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا • الَّذِي لَهُ مَثَلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَدْرًا تَقْدِيرًا)

يقول تعالى حامدا لنفسه الشكرية على ما نزل على رسوله الكريم من القرآن العظيم كما قال تعالى (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً فلما لينذر بأساً شديداً من لده ويشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) الآية وقال ههنا (تبارك) وهو تعاضل من البركة المستمرة الثابتة الدائمة (الذي نزل الفرقان) نزل فعل من التكرار والتشكر كقولهم (والكتاب الذي نزل على رسوله) والكتاب الذي أنزل من قبل (لأن الكتب المتقدمة كانت فنزول جملة واحدة والقرآن نزل متجسماً مفصلاً آيات بعد آيات وأحكاماً بعد أحكام وسوراً بعد سور وهذا أشد وأبلغ وأبعد اعتناء بمن أنزل عليه كما قال في أثناء هذه السورة (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فوزناك ورتلناه ترتيلاً ، ولا يأتونك بمثل إلا جنتاك بالحق وأحسن تفسيراً) ولهذا ساء ههنا الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال ، والتي والرشاد والحلال والحرام وقوله (على عبده) هذه صفة مدح وتناء لأنه أضافه إلى عبوديته كما وصفه بها في أشرف أحواله وهي لية الإسراء فقال (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً) وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً) وكذلك وصفه عند أنزال الكتاب عليه ونزول لللك إليه فقال (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) ويكون للعالمين نذيراً (أي إنما خاضع بهذا الكتاب للفصل العظيم للدين المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزلاً من حكمه حميد) الذي جمعه فرقانا عظمياً ليضيه بالرسالة إلى من يستظل بالحضراء ويستقل على الثبراء كما قال عليه السلام « بثت إلى الأحمر والأسود » وقال « إني أعطيت حسماً لم يسطعن أحد من الأنبياء قبل » فقد كرم من بانه « كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ويبعث إلى الناس عامة » كما قال تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) الآية أي الذي أرسلني هو مالك السموات والأرض الذي يقول للشيء كن فيكون وهو الذي يحيي ويميت ، وهكذا قال ههنا (الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك) وزه نفسه عن الولد وعن الشريك . ثم أخبر أنه (خلق كل شيء قديره تقديراً) أي كل شيء بما سواه مخلوق مريبوب وهو خالق كل شيء وربّه ومليكه وإلهه وكل شيء تحت قهره وتدييره وتفسيره .

(وَأَخَذَ مِنْ دُونِهِ ءَالَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ظَرْفًا وَلَا تَعْمَالًا لِيَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُفُورًا)

غير تعالى عن جهل الشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله الخالق لكل شيء تلك أئمة الأمور الذي ساء الله وما لم يشأ لم يكن ومع هذا عبدوا به من الأصنام مالا يقدر على خلق جناح بوضه بل هم مخافون لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا كيف يملكون لما يديهم ؟ (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) أي ليس لهم من ذلك شيء بل ذلك كله مرجعه إلى الله عز وجل الذي هو حيي ويميت ، وهو الذي يبدئ الخلق يوم القيامة أولهم وآخرهم (ما خلقكم ولا بشكم إلا كنسوا واحدة) كنوه (وما أمرنا إلا واحدة كلع البصر) وقوله (فلما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة) (فلما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون) (إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميعا لدينا محضرون) فهو الله الذي لا إله غيره ولا رب سواه ولا تنبئ الساعة إلا له لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو الذي لا ولد له ولا والد ولا عدل ولا بديل ولا وزير ولا نظير ، بل هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا فُتْنُكَ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا •
وَقَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أ كُنْتُمْ عَلَيْهِ بَكْرَةً أَصِيلًا • قُلْ أُنزِلَتْ الْوَحْيُ الَّذِي يُنَادِي السَّامِعِينَ
وَأَلَّا رِضَى إِنَّه كَانَ غُفُورًا رَحِيمًا)

يقول تعالى متخبرا عن سخافة عقول الجاهل من الكفار في قولهم من القرآن (إن هذا إلا فتنك) أي كذب (القرآن) ينون النبي صلى الله عليه وسلم (وأعانته عليه قوم آخرون) أي واستعان على جمعه قوم آخرون فقال الله تعالى (قد جاءوا ظلما وزورا) أي قد اتفروا هم قولا باطلا وهم يملكون أنه باطل ويرفون كذب أنفسهم فيها زعموه (وقالوا آساطير الأولين اكتبها) ينون كتب الأولين أي استسخنها (فهي تلى عليه) أي تقرأ عليه (بكرة وأصيل) أي في أول النهار وآخره وهذا الكلام لسخافته وكذبه وبهتة منهم كل أحد يمل بطلانه فانه قد علم بالتواتر وبالضرورة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يماني شيئا من الكتابة لا في أول عمره ولا في آخره وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بشه الله نوا من أربعين سنة وهم يعرفون مدخله ومخرجه وصدقه ونزاهته وبره وأمانته وبهتة عن الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة حتى إنهم كانوا يسمونه في صفه ، وإلى أن بث الأميين ، لما يملون من صدقه وبره فلما أكرمه الله بما أكرمه به نصبوا له العداوة ورموه بهذه الأقوال التي يعلم كل قائل براءته منها وحاروا فيها يذفونه به فتارة من إنكهم يقولون ساحر وتارة يقولون شاعر وتارة يقولون مجنون وتارة يقولون كذاب ، وقال الله تعالى (انظر كيف ضلوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) وقال تعالى في جواب ما عاندوا فيها واتفروا (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض) الآية أي أنزل القرآن للشتم على أخبار الأولين والآخرين إخبارا حقا صدقا مطابقا للواقع في الخارج ماضيا ومستقبلا (الذي يعلم السر) أي الله الذي يعلم غيب السموات والأرض ، وسلم السرائر كلمه بالتواجر ، وقوله تعالى (إنه كان غفورا رحيما) دعاء لهم إلى التوبة والانابة وإخبارهم بأن رحمتهم واسعة وأن حلمه عظيم بمع أن من تاب إليه تاب عليه ، فلهذا مع كذبهم واتقارهم وفجورهم وبهتانهم وكفرهم وعنادهم وقولهم عن الرسول والقرآن ما قالوا يدعوه إلى التوبة والافتلاح عما هم فيه إلى الإسلام والهدى كما قال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمس الذين كفروا منهم عذاب أليم • أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) قال الحسن البصري : انظروا إلى هذا الكرم والجلود قتلوا أولياده وهو يدعوه إلى التوبة والرحمة

(وَقَالُوا مَلَكُ هَذَا أَرْسُولٌ بَأْ كُلِّ الطَّعَامِ وَيَنْشِئُ فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا •

أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا سَاحِرًا ۖ أَنْظِرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۖ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ
جَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْمَعُ لَكَ قُصُورًا ۖ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ
سَعِيرًا ۖ إِذَا رَأَوْهُمُ مِّن مَّكَانٍ يَعِيدُهُمْ قَبِلُوا عَلَيْهِمْ نَفِيطًا ۖ وَزَفِيرًا ۖ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَنَاثًا صِفًا مُّطَرِّفِينَ ۖ دَعَوْا
هُنَاكَ ثُبُورًا ۖ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا ۖ وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۖ

غير تعالى من نعم الكفار وعنادهم وتكذيبهم الحق بلا حجة ولا دليل منهم وإنما تطلوا بقولهم (هالذا الرسول
يا كل الطعام) ينون كأنما كله ويحتاج إليه كما يحتاج إليه (ويشفي الأسواق) أي يتردد فيها وإلهاب الطلبات والتسكب والتجارة
(لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا) يقولون هلا أنزل إليه ملك من عند الله فيكون له شاهدا على صدق ما يدعيه
وهذا كما قال فرعون (فالوا أني عليه أسورة من ذهب أو جاء معه لللائكة مقترنين) وكذلك قال هؤلاء على
السواء تشابهت قلوبهم ولهذا قالوا (أوليق إليه كنز) أي علم كنز ينفع منه (أو تكون له جنة يأكل منها) أي تسير معه
حيث سار، وهذا كله سهل يسير على الله ولكن له الحكمة في ترك ذلك وله الحجة الباقية (وقال الظالمون إن
تتبعون إلا رجلا مسحورا) قال الله تعالى (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا) أي جاءوا بما يقدونك به
ويكذبون به عليك من قولهم ساحر مسحور مجنون كذاب شاعر وكلها أقوال باطلة كل أحد ممن له أدنى فهم وعقل
يعرف تكذيبهم واقتراءهم في ذلك ولهذا قال (فضلوا) عن طريق الهدى (فلا يستطيعون سبيلا) وذلك أن كل من خرج
عن الحق وطريق الهدى فانه ضال حينا توجه لأن الحق واحد ومنهجه متحد يصدق بصدقه بضائهم قال تعالى محبرا
نبه أنه إن شاء لكاهم خيرا مما يقولون في الدنيا وأفضل وأحسن فقال (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا
من ذلك) الآية، قال مجاهد يعني في الدنيا قال وقريش يسمون كل بيت من حجارة قصرأ كبيرا كان أو صغيرا قال
سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن خيشمة قيل لنبى صلى الله عليه وسلم إن شئت أن نطعك خزائن الأرض
ومفاتيحها ما لم تعطه نبيا قبلك، ولا تطعني أحدا من بعدك ولا ينقص ذلك مالك عند الله فقال «اجمعوها لي في
الآخرة» فأنزل الله عز وجل في ذلك (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) الآية وقوله (بل كذبوا بالساعة)
أي إنما يقول هؤلاء هكذا تكذبا وعنادا لا أنهم يطلبون ذلك تبصرا واسترشادا بل تكذيبهم يوم القيامة يحملهم
على قول ما يقولونه من هذه الأقوال (وأعدنا) أي أزمنا (لن كذب بالساعة سعيرا) أي عذابا ألما حارا لا يطلق
في نار جهنم قال الثوري عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير (السمير) واد من قيع جهنم وقوله (إذا رأيهم) أي
جهنم (من مكان بعيد) يعني في مقام المحضر. قال السدي من سمرة مائة عام (صموا لها نفيطا وزفيرا) أي حقا
عليهم كما قال تعالى (إذا ألقوا فيها صموا لها سمعا وهي شور تكاد تميز من النفيط) أي يكاد ينفصل بعضها من بعض
من شدة غيظها على من كفر بالله، وروى ابن أبي حاتم حدثنا إدريس بن حاتم بن الأخنف الواسطي أنه سمع محمد بن
الحسن الواسطي عن أسع بن زيد عن خالد بن كثير عن خالد بن دريك يسناذ عن رجل من أصحاب النبي عليه السلام
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من يقل على ما لم آكل أو أدمع إلى غير والديه أو اتسمى
إلى غير مواله فليتبوأ مقعده من النار» وفي رواية - فليتبوأ يمين عني جهنم مقعدا. قيل يا رسول الله وهل لها من
عينين؟ قال أما سمعت الله يقول (إذا رأيهم من مكان بعيد) الآية ورواه ابن جرير عن محمد بن خديش عن محمد
ابن يزيد الواسطي به وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطائفي حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم
عن أبي وائل قال خرجنا مع عبد الله بن أبي مسعود ومعاذ بن ربيع بن خيثم فمروا على حداد فقام عبد الله ينظر إلى

حديقة في النار ، ونظر الريح بن خشم إليها قبائل الريح ليستقط فر عبد الله على أثرون على شاطئ الفرات فلما رآه عبد الله والنار تشتبه في جوفه قرأ هذه الآية (إذا رأيتم من مكان بعيد سموها تبيتا وزيبرا) فصعق بمن الريح وحموه إلى أهل بيته فرباطه عبد الله إلى الظهر فلم يبق رضى الله عنه ، وحدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا إسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال : إن العبد ليجر إلى النار فتشوق إليه شهقة البقرة إلى الشير ثم تزفر زفرة لا يبق أحد إلا خاف ، فكنا رواه ابن أبي حاتم بسنده مختصرا ، وقد رواه الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا أحمد ابن إبراهيم الدورقي حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد بسنده إلى ابن عباس قال : إن الرجل ليجر إلى النار فتزوى وتقبض بضمها إلى بعض فيقول لها الرحمن مالك ؟ قالت إنه يستجير مني فيقول أرسوا عبيد وإن الرجل ليجر إلى النار فيقول يارب ما كان هذا الظن بك فيقول لما كان ظنك ؟ فيقول أن تسقى رحمتك ، فيقول أرسوا عبيد وإن الرجل ليجر إلى النار فتشوق إليه النار شهقة البقرة إلى الشير وتزفر زفرة لا يبق أحد إلا خاف وهذا إسناده صحيح ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير في قوله (سموها تبيتا وزيبرا) قال إن جهنم لئزر زفرة لا يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر لوجهه ثم ترد فرائصه حتى إن إبراهيم عليه السلام ليحس على ركبتيه ويقول : رب لا أسألك اليوم إلا نسي . وقوله (وإذا أقوا منها مكانا ضيقا مقرنين) قال قتادة عن أبي أيوب عن عبيد الله بن عمرو قال : مثل الخرج في الريح أى من ضيقه . وقال عبد الله بن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن يحيى بن أبي أسيد يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن قول الله (وإذا أقوا منها مكانا ضيقا مقرنين) قال « والذي نفسى بيده ! إني لست كرهون في النار كما يستكره الوديع في الخائط » وقوله (مقرنين) قال أبو صالح يبنى مكثنين (دعوا هناك ثيورا) أى بالويل والحسرة والحية (لا تدعوا اليوم ثيورا واحدا) الآية . روى الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن أبي يزيد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أول من يكس حلة من النار إبليس فيصم على حاجبيه ويسحب من خلفه وذريته من بعده وهو ينادى يا ثوراه ويتادون يا ثورهم حتى ينفقوا على النار فيقول يا ثوراه ويا ثوراه ويا ثورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثيورا واحدا ، وادعوا ثيورا كثيرا » ثم يخرج أحدا من أصحاب الكتب الستة ، ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن عفان به ، ورواه ابن جرير من حديث حماد بن سلمة به . وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (لا تدعوا اليوم ثيورا واحدا) الآية أى لا تدعوا اليوم ويلا واحدا وادعوا ويلا كثيرا ، وقال الضحاك الثوري : الملاك والأظهر أن الثور يجمع الملاك والويل والحسار والسمار كما قال موسى قمرعون (وإن لأظنك يا قمرعون مثيورا) أى هالكا قال عبد الله بن الزبيري

إذا جارى الشيطان في سنن الله ، ومن مال ميه مثبور

(قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ النَّارِ الَّتِي وَعَدَ الْمُشْرِكُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا • لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا)

يقول تعالى : يا محمد هذا الذي وصفنا لك من حال الأشقياء الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم فلقد هم بوجه عبوس وتبيتا وزيبرا ويلقون في أمكنها الضيق مقرنين لا يستطيعون حراكا ولا استنصارا ولا فكا كما سماهم فيه أهذا خير أم جنة الخلد التي وعدها الله للذين من عباده التي أعد لها لهم وجعلها لهم جزاء ومصيرا على ما أطاعوه في الدنيا وجعل ما لهم فيها (لهم فيها ما يشاءون) من ثلاث من ما كل ومشرب وملابس ومساكن ومراكب ومناظر وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أدب سمعت ولا خطر على قلب أحد وهم في ذلك خالدون أبدا دائما سرمدا بلا انقطاع ولا زوال ولا انقضاء ولا يمتنون فيها حولا . وهذا من وعد الله الذي تفضل به عليهم وأحسن به إليهم ولهذا قال (كان على ربك وعدا مسئولا) أى لا بد أن يقع وأن يكون كما حكاه أبو جعفر بن جرير عن بعض غلام

البرية أن معنى قوله (وعدا مستولا) أى وعدا واجبا . وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس (كان على ربك وعدا مستولا) يقول فسألوا الذى وعدهم وتجزوه ، وقال محمد بن كعب القرظى فى قوله (كان على ربك وعدا مستولا) إن لللائكة تسأل لم ذلك (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم) . وقال أبو حاتم إذا كان يوم القيامة قال المؤمنون ربنا حملنا لك بالذى أمرتنا فأعجز لنا ما وعدتنا فذلك قوله (وعدا مستولا) وهذا المقام فى هذه السورة من ذكر النار ثم التنبيه على حال أهل الجنة كما ذكر تعالى فى سورة الصافات حال أهل الجنة وما فيها من النضرة والحيور ثم قال (أذلك خير زلا أم شجرة الزقوم • إنا جعلناها فتنه للظالمين • إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم • طلعها كأنه ردوس الشياطين • فأنهى لها كلون منها فالتون منها البطون • ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم • ثم إن مرجهم لآلئ الجحيم إنهم أتوا آباءهم صالحين • فهم على آثامهم يبرعون) .

(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ رَبُّهُم بِأَنفُسِهِمْ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءَ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ • قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُدْبِي لَنَا أَنْ تَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا اللَّهَ فَنَسُوا أَوَّلَ ذِكْرٍ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا • قَدْ كَذَّبُوا بِمَا هُمْ يُقُولُونَ فَمَا تَسْتَظِيمُونَ صَرَفًا وَلَا نَفْرًا وَتَنْ يَطْلِمُ شَكْمُكَ إِنَّهُ غَدَاةٌ كَبِيرٌ)

يقول تعالى ههنا مما يقع يوم القيامة من خزع الكفار فى عبادتهم من عبدا من دون الله من الللائكة وغيرهم فقال (ويوم يحشرهم وما يبدون من دون الله) قال مجاهد هو عيسى والعرز واللائكة (فيقول أأنتم أضللتهم عبادى هؤلاء) الآية أى يقول تبارك وتعالى للعبيد أأنتم دعوتهم هؤلاء إلى عبادتكم من دونى أمم عبودكم من لقاء أنفسهم من غير دعوة منكم لهم كما قال الله تعالى (وإذا قال الله لعيسى ابن مريم أأنى قلت للناس اتخذونى وأبى الهين من دون الله • قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى • بحق إن كنت قلت فقد علمت تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به) الآية ولهذا قال تعالى ههنا مما يعجب به للعبود يوم القيامة (قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) قرأ الأكثرون بفتح النون من قوله (تتخذ من دونك من أولياء) أى ليس للخلائق كلهم أن يبدوا أحدا سواك لأهين ولا من فتنهم مادعونهم إلى ذلك بل هم فسوا ذلك من لقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضا ونحن يرآء منهم ومن عبادتهم كما قال تعالى (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول لللائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك) الآية وقرأ آخرون (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) أى ما ينبغي لأحد أن يعبدنا فإنا عبيد لك قراء إليك وهى قرية للحن من الأولى (ولكن متنتهم وآباءهم) أى طال عليهم العمر حتى نسوا الذكر أى نسوا ما أنزله الله عليهم على السبنة رسلك من الدعوة إلى عبادتك وحذرك لاشريك لك (وكانوا قوما بورا) قال ابن عباس أى هلكى ، وقال الحسن البصرى ومالك عن الزهري أى لاخير فيهم . وقال ابن الزهري حين أسلم :

يا رسول الله إن لى رائق ماقتت إذ أنا بور

إذ أجارى الشيطان فى سنن الله ومن ميله مشور

قال الله تعالى (قد كذبوك بما تقولون) أى قد كذبكم الذين عبدتم من دون الله فيما زعمتم أنهم لكم أولياء وأنهم يقربونكم إلى الله زلفى كقوله تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ومن دعاهم غافلون • وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقوله (لا تستظيمون صرفا ولا نصرا) أى لا يسعدون على صرف المذاب عنهم ولا الانتصار لأشدهم (ومن يظلم منك) أى يشرك بالله (نذقه عذابا كبيرا)

للالسكة حول روح المؤمن اخرجى أيتها النفس الطيبة في الجسد الطيب إن كنت تصبرينه ، اخرجى إلى روح ورب غير غضبان . وقد تقدم الحديث في سورة إبراهيم عند قوله تعالى (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ورضي الله عنهم) وما يشاء (وقال آخرون : بل الراد بقوله (يوم يرون للالسكة لاجرى) يعنى يوم القيامة ، قال مجاهد والضحاك وغيرهما ، ولا منافاة بين هذا وما تقدم فإن للالسكة في هذين اليومين يوم المات ويوم للماد تجلى للمؤمنين واللكافرين فتجبر للمؤمنين بالرحمة والرضوان ، وتجبر لللكافرين بالحية والحسرة فلا جرى يومئذ للجرمين (ويقولون حجرا محجورا) أى وتحول للالسكة لللكافرين حرام محرم عليكم القلاع اليوم . وأصل الحجر للنع ومنه يقال حجر القاضي على فلان إذا منعه التصرف إما لنفسه أو سفه أو صغر أو نحو ذلك ، ومنه سمى الحجر عند البيت الحرام لأنه يمنع الطواف أن يطوفوا فيه وإنما يطاف من وراءه ومنه يقال العقول حجر لأنه يمنع صاحبه من تعاطي ما لا يليق والترض أن الضمير في قوله (ويقولون) عائد على اللالسكة هذا قول مجاهد وعكرمة والحسن والضحاك وقادة وعطية الموفى وعطاء الحراساني وخسيف وغير واحد واختاره ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو نعيم حدثنا موسى بنى ابن قيس عن عبيدة الموفى عن أبى سعيد الخدرى في الآية (ويقولون حجرا محجورا) قال حراما محراما أن يشر بما يشر به الثقون ، وقد حكى ابن جرير عن ابن جريج أنه قال ذلك من كلام الشريكين (يوم يرون للالسكة) أى يتصورون من اللالسكة ، وذلك أن العرب كانوا إذا نزل بأحدهم نازلة أو شدة يقول (حجرا محجورا) وهذا القول وإن كان له مأخذ ووجه ولكنه بالنسبة إلى السبائك بعيد لا سيما وقد نس الجهور على خلافه ، ولكن قد روى ابن أبى نعيم عن مجاهد أنه قال في قوله (حجرا محجورا) أى عودا معاذا للالسكة تحول ذلك فانه أعلم . وقوله تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل) الآية هذا يوم القيامة حين يحاسب الله السباد على ما عملوه من الخير والشر فأخبر أنه لا يحصل لمؤلا الشريكين من الأعمال التى ظنوا أنها منجاة لهم شيء ، وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعى إما الإخلاص فيها وإما التوبة لشرع الله . فكل عمل لا يكون خالصا على التسمية للرضية فهو باطل ، فأعمال الكفار لا تنفع من واحد من هذين وقد تجمعهما مما فتكون أبعد من القبول حيث تنول لهذا قال تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) قال مجاهد والثورى (وقدمنا) أى عمدنا وكذا قال السدى وبضمهم يقول أتينا عليه . وقوله تعالى (فجعلناه هباء منثورا) قال سفيان الثورى عن أبى إسحق عن الحارث عن أبى رضى الله عنه في قوله (هباء منثورا) قال شمع الشمس إذا دخل الكوة ، وكذا روى من غير هذا الوجه عن أبى روى مثله عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدى والضحاك وغيرهم ، وكذا قال الحسن البصرى هو الشمع في كوة أحدكم ولو ذهب يقين عليه لم يستطع . وقال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس (هباء منثورا) قال هو الماء الهراق ، وقال أبو الأحوص عن أبى إسحق عن الحارث عن أبى رضى الله عنه (هباء منثورا) قال الهباء وهيج الدواب ، وروى مثله عن ابن عباس أيضا والضحاك وقاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال قتادة في قوله (هباء منثورا) قال أمارأيت يس الشجر إذا ذرته الريح ؟ فهو ذلك الورق ، وقال عبد الله بن وهب أخبرني طاصم بن حكيم عن أبى سريع الطائى عن عبيد بن يعلى قال وإن الهباء الرماد إذا ذرته الريح وحاصل هذه الأقوال الثنية على مضمون الآية وذلك أنهم عملوا أعمالا اعتقدوا أنها على شيء ، فلما عرضت على الملك الحكم العدل الذى لا يجوز ولا يظلم أحدا إذا إنها لاشيء بالكيفية ، وغشيت في ذلك بالشيء الثاني المختبر للفرق الذى لا يقدر صاحبه منه على شيء بالكيفية كما قال تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح) الآية وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تطعوا سفقاتكم بالن والذى - إلى قوله تعالى - لا يقدر على شيء مما كسبوا) وقال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) وتقدم الكلام على تفسير ذلك والله الحمد ولله . وقوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) أى يوم القيامة (لا يتنوى

أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) وذلك أن أهل الجنة يصيرون إلى الدرجات والماليات والقرافات الآمنات فيهم في مقام أمين حسن النظر طيب اللقام (خالفين فيها حسنت مستقرا ومقاما) وأهل النار يصيرون إلى الدرجات السافلات والمهزلات للتأنيبات وأنواع العذاب والعقوبات (إنها سابت مستقرا ومقاما) أي بئس للزلز منظرا وليس القليل مقاما ولهذا قال تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) أي بما عملوه من الأعمال للثبقة نالوا ما نالوا وصاروا إلى ما صاروا إليه بخلاف أهل النار فاتهم ليس لهم عمل واحد يقتضي دخول الجنة لهم والنجاة من النار فيه تعالى بحال السعداء على حال الأشقياء وأنه لا خير عندهم بالسكنة فقال تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) قال الضحاك عن ابن عباس: إنما هي ساعة فيقول أولياء الله على الأسرة مع الحور العين ويقبل أعداء الله مع الشياطين مقرنين. وقال سعيد بن جبير: يفرغ الله من الحساب نصف النهار فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار قال الله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وقال عكرمة بن أبي العزاف الساعية التي يدخل فيها أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وهي الساعة التي تكون في الدنيا عند ارتفاع الشمس الأكبر إذا انقلب الناس إلى أهلهم للقبول فيصرف أهل النار إلى النار، وأما أهل الجنة فينطلق بهم إلى الجنة فكانت قبولتهم في الجنة وأطمعوا بكبد حوث فأعجبهم كلهم وذلك قوله (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وقال سفيان بن عيسى عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: لا ينصف النهار حتى يقبل هؤلاء وهؤلاء ثم قرأ (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وقرأ (ثم إن مرجعهم إلى الجحيم): وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) قال قالوا في الغرف من الجنة وكان حسابهم إذ عرضوا على ربهم عرصة واحدة وذلك الحساب اليسير وهو مثل قوله تعالى (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) وينقلب إلى أهله مسرورا) وقال قتادة (خير مستقرا وأحسن مقيلا) ما أوى ومترلا وقال قتادة وحدث صفوان بن عمرز أنه قال: يجاء برجلين يوم القيامة أحدهما كان ملكا في الدنيا إلى الجنة والياض فيحاسب فإذا عذ لم يعمل خيرا قط فيؤمر به إلى النار والآخر كان صاحب كساء في الدنيا فيحاسب فيقول يارب ما أعطيتني من شيء فتعاسيتني به فيقول الله: صدق عبيد فأرسلوه فيؤمر به إلى الجنة ثم يتركان ماشاء الله، ثم يدعى صاحب النار فاذا هو مثل الجملة السوداء فيقال له كيف وجدت فيقول شرمقيل فيقال له عد ثم يدعى بصاحب الجنة فاذا هو مثل القمر ليلة البدر فيقال له كيف وجدت؟ فيقول رب خير مقيلا فيقال له عد. رواها ابن أبي حاتم كلها، وقال ابن جرير: حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أنبأنا عمرو بن الحارث أن سعيدا الصواف حدثه أنه بلغه أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين النصر إلى غروب الشمس وأنهم يتقبلون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس وذلك قوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا)

(وَيَوْمَ تَتَّقِنُ السَّمَاءَ بِالْقَنَمِ وَنُزُلُ الْمَلَكِ تَنْزِيلًا * أَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ الْخُبْرُ لِرَبِّكَمْ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ سَعِيرًا * وَيَوْمَ يَمْشِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا)

غير تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظيمة فيها انشقاق السماء وتطهرها وإخراجها بالقلم وهو ظلل النور العظيم الذي يهر الأبرار ونزول ملائكة السموات يومئذ فيحيطون بالخلاق في مقام المحشر ثم يجيء الرب تبارك وتعالى لتصل القضاء. قال مجاهد. وهذا كما قال تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا مؤمل حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية (ويوم تشرق السماء بالقلم ونزل الملائكة تنزيلا) قال ابن عباس

رضى الله عنهما يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة في صيد واحد الجن والإنس والبهائم والطيور وجميع الخلق
فتنشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من الجن والإنس ومن جميع الخلق فيجذبون بالجن والإنس وبجميع الخلق
ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها فيجذبون باللائكة الذين نزلوا قبلهم والجن والإنس وجميع الخلق وهم أكثر من
أهل السماء الدنيا ومن جميع الخلق ثم تنشق السماء الثالثة فينزل أهلها وهم أكثر من أهل السماء الثانية والباء الدنيا ومن
جميع الخلق فيجذبون باللائكة الذين نزلوا قبلهم والجن والإنس وجميع الخلق ، ثم كذلك كل ساء على ذلك
التضييف حتى تنشق السماء السابعة فينزل أهلها وهم أكثر من نزل قبلهم من أهل السموات ومن الجن والإنس ومن
جميع الخلق فيجذبون باللائكة الذين نزلوا قبلهم من أهل السموات والجن والإنس وجميع الخلق كلهم فينزل ربنا
عز وجل في ظلل من النعام وحوله الكرويون وهم أكثر من أهل السموات السبع ومن الجن والانس ، وجميع الخلق
يقيم قرون كألف القنا وتم تحت العرش لمهزبل بالتسبيح والتبجيل والتقدس لله عز وجل ما بين أخص قلم أحدهم
إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام وما بين كعبه إلى ركبته مسيرة خمسمائة عام وما بين ركبته إلى حجرته ^(١) مسيرة خمسمائة عام
وما بين حجرته إلى ترقوته مسيرة خمسمائة عام وما بين ترقوته إلى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام . وما فوق ذلك مسيرة
خمسمائة عام وجنهم معه ، هكذا رواه ابن أبي حاتم بهذا السياق وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني
الحجاج عن مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران أنه سمع ابن عباس يقول : إن هذه
السماء إذا انشقت ينزل منها من اللائكة أكثر من الانس والجن وهو يوم التلاق يوم يلقى أهل السماء وأهل الأرض
فيقول أهل الأرض جاء ربنا ؟ فيقولون لمجيء وهو آت ثم تنشق السماء الثانية ثم ساء ساء على قدر ذلك من التضييف
إلى السماء السابعة فينزل منها من اللائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ومن الجن والانس . قال فنزل
للائكة الكرويون ثم يأيدنا في حمة العرش الثانية بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة ، وبين فعله ومكتبه
مسيرة سبعين سنة ، قال وكل ملك منهم ليرتأمل وجه صاحبه وكل ملك منهم واضح رأسه بين يديه ^(٢) يقول سبحانه الملك
القدس وعلى رؤوسهم شيء مبسوطة كأنه القنا والعرش فوق ذلك ثم وقف فداره على علي بن زيد بن جدعان وفيه
ضغف في سياقاته غالباً وفيها نكارة شديدة ، وقد ورد في حديث الصور للجمهور قرب من هذا والله أعلم ، وقد قال
الله تعالى (فيومئذ وقت الواقعة) وانشقت السماء فهي يومئذ واهية * والملك على أرجائها ويعمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية) قال شهر بن حوشب حمة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون : سبحانه الله ويحمدك لك الحمد على حملك
بعد علك . وأربعة منهم يقولون : سبحانه الله ويحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك رواه ابن جرير عنه وقال أبو بكر
ابن عبد الله إذا نظرت أهل الأرض إلى العرش يهبط عليهم من فوقهم شخصت إليه أبصارهم ورجفت كلامهم في أجوافهم
وطارت قلوبهم من مقرها من صدورهم إلى حناجرهم . قال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا العتمر بن
سليمان عن عبد الجليل عن أبي حازم عن عبد الله بن عمرو قال : يهبط الله عز وجل حين يهبط ويبنه وين خلقه سبعون ألف
حبيب منها النور والظلمة فيضرب للواء في تلك الظلمة صوتاً تنخل في القلوب وهذا موقف على عبد الله بن عمرو من كلامه
ولله من الزمالتين والله أعلم

وقوله تعالى (الملك يومئذ الحق لرحمن) الآية كما قال تعالى (لمن الملك اليوم ؟ الله الواحد القهار) وفي الصحيح
أن الله تعالى يطوى السموات بيئته ويأخذ الأرضين بيده الأخرى ثم يقول : أنا الملك أنا الذي أنزل ملك الأرض ؟
أين الجبارون أين المتكبرون ؟ وقوله (وكان يوما على الكافرين عسيراً) أي شديداً صعباً لأنه يوم عدل وقضاء
فصل كما قال تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير) على الكافرين غير يسير) فهذا حال الكافرين في هذا اليوم ، وأما
المؤمنون فكما قال تعالى (لا يجزئهم التفرع الأكبر) الآية . وروى الإمام أحمد حدثنا حسين بن موسى حدثنا ابن لمية
حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : قيل يا رسول الله (يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ما أطول
هذا اليوم ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأبلى نفس يمدانه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه

(١) في النسخة المكتبة أربعة (٢) في نسخة يديه .

من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا » وقوله تعالى (ويوم يمس الظالم على يديه) الآية غير تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله من الحق المبين الذي لا مرة فيه وسلك طريقاً أخرى غير سبيل الرسول فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم وعرض على يديه حسرة وأسفا وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي معيط أو غيره من الأضياع فإنها عامة في كل ظالم كما قال تعالى (يوم تحلب وجوههم في النار) الآيتين فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ، ومضى على يديه قاتلا (يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا) يعني من صرفه عن الهدى وعمل به إلى طريق الضلال من خطاة الضلالة ، وسواء في ذلك أمية ابن خلف أو أخوه أبي بن خلف أو غيرها (لقد أسلفني عن الذكر) وهو القرآن (بعد إذ جاني) أي بعد بلوغه إلى قال الله تعالى (وكان الشيطان للإنسان خذولا) أي يخذله عن الحق ويصرفه عنه ويستعمله في الباطل ويدعوه إليه ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يُرَبِّبْ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا • وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾

يقول تعالى غيراً عن رسوله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال « يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » وذلك أن الشركين كانوا لا يصفون للقرآن ولا يستمعونه كما قال تعالى (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) الآية فكانوا إذا نال عليهم القرآن أكثروا القنط والكلام في غيره حتى لا يسمعوه . فهذا من هجرانه وترك الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه ، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه ، وترك العمل به وانتحال أوامره واجتباب زواجره من هجرانه ، والعدول عنه إلى غيره من شر أو قول أو غش أو غشاة أو لم أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره ، من هجرانه فسأل الله الكريم للنان القادر على ما يشاء ، أن يخلصنا مما يسخطه ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقتضاه أثناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضاه وإنه كريم وقوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين) أي كما حصل لك يا محمد في قومي من الذين هجروا القرآن كذلك كان في الأمم الماضية لأن الله جعل لكل نبي عدواً من المجرمين يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن) الآيتين ولهذا قال تعالى ههنا (وكفى بربك هادياً ونصيراً) أي لمن اتبع رسوله وأمن بكتابه وصدقه واتبعه فإن الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة وإنما قال (هادياً ونصيراً) لأن الشركين كانوا يصدون الناس عن اتباع القرآن ثلاثي أجد به ولتقلب طريقهم طريقة القرآن فلها قال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين) الآية

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا • وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا • الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرَقَاتُكَ وَأَصْلُ سَبِيلًا ﴾

يقول تعالى غيراً عن كثرة اعتراض الكفار وتعتهم وكلامهم فيما لا ينضم حيث قالوا (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أي هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحى إليه جملة واحدة كما نزل الكتب قبله جملة واحدة كالنوراة والإنجيل والزيور وغيرها من الكتب الإلهية فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه إنما نزل منجيا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج إليه من الأحكام ليثبت قلوب المؤمنين به كقوله (وقرآننا فرقناه) الآية ولهذا قال (لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً) قال قتادة : بيناه تبييناً . وقال ابن زيد وقسمناه تفسيرا . (ولا يأتونك بمثل) أي بحجة وشبهة (إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) أي ولا يقولون قولاً يمارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق

في نفس الأمر وأمين وأوضح وأفصح من مقاتلهم ، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس (ولا يأتونك بمثل) أي بما يبتسون به عيب القرآن والرسول (إلا جشاك بالحق) الآية أي إلا نزل جبريل من الله تعالى بجوابهم وما هذا إلا اعتناء وكبر شرف الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان يأتيه الوحي من الله عز وجل بالقرآن صباحا ومساء وليلًا ونهارًا سفرًا وحضرًا ، وكل مرة كان يأتيه للآل بالقرآن لا كانزال الكتاب مما قبله من الكتب للقدمه فهذا القام أعلى وأجل وأعظم مكانة من سائر إخوانه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله ، ومحمد ﷺ أعظم نبي أرسله الله تعالى وقد جمع الله للقرآن الصفتين معا ، ففي اللاء الأعلى أنزل جملة واحدة من الوحي المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزل بعد ذلك إلى الأرض منجا بحسب الوقائع والحوادث وروى النسائي بإسناده عن ابن عباس قال : أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ، قال الله تعالى (ولا يأتونك بمثل إلا جشاك بالحق وأحسن تحسيرا) وقال تعالى (وقرآننا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا)

ثم قال تعالى مخبرا عن سوء حال الكفار في معادهم يوم القيامة وحشرهم إلى جهنم في أسوأ الحالات وأتبع الصفات (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) وفي الصحيح عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله كيف يحشر الكفار على وجوههم يوم القيامة فقال « إن إلى أمشاه على رجليه قادر أن يشبه على وجهه يوم القيامة » وهكذا قال مجاهد والحسن وقائدة وغير واحد من المفسرين

(وَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكَتَبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا • قُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِشَآئِنَا فَلَمَّزْنَهُمْ تَذْمِيرًا • هُوَ قَوْمٌ نَوحٌ لَّمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فَنَاسًا بَآئَةً وَأَعَدَّ نَارًا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا • وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرُّسُومِ وَفَرَّقْنَا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا • وَكَلَّا صِرْنَا نَارًا تَنْبِيرًا • وَقَدْ أَتَوْا نَاطِقِي الْقَرْيَةِ الَّتِي امْطُرَتْ مَطَرًا سَنَةً أَقْلَمَ يَسْكُونُوا يَرَوْنها بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا)

يقول تعالى متوعدا من كذب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من مشركي قومه ومن خالفه ومخذرم من عقابه وأليم عقابه مما أحف بالأمم للماضي الكاذبين لرسوله فبدأ بذكر موسى وأنه بشه وجعل معه أخاه هارون ففريا أي نيبا موازرا ومؤيدا وانصرا فكذبهما فرعون وجنوده (فدين الله عليهم ولكافرين أمثالها) وكذلك فعل بقوم نوح حين كذبوا رسوله نوحا عليه السلام ومن كذب برسول فقد كذب بجميع الرسل ، إلا لا فرق بين رسول ورسول ، ولو فرض أن الله تعالى بث إليهم كل رسول فأنهم كانوا يكذبون ، ولهذا قال تعالى (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) ولم يبعث إليهم إلا نوح فقط وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله عز وجل ويعزدهم فقه (لها آمن منه إلا قليلا) ولهذا أغرقهم الله جميعا ولم يبق منهم أحدا ولم يترك من بني آدم على وجه الأرض سوى أصحاب السفينة فقط (وجعلناهم للناس آية) أي عبرة يتنبهون بها كما قال تعالى (إننا لما طغى الماء جعلناك في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتبها أذن واعية) أي وأخيناك من السفن ما تركون في ليل الجبار لتذكروا نعمة الله عليكم من إنجائكم من الفرق وجعلكم من ذرية من آمن به وصدق أمره . وقوله تعالى (وعادا وثمود وأصحاب الرس) قد تقدم الكلام على قصتهما في غير ما سورة بصورة الأعراف بما أغنى عن العادة ، وأما أصحاب الرس فقال ابن جريج عن ابن عباس هم أهل قرية من قرى ثمود وقال ابن جريج : قال عكرمة أصحاب الرس بليغ وهم أصحاب يس ، وقال قتادة : فليج من قرى الحماة وقال ابن أبي حاتم بإسناده عن ابن عباس في قوله (وأصحاب الرس) قال بر بادريجان وقال الثوري عن أبي بكر عن عكرمة الرس بر رسوا فيها بنهم أي دفعوه فيها ، وقال ابن إسحق عن محمد بن كعب

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الأسود وذلك أن الله تعالى بث نيا إلى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها إلا ذلك العبد الأسود ، ثم إن أهل القرية عدوا على النبي فحرقوا له بئرا فألقوه فيها ثم أطلقوا عليه بحجر أصم قال فكان ذلك العبد يذهب فيحطب على ظهره ثم يأتي بحطب فيبيعه ويشترى به طعاما وشرايا ثم يأتي به إلى تلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويبيته الله تعالى عليها فيدلى إليه طعاما وشرايا ثم يردحا كما كانت ، قال فكان ذلك ماماه الله أن يكون ، ثم إنه ذهب يوما يحطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحمله وجد سنة فاضطجع فقام فضرب الله على أذنه سبع سنين ثم إنه هب فتمطى فتحول لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ثم إنه هب واحتمل حزمته ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار فجاء إلى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاما وشرايا كما كان يصنع ثم إنه ذهب إلى الحفيرة موضعها الذي كانت فيه فلقه فلم يجده وكان قد بدا لقومه فيه بداء فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه ، قال فكان نبيهم يسألهم عن ذلك الأسود ماثل فيقولون له لاندري حتى قبض الله النبي وهب الأسود من نومه بعد ذلك » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ذلك الأسود لأول من يدخل الجنة » وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن سلة عن محمد بن إسحق عن محمد بن كعب مرسل وفيه غرابة ونكارة ولعل فيه إدراجا والله أعلم ، وقال ابن جرير لا يجوز أن يحمل هؤلاء على أنهم أصحاب الرأس الذين ذكروا في القرآن لأن الله أخبر عنهم أنه أهلكتهم وهؤلاء آمنوا بنبيهم إلا أن يكون حدث لهم أحداث آمنوا بالنبي بمدحهم والله أعلم ، واختار ابن جرير أن للراد بأصحاب الرس هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج والله أعلم . وقوله تعالى (وقرونا بين ذلك كثيرا) أي وأما أشخاص من ذكر أهلكتهم كثيرة ولهذا قال (وكلا ضربنا له الأمثال) أي بيناهم المجمع ووضحنا لهم الأمثلة كما قال قتادة وأزنا الأعداد عنهم (وكلا ضربنا تبييرا) أي أهلكتنا إهلا كما كتبه تعالى (وكما أهلكتنا من القرون من بدنوح) والقرن هو الأمانة من الناس كقوله (ثم أنفأنا من بدنهم قرونا آخرين) وحده بعضهم بمائة وعشرين سنة وقيل بمائة وقيل بتأنيث وقيل أربعين وقيل غير ذلك والأظهر أن القرن هو الأمة المتعاصرون في الزمن الواحد وإذا ذهبوا وخلفهم جيل فهو قرن آخر كآبث في الصحيحين « خير القرون قرني ثم الدين يؤمنهم ثم الدين يؤمنهم » الحديث (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء) يعني قرية قوم لوط وهي سدوم التي أهلكتها الله بالقلب والظفر من الحجارة التي من سجل كما قال تعالى (وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر للنذرين) وقال (وإنكم لترون عليهم مصبين) وبالبال أفلا تفقون وقال تعالى (وإنها لبسيلة مقيم) وقال (وإنها لبسيلة مقيم) ولهذا قال (أفلم يكونوا يرون) أي فيفتبروا بما حل بأهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم بالرسول وبمخالفتهم أوامر الله (بل كانوا لا يرجون نشورا) يعني لما رآوا فيها من الكفار لا يعتبرون لأنهم لا يرجون نشورا أي معادا يوم القيامة

(وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخَذُّوكَ إِلَّا هُزُوا أَهَذَا الَّذِي بَشَّرْنَاكَ اللَّهُ رُسُلًا إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءِآيَاتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَن أَصْلَ سَبِيلِكَ أَرَأَيْتَ مَن اتَّخَذَ إِلَهَهُ مَوْتَهُ أَفَأَن تَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا هُم تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَسْمَعُونَ إِنَّمَا كَالْثُبْنِ بَل مِم أَصْلَ سَبِيلِكَ)

غير تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول ﷺ إذا رآوه كما قال تعالى (وإذا رآك الذين كفروا إن يخشونك إلا هزوا) الآية يهونه إليهم والتقص ، وقال فيها (وإذا رآوك إن يخشونك إلا هزوا) أهذا الذي بثر الله رسولا ؟ أي على سبيل التقص والازدراء قهيجهم الله كما قال (ولقد استهزؤا برسول من قبلك) الآية . وقوله تعالى (إن كاد ليضلنا عن آلهتنا) يهونون أنه كاد يضلهم عن عبادة الأصنام لولا أن صبروا وتحملوا واستمروا عليها . قال الله تعالى متوعدا لهم ومتهددا (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) الآية . ثم قال تعالى ليبيد منها أن من

كتب الله عليه الشقاوة والضلال فانه لا يهديه أحد إلا الله عز وجل (أرايت من اتخذ إلهه هواه) أى هما استحسنا من شيء وركه حسنا في هوى نفسه كان دينه ومذهبه كما قال تعالى (أفئن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء) الآية ولهذا قال مهنا (أفأتنت تمكون عليه وكيلاً) قال ابن عباس كان الرجل في الباهلية يمد الحجر الأبيض زماناً فلما رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول . ثم قال تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يخافون) الآية أى هم أسوأ حالاً من الأنعام السارحة فان تلك فعل ما خلقت له وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له فلم يفعلوا وهم يمدنون غيره ويشركون به مع قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل اليهم

(أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِيَسَاءَ وَأَلْفَوْهُ سَيَّئًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا)

من مهنا شرع سبحانه وتعالى في بيان الأدلة المالة على وجوده وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادة فقال تعالى (أأنرى إلى ربك كيف مد الظل) قال ابن عباس وابن عمر وأبو المالية وأبو مالك ومسروق ومجاهد وسعيد بن جبير والنخعي والضحاك والحسن وقتادة : هو ما بين طلوع النجر إلى طلوع الشمس (ولو شاء لجعله ساكناً) أى دائماً لا يزول كما قال تعالى (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً) الآيات . وقوله تعالى (ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) أى لولا أن الشمس تطلع عليه لماعرف فان الضد لا يعرف إلا بشده ، وقال قتادة والسدي دليلاً تلوه وتبته حتى تاتي عليه كله . وقوله تعالى (ثم قبضناه إنا قبضاً يسيراً) أى الظل وقيل الشمس (يسيراً) أى سهلاً قال ابن عباس سريماً وقال مجاهد خفياً وقال السدي قبضاً خفياً حتى لا يبق في الأرض ظل إلا تحت سقف أو تحت شجرة وقد أظلت الشمس ما فوقه ، وقال أيوب بن موسى في الآية (قبضاً يسيراً) قليلاً قليلاً ، وقوله (وهو الذي جعل لكم الليل لئلا يلبس الوجود ويشاء كما قال تعالى (والليل إذا يشئ) (والنوم سباتاً) أى قاطعاً للحركة لراحة الأبدان فان الأعضاء والجوارح تسكن من كثرة الحركة في الانتشار بالنهار في اللباس فاذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات فاستراح فصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معاً (وجعل النهار نشوراً) أى ينتشر الناس فيه لما يشئهم ومكاسبهم وأسبابهم كما قال تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل لئلا تسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) الآية

(وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَجَعَلْنَا مَاءَ طُحُورًا * لَنُخَفِّيَ بِهِ بَلَدةً مَيْقًا وَنُسَفِّهِهَ يَمًا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا)

وهذا أيضاً من قدرته التامة وسلطانه العظيم وهو أنه تعالى يرسل الرياح بمشرات أى بجبهى السحاب بعدها والرياح أنواع في صفات كثيرة من التسخير فيها مآثير السحاب ، ومنها ما يحمله ومنها ما يسوقه ومنها ما يكون بين يدي السحاب مبشراً ومنها ما يكون قبل ذلك ثم الأرض ومنها ما يلقح السحاب ليطر ولهذا قال تعالى (وأنزلاً من السماء ماء طهوراً) أى آلة تطهر بها كالسحور والوجود وما جرى مجراها . فهذا أمع ما يقال في ذلك ، وأما من قال إنه قول بمعنى فاعل أى أنه مبنى للمبالغة والتعدي فعلى كل منهما إشكالات من حيث اللغة والحكم ليس هذا موضع بسطها وإفهامها . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أن يسناده إلى حميد الطويل عن ثابت البناني قال دخلت مع أبي العالية في يوم مطير وطرق البصرة فندرة فعلى قتلته فقال (وأنزلاً من السماء ماء طهوراً) قال طهره ماء السماء وقال أيضاً حدثنا أنى حدثنا أبو سولة حدثنا وهيب عن داود عن سعيد بن السبب في هذه الآية قال : أنزله الله طهوراً لا ينجسه شيء . وعن أنى سعيد قال : قيل يا رسول الله أتوضأ من يثر بضاعة وهى يثر يلقي فيها التبن ولحم الكلاب ؟ فقال : إن الماء طهور لا ينجسه شيء . رواه الشافعي وأحمد وصححه وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي . وروى ابن أبي حاتم بإسناده

حدثنا أبي حدثنا أبو الأعمش حدثنا معتمر سمعت أبي يحدث عن سيار عن خالد بن يزيد قال : كنا عند عبد الملك بن مروان فذكروا للماء فقال خالد بن يزيد : منه من السماء ومنه ما يبقية النعم من البحر فيذهب الرعد والبرق فأما ما كان من البحر فلا يكون منه نبات فأما النبات فما كان من السماء ، وروى عن عكرمة قال ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها في الأرض عشباً أو في البحر لؤلؤة ، وقال غيره : في البر روي في البحر در ، وقوله تعالى (لنحيي به بلدة ميتاً) أى أرضاً قد طال انتظارها للغيث فهي هامة لا نبات فيها ولا شيء فلما جاءها الحياء عاشت واكتست ربها أنواع الأزهار والألوان كما قال تعالى (فلما أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) الآية (ونسقيها مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً) أى وليسرب منه الحيوان من أنعام وأناسي محتاجين إليه غاية الحاجة لشرابهم وزروعهم وتمازجهم كما قال تعالى (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قطفوا) الآية وقال تعالى (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يعمي الأرض بدموعها) الآية : وقوله تعالى (ولقد صرفناه بينهم لذكروا) أى أمطرنا هذه الأرض دون هذه وسقنا السحاب يمر على الأرض ويتصدها ويتجاوزها إلى الأرض الأخرى فيمطرها ويكدها ويصلها غسقا والى وراها لم ينزل فيها قطرة من ماء ، وفي ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة ، قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ليس عام بأكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه كيف يشاء ثم قرأ هذه الآية (ولقد صرفناه بينهم لذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا) أى لذكروا بأحياء الله الأرض للنبات أنه قادر على إحياء الأموات والعظام الرفات . أو لذكر من منع المطر إنما أصابه ذلك بذنب أصابه فيقتل عما هو فيه . وقال عمر مولى عقبة : كان جبريل عليه السلام في موضع الجنائز فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا جبريل إني أحب أن أعلم أمر السحاب » قال : فقال له جبريل يا نبي الله هذا ملك السحاب فله قال تأتينا صلكا مخمنة : أسقى بلاد كذا وكذا ، كذا وكذا قطرة . رواه ابن أبي حاتم وهو حديث مرسل وقوله تعالى (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) قال عكرمة يعني الذين يقولون مطرا بنوء كذا وكذا وهذا الذي قاله عكرمة كما صح في الحديث المخرج في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه يوما على أمر سماء أصابهم من الليل « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب »

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَيمَتْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ۚ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَهَدْنَاهُمْ بِجِهَادٍ كَبِيرٍ ۚ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلْ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا ۚ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝﴾

يقول تعالى (ولو شئنا ليمتنا في كل قرية نذيرا) يدعوم إلى الله عز وجل ولكننا خصصناك يا محمد بالبيعة إلى جميع أهل الأرض وأمرناك أن تبشهم هذا القرآن (لأنذركم به ومن بلغ) (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) (تتنزل أم القرى ومن حولها) (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) وفي الصحيحين « بئت إلى الأحمر والأسود » وفيهما « وكان النبي يبيت إلى قومه خاصة ويبيت إلى الناس عامة » ولهذا قال تعالى (فلا تطع الكافرين وجاهدهم) يعني بالقرآن قاله ابن عباس (جهادا كبيرا) كما قال تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) الآية وقوله تعالى (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج) أى خلق للمؤمنين الحلو والمليح ، فالحلو كالأنهار والبحرين والآبار وهذا هو البحر الحلو المذهب الفرات الزلال : قاله ابن جرير واختاره ابن جرير ، وهذا المعنى لاشك فيه فإنه ليس في الوجود بحر ساكن وهو عذب فرات ، والله سبحانه وتعالى إنما أغبر بالواقع لبنة البعاد على نعمه عليهم ليذكروا ، فالبحر المذب هو هذا السارح بين الناس فرقه الله تعالى بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهارا وعيونا

في كل أرض بحسب حاجتهم وكفايتهم لأنفسهم وأراضيهم وقوله تعالى (وهذا ملح أجاج) أى ملح مر زعاق لا يستساغ وذلك كالبحار المعروفة في للشارق والغارب : البحر المحيط وما يتصل به من الزقاق وبحر القلزم وبحر اليمن وبحر البصرة وبحر فارس وبحر الصين والمند وبحر الروم وبحر الحزر وما غاكلها وشابها من البحار الساكنة التي لا تجري ، ولكن توجع وتضطرب وتنتظم في زمن الشتاء وشدة الرياح ، ومنها ما فيه مد وجزر ، ففي أول كل شهر يحصل منها مد وفيض فإذا شرع الشهر في نقصان جزرت حتى ترجع إلى غايها الأولى ، فإذا استهل الحلال من الشهر الآخر شرعت في اللد إلى الالية الزاوية عشرة ثم تفرغ في النقص ، فاجرى الله سبحانه وتعالى - وهو ذو القدرة التامة - المادة بذلك ، فكل هذه البحار الساكنة خلقها الله سبحانه وتعالى مألحة لئلا يحصل بسببها نتن الهواء فيفسد الوجود بذلك ، ولئلا تجوى الأرض بما يموت فيها من الحيوان ، ولما كان ماؤها ملحا كان هوؤها صحيحا وميتها طيبة ولهذا قال رسول الله ﷺ وقد سئل عن ماء البحر أتوضأ به ؟ فقال « هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته » رواه الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأهل السنن بإسناد جيد وقوله تعالى (وجعل بيننا برزخاً وجهاً) أى بين العذب والمالح (برزخاً) أى حاجزاً وهو ليس من الأرض (وجهاً محجوراً) أى مانعاً من أن يصل أحدهما إلى الآخر كقوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبيان فباى آلاء ربك تكذبان) وقوله تعالى (أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً إله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يلبون) وقوله تعالى (وهو الذى خلق من الماء بشراً) الآية أى خلق الإنسان من نطفة ضعيفة فسواء وعده وجهه كامل الحلقة ذكراً وأنثى كما يشاء (فجعله نسا وصهراً) فهو في ابتداء أمره ولد نسب ثم يتزوج فيسير صهراً ثم يصير له أصهار وأختان وقربات ، وكل ذلك من ماء مهيئ ولهذا قال تعالى (وكان ربك قديراً)

﴿ وَيَذْكُرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُذُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا * الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَبِّحْهُ بِحَمْدِهِ خَيْرًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾

يخبر تعالى عن جهل المشركين في عبادتهم غير الله من الأصنام التي لا تملك له خيراً ولا تضره ولا تفعل بلا دليل قادم إلى ذلك ولا حجة أدتهم إليه بل بمجرد الأراء ، والتشبهى والأهواء ، فهم ، والوثمن وقانون في سبيلهم ويمادون الله ورسوله والمؤمنين فهم ولهذا قال تعالى (وكان الكافر على ربه ظهيراً) أى عوناً في سبيل الشيطان على حزب الله وحزب الله هم القائلون كما قال تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة لهم يصرون لا يستطيعون نصرةهم وهم لهم جند محضرون) أى آلهتهم التي اتخذوها من دون الله لا تملك لهم نصراً ، وهؤلاء الجهلة للأصنام جند محضرون يقاتلون عنهم ، ويدعون عن حوزتهم ، ولكن الماتية والنصرة لله ورسوله وللمؤمنين في الدنيا والآخرة قال مجاهد (وكان الكافر على ربه ظهيراً) قال يظاهر الشيطان على عصية الله وبینه ، وقال سعيد بن جبير (وكان الكافر على ربه ظهيراً) يقول عوناً للشيطان على ربه بالمداوة والشرك ، وقال زيد بن أسلم (وكان الكافر على ربه ظهيراً) قال موالياً ، ثم قال تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه (وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً) أى مبشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين ، مبشراً بالجنة لمن أطاع الله ونذيراً لمن أبى عذاب شديد لمن خالف أمر الله (قل ما أسألكم عليه من أجر) أى على هذا البلاغ وهذا الانذار من

أجرة أطلعها من أموالكم وإنما أفعل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى (لمن شاء منكم أن يستهم) (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) أي طريقا ومسلكا ومنها يقتدى فيها بما جئت به ، ثم قال تعالى (وتوكل على الله الذي لا يموت) أي في أمورك كلها كن متوكلا على الله الذي لا يموت أي الذي هو (الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) الدائم الباقي السرمدي الأبدي الحي القيوم رب كل شيء ومليكه أجهله ذكره ولملجأه ، وهو الذي يتوكل عليه ويفزع إليه فإنه كفايتك وناصرك ومؤيدك ومظفرك كما قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) . وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل قال قرأت على معقل بن أبي عبيدة عن عبد الله بن أبي حسين عن شهر بن حوشب قال ، لقي سلمان النبي ﷺ في بعض فجاج المدينة فسجد له فقال « لا تسجد لي يا سلمان واسجد للحق الذي لا يموت » وهذا مرسل حسن . وقوله تعالى (وسبح بحمده) أي اقرن بين حمده وتسميته ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك » أي أخلص له العبادة والتوكل كما قال تعالى (رب الشرق والغرب لإله الإلهوا فأتخذه وكيفا) وقال تعالى (فاعبد وتوكل عليه) وقال تعالى (قل هو الرحمن أعابه عليه وتوكلنا) وقوله تعالى (وكفى به بذنوب عباده خيرا) أي بملء التام الذي لا يخفى عليه خافية ولا يحزب عنه مثقال ذرة . وقوله تعالى (الذي خلق السموات والأرض) الآية أي هو الحي الذي لا يموت وهو خالق كل شيء ورب ومليكه الذي خلق بشدته وسلطانه السموات السبع في ارتفاعها واتساعها والأرضين السبع في سفولها وكثافتها (في ستة أيام ثم استوى على العرش) أي يدير الأمر ويقضى الحق وهو خير الفاضلين وقوله (ثم استوى على العرش الرحمن فأسأل به خيرا) أي استسلم عنه من هو خير به عالمه فاقبته واقتد به ، وقد علم أنه لأحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة الذي لا ينطق عن الهوى ، إنه هو الإله الحي ، فثابته فهو الحق وما أخبره به فهو الصدق ، وهو الإمام المحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء وجب رد نزاعهم إليه لما وافق أقواله وأفعاله فهو الحق ، وأما خلفا فهو مردود على قوله وفعله كائنا من كان قال الله تعالى (فإن تنازعتم في شيء) الآية وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) وقال تعالى (وتبت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي صدقا في الاخبار وعدلا في الأوامر والنواهي ولهذا قال تعالى (فأسأل به خيرا) قال مجاهد في قوله (فأسأل به خيرا) قال ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك . وكذا قال ابن جريج وقال بشر بن عطية في قوله (فأسأل به خيرا) هذا التكرار خير به . ثم قال تعالى منكرا على الشركين الذين يسجدون لتفسير الله من الأصنام والأنداد (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) أي لا نعرف الرحمن وكان ينكرون أن يسمى الله باسمه الرحمن كما أنكروا ذلك يوم الحديبية حين قال النبي ﷺ للكاتب « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقالوا لانعرف الرحمن ولا الرحيم ولكن اكتب كما كنت تكتب : باسمك اللهم ، ولهذا أنزل الله تعالى (قل ادعوا الله وأدعوا الرحمن أيادعوا فله الأسماء الحسنى) أي هو الله وهو الرحمن . وقال في هذه الآية (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) أي لانعرفه ولا نعرفه (أنسجد لما تأمرنا) أي لجبره قولك (وزادهم خوفا) فأما المؤمنون فإتهم يعبدون الله الذي هو الرحمن الرحيم ويفردونه بالإلهية ويسجدون له ، وقد اتفق العلماء رحيمهم الله على أن هذه السجدة التي في القرآن مشروع السجود عندها لتأريخها واستمعها كما هو مقرر في موضعه والله سبحانه وتعالى أعلم .

(تَبَارَكَ الَّذِي جَمَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَمَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَمَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا)

يقول تعالى مجدا نفسه ومعظمها على جميل ما خلق في السواوات من البروج وهي الكواكب النظام في قول مجاهد

وسعيد بن جبير وأبو صالح والحسن وقتادة . وقيل هي تصور في السماء للحرس ، يروى هذا عن علي وابن عباس ومحمد ابن كعب وإبراهيم النخعي وسليمان بن مهران الأعشى ، وهو رواية عن أبي صالح أيضا والقول الأول أظهر . اللهم إلا أن يكون السكاك العظيم هي تصور للحرس فيجتمع القولان كما قال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) الآية ولهذا قال تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا) وهي الشمس للثيرة التي هي كالسراج في الوجود كما قال تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا) (وقرأ متبرا) أي مشرقا مضيئا بنور آخر من غير نور الشمس كما قال تعالى (وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) وقال غيره عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه (ألم تتروا كيف خلق الله سبع موتات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) ثم قال تعالى (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) أي خلف كل واحد منهما صاحبه يتماقبان لا يفتران إذا ذهب هذا جاء هذا وإذا جاء هذا ذهب ذلك كما قال تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر ذابين) الآية وقال (ينشئ الليل النهار يطلبه حثيثا) الآية وقال (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) الآية . وقوله تعالى (لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) أي جعلهما يتماقبان توقفا لعبادة عباده له عز وجل فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار ومن فاته عمل في النهار استدركه في الليل ، وقد جاء في الحديث الصحيح « ان الله عز وجل يسقط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويسقط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل » وقال أبو داود والطحاوي حدثنا أبو حمزة عن الحسن أن عمر بن الخطاب أطل صلاة الضحى قليله صنعت اليوم عينا لم تكن تصنع فقال إنه بقي طي من وروى شيئا فاجبت أن آتاه أوقال أقضيه وتلاه هذه الآية (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) . وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية يقول من فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار ، أو من النهار أدركه بالليل وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقال مجاهد وقتادة خلفة أي مختلفين أي هذا بسواده وهذا بضيائه

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا أَفْقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْرَأُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوْلًا ﴾

هذه صفات عباد الله المؤمنين (الذين يمشون على الأرض هونا) أي بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار كقوله تعالى (ولا تعسف على الأرض مرحا) الآية فأما هؤلاء فليهم يمشون من غير استكبار ولا مرح ولا أسر ولا بطر ، وليس الراد أنهم يمشون كالرضى تصنعا ورياء فقد كان سيد ولد آدم عليه السلام إذا مشى كأنما ينحط من سبب وكأما الأرض تطوى له ، وقد ذكره بعض السلف للشي بضعف وتصنع حتى روى عن عمر أنه رأى شابا يمشى رويدا فقال ما باله أنت مريض ؟ قال لا يا أمير المؤمنين فسلالة بالبرة وأمره أن يمشى بقوة . وإعنا الراد بالهون هنا السكينة والوقار كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأتتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة فما أدركتم منها فصلوا وما فاتكم فاتوا » وقال عبادة بن المبارك عن معمر عن عمر بن الخطاب عن الحسن البصري في قوله (وعباد الرحمن) الآية قال : إن للمؤمنين قوم ذلل منهم والله الأسباع والأبصار والجوارح ، حتى يحسبهم الجاهل مرضى وما بالهم من مرض ، ولهم الله لأصحاء ولكنهم دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنهم من الدنيا عليهم بالآخرة . فقالوا : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن . أما والله ما أحزنهم ما أحزن الناس ولا تعاطم في شوسهم شيء طلبوا به الجنة ، ولكن ألكام الخوف من النار ، إنه من لم يتعز بمراد الله قطع نفسه على الدنيا حسرات ومن لم ير لله نعمة إلا في مطعم أو مشرب فقد قل عليه وحضر عذابه . وقوله تعالى (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) أي إذا سفه عليهم الجاهل بالقول السيء لم يقابلهم عليه بمثله بل يسفون ويصفون ولا يقولون إلا

خيراً كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلاً وكما قال تعالى (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) الآية . وروى الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن الأعمش عن أبي خاله الوالي عن النعمان بن مقرن المزني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما إن ملكاً ينكح يذب عنك كلاماً تشتمك هذا قال له بل أنت وأنت أحق به ، وإذا قلت له وعليك السلام قال لا بل عليك وأنت أحق به » إسناده حسن ولم يخرجوه وقال مجاهد (قالوا سلاماً) يعني قالوا سداداً ، وقال سعيد بن جبير ردوا مرفوعاً من القول ، وقال الحسن البصري قالوا سلام عليكم إن جهل عليهم حلوا ، يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون ، ثم ذكر أن ليث بن سعد قال قال تعالى (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً) أي في طاعته وعبادته كما قال تعالى (كانوا قليلاً من الليل ما يهيمون وبالأشجار هم يستغفرون) وقوله (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآية وقال تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) الآية ولهذا قال تعالى (والذين يقولون ربنا أنصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً) أي ملازماً دائماً كما قال الشاعر :

إن يعلب يكن غراماً وإن يهـ طـ جزيلاً فإنه لا يئالي

ولهذا قال الحسن في قوله (إن عذابها كان غراماً) كل شيء يصيب ابن آدم ويترك عنه فليس يشرام وإنما الترام اللزام مادامت الأرض والسموات وكذا قال سليمان التيمي ، وقال محمد بن كعب (إن عذابها كان غراماً) يعني ما نعموا في الدنيا إن الله تعالى سأل الكفار عن النعمة فلم يردوها إليه فأغرمهم فأدخلهم النار (إنها ساءت مستقراً ومقاماً) أي بشئ للزلة منظر أو بشئ للقليل مقاماً ، وقال ابن أبي حاتم عند قوله (إنها ساءت مستقراً ومقاماً) حدثنا أبو حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن الأعمش عن مالك بن مالك بن الحارث قال : إذا طرح الرجل في النار هوى فيها فلذا انتهى إلى بعض أبوابها قيل له مكانك حتى تنخف قال فيسقى كأساً من سم الأسود والعقارب قال فيتميز الجلد على حدة والشر على حدة والصب على حدة والرووق على حدة . وقال أيضاً حدثنا أبو حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال إن في النار لجباب فيها حيات أمثال البعث وعقارب أمثال الببال ألهم فلذا قذف بهم في النار خرجت إليهم من أبوابها فأخذت بشباههم وأبشارهم وأشعارهم فكشفت لحومهم إلى أقدامهم فلذا وجدت حر النار رجعت

وقال الإمام أحمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا سلام يعني ابن مسكين عن أبي طلال عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن عبداً في جهنم لينادي ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله عز وجل لجبريل ذهب فأتني يبعدي هذا فينطلق جبريل فيجد أهل النار مكبين يكون فيرجع إلى ربه عز وجل فيخبره فيقول الله عز وجل أنتي به فأنه في مكان كذا وكذا فيجىء به فيوقه على ربه عز وجل فيقول له يا عبدي كيف وجدت مكانك ومتيكت ؟ فيقول ياربش مكانك وشرمقيل فيقول الله عز وجل : ردوا عبدي . فيقول يا رب ما كنت أرجو لئلا أخرجني منها أن تردني فيها فيقول الله عز وجل دعوا عبدي » وقوله تعالى (والذين إذا اتفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) الآية أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا يخلاء على أهليتهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم بل عدلاً خياراً وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا (وكان بين ذلك قواماً) كما قال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) الآية وقال الإمام أحمد حدثنا عصام بن خالد حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي التماسي عن ضمرة عن أبي البرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قته الرجل قصده في معيشته » ولم يخرجوه وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا مسكين بن عبد العزيز البدي حدثنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « ما عال من اقتصد » لم يخرجوه . وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون حدثنا سعد بن حكيم عن مسلم بن حبيب عن بلال - يعني العباسي - عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ « ما أحسن التصد في الشيء وما أحسن التصد في الفقر

وما أحسن القصد في العبادة » ثم قال لا تعرفه يروى إلا من حديث حذيفرضي الله عنه ، وقال الحسن البصري : ليس في النفقة في سبيل الله سرف ، وقال إياس بن معاوية : ما جاوزت به أمر الله تعالى فهو سرف . وقيل غيره السرف النفقة في مصيبة الله عز وجل

(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَلَا يَمْنَعُونَ ذَلِكَ بَلَىٰ أَتَيْنَا مَا يَصِفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا)

قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود قال سئل رسول الله ﷺ أي الذنب أكبر ؟ قال « أن تجعل لله أندادا وهو خلقك » قال ثم أي ؟ قال « أن تقتل ولدا خشية أن يطعمهم » قال ثم أي ؟ قال « أن تزني حليلة جارك » قال عبد الله وأزول الله تصديق ذلك (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) الآية وهكذا رواه النسائي عن هناد بن السرى عن أبي معاوية به ، وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث الأعمش ومنصور زاد البخاري وواصل ثلاثهم عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن أبي مسيرة عمرو بن شرحبيل عن ابن مسعود به قاله أعلم ، ولفظهما عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم ، الحديث . طريق قريب وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي حدثنا طاهر بن مدرك حدثنا السري يني ابن إسماعيل حدثنا الشعبي عن مسروق قال : قال عبد الله خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاتبعته فيجلس على نشر من الأرض وتحدث أسفل منه ووجهي حبال ركبتيه واغتمت خالوته وقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله أي الذنب أكبر ؟ قال « أن تدعوه لله تدعوه لخلقك » . قلت ثم مه ؟ قال « أن تقتل ولدا كراهية أن يطعم معك » قلت ثم مه قال « أن تزني حليلة جارك » ثم قرأ (والذين لا يدعون مع الله) الآية وقال النسائي حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن منصور عن هلال بن يساف عن سلمة بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع « ألا إنما هي أربع » فما أنا بأشع عليهم منذ سمعت من رسول الله ﷺ ؛ « لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنا ، ولا تسرقوا » وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن اللذين رحمه الله حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان حدثنا محمد بن سعيد الأنصاري سمعت أبا طيبة الكلاعي سمعت اللقداد بن الأسود رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « ما تقولون في الزنا ؟ » قالوا حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « لأن يزني الرجل بشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بأمرأة جاره » قال « فما تقولون في السرقة ؟ » قالوا حرمها الله ورسوله فهي حرام قال « لأن يسرق الرجل من عشرة آيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره » وقال أبو بكر بن أبي النديحدثنا عمر بن نصر حدثنا قتيبة عن أبي بكر بن أبي مريم عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعا رجل في رحم لا يحمل له » وقال ابن جرير أخرني يميل عن سعيد بن جبير أنه سمع ابن عباس يحدث أن ناسا من أهل الشرك قتلا فأكثروا وزنا فأكثروا ثم أتوا محمدا ﷺ فقالوا إن الذي نقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عمنا كفارة فنزلت (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) الآية ونزلت (قل يا عبادي أسرفوا على أنفسهم) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن عمرو عن أبي طاختة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل « إن الله يهلك أن تعبد الخلق وتدع الخالق ، وهناك أن تقتل ولدا وتصدقك ، وهناك أن يزني بحليلة جارك » قال سفيان وهو قوله (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) الآية . وقوله تعالى (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) روى عن عبد الله بن عمرو أنه قال : أثاما : واد في جهنم ، وقال عكرمة يلق أثاما) أودية في جهنم يندب فيها

الزناة . وكذا روى عن سعيد بن جبير ومجاهد ، وقال قتادة (يلقى أنثاماً) نكالا : كنا نحدث أنه وادى جهنم وقد ذكر لنا أن لقمان كان يقول : يا بني ، إياك والزنا فإن أوله عتاقة وآخره ندامة . وقد ورد في الحديث الذي رواه ابن جرير وغيره عن أبي أمامة الباهلي موقوفاً ومرفوعاً بن أبي أنثاماً يثربان في قبر جهنم . أجازنا الله منهما عنه وكرمه . وقال السيدي (يلقى أنثاماً) جزاء وهذا أشبه بظاهر الآية وبهذا فسر بما بعده مبدلamente وهو قوله تعالى (يضاعف له العذاب يوم القيامة) أي يكرر عليه ويغلظ (ويخلد فيه مهاناً) أي حقيراً ذليلاً . وقوله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً) أي جزأؤه على ما صل من هذه الصفات التيحة ماذكر (إلا من تاب) أي في الدنيا إلى الله عز وجل من جميع ذلك فإن الله يتوب عليه ، وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل ، ولا تمارض بين هذه وبين آية النساء (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) الآية فإن هذه وإن كانت مدنية إلا أنها مطلقة فتحمل على من لم يتب لأن هذه مقيدة بالتوبة ثم قد قال تعالى (إن الله لا يفرق بين شركاءه) الآية . قد ثبتت السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحة توبة القاتل كما ذكر مقررنا من قصة الذي قتل مائة رجل ثم تاب فقبل الله توبته وغير ذلك من الأحاديث ، وقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيماً) في معنى قوله (يبدل الله سيئاتهم حسنات) قولان أحدهما أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات ، قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال هم المؤمنون كانوا من قبل إيمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن السيئات فحولهم إلى الحسنات فأبدلهم مكان السيئات الحسنات ، وروى عن مجاهد عن ابن عباس أنه كان يشهد عند هذه الآية :

يدلني بعد حرمه خرفاً وبعد طول النفس الوجفا

يعني تثيرت تلك الأحوال إلى غيرها ، وقال عطاء بن أبي رباح هذا في الدنيا يكون الرجل على صفة قبيحة ثم يبدله الله بها خيراً . وقال سعيد بن جبير أبدلهم الله عبادة الأوثان عبادة الرحمن وأبدلهم بقتال المسلمين قتال للشركيين ، وأبدلهم بنكاح اللواتي نكاح المؤمنين ، وقال الحسن البصري أبدلهم الله بالعمل السوء العمل الصالح ، وأبدلهم بالفرق إخلاصاً ، وأبدلهم بالنجور إحساناً ، وبالكفر إسلاماً ، وهذا قول أبي العالبة وقاتة وسجاعة آخرين (والقول الثاني) إن تلك السيئات للآفة تنقلب بنفس التوبة الصوح حسنات ، وما ذلك إلا لأنه كلما تذكر ماضي ندم واسترجع واستغفر فيقلب الدن ب طاعة بهذا الاعتبار فيوم القيامة وإن وجدته مكتوباً عليه فإنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته كما ثبتت السنة بذلك وصحته الآثار المروية عن السلف رضي الله عنهم^(١) فمن في ذكر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار ، وآخر أهل الجنة دخولا إلى الجنة ، يؤتى برجل فيقول ليحوا عنه كبر ذنوبه وسوءه عن صفارها قال فيقال له : حملت يوم كذا وكذا ، وحملت يوم كذا ، وكذا وكذا ، فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئا فيقال : فإن لك بكل سيئة حسنة فيقول يارب حملت أشياء لا أراها هنا » قال فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ، انفرد بإخراجه مسلم . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هاشم بن يزيد حدثنا محمد بن إسحاق حدثني أبي حدثني ضمض بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « إذا نام ابن آدم قال اللهم لك الشيطان أعطني صحيفتك فيعطيه إياها لما وجد في صحيفته من حسنة مما بها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتبته حسنات فإذا أراد أحدهم أن ينام فيكتب ثلثاً وثلاثين تكبيرة ويحمد أربعا وثلاثين تحميدة ويسبح ثلاثاً وثلاثين تسبيحة فتلك مائة » . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة وعارم قال حدثنا ثابت يعني ابن يزيد أبو يزيد حدثنا عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال يعطى الرجل يوم القيامة صحيفته فيقرأ أعلاها فذا سيئاته فذا كاديسو ، ظنه نظر في أسفلها فذا حسناته ثم ينظر في أعلاها فذا هي قد بدلت حسنات ، وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا سلمان بن موسى الزهري أبو داود حدثنا أبو العباس عن أبيه عن أبي هريرة قال : لبأين الله عز وجل بأناس يوم القيامة رأوا أنهم قد استكثروا من السيئات ، قبل من هم بأباهريرة ؟ قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات . وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عبد الله (١) قوله نعم إن يدخل في نفس النسخ زيادة السند بإفظله . قال الإمام أحمد حدثنا أبو موسى حدثنا الأعرج عن المروزي عن موسى بن أبي الخزام

ابن أبي زياد حدثنا يسار حدثنا جعفر حدثنا أبو حمزة عن أبي الصنف - قلت وكان من أصحاب معاذ بن جبل - قال : يدخل أهل الجنة الجنة طرأ ربة أصناف الثمن ثم الشاكرين ثم الخاضعين ثم أصحاب الجنتين ، قلت لمعوا أصحاب الجنتين ؟ قال لأنهم قد عملوا بالسيئات والحسنات فأعطوا كتبهم بأيمانهم فقرأوا سيئاتهم حرفاً وحرفاً وقالوا ياربنا هل هذه سيئاتنا فأذن حسنتنا ، فمعد ذلك عما أله السيئات وجعلها حسنتاً فمعد ذلك قالوا : (ها هم أقرءوا كتابه) فهم أكثر أهل الجنة ، وقال طي ابن الحسين زين العابدين (يبدل الله سيئاتهم حسنتاً) قال في الآخرة وقال مكحول فبشرها لهم فيجعلها حسنتاً ورواهما ابن أبي حاتم ، وروى ابن جرير عن سعيد بن السبب منه . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير التميمي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو جابر أنه سمع مكحولاً يحدث قال : جاء شيخ كبير هرم قد سقط حاجباه على عينيه فقال يارسول الله رجل غدر وفجر ولم يدع حاجة ولا دابة إلا اقتطعها يمينه لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوثقتهم فهل له من توبة ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم «أأسلت ؟» قال أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم «فإن الله غافرك ما كنت كذلك ومبدل سيئاتك حسنتات» قال يارسول الله وغدراني وفجرائي ؟ قال «وغدرائك وفجرائك» فولى الرجل يكبر ويهلل : وروى الطبراني من حديث أبي اللثمة عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي فروة أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها ولم يترك حاجة ولا دابة فهل له من توبة ؟ فقال «أأسلت ؟» فقال نعم ، قال «فاضل الخيرات وأترك السيئات فيجعلها الله لك خيرات كلها» قال وغدراني وفجرائي ؟ قال «نعم» فزال يكبر حتى توارى ، ورواه الطبراني من طريق أبي فروة الرهاوي عن يابدين الزيات عن أبي سلفة الحمصي عن عيسى بن جابر عن سلمة بن زياد مرفوعاً ، وقال أيضاً حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن لئدر حدثنا عيسى بن شبيب بن ثوبان عن فليح بن عبيد بن أبي عبيد الشاس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاءتني امرأة فقالت هل لي من توبة ؟ إلى زيت وولدت وقتلت ، قلت : لا ولانمت البين ولا كرامة ، فقامت وهي تدعو بالحسرة ، ثم صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم الصبح فقصصت عليه ما قالت المرأة وما قلت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بشاً قلت أما كنت تخرأ هذه الآية ؟» (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر - إلى قوله - إلا من تاب) الآية فقراؤها عليها فخرت ساجدة وقالت الحمد لله الذي جعل لي مخرجاً ، هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي رجاله من لا يعرف والله أعلم ، وقد رواه ابن جرير من حديث إبراهيم بن لئدر الخزاعي بسنده نحوه وعنده فخرجت تدعو بالحسرة وتقول يا حسرتاً أأخلى هذا الحسن للثائر ؟ وعنده أنه لما رجع من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلبها في جميع دور المدينة فلم يجدها ، فلما كان من الليلة المقبلة جاءت فأخبرها بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرت ساجدة وقالت الحمد لله الذي جعل لي مخرجاً وتوبة مما عملت ، وأعتقت جارية كانت معها وابنتها وتاب إلى الله عز وجل ، ثم قال تعالى مخرجاً عن محوم رحمتي بعباده وأنه من تاب إليه منهم تاب عليه من أي ذنب كان جليلاً أو خفياً كبيراً أو صغيراً فقال تعالى (ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً) أي غفر الله قبل توبته كما قال تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) الآية وقال تعالى (المسلمون أن الله هو قبل التوبة عن عباده) الآية وقال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تنظروا من راحة الله) الآية أي لمن تاب إليه

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِالْبَاطِلِ مَرُّوا كَرُمًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِبَآئِلِهِمْ لَمْ يَخِرُّوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِقَاءَ رَبِّنَا﴾

وهذه أيضاً من صفات عباد الرحمن أنهم لا يشهدون الزور قيل هو الشرك وعبادة الأصنام وقيل الكذب والقسق والكفر والظن والباطل ، وقال محمد بن الحنفية هو الظن والتناء ، وقال أبو العالية وطاوس وابن سيرين والضحاك

والربيع بن أنس وغيرهم : هو أعياد الشركين . وقال عمرو بن قيس : هي المجالس السوء والحقا . وقال مالك عن الزهري : شرب الخمر لا يضره ولا يرغبون فيه كما جاء في الحديث « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر » . وقيل للراد قوله تعالى (لا يشهدون الزور) أي شهادة الزور وهي الكذب متمسدا على غيره كما في الصحيحين عن أبي بكره قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال « الشرك بالله وعقوق الوالدين » . وكان متسكنا فجلس فقال « ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت . والأظهر من السياق أن للراد لا يشهدون الزور أي لا يضره ولهذا قال تعالى (وإذا مروا باللغو مروا كراما) أي لا يضرهم الزور وإذا اتفق مروهم به مروا ولم يتدنسوا منه شيء . ولهذا قال (مروا كراما) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو الحسن البجلي عن محمد بن مسلم أخبرني إبراهيم بن ميسرة أن ابن مسعود مر به فسلم فوقف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد أصبح ابن مسعود أسوأ كريما » . وحدثنا الحسين بن محمد بن سلمة النحوي ثنا جابر أنا عبد الله أنا محمد بن مسلم أخبرني ميسرة قال بلغني أن ابن مسعود مر به فسلم فوقف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد أصبح ابن مسعود أسوأ كريما » ثم تلا إبراهيم بن ميسرة (وإذا مروا باللغو مروا كراما) وقوله تعالى (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صلوا وهميئا) وهذه أيضا من صفات المؤمنين (الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صلوا وهميئا) بخلاف الكافر فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يتغير حاله كان بلى في مستمر على كفره وطفليته وجهه وضلاله كما قال تعالى (وإذا ما أنزلت سورة فهم من يقول أيمك زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون » وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) قوله (لم يخروا عليها صلوا وهميئا) أي بخلاف الكافر الذي إذا سمع آيات الله فلا تؤثر فيه فيستمر على حاله كان لم يسمعها أصم أعمى . قال جاهد قوله (لم يخروا عليها صلوا وهميئا) قال لم يسمعوا ولم يصروا ولم يقفوا شيئا . وقال الحسن البصري رضى الله عنه : كم من رجل يقرأها ويخروا عليها أصم أعمى . وقال قتادة قوله تعالى (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صلوا وهميئا) يقول لم يسمعوا عن الحق ولم يصدوا فيه فهم والله قوم غفلوا عن الحق وانتشروا بما سمعوا من كتابه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أسيد بن قاصم حدثنا عبد الله بن حوران ثنا ابن عوف قال سألت الشعبي قلت الرجل يرى القوم سجودا ولم يسمع ما يسجدوا أيسجد معهم ؟ قال فتلا هذه الآية : يعني أنه لا يسجد معهم لأنه لم يتدبر أمر السجود ولا يفتنى للمؤمن أن يكون إيماء بل يكون على صيرة من أمره وشين واضح بين وقوله تعالى (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين) يعني الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذرياتهم من يطبهه ويسدده وحده لا شريك له قال ابن عباس يحنون من يحمل بطاعة الله فتهرب أعينهم في الدنيا والآخرة قال عكرمة : لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالا ولكن أرادوا أن يكونوا مطمئنين . وسئل الحسن البصري عن هذه الآية فقال أنا يرى الله البديع من زوجته ومن أخيه ومن حبه طاعة الله لا والله لا شيء أقرب لمن السلم من أن يرى ولما أول ولد له أوأواها وأوحيا مطمئنا فله عز وجل قال ابن جريج في قوله (هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين) قال يبدونك فيحسنون عبادتك ولا يجرون علينا الجرائز . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني يسألون الله تعالى لأزواجهم وذرياتهم أن يهدمهم للإسلام وقال الإمام أحمد حدثنا معمر بن بشير حدثنا عبد الله بن الليث أخبرنا صفوان بن عمرو حدثني عبد الرحمن بن جبير عن قيس عن أبيه قال : جلسنا إلى للقداد بن الأسود يوما فمر به رجل فقال طوبى لهاتين العينين اللتين رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم لودنا أننا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت فاستغضب للقداد فجلست أعجب لأنه ما قال إلا خيرا . ثم أقبل إليه فقال ما فعل الرجل على أن يشقى حضرا غيبه الله عنه لا يدري لوشهده كيف يكون فيه . والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوام أكره الله على متلخرهم في جهنم لم يحببوه ولم يصدقوه . وأولا محمد بن الله إذ أخرجه من بطون أمهاتكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم قد كفيتم البلاء بفسركم ؟ قد بث الله النبي

صلى الله عليه وسلم على أشرف حال يست عليها نبيا من الأنبياء في فترة جاهلية ، ما يرون أن دينا أفضل من عبادة الأوثان فجاء بقرآن فرق بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده إن كان الرجل يرى والده وولده وأخاه كافرا وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان يعلم أنه إن هلك دخل النار ، فلا تفر عنه وهو يعلم أن حبيبه في النار ، وأنها التي قال الله تعالى (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه ، وقوله (تعالى) (واجعلنا لعمتين إماما) قال ابن عباس والحسن والسدي وقادة والربيع بن أنس أئمة يقتدى بنا في الخير. وقال غيرهم هداة مهتدين دعاة إلى الخير فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذريتهم وأن يكون هدايتهم متعدية إلى غيرهم بالنفع وذلك أكثر ثوابا ، وأحسن مأبى ، ولهذا ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به من بعده أو صدقة جارية »

(أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَجْوَىٰ رَبِّهِمْ يَنصِتُونَ ۚ سَخَّرْنَا لَهُمْ قُلُوبًا مَا يَرْغَبُونَ ۚ قُلْ مَا يَنْتَبِهُونَ لَكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ قَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۚ)

لما ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من الصفات الجليلة ، والأقوال والأفعال الجليلة ، قال بعد ذلك كله (أولئك) أي المتصفون بهذه (يجزون) يوم القيامة (الغرفة) وهي الجنة ، قال أبو جعفر الباقر وسعيد ابن جببر والضحاك والسدي سميت بذلك لارتضاعها (بما صبروا) أي على القيام بذلك (ويلقون فيها) أي في الجنة (نحوة وسلاما) أي يتدبرون فيها بالتحية والإكرام . ويلقون التوقير والاحترام ، فلهم السلام وعليهم السلام ، فإن لللائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، وقوله تعالى (خالدين فيها) أي مقعدين لا يظعنون ولا يحولون ولا يموتون ولا يزولون عنها ولا يفتنون عنها حولا كما قال تعالى (وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض) الآية . وقوله تعالى (حسنتم مستقرا ومقاما) أي حسنت منظرا وطابت مقبلا ومنزلا . ثم قال تعالى (قل ما يبغى لكم ربى) أي لا يبالي ولا يكثر بكم إذا لم تعبدوه ، فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحّدوه ويسبحوه بكرة وأصيلا . قال مجاهد وعمر بن شبيب (ما يبغى لكم ربى) يقول ما يفعل بكم ربى ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس في قوله (قل ما يبغى لكم ربى) الآية يقول لولا إيمانكم ، وأخبر تعالى الكفار أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين ولو كان له بهم حاجة لحب إليهم الإيمان كاحبيه إلى المؤمنين ، وقوله تعالى (فقد كذبتم) أي الكافرون (فسوف يكونون لزاما) أي سوف يكون تكذيبكم لزاما لكم يحى مفتضيا لذنابكم وهلاككم ودماركم في الدنيا والآخرة ، ويدخل في ذلك يوم بدر كافره بذلك عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب ومحمد بن كعب القرظي ومجاهد والضحاك وقادة والسدي وغيرهم وقال الحسن البصرى (فسوف يكونون لزاما) أي يوم القيامة ، ولا منافاة بينهما. آخر تفسير سورة الفرقان وقه الحمد والمنة .

(تفسير سورة الشعراء وهي مكية)

(ووقع في تفسير مالك للروى عنه قسمتها سورة الجامعة)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(طَسَمَ ۚ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۚ لَمَّا كُنْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَمِعْتُمْ لَوْنًا ۚ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ آتِمْنَ حَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۚ قَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۚ أُولَئِكَ يَرْوُونَ

إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

أما الكلام على الحروف للقطعة في أوائل السور فقد تكلمنا عليه في أول تفسير سورة البقرة . وقوله تعالى (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ اللَّيْنِ) أى هذه آيات التران للين أى اللين الواضع الجلى الذى يغسل بين الحق والباطل والحقى والرشاد . وقوله تعالى (لِمَا بَاخِعْ) أى مهلك (نَسَكَ) أى مما تحرس وتحزن عليهم (أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) وهذه تسلي من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار كما قال تعالى (فَلَا تَنْهَبْ نَسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) كقوله (فَلِمَا بَاخِعْ نَسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ) الآية . قال مجاهد وعكرمة وقادة وعطية والضحاك والحسن وغيرهم (لِمَا بَاخِعْ نَسَكَ) أى قاتل نَسَكَ قال الشاعر :

أَلَا أَيْدِي الْبَاخِعِ الْحَزَنُ نَسَهُ لِقَى نَحْتَهُ عَنْ يَدَيْهِ لِلْقَادِرِ

ثم قال تعالى (إِنْ نَشَأْ تَرْجُلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّ أَغْنَاهُمْ لَهَا خَاسِئِينَ) أى لو نشاء لأزينا آية تضطرهم إلى الإيمان فقرا ولكن لا فضل ذلك لأننا لا نريد من أحد إلا الإيمان الاختيارى . وقال تعالى (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا • فَأَمَّا تَكْتَرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) وقال تعالى (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَلَّ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) الآية فنفذ قدره ومضت حكمته وقامت حجة البينة على خلقه بإرسال الرسل إليهم وإزالة الكتب عليهم ثم قال تعالى (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُعَدِّدٍ لِآيَاتِهِمْ لِيُحْجِجَ اللَّهُ بِهِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) أى كلما جاءهم كتاب من السماء أعرض عنه أكثر الناس كما قال تعالى (وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) وقال تعالى (يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) وقال تعالى (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رُسُلَهُمْ كَذَبُوهُمُ) الآية ولهذا قال تعالى هنا (قَدْ كَذَبُوا نَسِيَانِهِمْ أَبَاءَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أى فقد كذبوا بما جاءهم من الحق ليسلمون نبأ هذا التكذيب بعد حين (وسيم الله دين ظلوا على منقلب يتقلبون) ثم نبه تعالى على عظمة سلطانه وجلالة قدره وشأنه الذين اجتروا على مخالفة رسوله وتكذيب كتابه وهو القاهر العظيم القادر الذى خلق الأرض وأنبت فيها من كل زوج كريم من زروع وفار وحيوان . قال سفيان الثوري عن رجل عن الشعبي : الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ، ومن دخل النار فهو لئيم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) أى دلالة على قدرة الخالق للأشياء الذى بسط الأرض ورفع بناء السماء ، ومع هذا ما آمن أكثر الناس بل كذبوا به ورسوله وكتبه وخالفوا أمره وارتكبوا نهيه . وقوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) أى الذى عز كل شئ وقهره وغلبه (الرَّحِيمُ) أى يخلق فلا يجعل على من عباده ما يؤجله وينظره ثم يأخذ به أخذ عزيز مقتدر . قال أبو العالية وقادة والريبع بن أنس وابن إسحاق : العزيز فى قهته وانتصاره من خالف أمره وعبد غيره ، وقال سعيد بن جبير : الرحيم بمن تاب إليه وأنبأ

(وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ • قَوْمُ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ • قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ • وَيَضْحِكُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَنْزِلْ إِلَى هَرُونَ • وَكَمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ • قَالَ كَلَّا فَادْخُلْهَا بِتَابِعَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ • فَأَتَا فِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ • أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ • قَالَ أَلَمْ نَرْبِّكُمَا فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ • وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْآتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ • قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ • فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَسَفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي زَوْجِي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ)

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَتَذَكَّرُ فِيهَا أَنَّ عَبْدَتِ بَنِي إِسْرَءِيلَ

يخبر تعالى عما أمر به عبده ورسوله وكنيته موسى بن عمران عليه السلام حين ناداه من جانب الطور الأيمن ، وكنهه وناجاه ، وأمره بالهجاب إلى فرعون ومكه ، ولهذا قال تعالى (أن اتت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون * قال رب إني أخاف أن يكذبون * وضيق صدرى ولا يطلق لسانى فأرسل إلى هارون * ولهم على ذنب فأجاب أن يتقون) هذه أعتذر سأل من الله إزاحتها عنه كما قال في سورة طه (قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمري) - قد أوتيت سؤالك يا موسى (وقوله تعالى (ولهم على ذنب فأجاب أن يتقون) أى بسبب قتل القبطى الذى كان سبب خروجه من بلاد مصر (قال كلا) أى قال الله له لا تخف من شيء من ذلك كقوله (سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكنا سلطانا - أى برهانا - فلا يسلون إليك بأياتنا أننا ومن اتبعك القلوبون) (فاذها بآياتنا إنا معكم مستمعون) كقوله (إني معك أسمع وأرى) أى إني معك يحفظنى وكلاءى ونصرى وتأيدى (فأتيا فرعون قولا إنا أنزلنا ربنا المائين) كقوله فى الآية الأخرى (إنا رسول ربك) أى كل منا أرسل إليك (وأن أرسل معنا بنى إسرائيل) أى أطلقهم من إسرائك وقبضتك وقهرك وتمذيك فأنهم عباد الله المؤمنين وحررهم من العتق والخصم وهم معك فى العذاب للبهين ؛ فلما قال له موسى ذلك أعرض فرعون هناك بالكلية ونظر إليه بعين الازدراء والتمص فقال (ألم نركب فينا وليدا) الآية أى أما أنت الذى ربنا فىنا وفى بيتنا وعلى فراشنا وأنعمنا عليه مدة من السنين ثم بعد هذا فأبليت ذلك الإحسان بتلك القفلة أن قتلنا من رجلا وجعلت نعمتنا عليك ولهذا قال (وأنت من الكافرين) أى الجاحدين . قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير (قال فلعننا إنا) أى فى تلك الحال (وأنا من الضالين) أى قبل أن يوحى إلى وينم الله على بالرسالة والنبوة . قال ابن عباس رضى الله عنهما وعلمنا بسوءناة والضالين وغيرهم (وأنا من الضالين) أى الجاهلين ، قال ابن جرير وهو كذلك فى قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (ففرقت منكم لما خفتكم) الآية أى أحصل الحال الأول وجاء أمر آخر فقد أرسلنى الله إليك فأن أطعته سلمت وإن خالفت عطيبت ، ثم قال موسى (وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل) أى وما أحسنت إلى وديعتى مقابل ما أسأت إلى بنى إسرائيل فجلستهم عبيدا وخدماء نصرهم فى أعمالك ومشاق رعبتك ، أفنى إحسانك إلى رجل وأخذ منهم بما أسأت إلى مجموعهم أى ليس ما ذكرته شيئا بالنسبة إلى ما فعلت بهم

(قَالَ فَرَعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لَمَنْ حَوَّلَهُ آلَ لَئِيْمٌ مِّنْ آلِ سَمِيعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَنَجْئُوكُمْ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ)

يقول تعالى يخبرنا عن كفر فرعون وتجرده وطغيانه وجعوده فى قوله (وما رب العالمين) وذلك أنه كان يقول لقومه (ما علمت لكم من إله غيرى) (فاستخف قومه فأطاعوه) وكانوا يمجدون الصانع مجل وعلا يستقدون أنه لارب لهم سوى فرعون ، فلما قال له موسى إني رسول رب العالمين قال له فرعون ومن هذا الذى تزعم أنه رب العالمين غيرى ؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف حتى قال السدى هذه الآية كقوله تعالى (قال فن ربك يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ومن زعم من أهل النطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الهاية فقد غلط فإنه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن الهاية بل كان جاحدا له بالكلية فيها يظهر وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه فنقد ذلك قال موسى لما سأله عن رب العالمين (قال رب السموات والأرض وما بينهما) أى خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه وإلهه لا شريك له هو الذى خلق الأشياء كلها العالم العلوى وما فيه من الكواكب

الثواب والسيارات الثيرات ، والمام السفلى وما فيه من بحار وقنار وجبال وأشجار وحوانات وثبات وثمار وما بين ذلك من الهواء والطير ، وما يحوى عليه الجو ، الجميع عبيد له خاضعون ذليون (إن كنتم موتين) أى إن كانت لكم قلوب موفقة وأبصار نافذة ، فبند ذلك التفت فرعون إلى من حوله من ملكه رؤساء دولته قائلاً لهم أى سبيل التمسك والاستهزاء والتكذيب لموسى فيها قاله (ألا تسمعون ؟) أى الاستجبون من هذا فى زعمه أن لكم لما غيى قال لهم موسى (ربكم ورب آبائكم الأولين) أى خالق آبائكم الأولين الذين كانوا قبل فرعون زمانه (قال) أى فرعون قولوه (إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون) أى ليس له عقل فى دعواه أن ثمربا غيى (قال) أى موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشبهة فأجاب موسى بقوله (رب للشرق وللغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) أى هو الذى جعل للشرق مشرقاً وتطلع منه الكواكب ، وللغرب مغرباً تقرب فيه الكواكب ثوابها وسياراتها مع هذا النظام الذى سخرها فيه وقدرها فإن كان هذا الذى يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقاً فليعكس الأمر وليجعل للشرق مغرباً وللغرب مشرقاً كما قال تعالى (الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذى يعبى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من الشرق فانت بها من الغرب) الآية . ولهذا لما غلب فرعون واشططت حيلته على إدل استعمال جهاه وقوته وسلطانه ، واعتقد أن ذلك نافع له وناقد فى موسى عليه السلام قتال ما أخبر الله تعالى عنه :

(قُلْ لِّئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ • قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ • قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • فَأَتَاهُ بَعَصَاهُ فَإِذَا هِيَ كُتْبَانٌ مُّبِينٌ • وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَةٌ لِلنَّظِيرِ • قَالَ لِلنَّاسِ حَوَافُهُ إِنَّ هَذَا لَشَرٌّ عَلِيمٌ • يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فكَذَا تَأْمُرُونَ • قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْنَيْ فِي الدَّائِرَةِ حَشِيرِينَ • يَا نُورُ كُلَّ سَحَابٍ عَلِيمٌ)

لما قامت الحجة على فرعون بالبيان والعقل عدل إلى أن يهر موسى يده وسلطانه فظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال فقال (لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين) فبند ذلك قال موسى (أولو جئتكم بشيء مبين ؟) أى يبرهان قاطع واضح (قال فأت به إن كنت من الصادقين • فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين) أى ظاهر واضح فى غاية الجلاء والوضوح والمظنة ذات قوائم وفم كبير وشكل هائل مزعج (ونزع يده) أى من جيبه (فإذا هي بيضاء للناظرين) أى تتلأأ كقطعة من القمر فبادر فرعون بشقاوته إلى التكذيب والناد فقال للدلاء حوله (إن هذا الساحر عليم) أى فاضل بارع فى السحر ، فروح عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لأن قبيل السحر : ثم جههم وحرضهم على مخالفته والكفر به فقال (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) الآية أى أراد أن يهبط بقلوب الناس معه بسبب هذا فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويضليكم على دولتكم فيأخذ البلاد منكم فأشهر على فيه ماذا أضع به ؟ (قالوا أرحه وأخاه وابث فى الدائره حاشرين • يا نور بكل سحار عليم) أى أخره وأخاه حتى تجمع له من مدائن مملكته وأقاليم دولته كل سحار عليم يقابلونه ويأتون بنظير ما جاء به فتضله أنت وتكون للأنصرة والتأييد فأجابهم إلى ذلك . وكان هذا من تمخيير الله تعالى لهم فى ذلك ليجمع الناس فى معبد واحد وتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس فى التبارج جهره

(فَجِئَ السَّحَرَةُ لِيَمِيتَ يَوْمَ مَعْلُومٍ • وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ • لَكَلْنَا نَبْعِ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْفَالِطِينَ • فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِرَبِّنَا أُنْزِلْنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْفَالِطِينَ • قَالَ نَمَّ وَإِنَّكُمْ إِذَا

لَيْنَ الْمُرِّيَيْنِ * قَالَ لَهُمْ مُوسَى اَلْقُوا مَا اُنْتُمْ مُتْلُونَ * فَاَلْقَوْا حِجَابَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بَرَزْنَا بِرُوحِنَا لِنَعْلَنَ الْفُلِيِّنَ * فَاَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَاِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَاَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ فَقَالُوا اءَاتَانَا رَبُّكَ الْمَلَكَيْنِ * رَبِّهِ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿

ذكر الله تعالى هذه المناظرة العظيمة بين موسى عليه السلام والقبط في سورة الأعراف وفي سورة طه وفي هذه السورة : وذلك أن القبط أرادوا أن يظنوا نور الله بأفواههم فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، وهذا شأن الكفر والإيمان مانواجها وتضالبا إلا غلبه الإيمان (بل تذهب الحق على الباطل فيدمته فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) (وقال جاء الحق وزهق الباطل) الآية ولهذا لما جاء السحرة وقد جمعوهم من أقاليم بلاد مصر ، وكانوا إذ ذاك أسحر الناس وأشدهم وأشدهم تخيلا في ذلك ، وكان السحرة جمعا كثيرا ؛ وجما غفيرا ، قيل كانوا اثني عشر ألفا وقيل خمسة عشر ألفا ، وقيل سبعة عشر ألفا ، وقيل تسعة وعشرين ألفا ، وقيل ثمانين ألفا ، وقيل غير ذلك والله أعلم بمدتهم . قال ابن إسحاق : وكان أمرهم راجعا إلى أربعة منهم وهم رؤسائهم وهم يسابور وعادور وحطاط ومصفى ، واجتهد الناس في الاجتماع ذلك اليوم وقال قائلهم (لعلنا تتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) ولم يقولوا تتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى بل الرعية على دين ملكهم (فلما جاء السحرة) أي إلى مجلس فرعون وقد ضربوا له وطاقا وجمع خدمه وحشمه ووزراءه ورؤساء دوله وجنود مملكته . فقام السحرة بين يدي فرعون يطلبون منه الإحسان إليهم والتقرب إليه إن غلبوا أي هذا الذي جمعتنا من أجله فقالوا (أمن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم إذا لمن القرين) أي وأخص مما تطلبون أجلكم من القرين عندي وجلسائي ، فنادوا إلى مقام المناظرة (قالوا يا موسى إما أن تلق وإما أن نكون أول من ألقى * قال بل ألقوا) وقد اختصر هذا ههنا فقال لهم موسى (ألقوا ما أنتم متلونون * فآلقوا حياهم وعصيتهم وقالوا برزة فرعون إنا لنحن الغالبون) وهذا كما تقول الجهة من العوام إذا فعلوا شيئا هذا ثواب فلان ، وقد ذكر الله تعالى في سورة الأعراف أنهم (سحروا عيني الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) وقال في سورة طه (فإذا حياهم وعصيتهم غيل إليه من سحهم أنها تسمى - إلى قوله - ولا يفلح الساحر حيث أتى) وقال ههنا (فآلقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون) أي تحتطفه وتجمعه من كل بقعة وتبتله فلم تدع منه شيئا قال الله تعالى (فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون - إلى قوله - رب موسى وهارون) فكان هذا أمرا عظيما جذبا وبرهانا قاطعا للسحر وحجة دامغة ، وذلك أن الذين استسخر بهم وطلب منهم أن يفلتوا غلبوا وخضعوا وآمنوا بموسى في الساعة الراهنة وسجدوا لله رب العالمين الذي أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة ، فقلب فرعون غلبا لم يشاهد العالم مثله وكان وقحا جريئا عليه لعنة الله ولللائكة والناس أجمعين ، فمثل إلى المكابرة والعداوة دعوى الباطل فشرع يتهدهم ويتوعدهم ويقول (إنه لكبيركم الذي علم السحر) وقال (إن هذا لسحر مبكر عوه في المدينة) الآية

﴿ قَالَ هَآمْنُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ اءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُفُّمُ الَّذِي عَلَّكُمْ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَا قُطْعَنَ أَيْدِيَكُمْ وَأُذُنِيكُمْ مِنْ خَلْفِ وَلَا صُلْبَكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لَا خَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُتَقِدُونَ * إِنَّا نَنبَغِرُ لَكَ رَبَّنَا خَطِيئَاتُ أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْكَاذِبِينَ ﴾

تهدهم فلم ينفذ ذلك فيهم وتوعدهم لما زادهم إلا إيمانا وتسلما . وذلك أنه قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر وظهر لهم الحق بملهم ما جهل قومهم من أن هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر إلا أن يكون الله قد أبداه به وجعله له حجة ودلالة

على صدق ما جاء به من ربه ، ولهذا لما قال لهم فرعون (آمنت له قبل أن آذن لكم ؟) أى كان ينبغي أن تستأذنوني فبما فعلتم ولا تفتنوا على في ذلك فإن أذنت لكم فعلتم وإن منعكم امتنعتم فإني أنا الحاكم للطاع (إنه لكبيركم الذى علمكم السحر) وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها فانهم لم يجمعوا بحوس قبل ذلك اليوم فكيف يكون كبيرم الذى أقام صنعة السحر ؟ هذا لا يقوله عاقل . ثم توعدهم فرعون بقطع لأرجلهم وأرجلهم والصلب فقالوا (لا نسير) أى لا نخرج ولا يصرفنا ذلك ولا نبالي به (إنا إلى ربنا منتقلون) أى الرجوع إلى الله تعالى هو وجهه وجل وهو لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخفى عليه ما فعلت بنا وسيجزينا على ذلك أتم الجزاء ولهذا قالوا (إنا قطعهم أن ينفروا ربنا خطايانا) أى ما قارفنا من الذنوب وما أكرهتنا عليه من السحر (إن كنا أول المؤمنين) أى بسببنا أنا بادرنا قومنا من المؤمنين إلى الإيمان . فقتلهم كلهم .

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّكَ مُرْتَبِئُونَ • فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الدَّارَيْنِ حَاشِرِينَ • إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ • وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ • وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاشِرُونَ • فَاجْرِبْنَهُمْ مِنْ جَنَّتِ وَعْيُونُ • وَكَذَّبُوا وَتَوَلَّوْا كَرِيمٌ • كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)

لما طال مقام موسى عليه السلام ببلاد مصر وأقام بها جرحا لله فبرأه على فرعون وملئه وهم مع الخلق يكابرون ويماثلون ، لم يبق لهم إلا العذاب والهلاك فأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يخرج بني إسرائيل من مصر وأن يخفي بهم حيث يؤمر ففعل موسى عليه السلام ما أمره به ربه عز وجل . خرج بهم بعد ما استأثروا من قوم فرعون حليا كثيرا ، وكان خروجه بهم في ذكره غير واحد من المفسرين وقت طلوع القمر ، وفيه كرم مجاهد رحمه الله أنه كشف القمر تلك الليلة فله أعلم . وأن موسى عليه السلام سأل عن قبر يوسف عليه السلام فدلته امرأة عجوز من بني إسرائيل عليه ، فاحتمل تابوته معهم ويقال إنه هو الذى حمله بنفسه عليهما السلام وكان يوسف عليه السلام قد أوصى بذلك إذا خرج بنو إسرائيل أن يمشوا معهم . وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم رحمه الله قال : حدثنا بنو الحسين حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا ابن فضيل عن يونس بن أبي إسحق عن ابن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعرابي فأكرمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعاهدنا » فأتاه الأعرابي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ملحاجتك ؟ » قال ناقة وبرحلي وأعز عجلتها أهلي ، فقال « أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل ؟ » فقال له أصحابه وما عجوز بني إسرائيل يارسول الله ؟ قال (إن موسى عليه السلام لما أراد أن يسير ببني إسرائيل أضل الطريق فقال لبني إسرائيل ما هذا ؟ فقال له علماء بني إسرائيل نحن نحدثك أن يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثما من الله أن لا يخرج من مصر حتى ننقل تابوته معنا ، فقال لهم موسى فأياكم يدري أن قبر يوسف ؟ قالوا ما يسهل إلا عجوز من بني إسرائيل ، فأرسل إليها فقال لها دليني على قبر يوسف ، فقالت والله لا أضل حتى تعطيني حكمي ، فقال لها وما حكمك ؟ قالت حكمي أن أكون معك في الجنة ، فكأنه نزل عليه ذلك قبل له أعطها حكمها قال فانطلقت معهم إلى بحيرة . مستنقع ماء . فقالت لهم انضوبوا هذا الماء فلما انضوبوا قالت احضروا فلما حضروا واستخرجوا قبر يوسف فلما احتملوا إذا الطريق مثل ضوء النهار وهذا حديث غريب جدا والأقرب أنه موقوف والله أعلم : فلما أصبحوا وليس في نادهم داع ولا عجب غاظ ذلك فرعون واشتد غضبه على بني إسرائيل لما يريد الله به من العمار ، فأرسل سريرا في بلاده حاشرين أى من عشار الجند وجمعه كالنصارى والحجاب ونادى فيهم (إن هؤلاء) أى بني إسرائيل (شير ذمة قلوبكم) أى لطائفة قليلة (وإني لنافظون) أى كل وقت يصل منهم إلينا ما ينظنا (وإنا لجمع حادرون) أى نحن كل وقت نختر من غلاتهم وقرط طائفة من السلف (وإنا لجمع حذرون) أى مستعدون بالسلاح ، وإني أريد أن أستأصل شأفتهم وأبهد

خضراء هم فجوزى في نفسه وجنده بما أراد لهم ، قال الله تعالى (فأخرجناهم من جنات وعيون • وكنوز ومقام كريم) أى فخرجوا من هذا النعم إلى الجحيم وتركوا تلك المنازل المالية والبساتين والأنهار والأموال والأرزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا (كذلك وأورثناها بنى إسرائيل) كما قال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها) الآية وقال تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) الآية .

(فَأَتَيْنَهُمْ مُّشْرِقِينَ • فَلَمَّا تَرَأَتِ الْجُمُوعُ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَنَدْرُكُونَ • قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَزِيدُنِي • فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِصَاحِكَ الْبَحْرَ فَآفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالثَلَوْدِ الْغَلِيمِ • وَأَزَلَّ قُلُوبَهُمْ • ثُمَّ الْآخَرِينَ هَوًّا نَحْنُ بِمُوسَى وَنَحْنُ مَعَهُ أَجْمَعِينَ • ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)

ذكر غير واحد من المفسرين أن فرعون خرج في محفل عظيم وجمع كبير هو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه أولى الخلق والعقد والبول من الأمراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود ، فأما ما ذكره غير واحد من الإنس والجنات من أنه خرج في ألف ألف وستائة ألف فارس منها مائة ألف على خيل دم فقيه نظر . وقال كعب الأحبار فيهم ثمانمائة ألف حصان آدم وفي ذلك نظر . والظاهر أن ذلك من مجازات بنى إسرائيل واه سبحانه وتعالى أعلم ، والذي أشبه به القرآن هو النافع ولم يبين عدتهم إذ لا فائدة تحته لأنهم خرجوا بأجمعهم (فَأَتَيْنَهُمْ مُّشْرِقِينَ) أى وصلوا إليهم عند شروق الشمس وهو طلوعها (فلما تراءى الجمعان) أى رأى كل من الفريقين صاحبه فعند ذلك (قال أصحاب موسى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ) وذلك أنهم انتهى بهم السير إلى سيف البحر وهو بحر القلزم فصار أمامهم البحر وقد أدرَكهم فرعون بجنوده فلهمذا قالوا (إِنَّا لَمَدْرُكُونَ • قال كلا إن معى ربي سيهدين) أى لا يصل اليك شيء مما تحذرون فإن الله سبحانه هو الذى أمرنى أن أسير ههنا بكم وهو سبحانه وتعالى لا يخلف للعباد ، وكان هرون عليه السلام في المقدمة ومعه يوشع بن نون ومؤمن آل فرعون وموسى عليه السلام في الساقة ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أنهم وقفوا لا يدرون ما يصنعون وجعل يوشع بن نون أو مؤمن آل فرعون يقول لموسى عليه السلام يابى الله ههنا أدرك ربك أن تسير ؟ فيقول لهم فاقرب فرعون وجنوده ولم يبق إلا القليل فعند ذلك أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يضرب بصاه البحر فضربه وقال افلق باذن الله . وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر قال : يابى كان قبل كل شيء والكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا مخرجاً فأوحى الله إليه (أن اضرب بصاحك البحر) وقال قتادة أوحى الله تلك الآية إلى البحر أن إذا ضربك موسى بصاه فامض له وأطع فبات البحر تلك الآية وله اضطراب ولا يدري من أى جانب يضربه موسى فلما انتهى إليه موسى قال له قتادة يوشع بن نون يابى الله أن أمرك ربك عز وجل ؟ قال أمرنى أن اضرب البحر قال فاضربه ، وقال محمد بن إسحق أوحى الله - فما ذكر لى - إلى البحر أن إذا ضربك موسى بصاه فافلق له قال فبات البحر يضطرب ويضرب بعضه بعضاً فرقا من الله تعالى وانتظاراً لما أمره الله ، وأوحى الله إلى موسى (أن اضرب بصاحك البحر) فضربه بها ففجها سلطان الله الذى أعطاه فافلق ، وذكر غير واحد أنه جاءه نكتة فقال انشلق على أباخا باذن الله . قال الله تعالى (فاشلق فكان كل فرق كالثلود العظيم) أى كالجليل الكبير ، قاله ابن مسعود وابن عباس ومحمد بن كعب والاضحاك وقادة وغيرهم . وقال عطاء الخراسانى : هو الفج بين الجليل وقال ابن عباس : صار البحر اثني عشر طريقاً لكاسيط طريق ، وزاد السدى وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض ،

وقام للآله على حيله كالديكتان وبث الله الرج إلى قعر البحر فلفحته فسار يسا كوجه الأرض قال الله تعالى (فاضرب لهم طريقاً في البحر يسا لا تخاف دركا ولا غشى) وقال في هذه القصة (وأزلنا الآخرين ثم) أي هنالك قال ابن عباس وعطاء الخراساني وقادة والسدي (وأزلنا) أي قربنا من البحر فرعون وجنوده وأدنيانهم اليه (وأبجينا موسى ومن معه) أي أبجينا موسى ومن اتبعه على دينهم فلم يترك منهم أحد ، وأغرق فرعون وجنوده فلبق منهم رجل الإهلاك ، وروى ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شبابة حدثنا يونس بن أبي إسحق عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله هو ابن مسعود أن موسى عليه السلام حين أسرى بني إسرائيل بلغ فرعون ذلك فأمر بشاة فذبحت ، وقال لا لا يخرج من سلخها حتى يجمع إلى شاة النفس القبط لا تطلق موسى حتى انتهى إلى البحر فقال له : اغرق فقال له البحر قد استكرت يا موسى وهل اغرقت لأحد من ولد آدم فأغرق لك ؟ قال ومع موسى رجل على حصانه فقال له ذلك الرجل أن أمرت يا بني الله قال : ما أمرت إلا بهذا الوجه يعني البحر فأفحم فرسه فسبح به فخرج فقال أن أمرت يا بني الله قالما أمرت إلا بهذا الوجه قال والله ما كذب ولا كذبت ثم اتهم الثانية فسبح ثم خرج فقال أن أمرت يا بني الله ؟ قالما أمرت إلا بهذا الوجه قال والله ما كذب ولا كذبت : قال فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بصاعك البحر ، فضربه موسى بصاعه فاهلك فكان فيه اثنا عشر سبطا لكل سبط طريق يترادون فلما خرج أصحاب موسى وتام أصحاب فرعون اتقى البحر عليهم فأغرقهم ، وفي رواية إسرائيل عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال : فلما خرج آخر أصحاب موسى وتكامل أصحاب فرعون انطم عليهم البحر فارتى سواد أكثر من يومئذ ، وغرق فرعون لسه الله ، ثم قال تعالى (إن في ذلك لآية) أي في هذه القصة وما فيها من العجائب والعرص والتأييد لعباد الله للؤمنين لدلالة وصحة قاطعة وحكمة بالغة (وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك للعزيز الرحيم) فهدم تفسيره .

﴿ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ • إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ • قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظُرُ لَهَا كَافَتَيْنِ • قَالُوا هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ • أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ • أَوْ يُضَرُّونَ • قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ • قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ • أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ • فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ إِلَّا رَبَّ الْمَلَكِينَ ﴾

هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليفه إبراهيم عليه السلام إمام الخلفاء . أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن ينقله على أمته ليقربوا في الاخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له والتبري من الشرك وأهله فإن الله تعالى آتى إبراهيم رشده من قبل أي من صفه إلى كبره فانه من وقت نشأ وشب أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله عز وجل (فقال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) أي ما هذه التماثيل التي أنتم لها عكفون ؟ (قالوا نعبد أصناما فننظر لها كافتين) أي مقيمين على عبادتها وعبادتها (قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون) قالوا بلى وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) يعني اعترفوا بأن أصنامهم لا تضر شيئا من ذلك وإن عاروا آباءهم كذلك يفعلون فهم على آثارهم يهرعون فتندفك قال لهم إبراهيم (أنظر أيتما كنتم تعبدون • أنتم وآباؤكم الأقدمون • فإنهم عدو لي إلا رب العالمين) أي إن كانت هذه الأصنام شيئا ولها تأثير فتخلص إلى المسادة فإني عدولها لا أبالي بها ولا أفكر فيها ، وهذا كافل تعالى خبراً عن نوح عليه السلام (فاجمعوا أمركم وشركاءكم) الآية وقال هود عليه السلام (إنني أشهد الله واشهدوا أني برى عما تصركون من دونه فكيدون جميعاً ثم لا تنظرون) إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بماصيتها إن ربي على صراط مستقيم) وهكذا نبأ إبراهيم من آلهتهم فقال (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله) الآية . وقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم - إلى قوله - حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إني برأ مما تعبدون • إلا الذي فطرنني فإنه سيهدين • وجعلها كة) يعني لا إله إلا الله

(الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ • وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ • وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ • وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ • وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي بِرَحْمَتِهِ يَوْمَ الدِّينِ)

يعني لأعبد إلا الله يفعل هذه الأشياء (الذي خلقني فهو يهدين) أي هو الخالق الذي قدر قدره وهدي الخلاق إليه فكل يجري على ما قدر له وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء (والذي هو يطعمني ويسقين) أي هو الخالق ورزاق بما سخر ويصرف من الأسباب السبابة والأرضية فساق للزمن وأنزل للماء وأحياه الأرض وأخرج به من كل الثمرات رزقا لعباده وأنزل للماء عذبا زلالا يسقيه مما خلق أنعاما وأناس كثيرا . وقوله (وإذا مرضت فهو يشفين) أسند المرض إلى نفسه وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقته ولكن أضافه إلى نفسه أذا كما قال تعالى آمرا لعصى أن يقول (اهدنا الصراط المستقيم) إلى آخر السورة فأسند الاتمام والهداية إلى الله تعالى والغضب حذف فاعله أذا وأسند الضلال إلى العبد كما قالت الجن (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) وكذا قال إبراهيم (وإذا مرضت فهو يشفين) أي إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه (والذي يميتني ثم يحييني) أي هو الذي يميت ويميت لا يقدر على ذلك أحد سواه فإنه هو الذي يبدئ ويبد (والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي لا يقدر على غفران الذنوب في الدنيا والآخرة إلا هو ومن يغفر الذنوب إلا الله وهو القائل لما يشاء

(رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلِفْ لِي الصَّالِحِينَ • وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ • وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ • وَأَغْفِرْ لَأَيِّ لَيْئَةٍ كَانَتْ مِنْ الصَّالِكِينَ • وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْمَوْنَ • يَوْمَ لَا يُفَعُّ مَالٌ وَلَا بَنُونَ • إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

وهذا سؤال من إبراهيم عليه السلام أن يؤتيه ربه حكما . قال ابن عباس وهو العلم ، وقال عكرمة هو اللب ، وقال مجاهد هو القرآن ، وقال السدي هو النبوة . وقوله (وألف لي الصالحين) أي اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عند الاحتضار « اللهم في الرفيق الأعلى » قالوا ثلاثا . وفي الحديث في الدعاء « اللهم أحينا مسلمين وأمنا مسلمين وألفنا بالصالحين غير خزاي ولا مبدلين » وقوله (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي واجعل لي ذكرا جميلا يهدي أذكر به وقتئذ في لي الأخير كما قال تعالى (وتركنا عليه في الآخرين) سلام على إبراهيم . كذلك يجزي المحسنين) قال مجاهد وقادة (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) يعني الثناء الحسن . قال مجاهد كقوله تعالى (وأتيناه في الدنيا حسنة) الآية وكقوله (وأتيناه أجرة في الدنيا) الآية ، قال ليث بن أبي سليم كل ملة تحبه وتزاوله وكذا قال عكرمة . وقوله تعالى (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي أتمم لي في الدنيا ببقاء الذكر الجليل يبدئ وفي الآخرة بأن يجعلني من ورثة جنة النعيم . وقوله (واغفر لاي) الآية كقوله (ربنا اغفر لي ولوالدي) وهذا مما رجعه عنه إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه - إلى قوله - إن إبراهيم لأواه حليم) وقد قطع تعالى الإلحاق في استغفاره لأبيه فقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه - إلى قوله - وما أملك لك من الله من شيء) وقوله (ولا تخزني يوم ينعنون) أي أجرني من الخزي يوم القيامة ويوم يث الخلائق أولهم وآخرهم . وقال البخاري عند هذه الآية: قال إبراهيم بن طهمان عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد اللقيري عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « بلى إبراهيم يوم القيامة أباه عليه القبرة والقفرة » وفي رواية أخرى حدثنا إسماعيل حدثنا أخى عن ابن أبي ذئب

عن سعيد القبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يلقى إبراهيم أباه فيقول يا رب إنك وعدتني أن لا أخزى يوم يثبون فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين » هكذا رواه عنه هذه الآية . وفي أحاديث الأنبياء بهذا الإسناد بينه منفردا به ولفظه « يلقى إبراهيم أباه أكر يوم القيامة وعلى وجه كزرة وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تسيئني فيقول أبوه فاليرم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا أخزى يوم يثبون فأى خزى أخزى من أبى الأبد فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول يا إبراهيم انظر تحت رجلك فينظر فلما هو بذبح متلطف فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار » ورواه عبد الرحمن النسا في التفسير من سننه الكبير وقوله (ولا أخزى يوم يثبون) أخبرنا أحمد بن حنبل عن أبي عبد الله حدثني أبي حدثني إبراهيم بن طهمان عن محمد بن عبد الرحمن عن سعيد بن أبي سعيد القبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن إبراهيم رأى أباه يوم القيامة عليه القبرة والقترة وقال له قد نيتك عن هذا فصمتني ، قال لكن اليوم لا أعصيك واحدة ، قال يا رب وعدتني أن لا أخزى يوم يثبون فان أخزيت أباه فقد أخزيت الأبد . قال يا إبراهيم إني حرمتها على الكافرين فأخذ منه . قال يا إبراهيم أين أبوك ، قال أنت أخذته مني ، قال انظر أسفل منك فنظر فلما ذبح يترفع في تنه فأخذ بقوائمه فألقى في النار » وهذا إسناد غريب وفيه نكارة والذبح هو الذبح من الشباع كأنه حول أكر إلى سورة ذبح متلطف بغيره فيلقى في النار كذلك . وقد رواه الزبارة بإسناده من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه غرابه . ورواه أيضا من حديث قتادة عن جعفر بن عبد الصافي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وقوله : (يوم لا ينفع مال ولا بنون) أى لا يلقى للره من عذاب الله ماله ولو اقتدى ببلد الأرض ذهبها (ولا بنون) أى ولو اقتدى بمن على الأرض جميعا ولا ينفع يومئذ إلا الإيمان بالله وإخلاص الدين له والتبري من الشرك وأهله ولهذا قال (إلا من أتى الله بقلب سليم) أى سالم من الدنس والشرك قال ابن سيرين : القلب السليم أن يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يثب من في القبور ، وقال ابن عباس (إلا من أتى الله بقلب سليم) القلب السليم أن يهدى أن لا إله إلا الله ، وقال مجاهد والحسن وغيرهما (قلب سليم) ينى من الشرك ، وقال سعيد بن المسيب : القلب السليم هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر وللنافق مريض قال الله تعالى (في قلوبهم مرض) قال أبو حنيفة النيسابوري هو القلب السالم من البدعة الطمأن إلى السنة

﴿ وَأَزَلَّكَ الْجَنَّةَ لِلتَّفَتُّنِ • وَبَرَزْتَ الْجَحِيمَ لِلْعَاوِينَ • وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ • مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ • فَكُتِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْقَاوُونَ • وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ • قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ • تَأْتِيهِمْ مِنْ كُنَا لَتِي ضَلَّكَ مِثْلِينَ • إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ السَّلَافِينَ • وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا الْبَجْرَمُونَ • فَكُلْنَا مِنْ شَفِينِينَ • وَلَا صَافِيَةَ حِيمٍ • فَعَلُوا أَنْ لَنَا كَرَّةً فَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً • وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

(وأزلت الجنة) أى قربت وأدبت من أهلها مخرقة مزينة لانظريها وم التلون الذين رغبوا فيها على ما في الدنيا وعملوا لها في الدنيا (وبرزت الجحيم للعاوين) أى أظهرت وكشف عنها وبعث منها عنق فبرزت زفرة بلغت منها القلوب المناجر وقيل لأهلها حمرا وتو يينا (أين ما . كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينصرون) أى ليست الآلهة التى عبدتموها من دون الله من تلك الأصنام والأنداد تنق عنكم اليوم شيئا ولا تدفع عن أنفسها فانكم وإياها اليوم حسب جهنم أتم لها واردون ، وقوله (فكُتِبُوا فيها هم والقاوون) قال مجاهد ينى فدهوروا فيها .

وقال غيره كبراً فيها والكاف مكررة كما يقال صرصر وللراد أنه أتى بشبه على بعض من الكفار وقادتهم الذين دعواهم إلى الصرك (وجنود إبليس أجمعون) أي ألقوا فيها عن آخرهم (قالوا وهم فيها يختمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين) أي يقول الضفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم بما فعل أثم فنحن عنا نصيبا من النار ، ويقولون وقد عادوا على أنفسهم بالملامة (تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين) أي نجعل أمركم مطافاً كما يطاع أمر رب العالمين وعبدناكم مع رب العالمين (وما أضلنا إلا الجرمون) أي ماددنا إلى ذلك إلا الجرمون (فإننا لمن شافين) قال بعضهم مني من اللائكة كما يقولون (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل) وكذا قالوا (فإن لنا من شافعين * ولا صديق حميم) أي قريب : قال قتادة يملون والله أن الصديق إذا كان صالحاً فاع ، وأن الحميم إذا كان صالحاً شفع (فلو أن لنا كرة فتكون من اللومنين) وذلك أنهم يشتمون أنهم يردون إلى دار الدنيا ليعملوا بطاعة ربهم فيها يزعمون والله تعالى يعلم أنهم يوردوا إلى دار الله ليعملوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ، وقد أخبر الله تعالى عن تخاصم أهل النار في سورة ص ثم قال تعالى (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) ثم قال تعالى (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي إن في حاجة إبراهيم قومه وإقامة الحجج عليهم في التوحيد لآية أي دلالة واضحة جلية على أن لا إله إلا الله (وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك هو العزيز الرحيم)

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاقْبَلُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ * وَمَا أَنَا لَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَبْتُ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ * فَاقْبَلُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴾

هذا إخبار من الله عز وجل عن عبده ورسوله نوح عليه السلام وهو أول رسول بعث الله إلى أهل الأرض بعد ما بعثت الأصنام والأنداد فيبشئ الله تعالى عن ذلك وعهدنا من وبل عقابه فكذب قومه فاستمروا على ما هم عليه من الفعالم الخبيثة في عبادتهم أصنامهم مع الله تعالى ، وزل الله تعالى تكذيبهم له منزلة تكذيبهم جميع الرسل فلهاذا قال تعالى (كذب قوم نوح للمرسلين * إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون) أي ألا تخافون الله في عبادتكم غيره (إن لي لكم رسول أمين) أي إن لي رسول من الله إليكم أمين فيما يبشئ الله به إليكم رسالاتي ولا أزيد فيها ولا أقص منها (فاقبوا الله واطيعون وما أسألكم عليه من أجر) الآية أي لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم بل أذكر نوابذك عند الله (فاقبوا الله واطيعون) فقد وضع لكم وبأن صدق ونصحي وأمانتي فيما يبشئ الله به واتمنى عليه

﴿ قَالُوا أَنْتُمْ أَنْتُمْ لَكُمْ وَأَتَيْتُمْكَ الْأَرْضُونَ * قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * إِنْ جِئْتُمْ بِكُمْ إِلَّا جَبَلٌ رُبِّي قَوْمٌ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾

يقولون لا تؤمن لك ولا تبتمك وتتأسى في ذلك هؤلاء الأرضين الذين اتبعوك وصدقوك وهم أرادنا ولهذا (قالوا أنتون لك واتيمك الأنون * قال وما علي بما كانوا يفعلون) أي وأي شيء يلزمي من اتباع هؤلاء ولو كانوا على شيء كانوا عليه لا يلزمي التنقيب عنهم والبحث والفحص إنما على أن أقبل منهم تصديقهم إياي وأكل سررائرهم إلى الله عز وجل (إن حسابهم إلا على ربى لو تشعرون * وما ألة بطارد للمؤمنين) كأنهم سألو أنه أن يبدع عنه ويأبوه فأبى عليهم ذلك وقال (وما أنا بطارد للمؤمنين * إن أنا إلا نذير مبين) أي إنما بشت نذيراً فمن أطاعني واتبعني وصدقني كان مني وأنا منه سواء كان شريعاً أو وضياً ، أو جليلاً أو حقيراً

﴿ قَالُوا لَنْ لَمْ نَفْتِهِ يَنْفُجْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُجْرِمِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُون * فَانْفُتِحْ يَنبِيَّ وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَانْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ آيَةً * إِنْ فِي

ذَٰكَ لَايَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٠﴾

لما طال مقام نبي الله بين أظهرهم يدعوهم إلى الله تعالى ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً وكلما كرر عليهم الدعوة صموا على الكفر الغليظ والامتناع الشديد وقالوا في الآخر (لئن لم تنته يا نوح لشكونن من الرجوعين) أي لئن لم تنته من دعوتك إيانا إلى دينك (لتكونن من الرجوعين) أي لترجعك فند ذلك دعا عليهم دعوة استجاب الله منه فقال (رب إن قومي كذبون) • فانتع بين وبينهم فتحاً الآية كما قال في الآية الأخرى (فدعا ربه أي مغلوب فانتصر) إلى آخر الآية • وقال ههنا (فأتبعنياء ومن معه في الفلك للشعون) • ثم أغرقا بعد الباقيين (وللشعون هو اللعول بالأمته والأزواج التي حمل فيها من كل زوجين اثنين أي أتبعنا نوحاً ومن أتبعه كلهم وأغرقنا من كفر به وخالف أمره كلهم أجمعين) (إن في ذلك لآية ما كان أكثرهم مؤمنين • وإن ربك لهو العزيز الرحيم)

﴿حَكَّدَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ • إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • فَاقْبَلُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ • وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَلَكِينَ • أَتُنبِئُونَ بِكُلِّ رَيْعٍ إِذَا تَبَيَّنَتْ • وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَكُمْ لَكُمْ تَعْدُونَ • وَإِذَا بَطَلْتُمْ بِطَلْتُمْ جِبَارِينَ • فَاقْبَلُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ • وَاقْبَلُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ • أَمَدَّكُمْ بِأَنْتُمْ وَبَيْنَ • وَجِئْتُمْ وَعَيُونَ • إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

وهذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله هود عليه السلام انه دعا قومه عاداً وكان قومه يسكنون الأحاف وهي جبال الرمل قريباً من حضرموت متاخمة بلاد اليمن ، وكان زمانهم بعد قوم نوح كما قال في سورة الأعراف (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة) وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد والطول اللديد والأرزاق البارة والأموال والجنات والأنهار والأبناء والزروع والثمار وكانوا مع ذلك يبدون غير الله معه فبعث الله هوداً إليهم رجلاً منهم رسولا وبشيراً ونذيراً فقام إلى الله وحده وحذرهم قتمته وعذابه في مخالفته وبطشه فقال لهم كما قال نوح قومه إلى أن قال (أتنبئون بكل ربيع آية تبشرون) وحذرهم قتمته وعذابه في مخالفته وبطشه فقال لهم كما قال نوح قومه إلى أن قال (أتنبئون بكل ربيع آية تبشرون) واختلف المفسرون في الريع بما حاصله أنه المكان للرفع عند جود الطرق المشهورة بينون هناك بنياناً محكماً هاتلاً باهراً ولهذا قال (أتنبئون بكل ربيع آية) أي معاً بناء مشهوراً (تبشرون) أي وإنا نضامون ذلك عبثاً لئلا نحتاج إليه بل لجرد القلب والهمم وإظهار القوة ولهذا أنكر عليهم نبيهم عليه السلام ذلك لأنه تضيق للزمان وإتساب للأبدان في غير قائمة واشتغال بما لا يهدى في الدنيا ولا في الآخرة ، ولهذا قال (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) قال مجاهد ، والمصانع البروج المشيدة والبيان الخلد ، وفي رواية عنه بروج الحمام ، وقال قتادة هي مأخذ الماء . قال قتادة وقرأ بعض الكوفيين (وتتخذون مصانع كأنكم خالدون) وفي القراءة المشهورة (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) أي لكم تجميعاً فيها أبداً وذلك ليس بحاصل لكم بل زائل عنكم كما زال عمن كان قبلكم ، وروى ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا الحكم بن موسى حدثنا الوليد حدثنا ابن عجلان حدثني عون بن عبد الله بن عتبة أن أبا العرداء رضى الله عنه لما رأى ما أحدث السلون في القوقعة من البيان ونصب الشجر قائم في مسجد من فنادى يا أهل دمشق فاجتمعوا إليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا تستحيون ، ألا تستحيون ، تجمعون ما لا مالاً كلون ، وتبنون ما لا تسكنون ، وتعاملون ما لا تدركون ، إنه قد كانت قبلكم قرون يجمعون فيرعون ، ويتبنون فيوشون ، ويأملون فيطيلون فأصبح أملهم غروراً ، وأصبح جمعهم بوراً ، وأصبحت مساكنهم قبوراً ، ألا إن عاداً ملكت ما بين عدن وعمان خيلاً وركاباً فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين ؟ . وقوله (وإذا بطلتم بطلتم جبارين) أي يصغهم بالقوة والغلظة

والجبروت (فاتقوا الله وأطيعون) أطيعوا ربكم وأطيعوا رسولكم ، ثم شرع يذكرهم نعم الله عليهم فقال (واقفوا الذي أمدكم بالملكون ، أمدكم بأنعامهم وبينت وجنتهم وعيونهم) إلى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أي إن كذبتم وخالفتم ، فعصام إلى الله بالترغيب والترهيب فاشعروا بهم

(قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظَّمْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ • إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ • زَيْنًا نَحْنُ بِمَعْمَدٍ • فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)

يقول تعالى مغبرا عن جواب قوم هود به بعد ما جئهم وأنذرهم ورضيهم ورحمهم وبين لهم الحق ووضحه (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي لا ترجع ههنا نحن عليه (وما نحن بأتارك ألهمتنا عن قولك ، وما نحن لك بمؤمنين) وهكذا الأمر فإن الله تعالى قال (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وقال تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) الآية وقولهم (إن هذا إلا خلق الأولين) قرأ بعضهم (إن هذا إلا خلق الأولين) بفتح الحاء وتسكين اللام ، قاله ابن مسعود والوفى عن عبد الله بن عباس وعقصة ومجاهد يمتنون ما هذا الذي جئتكم به إلا أخلق الأولين كما قال للفرعون من قريش (وقالوا أساطير الأولين) اكتتبها فهي على بكره وأصيلها) وقال (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون) • فقد جاءوا ظلما وزورا • وقالوا أساطير الأولين) وقال (وقيل للذين كفروا ماذا أتزلزلهم قالوا أساطير الأولين) وقرأ آخرون (إن هذا إلا خلق الأولين) بضم الحاء واللام يمتنون دينهم ومأم عليهم هو دين الأولين من الآباء والأجداد ونحن تابعون لهم سالكون وراءهم نعيش كما عاشوا ونموت كما ماتوا ولا بهت ولا معاد ولهذا قالوا (وما نحن بمعدين) ، قال طي ابن أبي طلحة عن ابن عباس (إن هذا إلا خلق الأولين) يقول دين الأولين . وقاله عكرمة وعطاء الخراساني وقادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وقوله تعالى (فكذبوه فأهلكناهم) أي استمروا على تكذيبناي الله هود وعافاته وأهلكهم الله وقد بين سبب إهلاكه لإيما في غير موضع من القرآن بأنه أرسل عليهم رجلا صرصرا عاتية أي رجلا شديدة المهبوب ذات برد شديدة جدا فكان سبب إهلاكهم من جنسهم فأنهم كانوا أعق شيء وأجبره فسلط الله عليهم ما هو أعق منهم وأشد قوة كما قال تعالى (لم تركب فكل ربك بماذا • إرم ذات المهاد) وهم عاد الأولى كما قال تعالى (وأنه أهلك عادا الأولى) وهم من نسل إرم بن سام بن نوح (ذات المهاد) الذين كانوا يسكنون العمدة ، ومن زعم أن إرم مدينة فلنأخذ ذلك من الإسرائيليات من كلام كعب وهوب وليس لذلك أصل أصيل ولهذا قال (التي لم يخلق مثلها في البلاد) أي لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدتهم وجبروتهم ولو كان للراد بذلك مدينة لقال التي لم يخلق مثلها في البلاد وقال تعالى (فأما عاد فاستكبروا على الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يصدون) وقد قدمنا أن الله تعالى لم يرسل عليهم من الربع إلا مقدار أنف الثور ، هنت على الحفرنة فأذن الله لها في ذلك فسلكت فصصبت بلادهم فصصبت كل شيء لهم كما قال تعالى (تدمر كل شيء بأمر ربها) الآية وقال تعالى (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية - إلى قوله - حوصا - أي كاملة - فتري القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) أي جفوا أبدانهم بلادهم وسلك ذلك أن الربع كانت تأتي الرجل منهم فتقتله وترفعه في الهواء ثم تنسكه على أمه رأسه فتشده دماغه وتكسر رأسه وتلقبه كأنهم أعجاز نخل منقر وقد كانوا تحسنا في الجبال والسهول والقفارات وسفروا لهم في الأرض إلى أنصافهم فلبس عنهم ذلك من أمر الله شيئا (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) ولهذا قال تعالى (فكذبوه فأهلكناهم) الآية

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ • أَلا تَتَّقُونَ • إِلَى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُونَ • وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمُ إِلَى رَبِّ الْمَلَكِينَ)

وهذا إخبار من الله عزوجل عن عبده ورسوله صالح عليه السلام أنه يشهد إلى قومه عود وكانوا عربا يسكنون مدينة الحجر التي بين وادي القرى وبلاد الشام ، ومساكنهم معروفة مشهورة ، وقد تضمننا في سورة الأعراف الأحاديث الروية في مرور رسول الله ﷺ بهم حين أراد غزو الشام فوصل إلى تبوك ثم عاد إلى المدينة ليتأهب لذلك . وكانوا بعد عاد وقبل الخليل عليه السلام . فقدم عليهم صالح إلى الله عزوجل أن يبدوه وحده لاشريك له وأن يطيعوه فيما يلهمهم من الرسالة فأبوا عليه وكذبوه وخافوه وأخبرهم أنه لا يتخفى بدعوتهم أجرا منهم وإنما يطلب ثواب ذلك من الله عزوجل ثم ذكرهم آلاء الله عليهم فقال

(أَتَنْفَرُونَ فِي مَا مَنَعَنَا آمِنِينَ • فِي جَنَّتٍ وَعَيْبُونَ • وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلُفًا هَهِيمٌ • هُوَ يَنْتَحِبُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا فَرَّهِينَ • فَأَقْبَرْنَا اللَّهُ وَأَطِيعُونَ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ السَّحَرِينَ • الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ)

يقول لهم واعظهم وعلمهم ثم الله أن نحلهم ومذكرا بأنهم الله عليهم فيما زرعتهم من الأرزاق الواردة وجلبهم في أمن من المهدورات . وأثبت لهم من الجنات . وفجرهم من البساتين الجارية وأخرجهم من الزروع والجرات ولهذا قال (ونخل طلها هضم) قال العوفي عن ابن عباس أبلغ فهو هضم ، وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ونخل طلها هضم) يقول معشبة وقال إسماعيل بن أبي خالد عن عمرو بن أبي عمرو — وقد أدرك الصباية — من ابن عباس في قوله (ونخل طلها هضم) قال إذا رطب واسترخى رواء ابن أبي حاتم ثم قال : وروى عن أبي سنان نحو هذا وقال أبو إسحاق عن أبي العلاء (ونخل طلها هضم) قال هو للذب من الرطب وقال مجاهد : هو الذي إذا يبس تهشم وتفتت وتائر . وقال ابن جريج سمعت عبد الكريم أنبأنا أمية سمعت مجاهدا يقول (ونخل طلها هضم) قال : حين يطلع بعض عليه قمحه فهو من الرطب المهضم ومن اليابس المهشم يعض عليه قمحه . وقال عكرمة وقناة : المهضم الرطب اللين . وقال الضحاك : إذا كثرت حمل الثمرة وركب بعضها بعضا فهو هضم وقال مرة هو الطلع حين تفرق ونحضر . وقال الحسن البصري هو الذي لا نوى له ، وقال أبو صخر : ما رأيت الطلع حين ينشق عنه السك فترى الطلع قد لسق بضه بعض فهو الهضم

وقوله (وتنتحون من الجبال يوتا فارهين) قال ابن عباس وغير واحد يعني خافقين . وفي رواية عنه شريهين أشزيرين وهو اختيار مجاهد وجماعة ولا منافاة بينهما فانهم كانوا ينتحون تلك البيوت للنحوة في الجبال أشرا ويطرأ وعبثا من غير حاجة إلى سكناها وكانوا خافقين متقين لثبوتها وهشاشها كما هو للشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم ولهذا قال (فأقبرنا الله وأطيعون) أي أقبلوا على ما يهود قمعه عليكم في الدنيا والآخرة من عبادة ربكم الذي خلقكم وزرركم لتعبده وتوحده وتسبحوه بكرة وأصيل (ولا تطيعوا أمر السحرين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) يعني رؤساءهم وكبراءهم الدعاة لهم إلى الشرك والكفر وخالفه الحق

(قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ • مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِنَايَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَئِذٍ • وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ فِتْيَاخِذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ • فَفَقَرُّوْهَا فَأَصْبَحُوا نَادِينَ • فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ كَرَهُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَكَلِمَتُ الرَّحِيمِ)

يقول تعالى عبرا عن ثمود في جوابهم لنبهم صالح عليه السلام حين دعاهم إلى عبادة ربهم عز وجل أنهم (قالوا) إنما أنت من السحرين) قال مجاهد وقناة يبنون من المسحورين ، وروى أبو صالح عن ابن عباس (من السحرين)

يسئ من الخلقين واستشهد بعضهم على هذا يقول الشاعر :

فلن تسألنا قيم نحن فأتنا • عصافير من هذا الأنام السحر

يسئ الذين لهم سحر والسحر هو الرقة ، والأظهر في هذا قول مجاهد وقادة أنهم يقولون إنما أنت في قولك هذا مسجون لا عقل لك ، ثم قالوا (ما أنت إلا جبر مثلنا) يسئ فكيف أوحى إليك دوتنا كما قالوا في الآية الأخرى (أنزل عليه الذكر من بيننا ؟ بل هو كذاب أفسر • سيملون غدا من الكذاب الأفسر) ثم إنهم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها ليظلموا صدقه عما جاءهم به من ربهم ، وقد اجتمع ملؤم وطلبوا منه أن يخرج لهم الآن من هذه السخرة ناقة عشراء - وأشاروا إلى سخرة عندهم - من صفتها كذا وكذا فصد ذلك أخذ عليهم نبى الله صالح المهود والواثق لأن أجابهم إلى ما سألوا ليؤمنن به وليتجنه فأعطوه ذلك فقام نبى الله صالح عليه السلام فصلى ثم دعا الله عز وجل أن يجيبهم إلى سؤالهم فانطمرت تلك السخرة التي أشاروا إليها عن ناقة عشراء على الصفة التي وصفوها فأمن بعضهم وكفر أكثرهم (قال هذه ناقة لما شرب ولكم شرب يوم معلوم) يسئ ترد ما تم يوما ويوما تردونه أنتم (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) فحذرهم همة الله إن أصابوها بسوء ففكت الناقة بين أظهرهم جئامن الدهر ترد الماء وتأكل الورك والرمي ويتشعرون بلبنها يعلبون منها ما يكتفهم شربا وريا ؟ فلا طال عليهم الأمد وحضر اشتغالهم تأكلوا على قتلها وعقرها (ففروها فأسبحوا نادمين فأخذهم العذاب) وهو أن أرضهم زلزلت زلزلا شديدا وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من عظامها وأتاهم من الأمر ما لم يكونوا يحسبون وأسبحوا فيديهم جاعين (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين • وإن ربك هو العزيز الرحيم)

(كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطُ الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ • إِنِّي لَسَكُم رَسُولٌ أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَلِئِينَ)

يقول تعالى خبراً عن عبده ورسوله لوط عليه السلام وهو لوط بن هاران بن آزر وهو ابن أخى إبراهيم الخليل عليه السلام وكان الله تعالى قد بشه إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم عليها السلام ، وكانوا يسكنون سدوم وأعمالها التي أهلكتها الله بها وجعل مكانها بحيرة ممتلئة خبيثة وهى مشهورة ببلاد النور متاخمة لجلال البيت المقدس بينها وبين بلاد الكرك والشوبك ؟ فدعاهم إلى الله عز وجل أن يبدوه وحده لاشريك له ؟ وأن يطيعوا رسولهم الذى بشه الله إليهم ونهاهم عن معصية الله وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم بما لم يسبقهم أحد من الخلق إلى فعله من إتيان الذكور دون الإناث ولهذا قال تعالى

(آتَانَاكَ اللَّهُ كُرْآنًا مِنَ الْمَلِئِينَ • وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ •)
(قَالُوا لَيْتَ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ • قَالَ إِنِّي لَعَلَيْكُمْ مِنَ الْقَائِلِينَ رَبِّ تَصْنَعُوا أَهْلِي وَمَنْ يَمْكُونُ • فَتَجِئْتُهُمْ وَأَهْلَهُ أَتَجْمَعِينَ • إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ • ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ • وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ •)
إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)

لما نهاهم نبى الله عن ارتكاب القواحيى وغشائهم الذكور وأرسلهم إلى إتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم ما كان جوابهم له إلا أن قالوا (لن لم تنته يالوط) أى مما جئتنا به (لتسكنون من الخرجين) أى تنفك من بين أظهرنا كما قال تعالى (فلما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يطهرون) فلا رأى أنهم لا يرتدعون

عمام فيه وأنهم مستمرون على ضلالتهم تبرأ منهم وقال (إني لمعلمكم من القالين) أي للبخين لا أحبه ولا أرضى به وإنى برىء منكم ثم دعا الله عليهم فقال (رب اجنى ما يملكون) قال الله تعالى (فنجينا وأهله أجمعين) أي كلهم (إلا عجوزاً في الغارين) وهي امرأته وكانت عجوز سوء بحيث فهلكت مع من بقى من قومها وذلك كما أخبر الله تعالى عنهم في سورة الأعراف وهود وكذا في الحجر حين أمره الله أن يسرى بأهله إلا امرأته وأنهم لا يلتفتوا إذا صموا الصيحة حين تنزل على قومه فصبروا لأمر الله واستمروا وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عم جمهم وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود ولهذا قال تعالى (ثم دمرنا الآخرين) وأمطرنا عليهم مطراً - إلى قوله - وإن ربك لهو العزيز الرحيم

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ • إني لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا • وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمُسْلِمِينَ﴾

هؤلاء - يعني أصحاب الأيكة - هم أهل مدين على الصحيح وكان نبي الله شعيب من أشبه من أخهم وإنما لم يقل ههنا أخوهم شعيب لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة وهي شجرة وقيل شجر ملتف كالنخلة كانوا يبدونها فلهاذا المثل : كذب أصحاب الأيكة للمرسلين لم يقل : إذ قال لهم أخوهم شعيب وإنما قال (إذ قال لهم شعيب) قطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا إليه وإن كان أخاهم نسباً . ومن الناس من لم يظن لهذه النكتة فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين فزعم أن شيئاً عليه السلام يشه الله إلى أميين ومنهم من قال ثلاث أمم . وقد روى إسحق بن بشر الكاهلي - وهو ضعيف - حدثني ابن السدي عن أبيه وذكرنا بن عمرو عن خضيف عن عكرمة قال : ما بث الله نبياً مرتين إلا شيئاً مرة إلى مدين فأخذهم الله بالصيحة ومرة إلى أصحاب الأيكة فأخذهم الله تعالى بعباد يوم الظلة ، وروى أبو القاسم البغوي عن هبة عن هام عن قتادة في قوله تعالى (وأصحاب الرس) قوم شعيب وقوله (وأصحاب الأيكة) قوم شعيب ، وقاله إسحق بن بشر . وقال غير جوير أصحاب الأيكة ومدين هما واحد والله أعلم . وقد روى الحافظ ابن عساکر في ترجمة شعيب عن طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن معاوية بن هشام عن هشام بن سعيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان بث الله إليهما شيئاً النبي عليه السلام » وهذا غريب وفي رفته نظر والأشبه أن يكون موقوفاً ، والصحيح أنهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بجيء ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء للكيل والليزان كما في قصة مدين سواء يسواء فدل ذلك على أنهما أمة واحدة

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ • وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْسِنَتِكُمْ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ • وَأَقِمُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَأَلْبَسَكُمْ أَزْوَاجًا﴾

بأمرهم عليه السلام بإفناء للكيل والليزان ونهياهم عن التطفيف فيما قال (أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين) أي إذا دقمت للناس فكموا الكيل لهم ولا تبخسوا الكيل فتخطوه ناقصاً وتأخذوه إذا كان لكم تمام وإفناء ولكن خذوا كما يعطون ، وأعطوا كما تأخذون (وزنوا بالقسط السقيم) والقسط هو الليزان وقيل هو القبان . قال بعضهم هو مبرم من الرومية . قال مجاهد القسط السقيم هو العدل بالرومية ، وقال قتادة القسط العدل ، وقوله (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أي لا تلتصمهم أموالهم (ولا تتوا في الأرض مفسدين) يعني قطع الطريق كما قال في الآية الأخرى (ولا تعبدوا بكل صراط توعدون) وقوله (واقموا الذي خلقكم والجلية الأولين) يخوفهم بأمر الله

الذى خلقهم وخلق آباءهم الأوائل كما قال موسى عليه السلام (ربكم ورب آبائكم الأولين) قال ابن عباس ومجاهد والسدي وسفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (والجيلة الأولين) يقول خلق الأولين . وقرا ابن زيد (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا)

(قَالُوا إِنَّا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ • وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلُكَ لَئِنْ الْكَذِبِينَ • فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كَيْفًا مِنْ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • قَالَ رَبِّ أَعْلَمْ بِمَا تَصْمَلُونَ • فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)

يخبر تعالى عن جواب قومه به مثل ما أجابت به نوح لرسولها تشابهت قلوبهم حيث قالوا (إنما أنت من السحرة) يعنون من السحورين كما تصدق (وما أنت إلا بشر مثنا وإن نطقك لمن الكاذبين) أى تصمد الكذب فيها شوهه لأن الله أرسلك إلينا (فأسقط علينا كسفا من السماء) قال الضحاك : جانباً من السماء ، وقال قتادة قطمان من السماء وقال السدي عذاباً من السماء . وهذا شبه بما قالت قريش فيها أخبر الله عنهم في قوله تعالى (وقالوا لن نؤمن بك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً) إلى أن قالوا (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالهة وللأسلاك قبلا) وقوله (وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) الآية ، وهكذا قال هؤلاء الكفار الجبهة (فأسقط علينا كسفا من السماء) الآية (قال رب أعلّم بما تملكون) يقول الله أعلم بك فإن كنتم تستحقون ذلك جازاكم به وهو غير ظالم لكم وهكذا وقع بهم جزاء كما سألوهم جزاء وفاقا ولهذا قال تعالى (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) إنه كان عذاب يوم عظيم) وهذا من جنس مأسأوهم من إسقاط الكسف عليهم ، فإن الله سبحانه وتعالى جعل عقوبتهم أن أصابهم حر عظيم مدة سبعة أيام لا يكفهم منه شيء ، ثم أقبلت إليهم سحابة أظلمهم ففصلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلالها من الحر ، فلما اجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شررا من نار ولها وهجها عظيما ورجعت بهم الأرض وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم ولهذا قال تعالى (إنه كان عذاب يوم عظيم) . وقد ذكر الله تعالى صفة إهلاكهم في ثلاثة مواطن كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق في الأعراف ذكر أنهم أخذتهم العذبة فأصبوا في دارهم جاثمين وذلك لأنهم قالوا (نخرجك يا شيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو نعودن في ملتنا) فأرخبوا بني الله ومن اتبعه فأخذتهم الرجفة ، وفي سورة هود قال (فأخذتهم الصيحة) وذلك لأنهم استهزؤوا بنبي الله في قولهم (أملاك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن تعمل في أمواتنا ما نشاء إنك لانت الحليم الرشيد) قالوا ذلك على سبيل التهكم والازدراء فناسب أن تأتيهم صيحة تمسكهم فقال (فأخذتهم الصيحة) الآية ، وهنا قالوا (فأسقط علينا كسفا من السماء) الآية على وجه التمنت والناد ، فناسب أن يحقق عليهم ما استبدوا وقوعه (فأخذهم عذاب يوم الظلة) إنه كان عذاب يوم عظيم) قال قتادة : قال عبد الله بن عمر رضى الله عنه : إن الله سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى ما ينظلم منه شيء ، ثم إن الله تعالى أنشأ لهم سحابة فانطلق إليها أحدهم فاستظل بها فأصاب تحتها بردا وراحة فأعلم بذلك قومه فأقوتها جميعا فاستظلوا تحتها فأجبت عليهم نارا ، وهكذا روى عن عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقاتدة وغيرهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، بئس الله إليهم الظلة حتى إذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة وأوحى إليهم الشمس فاحترقوا كما احترق الجراد في اللقي ، وقال محمد بن كعب القرظي : إن أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب : أخذتهم الرجفة في دارهم حتى خرجوا منها فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد ففرقوا أن يدخلوا إلى البيوت فتسقط عليهم فأرسل الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال مارأيت كاليوم ظلا أطيب ولا أبرد من هذا هلوا أيها الناس قد دخلوا جميعا تحت الظلة فصاح بهم صيحة واحدة فثابروا جميعا ثم تلا محمد بن كعب (فأخذهم عذاب يوم الظلة) إنه كان عذاب يوم عظيم) وقال محمد بن جرير : حدثني الحارث حدثني الحسن حدثني سعيد بن

زيد أخو حماد بن زيد حدثنا حاتم بن أبي صفيرة حدثني يزيد الباهلي سألت ابن عباس عن هذه الآية (فأخذهم عذاب يوم النقلة) الآية قال بئس الله عليهم رعدة وحرا شديدا فأخذ بأغلبهم فخرجوا من البيوت هربا إلى البرية فبئس الله عليهم سحابة فأظلمت من الشمس فوجدوا لها بردا ولاءة فنادى بعضهم بعضا حتى إذا اجتمعوا نحتها أرسل الله عليهم نارا . قال ابن عباس فذلك عذاب يوم النقلة إنه كان عذاب يوم عظيم (إن في ذلك لآية وما كانا كثيرم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم) أي العزيز في انتقامه من الكافرين ، الرحيم بعبادة المؤمنين .

﴿ وَإِنَّا لَنَنْزِلُ رَبِّ الْأَمَلِينَ ﴿١٠٠﴾ نَزْلَ بِهِ الرُّوحِ الْأَمِينِ ﴿١٠١﴾ عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٠٢﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾
يقول تعالى خبرا عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ (وإنه) أي القرآن الذي خصم ذكره في أول السورة في قوله (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث) الآية (تنزيل رب العالمين) أي أنزله الله عليك وأوحاه إليك (نزل به الروح الأمين) وهو جبريل عليه السلام قاله غير واحد من السلف : ابن عباس ومحمد بن كعب وقتادة وعطية العوفي والسدي والضحاك والزهري وابن جريج وهذا مما لا نزاع فيه . قال الزهري وهلمه كقولهم (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه) وقال مجاهد : من كلمة الروح الأمين لأنما لك الأرض (على قلبك لتكون من المنذرين) أي نزل به ملك كريم أمين ذو مكانة عند الله مطاع في اللأعلى (على قلبك) يا محمد سالما من الدنس والزيادة والنقص (لتكون من المنذرين) أي لتنذر به بأس الله وحقته على من خالفه وكذبه وتبشيره للؤمنين للتبشير له وقوله تعالى (بلسان عربي مبين) أي هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه بلسان العربي الفصيح الكامل الشامل ليكون هينا واضحا ظاهرا قاطعا للعدو مقيا للجنة دليلا إلى الهدى . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر التميمي حدثنا عباد بن عباد الهلبي عن موسى بن محمد عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : سئنا رسول الله ﷺ مع أصحابه في يوم دجن إذ قال لهم « كيف ترون بواسطها » قالوا ما أحسنها وأشد تريا كمها قال « فكيف ترون قواعدها » قالوا ما أحسنها وأشد تمسكنا قال « فكيف ترون جربها » قالوا ما أحسنه وأشد سواده قال « فكيف ترون رجلاها استدارت » قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال « فكيف ترون برقيها أوميض أم شفق أم شفق شفا » قالوا بل يشق شفا قال « الحياء الحياء إن شاء الله » قال فقال رجل يا رسول الله بأبي وأمي ما أفضلك ما رأيت الذي هو أعرب منك قال فقال « حق لي وأنا أنزل القرآن بلساني والله يقول (بلسان عربي مبين) » وقال سفيان الثوري . لم ينزل وحى إلا بالعربية ثم ترجم كل بني لقومهم واللسان يوم القيامة بالسريانية فمن دخل الجنة تكلم بالعربية رواه ابن أبي حاتم

﴿ وَإِنَّا لَنَنْزِلُ رَبِّ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠٣﴾ أَوَّلَ مَا يَكُونُ لَهُمْ نَارَةٌ أَن يَقُولُوا عَلَّمْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٤﴾ وَنَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَبِينَ ﴿١٠٥﴾ قَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَ دُّ مُؤْمِنِينَ ﴾

يقول تعالى وإن ذكر هذا القرآن والتنبؤ به موجود في كتب الأولين للأتورة عن أنبيائهم الذين همروا به في قديم الدهر وحديثه كما أخذ الله عليهم للثاق بذلك حتى قام آخرهم خطيبا في ملكه بالشارة بأحمد (وإنه) قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إلى رسول الله ﷺ إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد (والذين همناهم الكتب وحى جمع ذبور وكذلك الزبور وهو كتاب داود ، وقال الله تعالى (وكل شيء بضوئه في الزبور) أي مكتوب عليهم في صحف لللائكة ثم قال تعالى (أولم يكن لهم آية أن يسله علماء بني إسرائيل) أي أوليس يكفهم من الشاهد الصادق على ذلك أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها وللايراد الصدول منهم الذين يقرءون بما في أيديهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومبشره وأتمته كما أخبر بذلك من آمن

منهم كعب الله بن سلام وسلمان الفارسي عن أدركه منهم ومن شاكلهم قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) الآية ثم قال تعالى غيراً عن عدة كفر قرشي وعنادهم لهذا القرآن أنه لو نزل على رجل من الأعاجم من لا يدري من العربية كلمة وأنزل عليه هذا الكتاب بيانه ووضاحته لا يؤمنون به ولهذا قال (ولو نزلنا على بعض الأعاجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) كما أخبر عنهم في الآية الأخرى (ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يسرجون قالوا وإننا سكرت أصبارنا) الآية ؛ وقال تعالى (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم بالوحي) الآية وقال تعالى (إن الدين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) الآية

(كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ • لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ • فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ • فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ • أَفَعِزُّوا بِنَا يَسْتَفْخِرُونَ • أَفَرَكِبْتُمْ مِنْ مَتْنَتَيْنِ سِنِينَ • ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ • مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَسْتَمْتُونَ • وَمَا أَهْلَكُنَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ • ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ •)

يقول تعالى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (لا يؤمنون به) أي بالحق (حتى يروا العذاب الأليم) أي حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم ولم اللمة ولهم سوء العذاب (فأتيتهم بغتة) أي عذاب الله بغتة (وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرُونَ) أي يستنون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظر وأقلا ليعملوا في زعمهم بطاعة الله كما قال الله تعالى (وأندر الناس يوم يأتيهم العذاب — إلى قوله — ما لكم من زوال) فكل ظالم وفاجر وكافر إذا شاهد عقوبته ندب ندماً شديداً وهذا فرعون لما دعا عليه السليم بقوله (ربنا إنك آتيت فرعون وملائه زينة وأموا في الحياة الدنيا — إلى قوله — قال قد أحيت دعوك) فأثرت هذه الدعوة في فرعون لما آمن حتى رأى العذاب الأليم (حتى إذا أدركه العرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل — إلى قوله — وكنت من المسلمين) وقال تعالى (فلا راوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) الآيات وقوله تعالى (أفعبدا بنا يستعجلون) إنكار عليهم وتهديد لهم فانهم كانوا يقولون للرسول تكذبي واستعباداً : اتقنا بعذاب الله ، كما قال تعالى (ويستعجلونك بالعذاب) الآيات ثم قال (أفأريت إن متناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتنون) أي لو أخرناهم وأنظرناهم وأملينا لهم برهمن الدهر وحيثما من الزمان وإن طال ثم جاءهم أمر الله أي شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعيم (كانهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) وقال تعالى (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزه من العذاب أن يعمر) وقال تعالى (وما يغني عنه ماله إذا تردى) ولهذا قال تعالى (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتنون)

وفي الحديث الصحيح «يؤتى بالكافر فينفس في النار خمسة ثم يقال هل رأيت خيراً قط ؟ هل رأيت نعيماً قط ؟ فيقول لا والله يارب ، ويؤتى بأشد الناس بؤساً كان في الدنيا فيصنع في الجنة صبغة ثم يقال هل رأيت بؤساً قط ؟ فيقول لا والله يارب » أي ما كان شيئاً كان . ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمتثل بهذا البيت كأنك لم تؤثر من الدهر ليلة إذا أنت أدركت الذي أنت تطلب

ثم قال تعالى غيراً عن عدله في خلقه أنه ما أهلك أمة من الأمم إلا بعد الاعذار إليهم ، والانتذار لهم وبشارة الرسل إليهم ، وقيام الحجة عليهم ولهذا قال تعالى (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) ذكرى وما كنا ظالمين) كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى ننبئ رسولا) وقال تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا — إلى قوله — وأهلها ظالمون)

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ • وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَكْبِرُونَ • إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ كَمَزْزُورُونَ ﴾

يقول تعالى غيرا عن كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أنه نزل به الروح الأمين المأثور من الله (وما تنزلت به الشياطين) ثم ذكر أنه تمتع عليهم ذلك من ثلاثة أوجه أحدها أنه ما ينبغي لهم أي ليس هو من بيتهم ولا من طلبهم لأن من سجاياهم الفساد وإسلاف العباد ، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونور وهدي وبرهان عظيم فينبغي بين الشياطين منافاة عظيمة . ولهذا قال تعالى (وما ينبغي لهم) وقوله تعالى (وما يستكبرون) أي ولو أنبئهم لما استطاعوا ذلك قال الله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) ثم بين أنه لو أنبئهم لما استطاعوا حمله وتأديته لما وصلوا إلى ذلك لأنهم يمزولون عن استماع القرآن حال نزوله لأن السباء ملئت حرصا شديدا وشغبا في مدة إنزال القرآن على رسول الله فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه لثلا يشغبه الأمر ، وهذا من رحمة الله بعباده ، وحفظه لشريعته ، وتأنيده لكتابه ولرسوله ، ولهذا قال تعالى (إنهم عن السمع كمززون) كما قال تعالى غيرا عن الجن (وأننا لمنا السباء فوجدناها ملئت حرصا شديدا وشغبا • وأننا كنا نعد منهم قاعا لسمع لمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) - إلى قوله- أما أراد بهم درهم رعدا

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ • وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ • وَانْخِفْضْ بِجَنَابِكَ لِإِصْحَابِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَأْيِي تَمْلِكُونَ • وَتَوَكَّلْ عَلَى التَّوْبَةِ الرَّحِيمِ • الَّذِي يَرْفَعُ حِينَ تَقُومُ • وَتَقْلِبُكَ فِي السُّجُودِ • إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

يقول تعالى أمرا بعبادته وحده لا شريك له وغيرا أن من أشرك به عذبه . ثم قال تعالى أمرا لرسوله ﷺ أن ينزل عشيرته الأقربين أي الأديين إليه : وأنه لا يخلص أحدا منهم إلا إجماعه بره عز وجل ، وأمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين . ومن عصاه من خلق الله كاتنا من كان قليلا منه ولهذا قال تعالى (فإن عصوك قتل إنى برى عما تعملون) وهذه النذارة الخاصة لا تنافي العامة بل هي فرد من أجزائها كما قال تعالى (لتنزل قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) وقال تعالى (لتنذر أم القرى ومن حولها) وقال تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) وقال تعالى (تبشیر به للثقلين وتنذر به قوما لدا) وقال تعالى (لأنذرکم به ومن بلغ) كما قال تعالى (ومن ينكر به من الأحزاب فالنار موعده) وفي صحيح مسلم «والذي قضى يده لا يسمع في أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن في إلا دخل النار» وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة فلنذكرها (الحديث الأول) قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعشى عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أنزل الله عز وجل (وأنذر عشيرتك الأقربين) أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى (يا صباحا) فاجتمع الناس إليه بين رجل يمجى إليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا بني عبد المطلب يا بني فهر ، يا بني لؤى ، أرايت لو أخبرتك أن خلا بسف هذا الجبل تريد أن تخبر عليكم صدقتموني ؟ قالوا نعم . قال «فإني تنذر لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب تبأ لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ، وأنزل الله (تبثيدا أبي لهب وتب) ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الأعشى به (الحديث الثاني) قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) قام رسول الله ﷺ فقال «يا فاطمة ابنة محمد ، يا صفية ابنة عبد المطلب ، يا بني عبد المطلب

لا أمك لك من الله شيئا سألني من مالي ما شئت » انخرط بإخراجه مسلم (الحديث الثالث) قال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الله بن حمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتَك الأقرين) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فقم وحش فقال « يا مشر قريش أقعدوا أنفسكم من النار ، يا مشر بنى كعب أقعدوا أنفسكم من النار ، يا مشر بنى هاشم أقعدوا أنفسكم من النار ، يا مشر بنى عبد المطلب أقعدوا أنفسكم من النار ، يا طلحة بنت محمد أقعدى نفسك من النار ، فإن الله لا أمك لك من الله شيئا إلا أن لك حماساً بلها يلاها » ورواه مسلم والترمذي من حديث عبد الله بن حمير به ، وقال الترمذي غريب من هذا الوجه ، ورواه النسائي من حديث موسى بن طلحة مرسلاً ولم يذكر فيه أباه هريرة ، والوصول هو الصحيح ، وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي سفيان عن عبد الرحمن عن أبي هريرة ، وقال الإمام أحمد حدثنا زيد حدثنا محمد بن إسحق عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله ، يا صفيعة رمة رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكما من الله فإن لا أغنى عنكما من الله شيئا ، سئلان من مالي ما شئت » تفرد به من هذا الوجه . وتقدم به أيضاً عن معاوية عن زائدة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ورواه أيضاً عن حسن ثنا ابن لهيعة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً ، وقال أبو يعلى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا ضمام بن إسحاق عن موسى بن وردان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « يا بني قصي يا بني هاشم يا بني عبد مناف أنا النذير ولتوت للغير . والساعة الوعد » . (الحديث الرابع) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد التيمي عن أبي عثمان عن قيس بن عمار عن زهير بن عمرو قال لما نزلت (وأنذر عشيرتَك الأقرين) مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم رمة من جبل على أعلاها حجر فيجبل ينادى « يا بني عبد المطلب إنما أنا نذير ، إنما مثلي ومثلك كرجل رأى العدو فذهب يربأ أهله رجاء أن يسبقوه فيجبل ينادى ويهتف يا صباحاه » ورواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن طرخان التيمي عن أبي عثمان عبد الرحمن بن سهل التهدي عن قيس بن زهير بن عمرو الحلبي به . (الحديث الخامس) قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن الأعمش عن الثمال عن عباد بن عبد الله الأسدي عن علي رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتَك الأقرين) جمع النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا قال : وقال لهم « من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي ؟ » فقال رجل لم يسمه شريك يا رسول الله أنت كنت بعمري من يقوم بهذا ، قال ثم قال لا خير إلا الله قال ففرض ذلك على أهل بيته فقال علي أنا « طريق أخرى بأيسر من هذا السياق » قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان بن المغيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ماجد عن علي رضي الله عنه قال . جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم - بني عبد المطلب وهم رهط وكلمهم يأكل الجذعة وضرب الفرق فضع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو كأنه لم يمس ، ثم دعا بس قسريول حتى روي وبقى الشراب كأنه لم يمس وألم يشرب وقال « يا بني عبد المطلب إنني بشت إليكم خاصة وإلى الناس عامة قد قدر أيت من هذه الآية ما رأيتم فأبكم يا بني على أن يكون أخى وصاحي » قال فلم يبق إليه أحد ، قال قصمت إليه وكنت أضمر القوم قال : فقال « اجلس » ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه يقول لي « اجلس » حتى كان في الثالثة ضرب يده على يدي « طريق أخرى أغرب وأيسر من هذا السياق زيادات أخر » قال الحافظ أبو بكر البهي في دلائل النبوة أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يوسف بن بكير عن محمد بن إسحق قال : حدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل واستكنني اسمه عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنذر عشيرتَك الأقرين) وأخض جناحك لمن أبتك من المؤمنين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرفت أني إن بادرت بها قومي رأيت منهم ما أكره فصمت فجاءني جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك » قال علي رضي

الله عنه فدعاني فقال يا طي « إن الله تعالى قد أمرني أن أندعشركي الأقرنين فصرقت آتني بأدبرهم بذلك رأيت منهم ما أكره
فسمعت عن ذلك ثم جاءني جبريل فقال يا محمد إن لم تحصل ما أمرت به عذبك ربك : فاصنع لتياطلي شاة على صاع من
طعام وأعد لنا عسى لبن ثم اجتمع لي بني عبدالمطلب » ففعلت فاجتمعوا إليه وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو
ينقصون رجلا فيهم أصحابه أبو طالب وحزرة والعباس وأبولب الكافر الحثيث فقدمت إليهم تلك الجنة فأخذ منها
رسول الله ﷺ جذبة فشقها بأسنانه ثم رعى بها في نواحيها وقال « كلوا بسم الله » فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما يرى
إلا آثار أصابعهم . والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثله . ثم قال رسول الله ﷺ « استقيم يا طي » فبجئت بذلك
القب فشرىوا منه حتى نهلوا جميعاً وأبى الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يكلمهم بذره أبولب إلى الكلام فقال : لهد ما سحركم صاحبكم فغفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فلما كان الند قال رسول الله ﷺ « يا طي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا
الرجل قد يدري إلى ما صنعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع
بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه ، وأبى الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثله ، ثم قال رسول الله ﷺ « استقيم يا طي »
فبجئت بذلك القب فشرىوا منه حتى نهلوا جميعاً ، وأبى الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله ﷺ
أن يكلمهم بذره أبولب بالكلام فقال : لهد ما سحركم صاحبكم : فغفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
كان القد : قال رسول الله ﷺ « يا طي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا
الرجل قد يدري إلى ما صنعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس فأكلوا
حتى نهلوا ثم سقيتهم من ذلك القب حتى نهلوا عنه ، وأبى الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثله وشرب مثله ثم قال
رسول الله ﷺ « يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إني قد جئتكم
بخير الدنيا والآخرة » قال أحمد بن حنبل الجبار يلقي أن ابن إسحق إنما سمعه من عبيد التفار بن القاسم أبي مريم عن
النهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث :

وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن ابن حميد عن سعة عن ابن إسحق عن عبيد التفار بن القاسم أبي مريم عن
النهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب فذكر مثله وذا بعد قوله « إني جئتكم
بخير الدنيا والآخرة : وقد أمرني الله أن أصومكم إليه فأبكم بوازرائي على هذا الأمر على أن يكون أخى وكذا وكذا ؟ »
قال فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت - وإني لأحدثهم سناً وأرمهم عينا وأعظمهم بئنا وأخشهم سافاً - أناني بني الله
أكون وزيرك عليه فأخذ يرتبني ثم قال « إني هذا أخى وكذا وكذا فاصموا له وأطيعوا » ثم قام القوم يضحكون
ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لأبيك وتطيع - فغرد بهذا السياق عبيد التفار بن القاسم أبي مريم وهو
متروك كذاب شيعي اتهمه به بن اللدني وغيره بوضع الحديث وضعفه الأئمة رحمهم الله (طريق أخرى) قال ابن
أبي حاتم حدثنا أبي أخبرنا الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعشى عن
النهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال : قال علي رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية (وأندعشرك الأقرنين) قال لي
رسول الله ﷺ « اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وإناء لنا » قال ففعلت ثم قال لي « ادع بني هاشم » قال فدعوتهم
وهم يومئذ أربعون غير رجل أو أربوعون ورجل قال وفيهم عشرة كلهم يأكل الحلقة لإدامها ، قال فلما أتوا بالقصة
أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذروتها ثم قال « كلوا » فأكلوا حتى شبعوا وهي على هيشها لم يزد ودوامها
إلا اليسير قال ثم أتيتهم بالإناء فشربوا حتى رواء ، قال وفضل فضل ، فلما فرغوا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يكلمهم فبدروه الكلام فقالوا ما رأينا كالذيوم في السحر . فسكت رسول الله ﷺ ثم قال « اصنع لي رجل شاة
بصاع من طعام » فصنعت قال ودعاهم فلما أكلوا وشربوا قال فيبدروه فقالوا مثل مقاتلتهم الأولى فسكت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم قال « اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام » فصنعت قال فجمعتهم فلما أكلوا وشربوا بذرهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم الكلام فقال « أَيْكُمْ يَفْضِي عَنْ دِينِي وَيَكُونُ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِ ؟ » قَالَ فَسَكَنُوا وَسَكَتَ الْعَبَّاسُ خَشْيَةً أَنْ يَحِيطَ ذَلِكَ بِمَا هُوَ قَالَ وَسَكَتَ أَتَا لِسَانَ الْعَبَّاسِ . ثُمَّ قَالَهَا مَرَّةً أُخْرَى فَسَكَتَ الْعَبَّاسُ ، فَلَمَّا رَأَيْتَ ذَلِكَ قُلْتُ أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ قَالَ وَابْنُ يَوْمَيْدَ لَأَسْوَاحُ هَيْئَةً وَإِنِّي لَأَعْمَى الْبَيْنِ ضَمُّهُ الْبَطْنُ فَخَفِيَ السَّاقِينَ ، فَهَلْهُ طَرُقَ مُتَمَدِّدَةً لَهُمْ الْحَدِيثَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَعْنَى سُؤَالِهِ ﷺ لِأَعْمَاهُ وَأَوْلَادِهِمْ أَنْ يَقْضُوا عَنْهُ دِينَهُ وَيُخْلَفُوهُ فِي أَهْلِهِ يَسْخَرُ إِنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَأَنَّهُ خَشِيَ إِذَا قَامَ بِأَعْبَاءِ الْإِنْدَارِ أَنْ يَقْتُلَ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَمَ يَسْخَرْ لَكَ مِنَ النَّاسِ) فَتَدَنَّكَ ذَلِكَ أَمِنْ وَكَانَ أَوْلَا يَحْرُسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (وَاللَّهُ يَصْمُكُ مِنَ النَّاسِ) وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي بَنِي هَاشِمٍ إِذْ ذَاكَ أَشَدَّ إِيمَانًا وَإِيمَانًا وَتَصَدِّقًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلِهَذَا يَدْرُمُ إِلَى التَّزَامِ مَا طَلَبَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ كَانَ بِمَسَدِّ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ دَعَاؤُهُ النَّاسَ جَهْرَةً عَلَى الصَّفَا وَإِنْدَارُهُ لِبَطُونِ قُرَيْشٍ عُمُومًا وَخُصُوصًا حَتَّى مَيَّ مِنْ مَيَّ مِنْ أَهْلِيهِ وَحَمَاتِهِ وَبَنَاتِهِ لِبَنِيهِ بِالْأَنْزِلِ عَلَى الْأُطْلَى أَيْ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَقَدْ رَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عِبَّاسٍ فِي تَرْجُمَةِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الشَّيْخِ مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ مَعْرَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَوْقَةَ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ الشَّيْخِ قَالَ رَأَيْتُ أَبَا الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْدُثُ النَّاسَ وَيَقْتُمُّهُمْ وَوَلَدَهُ إِلَى جَنْبِهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ جُلُوسٌ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ يَتَحَدَّثُونَ قَلِيلٌ لَهُ مَا لِبِ النَّاسِ يَرْغَبُونَ فَمَا عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ وَأَهْلُ بَيْتِكَ جُلُوسٌ لَاهِينَ ؟ قَالَ لِأَنِّي صَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا الْأَنْبِيَاءُ وَأَشَدُّهُمْ عَلَيْهِمُ الْأَقْرَبُونَ » وَذَلِكَ فَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ تَعَالَى (وَأَنْزَلَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ - إِلَى قَوْلِهِ - قَتَلَ إِبْنِي بَرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْغَنِيِّ الرَّحِيمِ) أَيْ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّهُ مُؤَكَّدٌ وَحَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ وَمُظْلِمُكَ وَمُسَلِّمُكَ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) أَيْ هُوَ مُعَيَّنٌ بِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) يَمْنِي إِلَى الصَّلَاةِ ، وَقَالَ عِكْرَمَةُ يَرَى قِيَامَهُ وَرُكُوعَهُ وَسُجُودَهُ ، وَقَالَ الْحَسَنُ (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) إِذَا صَلَّيْتَ وَحَدَّكَ ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) أَيْ مِنْ فِرَاشِكَ أَوْ جُلُوسِكَ . وَقَالَ قَتَادَةُ (الَّذِي يَرَاكَ) قَائِمًا وَجَالِسًا وَعَلَى حَالَتِكَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَتَقَلِّبْ فِي السَّاجِدِينَ) قَالَ قَتَادَةُ (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلِّبُ فِي السَّاجِدِينَ) قَالَ فِي الصَّلَاةِ يَرَاكَ وَحَدَّكَ وَيَرَاكَ فِي الْجَمْعِ . وَهَذَا قَوْلُ عِكْرَمَةَ وَعَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيِّ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيِّ وَقَالَ مُجَاهِدٌ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرَى مِنْ خَلْفِهِ كَمَا يَرَى مِنْ أَمَامِهِ . وَيَشْهَدُ لِهَذَا مَا صَحَّ فِي الْحَدِيثِ « سَوَّاهُ صُفُوفَكُمْ فَإِنِّي أَرَأَيْكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي » وَرَوَى الْبَزَّازُ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرَفَيْنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَمْنِي قَلْبَهُ مِنْ صَلْبِنِي إِلَى صَلْبِنِي حَتَّى أَخْرَجَهُ نَبِيًّا وَقَوْلُهُ تَعَالَى (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) أَيْ السَّمِيعُ لَأَقْوَالِ الْعِبَادَةِ الْعَلِيمُ بِحَرَكَاتِهِمْ وَسَكَاتِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَمَاتَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَاتَكُونُ مِنْ فِرَاقٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُخْفِيُونَ فِيهِ) الْآيَةُ .

﴿ هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيْطَانُ * تَنْزَلَ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِمٌ * يُقْلِقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ * وَالشُّرَكَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفُلُوكُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾

يقول تعالى مخاطبا لمن زعم من المشركين أن ما جاء به الرسول ﷺ ليس بحق وأنه شيء انتفه من تلقاء نفسه أو أنه أتاه به ربي من الجان فتره الشياطين وتعالى جناب رسوله عن قولهم واقتربهم وبه أن ما جاء به إنما هو من عند الله وأنه تنزله ووحيه نزله ملك كبري أمين عظيم وأنه ليس من قبل الشياطين فاتهم ليس لهم رغبة في مثل هذا القرآن العظيم

وأما ينزلون على من يشاء كلهم ويشابههم من الكهان الكذبة . ولهذا قال الله تعالى (هل أنبئكم) أى أخبركم (على من
نزل الشياطين) نزل على كل أفاك أنبئكم (أى كذوب في قوله وهو الأفاك) أنبئكم (وهو الفاجر في أفعاله . فهذا هو
الذى نزل عليه الشياطين من الكهان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة ، لأن الشياطين أيضا كذبة فسقة (يقولون
السمع) أى يسترقون السمع من السماء فيسمعون الكلمة من علم النبي فيزيدون معها مائة كذبة ثم يقولونها إلى أوليائهم
من الإنس فيحدثون بها فيصدقهم الناس في كل ما قالوه بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء كما سمع بذلك
الحديث ، كما رواه البخارى من حديث الزهري أخبرني يحيى بن عروة بن الزبير أنه سمع عروة بن الزبير يقول : قالت
عائشة رضي الله عنها : سألت ناس النبي ﷺ عن الكهان فقال (إنهم ليسوا بشيء) قالوا يا رسول الله فأنهم يحدثون بالشيء
يكون حقا ، فقال النبي ﷺ : « تلك الكلمة من الحق يخطئها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة السحاج
فيخاطبون معها أكثر من مائة كذبة » . وروى البخارى أيضا حديثا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت
عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول : إن النبي ﷺ قال « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا
لقوله كأنها سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلم الكبير ، فيسمعها
مسترقوا السمع ، ومسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض - وصنفه سفيان بيده فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع
الكلمة فيلقونها إلى من نخته ثم يلقونها الآخر إلى من نخته حتى يلقونها على لسان الساحر أو الكاهن ، فرمما أدركه الشهاب
قبل أن يلقها ورعيا ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا
وكذا ؟ فيصدق بذلك الكلمة التي سمعت من السماء » . فخر به البخارى . وروى مسلم من حديث الزهري عن
عبي بن الحسين عن ابن عباس عن رجال من الأنصار قريبا من هذا وسيأتي عند قوله تعالى في سبأ (حتى إذا فزع
عن قلوبهم) الآية . وقال البخارى وقال الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال أن أبا الأسود أخبره
عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن للملائكة حديث في النان - والنان النمام - بالأمر
في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكهان كما تقرأ القارورة فيزيدون معها مائة كذبة » ورواه البخارى
في موضع آخر من كتاب بدء الخلق عن سعيد بن أبي زيد عن الليث عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبي الأسود محمد بن
عبد الرحمن عن عروة عن عائشة بنحوه وقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
يعني الكفار يتبعهم ضلال الإنس والجن ، وكذا قال مجاهد رحمه الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما ، وقال
عكرمة كان الشعراء يتهاجيان فيتنصرون لهذا فقام من الناس ولهذا فقام من الناس فأنزل الله تعالى (والشعراء يتبعهم
الغاؤون) وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن ابن الهادي عن يونس مولى مصعب بن الزبير عن أبي سعيد
قال : بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمرج إذ عرض شاعر ينشد فقال النبي صلى الله عليه وسلم
« خذوا الشيطان - أو أمسكوا الشيطان - ، لأن يتلى جوف أحدكم خيرا من أن يتلى خيرا » وقوله تعالى
(ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في كل واد يهيمون وقال الضحاك عن ابن
عباس في كل فن من الكلام ، وكذا قال مجاهد وغيره ، وقال الحسن البصري قد والله رأينا أوديتهم التي غوضون فيها
مرة في شعبة فلان ومرة في مديحة فلان . وقال قتادة : الشاعر يمدح قوميا يباطل ويذم قوميا يباطل . وقوله تعالى
(وأنهم يقولون مالا يفعلون) قال المصنف عن ابن عباس كان رجلا من بني عبد مناف رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قوم آخرين وإنهما تهاجيا فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فقال الله تعالى (والشعراء يتبعهم
الغاؤون) ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون مالا يفعلون . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
أكثر قولهم يكذبون فيه . وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنه هو الواقع في نفس الأمر . فإن الشعراء يتبعون
بأقوال وأنما لم تحصد منهم ولا عنهم فيتكبرون بما ليس لهم ، ولهذا اختلف العلماء رحمهم الله فيما إذا اعترف
الشاعر في شعره بما يوجب حدا هل ينام عليه بهذا الاعتراف أم لا لأنهم يقولون مالا يفعلون ؟ على قولين . وقد

د كرمحمد بن إسحق ومحمد بن سعد في الطبقات والزيير بن بكار في كتاب الفكاهة أن أمير المؤمنين محمد بن الخطاب رضي الله عنه استعمل النعمان بن عدى بن فضالة على ميسان من أرض البصرة وكان يقول الشعر فقال :

ألا هل أتى الحسناء أن خليلها * بميسان يسقى في زجاج وحتم *
وإذا شئت غنتي دهاقين قربة
ورقاعة نحو على كل مبسم * فإن كنت تدماني فبالأكراسقني * ولا تسقني بالأصفر للتمل

لل أمير المؤمنين يسوءه * تناخنا بالجوسق للتهديم

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين محمد بن الخطاب رضي الله عنه قال أي والله إنه ليسوءني ذلك ومن لقيه فليخبره أي قد عزله ، وكتب إليه عمر (بسم الله الرحمن الرحيم سم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير) (أما بعد) قد بلغني قولك

لل أمير المؤمنين يسوءه * تناخنا بالجوسق للتهديم

وأي والله إنه ليسوءني وقد عزلتك . فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر فقال والله يا أمير المؤمنين ما شربها قط وما ذاك الشعر إلا شيء طلع على لساني . فقال عمر أظن ذلك ولكن والله لا تسمع لي عملاً أبداً . وقد قلت ما قلت فلم يذكر أنه حده على الشراب وقد ضمنه شعره لأنهم يقولون مالا يفعلون ولكنه ذمه عمر رضي الله عنه ولامه على ذلك وعزله به ، ولهذا جاء في الحديث « لأن يعلى جوف أحدكم قيعاً يربه خير له من أن يقتل » شعراً ، والبراد من هذا أن الرسول ﷺ الذي أنزل عليه هذا القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر لأن حاله مناف لحالهم من وجوه ظاهرة كما قال تعالى (وما علنناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) وقال تعالى (إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين) وهكذا قال ههنا (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) إلى أن قال (وما تنزل به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون) إلى أن قال (هل أنبشكم طي من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أظفار أثم * يقولون السمع وأكثرم كاذبون * والشعراء يتبعهم الغاؤون * ألم تر أنهم في كل وادٍ يجمعون * وأهمهم يقولون مالا يفعلون) وقوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال محمد بن إسحق عن يزيد بن عبد الله بن قيسط عن أبي الحسن سالم البراد بن عبد الله مولى عم الدارمي قال لما نزلت (والشعراء يتبعهم الغاؤون) جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وم عليه السلام يقولون : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبي ﷺ (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال « أتم » (وذكروا الله كثيراً) قال « أتم » (واتصروا من بعد ما ظنوا) قال « أتم » (وأبى حاتم وابن جرير من رواية ابن إسحاق وقد روى ابن أبي حاتم أيضاً عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة عن الوليد بن أبي كثير عن يزيد بن عبد الله عن أبي الحسن مولى بني نوفل أن حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة أتيا رسول الله ﷺ حين أنزلت هذه الآية (والشعراء يتبعهم الغاؤون) يكيان فقال رسول الله ﷺ وهو يقرأها عليهما (والشعراء يتبعهم الغاؤون) حتى بلغ (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال « أتم » وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا أبو مسلم حدثنا حماد بن مسلمة عن هشام بن عروة عن عروة قال : لما نزلت (والشعراء يتبعهم الغاؤون) إلى قوله (وأهمهم يقولون مالا يفعلون) قال عبد الله بن رواحة يارسول الله قد علم الله أني منهم فأنزل الله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية وهكذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقيادة وزيد بن أسلم وغير واحد أن هذا استثناء مما تقدم . ولا شك أنه استثناء ولكن هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الأنصار ؟ وفي ذلك نظر ، ولم يقدم إلا مراسلات لا يعتمد عليها والله أعلم ، ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبساً من شعراء الجاهلية بسم الإسلام وأهل ثم نأب وأناب ورجع وأقلع وعمل صالحاً وذكر الله كثيراً في مقابلة ما تقدم من الكلام السيئ . فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وامتدح الإسلام

وأوله في مقابلة ما كان يلحمه ، قال عبد الله بن الزهري حين أسلم .

يا رسول الله لك إن لسانى * رائق ما فقت إذ أنا يور

إذا جارى الشيطان في سنن التلى * ومن مال فيه مشور

وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان من أشد الناس عدواة للنبي ﷺ وهو ابن عمه
وأكثرهم له هجوا ، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله ﷺ وكان يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
ما كان يهجو ، ويتولاه بعد ما كان قد عاداه ، وهكذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس أن أبا سفيان صخر بن
حرب لما أسلم قال يا رسول الله ثلاث أعطينين قال « نعم » قال : معاوية تحمله كتابا بيني وبينك قال « نعم » قال
وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل للمسلمين قال « نعم » وذكر الثالثة ولهذا قال تعالى (إلا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) قيل معناه ذكروا الله كثيرا في كلامهم وقيل في شعرهم وكلاهما صحيح مكثر
لما سبق وقوله تعالى (واتصروا من بعد ما ظنلوا) قال ابن عباس يردون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين
وكذا قال مجاهد وقتادة وغير واحد وهذا كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان
« اهجمي - أو قال - هاجهم وجبريل معك » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن
عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ إن الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل فقال
رسول الله ﷺ « إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذى نفسى بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل »
وقوله تعالى (وسيلم الدين ظلوا أى منقلب يتقلبون) كقولهم تعالى (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) الآية ، وفي
الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « لاكم والنظم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » قال قتادة بن دعلجة في قوله تعالى
(وسيلم الدين ظلوا أى منقلب يتقلبون) يعنى من الشعراء وغيرهم ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا إياس بن أبي
نجمه قال حضرت الحسن ومر عليه بمنزلة نصراني فقال (وسيلم الدين ظلوا أى منقلب يتقلبون) وقال عبد الله
ابن أبي ربيع عن صفوان بن هرير أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى حتى أقول قد اندق قصيب زوره (وسيلم الدين
ظلوا أى منقلب يتقلبون) . وقال ابن وهب أخبرني ابن سريج الاسكندراني عن بعض المشيخة أنهم كانوا بأرض
الروم فبينما هم ليلة على نار يشترون عليها أو يسطلون إذا يركبان قد أقبلوا قاصموا إليهم فإذا فضالة بن عبيد فهم
فأنزلوه فجلس معهم - قال - وصاحب لنا قائم يصلى حتى مر بهذه الآية (وسيلم الدين ظلوا أى منقلب يتقلبون)
قال فضالة بن عبيد هؤلاء الذين يغربون البيت . وقيل لرادهم أهل مكة وقيل الذين ظلوا من الشركين . والصحيح
أن هذه الآية عامة في كل ظالم كالقائد ابن أبي حاتم . ذكر عن يحيى بن زكريا بن يحيى الواسطي حدثني الحارث بن محفوظ
أبو سعد الهندي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن المهبر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت :
كتب أبي في وصيته سطرين : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما وصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من
الدنيا حين يؤمن الكافر ويتبى الفاجر ويصدق الكاذب إلى استغلت عليكم عمر بن الخطاب فان يدل فذلك ظلى
به ورجاني فيه وإن يجر ويدل فلا أعلم التيب (وسيلم الدين ظلوا أى منقلب يتقلبون) آخر تفسير سورة الشعراء
والحمد لله رب العالمين .

(تفسير سورة النمل وهى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين • هدى وبشرى للمؤمنين • الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآلَةِ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ • إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زُفَّ لَهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ

بِعَمَلِهِمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سَوَاءُ الْمَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ * وَإِنَّكَ تَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿١٠٠﴾

قد خُذِمَ الكلام في سورة البقرة على الحروف للقطعة في أوائل السور ، وقوله تعالى (تلك آيات) أى هذه آيات (القرآن وكتاب مبین) أى بین واضح (هدى وبشیر للْمُؤْمِنِینَ) أى إنما حصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبه وصدقه وعمل بما فيه وأقام الصلاة للكتابة وآتى الزكاة للقروضة وأَجْنَحَ بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيرا وشرها والجنة والنار كما قال تعالى (قل هو الله الذى آمنوا هدنى وشفا والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) الآية وقال تعالى (لنشر به للشئین وتلد به قوما لنا) ولهذا قال تعالى هنا (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى يكذبون بها ويستبدون وقوعها (زينا لهم أعمالهم فهم يسمعون) أى حسانهم ما هم فيه ومددنا لهم فى غيهم فهم يتوهم فى ضلالهم وكان هذا جزاء على ما كذبوا من الدار الآخرة كما قال تعالى (وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) الآية (أولئك الذين لهم سوء العذاب) أى فى الدنيا والآخرة (وهم فى الآخرة هم الأسخرون) أى ليس يحسر أشهم وأمواهم سواهم من أهل المشرك وقوله تعالى (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) أى (وإنك) أى محمد (لتلقى) أى تأخذ (القرآن من لدن حكيم عليم) أى من عند حكيم عليم أى حكيم فى أمره ونهيه عليم بالأمور جليلها وحقيقها ، فخيرها هو الصدق المحض وحكمه هو العدل التام كما قال تعالى (وتمت كلة ربك صدقا وعدلا)

[illegible]

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ مذكراً له ما كان من أمر موسى عليه السلام كيف اصطفاه الله وكماله
وبجاهه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة والأدلة القاهرة وابتثه إلى فرعون وملائته فجددوا بها وكفروا
واستكبروا عن اتباعه والاشهاد له . قال تعالى (إذ قال موسى لأهله) أي أذكر حين سار موسى بأهله فأضل الطريق
وذلك في ليل وظلام فأنسى من جانب الطور نارا أي رأى نارا تأجج وتضطرم فقال (لأهله إني أنبت ناراً آتيتكم
منها بخبر) أي عن الطريق (أو آتيتكم منها بشهاب قبس لعلكم تصطلون) أي تستدثنون به وكان كما قال . فانهرجع منها
بخبير عظيم ، واقتبس منها نوراً عظيماً ولهذا قال تعالى (فلا جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها) أي فلما أتاهما
ورأى منظرهما حالاً عظيماً حيث انتهى إليها والنار تضطرم في شجرة خضراء لا تزدد النار إلا توقفاً ولا تزدد الشجرة
إلا خضرة ونضرة ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بستان البهاء قال ابن عباس وغيره لم تكن ناراً وإنما كانت نوراً
توهج ، وفي رواية عن ابن عباس نور رب العالمين فوقف موسى متعباً كما رأى (فنادى أن بورك من في النار)

قال ابن عباس تفسد (ومن حولها) أى من اللائكة قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وقال ابن أبى حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود هو الطيالسي حدثنا شعبة والسعودى عن عمرو بن مرة سمع أبا عبيدة يحدث عن أنى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله لا ينام ولا يغنى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل » زاد للسعودى « وحجابه النور والنار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » ثم قرأ أبو عبيدة (أن يورك من فى النار ومن حولها) وأصل الحديث مخرج فى صحيح مسلم من حديث عمرو بن مرة ، وقوله تعالى (وسبحان الله رب العالمين) أى الذى يفعل ما يشاء ولا يشبهه شيء من مخلوقاته ، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته وهو العلى العظيم للباين لجميع المخلوقات ولا يكتشفه الأرض والسماوات بل هو الأحد الصمد للزعماء عن مائة المحدثات

وقوله تعالى (يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) أعلمه أن الذى يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الذى عز كل شيء وقهره وغلبه الحكيم فى أقواله وأفعاله ، ثم أمره أن يلقى عصاه من يده ليظهر له دليلاً واضحاً على أنه الفاعل المختار القادر على كل شيء ، فلما أتى موسى تلك الصفا من يده اهتلبت فى الحال حية عظيمة هائلة فى غاية الكبر وسرعة الحركة مع ذلك ولهذا قال تعالى (فلما رآها تهتز كأنها جان) والجان ضرب من الحيات أسرع حركة وأكثرت اضطراباً : وفى الحديث نبى عن قتل جنان البيوت فلما بين موسى ذلك (ولى مديراً ولم يقب) أى لم يلتفت من شدة فرقه (يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدى الرسلون) أى لا تخف مما ترى فإني أريد أن أسطفيك رسولاً وأجعلك نبياً وجهاً . وقوله تعالى (إلا من ظلم ثم بدل حسناً بمسوءة فإني عفور رحيم) هذا استثناء منقطع وفيه بشارة عظيمة للبشر ، وذلك أن من كان على عمل سيئ ثم أبدل منه وجباً وتاب وأناب فإن الله يتوب عليه كما قال تعالى (وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) وقال تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) الآية والآيات فى هذا كثيرة جداً . وقوله تعالى (وأدخل يدك فى جيبك فخرج به ضمام غيبوسه) هذه آية أخرى ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار وصديق من جعل له معجزة ، وذلك أن الله تعالى أمره أن يدخل يده فى جيب دعوته فإذا أدخلها وأخرجها خرجت يضاء ساطعة كأنها قطعة قمر لما لمعان تلالا كالبرق الخاطف : وقوله تعالى (فى تسع آيات) أى هاتين اثنتين من تسع آيات أؤيدك بهن وأجاسهن برهانك إلى فرعون وقومه (إنهم كانوا قوماً فاسقين) وهذه هى الآيات التسع التى قال الله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) كما تقدم تقرير ذلك هناك ، وقوله تعالى (فلما جادتهم آياتنا مبصرة) أى بينة واضحة ظاهرة (قالوا هذا سحر مبين) وأرادوا موارضته بسحرهم فظلموا واقتلبوا صاغرين (وجحدوا بها) أى فى ظاهر أمرهم (واستيقنوا أنفسهم) أى علوا فى أنفسهم أنها حق من عند الله ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها (ظلموا علواً) أى ظلموا من أنفسهم سبباً لمؤمنين فلو علوا فى استكباراً عن اتباع الحق ولهذا قال تعالى (فانظر كيف كان عقابا للفسدين) أى انظر يا محمد كيف كان عقاباً لأمرهم فى اهلاك الله إليهم وإغراقهم عن آخرهم فى مبيحة واحدة ونحوى الخطاب بقول احذروا أيها المكذبون لمحمد الجاحدون لما جاء به من ربه أن يسيحكم ما أصابهم بطريق الأولى والأخرى فان عبداً شرف وأعظم من موسى وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى بما آتاه الله من الدلائل للقرنة بوجوده فى نفسه وشأنه وما سبقه من البشارات من الأنبياء به وأخذ للواثق به ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ مَلَأَ وَقَالَ ائْتِنَا بِهَذَا الْفُلِ وَأَرْسِلْنَا بَيْنَ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا الْفُلَ الْفُلُ الْمُنِيرُ وَنُحْشِرُ لِمَنْ جُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النُّزْلِ قَالَتْ تِلْكَ بَابُهَا

أَنْتَلُّ أَدْخُلُوا مَسْكَنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾

غير تعالى عما نهم به على عبده ونبيه داود وابنه سليمان عليهما السلام من النعم الجزيلة واللواهب الجليلة والصفات الجليلة وما جمع لها بين سعادة الدنيا والآخرة والملك والتحكين التام في الدنيا والنبوّة والرسل في الدين ولهذا قال تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) قال ابن أبي حاتم ذكر عن إبراهيم بن يحيى بن هشام أخبرني أبي عن جدي قال : كتب عمر بن عبد العزيز : إن الله لم ينعم على عبده نعمة فيحمد الله عليها إلا كان حمده أفضل من نعمة لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله التزل . قال الله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) فأي نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان عليهما السلام وقوله تعالى (وورث سليمان داود) أي في الملك والنبوّة وليس المراد وراثة المال إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود فإنه قد كان لداود مائة امرأة ، ولكن المراد بذلك وراثة الملك والنبوّة فإن الأنبياء لا تورث أموالهم كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في قوله « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة » وقال (يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء) أي أخبر سليمان بنعم الله عليه فيأوبهه له من الملك التام والتحكين العظيم حتى إنه سخر له الإنس والجن والطير ، وكان يرفق لغة الطير والحجر أيضا وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به ورسوله ، ومن زعم من الجهلة والرعاع أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود كما قد يتفوه به كثير من الناس فهو قول بلا علم ، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم ويعرف ما تقول وليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا بل لم تزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خلقت إلى زمانها هذا على هذا الفكل والنوال . ولكن المسبحانة كان قد أقسم سليمان ما يتخاطب به الطيور في الهواء وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها ولهذا قال تعالى (علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء) أي ما يحتاج إليه الملك (إن هذا هو الفضل للين) أي الظاهر الين لله علينا ، قال الإمام أحمد حدثنا تميم حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن أبي عمرو عن الطيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كان داود عليه السلام في غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع - قال - فخرج ذات يوم وأغلقت الأبواب فأقبلت امرأة تطلع إلى الدار فلذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة؟ والله لتفحصن بداود فيباده داود عليه السلام فلذا الرجل قائم وسط الدار فقال له داود من أنت؟ فقال الذي لا يهاب الملوك ولا يتعجب من الحجاب فقال داود أنت إذأ والله ملك اللوت مرحبا بأمر الله فترسل داود مكانه حتى قبضت شهة حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال سليمان عليه السلام للطير أظلي داود فظلت عليه الطير حتى أظلمت عليه الأرض ، قال لها سليمان أقبضي جناحا جناحا قال أبو هريرة يا رسول الله كيف فعلت الطير؟ فقبض رسول الله ﷺ يده وغلبت عليه يومئذ الضرعية . قال أبو القرج ابن الجوزي : للضرعية هي النور الحمراء . وقوله تعالى (وحشر سليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون) أي وجع سليمان جنوده من الجن والإنس والطير يعني ركب فهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس وكانوا هم الذين يولونه والجن وهم يسدهم في للزة والطير ومزلقها فوق رأسه ، فإن كان حر أظلمته منه بأجنحتها . وقوله (فهم يوزعون) أي يكف أولهم على آخرهم لئلا يتقدم أحد عن منزله التي هي مرتبة له ، قال مجاهد جبل على كل صنف وزعة يردون أولاه على آخرها لئلا يتقدموا في السير كما يفعل الملوك اليوم . وقوله

(حق إذا أتوا على وادى النمل) أى حتى إذا مر سليمان عليه السلام بمن معه من الجيوش والجنود على وادى النمل (قالت غلة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) أورد ابن عساكر من طريق إسحق بن بشر عن سعيد عن قتادة عن الحسن أن اسم هذه الغلة حرس وأنها من قيلة يقال لهم بنو الشيمان وأنها كانت عرجاء وكانت بقدر الدب . أى خافت على النمل أن يحطمها الخيول فجوارفها فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم ففهم ذلك سليمان عليه السلام منها (تقسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والذى وإن أعمل صالحا ترضاه) أى ألهمنى أن أشكر نعمتك التى مننت بها على من تعليمى منطق الطير والحيوان وعلى والذى بالإسلام لك ، والإيمان بك (وأن أعمل صالحا ترضاه) أى عملا تحبه وترضاه (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) أى إذا توفيتى فألحقنى بالصالحين من عبادك ، والرفيق الأملئ من أوليائك ، ومن قال من المفسرين إن هذا الوادى كان بأرض الشام أو بغيره وإن هذه الغلة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك من الأقاويل فلا حائل لها . وعن نوف البكالى أنه قال كان نمل سليمان أمثال الذباب ، هكذا رأيت مضطوبا بالياء للثنا من تحت وإنما هو بالياء للوحدة وذلك تصحيف والله أعلم . والعرض أن سليمان عليه السلام فهم قولها وتبسم ضاحكا من ذلك وهذا أمر عظيم جدا . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حدثنا محمد بن بشر حدثنا يزيد بن هرون أن أبا مسهر عن زيد العمى عن أبي الصديق التاجي قال خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستقي فاذا هو بشملة مستلق على ظهرها رافعة فوأمعها إلى السماء وهى تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ولاغى بناعن سقائك وإلا تسقنا تهلكتنا . فقال سليمان : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم . وقد ثبت فى الصحيح عند مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « قرصت نبيا من الأنبياء غلة فأمر بقية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه ، فى أن قرصتكم غلة أهلكت أمة من الأمم تسبع ؟ فغلا غلة واحدة ؟ »

(وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَائِتِينَ) * لَأَعَذِّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْجِبَهُ أَوْ لَأُرِيَنَّيَ يَسْلُطُنِ مِيقِينَ

قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما عن ابن عباس وغيره : كان الهدهد مهندسا يدل سليمان عليه السلام على الماء إذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له الماء فى تخوم الأرض كما يرى الإنسان النوى . الظاهر على وجه الأرض ويعرف كم مساحة بعده من وجه الأرض فاذا دهم عليه أمر سليمان عليه السلام الجبان فحضروا له ذلك للسكان حتى يستنبط الماء من قراره ، فنزل سليمان عليه السلام يوما بغلة من الأرض فتفقد الطير ليرى الهدهد فلم ير (فقال ما لى لا أرى الهدهد أم كان من الفائتين) حدث يوما عبد الله بن عباس بنحو هذا وفى القوم رجل من الخوارج يقال له نافع ابن الأزرق وكان كثير الاعتراض على ابن عباس فقال له قف يا ابن عباس غلبت اليوم ، قال ولم ؟ قال إنك تخبر عن الهدهد أنه يرى الماء فى تخوم الأرض ، وإن الصبي ليسع له الحبة فى القمح ويحشو على التفح ترابا فيجىء الهدهد ليأخذها فيقع فى القمح فيصده الصبي فقال ابن عباس ، لولا أن يذهب هذا فيقول رددت على ابن عباس لما أجبته ثم قال له ويحك إنه إذا نزل القدر حشى البصر وذهب الحذر ، فقال له نافع : والله لا أجادلك فى شيء من القرآن أبدا وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة أبي عبد الله البرزى عن أهل برزة من غوة دمشق وكان من الصالحين بسوم الاثنين والخميس وكان أجور قد بلغ الثمانين فروى ابن عساكر بسنده إلى أبي سليمان بن يزيد أنه سأله عن سبب عوره فامتنع عليه فألج عليه شهورا فأخبره أن رجلا من أهل خراسان نزلوا عنده جمعة فى قرية برزة وسأله عن وادىها فأرشدتها إليه فأخرجها بجوارى وأوقدا فيها بخورا كثيرا حتى يجمع الوادى بالستان ، فأخذوا يزمان والحيات قبل من كل مكان إليهما فلا يلتفتان إلى شيء منها ، حتى أتت حية نحو الدراع وعيناهما تودقان مثل الدينار ، فاستبصرا .

بها عظيمًا وقال الحمد لله الذي لم يخب سفرنا من سنة وكسرا الحمار وأخذنا الحية فأدخلها في عيناها مिला فكتلها به ،
فأنتهما أن يكملاني فأبيا فألححت عليهما . وقلت لابد من ذلك وتوعدتهما بالدولة فكلما عيني الواحدة البيني
فحين وقع في عيني نظرت إلى الأرض تحت مشل للراة أنظر ما تحبها كما ترى للراة ثم قال لي : سر معنا
قليلا فسرنا معهما وهما يحدثان حتى إذا بدت عن القرية أخذاني فكتفاني وأدخل أحدهما يده في عيني فقتلها وورى
بها ومضيا ، فلم أزل كذلك ملقى مكفوفًا حتى مر في غمر ففك وثاقى ، فهذا ما كان من خبر عيني وقال ابن أبي حاتم
حدثنا علي بن الحسين حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن عمرو التماسي حدثنا عباد بن مسيرة عن الثوري عن الحسن قال :
اسم هدهد سليمان عليه السلام . وقال محمد بن إسحق : كان سليمان عليه السلام إذا غدا إلى مجلسه الذي كان
يجلس فيه فغدا الطير وكان فيا يزعمون بأنه نوب من كل صنف من الطير كل يوم طائر ، فنظر فرأى من أصناف الطير
كلها من حضرة إلا الهدهد (فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من القاتلين) أخطأه يصري من الطير أم ظاب فلم يحضر ؟
وقوله (لأعذبه عذابا شديدا) قال الأعمش عن التهامي بن عمرو عن سعيد بن عباس يني تنف ربه ، وقال عبد الله
ابن شداد تنف ربه وتشمسه وكذا قال غير واحد من السلف إنه تنف ربه ونكره ملقى يأكل اللز والخل وقوله
(أو لأذبحنه) يني قتله (أو ليأتيه سلطان ميين) بملر يين واضح ، وقال سفيان بن عيينة وعبد الله بن شداد : لما
قدم الهدهد قالت له الطير ما خلقتك فقد نذر سليمان دمك ، فقال هل استغنى ؟ قالوا نعم قال (لأعذبه عذابا شديدا
أو لأذبحنه أو ليأتيه سلطان ميين) قال نجوت إننا . قال مجاهد إنما دفع الله عنه يره بأمله

(فَسَكَتَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَمِينُ • إِنْى وَجَدْتُ أَمْرَةً
تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ • وَجَدْتُهُا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَكَرَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَغْلَتْهُمْ قَصْدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ • أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُحْتَوْنَ وَمَا تَعْلِنُونَ • اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)

يقول تعالى (فسكت) الهدهد (غير بعيد) أى ظاب زمانا يسيرا ثم جاء فقال لسليان (أحطت بما لم تحط به) أى
اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك (وجئتكم من سبأ بنبا يمين) أى بغير صدق حق يقين ، وسأهم حمير وم
ملوك اليمن ، ثم قال (إنى وجدت امرأة تملكهم) قال الحسن البصري وهى بليقيس بنت شراحيل ملكة سبأ ، وقال
قتادة : كانت أمها جنية وكان مؤخر قديمها مثل حافر الدابة من بيت ملكة ، وقال زهير بن محمد : هى بليقيس بنت
شراحيل بن مالك بن الريان وأمها فارعة الجنية ؟ وقال ابن جريج بليقيس بنت ذى شريح وأمها بلثمة وقال ابن أبي حاتم حدثنا
علي بن الحسن حدثنا مسدد حدثنا سفيان بن عيينة عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال : كان مع سباحيلسان
مائة ألف قيل تحت كل ألف مائة ألف مقاتل ، وقال الأعمش عن مجاهد : كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل تحت كل
ألف مائة ألف مقاتل ، وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة في قوله تعالى (إنى وجدت امرأة تملكهم) كانت من
بيت ملكة وكان أولو مشورتها ثلاثة وثاني عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل وكانت بأرض يقال لها
مأرب على ثلاثة أميال من صنعاء ، وهذا القول هو أقرب على أنه كثير على ملكة اليمن والله أعلم وقوله (وأوتيت
من كل شيء) أى من متاع الدنيا مما يحتاج إليه الملك للممكن (ولها عرش عظيم) يني سرير يجلس عليه عظمها من زخرف
بالذهب وأنواع الجواهر والألوان . قال زهير بن محمد كان من ذهب وصفحاته مروية بالياقوت والبرجد وطوله
ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً ؟ وقال محمد بن إسحق : كان من ذهب مفصص بالياقوت والبرجد والؤلؤ وكان
إنما يخدمها النساء ولها سبائة امرأة تلى الخدمة ، قال علماء التاريخ : وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء

حكيم وكان فيه ثلثائة وستون طائفة من مشرقه ومثلها من مغربه ، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طائفة وتغرب من مقابلتها يسجدون لها صباحاً ومساءً ولهذا قال (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل) أى عن طريق الحق (فهم لا يهتدون) وقوله (ألا يسجدوا لله) معناه (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله) أى لا يعرفون سبيل الحق الذى هو إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها ، كما قال تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) وقرأ بعض القراء (ألا يا اسجدوا لله) جعلها ألا الاشتغالية وإلا لئلا ، وخلف للنادى تقديره عنده ألا يا قوم اسجدوا لله ، وقوله (الذى يخرج الحب في السموات والأرض) قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعلم كل خبيثة في السماء والأرض ، وكذا قال عكرمة وبجاهد وسعيد بن جبير وثلاثة وغير واحد . وقال سعيد بن المسيب: الحب الماء وكذا قال عبيد الرحمن بن زيد بن أسلم خبء السموات والأرض ما جعل فيها من الأرزاق . للطر من السماء والنبات من الأرض . وهذا مناسب من كلام المحدث الذى جعل الله فيه من الخاصة ما ذكره ابن عباس وغيره من أنه يرى الماء يجرى في تخوم الأرض ودخلها وقوله (يعلم ما تخفون وما تعلمون) أى يعلم ما يخفيه العباد وما يعلمونه من الأقوال والأفعال ، وهذا كقوله تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالهار) وقوله (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) أى هو للدعوة فهو الذى لا إله إلا هو رب العرش العظيم : الذى ليس في الخلق وأعظم منه . ولما كان المحدث داعياً إلى الخير ، وعبادة الله وحده والسجود له نهى عن قتله كما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمى النبي ﷺ عن ثلث أربع من الدواب : النملة والنحلة والمحدث والصرد ، وإسناده صحيح .

﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ • أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَيْتَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظَرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ • قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَى إِلَى آتِي إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ • إِنَّهُ مِنْ سَيِّئِينَ وَإِنَّهُمْ بِشِرْكِهِ لَأَرْثُونَ الرَّحْمَنِ • أَلَا تَتَّقُونَ • وَأَتَوْنِي مُسْلِمِينَ ﴾

يقول تعالى يخبرنا عن قبل سليمان للهدهد حين أخبره عن أهل سبا وملكنهم (قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) أى أصدقت في إخبارك هذا (أم كنت من الكاذبين) في مقاتلك لتخلص من الوعيد الذى أوعدتك ؟ (أذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون) وذلك أن سليمان عليه السلام كتب كتاباً إلى بلقيس وقومها . وأعطاه ذلك للهدهد فحملة . قبل في جناحه كما هي عادة الطير ، وقيل يمتدحه ، وذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس إلى الحفوة التى كانت تحتل فيها بنفسها فألقاه إليها من كوة هناك بين يديها ثم تولى ناحية أبادورياسه فتصيرت بما رأت وهالما ذلك ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته ففتحت ختمه وقرأته فإذا فيه (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم • ألا تعالوا وأتوني مسلمين) فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبار دولتها وعملكتها ثم قالت لهم (يا أيها الملأ إني آتيتكم إلى كتاب كريم) معنى بكرمه ما رآته من عجيب أمره كون طائر ذهب بآلقاه إليها ثم تولى عنها أبادورياس وهذا أمر لا يقدح عليه أحد من الملوك ولا سبيل لهم إلى ذلك ثم قرأه عليهم (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم • ألا تعالوا على وأتوني مسلمين) فعرفوا أنه من نبي الله سليمان عليه السلام ، وأنه لا قبل لهم به وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والقصاصة فانه حصل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها . قال العلماء لم يكتب أحد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان عليه السلام . وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثاً في تفسيره حيث قال : حدثنا أبي حدثنا هارون بن الفضل أبو يعلى الحياطي حدثنا أبو يوسف عن سبعة بن صالح عن عبد الكريم أبي أمية عن

ابن بريدة عن أبيه قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال « إني أعلم آية لم تنزل على نبي قبلي يسد سليمان بن داود » قلت يا نبي الله أي آية ؟ قال « سأعطيها قبيل أن أخرج من المسجد » قال فأتيت إلى الباب فأخرج إحدى قدميه فقلت نسي ثم التفت إلى وقال « إني من سليمان وإني بسم الله الرحمن الرحيم » هذا حديث غريب وإسناده ضيف . وقال يميم بن مهران كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية . فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) . وقوله (أن لا تطاولي) قال قتادة يقول لا تجيروا علي (وأتوني مسلمين) وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم لا تمتنعوا ولا تتكبروا علي وأتوني مسلمين . قال ابن عباس موحدن ، وقال غيره مخلصين ، وقال سفيان بن عيينة : طالمين .

(قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونُ * قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ قَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَمَلُوا أَعْرَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظَرَنَاهُ يَمُ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)

لما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم في أمرها وما قد نزل بها ولهذا قالت (يا أيها الملا أفتونني في أمري ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون) أي حتى تحضرون وتشيروا (قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) أي منوا إليها بددم وعدمهم وقوتهم ثم فوضوا إليها . (الأمر فقالوا :) (إليك فانظري ماذا تأمرين) أي نحن لنا حاقة ولا بنا بأس إن شئت أن نتصدبه ونحاربه فإنا عاقبه . وهذا الأمر إليك مري فنار ك ننتله ونطيعه . قال الحسن البصري رحمه الله : فوضوا أمرهم إلى علة تضطرب ثديها ، فإنا قالوا ما قالوا كانت هي أحر رأيا منهم وأعلم بأمر سليمان . وأنه لا قبل لها بمجنوده وجيوشه وما سخر له من الجن والإنس والطير . وقد شاهدت من فتية الكتاب مع المهدم أمرًا عجيبًا بديما فقالت لهم إني أخشى أن نحاربهم وننتع عليه فيقتلنا مجنوده ويهلكنا بمن معه ويخلص إلى واليسك الملاك والسمار دون غيرنا . ولهذا قالت (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) . قال ابن عباس أي إذا دخلوا بلدة أعادوها أي خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أي وقصدوا من فيها من الولاة والجنود فأهانوهم غاية الهوان إما بالقتل أو بالأسر . قال ابن عباس قالت بلقيس (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) قال الرب عز وجل (وكذلك يفعلون) ثم عدلت إلى المصالحة والمهادنة والمسالمة والمهادنة والمصالحة فقالت (وإني مرسلَةٌ إليهم بھديّة فنظرناهم يرجع المرسلون) أي سأبث إليهم بهدية تليق بمثلهم وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك فلعله قبل ذلك منا ويكف عنا أو يضرب علينا خراجا نحمله إليه في كل عام ولننزلهم له بذلك ويترك قتلنا وعاربتنا : قال قتادة رحمه الله . قلها في إسلامها وشركها ، علمت أن الهدية شفع موقفاً من الناس . وقال ابن عباس وغير واحد قال قومها . قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه . لم يقبلها فزني فأتبعوه

(فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمِينَ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ قَدِ اتَّخِذْتُ خَيْرًا مِمَّا آتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ يَخُونُ لَا يَقُولُ لَهُمْ يَهَا وَنَخَرَجْنَاهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ مُسْتُرُونَ)

ذكر غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم أنها بشت إليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر وكلى وغير ذلك وقال بعضهم أرسلت بلبن من ذهب ، والصحيح أنها أرسلت إليه بآنية من ذهب : قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما أرسلت جوارى في زى الثفان وغلغان في زى الجوارى فقالت إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي قالوا فأمرهم سليمان فتوضوا فجلت الجارية تفرغ على بدها من اللآء وجلت التلام يشرق فيزعم بذلك . وقيل بل جلست الجارية

تفعل باطن يدها قبل ظاهرها والتفاهم بالفساد ، وقيل بل جعلت الجوارى يسلمن من أكفهن إلى مراقبتهن ،
والنساء من مراقبتهن إلى كفوفهم ولا منافاة بين ذلك كله والله أعلم . وذكر بعضهم أنها أرسلت إليه بقبح ليلاؤه
ماء رواء لامن السبا ، ولا من الأرض : فأجربى الخيل حتى عرقت شحم ملاء من ذلك ، وغرزة وسلك ليجه فيها ففعل
ذلك والله أعلم أكان ذلك أم لا ، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات ، والظاهر أن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى
ما جاءوا به بالكيفية ولا اعتنى به بل أعرض عنه ، وقال منكراً عليهم (أعمدون بمال ؟) أى أنصافوني بمال لأنركم
على شرككم وملكم ؟ (فما أتاني الفخير بما آتاكم) أى الذى أعطاني الله من الملك واللال والجند خير مما أتتم فيه
(بل أتتم بهديتكم فزحون) أى أتتم الدين تتقادون للهدايا والتحف ، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الاسلام أو السيف
قال الأعمش عن للنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه : أمر سليمان الشياطين فوهوا له
ألف قصر من ذهب وفضة ، فلما رأت رسالها ذلك قالوا ما يصنع هذا بهديتنا ، وفي هذا جواز تهويل للولك وإظهارهم الرنة
للسل والقتصاد (ارجع إليهم) أى بهديتهم (ففأتيهم بجند لا قبل لهم بها) أى لا طاعة لهم بقتالهم (ولخزجهم منها أذنة) أى
ولخزجهم من بلدتهم أذنة (وهم ساغرون) أى مهاونون مدحورون ، فلما رجعت إليهم رسالها بهديتها وبما قال سليمان سمعت وأطاعت
هى وقومها وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة معظمة لسليمان ثاوية متابته في الإسلام ، ولما تحقق سليمان عليه
السلام قدومهم عليه وفودهم إليه فرح بذلك وسره

(قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِرِشْيَا قَبِيلٍ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ غَرِيبٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ
قَبْلُ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلُ أَنْ
يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي وَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَفِيرٌ كَرِيمٌ)

قال محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان قال : فلما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان قالت : قد والله عرفت ما هذا جلاك
وما لنا به من طاقة وما نصنع بمكابرته شيئا ، وبشت إليه إلى قادمة عليك بجلوك قوى لأنظر ما أمرك وما تدعونا إليه
من دينك ، ثم أمرت بسرير ملكها الذى كانت تجلس عليه . وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ
فجعل في سبعة أليات بعضها في بعض ثم أقفلت عليه الأبواب ثم قالت لمن خلفت على سلطاتها احتفظ بما قبلك وسرير
ملكى فلا يخلص إليه أحد من عباد الله ، ولا يرينه أحد حتى آتيك ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قبل من ملوك
الجن تحت يدي كل قليل ألوف كثيرة فجعل سليمان يمشي الجن يأتونه بمسيرها ومتبهاها كل يوم وليفة حتى إذا دنت جمع
من عنده من الجن والإنس ممن تحت يده فقال (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِرِشْيَا قَبِيلٍ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) وقال قتادة
لما بلغ سليمان أنها جارية وكان قد ذكر له عرشها فأعجبه . وكان من ذهب وقوامه لؤلؤ وجوهر . وكان مستورا
بالديباج والحمر ، وكانت عليه تسعة مقابلق فكره أن يأخذه بعد إسلامهم . وقد عني بن الله أنهم من أسواو تحرم
أموالهم ومما هم فقال (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِرِشْيَا قَبِيلٍ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) وهكذا قال عطاء الخراساني والسدى
وزهير بن محمد (قبل أن يأتوني مسلمين) فحرم على أموالهم بإسلامهم (قال غرابت من الجن) قال مجاهد أى مارد
من الجن ، قال شبيب الجبلي وكان اسمه كوزن ، وكذا قال محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان وكذا قال أيضا
وهب بن منبه قال أبو صالح وكان كأنه جبل (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) قال ابن عباس رضى الله عنه
يعني قبل أن تقوم من مجلسك . وقال مجاهد مقصدك ، وقال السدى وغيره كان يجلس للناس للقتاء والحكومات
وللطعام من أول النهار إلى أن تزول الشمس (وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) قال ابن عباس أى قوى على حمله أمين على

ما فيه من الجوهر ، فقال سليمان عليه السلام أريد أعجل من ذلك ، ومن ههنا يظهر أن سليمان أراد بإحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهب الله له من الملك وما سخر له من الجنود الذي لم يسطه أحد قبله ولا يكون لأحد من بعده ، ولينخذ ذلك حجة على نبوته عند بليس وقومها لأن هذا خارق عظم أن يأتي برشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه ، هذا وقد حجته بالأخلاق والأصالة والحظفة . فلما قال سليمان أريد أعجل من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) قال ابن عباس وهو أصف كاتب سليمان ، وكذا روى محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان أنه أصف بن برخيا . وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم . وقال قتادة كان مؤمنا من الإنس واسمه أصف ، وكذا قال أبو صالح والضحك وقاتدة إنه كان من الإنس زاد قتادة من بني إسرائيل . وقال مجاهد كان اسمه أسطوم ، وقال قتادة في رواية عنه كان اسمه بليخا ، وقال زهير بن محمد هو رجل من الإنس يقال له ذواتور . وزعم عبدالله بن لمية أنه الخضر وهو غريب جدا . وقوله (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) أي ارفع بصرك وانظر مد بصرك بما تهدر عليه فإنك لا تكمل بصرك إلا وهو حاضر عندك ، وقال وهب بن منبه : امد بصرك فلا يبلغ مداه حتى آتيك به فذكروا أنه أمره أن ينظر نحو اثنين ألفي هذا العرش للطلوب ثم قام فتوضأ ودعا الله تعالى . قال مجاهد قالوا الجلال والاكرام . وقال الزهري قال : يا بلخا وإله كل شيء وإلهما واحدا لإله الألائت اتقى برشها . قال فثقل بين يديه . قال مجاهد وسعيد ابن جبير ومحمد بن إسحق وزهير بن محمد وغيرهم : لما دعا الله تعالى وسأله أن يأتيه برش بليس وكان في اليمن وسليمان عليه السلام بيت المقدس فاب السبر وخاض في الأرض ثم نبع من بين يدي سليمان

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : لم يرش سليمان إلا وعرشها يحمل بين يديه قال وكان هذا الذي جاء به من عباد البحر فلما ما من سليمان وملؤه ذلك وراه مستقرا عنده (قال هذا من فضل ربي) أي هذا من نعم الله على (ليونى) أى ليخترى (أأشكر أم أكره ومن شكر فلأنا يشكر لنفسه) كقوله (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فلها) وكنفوله (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يهدون) وقوله (ومن كفر فلأن ربي غنى كريم) أى هو غنى عن العباد وجادتهم كريم أى كريم في نفسه وإن لم يبد أحد فان عظمت ليست مفتقرة إلى أحد ، وهذا كما قال موسى (إن تكفروا أثم ومن فى الأرض جميعا فلأن الله لثنى حميد) وفى صحيح مسلم « يقول الله تعالى : يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا . يا عبادى إنما أهلكم أحبا لى لكم ثم أوفىكم إياها فن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يؤمن إلا به »

(قَالَ نَسْكُرُوا لَهَا عَرْشَهُ نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ نَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ • فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدِينَ دُونَ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ • قِيلَ لَهَا أَذُنِي الْأَصْرَحُ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

لما جرى سليمان عليه السلام برش بليس قبل قدومها أمر به أن يغير بعض صفاته ليختبر معرفتها وبناتها عند رؤيته هل تدم على أمعرشها أو أناليس برشها فقال (نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون) قال ابن عباس نزع منه قصوه ومراقه ، وقال مجاهد أمر به فغير ما كان فيها رجل أصفر وما كان أصفر جميل أحمر . وما كان أخضر جعل أحمر غير كل شيء عن حاله . وقال عكرمة زادوا فيه وقصوا وقال قتادة جعل أسفلها أعلا ومقدمه مؤخره وزادوا فيه وقصوا (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) أى عرض عليها عرشها وقد غير ونكر

وزيد فيه ونقص منه فكان فيها ثبات وعقل ، ولما لب ودعاء وحزم ، فلم تدم على أنه هو لبعد مسافته عنها ولا أنه غيره للمرات من آثاره وصفاته وإن غير وبدل ونكر فقالت (كأنه هو) أى يشبهه ويقاربه . وهذا غاية في الدكاء والحزم . وقوله (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) قال مجاهد بقوله سليمان ، وقوله تعالى (وصداها ما كانت تعبد من دون الله إنا كنا من قوم كافرين) هذا من تمام كلام سليمان عليه السلام في قول مجاهد وسعيد بن جبير وجمهما الله أى قال سليمان (أوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) وهى كانت قد صعدا أى منعتها من عبادة الله وحده (ما كانت تعبد من دون الله إنا كنا من قوم كافرين) وهذا الذى قاله مجاهد وسعيد وحسن وقال ابن جرير أيضا ، ثم قال ابن جرير ومتمثل أن يكون في قوله (وصداها) ضمير يعود إلى سليمان أو إلى الله عز وجل تهديره ومنعها (ما كانت تعبد من دون الله) أى صعدا عن عبادة غير الله (إنا كنا من قوم كافرين) (قلت) ويؤيد قول مجاهد إنا أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصرح كسابقى . وقوله (قبلها ادخل الصرح فلما رآته حسبت لجة وكشفت عن سابقها) وذلك أن سليمان عليه السلام أمر الشياطين فبنوا لها صراعا عظيما من قوارير أى من زجاج وأجرى تحت اللام فالدلى لا يعرف أمره بحسب أنه ماء ولكن الزجاج يحول بين الناس وبينه . واختلفوا في السبب الذى دعا سليمان عليه السلام إلى اتخاذه قتيلا إنما عزم على تزوجها واصطفاهما لنفسه ، ذكره جالما وحسنا ولكن في سابقها هلب عظيم ومؤخر أقدمها كؤخر الدابة . فسامه ذلك فأتخذ هذا ليعلم صحتها أم لا ؟ هكذا قول محمد بن كعب القرظي وغيره . فلما دخلت وكشفت عن سابقها رأى أحسن الناس ساقا وأحسنهم قدما ولكن رأى على رجلها شرا لأنها ملكة ليس لها زوج فأحب أن يذهب ذلك عنها فقبل له للوسى فقالت لا أستطيع ذلك . وكره سليمان ذلك وقال لجن اصنعوا شيئا غير اللوسى يذهب به هذا الشعر فصنعوا له النورة . وكان أول من امتخت له النورة قاله ابن عباس ومجاهد وتكرمة ومحمد بن كعب القرظي والسدى وابن جرير وغيرهم . وقال محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان ثم قال لما ادخل الصرح ليربها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانا هو أعظم من سلطانها فلما رآته حسبت لجة وكشفت عن سابقها لانتك أنه ماء تخوشه فقبل لها إنه صرح مجرد من قوارير ، فلما وقعت على سليمان دعاها إلى عبادة الله وحده وعاتبها في عبادة الشمس من دون الله ، وقال الحسن البصري : لما رأت العلية الصرخ عرفت والله أن قد رأت ملكا أعظم من ملكها ، وقال محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال : أمر سليمان بالصرح وقد علمته له الشياطين من زجاج كأنه لاء ليأصا ثم أرسل اللاء تحت ثم وضع له فيه سريره فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس ثم قال لما ادخل الصرح ليربها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانا هو أعظم من سلطانها (فلما رآته حسبت لجة وكشفت عن سابقها) لا تشك أنه ماء تخوشه فقبل لها (إنه صرح مجرد من قوارير) . فلما وقعت على سليمان دعاها إلى عبادة الله عز وجل وحسبه وعاتبها في عبادة الشمس من دون الله فقالت يقول الزنادقة فوقع سليمان ساجدا عظيما لما قالت وسجد معه الناس فسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع فلما رفع سليمان رأسه قال وحك ماذا قلت ؟ قالت أنسيت ما قلت ؟ فقالت (رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) فأسلمت وحسن إسلامها . وقد روى الإمام أبو بكر بن أبي شيبة في هذا أثرأ غريبا عن ابن عباس فقال حدثنا الحسين بن علي عن زائدة حدثني عطاء بن السائب حدثنا مجاهد ونحن في الأزد قال حدثنا ابن عباس قال : كان سليمان عليه السلام يجلس على سريره ثم توضع كراسى حوله فيجلس عليها الإنس ثم يجلس الجن ثم الشياطين ثم تأتي الريح تفرقهم ثم تغلقهم الطير ثم يمدون قدر ما يشتهي الراكب أن يزل شهرا ورواحها شهرا ، قال فيينا هو ذات يوم في مسيره له إذ نفض الطير ففقد المدهد فقال (ما لا أرى الهدد أم كان من الغائبين) لأعذته عذابا شديدا أو لأذعته أو ليأتيني بسلطان مين) قال وكان عذابه إياه أن ينتفه ثم يلقيه في الأرض فلا يمتنع من نقة ولا من شيء من هوام الأرض قال عطاء ، وذكر سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل حديث مجاهد (فكشك غير بيد - فقرأ حتى انتهى إلى قوله - سنظن أصدقت أم كنت من الكاذبين) اذهب بكتابي هذا) وكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى بليس (أن لا تسوا

على واتتوني مسلمين) فلما ألقى الهدد الكتاب إليها ألقى في روعها انه كتاب كريم وانه من سليمان وأن لاتعالوا على واتتوني مسلمين قالوا نحن أولوا قوة قالت إن للولك إذ ادخلوا قرية أسدوها ولأن رسالة إليهم بهدية فتاظرة به يرجع الرسول ، فلما جاءت الهدية سليمان قال أعدوني بمال ارجع إليهم فلما نظر إلى الثياب أخبرنا ابن عباس قال وكان بين سليمان وبين ملكه سباً ومن معها حين نظر إلى الثياب كما بيننا وبين الحجرة ، قال عطاء ومجاهد حيثك في الأزود . قال سليمان أكرم يا أتيتي بهرثها ؟ قال وبين عرشها وبين سليمان حين نظر إلى الثياب مسيرة شهرين (قال عفريت من الجن أنا أتيتك به قبل أن تقوم من مقامك) قال وكان لسليان مجلس يجلس فيه للناس كما يجلس الأمراء ثم يقوم . قال (أنا أتيتك به قبل أن تقوم من مقامك) قال سليمان أريد أعجل من ذلك ، فقال الذي عنده علم من الكتاب أنا أنظر في كتاب ربي ثم أتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك قال فنظر إليه سليمان فلما قطع كلامه رد سليمان بصره فنبع عرشها من تحت قدم سليمان من تحت كرسى كان سليمان يضع عليه رجليه ثم يصعد إلى السرير ، قال فلما رأى سليمان عرشها قال (هذان من فضل ربي) الآية (قال تنكروا لها عرشها) فلما جاءت قبل أهلكها عرشك ؟ قالت كانه هو . قال فسأله حين جاءته عن أمرين قالت لسليان أريد ما ليس من أرض ولا سماء . وكان سليمان إذا سئل عن شيء سأل الإنس ثم الجن ثم الشياطين قال : قالت الشياطين هذان من أجر الحيل ثم خدعها ثم أملاً منه الآية . قال فأمر بالحيل فأجريت ثم أخذ عرقها فلامسه الآية ، قال وسألت عن لون الله عز وجل . قال فوثب سليمان عن سريره فخرساجداً فقال يارب لقد سألتني عن أمر إنه ليتعظم في قلبي أن أذكره لك ، فقال ارجع فقد كتبتكم قال فرجع إلى سريره قال ما سألت عنه ؟ قالت ما سألتك إلا عن الله قال لجنوده ما سألت عنه ؟ فقالوا ما سألتك إلا عن الله ، قال ونسوه كلهم . قال وقالت الشياطين إن سليمان يريد أن يخدعنا لنفسه فإن أخذها لنفسه ثم ولد بينهما ولد لم تنفك من عبوديته ، قال ففعلوا صرحاً مرمداً من قوارير فيه السمك قال فقبل لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبت لجة وكشفت عن ساقها فلما رأى صرحاً . قال فقال سليمان هذا قبيح فابذهبه ؟ قالوا ينهبه الوسى فقال أثر الوسى قبيح قال فبصفت الشياطين النورة . قال فهو أول من جعل له النورة ، ثم قال أبو بكر بن أبي شيبة ما أحسنه من حديث (قلت) بل هو منكر غريب جداً ولله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم . والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلفاة عن أهل الكتاب مما وجد في صنفهم كروايات كعب وهوب ساعهما الله تعالى فيما قلناه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والفرايب والمعاجيب مما كان وما لم يكن وبما حرف وبدل ونسخ . وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأتم وأوضح وأبلغ وفيه الحمد والملة . أصل المرح في كلام العرب هو القصر وكل بناء مرتفع ، قال الله سبحانه وتعالى إخباراً عن فرعون لعنه الله أنه قال لوزيره هامان (ابنى لي صرحاً لعلى أبلغ الأسباب) الآية . والمرح قصر في اليمين على البناء ، وللمرد للبي بناء حكماً أملت (من قوارير) أى زجاج ، وعمرى البناء تعلية ، ومارد : حسن بدومة الجنيد . والنرض أن سليمان عليه السلام أخذ قصر أعظماً من زجاج لهذه الملكة ليربها عظمت سلطاناً وتمككه ، فمارات ما آتاه الله وجلالة ما هو فيه وبصرت في أمره افتادت لأمر الله تعالى وعرفت أنه نبي كريم ، وملك عظيم ، وأسلت لله عز وجل وقالت (رب إنى ظلمت نفسي) أى بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها للشمس من دون الله (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أى متابعة له من سليمان في عبادته لله وحده لا شريك له الذى خلق كل شيء قديره قدير .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَلِإِذَاهُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ٥٠ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٥١ قَالُوا أَطِيعُوا بَنِيكَ وَبَيْنَ مَلِكٍ قَالَ طَئِيرٌ كُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَفْتَنُونَ ٥٢﴾

خبر تعالى عن ثمود وما كان من أمرها مع نبيها صالح عليه السلام حين بينه الله إليهم فندما إلى عبادة الله وحده لا شريك له (فإنهم فرسان يخمسون) قال مجاهد : مؤمن وكافر كقولهم تعالى (قال للذين استكبروا من قومه الذين آمنتموهم أن آمنوا بآياتنا) قال مجاهد : مؤمنون قال الذين استكبروا (إنا بالذي آمنتم به كافرون) (قال ياقوم اجتنبوا البسيسة قبل الحسنة) أي لم تدعوا محض المذاب ولا تطلبون من الله رحمته ولهذا قال (لولا تستفرون الله لحكمكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبينك ملك) أي ما رأينا على وجهك وجوه من أئمتك خيرا وذلك أنهم لشقاقهم كان لا يصيب أحدا منهم سوء إلا قال هذا من قبل صالح وأصحابه قال مجاهد تشاموا بهم وهذا قال الله تعالى إخبارا عن قوم فرعون (فإنما جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) الآية وقال تعالى (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) قال كل من عند الله (أي بقضائه وقدره) وقال تعالى غيرا عن أهل القرية إذ جاءها المرسلون (قالوا إنا بطيرنا بك لئن لم تنتهوا الرجعتكم لجنسنا منا عذاب ألهم قالوا طائركم ممك) الآية وقال هؤلاء (اطيرنا بك وبينك ملك قال طائركم عند الله) أي الله يجازيكم على ذلك (بل أنتم قوم تجهلون) قال قتادة يتلون بالطاعة والعصية. والظاهر أن المراد بقوله (تجهلون) أي تستدعون فأنتم فيه من الضلال

﴿وَكَانَ فِي الدِّينَةِ نِسَاءً وَغُلُوًّا يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ قَالُوا هَاسِمُوا بِإِلَهِ لَنُبَيِّنَنَّ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَعَكُ مِنْهُ وَبَرَكُوا مِثْرًا وَبَرَكْنَا مِثْرًا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ • فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْرِمِينَ • إِنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَتَوَّعَّتْهُمْ أَعْيُنُهُمْ • فَبَلَكَ يُبَيِّنُهُمْ عَاقِبَةً يَمَّا ظَنُّوا أَن فِي ذَلِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا قَوْمُ يَمْلِكُونَ • وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ •

خبر تعالى عن طغاة عمود وروءهم الذين كانوا ادعوا قومهم إلى الضلال والكفر وتكذيب صالح وآل بهم الحال إلى أنهم عقروا الناقة وهو ما قتل صالح أيضاً بأن يبيتوا في أهله لا يفتنوه غيلة ثم يقولوا لأوليائه من أقربيه إنهم ما علموا شيء من أمره وإنهم لصادقون فيما أنجزوه به من أنهم لم يشاهدوا ذلك قتل تعالى (وكان في المدينة) أي مدينة عمود (تسعة رهط) أي تسعة نفر (يفسدون في الأرض ولا يصلحون) وإنما غلب هؤلاء على أمر عمود لأنهم كانوا أكبراهم ورؤساهم قال المولى عن ابن عباس : هؤلاء هم الذين عقروا الناقة أي الذين صدر ذلك عن رأيهم ومشورتهم فجهل الله ولهم وقد قبل ذلك وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس : كانوا أمها هؤلاء التسعة دحى وديموهرما وهريم وداب وصواب ورباب ومسطح . وقد نرى بن سالف عاقر الناقة أي الذي يأسر ذلك بيده ، قال الله تعالى (فتأدوا صاحبهم فتعاضى نفرات) وقال تعالى (إذ أنثى أشقاها) وقال عبد الرزاق أن ثانياً ممن برى ربيعة السماقي سميت عطاء . هو ابن أبي رجيل - يقول (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) قال كانوا يقرضون الدرهم يعني أنهم كانوا يأخذون منها وكانهم كانوا يتماثلون بها عدداً كالنابض يتماثلون . وقال الإمام مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال قطع الذهب والورق من الفساد في الأرض ، وفي الحديث الذي رواه أبو داود وغيره أن رسول الله ﷺ نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس . والفرس أن هؤلاء الكفرة الفسقة كل من صفاتهم الإفساد في الأرض بكل طريق يقدرون عليها فيها ما ذكره هؤلاء الأئمة وغير ذلك . وقوله تعالى (قالوا تعاضوا بالله لئلا نبيته وأهل) أي تحالفوا أو بايعوا على قتل نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه السلام من قبيل الأيالة ، فكساهم الله وجعل الدائرة عليهم ، قال مجاهد تعاضوا وتحالفوا على هلاكه فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين ، وقال قتادة تناوؤا على أن يأخذوه لئلا يفتنوه ، وذكرنا أن ثمة بيننا هم معانق إلى صالح ليفتكوا به إذ بعث الله عليهم صخرة فأهدتهم ، قال

الوفى عن ابن عباس : هم الذين عقروا الناقة قالوا: حين عقروها ليتين سالحا وأهله فقتلهم ثم يقول لأولياءه ما شهدنا من هذا شيئا وما لنا به من علم فنهزمهم أشبا جميعين. وقال محمد بن إسحق قال هؤلاء التهمة بعد ما عقروا الناقة فلم يقتلهم سالحا لأن كان صادقا عجلناه قتلنا وإن كان كاذبا كنا قد ألقيناه بقاته فأتوه ليلا ليبيتوه في أهله فدمتتهم للناكسة بالحجارة ، فلما أبطأوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم منشدخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا الصالح أنت قتلتم ثم هوا به قيامت عشرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا نتخلونه أبدا وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث فإن كان صادقا فلا تزيدوا ريبك عليكم غضبا ، وإن كان كاذبا فأتيت من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليتهم تلك وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : لما عقروا الناقة قال لهم صالح (تتنموا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) قالوا زعم صالح أنه يفرغ مني إلى ثلاثة أيام فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث وكان صالح مسجد في الحجر عند شعب هناك صلى فيه فخرجوا إلى كهف أي غار هناك ليلا فقالوا إذا حلج يصلى قتلناه ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله ففرغنا منهم فيست الله عليهم صخرة من المصطب حيلهم فنحشوا أن تشدهم فتبادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك التار فلا يدرى قومهم أين هم ، ولا يدرعون ما فعل قومهم : فغضب الله هؤلاء وهنا وهؤلاء جهنا وأنجي الله سالحا ومن معه ثم قرأ (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) فانظر كيف كان عاقبة مكرمهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ﴿ فذلك يومتهم خاوية ﴾ أي فارغة ليس فيها أحد (بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون) وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿

﴿ وَلَوْ لَمْ يَلِدْ يُسَمِّهِمْ أَتَانُونَ ﴾ الْفَجِيشَةُ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ • أَيْفَكُمْ تَعْتَابُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ
بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَتَحَدَّوْنَ • فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لَّوِطُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ أَنْهُمْ نَاسٌ يُظَاهَرُونَ •
فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْآثِمَاتِ قَدْ رَدَّتْهَا مِنَ الْكَاذِبِينَ • وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْكَافِرِينَ ﴿

خبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنه أنذر قومه حقّة الله بهم في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم وهي إتيان الله كوردون الإناث وذلك فاحشة عظيمة استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فقال (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) أي يرى بصرهم بوضوح وتأتون في ناديتكم للنكر (أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) أي لا تعرفون شيئاً لاطعاً ولا شرعاً كما قال الآية الأخرى (أتأتون الله كران من المالمين وتدنون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتك إناهم أئناس يتظاهرون) أي يتحرجون من فعل ما فعلوه ومن إقراركم على صنيعكم فأخرجوهم من بين أظهركم فانهم لا يصلحون لجوارتكم في بلادكم فمزوا على ذلك فدمر الله عليهم والكافرين أمثالها ، قال الله تعالى (فأجبتهم وأهلكه لا إرادة قدرناها من القابرين) أي من المالكين مع قومها لأنها كانت ردأ لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة فكانت تدل قومها على ضياف لوط ليأتوا إليهم لا أنها كانت تمثل الفواحش تكريماً لئلا يظن الله ^{عليه} لأكرامته لها وقوله تعالى (وأمرنا عليهم مطراً) أي حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين يبيد ولهذا قال (فساء مطر للثنين) أي الذين قامت عليهم الحجة ووصل إليهم الندار فخالفوا الرسول وكدبوه وهو إلى إخراجهم من بينهم

(قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ) اللَّهُ خَيْرٌ أَمَا يُشْرِكُونَ • أَمِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتٍ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْغَالِبِينَ

بَلْ مُمْ يَمْدُلُونْ

يقول تعالى أمراً رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول (الحمد لله) أى على نعمه على عبادته من التمتع الذى لا تعد ولا تحصى وعلى ما تصف به من الصفات الطلى والأسماء الحسنى ، وأنت يسل على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم وهم رسله وأنبياءه الكرام ، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام هكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره : إن المراد بعباده الذين اصطفى ، هم الأنبياء قال وهو كقوله (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) : وقال الثوري والسدي هم أصحاب محمد ﷺ ورضى عنهم أجمعين وروى نحوه عن ابن عباس أيضاً ولا منافاة فانهم لما كانوا من عباد الله الذين اصطفى فالأنبياء بطريق الأولى والأخرى . والقصد أن الله تعالى أمر رسوله ومن اتبعه بسد ذكره لهم ما ضل بأولياته من النجاة والنصر والتأييد وما أحل بأعدائه من الجزى والنكال والقهرة ، أن يحمده على جميع أفعاله ، وأن يسلعوا على عبادته للصفتين الأخيار . وقد قال أبو بكر الزرار حدثنا محمد بن حمارة بن صبيح حدثنا طلق بن غنام حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس (وسلام على عباد الله الذين اصطفى) قال هم أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لثنيه رضى الله عنهم وقوله تعالى (آله خير أم ما يشركون) استفهام إنكار على الشركين في عبادتهم مع الله آله أخرى . ثم شرع تعالى بين أنه لا يفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره فقال تعالى (أمن خلق السموات) أى خلق تلك السموات فى أرغاعها وصفاتها . وما جعل فيها من السكاكب البيرة والنجوم كالألحار والأفلاك الدائرة . وخلق الأرض فى استقامتها وكنافها وما جعل فيها من الجبال والأنهار والسهول والأوعار ، والقياقق والقفار ، والزرورع والأشجار ، والغار والبحار ، والحيوان على اختلاف الأنساف والأشكال والألوان وغير ذلك . وقوله تعالى (وأنزل لكم من السماء ماء) أى جعله رزقاً للباد (فأنتبته حدائق) أى بساتين (ذات هبة) أى منظر حسن وشكل بهى (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) أى أن تكونوا تشدون على إنبات أشجارها ، وإنما بقدر ذلك الخالق الرازق للمستقل بنفسك للتفرد به دون مساو من الأصنام والأنداد كما يترف به هؤلاء للشركون كما قال تعالى فى الآية الأخرى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأجيبوا به الأرض من يمدونها ليقولن الله) أى هم معترفون بأنه القاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له ثم هم يبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق ، وإنما يستحق أن يغرد بالعبادة ، من هو للتفرد بالخلق والرزق ولهذا قال تعالى (أله مع الله) أى أله مع الله يعبد ، وقد تبين لكم ولكل ذى لب مما يعترفون به أيضاً أنه الخالق الرازق . ومن القسرين من يقول معنى قوله (أله مع الله) فعل هذا وهو يرجع إلى معنى الأول لأن تقدير الجواب أنهم يقولون ليس ثم أحد فعل هذا معه بل هو للتفرد به يقال فكيف تمبدون معه غيره وهو للمستقل للتفرد بالخلق والرزق والتدبير ؟ كما قال تعالى (أفئن يخلق كن لا يخلق) الآية . وقوله تعالى ههنا (أمن خلق السموات والأرض) (أمن) فهذه الآيات كلها تفديره أمن يفعل هذه الأشياء كن لا يقدر على شئ منها ؟ ههنا معنى السياق وإن لم يذكر الآخر لأن فى قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك . وقد قال الله تعالى (آله خير أم ما يشركون) ثم قال فى الآية الأخرى (بل هم قوم يدلون) أى أى يحملون لله عدلاً ونظيراً . وهكذا قال تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) أى أمن هو هكذا كن ليس كذلك ؟ ولهذا قال تعالى (قل هل يستوى الذين يسلون والذين لا يسلون إنما يتذكر أولو الألباب) (أفئن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل لقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين) وقال تعالى (أمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أى أمن هو شهيد على أفعال الخلق حركاتهم وسكناتهم يعلم القريب جليله وحقيقه كن هو لا يسل ولا يسمع ولا يبصر من هذه الأصنام التى عبدوها من دون الله ؟ ولهذا قال (وجعلوا شركاء لله) وهكذا هذه الآيات الكريمة كلها .

﴿ أَمَّنْ جَمَلَ الْأَرْضِ قَرَارًا وَجَمَلَ خِلْفَهَا أَنْهَرًا وَجَمَلَ لَهَا رُؤُوسَ وَجَمَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَلَّ أَكْثَرَكُمْ لَا يَتْلُونَ ﴾

يقول تعالى (أمن جعل الأرض قراراً) أى قارة ساكنة ثابتة لا تيمد ولا تتحرك بأهلها ولا تعرج بهم فانها لو كانت كذلك للطاب عليها العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهاداً بسيطاً ثابتة لا تزلزل ولا تتحرك كما قال تعالى في الآية الأخرى (الله الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً) (وجعل خلالها أنهاراً) أى جعل فيها الأنهار المذبة الطيبة شقفاً في خلالها وصرفها فيها مابين أنهار كبار وصغار وبين ذلك ، وسيرها شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم حيث ذراهم في أرجاء الأرض وسير لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون اليه (وجعل لها رؤوساً) أى جبلاً شامخة ترعى الأرض وتثبتها للتأيد بكم (وجعل بين البحرين حاجزاً) أى جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزاً أى مانعاً يمنعها من الاختلاط لتلا يفسد هذا بهذا وهذا فان الحكمة الإلهية تقتضى بقا كل منهما على صفته المقصودة منه. فان البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس والمقصود منها أن تكون عذبة زلالاً يسقى الحيوان والنبات والتجار منها . والبحار المالحة هى المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب والمقصود منها أن يكون ماؤها ملحاً أجاباً لتلا يفسد الهواء برعها كقالت تعالى (وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً) ولهذا قال تعالى (أإله مع الله ؟) أى فلهذا أوعيد على القول الأول والآخر ؟ وكلاهما متنازح صحيح (بلأكثرهم لا يعلمون) أى في عبادتهم غيره .

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاكُمْ وَيَكْشِفُ الشُّوْءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى أنه هو للدعوى عند الشدائد ، للرجو عند النوازل كقالت تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إلأه) وقال تعالى (ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون) وهكذا قال ههنا (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) أى من هو الذى لا يلجأ للضر إلا إليه ، والذى لا يكشف ضر للضرورين سواء . قال الإمام أحمد أنبأنا عفان أنبأنا وهب أنبأنا خالد الخذاء عن أبى ثيممة الهجيمي عن رجل من بلهجم قال: قلت يا رسول الله إلام تدعو ؟ قال « أدعو إلى الله وحده الذى إن مسك ضر فدعوته كشف منك ، والذى إن أشألت بأرض قفر فدعوته رد عليك ، والذى إن أصابك سنة فدعوته أنبت لك » قال: قلت أوصنى قال « لاتسبن أحدا ولا تزهدن فى المعروف ، ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط إليه وجهك ، ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء للسقى ، وانزروا إلى نصف الساق فان أبيت فالى الكمين . وإياك وإسبال الأزار فان إسبال الأزار من الخيبة وإن الله لا يحب الخيبة » وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر فذكر اسم الصحابي فقال : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس هو ابن عبيد حدثنا عبيدة الهجيمي عن أبيه عن أبى ثيممة الهجيمي عن جابر بن سليم الهجيمي قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عتب بشملة وقد وقع هدبه على قدميه قلت: أياكم محمد رسول الله ؟ فأومأ يده إلى نفسه ، فقلت يا رسول الله أنامن أهل البادية وفى جفأوم فأوصنى قال « لا تخف من المروء شيئا ، ولو أن تلقى أخاك وجهك منبسط ولورن تفرغ من دلوك فى إناء للسقى وإن امرؤ شتمك بما يعلم بك فلا تشتمه بما تعلم فيه فانه يكون لك أجره وعليه وزره ، وإياك وإسبال الأزار فان إسبال الأزار من الخيبة وإن الله لا يحب الخيبة ، ولاتسبن أحدا » قال فأسبغت يده أحدا ولاشاة ولا سيرا . وقد روى أبو داود والنسائي لهذا الحديث طرقا وعندهما طرف صالح منه . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا بن حنبل حدثنا عبيدة ابن نوح عن عمر بن الحجاج عن عبيد الله بن أبى صالح قال : دخل على طائوس يهودى فقلت له: ادع الله لى يا أبى عبد الرحمن فقال ادع لنفسك فانه يجيب المضطر إذا دعاه ، وقال وهب بن منبه قرأت فى الكتاب الأول أن الله تعالى يقول : بمنزلة إنّه من اعصم فى فان كادته السموات بمن فيهن والأرض عن فيهن فانى أجعل له من بين ذلك خرجاً

ومن لم يتصم في فاني أخسف به من تحت قدميه الأرض فأجعله في الهواء فأكله إلى نفسه وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الهنوي المعروف بالله في الصوفي قال هذا الرجل كنت أكرى على بئله لي من دمشق إلى بلداني فركب معي ذات مرة رجل قررنا على بعض الطريق على طريق غير مسلوكة فقال لي خذ في هذه فانها أقرب قلت لآخرية لي فيها ، فقال بل هي أقرب فسلكتها فالتفتنا إلى مكان وعرو وواد عميق وفيه قنلى كثيرة فقال لي أمسك رأس البئله حتى أنزل فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه وسل سكتنا معه وقصدنا ففترت من بين يديه وتبعني فتأخذه الله وقلت خذ البئله بما عليه فقال هو لي وإنما أريد قتلك فخنقته الله والعقوبة فلم يقبل فاستلمت بين يديه وقلت إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين فقال : عجل فقلت أصلي فأرغم على القرآن فلم يحضرنى منه حرف واحد فقبضت واقفا متحيرا وهو يقول هيه افترغ فأجرى الله على لساني قوله تعالى (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) فإذا أنا بخارس قد أقبل من قم الوادي ويده حربة فرمى بها الرجل لما أخطأت فؤاده فخر صريحا فتملقت بالخارس وقلت بالله من أنت ؟ فقال أنا رسول الله يجيب للضطر إذا دعاه ويكشف السوء . قال فأخذت البئله والجل ورجعت سالا . وذكر في ترجمة طائفة بنت الحسن أم أحمد البجليه قالت : هم الكفار يوما للمسلمين في غزاة فوقف جواد جيد بصاحبه وكان من ذوى اليسار ومن الصالحاء فقال للجواد مالك وبلك إنما كنت أعدك لئلا هذا اليوم فقال له الجواد وبالي لا أقصر وأنت تمكّل العاقبة إلى السواس فيظنونني ولا يعلمونني إلا القليل ؟ فقال لك على عهد الله أتى لا أعفك بعد هذا اليوم إلا في حجرى فجرى الجواد عند ذلك ونجى صاحبه وكان لا يظنه بعد ذلك إلا في حجره ، واشتهر أمره بين الناس وجاؤا يقصدوه ليسمعوا منه ذلك وبلغ ملك الروم أمره فقال : ما تضام بلدة يكون هذا الرجل فيها . واحتال ليحصله في بلدة فبعث إليه رجلا من للتردين عنده فلما انتهى إليه أظهر له أنه قد حسنت نيته في الإسلام وقومه حتى استوثق ثم خرجا يوما بمشيان على جنب الساحل وقد واعد شخصاً آخر من جهة ملك الروم ليقامدا على أسره فلما اكتشفاه لأخذاه رفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم إنه إنما خدعني بك فأكفنيهما بما شئت . قال فخرج سجان فأخذاهما ورجع الرجل سالا . وقوله تعالى (ويحملك خفاة الأرض) أى يخلف قرنا لقرن قبلهم وخلفا لسلف كما قال تعالى (إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) وقال تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات) وقال تعالى (وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) أى قوما يخلف بعضهم بعضا كما قدما خبره وهكذا هذه الآية (ويحملك خفاة الأرض) أى أمة بعد أمة وجيلا بعد جيل وقوما بعد قوم ولوشاء لأوجدكم كلهم في وقت واحد ولم يحمل بعضهم من ذرية بعض بل لو شاء لحلقهم كلهم أجمعين كما خلق آدم من تراب ولوشاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يبيت أحدا حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد لكانت تضيق عنهم الأرض وتضيق عليهم معاشهم وأكسابهم ويضرر بعضهم ببعض ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة ثم يكثرهم غاية الكثرة ويندأهم في الأرض ويحملهم قرونا بعد قرون وأما بعد أمم حتى ينقضى الأجل وتخرج البرية كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما أحصاهم وعدم عدائهم قيم القيامة ويوفى كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله ولهذا قال تعالى (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويحملك خفاة الأرض) أى الله مع الله) أى قدر على ذلك أن الله مع الله وهذا أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لا شريك له ؟ (قليلا ما تدكرون) أى ما أقبل تدكرهم فيما يرعدهم إلى الحق ويهديهم إلى الصراط المستقيم

(أَمِنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُزِيلُ أَرْجَحَ بَشَرًا يَبْدِى رَحْمَتَهُ أَوَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ نَعْلَى اللَّهُ

عَمَّا يُشْرِكُونَ)

يقول تعالى (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) أي بما خلق من الدلائل السبابة والأرضية كما قال تعالى (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) وقال تعالى (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) الآية (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) أي بين يدي السحاب الذي فيه مطر يشيث الله به عباده المجدبين الأذلين القسطين (أي الله الله تعالى عما يشركون)

(أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ هَاتُوا بِرُءُوسِهِمْ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)

أي هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق ثم يعيده كما قال تعالى في الآية الأخرى (إن بطش ربك لشديد) * إنه هو يبدئ ويعيد وقال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده هو أھون عليه) (ومن يرزقكم من السماء والأرض) أي بما ينزل من مطر السماء وينبت من بركات الأرض كما قال تعالى (والسما ذات الرحى) والأرض ذات الصنع) وقال تعالى (يعل ما يعل في الأرض وما یرج منها وما ینزل من السماء وما یرج فيها) فهو تبارك وتعالى ینزل من السماء ماء مبارکاً فیسلکها ینایع فی الأرض ثم یرج به منها أنواع الزروع والثمار والأزهار وغير ذلك من ألوان شتی (کلوا وارھوا أنفاسکم إن فی ذلك لآیات لأولی البھی) ولھذا قال تعالى (أله مع الله) أي فعل هذا وعلى القول الآخر بعد هذا (قل هاتوا برھانکم) على صحة ما تدعونہ من عبادۃ آلهة أخرى (إن كنتم صادقين) في ذلك وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان كما قال تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا یفلح الکافرون)

(قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * بَلَىٰ أَدْرَاكَ عَلَيْهِمْ
فِي الْآخِرَةِ بَلَّغُكُمْ فِي شَكْرٍ مِّمَّا بَلَغُكُمْ مِنْهَا عَمَلُهُمْ)

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ أن يقول معلماً للخلق أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله. وقوله تعالى (إلا الله) استثناء منقطع أي لا يعلم أحد ذلك إلا الله عز وجل فانه لا تغرد بذلك وحده لا شريك له كما قال تعالى (وعنده مفاتيح الغيب لا يطلعها إلا هو) الآية وقال تعالى (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث) إلى آخر السورة، والآيات في هذا كثيرة، وقوله تعالى (وما يشعرون أيان يبعثون) أي وما يشعر الخلاق الساكنون في السموات والأرض بوقت الساعة كما قال تعالى (تقلت في السموات والأرض لأنبياءكم إلا نبيك) أي قل عليها على أهل السموات والأرض. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن الجعد حدثنا أبو جعفر الرازي عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: من زعم أنه يعلم — يعني النبي صلى الله عليه وسلم — ما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية لأن الله تعالى يقول (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) وقال قتادة إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للساء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوماً للشياطين، فمن تماطى فيها غير ذلك فقد قال برأياً وأخطأ حفظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به. وإن أناساً جهلة بأمر الله قد أصدنوا من هذه النجوم كهانة، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأسجر والأسود والقصر والطويل والحسن والجم، وما علم هذا النجم وهذه العادة وهذا الطير شيء من الغيب، وقضى الله تعالى أنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون. رواه ابن أبي حاتم عنه بغير حوفه

وهو كلام جليل متين صحيح وقوله (بل ادرك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها) أى انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقها
وقرأ آخرون (بل أدرك علمهم) أى تساوى علمهم في ذلك كما في الصحيح لمسلم أن رسول الله ﷺ قال
لجبريل وقدماً له عن وقت الساعة « ما للشئول عنها بأعلم من السائل » أى تساوى في العجز عن درك ذلك علم للشئول
والسائل ، قال بن أبي طلحة عن ابن عباس (بل ادرك علمهم في الآخرة) أى غلب ، وقال قتادة (بل ادرك علمهم
في الآخرة) يعنى بجهلهم بربهم ، يقول لمنفذه لهم علم في الآخرة . هذا قول ، وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن
عباس (بل ادرك علمهم في الآخرة) حين لم ينفع العلم ، وبه قال عطاء الخراساني والسدي أن علمهم إغايديروكامل
يوم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك كما قال تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) وقال
سفيان عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقرأ (بل أدرك علمهم) قال اضمحل علمهم في الدنيا حين عابوا الآخرة
وقوله تعالى (بل هم في شك منها) عائد على الجنس والراد الكافرون كما قال تعالى (وعرضوا على ربك
صفا فقد جشمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نبطل لكم موعداً) أى الكافرون منكم وهكذا
قال هبنا (بل هم في شك منها) أى شاكون في وجودها ووقوعها (بل هم منها محمون) أى في حماية وجهه كبير في
أمرها وشأنها

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَهَـذَا كُنَّا تُرَابًا وَهَـآبَآؤُنَا أَنَّا لَمُخْرَجُونَ • لَقَدْ وَعِدْنَا هَـذَا نَحْنُ وَآبَآؤُنَا مِن قَبْلُ
إِن هَـذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ • قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ حَقِيقَةُ الْمُجْرِمِينَ • وَلَا تَحْزَن
عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى خبراً عن منكري البعث من الشركيين أنهم استبعدوا إعادة الأجساد بعد صيرورتها عظاماً ورفاً وتراباً
ثم قال (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل) أى ما زلنا نسمع بهذا نحن وآباؤنا ولا نرى له حقيقة ولا وقوعاً ، وقولهم
(إن هذا إلا أساطير الأولين) يعنون ما هذا الوعد بإعادة الأبدان (إلا أساطير الأولين) أى أخذهم قوم ممن قبلهم
من كتب ينقله بعض عن بعض وليس له حقيقة ، قال الله تعالى محجياً لهم عما ظنوه من الكفر وعدم الماد (قل) يا محمد
لهؤلاء (سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أى للكافرين بالرسول وبما جاءهم به من أمر الماد وغيره
كيف حلت بهم هزيمة الله وعذابه ونكاله ونجى الله من بينهم رسله الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين فدل ذلك على صدق
ما جاءت به الرسل وصحته ، ثم قال تعالى مسلماً لنبيه ﷺ (ولا تحزن عليهم) أى للمكذابين بما جئت به ولا تأسف
عليهم وتذهب نفسك عنهم حسرات (ولا تكن في ضيق مما يمكرون) أى في كيدك ورد ما جئت به فإن الله مؤيدك وناصرك
ومظهر دينك على من خالفه وعانده في الشارق والمغارب

﴿ وَقُولُونَ مَتَى هَـذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ • قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ •
وَإِن رَّبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ • وَإِن رَّبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا
يُمْلِنُونَ • وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾

يقول تعالى خبراً عن الشركيين في سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادهم وقوع ذلك (ويقولون متى هذا الوعد إن
كنتم صادقين) قال الله تعالى محجياً لهم (قل) يا محمد عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون قال ابن عباس
أن يكون قرب أو أن يقرب لكم بعض الذى تستعجلون ، وهكذا قال مجاهد والحفص وعطاء الخراساني وقاتدة

والسدى وهذا هو المراد بقوله تعالى (ويقولون متى هو ؟ عسى أن يكون قريباً) وقال تعالى (ويستجوابك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) وإنما دخلت اللام في قوله (ردف لكم) لأنه ضمن معنى عجل لكم قال مجاهد في رواية عنه (عسى أن يكون ردف لكم) عجل لكم

ثم قال الله تعالى (وإن ربك ذو فضل على الناس) أى فى إيساغه نعمه عليهم مع ظلمهم لأقسامهم وهم مع ذلك لا يشكروه على ذلك إلا القليل منهم (وإن ربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) أى يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر (سواء منكم من أسر القول ومن جهره) (يعلم السر وأخفى) (ألا حين يستشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون) ثم أخبر تعالى بأنه عالم غيب السموات والأرض وأنه عالم الغيب والشهادة وهو ما غاب عن المباد وما شاهدوه فقال تعالى (وما من غالبة) قال ابن عباس بنى وما من شيء (فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين) وهذه كقوله (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير)

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفْصِلُ بَيْنَ نَبِيِّ إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وَإِنَّهُ لَكَذِى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ
إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِ بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الْقُلُوبَ إِذَا أُلْهِتْ عَنْهَا وَإِذَا أُولُوا مَذِيرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ صَلَاتِنَا إِنَّ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمِعُونَ﴾

يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والقرآن أنه يفصل على بنى إسرائيل وهم حملة التوراة والإنجيل (أكثر الذى هم فيه يختلفون) كالخلافهم فى عيسى وجماعتهم فيه اليهود والنصارى والفرقة والاختلاف فى القرآن بالقول الوسط الحق العدل أنه عبد من عباد الله وأتباعه ورسله الكرام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، كما قال تعالى (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون) وقوله (وإله هدى ورحمة للمؤمنين) أى هدى لقلوب المؤمنين به ورحمة لهم فى العمليات . ثم قال تعالى (إن ربك يقضى بينهم) أى يوم القيامة (بحكمه وهو العزيز) أى فى انتقامه (العليم) بأفعال عباده وأقوالهم (فتوكل على الله) أى فى جميع أمورك وبلغ رسالة ربك (إنك على الحق للبين) أى أنت على الحق للبين وإن خالفك من خالفك ممن كتبت عليه الشقاوة سقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون ولو جاءهم كل آية ، ولهذا قال تعالى (إنك لا تسمع اللوى) أى لا تسمعهم شيئاً ينفعهم فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة وفى آذانهم وقر الكفر ولهذا قال تعالى (ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم * إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (أى إنما يستجيب لك من هو مسمع بصير السمع والبصر النافع فى القلب والبصيرة الخاضع لله ولما جاء عنه على السنة الرسل عليهم السلام

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾

هذه الدابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق ، يخرج الله لهم دابة من الأرض قيل من مكة وقيل من غيرها كما سياتى فضله إن شاء الله تعالى فتكلم الناس على ذلك ، قال ابن عباس والحسن وقتادة ويروى عن على رضى الله عنه تكلمهم كلاماً أى مخاطبتهم مخاطبة وقال عطاء الخراسانى تكلمهم فتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يؤمنون ، ويروى هذا عن على واختاره ابن جرير وفى هذا القول نظر لا يخفى والله أعلم . وقال ابن عباس فى رواية بجرهم ، وعنه رواية قال: كلا فتعلم بنى هذا وهذا وهو قول حسن ولا منافاة والله أعلم ، وقد ورد فى ذكر الدابة أحاديث وأخبار كثيرة فلنذكر منها ما تيسر والله السمعان . قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن

قوات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الثفاري قال : أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن تنذركم أمر الساعة فقال « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والداية وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم عليه السلام والدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمغرب وخسف بالشرق وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحترق الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا » وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من طرق عن فرات القزاز عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة مرفوعاً ، وقال الترمذي حسن صحيح . ورواه مسلم أيضاً من حديث عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عنه موقوفاً قاله أعلم (طريق أخرى) قال أبو داود الطيالسي عن طلحة بن عمرو وجري بن حازم ، فأما طلحة فقال أخبرني عبد الله بن عبيد الله بن عمير الليثي أن أبا الطفيل حدثه عن حذيفة بن أسيد الثفاري أني سمعته ، وأما جرير فقال عن عبد الله بن عبيد بن رجل من آل عبد الله بن مسعود . وحديث طلحة أئمة وأحسن قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم البداية فقال « لما ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خرجة من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم يمكن زمنا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك فيعملو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية » يعني مكة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثم بينا الناس في أعظم للساجد على الله حرمة وأكرها للسجد الحرام لمريمهم إلا وهي ترغوبين الركن وللقام تنفض عن رأسها التراب فارفضي الناس عنها حتى ومعا ، وبقيت عصاة من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يسجدوا الله فبذلت بهم فجعلت كأيها الكوكب الذي وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل لينبذ منها بالصلاة تنأيه من خلقه فيقول : يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها فتقسمه في وجهه ثم تطلق ويترك الناس في الأموال ويستطيحون في الأمصار يعرف المؤمنين من الكافر حتى إن المؤمن يقول يا كافر اقضي حتى وحتى إن الكافر يقول يا مؤمن اقضي حتى » ورواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة بن أسيد موقوفاً والله أعلم . ورواه من رواية حذيفة بن الجيان مرفوعاً ، وأن ذلك في زمان عيسى ابن مريم وهو يطوف بالبيت ولكن إسناده لا يصح (حديث آخر) قال مسلم بن الحجاج حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر عن أبي حيان عن أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو قال : حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وإنيما كانت قبل صاحبها فالأخرى على آخرها قريباً » (حديث آخر) روى مسلم في صحيحه من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « بادروا بالأعمال ستا : طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والداية وخاصة أحدكم وأمر العامة » فتردبه وله من حديث قتادة عن الحسن عن زيد بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « بادروا بالأعمال ستا : الدجال والدخان وداية الأرض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخاصة أحدكم » . (حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا حملة ابن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعيد عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالأعمال ستا : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدجال والدابة وخاصة أحدكم وأمر العامة » فتردبه . (حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أوس بن خالد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليها السلام فتخطم أنف الكافر بالعسا وتجيئ وجهه للمؤمن بالخطم حتى يجتمع الناس على الجوان يسرف المؤمن من الكافر » ورواه الإمام أحمد عن يزن وعفان وزيد بن هرون ثلاثهم عن حماد بن سلمة به ، وقال « فتخطم أنف الكافر بالخطم وتجيئ وجهه للمؤمن بالعسا حتى إن أهل الجوان الواحد ليجتمعون فيقول هذا المؤمن ويقول هذا كافر » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد اللؤب عن حماد بن سلمة به (حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو حدثنا أبو عتبة حدثنا خالد بن عبيد حدثنا عبد الله بن يزيد عن أبيه قال : ذهبني

ولم يحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون) أى فيستأثرون عن اعتقادهم وأعمالهم فلما لم يكونوا من أهل السعادة وكانوا كما قال الله عنهم (فلا صدق ولا صلي • ولكن كذب وتولى) فيجئنا فامت عليهم الحجة ولم يكن لهم عذر يستندون به كما قال الله تعالى (هذا يوم لا ينطقون • ولا يؤذن لهم فيعتدون) الآية وهكذا قال ههنا (ووقع القول عليهم بما ظنوا أنهم لا ينطقون) أى بهتوا فلم يكن لهم جواب لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلة لا تسهم ، وقد ردوا إلى عالم التيب والشهادة الذى لا تخفى عليه خافية . ثم قال تعالى منها على قدرته التامة وسلطانه العظيم وشأنه الرفع الذى يجب طاعته والاحقاد لأوامره وتصديق أنبيائه فيها جاءوا بمن الحق الذى لا عيب عنه فقال تعالى (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) أى في ظلام الليل لتسكن حركاتهم بسببه وتهدأ أنفاسهم ويستريحون من نصب التعب في نهارهم (والنهار مبصر) أى منيرا مشرقا فيسبب ذلك يصرفون في المعاشي والكاسب والأسفار والتجارات وغير ذلك من شئونهم التي يحتاجون إليها (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

(وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ قَرْعٌ مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دُخْرِينَ • وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْتَهَا جَودَةٌ وَهِيَ تَمُوتُ مَرَّةً السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ • مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ نَافِلَةٌ وَأَمَّا مَن فَرَّجَ يَوْمَئِذٍ عَامِنُونَ • وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

يخرج تعالى عن هول يوم هفنة القزع في الصور وهو كاجاء في الحديث قرن ينفع فيه . وفي حديث الصور إن إسرائيل هو الذى ينفع فيه بأمر الله تعالى فينفع فيه أولا هفنة القزع ويطلعوا وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء فيفزع من في السموات ومن في الأرض (إلا من شاء الله) وهم الشهداء فاتهم أحياء عند ربهم يرزقون قال الإمام مسلم بن الحجاج حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري حدثنا أبى حدثنا شعب بن النعمان ابن سالم سمعت يعقوب بن حاصم بن عروة بن مسعود الثقفي سمعت عبد الله بن عمرو رضى الله عنه وجاءه رجل فقال ما هذا الحديث الذى تحدث أن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال سبحانه الله؟ أولا إله إلا الله أو كلمة نحوها لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما يخرّب البيت ويكون ويكون - ثم قال - قال رسول الله ﷺ « يخرج السجّال في أمّ فيمكث أربعين - لا أدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما - فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروبة من مسعود فيطلبه فهل يهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبق على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تحبسه » قال سمعنا من رسول الله ﷺ قال « فيبقى شرار الناس في هفنة الطير وأحلام السباع لا يعرفون مروج ولا يكرهون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبن فيقولون فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفع في الصور فلا يسمعه أحد إلا أسمى لينا ورفع لينا - وأول من يسمعه رجل يوطح حوض إله قال فيصق ويسحق الناس ثم يرسل الله - أو قل ينزل الله سمطا كأنه الطل - أو قال الظل ثم يبعث منه أجساد الناس ثم ينفع فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلموا إلى ربكم وقوموا إليهم مسؤولون ثم يقال أخرجوا بئس النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعة وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يحمل الولدان شيئا وذلك يوم يكشف عن ساق » وقوله ثم ينفع في الصور فلا يسمعه أحد إلا أسمى لينا ورفع لينا . البت هو صفحة العنق أى أمال عنقه ليستمعه من السماء جيدا فهذه هفنة القزع ، ثم بعد ذلك هفنة الصمق وهو الموت ، ثم بعد ذلك هفنة القيام لرب العالمين وهو النشور من القبور للنج

الحلائق ولهذا قال تعالى (وكل أتوه داخرين) قرى بلد وبقيرو على القمل وكل بمعنى واحد وداخرين أى صاغرین مطيعين لا يتخلف أحد عن أمره كما قال تعالى (يوم يدعوكم فتستجبون بحمده) وقال تعالى (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) وفى حديث الصور أنه فى النسخة الثالثة بأمر الله الأرواح تنفوخ فى تهب فى الصور ثم ينفخ إسرائيل فيه بعد ما تمثت الأجساد فى قبورها وأما كتبها فلذا شفع فى الصور طارت الأرواح تتوهج أرواح المؤمنين نورا وأرواح الكافرين ظلة فيقول الله عز وجل : وعزى وجلالى لترجن كل روح إلى جسدھا . فتجىء الأرواح إلى أجسادھا فتدب فيها كما يدب السم فى الدفيغ ثم يقومون ينفضون التراب من قبورهم قال الله تعالى (يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون) وقوله تعالى (وترى الجبال تحسبھا جامدة وهى تمرمر السحاب) أى تراھا كأنھا ثابتة باقية على ما كانت عليه وهى تمرمر السحاب أى تزول عرع أما كتبها كما قال تعالى (يوم تمور الساء مورا • وتسير الجبال سيرا) وقال تعالى (ويسألونك عن الجبال ققل ينسفها ربى نسفا • فينزلھا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمنا) وقال تعالى (ويوم نسیر الجبال وترى الأرض بارزة) وقوله تعالى (صنع الله الذى أتھن كل شيء) أى يعمل ذلك بقدرته العظيمة (الذى أتھن كل شيء) أى أتھن كل ما خلق وأودع فيمن الحكمة ما أودع (إنه خير بما يفعلون) أى هو علم بما يفعل عباده من خير وشر وسيجازيهم عليه أتم الجزاء . ثم بين تعالى حال السعداء والأقياء يومئذ فقال (من جاء بالحسنة فله خير منها) قال قتادة بالإخلاص وقال زين العابدين هى لاله إلا الله وتدين تعالى فى الوضع الآخر أن له عشرأ أمثالھا (وهم من فزع يومئذ آمنون) كما قال فى الآية الأخرى (لا يخرجنهم الفزع الأكبر) وقال تعالى (أفئن يلقى فى التارخير أم من أئى آمنوا يوم القيامة) وقال تعالى (وهم فى الغرفات آمنون) وقوله تعالى (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار) أى من لقي الله سيئلا لا حسنة له أو قدرحت سيئاته على حسنة كل بحسبه ولهذا قال تعالى (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) وقال ابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة رضى الله عنهم وأئس بن مالك وعطاء وسعيد بن جبیر وعكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعى وأبو وائل وأبو صالح ومحمد ابن كعب وزيد بن أسلم والزهري والسدى والضحاك والحسن وقتادة وابن زيد فى قوله (ومن جاء بالسيئة) يعنى بالشرك .

(إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أُعِيدَ رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ • وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ قُلٌّ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ • وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَمَتَرُ فَوْقَهَا وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ مِّمَّا تَعْمَلُونَ)

يقول تعالى خبرا رسوله وأمرأ له أن يقول (إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أُعِيدَ رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ) كما قال تعالى (قل يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دىنى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يوفىكم) وإضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها كما قال تعالى (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ؛ وقوله تعالى (الذى حرمها) أى الذى إنما صارت حراما شرعا وقدرأ بتجرعه لها كما ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة ، لا يشد شوكة ولا ينفر صيده ولا يتقطط قطعه إلا من عرفها ولا يختل خلاها » الحديث بتمامه . وقد ثبت فى الصحيح والحسان والسائدين من طرق جماعة بنيد القطع . كما هو مبين فى موضعه من كتاب الأحكام وله الحد واللنة . وقوله تعالى : (وله كل شيء) من باب عطف المام على الخاص أى هو رب هذه البلدة وروب كل شيء . وبليكه لا إله إلا هو (وأمرت أن أكون من المسلمين) أى للوحدين المخلصين للتقدين لأمره الطيعين له . وقوله (وأن أتلو القرآن) أى على الناس

أبلغهم إياه كقوله تعالى (ذلك تنزه عليك من الآيات والله كالحكيم) وكقوله تعالى (تنزه عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق) الآية أي أنا مبلغ ومنذر (فمن اهتدى فإنا يتدى نفسه ومن ضل قتل إنا نأمن من الضلندين) أيلى أسوة بالرسول الذين أنذروا قومهم فأقواموا بماعلمهم من أداء الرسالة إليهم وخلصوا من عهدهم وحساب أنهم على الله تعالى كقوله تعالى (فلما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقال (إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل) (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها) أي لله الحمد الذي لا يذهب أحدا إلا بمقدار الجبة عليه ، والانداز إليه ، ولهذا قال تعالى (سيريكم آياته فتعرفونها) كما قال تعالى (سيريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وقوله تعالى (وما ربك بظالم عما تعملون) أي بل هوشيد على كل شيء . قال ابن أبي حاتم ذكر عن أبي عمر الجوصي خصص بن عمر حدثنا أبو أسامة بن يحيى التقي حدثنا سعيد بن أبي سعيد سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس لا يفترون أحدكم بالله فإن الله لو كان غافلا شيئا لأغفل البعوضة والحرمة والبرة » وقال أيضا حدثنا محمد بن يحيى حدثنا نصر ابن علي قال أي أخبرني عن خاله بن قيس عن مطر عن عمر بن عبد العزيز قال : فلو كان الله غافلا شيئا لأغفل ما تعفى الرياح من أثر قديم ابن آدم ، وقد ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه كان يشهد هذين البيتين إمالة وإما لغيره

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلاخل • خلوت ولكل قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة • ولا أن ما يخفى عليه يسبب

آخر تفسير سورة الفيل وله الحمد ولله

(تفسير سورة القصص وهي مكية)

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا يحيى بن آدم حدثنا وكيع عن أبيه عن ابن إسحق عن معمر بن عبد الله بن عبد الله بن أنس أن قرأ علينا طسم اللاتين فقال ما هي معي ولكن عليكم من أخذها من رسول الله ﷺ خباب بن الارت قال : فأبينا خباب بن الارت قراها علينا رضى الله عنه.

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم • تلك ءايت الكتاب المبين • نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون • إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيما يستعيف ملكية منهم يدبج أبناءهم ويستعجني نساءهم إنه كان من المفسدين • وتريد أن نن على الذين أستمعوا في الأرض وتجعلهم أئمة وتجعلهم زورا • وتبسن لهم في الأرض وتري فرعون وهن وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون •)

قد تدم الكلام على الحروف القطعة ، وقوله (تلك) أي هنه (آيات الكتاب المبين) أي الواضح الجلي الكشاف عن حقائق الأمور وعلم ما قد كان وما هو كان . وقوله (نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق) الآية كما قال تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) أي تذكر لك الأمر على ما كان عليه كأنك تشاهد وكأنك حاضر ثم قال تعالى (إن فرعون علا في الأرض) أي تكبر وتجبز وطنى (وجعل أهلها شيما) أي أصنافا قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته وقوله تعالى (يستعيف طائفة منهم) حتى بنى إسرائيل وكانوا في ذلك الوقت خير أهل زمانهم ، هذا وقد سلب عليهم هذا الملك الجبار الفريد يستعملهم في أخص الأعمال ، ويكدهم ليلا ونهارا في أشغال وأعمال رعيته ويقتل مع هذا أبناءهم ويستعج نساءهم إهانة لهم واحتقار وخوفا من أن يوجد منهم القلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته من أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه . وكانت القبط قد تقفوا هذا من بنى إسرائيل فبا كانوا يدوسونه من قول إبراهيم الخليل عليه السلام حين ورد الديار المصرية وجرى له مع جبارها

ما جرى حين أخذ سارة ليتخذها جارية فصاها أقمته ومنه منها جذرته وسلطانة فيشر إبراهيم عليه السلام ولله أنه سيولم من صلبه وذريته من يكون هلاك مصر على يديه فكانت القبط تحدث بهذا عند فرعون فاحترز فرعون من ذلك وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل ولن يتفع حذر من قدر لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولكل أجل كتاب ولهذا قال تعالى (وتريد أن غني عن الدين استغفوا في الأرض - إلى قوله - يحذرون) وقد فعل تعالى ذلك بهم كما قال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستغفون - إلى قوله - يرشون) وقال تعالى (كذلك وأورثناها بني إسرائيل) أراد فرعون بجوه وقوته أن ينجو من موسى فما قمه ذلك مع قدرة الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدير ولا يطلب بل يشد حكمه وجرى قلبه في القدم بأن يكون هلاك فرعون على يديه بل يكون هذا السلام الذي احترزت من وجوهه وقتلت بسببه ألقا من الولدان إنعامنوه ومرباه على قرارك وغذاؤه من طعامك وأنت تزيه وتدله وتتفاده وحفك وهلاكك جنودك على يديه لتعلم أن رب السموات السلا هو القاهر القالب العظيم القوى العزيز الشديد المال الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن

(وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَأَيْنَاهُ إِلَيْنَاكَ وَجَعَلْنَاهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ) فَأَلْقَيْتُهَا إِلَىٰ الْفِرْعَوْنِ لَيْسَ كُنْ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمُّنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ • وَقَالَتْ أَشْرَاءُ فِرْعَوْنُ قُرْتُ عَيْنِي وَلَكَّ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

ذكروا أن فرعون لما أكثر من قتل ذكور بني إسرائيل خافت القبط أن يغني بني إسرائيل فيلون هما كانوا يولونه من الأعمال الشاقة فقالوا لفرعون إنه يوشك إن استمر هذا الحال أن يموت شيوخهم وغلانهم يقتلون ، ونساءهم لا يمكن أن يضمنن بما تقوم به رجالهم من الأعمال فيخلص إلينا ذلك فأمر بقتل الولدان عاما وتركهم عاما ، فولد هرون عليه السلام في السنة التي يتركون فيها الولدان ، وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها الولدان ، وكان لفرعون ناس موكلون بذلك وقوايل يدرن على النساء فن رأيتها قد حملت أحصوا اسمها ، فإذا كان وقت ولادتها لا يقبلها إلا نساء القبط فان ولدت للراة جارية فذهبن ، وإن ولدت غلاما دخل أولئك القبايحون بأيديهم الشفار للرهفة يقتلوه ومضوا تبعمهم الله تعالى . فلما حملت أم موسى به عليه السلام لم يظهر عليها عايل الحبل كغيرها ولم تخطن لها الدليات ، ولكن لما وضعت ذكرأ ضاقت به ذرعأ وخافت عليه خوفا شديدا وأحبته حبا زائدا وكان موسى عليه السلام ليراه أحد إلا أحبه فالسعيد من أحبه طبعأ وشرعأ ، قال الله تعالى (وألقيت عليك حبة مني) فلما ضاقت به ذرعأ ألهمت في سرها وألقت في خلداه وقت في روعها كما قال تعالى (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إِنَّا رَأَيْنَاهُ إِلَيْنَا) وذلك أنه كانت دارها على حافة النيل فاتخذت تابوتا ومهدت فيه مهدأ وجعلت ترضع ولدها فإذا دخل عليها أحد من تخافه ذهبت فوضته في ذلك التابوت وسيرته في البحر وربطته بحبل عنقه فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه فذهبت فوضته في ذلك التابوت وأرسلته في البحر وذهلت أن تربطه فذهب مع لئاه واحتمله حتى مر به على دار فرعون فالتقطه الجوارى فاحتلمته فذهبن به إلى امرأة فرعون ولا يدرن ما فيه وخشين أن يقتلن عليها فيقتله دونها ، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمل وأحلاه وأباه فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه وذلك لسعادته وما أراد الله من كرامتها وشقاوته بلها ولهذا قال (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) الآية قال محمد بن إسحق وغيره اللام هنا لام العاقبة للام التاميل لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك ولا شك أن ظاهر اللفظ يقتضي

ما قالوه ولكن إذا نظر إلى معنى السياق فانه يتجلى اللام للتدليل لأن معناه أن الله تعالى يقضيه لانتقاطه ليصله عدوا لهم وحزنا فيكون أبلغ في إيصال حذرهم منه ولهمنا قال تعالى (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) وقد روى عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كتب كتابا إلى قوم من القدرية في تكذيبهم بكتاب الله وبأقداره النافذة في علمه السابق وموسى في علم الله السابق فرعون عدو وحزن قال الله تعالى (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وقلم أتم لو شاء فرعون أن يكون لموسى ولياً وناصراً والله تعالى يقول (ليكون لهم عدوا وحزنا) وقوله تعالى (وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك) الآية يبنى أن فرعون لما رآه ثم يقتله خوفاً من أن يكون بمن بني إسرائيل فشرعت امرأته آسية بنت مزاحم تخاصم عنه وتدب دونه وتحببه إلى فرعون فقالت (قرة عين لي ولك) فقال فرعون إياك فغتم وأمالى فلا ، فكان كذلك وهذا الله بسببه وأهلكه الله على يديه وقد خدم في حديث الفتون في سورة طه هذه القصة بطولها من رواية ابن عباس مرفوعة عند النسائي وغيره . وقوله (عسى أن ينفعنا) وقد حصل لها ذلك وهذا الله به وأسكنها الجنة بسببه . وقوله (أو تتخذونها) أي أرادت أن تتخذنها ولها وتبناها وذلك أنه لم يكن لها ولد منه وقوله تعالى (وم لا يشرون) أي لا يدرون ما أراد الله منه بالتقاطع إياه من الحكمة العظيمة البالغة والحجة القاطعة

(وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قَرِيحًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَيَّ قَلْبًا لَّيَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) *
وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْهُ عَنْ جَنْبٍ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْأَمْوَاعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلَنَعْلَمَنَّ أَن وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

يقول تعالى خبرا عن فؤاد أم موسى حين ذهب ولدها في البحر أنه أصبح فارغا أي من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو عبيدة والضحاك والحسن البصري وقادة وغيرهم (إن كادت لتبدي به) أي إن كادت من شدة وجدها وحزنها وأسفها لتظهر أنه ذهب لها ولد وتخبر بها لولا أن الله نبأها وصبرها قال الله تعالى (لولا أن ربنا على قلبنا لحكون من المؤمنين) وقالت لأختها قصيه (أي أمرت ابنتها وكانت كبيرة تسمى ما يقال لها فقالت لها (قصيه) أي اتبعي أثره وخذي خبره وتطلي شأنه من نواحي البلد فخرجت لذلك (فبصرت به عن جنب) . قاله ابن عباس عن جانب ، وقال مجاهد بصرت به عن جنب عن بعد وقال قتادة جلست تنظر إليه وكأنها لا تريد ذلك وأنه لا استقر موسى عليه السلام بدان فرعون وأحبته امرأة الملك واستطلعته منه عرضوا عليه الراضع التي في دارهم فلم يقبل منها ثديا وأبى أن يقبل شيئا من ذلك فخرجوا به إلى السوق ليلهم يحدون امرأة تصلع لراضته فلما رآته بأيديهم عرفته ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها . قال الله تعالى (وحرمنا عليه الراضع من قبل) أي تحريما قدريا وذلك لكرامته عند الله وحياته له أن يرضع غير ثدي أمه ولأن الله سبحانه وتعالى جيل ذلك سببا إلى رجوعه إلى أمه لترضعه وهي آمنة بعد ما كانت خائفة فلما رأتهم حازرين فيمن رضعه (قال هل أدلكم على أهل بيت يكفونه لكم وهم له ناصحون) قاله ابن عباس فلما قالت ذلك أخذوها وشكروا أمرها وقالوا لها وما يدريك بصحهم له وشققهم عليه ؟ قالت لهم تصحهم له وشققهم عليه رغبتهم في سرور الملك ورجاء منفعة فأرسلوها فلما قالت لهم ذلك وجلست من أذاهم ذهبوا معها إلى منزلهم فدخلوا به على أمه فأعطته ثديها فالتصقه ففرحوا بذلك فرحا شديدا وذهب البشر إلى امرأة الملك فاستدعت أم موسى وأحسن إليها وأعطتها عطاء

جزيلا وهي لا تعرف أنها أم في الحقيقة ولكن لكونه وافق عليها ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضه فأبتهت عليها وقالت : إن لي بطلا وأولاداً ولا أقدر على التمام عنك ، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فقلت فأجابها امرأة فرعون إلى ذلك وأجرت عليها النفقة والصلاة والكسوى والإحسان الجزيل فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية قد أبدلها إلى بيد خوفها أمنا في عز وجهه ورزق دار . « ولما جاء في الحديث » مثل الذي يعمل ويحسب في سنته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجراً » ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل يوم وليلة أو نحوه والله أعلم فسبحان من بيده الأمر ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن الذي يعمل لمن اتهم به كذباً وبه كل شريك محرجاً ، ولما قال تعالى (فرددناه إلى أمه كثر عنها) أي به (ولا تحزن) أي عليه (وتسلم) وأن وعد الله حق أي فبا وعدها من زده إليها وجهه من الرسلين فيجئنا تحقق برده إليها أنه كان منه رسول من الرسلين فاضلته في تربيتهم ما ينبغي لطبعها وشربها . وقوله تعالى (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي حكم اتفق أئصاله وعواقبه المحمودة التي هو المجدود عليها في الدنيا والآخرة فربما يقع الأمر كرهها إلى النور وعاقبته محمودة في نفس الأمر كما قال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) وقال تعالى (نفس أن تكروهوا شيئاً ويحب الله فيه خيراً كثيراً)

(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَائِقٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِن دُودِهِ فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي مِّن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّن دُودِهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ هَٰكِلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَأَمْلَأُ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّارٍ مَّا يَصْرِفُونَ أَوْ أَنُوزَ عَلَىٰ مَنَافٍ مِّثْلَ هَٰذَا أَلَمْ يَأْمُرْكَ رَبُّكَ إِذَا قَالَ لِقَوْمٍ أُولَٰئِكَ لِيُكَفِّرُوا عَنْ ذُنُوبِهِمْ وَلِيُنَاسِئُوا مِن قَوْلِي أَتُلَاقُوا اللَّهَ لَعَنَ إِلَهُهُمُو الْفُجُورَ الرَّحِيمَ * قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَّبَعْتُ مِمَّا أَمَرْتُ عَلَىٰ فَنَأْ كُنْ عَلَيْهِمُ الْخَبِيرِينَ)

لما ذكر تعالى مبدأ أمر موسى عليه السلام ذكر أنه لما بلغ أشده واستوى آتاه الله حكماً وعِلْماً قال مجاهد يعني النبوة (وكذلك نجزي المحسنين) ثم ذكر تعالى سبب وصوله إلى ما كان تعالى قدره من النبوة والتكليم في قضية قتله ذلك القبطي الذي كان سبب خروجه من الديار المصرية إلى بلاد مدين فقال تعالى (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) قال ابن جريج عن عطاء الحارثاني عن ابن عباس وذلك بين القرب والمشاء . وقال ابن المنكدر عن عطاء بن يسار عن ابن عباس كان ذلك نصف النهار وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقائدة (فوجد فيها رجلين يقاتلان) أي يتضاربان ويتنازعان (هذا من حيثه) أي إسرائيل (وهذا من عدوه) أي قبطي ، قاله ابن عباس وقائدة والسدي وعمر بن إسحق ، فاستأثرت إسرائيل بموسى عليه السلام فوجد موسى فرسة وهي غفلة الناس فعمد إلى القبطي (فوكزه موسى فقضى عليه) قال مجاهد فوكزه أي طعنه بجمع كفه وقال قتادة وكزه بصا كانت معه فقضى عليه أي كان فيها حظه فأت (قال) موسى (هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي أي بما جعلت لي من الجاه والعز والمنة (فلن أكون ظهيرا) أي معينا (للمجرمين) أي الكافرين بك . الخالقين لأمرك

(فَأَصْحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَعَصَمَ بِهِ الْاَرْضُ يَسْتَمِرُّهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَنَرَى مُبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ ارَادَ أَنْ يَبْتَظِرَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَهُوشُ ائْتِرِيدُ أَنْ قَتَلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَرْضِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُحْلِينَ)

يقول تعالى خبرا عن موسى عليه السلام لما قتل ذلك القبطي أنه أصبح (في المدينة خائفا) أي من معرفة ما فعل (يترقب) أي يتلفت ويتوقع ما يكون من هذا الأمر فر في بعض الطرق فإذا ذلك الذي استصره بالأمر على ذلك القبطي مقاتل آخر فلما مر عليه موسى استصره على الآخر فقال له موسى (إنك لقوى مبين) أي تظاهر التواية كثير الشرف عزم موسى على البطش بذلك القبطي فاعتقد الاسرائيلي لجورده وشفه وذلك أن موسى إنما يريد قصدا لسمعه يقول ذلك فقال يدفع عن نفسه (يا موسى) أتريد أن تقتلني كما قتلت نسا بالأمر ؟ وذلك لأنه لم يعلم به إلا هو وموسى عليه السلام لما سمع ذلك القبطي لفتها من فم ثم ذهب بها إلى باب فرعون وألقاها عنده ففعل فرعون بذلك فاشتد حنقه وعزم على قتل موسى فطلبوه فقبضوا وراءه ليحضروه لذلك

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَمْسِي قَالَ يَأْتِيَنَّكَ مِنَ الْبَلَاءِ بَئِثَرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُنَّكَ فَأَخْرَجَ إِلَى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾

قال تعالى (وجاء رجل) وصفه بالرجولية لأنه خالف الطريق فسلك طريقا أقرب من طريق الذين يشاوراه فسبق إلى موسى فقال له يا موسى (إن اللأ يا عمرو بك) أي يتشاورون نيك (ليقتلوك فآخرج) أي من البلد (إلى لك من الناصحين)

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ • وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ • وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أَمَةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدْنَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ أَمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَعْبُدُكَ حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ • فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ مِنْ خَيْرٍ قَبِيرٌ ﴾

لما أخبره ذلك الرجل بما عملاً عليه فرعون ودولته في أمره خرج من مصر وحده ولم يألف ذلك قبله بل كان في رطاهية ونعمة ورياسة (فخرج منها خائفا يترقب) أي يتلفت (قال رب نجني من القوم الظالمين) أي من فرعون وملكه فذكروا أن الله سبحانه وتعالى بعث إليه ملكا على فرس فأرشده إلى الطريق فآله أعلم (ولما توبه تلقاه مدين) أي أخذ طريقا سالكا مهيما فرج بذلك (قال عسى ربني أن يهديني سواء السبيل) أي الطريق الأقوم ففعل الله به ذلك وهداه إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة فجعله هاديا مهديا (ولما ورد ماء مدين) أي لما وصل إلى مدين وورد ماءها وكان نسا بريرة رعاء النساء (وجد عليه أمة من الناس يسقون) أي جماعة يسقون (ووجد من دونهم امرأتين تذودان) أي تمكثان عنهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء ثلاثيؤذي فلما رآهما موسى عليه السلام رق لهما ورسمهما (قال ما خطبكما ؟) أي ما خبركما لا تردان مع هؤلاء ؟ (قاتلانا نسقي حتى يصدر الرعاء) أي لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء (وأبونا شيخ كبير) أي فهذا الحال للحياء لنا إلى ما ترى قال الله تعالى (فسقى لهما) قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبيد الله أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن موسى عليه السلام لما ودهما مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون قال فلما فرغوا أنادوا الصخرة على البر ولا يطبق رفقها إلا عشرة رجال فإذا هو بامرأتين تذودان قال ما خطبكما ؟ فحدثته فأتى الحجر فرفعه ثم لم يستق إلا ذنوبا واحدا حتى رويت الغنم ، إسناد صحيح ، وقوله تعالى (ثم تولى إلى الظل فقال رب إنني لآتيتك من خير قبير) قال ابن عباس : سار موسى من مصر إلى مدين ليس له طعام . إلا البقل وورق الشجر وكان حافيا

فأوصل إلى مدن حتى سقطت نعل قدميه وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه وإن بطنه لالاسق يظهره من الجوع وإن خضرة البقل ترى من داخل جوفه وإنه يحتاج إلى شق تمره . وقوله (إلى الظل) قال ابن عباس وابن مسعود والسدي جلس تحت شجرة ، وقال ابن جرير : حدثني الحسين بن عمرو المتقري حدثنا أبي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : حدثني رجل يلبثين حتى أصبحت مدين فسلئت عن الشجرة التي أوى إليها موسى فإذا هي شجرة خضراء ترف فأوى إليها جمل وكان جاثما فأخذها جملي فمالها ساعة ثم لفظها فدعوت الله لموسى عليه السلام ثم انصرفت ، وفي رواية عن ابن مسعود أنه ذهب إلى الشجرة التي كلم الله منها موسى كما سيأتي إن شاء الله فآله أعلم ، وقال السدي كانت الشجرة من شجر السم ، وقال عطاء بن السائب لما قال موسى (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) أضع الرأس

﴿فَجَاءَهُمْ إِحْسَانُهَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَيِّئْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ
عَلَيْهِ الْقِصَّةَ قَالَ لَا تَحْضُ نَحْنُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْسَانُ مَا بَأْسَ اسْتَفْجَرْتُمْ إِنِّي خِفْتُ مِنَ
اسْتَفْجَرْتُ الْقَوِيَ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ بِبَنِي قَهْتَنَ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي تَمْلِكُنِي حَبِيبَ فَإِنْ
أَنْتُمْ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفُوقَ عَلَيْكَ سَعْدَتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَنِي
وَبَيْنَكَ أَيْمَانُ الْأَجَلَيْنِ فَصَبْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ تَاهُولٌ وَكَامِلٌ﴾

لما رجعت للرائدان سرى ما بالتم إلى أيهما أنكر حالهما بسبب مجيئهما سرى ما فأسلمما عن خبرهما قصصتا عليه ما حل موسى عليه السلام فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلى أبيها قال الله تعالى (فجاءته إحداهما على غير استحياء) أي مضى الحرائر كما روى عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قال : جاءت مستترية بك دعوها ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال : قال عمر رضي الله عنه جاءت ثمنى على استحياء قائلة شوبها على وجهها ليست يسلف من النساء ولاجة خراجه . هذا إسناد صحيح ، قال الجوهري : السلف من الرجال الجسور ومن النساء الجرية السليطة ومن التوق الشديدة . (قالت إن أبي يدعوك ليجز بك أجرا ما سقيت لنا) وهذا تأدب في العبارة لم تعطيه طلبا مطلقا لثلاثي يوم ربة بل قالت : إن أبي يدعوك ليجزبك أجر ما سقيت لنا يعني ليئيك وبكافتك على سقيك لفتننا (فلجاءه وقص عليه القصص) أي ذكر له ما كان من أمره وما جرى له من السبل التي أخرج من أجله من بلده (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يقول طب قسا وقرعنا فقد خرجت من علمكم فلاحكم فلم في بلادنا ، ولهذا قال (نجوت من القوم الظالمين) وقد اختلفت للفسرون في هذا الرجل من هو ؟ على أقوال أحدها أنه شعيب التي عليه السلام الذي أرسل إلى أهل مدین وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء ، وقد قال الحسن البصري وغير واحد ، ورواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز الأزدي حدثنا مالك بن أنس أنه بلغه أن شعيبا هو الذي قص عليه موسى القصص قال (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) وقد روى الطبراني عن سلمة بن سعد الأزدي أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له « مرحبا بجوم شعيب وأختان موسى هديت » وقال آخرون بل كان ابن أخي شعيب وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب وقال آخرون كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة لأنه قال لقومه (وما قوم لوط منكم بعيد) وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الحليل عليه السلام بنس القرآن ، وقد علم أنه كان بين الحليل وموسى عليها السلام مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة كما ذكره غير واحد . وما قيل إن شعيبا عاش مدة طويلة إنما هو والله أعلم احتراز من هذا الإشكال ثم من لقوى لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه

لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن ههنا ، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح
إسناده كما سنذكره قريباً إن شاء الله ، ثم من اللوجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه ثيرون والله أعلم .
قال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود : ثيرون هو ابن أخى شعيب عليه السلام وعن أبي حمزة عن ابن عباس قال أتى
استأجر موسى يشرى صاحب مدين رواه ابن جرير به ثم قال الصواب إن هذا لا يدرك إلا بفجر ولا خبر نجيب له الحجة
في ذلك وقوله تعالى (قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأميين) أى قالت إحدى ابنتي هذا
الرجل قيل هى التى ذهبت وراء موسى عليه السلام قالت لأبها (يا أبت استأجره) أى لرعية هذه التعم قال عمر
وابن عباس وشرع القاضي وأبو مالك وقادة ومحمد بن إسحق وغير واحد لما قالت (إن خير من استأجرت القوى الأميين)
قالها أبوها وما عندك بذلك ؟ قالت له إنه رفع الصخرة التى لا يطيق حملها إلا عشرة رجال وإنى لما جئت معه تقدمت
أمامه فقالنى كوفى من ورأى فلذا اختلف على الطريق فأخذنى بمصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدى إليه . وقال سفيان
الثوري عن أبي إسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله هو ابن مسعود قال . أقرس الناس ثلاثة : أبو بكر حين فُرس
في عمر صاحب ويوسف حين قال أكرمى مثوله وصاحبة موسى حين قالت : (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت
القوى الأميين) قال (إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين) أى طلب إليه هذا الرجل الشيخ الكبير أن يرمى
غضبه ويزوج إحدى ابنتيه هاتين ، قال شعيب الجبالي وهما سفوريا وليا وقال محمد بن إسحق سفوريا وشرقا وقال ليا
وقد استدلت أصحاب أى حيفة بهذه الآية على صحة البيع فبأ إذا قال بترك أحد هذين البعدين بمائة فقال : اشترت ، أنه
يصح والله أعلم ، وقوله (على أن تأجرى ثمانى حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك) أى على أن ترعى غنمى ثمانى
سنتين فإن تبرعت بزيادة سنتين فهو إليك وإلا ففى الثمان كفاية (وما أريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من
الصالحين) أى لأمانتك ولا أؤذيك ولا أماريك وقد استدلتوا بهذه الآية الكريمة لمنهب الأوزاعي فبأ إذا قال
بترك هذا بشرة فقدأ أو بشرتين نسبة أنه يصح ويختار للشرى بأههما أخذه صح ، وحمل الحديث للروى فى سنن
أبي داود « من بلغ يمينين في بية فله أو كسهما أو الربا » على هذا للذهب ، وفى الاستدلال بهذه الآية وهذا الحديث
على هذه للذهب نظري ليس هذا موضع بسطه لطوله . والله أعلم . ثم قد استدلت أصحاب الإمام أحمد ومن تبعهم فى صحة
استئجار الأجير بالطعمة والكسوة بهذه الآية واستأنسوا فى ذلك بما رواه أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه فى كتابه
السنن حيث قال باب استئجار الأجير على طعام بطنه حدثنا محمد حدثنا محمد بن الحسن حدثنا بقة بن الوليد عن مسلمة
ابن على عن سعيد بن أبي أيوب عن الحارث بن يزيد عن على بن رباح قال سمعت عتبة بن النضر السلى يقول كنا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم ققرأ طسم حتى إذا بلغ قصة موسى قال « إن موسى أجبر نفسه ثمانى سنين أو عشر
سنين على عفة فرجه وطعام بطنه » وهذا الحديث من هذا الوجه ضعيف لأن مسلمة بن النضر وهو الحنفى المشقى
البلاطى ضعيف الرواية عند الأئمة ولكن قد روى من وجه آخر وفيه نظر أيضا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة
حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لحمة عن الحارث بن يزيد الحضرمى عن على بن رباح الحنفى قال سمعت
عتبة بن النضر السلى صاحب رسول الله ﷺ يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن موسى عليه
السلام أجبر نفسه بشفة فرجه وطعمة بطنه » وقوله تعالى إخباراً عن موسى عليه السلام (قال ذلك بينى وبينك أيما
الأجلين قضيت فليعدوان على الله على ما قول وكيل) يقول إن موسى قال لغيره الأمر على ما قلت من أنك استأجرتنى
على ثمان سنين فإن أتممت عشراً فمن عندى فأنا متى قلت أقلهما قد برئت من العهد وخرجت من الشرط ولهذا قال
(أيما الأجلين قضيت فلا عدوان على) أى فلا حرج على مع أن الكامل وإن كان مباحاً لكنه فاضل من جهة أخرى
بديل من خارج كما قال تعالى (فمن تجمل فى يومين فلا تمل عليه ومن تأخر فلا تمل عليه) وقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم
لحجرة بن عمرو الأسلى رضى الله عنه وكان كثير الصيام وسأله عن الصوم فى السفر فقال « إن شئت فسم وإن شئت
فأفطر » مع أن فصل الصيام راجع من دليل آخر ، هذا وقد دللنا على أن موسى عليه السلام إنما فعل أكل الأجلين

وأما وقال البخاري حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الألفس عن سعيد
ابن جبير قال : قال سألني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى ؟ فقلت لأمرى حتى أقدم على جبر الرب فأسأله
فقدمت على ابن عباس رضى الله عنه فأسأله فقال قضى أكثرهما وأبينهما إن رسول الله إذا قال قتل . هكذا رواه
حكيم بن جبير وغيره عن سعيد بن جبير . ووقع في حديث القتون من رواية القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير أن النبي
سأله رجل من أهل النصرانية والأول أشبه والله أعلم . وقد روى من حديث ابن عباس مرفوعا قال ابن جبير حدثنا
أحمد بن محمد الطوسي حدثنا الحميدى حدثنا صفيان حدثني إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب عن الحكم بن أبان عن عكرمة
عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سألت جبريل أي الأجلين قضى موسى قال أتمهما وأكملهما »
ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن الحميدى عن صفيان وهو ابن عيينة حدثني إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب وكان من أسناني
أو أمصرني فذكره . وفي إسناده قلب وإبراهيم هذا ليس بمعروف . ورواه البزار عن أحمد بن أبان القرشي عن صفيان
ابن عيينة عن إبراهيم بن أبيه عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ فذكره ثم قال لا نعرفه
مرفوعا عن ابن عباس إلا من هذا الوجه . ثم قال ابن أبي حاتم قرئ على يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب
أنبأنا عمرو بن الحارث عن يحيى بن ميمون الحضرمي عن يوسف بن يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل أي الأجلين قضى موسى ؟ قال « لا أعلم لى » فسأل رسول الله ﷺ جبريل فقال جبريل : لا أعلم لى ، فسأل جبريل
ملكنا فوقع فقال : لا أعلم لى ، فسأل ذلك الملك ربه عز وجل عما سأله عنه جبريل عما سأله عنه محمد صلى الله عليه وسلم
فقال الرب عز وجل : قضى أبرها وأبغها أو قال أزلها . وهذا مرسل وقد جاء مرسل من وجه آخر وقال سديد
حدثنا حجاج عن ابن جريج قال : قال مجاهد إن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل أي الأجلين قضى موسى ؟ فقال
سوف أسأل إسرائيل فسأله فقال سوف أسأل الرب عز وجل فسأله فقال أبرها وأولها (طريق أخرى مرسل
أيضا) قال ابن جبير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى قال « أولها وأتمها » فهذه طرق متضادة ثم قد روى هذا مرفوعا من رواية
أبي ذر رضى الله عنه . قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أبو عبيد الله يحيى بن محمد بن السكن حدثنا إسحق بن إدريس
حدثنا عويد بن أبي عمران الجوني عن أبيه عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه
وسلم سئل أي الأجلين قضى موسى ؟ قال - « أولها وأبرها » قال سئل أي للرأتين تزوج قتل الصغرى منهما
ثم قال البزار لا أعلم يروى عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد . وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث عويد بن أبي عمران وهو
ضعيف ثم قد روى أيضا نحوه من حديث عتبة بن النضر بزيادة غريبة جدا فقال أبو بكر البزار حدثنا عمر بن الخطاب
السجستاني حدثنا يحيى بن بكير حدثنا ابن خزيمة حدثنا الحارث بن يزيد عن علي بن رباح الأنصبي قال سمعت عتبة
ابن النضر يقول إن رسول الله ﷺ سئل أي الأجلين قضى موسى قال « أبرها وأولها » ثم قال النبي صلى الله
عليه وسلم « إن موسى عليه السلام لما أراد فراق شمعيب عليه السلام أمر امرأته أن تسأل أباهما أن يعطيا من غنمه
ما يعيشون به فأعطاهما ما ولدت غنمه في ذلك العام من ثوب لؤلؤ قال فما مرت شاة إلا ضرب موسى جنبها بمصاه
فولدت قوالب ألوان كلها وولدت ثنتين وثلاثا كل شاة ليس فيها فشوش ولا ضبوب ولا كيشة فتوت الكف
ولا تقول » وقال رسول الله ﷺ « إذا فتحتم الشام فإنكم ستجدون قبايا منها وهي السامرة » هكذا
أورده البزار . وقد رواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا فقال حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني
عبد الله بن طهارة وحديثنا صفوان أنبأنا الوليد أنبأنا عبد الله بن خزيمة عن الحارث بن يزيد الحضرمي
عن علي بن رباح الأنصبي قال سمعت عتبة بن النضر السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن موسى عليه السلام أجز شمس بشفقة فرجه وطمة بطنه فلما وفى الأجل

— قبل يارسول الله أى الأجلين ؟ — قال أبهما وأوطاهما ، فلما أراد فراق شيب أمر امرأته أن تسأل أبها أن يعطيا من ضمنه ما يعيشون به فأعطاهما ما ولدت غنمه من قالبون من ولد ذلك المام وكانت غنمه سوداء حسناء فانطلق موسى عليه السلام إلى عصاه فصادها من طرفها ثم وضعها في أدنى الخوض ثم أوردتها فسقاها ووقف موسى بأزاء الخوض فلم تصدر منها شاة إلا وضرب جنبها شاة شاة قال فأتأت وألئت ووضعت كلها قوالب الأوارث إلا شاة أو شاتين ليس فيها فحوش قال يحيى ولا ضبون وقال صقوان ولا صيوب قال أبو زرة الصواب طنوب ولا عزوز ولا ثمول ولا كيشة ثنوت الكف قال النبي صلى الله عليه وسلم « لو اقتتحت الشام وجدتم قبايا تلك الغنم وهي السامرية » وحدثننا أبو زرة أنبأنا صفوان قال سمعت الوليد قال سألت ابن أبي عمير ما الفحوش ؟ قال التي تفش بلبنها واسعة الشخب قلت فما الضبوب قال الطويلة الضرع تجره قلت فما العزوز قال ضيقة الشخب قال فما الثمول ؟ قال التي ليس لها ضرع إلا كهيئة حلمتين قلت فما الكيشة ؟ قال التي ثنوت الكف كهيئة الضرع صغير لا يدركه الكف . مدار هذا الحديث على عبد الله بن أبي عمير وفي حفظه سوء وأخشى أن يكون رفته خطأ والله أعلم . وينبغي أن يروى ليس فيها فحوش ولا عزوز ولا ضيوب ولا ثمول ولا كيشة لتذكر كل صفة ناقصة مع ما يقابلها من الصفات الناقصة وقد روى ابن جرير من كلام أنس بن مالك موقوفا عليه ما يقارب بضه يستأجر جيد فقال حدثنا محمد بن الثني حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما دعا نبي الله موسى عليه السلام صاحبه إلى الأجل الذى كان بينهما قال له صاحبه : كل شاة ولدت على غير لونها فلك ولدها فعمد بهموسى فرغ جبالا على الماء فلما رأته الحيات فرغت فجات جولة فولدت كلهن بلقا إلا شاة واحدا فذهب بأولادهن كلهن ذلك العام

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذَوةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِى الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَبْسُوتَ إِلَىٰ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ وَأَنَّ الَّذِي يَصَلَكَ فَلَهُ رِءَا حَاتَتْهُ كَانَتْهَا جَبَانًا وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُنْقَبْ يَمُوسَى أَقْبِيلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ ﴿ أَسْأَلُكَ بِذِكْرِكَ فِي جَبَلِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّغْبِ فَذَلِكَ بِرُحْمَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴾

قد قدم في تفسير الآية قبلها أن موسى عليه السلام قضى أمم الأجلين وأوطاهما وأبهما وأكلهما وأهاهما وقد استفاد هذا إيضاح من الآية الكريمة حيث قال تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ أى الأكل منها والله أعلم ، وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد قضى عشر منين ويدها عشرأ أخر ، وهذا القول لم أره لغيره وقد حكاه عنه ابن أبي حاتم وابن جرير والله أعلم ، وقوله (وسار بأهله) قالوا كان موسى قد اشتاق إلى بلاده وأهله فزم على زيارتهم في خفية من فرعون وقومه فتحمّل بأهله وما كان معه من الثمن التي وهبها له صهره فسلك بهم إلى ليلة مطيرة مظلمة باردة فزل منزلًا فيجبل كما أوردى زنده لا يشيء شيئا فتعجب من ذلك ، فبيناهو كذلك (آنس من جانب الطور نارا) أى رأى نارا فاضى على بعد (فقال لأهله امكثوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا) أى حتى أذهب إليها (لعل آتيكم منها بخبر) وذلك لأنه قد أشل الطريق (أوجدوة من النار) أى قطعة منها (لعلكم تصطلون) أى تستدفئون بها من البرد قال الله تعالى (فلما أتاه نودى من شاطئ الوادى الأيمن) أى من جانب الوادى مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب كما قال تعالى (وما كنت

بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر) فهذا على مرشد إلى أن موسى قصد النار إلى جهة القبلة والجبل الغربي عن يمينه والنار وجدها تصطرع في شجرة خضراء على الجبل مما يلي الوادي فوقف بهما في أمرها فناداه ربه (مَنْ شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة) قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: رأيت الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام بمرة خضراء تعرف إسناده مقارب، وقال محمد بن إسحق عن بعض من لا يهتم عن وهب بن منبه قال: شجرة من الطليق وبعض أهل الكتاب يقول إنها من الموسج وقال قتادة هي من الموسج وعصاه من الموسج، وقوله تعالى (أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْمَالِئِينَ) أي الذي يملأك ويملكك هو رب المالمين فقال لا يشاء إلا غيره ولا رب سواه تعالى وتقدس وتفرغ عن محامدة المخلوقات في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله سبحانه. وقوله (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) أي التي في يدك كما قرره على ذلك في قوله تعالى (وما تلك بيديك يا موسى؟ قال هي عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مكرأ أخرى) ولعلنا أما هذه عصاك التي تعرفها (ألقها فألقاها فإذا هي حية تسعى) فصرف وتحقق أن الذي يملكه ويضابطه هو الذي يقول للشيء كن فيكون كما تقدم بيان ذلك في سورة طه: وقال ههنا (فلما رآهنتز) أي اضطرب (كأنها جان ولي مدبر) أي في حركتها السريعة مع عظم خلقها وقواها واتسع فيها واصطلاك أياها وأخراسها بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتلعها تتحدر في فيها تتفتح كأنها حادرة في واد فصد ذلك (ولي مدبر) ولم يقب (أي ولم يكن يثقت لأن طبع البشرية يفر من ذلك فلما قال الله (يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين) رجع فوقفت مقامه الأول ثم قال الله تعالى (اسلك يدك في جيبك تخرج يداهما من غير سوء) أي إذا دخلت يدك في جيب درعك ثم أخرجها فاتها من الريح) قال مجاهد بن الزرع وقال قتادة من الريح وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير لم يحصل لك من خوفك من الحية والظهار أن المراد أعم من هذا وهو أنه أمر عليه السلام إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الريح وهو يده فإذا فصل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يده على فؤاده فأنزل عنه ما يجده أو يخف إن شاء الله تعالى وبه الثقة. قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الربيع بن ثعلب الشيعي صالح أخبرنا أبو إسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم عن مجاهد قال: كان موسى عليه السلام قد ملأ قلبه رعباً من فرعون فكان إذا رآه قال: اللهم إني أدرأ بك في نحره وأعوذ بك من شره فتزعج الله ما كان في قلب موسى عليه السلام وجهه في قلب فرعون فكان إذا رآه بال كما يقول الحمار. وقوله تعالى (فذاكك برهانان من ربك) يعني إلقاء العصا وجعلها حية تسعى، وإدخاله يده في جيبه فتخرج يداها من غير سوء دليلان قاطعان واضحا على قدرة الفاعل المختار وصحة نبوة من جرى هذا الحارق على يديه ولهمنا قال تعالى (إلى فرعون ملكه) أي وقومه من الرؤساء والسكبراء والأنباع (إنهم كانوا قوماً فاسقين) أي خارجين عن طاعة الله مخالفين لأمره ودينه

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَعُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مُلْكًا مَلَكًا فَلَا يُصَادُونَكَ آلِيكَ بِمَا يَبْتَغَانِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْجَى وَنَمَّا أَتَيْتُكَمُ الْفَالِقُونَ ﴾

لما أمره الله تعالى بالذهاب إلى فرعون الذي إنا خرج من ديار مصر قرأ أمره وخولاً من سطوته (قال رب إني قتل منهم نفساً) يعني ذلك القبطي (فأخاف أن يقتلون) أي إذا رأوني (وأخي هارون هو أفصح مني لساناً) وذلك أن موسى عليه السلام كان في لسانه لكمة بسبب ما كان تناول تلك الحجر حين خير بينها وبين القردة أو الدرة فأخذ الحجر فوضعه على لسانه فحصل فيه شدة في التعبير ولهذا قال (واحلل عقدة من لساني فجفها قولي) واجل

لى وزيراً من أهل هارون أخى اشدد به أزدى وأشركه فى أمرى (أى يؤنسنى فى أمرتى به من هذا القام العظيم وهو القيام بأعباء النبوة والرسالة إلى هذا الملك للتكبر الجبار الشديد ولهذا قال (وأخى هارون هو أقصم نفى لساناً فأرسله معى رداً) أى وزيراً ومعيناً ومقوياً لأمرى يصدقنى فى أقوله وأخبر به عن الله عز وجل لأن خبر الاثنين أصبح فى النفوس من خير الواحد ولهذا قال (إني أخاف أن يكذبون) وقال محمد بن إسحاق (ردها يصدقنى) أى يبين لهم عنى ما أكلهم به فانه فهم عنى ما لا يهجمون فلما سأل ذلك موسى قال الله تعالى (مستندعذك بأخيك) أى ستقوى أمرك ولنزجانك بأخيك الذى سألت له أن يكون نبياً ملك كما قال فى الآية الأخرى (قد أوتيت سؤالك يلموسى) وقال تعالى (ووهبنا لمن رحمتنا أخاه هارون نبياً) ولهذا قال بعض السلف ليس أحد أعظم منة على أخيه من موسى على هارون عليه السلام فانه شفع فيه حتى جعله الله نبياً ورسولاً معه إلى فرعون ملكه ولهذا قال تعالى فى حق موسى (وكان عند الله وجهاً) وقوله تعالى (ونجعل لك سلطاناً) أى حجة قاهرة (فلا يسلون إليك بآياتنا) أى لا يسبلهم إلى الوصول إلى أذا كما بسبب إبطالكم آيات الله كما قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك إلى قوله - والله يصمكم من الناس) وقال تعالى (الذين يلقون رسالات الله - إلى قوله - وكفى بالله حسيباً) أى وكفى بالله ناصرًا ومعيناً ومؤيداً ولهذا أخبرها أن العاقبة لها ولن تبسها فى الدنيا والآخرة فقال تعالى (أنما ومن اتبعكم فى الغالبون) كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) وقال تعالى (إنا لننصر رسلك والذين آمنوا فى الحياة الدنيا) إلى آخر الآية ووجه ابن جرير على أن المعنى ونجعل لك سلطاناً فلا يسلون إليك ثم يبتدئ ويقول (بآياتنا أنما ومن اتبعكم فى الغالبون) هديره أنما ومن اتبعكم فى الغالبون بآياتنا ، ولا شك أن هذا المعنى صحيح وهو حاصل من التوجيه الأول فلا حاجة إلى هذا والله أعلم

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيَّنَّتْ قُلُوبُهُمْ فَأَلَّوْا مَائِدَتَهُ إِلَّا سِحْرَ مُفَرِّقَتِهِمَا فَلَمَّا دَلَّ عَلَى أَنَّهَا لَأُولَئِينَ • وَقَالَ مُوسَى رَبِّى أَعْلَمُ بِمَنِ جَاءَهُ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ •)

غير تعالى عن جى موسى وأخيه هارون إلى فرعون ملكه وعرضه ما آتاها الله من اللجرات الباهرة والدلالة القاهرة على صدقهما فيها أخبرا به عن الله عز وجل من توحيده واتباع أوامره فلما عاين فرعون وملؤه ذلك وعاهدوه وعفقوه وأيقنوا أنه من عند الله عدلوا بكفرهم وبضهم إلى العناد والباهنة وذلك لطفائهم وتكبرهم عن اتباع الحق فقالوا (ما هذا إلا سحر مفترى) أى مفتعل مصنوع وأرادوا معارضة بالحيلة والجاه لما صد معهم ذلك . وقوله (وما سمعنا بهذا فى آياتنا الأولين) ينون عبادة الله وحده لا شريك له ، يقولون ما رأينا أحداً من آياتنا على هذا الدين ، ولم نر الناس إلا يشركون مع الله آلهة أخرى فقال موسى عليه السلام حسيباً لهم (ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) أى منى ومنكم ، وسيفصل بينى وبينكم ولهذا قال (ومن تكون له عاقبة الدار) أى من النصرة والظفر والتأييد (إنه لا يفلح الظالمون) أى لا تشركون بالله عز وجل

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنِّي بآيَاتِهِ الْمَلَأْتُ قُلُوبَكُمْ مِنْ آلِهِ قَبِرَى فَأَوْفَدْنِى يَهْسُنَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِّى سَرْحًا لِّئَلَّيْ أَطْلُعَ إِلَى آلِهِ مُوسَى وَإِنِّى لَأظُنُّهُ مِنَ الْكَذِبِينَ • وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ أَسْقَى وَظُلْمُوا أَنَّهُمْ إِنِّي لَأَرِىْ جُحُودًا • فَأَخَذَتْهُ وَجُنُودُهُ فَغَبَّتْ بِهِمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ • وَجَنَّبْنَاهُمْ أَيَّامَهُ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُدْهَرُونَ • وَأَتَيْنَاهُم فِي هَذِهِ اللَّهُ نِيًّا لَعْنَةُ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْمُتَّبِعِينَ •)

يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه وإقراره في دعواه الإلهية لنفسه القبيحة لئله الله كما قال الله تعالى (فلستخف قومه فأطاعوه) الآية وذلك لأنه دهمهم إلى الاعتراف به بالإلهية فأجابوه إلى ذلك بقلة عقولهم وسخافته أذهابهم ولهذا قال (يا أيها الملأ ما علمت لكم من الغيرى) وقال تعالى إخباراً عنه (فخسر فنادى فقال تاركيهم الأمل فآخذ الله نكال الآخرة والأولى) إن في ذلك لعبرة لمن غشى) يبنى أنه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالى مصرحاً لهم بذلك فأجابوه سامعين مطيعين ولهذا اتهم الله تعالى منه فخصه بعبرة لغيره في الدنيا والآخرة وحق إنه واجه موسى الكلام بذلك فقال (لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين) وقوله (وأوقدلى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحاً لى أطلع لى إلى المسمى) يبنى أمر وزيره هامان ومدير رعيته ومشير دولته أن يوقد له على الطين يبنى يتخذ له أجراً لبناء الصرح وهو القصر للتيب الرفيع العالى كما قال في الآية الأخرى (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحاً لى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذب) وكذلك زين فرعون سوء عمله وصدعن السيل وما كيد فرعون إلا في تبسبب (وذلك لأن فرعون بنى هذا الصرح الذى لم ير فى الدنيا بناء أعلى منه إنما أراد بهذا أن يظهر رعيته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى إله غير فرعون ولهذا قال (وإنى لأظنه من الكاذبين) أى في قوله إن ثم رأ غيرى لا أنه كذبه في أن الله تعالى أرسله لأهل كين يترف بوجود الصانع جل وعلا فانه قال (ومارب الما بين) وقال (لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين) وقال (يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى) وهذا قول ابن جرير. وقوله تعالى (واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجون) أى طغوا وتجبروا وأكثروا فى الأرض الفساد واعتقدوا أنما قامة ولا مباد (فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك بالمرصاد) ولهذا قال تعالى ههنا (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) أى أغرقناهم فى البحر في صيحة واحدة فلم يبق منهم أحد (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) وجعلناهم أئمة يدعوون إلى النار) أى لمن سلك وراءهم وأخذ بطريقهم في تكذيب الرسل وتعطيل الصانع (ويوم القيامة لا ينصرون) أى فاجتمع عليهم خزي الدنيا بما وصلوا بذل الآخرة كما قال تعالى (أهلكنكم فلا ناصر لهم) وقوله تعالى (وأنتبناهم في هذه الدنيا لسنة) أى وشرع الله لعنتهم لسنة ملكهم فرعون على السنة للؤمنين من عباده للتبيين لرسه كما أنهم في الدنيا ملعونون على السنة الأتباء وأجاعهم كذلك (ويوم القيامة هم من للربوحين) قال قتادة: وهذه الآية كقوله تعالى (وأبموا في هذه لسنة ويوم القيامة بئس الفرد للرفود)

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّمَنْ هُمْ يُقَدِّرُونَ)

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله موسى الكليم، عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، من إزال التوراة عليه بعد ما أهلك فرعون وملأه. وقوله تعالى (من بعدما أهلكنا القرون الأولى) يبنى أنه بعد إزال التوراة بعدد أمة بامة بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من اللشركين كما قال تعالى (وجاء فرعون ومن قبله وللوهكأت بالخاطئة) فصوا رسول ربهم فأخضعهم أخذة راية) وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد وعبد الوهاب قالا حدثنا عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدرى قال ما أهلك الله قوماً بذبذب من السماء ولان الأرض بعدما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير أهل القرية الذين مسخوها قرعة بعد موسى ثم قرأ (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) الآية ورواه ابن أبي حاتم من حديث عوف بن أبى جميلة الأعرابى نحوه وهكذا رواه أبو بكر البزار في مسنده عن عمرو بن على القلاس عن يحيى القطان عن عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد موقوفاً ثم رواه عن نصر بن على عن عبد الأعلى عن عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد رفته إلى النبي ﷺ قال «ما أهلك الله قوماً بذبذب من السماء ولا من الأرض إلا قبل موسى» ثم قرأ (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعدما أهلكنا القرون الأولى) الآية.

وقوله (بصار للناس وهدي ورحمة) أي من المهي والته وهدي إلى الحق ورحمة أي إرغادا إلى العمل الصالح لهم
يتذكرون) أي لعل الناس يتذكرون به ويبتدون بسببه

(وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين) ولكنا أنشأنا قرونا
فقطائل عليهم الأمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين) وما كنت
جانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أنتم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون
ولولا أن نصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلنا إليهم رسولا فنتفيس آياتك ونكون
من المومنين)

يقول تعالى منها على برهان نبوة محمد ﷺ حيث أخبر بالنبوة للآخرة خبرا كان سامعه شاهد وراءه لما هدم
وهو رجل أمي لا يعرف من الكتب نشأ بين قوم لا يعرفون شيئا من ذلك كما أنه لا أخبره عن مريم وما كان من أمرها
قال تعالى (وما كنت منهم إذ يقولون أملاهم بهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) الآية أي وما كنت
حاضرا لذلك ولكن الله أوحاه إليك ، وهكذا لا أخبره عن نوح وقومه وما كان من إنباء الله وإغراق قومه ثم قال
تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) الآية
وقال في آخر السورة (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) الآية
وما كنت لديهم إذ اجتمعوا أمرهم وهم يكرهون) الآية وقال في سورة طه (كذلك همي عليك من أنباء ما سبق) الآية
وقال ههنا بعد ما أخبر عن قصة موسى من أوامره إلى آخرها وكيف كان ابتداء إسماعيل إليه وتكليمه له (وما كنت بجانب الغربي
إذ قضينا إلى موسى الأمر) يعني ما كنت بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية على غاطي الوادي
(وما كنت من الشاهدين) لذلك ولكن الشجاعة وتعالى أوحى إليك ذلك ليكون حجة وبرهانا على قرون قد تناولوا
عهدنا ونسوا حجج الله عليهم وما أوحاه إلى الأنبياء للتقدمين : وقوله تعالى (وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا
عليهم آياتنا) أي وما كنت مقيا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا حين أخبرت عن نبيا شيعب وما قال قومه وما ردوا
عليه) ولكننا كنا مرسلين) أي ولكن نحن أوحينا إليك ذلك وأرسلناك إلى الناس رسولا (وما كنت بجانب الطور
إذ نادينا) قال أبو عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه أخبرنا علي بن حجر أخبرنا عيسى بن يونس عن حمزة الزيات عن
الأعمش عن علي بن مدرك عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) قال نوذوا أن:
يأمة محمد أعطيت قبل أن تسألوني وأجبت قبل أن تدعوني وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث جماعة عن حمزة وهو
ابن حبيب الزيات عن الأعمش ورواه ابن جرير من حديث وكيع وعبيد بن عيسى عن الأعمش عن علي بن مدرك عن أبي
زرعة وهو ابن عمرو بن جرير أنه قال ذلك من كلامه والله أعلم .

وقال مقاتل بن حيان (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) أمتك في أصلاب آبائهم أن يؤمنوا بك إذا بشت. وقال
قتادة (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) موسى وهذا أعلم أشبه بقوله تعالى (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا
إلى موسى الأمر) ثم أخبر ههنا بهيئة أخرى أخس من ذلك وهو النداء كما قال تعالى (وإذ نادى ربك موسى) وقال
تعالى (إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى) وقال تعالى (ونادياه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا) وقوله تعالى
(ولكن رحمة من ربك) أي ما كنت مشاهدا لشيء من ذلك ولكن الله تعالى أوحاه إليك وأخبرك به رحمة منه
بك وبالعباد بإرسالك إليهم (لتنذر قوما ما أنتم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) أي لعلهم يبتدون بما جئهم به

من الله عز وجل (ولو أن نصيب مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا الآية أي وأرسلناك إلينهم لتقيم عليهم الحجة ولتقطع عنهم إزاجهم عذاب من الله بكفرهم فيحتجوا بأنهم لم يأتيهم رسول ولا نذير كما قال تعالى بعد ذكره إزاله كتابه المبارك وهو القرآن (أن قولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين • أو قولوا لو أنزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) وقال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين يدي لكم على قرة من الرسل أن قولوا ملجأنا من بشرى ولا نذير قد جاءكم بشرى ونذير) الآية والآيات في هذا كثيرة

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْتِيَ مِثْلَ مَا أَوْتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَذِّبُونَ • قُلْ فَأَنزِلُوا كِتَابَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ مُدِّيقِينَ • قُلْ لَمْ يَسْجُدُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّا لَا نَتَّبِعُونَ أَحَدًا هُمْ وَفَنَ أَصْلَ عَنِ اتَّبَعَ هُوَ لَا يَبْدُرُ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ • وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى غير أن القوم الذين لو عليهم قبل قيام الحجة عليهم لاحتجوا بأنهم لم يأتيهم رسول أنهم لما جاءهم الحق من عنده على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قالوا على وجه التفت والتعاد والكفر والجهل والإلحاد (لولا أوتي مثل ما أوتي موسى) الآية يبنون والله أعلم من الآيات الكثيرة مثل الصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والهم وتفتيح الزروع والخارج مما يضيق على أعداء الله وكفلق البحر وتظليل السماء وإزاله لليل والسواى إلى غير ذلك من الآيات الباهرة ، والحجج القاهرة ، التي أجراها الله تعالى على يدى موسى عليه السلام حجة وبرهاناً له على فرعون وملئه وبنى إسرائيل ، ومع هذا كله لم ينعج فرعون وملئه بل كفروا بموسى وأخيه هرون كما قالوا لهم (أجتنا تلفتاً عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض وما نحن لكما بمؤمنين) وقال تعالى (فكذبوهما فسكنوا من الظالمين) ولهذا قالها هنا (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) أى أولم يكفر البشر بما أوتى موسى من تلك الآيات العظيمة (قالوا ساحران تظاهرا) أى تماوتا (وقالوا إنما بكل كافرين) أى بكل منهما كافرين ، ولشدة التلازم والتصاحب والقاربة بين موسى وهرون دل ذكر أحدهما على الآخر كما قال الشاعر :

لما أدرى إذا بعث أرضاً أريد الخير أهماً يلين

أى لما أدرى يلين الخير أو الشر . قال مجاهد : أمرت اليهود قريشاً أن يقولوا الحمد صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الله (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا) قال يبنى موسى وهرون صلى الله عليهما وسلم (تظاهرا) أى تماوتا وتناصروا وصعد كل منهما الآخر ؟ وهذا قال سعيد بن جبير وأبو زرير في قوله (ساحران) يبنون موسى وهرون وهذا قول جيد قوى والله أعلم ، وقال مسلم بن يسار عن ابن عباس (قالوا ساحران تظاهرا) قال يبنون موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وهذا رواية الحسن البصرى . وقال الحسن وقادة يبنى عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وهذا يبنى يبنى لم يجر له ذكرهما والله أعلم . وأما من قرأ (ساحران تظاهرا) فقال على بن أبى طلحة والمولى عن ابن عباس يبنون التوراة والقرآن وكذا قال عاصم الجندى والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال السدى : يبنى صدق كل واحد منهما الآخر وقال ، عكرمة : يبنون التوراة والإنجيل وهورواية عن أبى زرعة واختاره ابن جرير . وقال الضحاك وقادة . الإنجيل والقرآن والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب والظاهر على قراءة (ساحران) أنهم يبنون التوراة والقرآن لأنه قال بعده (قل فَأَنزِلُوا كِتَابَ مِنْ عِنْدِنَا هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ) وكثيراً ما يقرن الله

ثم أعتقها فزوجها . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق السيلحي حدثنا ابن لمحة عن سليمان بن عبد الرحمن بن القاسم بن أبي أمامة قال : إني تحت راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال قولاً حسناً جميلاً وقال فيقال « من أسلم من أهل الكناين فحاجرهم مرتين وله ما لنا وعليه ما علينا » وقوله تعالى (ويدعون بالحسنة السينة) أي لا يقابلون السيئة بمثله ولكن ينفون ويصفحون (وعاجز قائم يتفقون) أي ومن الذي رزقهم من الحلال يتفقون على خلق الله في الصفات الواجبة لأهلهم وأقاربهم والزكاة المفروضة والمستحبة من التطوعات وصدقات النفل والقربات وقوله تعالى (وإذا سمعوا النفر أعرضوا عنه) أي لا يغالبون أهله ولا يباشرونهم بل كما قال تعالى (وإذا مروا بالنفر مروا كراماً) (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا تبتغي الجاهلين) أي إذا سلف عليهم سلفه وكلهم بما يليق بهم الجواب عنه أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ولا يسدر عنهم إلا كلام طيب ؟ ولهذا قال عنهم إنهم قالوا (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا تبتغي الجاهلين) أي لا نريد طريق الجاهلين ولا نجها . قال محمد بن إسحق في السيرة ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديةهم حول الحكمة فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دهم إلى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من السمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم خبيك الله من ركب ، بشرك من وراءكم من أهل دينك ترادون لهم لنا يوم نجبر الرجل فلم تطمئن بحالك عند حق طارقم دينكم فصدقتموه فيقال ما علم ركباً أحق منكم أوكأ قالوا لهم فقالوا لهم سلام عليكم لا يجهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أتمم عليهم نال أنفسنا خيراً قال ويقال إن النفر النصارى من أهل نجران قاله أعلم أي ذلك كان . قال وقال والله أعلم أن فيهم نزلت هذه الآيات (الذين آمنهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون - إلى قوله - لا تبتغي الجاهلين) قال وسألت الأثرى عن هذه الآيات فيمن نزلت قال ما نزلت أصح من علمائنا أنهم نزلن في النجاشي وأصحابه رضي الله عنهم والآيات الثلاث في سورة المائدة (ذلك بأن منهم قسيسين وربها - إلى قوله - فآتيناك مع العاهدين)

(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) هُوَ قَالَ إِنْ نَجَّيْتَ الْهُدَى مَكَكَ تَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ تُسَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَايِنَا يُجَيِّ إِلَيْهِ فَمَرَّتْ كُلُّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ (لا تهدي من أحببت) أي ليس إليك ذلك إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) . وقال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وهذه الآية أحسن من هذا كله فإنه قال (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) أي هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق التواية وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه وعجبه حباً شديداً طبعياً لا شرعياً فلما حضرته الوفاة وحان أجله دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والدخول في الإسلام فسبق القدر فيه واختطف من يده فاستمر على ما كان عليه من الكفر والله الحكمة الثامنة قال الزهري حدثني سعيد بن السيب عن أبيه وهو السيب بن حزن الخزومي رضي الله عنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عم قل لإله إلا الله كذا أحاج لك بها عند الله » فقال أبو جهل

وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أرغب عن ملة عبد المطلب فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضها عليه ويسودان له بتلك الملة حتى كان آخر ما قال هو ملة عبد المطلب وأنى أن يقول لا إله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأقول الله تعالى (ما كان لابي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي) وأقول في أبي طالب (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) أخرجه من حديث الزهري وهكذا رواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله ﷺ فقال « يا عمه قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال لولا أن تعيرني بها قريش يقولون ما حملة عليه إلا جزع الموت لأقربت بها عينك لا أقولها إلا لأقر بها عينك فأقول الله تعالى (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وكذا الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن كيسان ، ورواه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد القطان عن يزيد بن كيسان حدثني أبو حازم عن أبي هريرة أنه ذكره بنحوه وهكذا قال ابن عباس وابن عمر وعجاجة والشامي وثقة أنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله ﷺ أن يقول لا إله إلا الله فأبى عليه ذلك وقال أى ابن أخى ملة الأشياخ وكان آخر ما قاله هو ملة عبد المطلب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حاتم حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن أبي راشد قال كان رسول قيس جاء إلى قال كتب معي قيسر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فأبته فدغست الكتاب فوضعه في حجره ثم قال « بمن الرجل ؟ » قلت من توضع قال « هل لك في دين أبيك إبراهيم الحنيفة » قلت إني رسول قوم وعلى دينهم حتى أرجع إليهم فضحك رسول الله ﷺ ونظر إلى أصحابه وقال « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » وقوله تعالى (وقالوا إن تتبع الهدى ممك تتخطف من أرضنا) يقول تعالى عبرا عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدى حيث قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن تتبع الهدى ممك تتخطف من أرضنا) أى تخفى إن اتبنا ما جئت به من الهدى وخافنا من حولنا من أحياء العرب للمشركين أن يقصدوا بالأذى والمخافة ويتخطفوا أنينا كنا قال الله تعالى جيبا لهم (أو لم يمكن لهم حرما آمن) أى هذا الذى اعتزلوا به كذب وباطل لأن الله تعالى جعلهم بلى بدينهم وحرم معصيتهم آمن منذ وضع فكيف يكون هذا الحرم آمنا لهم في حال كفرهم وشركهم ولا يكون آمنا لهم وقد أسلفوا وتابوا الحق ؟ وقوله تعالى (يحيى إليه نمرات كل شيء) أى من سائر الناموس حوله من الطائف وغيره وكذلك للتاجر والأئمة (رزقا من دننا) أى من عندنا (ولكن لا يملكون) ولهذا قالوا ما قالوا وقد قال النساء أنبأنا الحسن بن محمد حدثنا الحجاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة قال : قال عمرو بن شعيب عن ابن عباس ولم يسمعه منه أن الحارث بن عامر بن نوفل الذى قال (إن تتبع الهدى ممك تتخطف من أرضنا)

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتَكَرَّهَتْ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَدْرِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكَانَ أَزْوَاجُكُمْ ﴾
وَمَا كَانَ رَبُّكَ مَهْلِكُ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ وَإِنَّا لَمَّا كُنَّا مَلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿

يقول تعالى معرضا بأهل مكة في قوله تعالى (وكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا) أى طغت وأشرت وكفرت نعمة الله فيها أنهم به عليهم من الأرزاق كما قال في الآية الأخرى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئة أنبياء رزقها رغدا من كل مكان - إلى قوله - فأخذهم العذاب وهم ظالمون) ولهذا قال تعالى (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا) أى دثرت ديارهم فلا تروى إلا مساكنهم وقوله تعالى (وكنا نحن الوارثين) أى رجعت خرابا ليس فيها أحد وقد ذكر ابن أبي حاتم هنا عن ابن مسعود أنه سمع كعبا يقول لعمر : إن سليمان عليه السلام قال للهامة

يقول تعالى غيراً عما يوحى به الكفار للشركين يوم القيامة حيث يناديهم فيقول (أين شركائي الذين كنتم تزعمون)
 يعني أين الآلهة التي كنتم تمبدونها في النار الدنيا من الأصنام والأنداد هل تصرونكم أو يتصرون ، وهذا على
 سبيل التوبيخ والتوبيخ كما قال تعالى (ولقد جثمتونا فرادی كما خلقناكم أول مرة وترككم ما خولناكم وراء ظهوركم
 وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد قطع بينكم وصل عنكم ما كنتم تزعمون) . وقوله (قال الذين
 حق عليهم القول) يعني الشياطين والمرتدين والذين كفروا (ربنا هؤلاء الذين أغويانا أغويانهم كما غويانا ربنا أنك
 ما كانوا إيانا يعبدون) فشهدوا عليهم أنهم أغوؤهم فأتبعوهم ثم تبرءوا من عبادتهم كما قال تعالى (وأخذوا من
 دون الله آلهة ليكنونوا لهم عزاً لا سيكفرون بعبادتهم ويكنونون عليهم ضداً) وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من
 دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا
 بعبادتهم كافرين) وقال الخليل عليه السلام لقومه (إنما اتخذتم من دون الله آوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم
 يوم القيامة يكفر بشركم بضركم بضاً) الآية وقال الله تعالى (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
 ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب إلى قوله وما هم بخارجين من النار) ولهذا قال (وقيل ادعوا شركاءكم) أي
 ليخلصكم مما أنتم فيه كما كنتم ترجون منهم في النار الدنيا (فدعوا فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب) أي وبنقوا
 أنهم سائر إلى النار لا محالة . وقوله (لو أنهم كانوا يهتدون) أي فودوا حين ماينوا العذاب لو أنهم كانوا من
 للهدى في النار الدنيا وهذا كقوله تعالى (ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوا فلم يستجيبوا لهم وجعلنا
 بينهم موقفاً) ورأى المبرمون النار فظنوا أنهم مواضعها ولم يجدوا فيها مصرفاً . وقوله (ويوم يناديهم فيقول
 ماذا أجبتم للرسلين) النداء الأول عن سؤال التوحيد وهذا فيه إثبات النبوات ماذا كان جوابكم للرسلين إليكم
 وكيف كان حالكم معهم وهذا كما يسأل المبدى في قعره . من ربك ومن نبيك وما دينك ؟ فأما المؤمن فيشهد أنه لا إله
 إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأما الكافر فيقول هاهنا هاهنا أدري ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت
 لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ولهذا قال تعالى (فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم
 لا يتساءلون) قال مجاهد فعميت عليهم الحجج فهم لا يتساءلون بالأنساب وقوله (فأما من تاب وآمن وعمل
 صالحاً) أي في الدنيا (فمسي أن يكون من الفالحين) أي يوم القيامة وعسى من الله موجه فان هذا واقع بفضل
 الله ومته لا محالة

(وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
 صُدُّوهُمْ وَمَا يُنْزِلُونَ * وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخُسُودُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

غير تعالى أنه اللغز بالخلق والاختيار ، وأنه ليس له في ذلك منازع ولا مقب قال تعالى (وربك خالق ما يشاء
 وغفار) أي ما يشاء فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ومرجعها إليه . وقوله (ما كان
 لهم الخيرة) نفي على أصح التولين كقوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم
 الخيرة من أمرهم) وقد اختار ابن جرير أن (ما) ههنا بمعنى الذي فخره : وغفار الذي لم فيه خيرة وقد احتج بهذا
 للسلك طائفة للمرة على وجوب مراعاة الأصلح ، والصحيح أنها تافيه كما قلنا ابن أبي حاتم عن ابن عباس
 وغيره أيضاً فان المقام في بيان انفراد تعالى بالخلق والتقدير والاختيار وأنه لا نظير له في ذلك ولهذا قال
 (سبحانه) وتعالى عما يشركون) أي من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً ثم قال تعالى (وربك
 يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) أي يعلم ما تكن الضمائر ، وما تتطوى عليه السرائر ، كما يعلم ما تبديه الظواهر من
 سائر الخلق (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار به بالنهار) . وقوله

كان ابن عمه والله أعلم وقال قتادة بن دعامة كنا نحدث أنه كان ابن عم موسى وكان يسمى للنور لحسن موته بالنوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه البقي لكثرة ماله: وقال شهر بن حوشب زاد في ثيابه ثيابا طولا ورفعا على قومه. وقوله (وأيتناه من الكنوز) أي الأموال (ما إن نفاخه لتتوه بالنسبة أولى القوة) أي يتقل حلها الثمام من الناس لكثرة. قال الأعمش عن خيمة كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود كل مفتاح مثل الأصبع كل مفتاح على خزانة على حيته فإذا ركب حمل على ستين بئلا أغر عجلا قيل غير ذلك والله أعلم. وقوله (إذ قاله قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) أي وعظه فيها هو فيه صالحو قومه فقالوا على سبيل النصح والارعاد: لا تفرح بما أنت فيه يسنون لا تبغر بما أنت فيه من المال (إن الله لا يحب الفرحين) قال ابن عباس بين الفرحين: وقال مجاهد بين الأشرين الباطنين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، وقوله (وايتع في آثاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) أي استعمل ما وهبك الله من هذا لئلا الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتعبد إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أي ما أبلغ الله فيها من اللآكل والشرب واللباس والسكن والنكاح فان لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولزورك عليك حقا (ولا تبيخ الصناديق الأرض) أي لا تكن حمتك بما أنت فيه أن تحسد به في الأرض وتسيء إلى خلق الله (إن الله لا يحب للفسدين).

(قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ)

يقول صالى عبرا عن جواب قارون قومه حين نسحوه وأرعدوه إلى الخبر (قال إنما أوتيته على علم عندى) أي أنا لا أنظر إلى ما تمولون فان الله تعالى إنما أعطاني هذا لئلا يأتى استخسه ولحيتى لى تقديره إنما أعطيته لعم الله فى أن أهل له وهذا كقوله تعالى (وإذا مس الإنسان ضررنا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم) أي على علم من الله وكقوله تعالى (ولئن أذقناه رحمتنا من بعد ضررنا مسته ليقولن هذا لى) أي هذا استخسه. وقدرى عن بعضهم أنه أراد (إنما أوتيته على علم عندى) أي إنه كان يمانى علم الكيمياء وهذا القول ضعيف لأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل لأن قلب الأعيان لا يقدر أحدهما إلا الله عز وجل قال الله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا) وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «يقول الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب لخلق كذا فليخلقوا ذرة فليخلقوا شجرة» وهذا ورد في الصورين الذين يشبهون خلق الله في مجرد الصورة الظاهرة والشكل فكيف بمن يدعى أنه يحمل ماهية هذه الذات إلى ماهية ذات أخرى هذا زور وعيال، وجهل وضلال، وإنما قدرون على الصنغ في الصور الظاهرة وهي كذب وزغل وتعويه وترويج أنه صحيح في شئ الأمر وليس كذلك قطعا لا محالة ولم يثبت بطريق شرعى أنه صح مع أحد من الناس من هذه الطريقة التي يتطاولها هؤلاء الجهلة السقة الأفاكون فأما ما يجريه الله سبحانه من خرق الوائد على يدي بعض الأولياء من قلب بعض الأعيان فهذا أوفى أو نحو ذلك فهذا أمر لا يتكره مسلم ولا يرده مؤمن ولكن هذا ليس من قبيل الصناعات وإنما هذا عن مشيئة رب الأرض والسموات واختياره وقوله كما روى عن حبة بن شريح الصرى رحمه الله تعالى أنه سأله سائل فلم يكن عندهما يعطيه ورأى ضروره فأخذ حصاة من الأرض فأجلمها في كفه ثم ألقاها إلى ذلك السائل فلذا هي ذهب أحمر. والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا يطول ذكرها، وقال بعضهم إن قارون كان يعرف الاسم الأعظم فذا الله به تمول بسببه. والصحيح نسى الأول ولهذا قال الله تعالى رادنا عليه فيما ادعاه من اعتناء الله به فيما أعطاه من المال (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) أي قد كان من هو أكثر منه مالا وما كان

ذلك عن حبة مناله وقد أهلكتهم الله مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم ولهذا قال (ولا يسئل عن ذنوبهم الجرمون) أى لكثر ذنوبهم . قال قتادة (على على عندي) على خير عندي ، وقال السدي على علم أى أهل لذلك . وقد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فإنه قال في قوله (قال إنما أوتيته على علم عندي) قال لولا رضا الله عن معرفته بفضل ما أعطاني هذا المال وقرأ (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جما) الآية وهكذا يقول من قل علمه إذا رأى من وسع الله عليه لولا أن يستحق ذلك لما أعطى

(فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَمَنَّا مِثْلُ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَسْأَلُكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ)

يقول تعالى عجا عن قارون أنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة وتجعل باهر من مراكب وملاسل عليه وعلى خنمه وحشمه فلما رآه من يريد الحياة الدنيا وبيل إلى زخارفها وزينتها ونحوها أن لو كان لهم مثل الذي أعطى (قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم) أى ذو حظ وافر من الدنيا ، فلما سمع مقاتلهم أهل العلم النافع قالوا لهم (ويسألكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) أى جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون . كما في الحديث الصحيح « يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقربوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) » وقوله (ولا يلقاها إلا الصابرون) قال السدي ولا يلقى الجنة إلا الصابرون كأنه جعل ذلك من تمام كلام الدين أوتوا العلم ، قال ابن جرير ولا يلقى هذه السكينة إلا الصابرون عن حبة الدنيا الراغبون في الدار الآخرة وكأنه جعل ذلك مقطوعا من كلام أولئك وجهه من كلام الله عز وجل وإخباره بذلك

(فَخَسَنَّا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ)
وأصبح الذين آمنوا مسكناته بالأمسي يقولون ويسكن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويسكنه لا يفتح للكافرين

لما ذكر تعالى اختيال قارون في زينته وفخره على قومه وبغيه عليهم عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض كما ثبت في الصحيح عند البخاري من حديث الزهري عن سالم أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ قال « بينا رجل يمر بإزاره إذ خسف به فهو يتجلبل في الأرض إلى يوم القيامة » ثم رواه من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه . وقال الإمام أحمد حدثنا النضر بن إسماعيل أبو النعمان القاسم حدثنا الأصمعي عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « بينا رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين أخضرين يغتال فهما أمر الله الأرض فأخذته فانه ليتجلبل فيها إلى يوم القيامة » فخر به أحمد وإسناده حسن ، وقال الحافظ أبو يعلى الوصلي حدثنا أبو خزيمة حدثنا يعلى بن منصور أخبرني محمد بن مسلم سمعت زياد النخعي يحدث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « بينا رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين فاغتال فهما قامر الله الأرض فأخذته فهو ليتجلبل فيها إلى يوم القيامة » وقد ذكر الحافظ محمد بن النضر في كتاب المجاببات الترمذية بسنده عن نوفل بن مساحق قال رأيت شابا في مسجد نجران فجلست أنظر إليه وأتعب من طوله وعمامة وجهه فقال مالك حطر إلى قمتك أعجب من جمالك وكلاك . فقال إن الله يحب من قال نأزال ينقص وينقص حتى صار بطول الشعر فأخذته بعض قرابته في كفه وذهب به

وقد ذكر أن هلاك قارون كان من دعوى موسى بنى الله عليه السلام واختلف في سببه فمن ابن عباس والسدى أن قارون أعطى امرأة يشيا مالا على أن تهت موسى بحضرة اللا من بنى إسرائيل وهو قائم فيهم يشيا عليهم كتاب الله تعالى فتقول ياموسى إنك فعلت في كذا وكذا فلما قالت ذلك في اللا لموسى عليه السلام أريد من الفرق وأقبل عليها بعد ماضى ركتين ثم قال ، أنشدك بالله الذى فرق البحر وأجماكم من فرعون وقيل كذا وكذا لما أخبرته بالذى سحلك على ماقلت ؟ فقالت ألاماذا نشدته فان قارون أعطاني كذا وكذا على أن أقول ذلك لك وأنا أستغفر الله وأتوب إليه فصد ذلك خروسي لله عز وجل ساجدا وسأل الله قارون فأوحى الله إليه أن قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه فأمر موسى الأرض أن تبنتله وداره فكان ذلك . وقيل إن قارون لما خرج على قومه في زينته تلك وهو راكب على البغال الشهب وعليه وعلى خدمه ثياب الأرجوان للصبغة فر في عطفه ذلك على مجلس نبي الله موسى عليه السلام وهو يذكرهم بأيام الله فلما رأى الناس قارون انصرفت وجوههم نحوه ينظرون إلى ما هو فيه فدعا موسى عليه السلام وقال : ما حالك على ما صنعت ؟ فقال ياموسى أما لكى كنت فضلت على بالنبوة فقد فضلت عليك بالدنيا ولئن شئت لنخرجن فلتدعون على وأدعو عليك ، فخرج موسى وخرج قارون في قومه فقال موسى عليه السلام يدعو أو أدعو أنا ؟ فقال بل أدعونا فدعا قارون فلم يجبه ثم قال موسى أدعو ؟ قال نعم فقال موسى اللهم مر الأرض أن تطيعني اليوم فأوحى الله إلي أنى قد فعلت قتال موسى بأرض خديهم فأخذتهم إلى أقدامهم . ثم قال خديهم فأخذتهم إلى ركبهم ثم إلى مناكبهم ثم قال أقبل بكنوزهم وأموالهم قال : فأقبلت بها حتى نظروا إليها ثم أشرو موسى بيده ثم قال اذهبوا بنى لاوى فاستوت بهم الأرض ، وعن ابن عباس قال : خسف بهم إلى الأرض السابعة وقال قتادة ذكر لنا أنه خسف بهم كل يوم قامة فهم يتجلبجون فيها إلى يوم القيامة ، وقد ذكر ههنا إسرائيليات غريبة أضربنا عنها صفحا . وقوله تعالى (لما كانه من فئة يصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) أى أغنى عنه ماله ولا جمه ولا خدمه وحشمه ، ولا دفعوا عنه حمة الله وعذابه ونكاله ولا كان هو فى نفسه منتصرا لنفسه فلا تناصره من نفسه ولا من غيره

وقوله تعالى (وأصبح الذين تنهوا مكانه بالأسس) أى الذين لما رأوه في زينته قالوا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لحظ من عظم) فلما خسف به أصبحوا يقولون ويكأن الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر أى ليس للال بدل على رضائه عن صاحبه فإن الله يعطى ويمنع ويضيق ويوسع ويغنى ويرفع ، وله الحكمة التامة والحجة البالغة وهذا كافى الحديث للرفوع عن ابن مسعود « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كاقسم أرزاقكم ، وإن الله يعطى المال من هب ومن لا يهب ، ولا يعطى الإيمان إلا من يهب » (لولا أن من الله علينا لحسف بنا) أى لولا لطف الله بنا وإحسانه إلينا لحسف بنا كاخسف به لاناودنا أن نكون مثله (ويكأنه لا يفلح الكافرون) ينون أنه كان كافرا ولا يفلح الكافرون عند الله لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وقد اختلف النحاة في معنى قوله ههنا ويكأن فقال بعضهم معناه ويكأن أعلم أن ولكن خفف قليل ويكأن ودل فتح أن على حذف أعلم ، وهذا القول ضعفه ابن جرير ، والظاهر أنه قوى ولا يشك على ذلك إلا كتابها في السباحف متصلة ويكأن ، والكتابة أمر وضى اصطلاحى والرجح إلى اللفظ العربى والله أعلم ، وقيل معناها ويكأن أى ألم تر أن قاله قتادة . وقيل معناها وى كان فصلها وجعل حرف وى لتعجب أولئك به وكان بمعنى أظن وأحسب . قال ابن جرير وأقوى الأقوال في هذا قول قتادة إنها بمعنى ألم تر أن واستشهد بقول الشاعر :

سألتنى الطلح إذ رأته قل مالى وقد جئاني بشكر

ويكأن من يكن له نصب يحب ومن يفخر بيش عيش ضر

﴿ يَلِك الدار الآخرة نجما للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ولا تسفيا للمتقين ﴾ من جاء بالחסنة لله خير مما منها ومن جاء بالسفنة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ﴿

يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها للقيم الهى لا يحول ولا يزول جعلها للمباهة المؤمنين للتواضعين الذين لا يريدون علواً في الأرض أى ترعاً على خلق الله وتعاملوا عليهم وتجبراً بهم ولا فساداً فهم كآل عكرمة الملو: التجبر . وقال سعيد بن جبير الموالى لى وقال سفيان بن سعيد الثوري عن منصور عن مسلم البطين الملو في الأرض التكبر بغير حق والفساد أخذ المال بغير حق ، وقال ابن جريج (لا يريدون علواً في الأرض) تعظاً وتجبراً (ولا فساداً) عملاً بالمعاصي . وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا أبي عن أنسث السنان عن أبي سلام الأعرج عن علي قال : إن الرجل ليحببه من شركائه أنه أن يكون أجود من شركائه نمل صاحب فيدخل في قوله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفقر والتطاؤل على غيره ، فإن ذلك مذموم كائنت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنه أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبنى أحد على أحد » وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجميل فهذا لا بأس به فقد ثبت أن رجلاً قال : يا رسول الله إني أحب أن يكون ردائي حسناً ونسلي حسنة ألحن الكبرياء ؟ فقال « لا ، إن الله جميل يحب الجمال » . وقال تعالى (من جاء بالحسنة) أى يوم القيامة (فله خير منها) أى ثواب الله خير من حسنة العبد فكيف والله يضاعفه أضعافاً كثيرة وهذا مقام الفضل ، ثم قال (ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا النيات إلا ما كانوا يعملون) كآل في الآية الأخرى (ومن جاء بالسيئة فكبت وبوجههم في النار ، هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) وهذا مقام الفضل والمعدل

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَاهُ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَفَنَ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۚ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ۚ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بِمَذِّ أَتْرَلْتَ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الشَّرَّكِينَ ۚ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى أمراً رسوله صلوات الله وسلامه عليه يبلغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس ، وخبراً له بأنه سيروده إلى معاد وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة ولهذا قال تعالى (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أى اقترض عليك أداؤه إلى الناس (لرادك إلى معاد) أى إلى يوم القيامة فيسألك عن ذلك كآل تعالى (فلنسلأن الذين أرسل إليهم ولنسلأن للرسلين) وقال تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أنجيتم) وقال (وجىء النبيين والشهداء) وقال السدي عن أبي صالح عن ابن عباس (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) يقول لرادك إلى الجنة ثم سائلك عن القرآن . قال السدي وقال أبو سعيد مثله ، وقال الحكمين أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما (لرادك إلى معاد) قال إلى يوم القيامة ورواه مالك عن الزهري وقال الثوري عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (لرادك إلى معاد) إلى الموت ولهذا طرق عن ابن عباس رضى الله عنهما وفي بعضها لرادك إلى معدنك من الجنة وقال مجاهد يحبك يوم القيامة وكذا روى عن عكرمة وعطاء وسعيد بن جبير وأبي قزعة وأبي مالك وأبي صالح وقال الحسن البصري إى والله إن له لمعاداً فيسئله الله يوم القيامة ثم يدخله الجنة . وقد روى عن ابن عباس غير ذلك كما قال البخارى في التفسير من صحيحه حدثنا محمد بن مقاتل أنبأنا يلى حدثنا سفيان الصفرى عن عكرمة عن ابن عباس (لرادك إلى معاد) قال إلى مكة وهكذا رواه النسائى في تفسير سننه وابن جرير من حديث يلى وهو ابن عبيد الطناقى به وهكذا رواه العوفى عن ابن عباس (لرادك إلى معاد) أى لرادك إلى مكة كما أخرجه منها وقال محمد ابن إسحق عن مجاهد في قوله (لرادك إلى معاد) إلى موطنك بمكة . وقال ابن أبى حاتم وقد روى عن ابن عباس ويحيى ابن الجزار وسعيد بن جبير وعطية والضحاك نحو ذلك . وحدثنا أبي حدثنا بن أبى عمر قال : قال سفيان فسمعناه من

مقاتل منذ سبعين سنة عن الضحاك قال لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله عليه
(إن الذي فرض عليك الكتاب لرادك إلى معاد) إلى مكة وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية
وإن كان مجموع السورة مكية والله أعلم . وقد قال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة في قوله تعالى (لرادك
إلى معاد) قال هذه ما كان ابن عباس يكتسها . وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن نعيم القاري أنه قال في قوله
(لرادك إلى معاد) قال إلى بيت المقدس وهذا والله أعلم يرجع إلى قول من فسر ذلك بيوم القيامة لأن بيت المقدس
هو أرض المحسر والنشر والله للوفيق للصواب ووجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه
إلى مكة وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمانة على اقتراب أجل النبي صلى الله عليه وسلم كافر ابن عباس سورة
(إذا جاء نصر الله والفتح) إلى آخر السورة أنه أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي إليه ، وكان ذلك بحضرة
عمر بن الخطاب وواقعه عمر على ذلك وقال : لا أعلم منها غير الذي تعلم ، ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله (لرادك
إلى معاد) بالوت وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومسيره على أداء رسالة الله
وابلاغها إلى الثقلين الإنس والجن ، ولأنه أكمل خلق الله وأفضح خلق الله وأشرف خلق الله على الإطلاق
وقوله تعالى (قل رب أعلّم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين) أي قل لمن خالفك وكذبك يا محمد من قومك
من المشركين ومن تبهم على كفرهم قل رب أعلّم بالهدى منك ومنى وستعلمون لمن تكون له عاقبة الدار ومن تكون
العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة . ثم قال تعالى مذكراً لنبية نعمته العظيمة عليه وعلى الباء إذ أرسله إليهم (وما كنت
ترجو أن يلقى إليك الكتاب) أي أما كنت تظن قبل أنزل الوحي إليك أن الوحي ينزل عليك (ولكن رحمتي عنك)
أي معيماً (لكافرين) ولكن فارقه وناذهم وخالفهم (ولا يصدك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك) أي لا تأثر
لخالفهم لك وصدك الناس عن طريقك لا تأثر على ذلك ولا يباله فإن الله مد لك كلمتك ومؤيد دينك ومظهر مآرسلك به
على سائر الأديان ولهذا قال (وادع إلى ربك) أي إلى عبادة ربك وحده لا شريك له (ولا تكون من المشركين)
وقوله (ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو) أي لا تليق العبادة إلا به ولا تنسب الإلهية إلا لعظمته . وقوله
(كل شيء هالك إلا وجهه) إخبار بأنه الدائم الباقي الحى القيوم الذي يموت الخلائق ولا يموت كما قال تعالى (كل
من عليها فان) ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) فبصر بالوجه عن الآيات وهكذا قوله هنا (كل شيء هالك
إلا وجهه) أي إلا إياه وقد ثبت في الصحيح من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » وقال مجاهد والثوري في قوله (كل شيء
هالك إلا وجهه) أي إلا ما أريد به وجهه ، وحكاة البخاري في صحيحه كالقوله ، قال ابن جرير : ويستشهد من قال
ذلك بقول الشاعر

أستغفر الله ذنباً لست مصحبه * رب العباد إليه الوجه والعمل

وهذا القول لا ينافي القول الأول فإن هذا الخبر عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد به وجه الله تعالى من الأعمال
الصالحة للطائفة للشرعية ، والقول الأول مقتضاه أن كل القنات فانية وزائلة إلا ذاته تعالى وتقدس فانه الأول الآخر
الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء . قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار حدثنا
أحمد بن محمد بن أبي بكر حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا عمر بن سلم الباهلي حدثنا أبو الوليد قال : كان ابن عمر
إذا أراد أن يتباهى قلبه بآتي الحرب فيقف على بابها فينادي بصوت حزين : فيقول أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه
فيقول (كل شيء هالك إلا وجهه) وقوله (له الحكم) أي الملك والتصرف ولا مقب لحكمه (وإليه ترجعون) أي يوم
معادكم فيجزيك بأعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر . آخر تفسير سورة القصص وهذا الحمد والله

(تفسير سورة العنكبوت وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(اَلَمْ • أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ • وَقَدْ فَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ • أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَمْكُونُ السَّبْتَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

أما الكلام على الحروف للقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة . وقوله تعالى (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفقهون) استفهام انكار ومعناه أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يتلى عباده للؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان كما جاء في الحديث الصحيح « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمتل فالأمتل ، يتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلاة زيد له في البلاء » وهذه الآية كقوله (أم حسبتم أن تتركوا) ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) ومثلهما في سورة براءة وقال في البقرة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه حتى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) ولهذا قال ههنا (وقد فتننا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان عن هو كاذب في قوله ودعواه ، والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون . وهذا مجم عليه عند أئمة السنة والجماعة وبهذا يقول ابن عباس وغيره في مثل قوله (إلا لنعلم) إلا لرى وذلك لأن الرؤية إنما تتعلق بالوجود والعلم أعم من الرؤية فانه يتعلق بالمعوم والوجود

وقوله تعالى (أم حسب الذين يسمعون السبوت أن يسبقونا ساء ما يحكمون) أي لا يحسن الدين لم يدخلوا في الإيمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان ، فان من ورائهم من القوة والكمال ما هو أغلظ من هذا وأطم ولهذا قال (أم حسب الذين يسمعون السبوت أن يسبقونا) أي يفوتونا (ساء ما يحكمون) أي بش ما يظنون

(مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ لَأَتِيَنَّكَ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ • وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ)

يقول تعالى (من كان يرجو لقاء الله) أي في الدار الآخرة وعمل الصالحات ورجا ما عند الله من الثواب الجزيل فان الله سبحانه وتعالى يوفيه عمله كاملا موفرا فان ذلك كائن لا محالة لأنه جميع البهاء يصير بكل العبادات ولهذا قال تعالى (من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم) وقوله تعالى (ومن جاهد فلنما يجاهد لنفسه) كقوله تعالى (من عمل صالحا فلنفسه) أي من عمل صالحا فلنما يودفع عمله على نفسه فان الله تعالى غنى عن أعمال العباد ولو كانوا كلهم على أتق قلب رجل منهم لما زاد ذلك في ملكه شيئا ولهذا قال تعالى (ومن جاهد فلنما يجاهد لنفسه إن الله لئن عن العالمين) قال الحسن البصري : إن الرجل ليجاهد وما ضرب يوما من الدهر يسف . ثم أخبر تعالى أنه مع غناه عن الخلائق جميعهم ومع بره وإحسانه بهم يجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء وهو أنه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم بأحسن الذي كانوا يعملون فيقبل القليل من الحسنات ويثب عليها الواحدة بشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ويجزي على السيئة بمثلها أو يسفو ويصفح كما قال تعالى (إن الله لا يظلم مثقال ذرة : إن تلك حسنة يشاغفها ويؤث من لفته أجرا عظيما) وقال ههنا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون)

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ • وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)

يقول تعالى أمراً عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان، ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالانفاق والوالدة بالانفاق، ولهذا قال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) إما يخلص عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لها أفولا تنهرها وقل لها قولاً كريماً • واخضع لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والإحسان إليهما في مقابلة إحسانهما للتقدم قال (وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) أي وإن حرما عليك أن تاتبعهما على دينهما إذا كانا مشركين فإياك وإياهما فلا تطعهما في ذلك فإن مرجعك إلى يوم القيامة فأجزبك بإحسانك إليهما وصبرك على دينك وأحشرك مع الصالحين لا في زمرة والديك وإن كنت أقرب الناس إليهما في الدنيا فإن للره إنعاش يوم القيامة مع من أحب أي جادنياً ولهذا قال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ) وقال الترمذي عند تفسير هذه الآية: حدثنا محمد بن يشار ثنا محمد بن السني حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب قال: سمعت مصعب بن سعد يحدث عن أبيه سعد قال نزلت في أربع آيات فذكر قصته وقال: قالت أم سعد أليس الله قد أمرك بالبر؟ والله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شرباً حتى أموت أو تكفر قال فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فلها قنزلت (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً) وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) الآية وهذا الحديث رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي أيضاً وقال الترمذي حسن صحيح

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْمَلِكِينَ • وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ)

يقول تعالى عبراً عن صفات قوم من للكافرين الذين يدعون الإيمان بالسلم ولم يثبت الإيمان في قلوبهم بأنهم إذا جاءتهم حنة وقتنة في الدنيا اعتقدوا أن هذا من همة الله تعالى بهم فارتدوا عن الإسلام، ولهذا قال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) قال ابن عباس يعني فتنة أن يرتد عن دينه إذا أؤذي في الله وكذا قال غيره من علماء السلف، وهذه الآية كقولها تعالى (ومن الناس من يبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابه فتنة اهتلب على وجهه - إلى قوله - ذلك هو الضلال البعيد) ثم قال عز وجل (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إننا كنا معكم) أي ولئن جاء نصر قريب من ربك يا محمد وفتح وفتح وفتح ليقولن هؤلاء لكم إننا كنا معكم أي إخوانكم في الدين كما قال تعالى (الذين يترصدون بك فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم تكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونعنتك من المؤمنين وقال تعالى (فسيأى أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) وقال تعالى خبراً عنهم حيناً (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إننا كنا معكم) ثم قال الله تعالى (أو ليس الله بأعلم بما في صدور المالكين) أي أو ليس الله بأعلم بما في قلوبهم وما سكنه ضمائرهم وإن أظهرها لكم للواقعة؟ وقوله تعالى (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) أي وليختبرن الله الناس بالضراء والسرأ ليعلمن هؤلاء من هؤلاء من يطع الله في الضراء والسرأ، ومن إنعاش يطعه

في حظ نفسه كما قال تعالى (وليؤنسك حتى نعلم المجاهد من منك والصابرين ونبوأخباركم) وقال تعالى بعد وقعة أحد التي كان فيها ما كان من الاختبار والامتحان « ما كان الله ليناً للذين آمنوا منكم ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » الآية

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَنَكُنَّ بِكُمْ مُمِيتِينَ ۖ وَكَلَّمُوا كَذِبًا مِنْهُمْ ۚ إِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ عَنْ أَوْلِيائِهِمْ وَكَلِمَاتِهِمْ وَهُمْ يَكْتُمُونَ ۚ ﴾

يقول تعالى خبراً عن كفار قريش أنهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدى : ارجعوا عن دينكم إلى ديننا واتبعوا سبيلنا (ولحمّل خطاياكم) أي وأتاكم إن كانت لكم آثام في ذلك علينا وفي رقابنا كما يقول القائل : فصل هذا وخطيئتك في رقبتي، قال الله تعالى تكذيباً لهم (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون) أي فبما قالوه إنهم يحملون عن أولئك خطاياهم فإنه لا يحمل أحد وزر أحد قال الله تعالى (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) وقال تعالى (ولا يسئل حميم حمياً يصرونهم) وقوله تعالى (وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم) إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة أنهم يحملون يوم القيامة أوزار أقصم وأوزاراً آخر بسبب ما أشلوا من الناس من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئاً كما قال تعالى (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) الآية وفي الصحيح « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الأثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً » وفي الصحيح « ما قلت نفس ظمناً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل » وقوله تعالى (وليستأن يوم القيامة عما كانوا يفترون) أي يكذبون ويختلقون من البهتان ، وقد ذكر ابن أبي حاتم هنا حديثاً قال : حدثنا أبي حدثنا همام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا عثمان بن حصص بن أبي العتالية حدثني سليمان بن حبيب الهاربي عن أبي أمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغ ما أرسل به ثم قال « إياكم والظلم فإن الله يزم يوم القيامة فيقول : وهزى وجلالى لا يجوزنى اليوم ظلم ثم ينادى مناد فيقول أين فلان بن فلان ؟ فيأتى بيقبه من الحسنات أمثال الجبال فيشخص الناس إليها أبصارهم حتى يقوم بين يدى الرحمن عز وجل ثم يأمر المنادى فينادى من كانت له تباعة أو ظلامة عند فلان بن فلان فهل فيقبلون حتى يمتنعوا قياماً بين يدى الرحمن فيقول الرحمن اتقصوا عن عبيدى فيقولون كيف قضى عنه ؟ فيقول خذوا لهم من حسناته فلا يزالون يأخذون منها حتى لا يبقى منها حسنة وقد بقي من أصحاب الظلمات فيقول اتقصوا عن عبيدى فيقولون لم يبق له حسنة فيقول خذوا من سيئاتهم فأحلوها عليه » ثم نزع النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية الكريمة (وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليستأن يوم القيامة عما كانوا يفترون) وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه « إن الرجل لياث يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال وقد ظلم هذا وأخذ مال هذا وأخذ من عرض هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا لمن حسناته فإذا لم تبق له حسنة أخذ من سيئاتهم فطرح عليه » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن أبي الحوارى حدثنا أبو بشر الحلاء عن أبي حمزة الثمالى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا معاذ بن المؤمنين يسئل يوم القيامة عن جميع سميه حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعه فلا الفينك تأتى يوم القيامة وأحد أسعد بما آتاك الله منك » .

﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ۚ فَانجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ الْكَافَّةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ۚ ﴾

هذه تسلية من الله تعالى لبيده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بخبره عن نوح عليه السلام أنه مكث فى قومه هذه المدة

يدعوم إلى الله تعالى ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً ومع هذا ما زادكم ذلك إلا فراراً عن الحق وإعراضاً عنه وتكديها له وما آمن منهم إلا قليل ولهذا قال تعالى (فليث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) أي بعد هذه اللفة الطويلة ما نصح فيهم البلاغ والانذار فأنث يا محمد لا تأسف على من كفر بك من قومك ولا تحزن عليهم فإن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، ويبدد الأمر وإليه ترجع الأمور (إن الذين هتفوا عليهم كملترك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) الآية واعلم أن الله سيظهرك وينصرك ويؤيدك ويذل عدوك ويكتبهم ويعلمهم أسفل السالفين . قال حماد بن سلمة عن علي ابن زيد عن يوسف بن ما هك عن ابن عباس قال : بعث نوح وهو لأربعين سنة وليث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ستين عاماً حتى كثرت الناس وقشوا ، وقال قتادة يقال إن عمره كله ألف سنة إلا خمسين عاماً وليث فيهم قبل أن يدعوم ثلثمائة سنة ودعاهم ثلثمائة سنة وليث بعد الطوفان ثلثمائة سنة وخمسين عاماً وهذا قول غريب ، وظاهر الصياني من الآية أنه مكث في قومه يدعوم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً . وقال عون بن أبي شاذان إن الله تعالى أرسل نوحاً إلى قومه وهو ابن خمسين وثلثمائة سنة فدعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم عاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة وهذا أيضاً غريب رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقول ابن عباس : أقرب والله أعلم وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مجاهد قال : قال ابن عمر : كم لبث نوح في قومه ؟ قال قلت لأبي عبد الله قال قال الناس لميز الوالي قصان من أعمارهم وأحلامهم وأخلاقهم إلى يومكم هذا ، وقوله تعالى (فأعجبناه وأصحاب السفينة) أي الذين آمنوا بنوح عليه السلام وقد هدم كل ذلك مفصلاً في سورة هود ، وتقدم تفسيره بما أغنى عن إعادته ، وقوله تعالى (وجعلنا آية للعالمين) أي وجعلنا تلك السفينة آية ليعلموا ما قال قتادة إنها بقيت إلى أول الإسلام على جبل الجودي أو نوعها جعله للناس تذكرة لنصحه على الخلق كيف أعجبناهم من الطوفان كما قال تعالى (وآية لم نأمننا ذريتهم في الفلك للشحون) وخلقنا لهم من مثله ما يركبون إلى قوله - ومتنا إلى حين) وقال تعالى (إنا لا ملأ طي لاء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) وقال هبة (فأعجبناه وأصحاب السفينة وجعلنا آية للعالمين) وهذا من باب التدرج من الشخص إلى الجنس كقوله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) أي وجعلنا نوعها رجوماً فإن التي يرمى بها ليست هي زينة السماء وقال تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) ثم جعلناه نقطة في قرار مكين) ولهذا نظر كثير وقال ابن جرير : لوليت إن الضمير في قوله (وجعلناها) حائد إلى العقوبة لكان وجهاً والله أعلم .

(وَإِذْ يَرْاهِمُ إِذْ قَالُوا رَبُّنَا اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْقُضُوا عَمَلَكُمُ الدُّنْيَا قَالَتْ لَهُمْ أَرْزُقُوا رَبَّنَا لَوْ أَنَّ رَبَّنَا لَمَّا خَلَقْنَاكُمْ لَرَزَقْنَاهُمْ مِنْكُمْ مِنْ قَبْلُ كَذِبٌ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تُعْبَدُونَ) وَإِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَأَبْغِلُوا كُفْرَكُمْ كَذَبُوا كَذِبًا كَرِهَ اللَّهُ لِقَوْمٍ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَعْبَادِهِ أَنْ يَقُولُوا هَذِهِ آيَاتُ اللَّهِ فَأَنْقُضُوا عَنْهُمْ آيَاتِهِمْ وَلِيَكُونَ يَاسِينَ) وَإِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَأَبْغِلُوا كُفْرَكُمْ كَذَبُوا كَذِبًا كَرِهَ اللَّهُ لِقَوْمٍ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَعْبَادِهِ أَنْ يَقُولُوا هَذِهِ آيَاتُ اللَّهِ فَأَنْقُضُوا عَنْهُمْ آيَاتِهِمْ وَلِيَكُونَ يَاسِينَ)

يخبر تعالى عن عبده ورسوله وإبراهيم إمام الحنفاء أنه دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له والإخلاص له في التقوى وطلب الرزق منه وحده لا شريك له ، وتوجيهه في الشكر فانه الشكور على النعم لا مسدود لما غفره فقال قومه (اعبدوا الله وانقضوا) أي أخلصوا له العبادة والحواف (ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون) أي إذا قلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة وانقطع عنكم الضرر في الدنيا والآخرة ، ثم أخبر تعالى أن الأنعام التي يعبدها لا تضر ولا تنفع وإنما اختلقتم أسماءاً فسميتموها آلهة وإنما هي مخلوقة مثلكم ، هكذا رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد والسدي ، وروى الوالي عن ابن عباس وصنعون إفكاً أي تتخونها أسماءاً وبه قال مجاهد في رواية وبكرمة والحسن وقاتدة وغيرهم واختاره ابن جرير رحمه الله . وهي لا تملك لكم رزقاً (فابتنوا عند الله الرزق) وهذا بلغ من الحصر

كقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) . ولهذا قال (فانتصوا) أي فاطلبوا (عند الله الرزق) أي لا عند غيره فإن من لا غلاك شيئا (واعبدوه واسكروا له) أي كلوا من رزقه واعبدوه وحده واسكروا له على ما أنعم به عليكم (إليه ترجعون) أي يوم القيامة فيجازي كل عامل بماله ، وقوله تعالى (وإن تكذبوا فقد كذب أم من قبلكم) أي فليفسد ما حل بهم من العذاب والنكال في عقوبة الرسل (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) يعني إنما على الرسول أن يبلغكم ما أمره الله تعالى به من الرسالة والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فاحرصوا لأنفسكم أن تكونوا من السعداء وقال قتادة في قوله (وإن تكذبوا فقد كذب أم من قبلكم) قال يعزى إليه عليه السلام وهذا من قتادة يقتضيه أنه قد انقطع الكلام الأول واعترض بهذا إلى قوله (فإن كان جواب قومه) وهكذا نص على ذلك ابن جرير أيضاً ، والظاهر من السياق أن كل هذا من كلام إبراهيم الخليل عليه السلام يخضع عليهم لآيات الماد قوله بعدهما كله (فإن كان جواب قومه) والله أعلم

(أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ يَبْدِئُ فِي الْأَرْضِ فَأَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُعْمِدُ الشَّعْأَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ * وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّاتَتْ اللَّهُ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

يقول تعالى ضرباً عن الخليل عليه السلام أنه أرعدهم إلى إثبات للماد الذي ينكرونه بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم بدءاً أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً ثم وجدوا وصاروا أناساً سامعين مبصرين فإدعى بهذا هذا قادر على إعادة فانه سهل عليه يسر لديه ، ثم أرعدهم إلى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات للشاهدة من خلق الله الأشياء : السموات وما فيها من السكاكب الثيرة الثوابت والسيارات ، والأرضين وما فيها من مهاد وجبال ، وأودية وبراري وقفار ، وأشجار وأنهار ، وغمار وبحار ، كل ذلك دال على حدودها في أنفسها وعلى وجود صانعها القاعل المختار ، الذي يقول للشعء كن فيكون ولهذا قال (أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير) كقوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ثم قال تعالى (قل سيروا في الأرض فأنظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي يوم القيامة (إن الله على كل شيء قدير) وهذا المقام شبه قوله تعالى (سنبرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وكقوله تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟ أم هم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون) وقوله تعالى (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء) أي هو الحاكم المتصرف الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ، ولا يسل عما يفعل وهم يسئلون فلهذا خلق والأمر مهما فعل ففعل لأنه المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة كما جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن « إن الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لمد بهم وهو غير ظالم لهم » ولهذا قال تعالى (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تعلقون) أي ترجعون يوم القيامة وقوله تعالى (وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء) أي لا يحجزه أحد من أهل سمواته وأرضه بل هو القاهر فوق عباده فكل شيء خائف منه فقير إليه وهو الغني عما سواه (ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير) والذين كفروا بآيات الله وقائه (أي جحدوها وكفروا بالعلماء) (أولئك يئسوا من رحمتي) أي لا نصيب لهم فيها (وأولئك لهم عذاب أليم) أي موج شديد في الدنيا والآخرة

(فَمَا كَانُوا جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ • وَقَالَ إِنَّا آتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَمَنَّ بِبَعْضِكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمُ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى خبراً عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم ودفعهم الحق بالباطل أنهم ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه للشملة على الهدى والبيان (إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) وذلك لأنهم قام عليهم البرهان وتوجهت عليهم الحجة فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم (قتلوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم) وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين) وذلك أنهم حصدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة وحطوا حولها ثم أشرموا فيها النار فارتفع لها دخان إلى عتات السماء، ولم توجد نار قط أعظم منها ثم عمدوا إلى إبراهيم فكفروه وألقوه في كفة للتجنيق ثم قذفوه فيها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وخرج منها سالماً بعد ما مكث فيها أياماً، ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إماماً. فانه بذل نفسه للرسم، وجسده للقرآن، وسخا بولده للقرآن، وجعل ماله للضياف، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان. وقوله تعالى (فأتجمل الله من النار) أي سلمه منها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) • وقال إنما آخذتم من دون الله آثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا) يقول قومهم مقرعاً لهم وموضحاً على سوء صنيعهم في عبادتهم للأوثان إنما آخذتم هذه لتجتمعوا على عبادتها في الدنيا صداقة وألفة منكم ببعضكم لبعض في الحياة الدنيا وهذا على قراءة من نصب مودة بينكم على أنه مفعول له، وأما على قراءة الرنح لفتناه إنما آخذكم هذا لتجصل لكم اللودة في الدنيا فقط (ثم يوم القيامة) ينعكس هذا الحال فتبقى هذه الصداقة واللودة بضاً وعثاناً ثم (يكفر بعضهم ببعض) أي يتجاددون ما كان بينهم (ويلعن بعضهم بعضاً) أي يلعن الأتباع للتبوعين وللتبوعون الأتباع (كلما دخلت أمة لعنت أختها) وقال تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا للمتقين) وقال ههنا (ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً ومأواكم النار) الآية أي ومصرعكم ومرجعكم بعد عرصات القيامة إلى النار ومالككم من ناصريكم ولا منقذ ينقذكم من عذاب الله وهذا حال الكافرين، وأما المؤمنون فيخلاف ذلك. قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسحاق بن الأحمسي حدثنا أبو عاصم الثقفي ثنا الربيع بن إسحاق بن عمرو بن سعيد بن جعدة ابن هبيرة الخزرجي عن أبيه عن جده عن أم هانئ أنها قالت: قال النبي ﷺ «أخبركم أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد فمن يدرى أين الطرفان؟» قالت الله ورسوله أعلم - ثم نادى مناد من تحت العرش يا أهل التوحيد فيسرّبون - قال أبو عاصم رفقون رموسهم - ثم نادى يا أهل التوحيد، ثم نادى الثالثة يا أهل التوحيد إن الله قد غفركم - قال - فيقوم الناس قد تعلق بعضهم ببعض في ظلمات الدنيا - يعني للظالم - ثم نادى يا أهل التوحيد ليف بعضكم عن بعض وعلى الله الثواب •

﴿فَقَاتِلْ لَهُ لُوطًا وَقَالَ إِنِّي مُبْعِثُ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الَّذِي زُرَّ الْأَكْثَمُ • وَوَعَدْنَا لَهُ لُوطًا وَسَقَيْنَا لَهُ وَأَخَذْنَا مِنْهُ الْبُيُوتَ وَمَا كَانَ يَأْتِيهِمْ فِي الدُّنْيَا وَآيَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ لَئِنْ أَصْلَحِينَ﴾

يقول تعالى خبراً عن إبراهيم أنه آمن له لوط قال إنه ابن أخى إبراهيم، يقولون هو لوط بن هاران بن أزر يعني ولم يؤمن به من قومه سواء وسارة امرأة إبراهيم الخليل لكن يقال كيف الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الوارد في الصحيح أن إبراهيم حين مر على ذلك الجبار فسأل إبراهيم عن سارة ما هي منه فقال أخى، ثم جاء إليها فقال لها إن قد قلت له إنك أخى فلا تكذبي فإنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك فأنت أخى في الدين - وكان للراد من هذا والله أعلم أنه ليس على وجه الأرض زوجان على الإسلام غيرى وغيره فان لوطاً عليه السلام آمن به من قومه وهاجر معه إلى بلاد الشام ثم أرسل في حياة الخليل إلى أهل سدوم وإقليمها وكان من أمرهم ما تقدمت ولساني

وقوله تعالى (وقال إني مهاجر إلى ربي) يحتمل عود الضمير في قوله (وقال) على لوط لأنه هو أقرب للذكورين ويحتمل عوده إلى إبراهيم . قاله ابن عباس والضعاف وهو للكنى عنه بقوله (فأمن لوط) أي من قومه ثم أخبر عنه بأنه اختار للمهاجرة من بين أظهرهم ابتداء اظهار الدين والتحكيم من ذلك ولهذا قال (إنه هو العزيز الحكيم) أي العزة ورسوله ولقومتهين بالحكيم في أقواله وأفعاله وأحكامه القدسية والشرعية . وقال قتادة : هاجرا جميعا من كوفي وهي من سواد الكوفة إلى الشام . قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنها ستكون هجرة بدعجرة ينحاز أهل الأرض إلى مهاجر إبراهيم ويبقى في الأرض شرار أهلها حتى تلفظهم أرضهم وتندهم روح الله عز وجل وتحترق النار مع القردة والحنازير تبيت معهم إذا باتوا ، وتقبل معهم إذا قالوا وتأكل ماسقط منهم » وقد أسند الإمام أحمد هذا الحديث فرواه مطولا من حديث عبد الله بن عمرو بن الماس قال حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب قال : لما جاءتنابيعة يزيد بن معاوية قدمت الشام فأخبرت بتمام يقومه نوف البكالي فبشبهه إذ جاء رجل فأتاه الناس وعليه خبيصة فاذا هو عبد الله بن عمرو بن الماس فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال عبد الله : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنها ستكون هجرة بدع هجرة فينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها تلفظهم أرضهم تحترقهم نفس الرحمن ، وتحترق النار مع القردة والحنازير تبيت معهم إذا باتوا ، وتقبل معهم إذا قالوا ، وتأكل من تخلف منهم » قال وصحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سيخرج أناس من أمي من قبل الشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع كلما خرج منهم قرن قطع - حتى عدوا زيادة على عشرين مرة - كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم » ورواه الإمام أحمد عن أبي داود وعبد الصمد كلاهما عن هشام المستوأي عن قتادة به ، وقد رواه أبو داود في سننه فقال في كتاب الجهاد (باب ما جاء في سكنى الشام) حدثنا عبيد الله بن عمر حدثنا معاذ بن هشام حدثني (١) عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبيد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ستكون هجرة بدع هجرة وينحاز أهل الأرض إلى مهاجر إبراهيم ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضهم ، وتحترقهم نفس الرحمن ، وتحترق النار مع القردة والحنازير » وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا أبو جندب يحيى بن أبي حية عن شهر بن حوشب قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : لقد رأيتنا وما صاحب الدينار والدرهم بأحق من أخيه السلم ، ثم لقد رأيتنا بأخرة الآن والدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه السلم ، وصحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لن أتم أذناب البقر ويأمنن بالينة وتركتم الجهاد في سبيل الله ليلزمكم الله مذلة في أعناقكم لاتنزع منكم حتى ترجعوا إلى ما كنتم عليه وتوتروا إلى الله تعالى » وصحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ستكون هجرة بدع هجرة إلى مهاجر إنيكم إبراهيم حتى لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها تلفظهم أرضهم ، وتندهم روح الرحمن ، وتحترق النار مع القردة والحنازير تقبل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث يبيتون وما سقط منهم فلا » وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج قوم من أمي يسيئون الأعمال يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم » قال يزيد لأعلمه إلا قال - يحرق أحدكم حله مع علمهم يقتلون أهل الإسلام فاذا خرجوا فالتقواهم ، ثم إذا خرجوا فالتقواهم ثم إذا خرجوا فالتقواهم فطوبى لمن تلتهم وطوبى لمن قتله ، كلما طلع منهم قرن قطعه الله » فرد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين مرة أو أكثر وأنا سمع وقال الحافظ أبو بكر البيهقي حدثنا أبو الحسن بن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا أبو النضر إسحق بن إبراهيم بن يزيد وهشام بن عمار الشافعيان قالا حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا الأزاعي عن نافع ، وقال أبو النضر عن حمزة عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « سهاجر أهل الأرض هجرة بدع هجرة إلى مهاجر إبراهيم حتى لا يبقى إلا شرار أهلها تلفظهم الأرضون وتندهم روح الرحمن » وتحترق النار مع القردة والحنازير تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا لما سقط منهم » غريب من حديث نافع والظاهر أن الأزاعي قد رواه عن شيخه من الضعفاء والله أعلم - وروايته من حديث

عبد الله بن عمرو بن الناصر أقرب إلى الحفظ . وقوله تعالى (ووهبنا لإسحاق ويعقوب) كقولهم (فلما اعترلهم وما يعبدون من دون الله ، ووهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا) أي أنه لما فارق قومه أقر الله عينه بوجود ولد صالح نبي وولد له ولد صالح نبي في حياة جده وكذلك قال تعالى (ووهبنا له إسحاق ويعقوب ناقة) أي زيادة كما قال تعالى (فنشرناها لإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) أي يولد لهذا الولد ولد في حياتكما خربة أعينكما وكون يعقوب وولد لإسحاق نص عليه القرآن وثبتت به السنة النبوية قال الله تعالى (ثم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهنا واحدا) الآية وفي الصحيحين « إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام » فاما ما رواه الموقفي عن ابن عباس في قوله (ووهبنا له إسحاق ويعقوب) قال هما ولدا إبراهيم فعناه أن ولد الولد بمنزلة الولد فان هذا الأمر لا يكاد يخفى على من هودون ابن عباس . وقوله تعالى (وجعلنا في ذرية النوبة والكتاب) هذه خلمة سنية عظيمة مع اتخاذ الله إياه خليلا وجعله للناس إماما أن جعل في ذرية النوبة والكتاب فلم يوجد نبي بعد إبراهيم عليه السلام إلا وهو من سلالة ن جميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم حتى كان آخرهم عيسى بن مريم فقام في ملتهم مبشرا بالذي العرب القرشي الهاشمي خاتم الرسل على الإطلاق ، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة . الذي اصطفاه الله من صميم العرب العرباء من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه عليه أفضل الصلاة والسلام . وقوله (وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين) أي جمع الله له بين سعادة الدنيا للوصول بسعادة الآخرة فكان له في الدنيا الرزق الواسع الحفي وللزلزل الرحب ، وللملوك العرب ، والزوجة الحسنة الصالحة ، والثناء الجميل ، والذكر الحسن وكل أحد يحبه ويؤله كما قال ابن عباس وعجابه وتآده وغيرهم مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه كما قال تعالى (وإبراهيم الذي وفى) أي قام بجميع ما أمر به وكل طاعة ربه ولهذا قال تعالى (وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين) وكما قال تعالى (إن إبراهيم كان أمة فانتا له حنيفا ولم يك من المشركين - إلى قوله - وإنه في الآخرة لمن الصالحين)

(وَلَوْ مَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَثَوْنُ الْفُجِحَةِ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * أَنْتُمْ لَأَثَوْنُ أَرْجَالٍ وَمَقْطُوعُونَ السَّبِيلِ وَتَأْتَوْنُ فِي نَادِيكُمْ الْعُسْكَرُ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّنَا بِمَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ)

يقول تعالى عبراً عن نية لوط عليه السلام أنه أنكر على قومه سوء صنيعهم وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال في إتيانهم الذكران من العالمين ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم وكانوا مع هذا يذكرون بالله ويكذبون رسوله ويقطعون السبيل أي يقفون في طريق الناس يتلوهم ويأخذون أموالهم (وتأتون في ناديتكم المشرك) أي يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها لا ينكر بعضهم على بعض شيئا من ذلك فمن قائل كانوا يأتون بعضهم بعضا في الملا قاله مجاهد ، ومن قائل كانوا يتضارطون ويتضاحكون قائلة هاتمة رضى الله عنها والقاسم ، ومن قائل كانوا يناطحون بين الكباش ويتناقرون بين الديوك وكل ذلك كان يصدر عنهم وكانوا شرا من ذلك ، وقال الإمام أحمد حديثا حماد بن أسامة أخبرني حاتم بن أبي صغيرة حدثنا مساك ابن حرب عن أبي صالح مولى أم هانئ عن أم هانئ قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (وتأتون في ناديتكم المشرك) قال (يحدقون أهل الطريق ويسخرون منهم وذلك المشرك الذي كانوا يأتونه) ورواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث أبي أسامة حماد بن ربيعة عن أبي يونس القشيري عن حاتم بن أبي

صغيرة به . ثم قال الترمذى هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث حاتم بن أبى صغيرة عن ماله ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن كثير عن عمرو بن قيس عن الحكم بن عباد (وثابتون في ناديكم للتكر) قال الصغير ولعب الأحم والجلاهي والسؤال في المجلس وحل أضرار القباء ، وقوله تعالى (فما كان جواب قومه إلا أن قال اتنا بنذاب الله إن كنت من الصادقين) وهذا من كفرهم واستزاهم وعنادهم ولهذا استنصر عليهم نبى الله تعالى (رب انصرنى على القوم المفسدين)

(وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ • قَالَ إِن فِيهَا لَكُمْ لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ عِلْمٍ مِمَّنْ فِيهَا لَنَنصِبَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا نَكُونُ مِنْ الْقَائِلِينَ • وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِرًّا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا نَكُونُ مِنْ الْقَائِلِينَ • إِنَّا مَزَلُون عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ • وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)

لما استنصر لوط عليه السلام بالله عز وجل عليهم بعث الله لصورته ملائكة ففروا على إبراهيم عليه السلام في هيئة أضياف فجاهد بما ينشئ للضيف فلما رأى إبراهيم أنه لا همتهم إلى الطعام تكرم وأوجس منهم خيفة فصرعوا يؤانسونه ويشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة وكانت حاضرة فتعجب من ذلك كما تقدم بيانه في سورة هود والجبر فلما جاءت إبراهيم بالبشرى وأخبروه بأنهم أرسلوا لهلاك قوم لوط أخذ يدافع لهم ينظرون لعل الله أن يهديهم ، ولما قالوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ (قال إن فيها لوطا ، قالوا نحن أعلم بما نتنبه وأهله إلا امرأته كانت من النافرين) أى من المالكين لأنها كانت تماثلهم على كفرهم وبضيم وديرهم ثم ساروا من عنده فدخلوا على لوط في صورة شبان حسان فلما رآهم كذلك (سوء بهم وضاق بهم ذرعا) أى اغتم بأمرهم إن هو أضافهم خاف عليهم من قومه وإن لم يصفهم خشى عليهم منهم ولم يعلم بأمرهم في الساعة الراحنة (قالوا لا تخف ولا تحزن إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا نَكُونُ مِنْ الْقَائِلِينَ • إِنَّا مَزَلُون عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) وذلك أن جبريل عليه السلام اتلع قراهم من قرار الأرض ثم رفعها إلى عنان السماء ثم قلبها عليهم ، وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منسودة مسومة عند ربك وما هى من الظالمين بعيد ، وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة مننته وجعلهم عبرة إلى يوم التناد ، وهم من أشد الناس عذابا يوم للعاد . ولهذا قال تعالى (ولقد تركنا منها آية بيينة) أى واضحة (لقوم يعقلون) كما قال تعالى (وإنكم لتقرون عليهم مصبين وبآليل أنفلا تعقلون)

(وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْبُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ • فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جثثين •)

غير تعالى عن عبده ورسوله شعيب عليه السلام أنه أنذر قومه أهل مدين فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له وأن يخافوا بأس الله واهتمت بسطوته يوم القيامة فقال (يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) قال ابن جرير قال بعضهم معناه واخشوا اليوم الآخر وهذا كقوله تعالى (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) وقوله (ولا تشوا في الأرض مفسدين) نهاهم عن السي في الأرض بالفساد وهو السى فيها والبنى على أهلها وذلك أنهم كانوا يقتصون للكيل واللباز ويخطمون الطريق على الناس هذا مع كفرهم بالله ورسوله فأهلكهم الله برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم وصيحة أخرجت القلوب من حاجر جوارحها وعذاب يوم

الظلة الذى أزهق الأرواح من مستقرها إنه كان عذاب يوم عظيم ، وقد تقدمت قصتهم مبسطة في سورة الأعراف وهود والشعراء ، وقوله (فأنسجوا في دارهم جاعين) قال قتادة ميتين ، وقال غيره قد ألقى بعضهم على بعض

(وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَحْلَمَهُمْ فَضْلَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ * وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَكَانُوا صَافِينَ * فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

غير تعالى عن هؤلاء الأمم للكذبة لمرسل كيف أبادهم وتبوع في عذابهم وأخذهم بالانتقام منهم فإد قوم هود عليه السلام كانوا يسكنون الأحقاف وهي قرية من حضرموت بلاد اليمن ، وعمود قوم صالح كانوا يسكنون الحجر قريبا من وادي القرى . وكانت العرب تعرف مساكنهما جيدا وعمر عليهما كثيرا ، وقارون صاحب الأموال الجزيلة ومناييح الكنوز الفضية ، وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزيره هامان القبطيان ، السكاران بالله تعالى ورسوله **عليه السلام** (فكلأ أخذنا بذنبيه) أى كانت عقوبته بما يناسبه (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم عاد وذلك أنهم قالوا من أشد منا قوة فبدأهم ربح صرصر باردة شديدة البرد غابت عليهم حياء الأرض فقلعها عليهم وتمتلئهم من الأرض فترفع الرجل منهم من الأرض إلى عنان السماء ثم تنكسه على رأسه فتفسد فيبقى بدنا بلا رأس كأنهم أعجاز نخل منقعر (ومنهم من أخذته الصيحة) وهم ثمود قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة من تلك الناقة التي أضلقت عنها الصخرة مثل ما سألوها سواء بسواء ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم وتهديدوا نبي الله صالحا ومن آمن معه وتوعدوهم بأن يخرجوهم ويرجموهم فبدأهم صيحة أخذت الأسوات منهم والحركات (ومنهم من خسفنا به الأرض) وهو قارون الذى طغى وبغى وعصى الرب الأعلى ومضى في الأرض مرحا وفرح ومرح وتاه بنفسه واعتقد أنه أفضل من غيره واختال في مشيته فخسف الله به وبداره الأرض فهو يتجلبل فيها إلى يوم القيامة (ومنهم من أغرقنا) وهو فرعون ووزيره هامان وجنودهما عن آخرهم أغرقوا في صيحة واحدة فلم ينج منهم غير (وما كان الله ليظلمهم) أى فيما فعل بهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أى إنما فعل ذلك بهم جزاء وفاقا بما كسبت أيديهم وهذا الذى ذكرناه ظاهر سياق الآية وهو من باب الف والنشر وهو أنه ذكر الأمم المكذبة ثم قال (فكلأ أخذنا بذنبيه) أى من هؤلاء المذكورين وإنما نهى على هذا لأنه قد روى ابن جرير قال : قال ابن عباس في قوله (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) قال قوم لوط (ومنهم من أغرقنا) قال قوم نوح وهذا منقطع عن ابن عباس فان ابن جرير لم يذكره . ثم قد ذكر الله في هذه السورة إهلاك قوم نوح بالطوفان ، وقوم لوط بإزال الرجز من السماء وأطال السياق والفصل بين ذلك وبين هذا السياق ، وقال قتادة (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) قال قوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) قوم شعيب وهذا بعيد أيضا لما تقدم والله أعلم

(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْفَكْهَاتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْلَىٰ آلِ الْيَتِيمِ لَبَيْتُ الْفَكْهَاتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ * وَلَوْ أَنَّ الْأَنْفُسَ لَفِي الْفَاسِ وَمَا يَفْقَهُ إِلَّا السَّلَواتُ)

هذا مثل ضرب به الله تعالى المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ووزعهم ويتمسكون بهم في الشدائد ، فهم في ذلك

كبيت المنكوت في شفه وهنه فليس في أيدي هؤلاء من ألتهم إلا كن يتسك بيت المنكوت فانه لا يجدي عنه شيئا فلو علوا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أو ليا وهذا بخلاف السلم للؤمن قلبه لله هو مع ذلك عمن العمل في اتباع الشرع فانه متمسك بالبروة الرقي لا انضمام لما لقوتها وثباتها ، ثم قال تعالى متوعدا لمن عبد غيره وأشرك به إنه تعالى يعلم مام عليه من الأعمال وسلم ما يشركون به من الأنداد وسيجزيهم وصفهم إته حكيم عليم ، ثم قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا المالمون) أي وما يفهمها وتدبرها إلا الراستخون في العلم للتضلمون منه . قال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى حدثني ابن لهيعة عن أبي قبيص عن عمرو بن الماس رضى الله عنه قال : عقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل ، وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن الماس رضى الله عنه حيث يقول الله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا المالمون) ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا أبي حدثنا ابن سنان عن عمرو بن مرة قال : ما مررت بأية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنى لأنى سمعت الله تعالى يقول (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا المالمون)

(خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمُؤْمِنِينَ * أَنْتُمْ أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَنْتُمْ الصَّادِقُونَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)

يقول تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة أنه خلق السموات والأرض بالحق يعني لا على وجه الميث واللب (لتجزى كل نفس بما تسعى) (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحق) وقوله تعالى (إن في ذلك آية للمؤمنين) أي لدلالة واضحة على أنه تعالى للتفرد بالخلق والتدبير والإلهية ، ثم قال تعالى آمرا رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن وهو قرأته وإبلاغه للناس (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) يعني أن الصلاة تشتمل على شيئين على ترك الفواحش والمنكرات أى مواظبتها تحمل على ترك ذلك (وقد جاء في الحديث من رواية عمران وابن عباس مرفوعا « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدا »

﴿ ذكر الآثار الواردة في ذلك ﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن هارون المخرمي القلاص حدثنا عبد الرحمن بن نافع أبو زياد حدثنا عمر ابن أبي عثمان حدثنا الحسن بن عمران بن حصين قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) قال « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة » وحدثنا علي بن الحسين حدثنا يحيى بن أبي طلحة اليربوعي حدثنا أبو معاوية عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد بها من الله إلا بعدا » ورواه الطبراني من حديث أبي معاوية . وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا خالد بن عبد الله عن العلاء بن المسيب عن ذكره عن ابن عباس في قوله (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) قال فمن لم تأمره صلاته بالمعروف وتنه عن المنكر لم يزد بصلاته من الله إلا بعدا . فهذا ما توقف قال ابن جرير وحدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا علي بن هاشم بن البريد عن جوير عن الضحاك عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال « لا صلاة لمن لم يقطع الصلاة وطاعة الصلاة أن تنهيه عن الفحشاء والمنكر . قال : قال سفيان (قالوا يا شعيب أصلا تترك تأمرك) قال : فقال سفيان إني والله تأمره وتنهيه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن جوير عن الضحاك عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « قال أبو خالد مرة عن عبد الله . « لا صلاة لمن لم يقطع الصلاة وطاعة الصلاة تنهيه عن الفحشاء والمنكر » وللقوقوف أمسح كما رواه الأعمش عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن زيد قال قيل لعبد الله إن فلانا يطيل الصلاة قال إن الصلاة لا تنفع إلا من أطاعها . وقال ابن جرير حدثنا علي حدثنا إسماعيل بن مسلم عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ

صلى الله عليه وسلم - من صلى صلاتهم تنه عن الفحشاء والنكسر لم يزد عليها من الله إلا بعداً - والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقادة والأعمش وغيرهم والله أعلم . وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا يوسف ابن موسى أنبأنا جرير - يعني ابن عبد الحميد عن الأعمش عن أبي صالح قال أراه عن جابر عن الأعمش قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصل بالليل فإذا أصبح سرق قال « سيناه ما تقول وحدنا محمد بن موسى البرقي أخبرنا زياد بن عبد الله عن الأعمش عن أبي صالح عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يشك ثم قال : وهذا الحديث قد رواه عن الأعمش غير واحد واختلفوا في إسناده فرواه غير واحد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو غيره وقال قيس عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال جرير وزيد عن عبد الله عن الأعمش عن أبي صالح عن جابر ، وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع أخبرنا الأعمش قال أرى أبا صالح عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن فلانا يصل بالليل فإذا أصبح سرق فقال « إنه سيناه ما تقول » . وتشتمل الصلاة أيضاً على ذكر الله تعالى وهو المطلوب الأكبر . ولهذا قال تعالى (ولذكر الله أكبر) أي أعظم من الأول (والله يعلم ما تصنعون) أي يعلم جميع أعمالكم وأقوالكم . وقال أبو العالية في قوله تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والنكسر) قال إن الصلاة فيها ثلاث خصال فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الحلال فليست صلاة : الإخلاص والخشية وذكر الله فلا خلاص يأمره بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر الله القرآن يأمره وينهاه ، وقال ابن عون الأنصاري إذا كنت في صلاة فأنت في معروف وقد حجبك عن الفحشاء والنكسر والذي أنت فيه من ذكر الله أكبر وقال حماد بن أبي سليمان (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والنكسر) يعني ما مدت فيها ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (ولذكر الله أكبر) يقول ولذكر الله ليعبده أكبر إذا ذكره من ذكرهم إياه وكذا روى غير واحد عن ابن عباس وبه قال مجاهد وغيره . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن داود بن أبي هند عن رجل عن ابن عباس (ولذكر الله أكبر) قال ذكر الله عند طعامك وعند منامك ، قلت فان صاحبنا في التلذذ يقول غير الذي يقول ، قال وأي شيء يقول ؟ قلت قال يقول الله تعالى (فاذكروني أذكركم) فذكر الله إيانا أكبر من ذكرنا إياه قال : صدق قال وحدثنا أبي حدثنا النضر بن عمار عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ولذكر الله أكبر) قال لها وجهان قال ذكر الله عند ما حرمه قال وذكر الله إياكم أعظم من ذكركم إياه قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم أخبرنا هشيم أخبرنا عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال قال ابن عباس هل تدري ما قوله تعالى (ولذكر الله أكبر) ؟ قال : قلت نعم ، قال : فما هو ؟ قلت التيسير والتجديد والتكبير في الصلاة وقراءة القرآن ونحو ذلك . قال : لقد قلت قولا جلياً وما هو كذلك ولكنه إنما يقول ذكر الله إياكم عند ما أمر به أو نهى عنه إذا ذكرتموهما أكبر من ذكركم إياه ، وقد روى هذا من غير وجه عن ابن عباس وروى أيضاً عن ابن مسعود وأبي الدرداء وسلمان الفارسي وغيرهم واختاره ابن جرير

﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

قال قتادة وغير واحد : هذه الآية منسوخة بآية السيف ولم يبق معهم مجادلة وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف وقال آخرون بل هي باقية محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين فيجادل بالتي هي أحسن ليكون أجمع فيه كما قال تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة وللعظة الحسنة) الآية وقال تعالى موسى وهارون حين بعثنا إلى فرعون (قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) وهذا القول اختاره ابن جرير وحكاه عن ابن زيد . وقوله تعالى (إلا الذين ظلموا منهم) أي حادوا عن وجه الحق وعموا عن واضح الحق وعاندوا وكابروا فحيث يتنقل من الجدال إلى الجلال

فثبوه حتى تلاوته من أحبارهم العلماء الأذكىاء كعبد الله بن سلام ولسان الفارسي وأشباههما ، وقوله تعالى (ومن هؤلاء من يؤمن به) يعني العرب من قريش وغيرهم (وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) أي ما يكذب بها ويحدهقها إلا من يستر الحق بالباطل ، ويغشي ضوء الشمس بالوسائل وهبها ، ثم قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك) أي قد لبثت في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمرا لا تحرق كتابا ولا تحسن الكتابة بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أي لا تحرق أي لا تحرق ولا تكتب وهكذا صفته في الكتب للخدمة كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) الآية وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائما إلى يوم الدين لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرا ولا حرفا يسده بل كان له كتاب يكتبون بين يده الوحي والرسائل إلى الأقاليم . ومن زعم من متأخري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه أنه عليه السلام كتب يوم الحديبية : هذا ما قاضى عليه محمد ابن عبد الله . فانما حمل على ذلك رواية في صحيح البخاري : ثم أخذ فكتب . وهذا محمول على الرواية الأخرى : ثم أمر فكتب . ولهذا اشتد النكير من فقهاء الشرق والغرب على من قال بقوله الباجي وتبرعوا منه وأنشدوا في ذلك أقوالا وخطبوا به في محافلهم : وإنما أراد الرجل - أعني الباجي - قيا يظهر عنه أنه كتب ذلك على وجه المعجزة لا أنه كان يحسن الكتابة كما قال صلى الله عليه وسلم إخباراً عن النبال « مكتوب بين عينيه كافر » وفي رواية « كافر » يقرؤها كل مؤمن « وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى تعلم الكتابة فضعف لا أصل له ، قال الله تعالى (وما كنت تتلو) أي قرأ (من قبله من كتاب) لتأكيد النفي ولا تخطه يمينك تأكيد أيضا وخرج فخرج الغالب كقوله تعالى (ولطائر يطير بجناحيه) . وقوله تعالى (إننا لأرتاب البطون) أي لو كنت تحسنا لأرتاب بعض الجبهة من الناس فيقول إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيل) قال الله تعالى (قل أنزلني الذي يعلم السر في السماوات والأرض) الآية وقال ههنا (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) أي هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق أمرا ونهيا وخبريا يحفظه العلماء بسره الله عليهم حفظا وتلاوة وتفسيرا كما قال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ملأني نبي إلا وقد أعطى ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فارجوان أكون أكثرهم تابعا » وفي حديث عياض بن حماد في صحيح مسلم يقول الله تعالى « إني مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء تحرقه نائما وغطائا » أي لو غسل للملأ للكتاب فيه لما احتج إلى ذلك الملأ لأنه قد جاء في الحديث الآخر « لو كان القرآن في إهاب ما أحرقت النار » ولأنه محفوظ في الصدور ميسر على الألسنة ميسر على القلوب معجز لفظا ومعنى ولهذا جاء في الكتب للخدمة في صفة هذه الأمة أن أجلبهم في صدورهم ، واختار ابن جرير أن للمنى في قوله تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا ولا تخطه يمينك آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب ، وشبهه عن قتادة وابن جريج وحكي الأول عن الحسن البصري فقط قلت وهو الذي رواه الموفى عن ابن عباس وقاله الضحاك وهو الأطهر والله أعلم ، وقوله تعالى (وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) أي ما يكذب بها ويخسئ فيها ويردها إلا الظالمون أي للمتدنون للكايرون الذين يملكون الحق ويحيدون عنه كما قال تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولوجاءهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم)

﴿ وَقَالُوا لَا تَنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَكُنْهُمْ أَنَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾

وَيَبْنِيكُمْ شَيْدًا يَلْمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَيْتِ الْبَيْتِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾

يقول تعالى خبرنا عن المشركين في تمثيلهم وآيات يسون ترشدكم إلى أن عمدا رسول الله كما أتى صالح بناته قال الله تعالى (قل) يا محمد (إنما الآيات عند الله) أي إنما أمر ذلك إلى الله فانه لو علم أنكم تهتدون لأجابكم إلى سؤالكم لأن هذا سهل عليه يسير لديه ، ولكنه يعلم منكم أنكم إنما قصدتم التفتت والامتنان فلا يجيبكم إلى ذلك كما قال تعالى (وما ننزله أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) وابتدأنا نوح التافة مبصرة فظلموا بها (وقوله) (وإنما أنا نذير مبين) أي إنما بشت نذيرا لكم بين النذارة فلي أن أبلغكم رسالة الله تعالى و (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) وقال تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) ثم قال تعالى مينا كثره جهلهم وسخافة عقولهم حيث طلبوا آيات تعلم على صدق محمد ﷺ فيا جاهد ، وقد جاهدكم بالكتاب العزيز الذي لا يأتى الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي هو أعظم من كل معجزة إذعجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته بل عن معارضة عشر سور من مثله بل عن معارضة سورة منه فقال تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي أولم يكفهم آية أنا أنزلنا عليك الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم ونبا ما بعدهم وحكم ما بينهم وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب ولم تخالف أحدا من أهل الكتاب فيجتهد بأخبار ما في الصحف الأولى بيان السواب بما اختلفوا فيه وبالحق الواضح البين الجلي كما قال تعالى (أولم يكن لهم آية أن يسله علماء بني إسرائيل) وقال تعالى (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى) وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أنس هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الآيات ما شئت آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فارجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» أخرجه من حديث الليث . وقد قال الله تعالى (إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أي أن في هذا القرآن لرحمة أي بآيات الحق وإزاحة للباطل وذكرى بما في محال النعمات ونزول العقاب بالكلية والما من لقوم يؤمنون ثم قال تعالى (قل كفى بالله بيني وبينكم شيئا) أي هو أعلم بما تفيضون فيه من التكذيب ويعلم ما أقول لكم من اخباري عنه بأنه أرسلني فلو كنت كاذبا عليه لاتهم مني كما قال تعالى (ولو هول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) وإنما أنا صادق عليه فيا أخبركم به ولهذا أيدني بالمعجزات الواضحات والدلائل القاطعات (يسلم ما في السموات والأرض) أي لا تخفي عليه خافية (والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) أي يوم القيامة سيجزىهم على ما فعلوا وقابلهم على ما صنعوا في تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل كذبوا برسول الله مع قيام الأدلة على صدقهم وآمنوا بالطواغيت والأوثان بلا دليل فسيجزىهم على ذلك إنه حكيم عليم

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * يَوْمَ يَنْشَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

يقول تعالى متعبرا عن جهل المشركين في استعجالهم عذاب الله أن يقع بهم وبأس الله أن يحل عليهم كما قال تعالى (وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بسنداب آليم) وقال ههنا (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب) أي لولا ما حث الله من تأخير العذاب إلى يوم القيامة

لجدهم المذاب قريباً سرماً كما استعملوه ثم قال (وليتبينهم بئنة) أى فجأة (وم لا يسمرون • يستعملونك بالعتاب وإن جهنم لمحة بالكافرين) أى يستعملون العتاب وهو واقع بهم لا محالة. قال شعبة عن عمار عن عكرمة قال فى قوله (وإن جهنم لمحة بالكافرين) قال البحر وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا عمر بن إسماعيل بن مجاهد حدثنا أبى عن مجاهد عن الشعبي أنه سمع ابن عباس يقول (وإن جهنم لمحة بالكافرين) وجهنم هو هذا البحر الأخضر تنثر الكواكب فيه وتكون فيه الشمس والقمر ثم يوقد فيكون هو جهنم وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عاصم أخبرنا عبد الله بن أمية حدثني محمد بن حبي أخبرني صفوان بن يحيى عن أبيه أن النبي ﷺ قال « البحر هو جهنم » قالوا ليعلى فقال: ألا ترون أن الله تعالى يقول (ناراً أحاط بهم سرادقها) قال لا والذى نفسى بيلى يده لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله ولا يضيئ منها قطرة حتى أعرض على الله تعالى هذا خبر غريب وحديث غريب جداً والله أعلم ثم قال عن رجل (يوم يشام المذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) كقوله تعالى (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) وقال تعالى (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) وقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكونون من وجوههم النار ولا عن ظهورهم) الآية فالنار تشامهم من سائر جهاتهم وهذا أبلغ فى العذاب الحسى وقوله تعالى (وهول ذوقوا ما كنتم تعملون) تهديد وتوبيخ وهذا عذاب معنوى على النفوس كقوله تعالى (يوم يسبحون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر • إنا نكل شئ خلقناه بقدر) وقال تعالى (يوم يدعون إلى نار جهنم دعاء • هذه النار التى كنتم بها تكذبون • أقسروا هذا أم أنتم لا تبصرون • اسلوها فاصبروا أو لا اصبروا سواء عليكم إنا نجزون ما كنتم تعملون)

﴿ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِيَّ وَبِعْدُوهُ قَالِيَسَى قَالْعَبْدُونَ • كُلُّ نَفْسٍ ذَا ذِمَّةٍ أَنْتَوْتُمْ لِيَا تَرْجِعُونَ • وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرُونَ فِيهَا مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَرْحَمُ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ صَبَرُوا وَكَفَى رِجْهَيْمَ يَقْوُكُونَ • وَكَانَ مِنْ ذَابَّةٍ لَا تَحِيلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّهَا كَرِيمٌ وَهُوَ أَسْمَعُ الْعَالَمِينَ ﴾

هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالمجرة من البلد الذى لا يقدرون فيه على إقامة الدين إلى أرض الله الواسعة حيث يمكن إقامة الدين بأن يوحدوا الله وعبدوه كما أمرهم ولهذا قال تعالى (يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون) قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا جبة بن الوليد حدثني جبير بن عمرو القرشى حدثني أبو سعد الأنصاري عن أبى جحر مولى الزبير بن العوام عن الزبير بن العوام قال: قال رسول الله ﷺ « البلاد بلاد الله والبلاد عبادته فعبادته أينما أحببت خيراً فاقم » ولهذا لما شاق على المسلمين بمكة مقامهم بها خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ليؤمنوا على دينهم هناك فوجدوا خير للزلازل هناك أصحمة النجاشى ملك الحبشة رحمه الله تعالى فكأوام وأيدم بضمه وجعلهم سبوا مائة ثم بعد ذلك هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الباقون إلى المدينة النبوية يرب للظفرة ثم قال تعالى (كل نفس ذائنة الموت ثم إنا ترجعون) أى أبنا كنتم يدرككم الموت فكنتم فى طاعة الله وحيث أمركم الله فهو خير لكم فإن الموت لا بد منه ولا يحيد عنه ثم إلى الله الرجوع والمآب فمن كان مطيعاً له جازاه أفضل الجزاء ووافاه ثم الثواب ولهذا قال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوتهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار) أى لنسكنهم منازل عالية فى الجنة تجري من تحتها الأنهار على اختلاف أصنافها من ماء وسحر وسيل وابن يصرفونها ويحرقونها حيث شاموا (خالدين فيها) أى ما كنتم فيها أبداً لا يفتون عنها حوالاً (نعم أجر المالمين) نعمت هذه الغرف أجر على أعمال المؤمنين (الذين صبروا) أى على دينهم وهاجروا إلى الله واثابوا الأعداء

وفارقوا الأهل والأقرباء ابتداء وجه الله ورجاء ما عنده وتصديق موعوده قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي أخبرنا صفوان الثوري أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن جده أبي سلام الأسود حدثني أبو معاوية الأشمري أن أبا مالك الأشمري حدثه أن رسول الله ﷺ حدثه أن في الجنة غرضا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدتها الله تعالى لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام ، وتابع الصلوة والصيام وقام بالليل والناس نيام (وعلى ربهم يتكفلون) في أحوالهم كلها في دينهم ودنياهم . ثم أخبرهم تعالى أن الرزق لا يغيث ببقعة بل رزقه تعالى عام لحلقه حيث كانوا وأين كانوا بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب فانهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار ولهذا قال تعالى (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) أي لا تطيق جمعه وتخصيه ولا تدخر شيئا لئلا (الله يرزقها وإياكم) أي الله يفيض لها رزقها على ضعفها ويسره عليها فيبث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلح حتى الثور في ترار الأرض ، والطير في الهواء والحيتان في الماء . قال تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد ابن عبد الرحمن الهروي حدثنا يزيد بن أبي هارون حدثنا الجراح بن منهال الجزري - هو أبو الطوفان - عن الزهري عن رجل عن ابن عمر قال : خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة فيحصل يلتقط من الثمر ويأكل فقال لي يا ابن عمر مالك لا تأكل ؟ قال قلت لأشتهي يا رسول الله قال (لكنني أشتيه وهذا صبح رابعة بنده لم أذق طعاما ولم أجد له ولد عثت لمعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسري وقصير ، فكيف يملك ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبون رزقي ستمهم يضيعون اليقين ؟) قال فوالله ما يرحنا ولا رمنا حتى نزلت (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) فقال رسول الله ﷺ (إن الله عز وجل لم يأمرني بكنز الدنيا ولا بإتباع الشهوات فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية فإن الحياة يد الله ، ألا وإنى لا أكنز ديناراً ولا درهما ولا أخبأ رزقا لئلا هذا حديث غريب وأبو الطوفان الجزري ضعيف وقد ذكرنا أن التراب إذا قفس عن فراخه البيض خرجوا وهم يبيض فلذا رآهم أبواهم كذلك قرا عنهم أياما حتى يسود الريش فيظل الفرخ فاتحاً فاه يتفقد أبويه فيقبض الله تعالى طيراً سفاراً كالبرغش فيفشاء فيثقب تلك الأيام حتى يسود ريشه والأبوان يتفقدانه كل وقت فسلكما رآوه أبيض الريش قرا عنه فلذا رآوه قد اسود ريشه عطفاً عليه بالحضانة والثرق ولهذا قال الشاعر

يا رازق الثعالب في عشه • وجابر العظم الكبير للبهس

وقد قال الثامني في جملة كلام له في الأوامر كقول النبي ﷺ « سافروا تصحوا وترزقوا » قال البيهقي أخبرنا إمامه أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد أخبرنا محمد بن غالب حدثني محمد بن سنان أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن زياد شيخ من أهل المدينة حدثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « سافروا تصحوا وتغنموا » قال وروناه عن ابن عباس ، وقال الإمام أحمد حدثنا نعيمة أخبرنا ابن لهيعة عن دراج عن عبد الرحمن بن حبيزة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « سافروا تربحوا ، ووصموا تصحوا واغزوا تغنموا » وقد ورد مثل حديث ابن عمر عن ابن عباس مرفوعاً وعن معاذ بن جبل موقوفاً ، وفي لفظ « سافروا مع ذوى الجبد واللبيرة » قال وروناه عن ابن عباس وقوله (وهو السميع العليم) أي السميع لأقوال عباده الطيب بحركاتهم وسكناتهم

(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ • اللَّهُ يَبْطِئُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ • وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَدْرِ مَوْنِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)

يقول تعالى مقررًا أنه لا إله إلا هو لأن الشركين الذين يسبون معه غيره مشفقون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض والنفس والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار ، وأنه الخالق الرازق لمعبده ومقدس أجسامهم ، واختلاف أرائهم . فتفاوت بينهم فمنهم القنن والقنير وهو العليم بما يصلح كلامهم ومن يستحق التقى بمن يستحق الفقر ، فذكر أنه المستقل بخلق الأشياء التفرد بتدبيرها ، فإذ كان الأمر كذلك فلم يبد غيره ؟ ولم يترك على غيره ؟ فكأنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته وكثيراً ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية . وقد كان للشركون يعرفون بذلك كما كانوا يقولون في تلييتهم: ليك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك

﴿ وَتَا هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُو وَلَيْسَ وَإِنْ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۚ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَاهُمْ بِشُرَكَائِهِمْ ۚ لَيْسَ كُفْرُومًا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۚ ﴾

يقول تعالى خبراً عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها ، وأنها لا دوام لها وغاية ما فيها هو ولعب (وإن الدار الآخرة للحَيَوَان) أى الحياة الدائمة الخلق الذى لا زوال له ولا انقضاء بل هي مستمرة أبداً الآباد ، وقوله تعالى (لو كانوا يعلمون) أى لا كانوا ما سبق على ما يغنى ثم أخبر تعالى عن الشركين أنهم عند الاضطراب يدعونه وحده لا شريك له فهنا يكون هذا منهم دائماً (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) كقوله تعالى (وإذا سمعوا الضربى في البحر ضل من دعواهم إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) الآية وقال ههنا (فلما نجاكم إلى البر إذا هم يشركون) وقد ذكر محمد بن إسحاق عن عكرمة بن أبى جهل أنه لما فزع رسول الله ﷺ مكة ذهب فلراً منها فلما ركب في البحر لينهب إلى الحبشة اضطربت بهم السفينة فقال أهلها يا قوم أخلصوا ربكم الدعاء فإنه لا ينجى ههنا إلا هو فقال عكرمة والله لئن كان لا ينجى في البحر غيره فإنه لا ينجى في البر أيضاً غيره اللهم لك على عهد لئن خرجت لأدعين فلأضمن يدي في يد محمد فلا جدته ردها راحياً فكان كذلك وقوله تعالى (ليكفروا بما آتيناكم وليتمتوا) هذه اللام يسميها كثير من أهل العربية والتفسير وعلماء الأصول لام العاقبة لأنهم لا يقصدون ذلك ولا شك أنها كذلك بالنسبة إليهم وأما بالنسبة إلى تقدير الله عليهم ذلك وتضيئه إياهم لذلك فهي لام التعليل ، وقد قدمنا تقرير ذلك في قوله (ليكون لهم عدواً وحزناً)

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّا وَاعِنًا يَتَخَفَتِ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ۚ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۚ وَالَّذِينَ جَاهَلُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۚ ﴾

يقول تعالى ممثلاً على قريش فيما أحلهم من حرمة الذى جعله للناس سواء الماكف فيه والباد ومن دخله كان آمناً فهم في أمن عظيم والأعراب حوله ينهب بعضهم بضاً ويقتل بعضهم بضاً كما قال تعالى (إلا يلاف قريش) إلى آخر السورة . وقوله تعالى (أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) أى أفكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به وحيداً معه غيره من الأصنام والأنداد (بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار) فكفروا بنبي الله ﷺ وعبدوا رسوله فكان اللاتق بهم إخلال العبادة لله وأن لا يشركوا به وتصدق الرسول وتطعمه وتوقيره فكذبوه فقاتلوه فأخرجوه من بين ظهرهم ولهذا سلمهم الله تعالى ما كان آمناً به عليهم وقتل من قتل منهم يدر ثم

له أبو سعد من أهل طرسوس حدثنا أبو إسحاق القزاري فذكره ، وعندهم قال السنيان فبلغني أنهم غلبوا بعد يوم بدر
 (حديث آخر) قال سلبان بن مهران الأعشى عن مسلم عن مسروق قال : قال عبد الله : خمس قد مضين : الله خان
 والزام والبطشة ، والتمر ، والروم ، وأخرجاه . وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا الحارثي عن داود بن أبي هند
 عن عامر - هو الشعبي - عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كانت فارس ظاهرة على الروم وكان الشركون يحبون
 أن تظهر فارس على الروم . وكان السليون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم
 فلما نزلت (الم) غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين (قالوا يا أبا بكر إن صاحبك
 يقول إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين قال : صدق قالوا هل لك أن تمارك فيما يوه على أربع قلائس إلى
 سبع سنين فبعت السبع ولم يكن شيء ففرح الشركون بذلك فشق على السليين فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال
 « ما بضع سنين عندكم ؟ » قالوا دون الشر قال « اذهب فزادهم وازدد سنين في الأجل » قال فامضت الستان حتى
 جاءت الركنان بظهور الروم على فارس ففرح المؤمنون بذلك وأنزل الله تعالى (الم) غلبت الروم - إلى قوله تعالى -
 وعد الله لا يخلف الله وعده) (حديث آخر) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عمر الوكيعي
 حدثنا مؤمن عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال لما نزلت (الم) غلبت الروم في أدنى الأرض وهم
 من بعد غلبهم سيفلون (قال الشركون لأبي بكر ألا ترى إلى ما يقوم صاحبك يزعم أن الروم تلب فارس قال صدق
 صاحب قالوا هل لك أن تخاطرك فبجل بينه وبينهم أجلا فحل الأجل قبل أن تلب الروم فارس فبلغ ذلك النبي
 صلى الله عليه وسلم وسأله ذلك وكرهه وقال لأبي بكر « مادعاك إلى هذا ؟ » قال تصديقاً لله ورسوله . قال
 « تعرض لهم وأعظم لهم الخطر واجهه إلى بضع سنين » فأتاهم أبو بكر فقال هل لكم في العود فإن العود أحمد قالوا نعم
 فلم تمض تلك السنين حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدان وبنا الرومية ، فبأه أبو بكر إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم فقال : هذا السحت ، قال « تصديق به » (حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن إسماعيل
 حدثنا إسماعيل بن أبي أويس أخبرني ابن أبي الزناد عن عروة بن الزبير عن نيار بن مكرم الأسدي قال : لما نزلت
 (الم) غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون (في بضع سنين) فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية
 قاهر بين الروم وكان للسليون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب وفي ذلك قوله تعالى (يومئذ يفرح
 المؤمنون بنصر الله بنصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) وكانت قریش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل
 كتاب ولا إيمان يمش فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر يصيح في نواحي مكة (الم) غلبت الروم في أدنى الأرض
 وهم من غلبهم سيفلون (في بضع سنين) فقال ناس من قریش لأبي بكر فذاك بيننا وبينكم زعم صاحبكم أن الروم
 ستلب فارس في بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك ؟ قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان ، فآثرني أبو بكر والشركون
 وتواضعوا للرهان وقالوا لأبي بكر كم نجعل البض ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينكم وسطاً تنتهي إليه قال
 تسعوا بينهم ست سنين قال فبعت ست السنين قبل أن يظهر وأخذوا الشركون رهن أبي بكر فلما دخلت السنة
 السابعة ظهرت الروم على فارس قال فصاب السليمنون على أبي بكر سمعته ست سنين قال لأن الله يقول في بضع سنين
 قال فأسلم عند ذلك ناس كثير . هكذا ساقه الترمذي ثم قال هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن
 ابن أبي الزناد ، وقد روى نحو هذا مرسل عن جماعة من التابعين مثل عكرمة والشعبي ومجاهد وتادئو السدي والزهرى
 وغيرهم ومن أغرب هذه الساقات ما رواه الإمام سيدي بن داود في تفسيره حيث قاله حديث حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن
 عكرمة قال : كان في فارس امرأة لا تلد إلا الملوكة الأبطال فدهاها كسرى فقال إنى أريد أن أبث إلى الروم جيشاً
 وأستعمل عليه رجلاً من بنيك فأعيرى على أيهم أستعمل ؟ ! فقالت هذا فلان وهو أروغ من ثلث وأحمر من صقر
 وهذا فرخان وهو أفد من سناء ، وهذا شهريراز وهو أحمر من كذا حتى أولادها الثلاثة لاستعمل أيهم شئت ،
 قال فاني استعملت الخليل لاستعمل شهريراز فسار إلى الروم بأهل فارس فظهر عليهم فقتلهم وتوخر مداتهم وقطع

زيتونهم قال أبو بكر بن عبد الله فحدثني هذا الحديث عطاء الحراساني فقال أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت : لا ، قال أما إنك
 لو رأيته لأريت للدائن التي خربت والزيوتن الذي قطع فأثبت الشام بعد ذلك فرأيت . قال عطاء الحراساني حدثني
 يحيى بن يعمر أن قيسر بث رجلا يدعى قطعة يجيش من الروم وبث كسرى شهر رياز فالتقى بين أزدعات وبصري
 وهي أدنى الشام إليكم فلقيت فارس الروم فلقيتهم فارس ففرحت بذلك كنفار قريش وكرهه للسلمون . قال
 عكرمة : ولقي للسكركون أصحاب النبي ﷺ وقالوا إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر
 إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله تعالى (ألم غلبت
 الروم في أدنى الأرض - إلى قوله - ينصر من يشاء) فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال : أفرحتم بظهور
 إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الله الروم على فارس ، أخبرت بذلك نيناسملى الله
 عليه وسلم فقام إليه أبي بن خلف فقال كذبت يا أبا فضيل ، فقال أبو بكر : أنت أكذب بأعدائك فقال أناحك عشر
 قلائص مني وعشر قلائص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين ، ثم
 جاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فأخبره فقال ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزادته في الخطر وماده
 في الأجل » فخرج أبو بكر فلقى أيا قال لملك ندمت ؟ فقال لا ، تمال أزيدك في الخطر وأمادك في الأجل فاجلسها
 مائة قلووس إلى تسع سنين قال قد فعلت فظهرت الروم على فارس قبل ذلك فظلمهم للسلمون . قال عكرمة لما أن ظهرت
 فارس على الروم جلس فرخان يشرب وهو أخو شهر رياز فقال لأصحابه قد رأيت كائن جالس على سرير كسرى
 فبليت كسرى فكتب كسرى إلى شهر رياز إذا أتاك كتابي فابث إلى برأس فرخان فكتب إليه شهر رياز أيها
 الملك إنك لن تجد مثل فرخان له نكايه وصوت في العدو فلا تفضل ، فكتب إليه إن في رجال فارس خلفاً منه فقبل
 إلى برأسه . فراجعه فغضب كسرى فلم يجبه وبث يريد إلى أهل فارس إن قد نزعتم عنكم شهر رياز واستعملت
 عليكم فرخان ثم رفع إلى البريد صحيفة لطيفة قصيرة فقال إذا ولي فرخان الملك واتاه له أخوه فأعطه هذه ، فلما قرأ
 شهر رياز الكتاب قال مما وطاعة ونزل من سريره وجلس عليه فرخان ورفع إليه الصحيفة اللطيفة فلما قرأها
 قال اتوني بشهر رياز وقدمه ليضرب عنقه فقال شهر رياز لا تعجل حتى أكتب وصيقي ، قال نعم فدعا بالسفط
 فأعطاه الصخاف فقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت أردت أن تحتلي بكتاب واحد فرد الملك إلى
 أخيه شهر رياز وكتب شهر رياز إلى قيسر ملك الروم إن لي إليك حاجة لا تحملها البرد ولا تحملها الصحف
 فالتقى ولا تلقى إلا في خمسين روميا فإني لا أقااك إلا في خمسين فارسيا . فأقبل قيسر في خمسين ألف رومي وجعل
 يضع الميون بين يديه في الطريق وخاف أن يكون قد مكر به حتى أتاه عيونه بأنه ليس معه إلا خمسون رجلا ،
 ثم بسط لها والتقى في قبة ديباج ضريت لها مع كل واحد منهما سكين فدعيا ترجمتا بينهما فقال شهر رياز إن الذين
 خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وإن كسرى حسدنا وأراد أن يقتل أخي فأثبت ثم أمر أخى أن يقتلني
 فقد خلطنا جميعا فنحن قاتله ملك . قال قد أسبغت ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين فإذا جاوزا اثنين نشأ
 قال أجل قتلنا التريمان جميعا بسكينهما فأهلك الله كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم الحديبية
 ففرح والمسلمون معه . فهذا سياق غريب وبناء عجيب . ولنتكلم على كلمات هذه الآيات الكريمة بقوله تعالى
 (ألم غلبت الروم) قد تقدم الكلام على الحروف للقطعة في أوائل السور في أول سورة البقرة ، وأما الروم فهم
 من سلالة العيص بن اسحق بن إبراهيم وهم أبناء عم بني إسرائيل ويقال لهم بنو الأصفر وكانوا على دين اليونان ، واليونان
 من سلالة يافث بن نوح أبناء عم الترك وكانوا يعبدون الكواكب السائرة السبعة ويقال لها للتحيرة ويصلون إلى
 القطب الشمالي وهم الذين أسسوا دمشق وبناوها وفيه محارب إلى جهة الشمال فكان الروم على دينهم إلى بسد
 ميث المسيح بنحو من ثمانية سنة وكان من ملك منهم الشام مع الجزيرة يقال له قيسر فكان أول من دخل في
 دين النصارى من ملوك الروم قسطنطين بن قسطنس وأمه مريم الميلاينة التندقانية من أرض حران كانت قد

تصرت قبله فدعته إلى دينها وكان قبل ذلك فيلسوفا فتابعها يقال تهيء واجتمعت به النصارى وتناظروا في زمانه مع عبد الله بن أريوس واختلوا اختلافا كثيرا منتشرا مشتتا لا ينضبط إلا أنه اخفق من جماعتهم ثلثائة وثمانيائة عشر أسقفاً نوضوا القسطنطين القبيدة وهي التي يسمونها الأمانة الكبيرة وإنما هي الحياة الحقةرة ، ووضوا له القوانين يعنون كتب الأحكام من تحرير وتحليل وغير ذلك مما يحتاجون إليه ، وغيروا دين المسيح عليه السلام ، وزادوا فيه وقصصوا منه فصولا إلى الشرق واعتاضوا عن السبت بالأحد وعبدوا الصليب وأحلوا الخنزير ، وأخذوا أعيادا أحدثوها كعيد الصليب والقداس والنفاس وغير ذلك من البواعيث والشمايين ، وجعلوا له الباب وهو كبيرهم ثم البشارة ثم المطارنة ثم الأساقفة والقساوسة ثم الكهنة ، وابتدعوا الرهبانية ، وبني لهم الملك الكنائس والمابد وأسر المدينة للنسوبة إليه وهي القسطنطينية يقال إنه بنى في أيامه اثني عشر ألف كنيسة ، وبني بيت لهم ثلاث عماريت وبنت أمه القمامة ، وهؤلاءهم للملكية يعنون الذين هم على دين الملك ، ثم حدثت بعدهم العقوبة أتباع بقوب الأسكاف ثم النسطورية أصحاب نسطورا وهم فرقي وطوائف كثيرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنهم افترقوا على اثنين وسبعين فرقة » والفرس أنهم استمروا على النصرانية كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده حتى كان آخرهم هرقل ، وكان من عقلاء الرجال ومن أحزم الملوك وأدهاهم وأبدهم غورا وأقصاهم رأيا فتملك عليهم في رئاسة عظيمة وأبهة كثيرة فتأواه كسرى ملك الفرس وملك البلاد كالمرقي وخراسان والري وجميع بلاد السج وهو سابور ذوالاكتاف ، وكانت لمملكته أوسع من مملكة قيصر وله رئاسة السج وحمالة الفرس وكانوا بجوسا يبدون النار ، فقدم عن عكرمة أنه قال بث إليه نوابه وجيشه فقاتلوه ، وللشهور أن كسرى غزاه بنفسه في بلاده فقهروه وكسروه وقصره حتى لم يبق معه سوى مدينة قسطنطينية ، فحاصره بها مدت طويلة حتى ضاقت عليه وكانت النصارى تنظمه تعظيما زائدا ، ولم يقدر كسرى على فتح البلد ولا أمكنه ذلك لحصانها لأن نصفها من ناحية البر ونصفها الآخر من ناحية البحر فكانت تأتهم الليرة واللدن من هناك ، فلما طال الأمر دبر قيصر مكيذة ورأى في نفسه خديعة فطلب من كسرى أن يقطع من بلاده على مال يصالحه عليه ويشتريه عليه ماشاء فأجاباه إلى ذلك وطلب منه أموالا عظيمة لا يقدر عليها أحد من ملوك الدنيا من ذهب وجواهر وأقشة وجوار وخدام وأصناف كثيرة ، فطاوعوه قيصر وأومئوا أن عنده جميع ما طلب واستقل عقله لما طلب منه ما طلب ولو اجتمع هو وإياه لميجزت قدرتهما من جمع عشرة ، وسأل كسرى أن يتمكن من الخروج إلى بلاد الشام وأقالم مملكته ليسعى في تحصيل ذلك من ذخائره وحواصله ودفائنه فأطلق سراجه ففازهم قيصر على الخروج من مدينة قسطنطينية جمع أهل ملته وقال : إني خارج في أمر قد أبرمته في جند قد عينته من جيشي فإن رجعت إليكم قبل الحول فأنا ملككم وإن لم أرجع إليكم قبلها فأنتم بالحيار إن شئتم استمررتي في يدي وإن شئتم ولستم عليكم غيري فأجابوه بأنك ملكنا مادمت حيا ولو غيبت شجرة أعوام ، فلما خرج من القسطنطينية خرج جريدة في جيش متوسط هذا وكسرى مخيم على القسطنطينية ينتظره ليرجع فركب قيصر من فوره وسار مسرعا حتى انتهى إلى بلاد فارس فمات في بلادهم قتلا راجعا ومن بها من القاتلة أولا فأولا ولم يزل يقتل حتى انتهى إلى اللدان وهي كسرى مملكة كسرى يقتل من بها وأخذ جميع حواصله وأمواله وأسرى نساءه وحرى وعملق رأس ولده وركبه في حمار ويث معه من الأساورة من قومه في غاية الهوان والذل وكتب إلى كسرى يقول هذا ما طلبت ففخذه فلما بلغ ذلك كسرى أشده من الألم مالا يحصى إلا الله تعالى واشتد حنقه على البلد فجد في حصارها بكل يمكن فلم يقدر على ذلك ، فلما عجز ركب ليأخذ عليه الطريق من مخاضة جيحون التي لاسيل قيصر إلى القسطنطينية إلانها ، فلما علم قيصر بذلك احتال بحيلة عظيمة لم يسبق إليها وهو أنه أرسد جنده وحواصله التي معه عند قم الحاضرة وركب في بعض الجيش وأمر بأحمال من الثبن والبر والروث فحملت معه وسار إلى قريب من يوم في الساء مصعبا ثم أمر ببقاء تلك الأحمال في الثبر فلما مرت بكسرى وجنده ظن أنهم قد خاضوا من هناك فركبوا في طلبهم فشتت الحاضرة عن الفرس وقدم قيصر فأمرهم بالهوش والحوش فحاضوا وأسرعوا السير فتأواه كسرى وجنوده ودخلوا القسطنطينية فكان ذلك يوما مشهودا

عند النصارى ويقى كسرى وجيوشه حائرين لا يدرون ماذا يصنعون لم يحصلوا على بلاد قيصر وبلادهم قد خربتها الروم
وأخذوا حواصلهم وسبوا ذراريهم ونساءهم فكان هنا من غلب الروم لقارس وكان ذلك بعد تسع سنين من غلب
فارس للروم ، وكانت الوصية المكتوبة بين فارس والروم حين غلبت الروم بين أنذرعت وبصري على مذكره ابن عباس
وعكرمة وغيرها وهى طرف بلاد الشام بما إلى بلاد الحجاز ، وقال مجاهد كان ذلك فى الجزيرة وهى أقرب بلاد الروم
من فارس فأنه أعلم . ثم كان غلب الروم لقارس بعد تسع سنين وهى تسع فأن البضع فى كلام العرب مابين الثلاث إلى
التسع ؛ وكذلك جاء فى الحديث الذى رواه الترمذى وابن جرير وغيرهما من حديث عبد الله بن عبد الرحمن الجعفى
عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر فى مناجاة (الم * غلبت الروم)
الآية « ألا احتضت يا أبا بكر فأن البضع مابين ثلاث إلى تسع ؟ » ثم قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .
وروى ابن جرير عن عبد الله بن عمرو أنه قال ذلك والله أعلم . وقوله تعالى (لله الأمر من قبل ومن بعد) أى من قبل
ذلك ومن بعده فبنى على الضم لما قطع للشاف وهو قوله قبل عن الاضافة ونويت (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) أى
لروم أصحاب قيصر ملك الشام على فارس أصحاب كسرى ، وهم الجيوش وكانت نصرة الروم على فارس يوم وقعة بدر
فى قول طائفة كثيرة من العلماء كابن عباس والثورى والسدى وغيرهم وقد ورد فى الحديث الذى رواه الترمذى وابن جرير
وابن أبى حاتم واليزار من حديث الأعمش عن عطية عن أنس سید قال : لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب
ذلك المؤمنين ففرحوا به وأنزل الله (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) وقال
الآخرين بل كان نصر الروم على فارس عام الحديبية . قاله عكرمة والزهري وقادى وغير واحد ووجه بعضهم هذا القول
بأن قيصر كان قد نذر لئن أنظره الله يكسرى ليعيش من حصص إلى إيليا وهو بيت المقدس شكراً لله تعالى ففعل ، فلما
بلغ بيت المقدس لم يخرج منه حتى وافاه كتاب رسول الله ﷺ الذى يشع مع دحية بن خليفة فأعطاه دحية عظيم بصري
فدفعه عظيم بصري إلى قيصر . فلما وصل اليه سأل من بالشام من عرب الحجاز ، فأخبره له أبوسفان صخر بن حرب
الأموى فى جماعة من كبار قريش وكانوا بزة فجاء بهم اليه فجلسوا بين يديه . فقال أياكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى
يزعم أنه نبي ؟ فقال أبوسفان أنا فقال لأصحابه وأجلسهم خلفه إلى سائل هذا من هذا الرجل فأن كذب فكذبوه ،
فقال أبوسفان فوالله لولا أن تأثروا على الكذب لكذبت فسأله هرقل عن نسبه وصفته فكان فباسأله أن قال : فهل
يصدق ؟ قال قلت لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو صانع فيها يمين بذلك الهدنة التى كانت قد وقعت بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكفار قريش عام الحديبية على وضع الحرب بينهم عشر سنين فلم يستدلوا بهذا على أن نصر الروم على فارس
كان عام الحديبية لأن قيصر إنما وفى بنذره بعد الحديبية والله أعلم . ولأصحاب القول الأول أن يجيبوا عن هذا
بأن بلادهم كانت قد خربت وتشعبت لما تمكن من وفاء نذرهم حتى أصلح ما بينهم له إصلاحه وتفقد بلادهم ثم بعد أربع
سنين من نصرتهم وفى بنذره والله أعلم ؛ والأمر فى هذا سهل قريب إلا أنه لما انتصرت فارس على الروم ساء ذلك للمؤمنين ،
فلما انتصرت الروم على فارس فرح المؤمنون بذلك لأن الروم أهل كتاب فى الجلسة فهم أقرب إلى المؤمنين من
الجيوش كما قال تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا
الذين قالوا إنا نصارى - إلى قوله - ربنا أنما فاكنتابع الشاهدين) . وقال تعالى ههنا (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله
ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثني أسيد الكلابي
قال سمعت العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه قال رأيت غلبة فارس الروم ثم رأيت غلبة الروم فارس ، ثم رأيت غلبة
للمسلمين فارس والروم كل ذلك فى خمس عشرة سنة

وقوله تعالى (وهو العزيز) أى فى انتصاره وانتقامه من أعدائه (الرحيم) بعباده المؤمنين وقوله تعالى (وعد الله
لا يخلف الله وعده) أى هذا الذى أخبرناك به يا محمد من أننا سننصر الروم على فارس وعد من الله حق وخبر صدق
لا يخلف ولا بد من كونه ووقوعه لأن الله قد جرت سنته أن ينصر أقرب الطائفتين للتقوى إلى الحق ويجعل لها

الحاقية (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى يحكى الله فى كونه وأفعاله الحكمة الجارية على وفق العدل . وقوله تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) أى أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها فهم حذائق أذكاء فى تحصيلها ووجوه مكاسبها وهم غافلون فى أمور الدين وما ينفعهم فى الدار الآخرة كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة . قال الحسن البصرى والله ليبلغ من أحدهم بذناه أنه يقبل الدرهم على ظهره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يسأل . وقال ابن عباس فى قوله تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) يعنى السكفار يعرفون عمران الدنيا وهم فى أمر الدين جهال

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ • أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَحَرُّوها أَكْثَرَ مِمَّا عَزَّوَجَّاجَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ • ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوَى السَّوْىَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾

يقول تعالى منبأ على التفكر فى غلوائه الدالة على وجوده وإشراقه بخلقها وأنه لا إله غيره ولا رب سواه قتال (أولم يتفكروا فى أنفسهم) يعنى به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوى والسفلى وما بينهما من الخواصات للتوعدة والأجناس المختلفة فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا بطلا بل بالحق وأنها موجهة إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة ولهذا قال تعالى (وإن كثيرا من الناس بقاء ربهم لكافرون) ثم نهىهم على صدق رسله فيما جاءوا به عنه بما يديهم به من اللسجات والدلائل الواضحات من إهلاك من كفر بهم ونجات من صدقهم قتال تعالى (أولم يسيرا فى الأرض) أى بأفهامهم وعقولهم ونظيرهم وسماع أخبار للآخين ولهذا قال (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة) أى كانت الأمم للآخية والقرون السالفة أشد منكم قوة أيها البعوث إليهم محمد ﷺ وأكثر أموالا وأولادا ، وما أوتيتم معشار ما أوتوا ومكنوا فى الدنيا تمكينا لم تبلغوا إليه وعصروا فيها أعمالا طولا فعمروها أكثر منكم . واستفلوها أكثر من استلالكم ، ومع هذا فسا جاتهم رسلم بالبينات وفرحوا بما أوتوا أخضعهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ، ولا حالت أموالهم وأولادهم بينهم وبين بأس الله ، ولا دنوا عنهم مقال ذرة وما كان الله ليظلمهم فيما أحل لهم من العذاب والفسك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أى وإعسا أوتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات الله واستهزؤا بها وما ذاك إلا بسبب ذنوبهم السالفة وتكذيبهم للشتم ولهذا قال تعالى (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوى أن كذبوا بآيات وكانوا بها يستهزئون) كما قال تعالى (وهب أنشدتهم وبأسرهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) وقال تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقال تعالى (فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) وعلى هذا تكون السوى منصوبة مفعولا لأساءوا وقيل بل اللغى فى ذلك (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوى) أى كانت السوى عاقبتهم لأنهم كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون . فلى هذا تكون السوى منصوبة خير كان ، هذا توجيه ابن جرير وقوله عن ابن عباس وقادة ، ورواه ابن أبى حاتم عنهما عن الضحاك بن مزاحم وهو الظاهر والله أعلم لقوله (وكانوا بها يستهزئون)

﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا سَاعَةَ يُبْلِسُ السَّجِرَ مَوْحُونَ هَلْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ

شُرَّكَائِهِمْ شُفَعُوا وَكَانُوا بِشُرَّكَائِهِمْ كَافِرِينَ • وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ • قَالُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قَهَمَ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ • وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَفَقَّاهِ الْآخِرَةِ قَالُوا لَيْتَكَ فِي الْمَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١﴾

يقول تعالى (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أى كما هو قادر على بداءه فهو قادر على إعادته (ثم إليه ترجعون) أى يوم القيامه فيجازى كل عامل بماله . ثم قال (ويوم تقوم الساعة يسلس المجرمون) قال ابن عباس : يأس المجرمون ، وقال مجاهد ينتشع المجرمون وقد راية يكتب المجرمون (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) أى ما شفعت فيهم الآلهة التى كانوا يعبدونها من دون الله تعالى وكفروا بهم وخانواهم ما كانوا إليهم . ثم قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ ينفقون) قال قتادة هى والله الفرقة التى لا اجتماع بعدها ، يعنى أنه إذا رفع هذا إلى عليين وخضع هذا إلى أسفل سافلين فذلك آخر العهد بينهما ولهذا قال تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) قال مجاهد وقتادة : ينعمون وقال يحيى بن أبى كثير يعنى ميعاد النماء . والحبرة أقم من هذا كله قال السجاس : فالحمد لله الذى أعطى الحبر مولى الحق إن اللوى شكر

﴿ فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ • وَلَهُ الْمُلْكُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِشَاءً وَحِينَ يُطْفَرُونَ • يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْبِئُ الْأَرْضَ بِمُدَّتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾

هذا تسبيح منه تعالى لنفسه للقدسة وإرشاد لعباده إلى تسبيحه وتحميده في هذه الأوقات الثمانية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه عند المساء وهو إقبال الليل بظلامه وعند الصباح وهو إسفار النهار بضيائه . ثم اعترض بحمده منسبة للتسبيح وهو التحميد فقال تعالى (وله الحمد في السموات والأرض) أى هو الممدود على ما خلق في السموات والأرض ثم قال تعالى (وعشيا وحين تظهرون) فالمساء هو شدة الظلام والظهور قوة الضياء ، فسبحان خالق هذا وهذا فائق الاصباح وجاعل الليل سكنا كما قال تعالى (والنهار إذا جلاها • والليل إذا يشاعها) وقال تعالى (والليل إذا يشئ • والنهار إذا تجل) وقال تعالى (والضحى والليل إذا سجى) والآيات في هذا كثيرة وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زياد بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال « ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذى وفى لأنه كان يقول كلا أصبح وكلا أمسى سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون » . وقال الطبراني حدثنا مطلب بن شعب الأزدي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد عن سيدي بن بشر عن محمد بن عبد الرحمن بن أبيه عن رسول الله ﷺ عن عبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ قال « من قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون الآية بكاملها أدرك ما فاتته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاتته في ليلته » إسناده جيد^(١) ورواه أبو داود في سننه وقوله تعالى (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الأشياء المتعاقبة ، وهذه الآيات للتأنيب الكريمة كلها من هذا الخط فانه يذكر فيها خلقه الأشياء وأمدادها ليدل خلقه على كمال قدرته فمن ذلك إخراج النبات من الحب والحب من النبات ، والبيض من الدجاج والدجاج من البيض ، والإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان ، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقوله تعالى (ويحيى الأرض بعد موتها) كقوله تعالى (وآية لهم الأرض التى أحييناه وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون - إلى قوله - وفجرنا فيها من العيون) وقال تعالى (وعمرى الأرض هامة فلما أنزلنا عليها الماء اهتزت

وربت وأنت من كل زوج بهيج - إلى قوله - وأن الله يمت من في القبور (وقال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح
بشرايين يدي رحمة حتى إذا أقبلت سحباً تهلا - إلى قوله - لعلكم تذكرون) ولهذا قال ههنا (وكلنكم تخرجون)

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى (ومن آياته) الله على عظمتها وكأله قدرة أنه خلق أباًكم آدم من تراب (ثم إذا أنتم كفرتم تنكرون)
فأصلكم من تراب ثم من ماء نهيتم ثم تصور فكان علقه ثم مضى ثم صار عظماً شكله على شكل الإنسان
ثم كسا الله تلك العظام لحماً ، ثم نفخ فيه الروح فلذا هو سميع عليم ، ثم خرج من بطن أمه صغيراً ضعيف القوى
والحركة ، ثم كلما طال عمره تكملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار بيني للدائن والمحصون ويسافر
في أقطار الأنامل ويركب متن البحور ويدور أقطار الأرض ويكتسب ويجمع الأموال وله فكرة وغور ودهاء
ومكر ورأى وعلم واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه ، فسبحان من أقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم في
نون المايش والكاسب وفاوت بينهم في الملوام والفكر ، والحسن والتبجح ، والتمني والفكر ، والسعادة والشقاوة ، ولهذا
قال تعالى (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنكرون) . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد
وغندر قال حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله خلق آدم من
قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأبيض والأسود وبين ذلك ، والحيث
والطيب والسهل والحزن وبين ذلك » ورواه أبو داود والترمذي من طرق عن عوف الأعرابي به وقال الترمذي
هذا حديث حسن صحيح . وقوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) أي خلق لكم من جنسكم
إنما تكون لكم أزواجا لتسكنوا إليها) كما قال تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها أزواجا لم يكن
إليها) يعني بذلك حواء خلقها الله من آدم من ضله الأضراس . ولو أنه تعالى جعل بنو آدم كلهم ذكورا وجعل
إناتهم من جنس آخر من غير إما من جان أو حيوان لا حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج بل كانت تحصل
ثورة لو كانت الأزواج من غير الجنس ، ثم من علم رحمة يتي آدم أن جعل أزواجه من جنسهم وجعل بينهم وبينهم
مودة وهي المحبة ورحمة وهي الرأفة فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبتها إما لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد واحتاجة
إليه في الاتفاق أو لبلافة بينهما وغير ذلك (إن في ذلك لآيات لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقَ السَّيَآتِ وَالْأَنْبِيَاءِ * وَمِنْ آيَاتِهِ تَبَارُكُ الْقَوْمِ يَسْمُونَ ﴾

يقول تعالى (ومن آياته) الله على قدرته العظيمة (خلق السموات والأرض) أي خلق السموات في ارتفاعها
واتساعها وشفوف أجرامها وزهراتها كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات ، وخلق الأرض في انغصافها وكنائنها
وما فيها من جبال وأودية وبحار وقفار وحيوان وأشجار . وقوله تعالى (واختلاف الأنبياء) يعني الخلق
فهؤلاء بخلق العرب وهؤلاء بخلق لمة أخرى وهؤلاء كرج وهؤلاء بروم وهؤلاء فرج وهؤلاء بربر وهؤلاء تكروم وهؤلاء
حبشة وهؤلاء هند وهؤلاء عجم وهؤلاء صفال وهؤلاء خزر وهؤلاء أرمن وهؤلاء أكراذ إلى غير ذلك مما لا يحصى
إلا الله تعالى من اختلاف لغات بني آدم واختلاف ألوانهم وهي حلائم فجميع أهل الأرض بل أهل الدنيا منذ خلق
الله آدم إلى قيام الساعة كل له عتبان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدان وليس يشبه واحد منهم الآخر بل لا بد أن

بإفراقة بشيء من السمات أو الهيئة أو السلام ظاهرا كان أو خفيا يظهر عند التأمل كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لآنيته أخرى ، ولو توافق الجماعة في صفة من جلال أو قبح لابد من تشارك بين كل واحد منهم وبين الآخر (إن في ذلك آيات للعالمين) ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتأقكم من فضله (أى ومن الآيات ما جعل الله من صفة النوم في الليل ، والنهار فيه تحصل الراحة وسكون الحركة وذهاب الكلال والصب وجعل لكم الالانتشار والسعي في الأسباب والأفسار في النهار وهذا ضد النوم) (إن في ذلك آيات لقوم يسمعون) (أى يؤمنون ، قال الطبيب أن حدثنا حاج بن عمران السدوسي حدثنا عمرو بن الحصين القيلي حدثنا محمد بن عبد الله بن عرفة حدثنا ثور بن زيد عن خالد بن معدان سمعت عبد الملك بن عمرو أن يحدث عن أبيه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: (أصابني أرق من الليل فسكنت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قل اللهم غارت النجوم وهدأت الميود وأنت حي قيوم يا حي يا قيوم أتم عيني وأهدي ليلى » فقلتيا فذهب عني -

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرْسِلُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَدْرًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ • وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكَ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَعْرِجُونَ﴾

يقول تعالى (ومن آياته) الفاعل على عظمته أنه (يريك البرق خوفاً وطمعاً) أى تارة تخافون مما يحدث بعمده من أمطار مزعجة وصواعق مثقلة وتارة ترجون وميضه وما يأتى بصد من للطر المحتاج إليه ، ولهذا قال تعالى (وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها) أى بعد ما كانت هامدة لانبثاقها ولا شيء ، فلما جاء الماء اهتزت وربت وأنتت من كل زوج بهيج) وفى ذلك عبرة ودلالة واضحة على اللاد وقيام الساعة ولهذا قال (إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) ثم قال تعالى (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) كقوله تعالى (وعسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه) وقوله (إن الله يسك السماوات والأرض أن تزولا) وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا اجتهد فى الجنب قال . والذى تقوم السماء والأرض بأمره أى هى قائمة ثابتة بأمره لها وتسخره لإلهائهم إذا كان يوم القيامة . بدلت الأرض غير الأرض والسماوات وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم ولهذا قال تعالى (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) أى من الأرض كما قال تعالى (يوم يدعوك فتسجيئون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً) وقال تعالى (فلنأسيه جزيرة واحدة فلنأسيه بالهامة) وقال تعالى (إن كانت إلا صيحة واحدة فلنأسيه جميع فندنا حضرون)

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ شَيْءٍ قَانِتُونَ﴾ * وَمَا الَّذِي يَبْدُوهُ أَنَّهُ يَخْلُقُ ثُمَّ يَرِيدُهُ * وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ
وَلَهُ السَّلْطَانُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ * وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ ﴿١٠﴾

يقول تعالى (وله من في السموات والأرض) أي ملكه وعييده (كل له قاتلون) أي خاضعون خاضعون طوعا وكرها . وفي حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعا « كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة » وقوله (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يعني أيسر عليه ، وقال مجاهد الإعادة أهون عليه من البداية والبداءة عليه هينة . وكذا قال عكرمة وغيره . وروى البخاري حدثنا أبو الهيثم أخبرنا شبيب أخبرنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمتني ولم يكن له ذلك ، فأما تحكيزه إياي بقوله لن يبدني كما

بدأنى وليس أول الخلق بأهون على من إعادته ، وأما شتمه لى قومه اتخذ الله ولدا ، وأنا الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " انتردياخرجه البخارى كما انترديروا به أيضا من حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة وقدرواه الإمام أحمد منفردا به عن حسن بن موسى عن ابن لمجة حدثنا أبو يوسف سليم بن جبير عن أبى هريرة عن النبی ﷺ بنحوه أو مثله . وقال آخرون كلاهما بالنسبة إلى القدرة على السواء وقال الموفى عن ابن عباس كل عليه هين وكذا قاله الرايع بن خثيم ومال إليه ابن جرير وذكر عليه شواهد كثيرة قال ويعتدل أن يعود الضمير في قوله (وهو أهون عليه) إلى الخلق أى وهو أهون على الخلق . وقوله (وله للثل الأعلى في السموات والأرض) قال طي بن أبى طلحة عن ابن عباس كقوله تعالى (ليس كنهه شيء) وقال قتادة مثله أنه إله إلهاهو ولا رب غيره ، وقال مثل هذا ابن جرير . وقد أشهد بعض المفسرين عند ذكر هذه الآية لبعض أهل المارف :

إذا سكن التدبر على صفاء
ويرى فيه السواء بلا امتراء
كذلك الشمس تبدو والنجوم
كذلك قلوب أرباب التبلى
يرى في صفوها الله العظمى

وهو العزيز الذى لا يبال ولا يمانع بل قد غلب كل شيء وقهر كل شيء بقدرة وسلطانه الحكيم في أقواله وأفعاله شرعا وقدره وعن مالك في تفسيره للروى عنه عن محمد بن للشكدر في قوله تعالى (وله للثل الأعلى) قال لإله إله الله

(عَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَهْسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْدِيكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقْكُمْ فَأَنُتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَلْ أَتَيْتُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَمْوَالَهُمْ بِبِئَرٍ لِّمَن يَهْدِي اللَّهُ مَنَاصِلَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ)

هذا مثل ضرب به الله تعالى للمشركين به العابدين معه غيره الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءهم من الأصنام والأنداد عبيد لمالك كما كانوا يقولون : ليك لاشريك لك الاشريك هو لك ، تحلك وما ملك . فقال تعالى (ضرب لكم مثلا من أفسكم) أى تصبهونه وتفهمونه من أفسكم (هل لكم مما ملكت أيانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء) أى يرى أحدكم أن يكون عبده شريكاه فيماله فهو وهو فيه على السواء (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أى تخافون أن يقاسموكم الأموال . قال أبو جابر إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك وليس له ذاك . كذلك الله لاشريك له . وللمنى أن أحدكم يأف من ذلك فكيف يعلون في الأنداد من خلقه وهذا كقوله تعالى (ويصلون الله ما يكرهون) أى من البنات حيث جعلوا للامكة الله من عباد الرحمن إناءا وجعلوها بنات الله وقد كان أحدهم إذا بشر بالأشئ ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشره أيمسكه على هون أيمسسه في التراب فهم يأفون من البنات وجعلوا للامكة بنات الله نسبوا إليه ما لا يرضونه لأفسهم فهذا أغفل الكفر وهكذا في هذا اللتام جعلوا له شركاء من عبيده وخلق واحد يأف غاية الآباء ويأف غاية الأمهات من ذلك أن يكون عبده شريكاه في ماله بساويه فيه ولو شاء قاسمه عليه (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)

قال الطبراني حدثنا محمود بن القزح الأسباني حدثنا إسحاق بن عمرو البجلي حدثنا حماد عن شعيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان يلي أهل الشرك ليك اللهم ليك لاشريك لك الاشريك هو لك ، تحلك وما ملك . فأنزل الله تعالى (هل لكم مما ملكت أيانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) ولما كان التنبيه بمثل للثل على براءته تعالى ونزاهته عن ذلك بطريق الأولى والأخرى . قال تعالى (كذلك تفصل الآيات لقوم يعقلون) ثم قال تعالى مبينا أن الشركين إنما عبدوا غيره سفها من أفسهم وجهلا (بل اتبع الدين ظلوا) أى الشركون (أهواءهم) أى في عبادتهم الأنداد بغير علم (فمن يهدي من أفل الله) أى فلا أحد يهديهم إذا

كتب الله ضلالهم (وما لهم من ناصرين) أى ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير ولا عيذ لهم عنه لأنه ماضى كان وما لم يشأ لم يكن

﴿ فَأَمَّا جَهَنَّمَ لَدِّينَ حَتِّفَاتٍ فَفُطِرَتْ إِلَهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ هَلَيْبًا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مُبْدِينَ إِلَيْهِ وَأَقْوَمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الشَّرِّ كَافِينَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا كُلٌّ فِي حِزْبٍ مِمَّا لَدَيْنَهُمْ فَرَحُونَ ﴾

يقول تعالى : فسدد وجهك واستمر على الدين الذى شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذى هداك الله لها وكلها لك غاية الكمال وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التى فطر الله الخلق عليها فانه تعالى فطر خلقه لمعرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره كما تقدم عند قوله تعالى (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى) وفى الحديث « إني خلقت عبادى حنفاء فاتجالتهم الشياطين عن دينهم » وسنذكر فى الأحاديث أن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية والنصرانية والمجوسية . وقوله تعالى (لا تبديل لخلق الله) قال بعضهم معناه لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التى فطرهم الله عليها فيكون خبرا بمعنى الطلب كقوله تعالى (ومن دخله كان آتيا) وهو معنى حسن صحيح ، وقال آخرون هو خبر على بابه ومعناه أنه تعالى سارى بين خلقه كلمهم فى الفطرة على الجبلية للتسمية لا يولد أحد إلا على ذلك ولا تفاوت بين الناس فى ذلك . ولهذا قال ابن عباس وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وتاجدة والضحاك وابن زيد فى قوله (لا تبديل لخلق الله) أي دين الله ، وقال البخارى قوله (لا تبديل لخلق الله) دين الله ، خلق الأولين دين الأولين ، الدين والفطرة الإسلام . حدثنا عبيد الله أخبرنا عن أبيه عن يونس عن الزهرى أخبرنى أبوسلمة بن عبد الرحمن أن أباه هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » ثم يقول (فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) ورواه مسلم من حديث عبد الله بن وهب عن يونس بن يزيد الأيللى عن الزهرى به ، وأخرجه أيضا من حديث عبد الرزاق عن معمر بن عمار عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ وفى معنى هذا الحديث قد وردت أحاديث عن جماعة من الصحابة . فهم الأوسد بن سريع التميمي . قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا يونس عن الحسن عن الأسود ابن سريع قال : أتيت رسول الله ﷺ وغزوت معه فأصبحت نظفرا فقاتل الناس يومئذ حتى قتلوا الولدان فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما بال أقوام جاوزه المقتل اليوم حتى قتلوا الذرية ؟ » فقال رجل يا رسول الله إمامهم أبناء للشركين فقال لا إنما خياركم أبناء للشركين - ثم قال - لا تقتلوا ذرية لا تقتلوا ذرية - وقال - كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها فأبواها يهودانها أو ينصرانها » ورواه النسائي فى كتاب السير عن زياد بن أيوب عن هشام عن يونس وهو ابن عبيد عن الحسن البصري به . ومنهم جابر بن عبد الله الأنصاري قال الإمام أحمد حدثنا هاشم ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فإما عبرته لسانه إما عاكرا وإما كفوفا » ومنهم عبد الله بن عباس الهاشمي . قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أولاد للشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم » أخرجه فى الصحيحين من حديث أبي جعفر بن إياس البشكري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا بذلك ، وقد قال الإمام أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا داود بن أبي سلمة أن أبا عمار بن أبي عمير عن ابن عباس قال : أتى على زمان وأنا أقول أولاد المسلمين مع أولاد المسلمين وأولاد الشركين مع الشركين حتى حدثني فلان

عن فلان أن رسول الله ﷺ حث عن أولاد المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » قال فقلت الرجل فأخبرني فأسكت عن قولي ، ومنهم عياض بن حمار الجاشعي قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام عن قتادة عن مطرف عن عياض بن حمار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال في خطبته « إن ربي عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومئذ : كل ما خلقته عبادي حلال . وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم اتهم الشياطين فأضلهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ، ثم إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم فغضبهم وعجبهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال إنما ابتعك لأتيناك وأبلى بك وأنزلك عليك كتابا لا يغسله الماء فهوء نائمًا ويقظان ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت رب إذا شئت راسي فدمه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزم نزعك وأتفق فسنفق عليك وابتعث جيشا نبث خبزة مثله وقابل بين أطاعك من عسالك - قال : وأهل الجنة ثلاثة وسلمان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ورجل عفيف متفزع ذو عيال وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زير له الدين ، من فسك تبع لا يبتغون أهلا ولا مالا ، والمخائن الذي لا يخفي طمعهم وإن دق إلاخاته . ورجل لا يسمع ولا يبصير إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك » وذكر البخيل والكذاب والشنظير والفتاح . اتفرد باخر اجتمع فرواه من طرق عن قتادة بن وقوله تعالى (ذلك الدين القيم) أي التمسك بالشرعية والقطرة السليمة هو الدين القيم للستقيم (ولكن أكثر الناس لا يطعون) أي فلهذا لا يترفعه أكثر الناس فهم عنه ناكبون كما قال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال تعالى (وإن قطع أكثر من في الأرض يضلوا عن سبيل الله) الآية . وقوله تعالى (منيبين إليه) قال ابن زيد وابن جرير أي راجعين إليه (واتقوه) أي خافوه وراقبوه (وأطيعوا الصلاة) وهي الطاعة العظيمة (ولا تكونوا من المشركين) أي بل تكونوا من اللوحدين المخلصين له العبادة لا يريدون بها سواه . قال ابن جرير حدثني يحيى بن واضح حدثنا يونس بن إسحاق عن يزيد بن أبي عمير قال مر بهم رضى الله عنه بهما بن جبل فقال عمر ما قوام هذه الأمة ؟ قال ساذ : ثلاث وهن للنبيات الإخلاص وهي القطرة قطرة الله التي فطر الناس عليها والصلاة وهي لله ، والطاعة وهي للصلاة فقال عمر صدقت . حدثني يعقوب أنبأنا ابن علية أنبأنا أيوب عن أي قلابة أن عمر رضى الله عنه قال لماذا ما قوام هذا الأمر ؟ فذكر نحوه وقوله تعالى (من الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) أي لا تكونوا من المشركين الذين قد فرقوا دينهم أي بدلوه وغيروه وآمنوا يمشي وكفروا يمشي ، وقرأ بعضهم فارقوا دينهم أي تركوه وراء ظهورهم وهؤلاء كالهدوى والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان وسائر أهل الأديان الباطلة مما عدا أهل الإسلام كما قال تعالى (إن الدين فرقا دينهم وكانوا شيعا) لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله) الآية فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء ومثل باطلة . وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء وهذه الأمة أيضا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة وهم أهل السنة والجماعة التمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه كما رواه الجماعة في مستدركه أنه سئل ﷺ عن الفرقة الناجية منهم فقال « من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي »

(وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ شُرَّ دَعْوَاهُمْ فَثِيْبِينَ إِلَيْهِمْ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ . لَيْسَ كُفْرُوًا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ مَقْتَدَرًا قَتَرُوا فَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُكُوتًا فَتُكَلِّمُهُمْ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ . وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

يقول تعالى غفراً عن الناس أنهم في حال الاضطراب يدعون الله وحده لا شريك له وأنه إذا أسغى عليهم النعم إذا فارق منهم في حالة الاختيار يشركون بالله ويمدون معه غيره . وقوله تعالى (ليذكروا بما آتيناهم) هي لام العاقبة عند بعضهم . ولأم التعليل عند آخرين . ولكها تعليل ثمين الله لهم ذلك ثم توعدهم بقوله (فسوف تعلمون) قال بعضهم والله لو توعدني حارس درب لحقت منه فكيف وللتوعد ههنا هو الذي يقول الشيء . كمن فيكون ثم قال تعالى منكر على للشركين فيما اختلفوا فيه من عبادة غيره بلا دليل ولا حجة ولا برهان (أم أنزلنا عليهم سلطاناً أي حجة) فهو يشكك (أي ينطق) بما كانوا به يشركون (وهذا استفهام إنكار أي لم يكن لهم شيء من ذلك ، ثم قال تعالى) وإذا أذنا الناس رحمة فرحوا بها ، وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يحنطون (هذا إنكار على الإنسان من حيث هو إلا من عصمه الله ووقته فإن الإنسان إذا أسأته قسمة بطر . وقال (ذهب السيئات عني إنه فرح غفور) أي يفرح في نفسه ويغفر على غيره . وإذا أسأته شدة قط وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكلية . قال الله تعالى (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات) أي صبروا في الصراء وعملوا الصالحات في الرخاء كما ثبت في الصحيح « عجباً للؤمن لا يفتي الله له قضاء إلا كان خيراً له إن أسأته سراء شكر فكان خيراً له وإن أسأته ضراء صبر فكان خيراً له » وقوله تعالى (أدم يروا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) أي هو للتصرف القاطع لذلك حكمت « وعدله فيوسع على قوم ويضيق على آخرين (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

﴿ فَكَانَ ذَلِكَ الْقُرْآنُ حَقًّا وَالْمُسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلِحُونَ . وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا يُرِيدُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيدُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَلَا تِلْكَ هُمُ الْمُتْلِحُونَ . اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شَرِّ مَا كُتِبَ لَكُمْ مِنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَن فِيهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

يقول تعالى أمراً بإعطاء (ذي القربى حقه) أي من البر والصلة (وللسكين) وهو الذي لا شيء له ينفع عليه أوله شيء لا يقوم بكتاتيه (وابن السبيل) وهو للسافر المحتاج إلى قفلة وما يحتاج إليه في سفره (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) أي النظر إليه يوم القيامة وهو النية القصوى (وأولئك هم المتلحون) أي في الدنيا والآخرة . ثم قال تعالى (وما آتيتهم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله) أي من أعطى عطية يريد أن يردها للناس عليها أكثر مما أهدى لهم فهذا لا ثواب له عند الله ، بهذا أسر ابن عباس ومجاهد والضحاك وقادة وعكرمة ومحمد بن كعب والشعبي ، وهذا الصنيع مباح وإن كان لا ثواب فيه إلا أنه قد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، قاله الضحاك واستدل بقوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) أي لا تمنن العطاء تريد أكثر منه ؛ وقال ابن عباس : الربا رباذان ، غربا لا يسع : يعني ربا البيع ؛ وربا لا بأس به وهو هدية الرجل يريد فضلها بأضعافها ثم تلا هذه الآية (وما آتيتهم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله) واما الثواب عند الله في الزكاة ولهذا قال تعالى (وما آتيتهم من زكاة يريدون وجه الله فأولئك هم المفلحون) أي الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء كما جاء في الصحيح « وما تصدق أحد ببذل تمره من كسب طيب إلا أخذناه الرحمن بمخيه فبرئتها لصاحبها كما برئ أحدكم فوه أو فضله حتى يصير التمرة أعظم من أحد » وقوله عز وجل (الله الذي خلقكم ثم رزقكم) أي هو الخالق الرزق يخرج الإنسان من بطن أمه عرباً لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قوى ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك والريش واللباس والبال والأموال وللناسب قال قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سلام بن شرحبيل عن حبة وسواء ابن خالقة قال دخلنا على النبي ﷺ وهو يصلح شيئاً فأعناه فقال « لا تباؤا من الرزق ما تهزوت رءوسكم فإن الإنسان

لنله أنه أحر ليس عليه قسرة ثم يزرقة الله عز وجل « وقوله تعالى (ثُمَّ يَجْعَلُ) أي بعد هذه الحياة (ثُمَّ يَجْعَلُ) أي يوم القيامة ، وقوله تعالى (هل من شركائكم) أي الذين تصدونهم من دون الله من غفل من ذلك من شيء ؟ أي لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والاحياء والامانة ثم يمت الخلائق يوم القيامة ولهذا قال يد هذا كله (سبحانه وتعالى عما يشركون) أي تعالى وقدهس ونزهه وعماظم وجل وعز عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو أو ولد أو والد بل هو الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَكُمْ بِهِمْ ﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ

قال ابن عباس وعكرمة والضحاك والسدي وغيرهم للراد بالبر هنا النفاقي وبالبحر الأمصار والقرى وفي رواية عن ابن عباس وعكرمة : البحر الأمصار والقرى ما كان منها على جانب نهر ، وقال آخرون بل للراد بالبر هو البر المعروف وبالبحر هو البحر المعروف . وقال زيد بن رفيع (ظهر الفساد) يعني انقطاع للطر عن البر بمقتبه القحط وعن البحر يعني دوايه . رواه ابن أبي حاتم وقال حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد بن النخعي عن سفيان عن محمد بن قيس الأخرج عن مجاهد (ظهر الفساد في البر والبحر) قال فساد البر تلبا بن آدم وفساد البحر أخذ السفينة غصبا ، وقال عطاه الخراساني للراد بالبر ما فيه من اللذان والقرى وبالبحر جزائره . والقول الأول أظهر وعليه الأكثرون ، ويؤيده ما قاله محمد بن إسحاق في السيرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح ملك أيلة وكتب إليه يعمره يعني يبلده ومعنى قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس) أي بأن النقص في الزروع والثمار بسبب للمامى . وقال أبو العالية . من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والبلاد والبلاد والطاعة ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وحده في الأرض أحب إلى أهلها من أن يعطروا أربعين صباحا والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت انكشف الناس أو أكثرهم أو كثير منهم عن حماطى الحرمات وإذا تركت للمامى كان سببا في حصول البركات من السماء والأرض . ولهذا إذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة للطهرة في ذلك الوقت من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية وهو تركها فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف فإذا أهلك الله في زمانة الدجال وأتباعه وأجوج ومأجوج قيل للأرض أخرجى بركتك فيأكل كل من الرمانه القشام من الناس ويستظلون بقشعها ، ويكفي لبن اللقمة الجملة من الناس وماذا لك إلا بركة تنفيذ شريعة محمد ﷺ فكلما أقم العدل كثرت البركات والحير . ولهذا ثبت في الصحيحين أن الفاجر إذا مات يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا محمد والحسين قالا حدثنا عوف عن أبي حنن قال وجد رجل في زمان يزيد وابن زياد صرة فيها حب يعني من بر أمثال النوى مكتوب فيها هذا ثبت في زمان كان يصل فيه بالعدل ، وروى مالك عن زيد ابن أسلم أن للراد بالفساد هنا الشرك وفيه نظر وقوله تعالى (لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا) أي يتلهم بعض الأموال والأفئس والغرات اختبرا منه لهم ومجازاة على صنيعهم (لهم يرجون) أي عن المامى كما قال تعالى (وبولناهم بالحننات والسيئات لهم يرجون) ثم قال تعالى (قل سيراوا الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أي من قبلهم (كان أكثرهم مشركين) أي فانظروا ما حل بهم من تكذيب الرسل وكفر النعم

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّقُونَ * مَنْ كَفَرَ لَعَنَهُ

كُفْرُهُ وَتَنَ عَمَلٌ صَالِحًا فَلَا تُشْعِمُهُمْ يَمُودُونَ • لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ قَبْلِهِ إِنَّا لَا نَبْغِي
الْكَافِرِينَ ﴿

يقول تعالى آمرا عباده بالمبادرة إلى الاستقامة في طاعته والمبادرة إلى الخيرات (فأنهم وجهك للدين القيم من قبل
أن يأتي يوم لا مرد له من الله) أي يوم القيامة إذا أراد كونه فلا راد له يومئذ يصعدون) أي يفرقون ففرق في الجنة
وفريق في السمير ولهذا قال تعالى (من كفر ضل به كفره ومن عمل صالحا فلا نفعهم يهودون • ليجزي الذين آمنوا
وعملوا الصالحات من فضله) أي يجازيهم مجازاة الفضل ، الحسنة بضر أمثلها إلى سيئاته ضف إلى ما يشاء الله (إنه لا يحب
الكاثرين) ومع هذا هو العادل فيهم الذي لا يجرور

﴿ وَتَبَيَّنَ عَائِيتُهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِآيَاتِهِ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي
فَضْلِهِ وَلَكُمْ تَشْكُرُونَ • وَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْكُرُوا مِنَ الَّذِينَ
أُجْرِمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

يلذكر تعالى نعمه على خلقه في إرساله الريح مبشرات بين يدي رحمته بجمي القيت عقبها ولهذا قال تعالى (وليذيقكم
من رحمته) أي للطر الذي ينزله فيحيي به البلاد والبلاد (ولتجزي القلك بأمره) أي في البحر وأما سيرها بالريح
(ولتنبثوا من فضله) أي في التجارات وللماشي والسير من إقليم إلى إقليم وقطر إلى قطر (ولعلكم تشكرون) أي
تشكرون الله على ما أنعم به عليكم من النعم الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى . ثم قال تعالى (ولقد أرسلنا
من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فاتقننا من الذين أجمعوا) هذه تسلية من الله تعالى لبيده ورسوله محمد
صلى الله عليه وسلم بأنه وإن كذبه كثير من قومه ومن الناس قد كذبت الرسل للظن مع ما جاءواهم به من
الدلائل الواضحات . ولكن انتم الله عن كذبهم وخالفهم وآجى المؤمنينهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي هو
حق أوجب على نفسه الكريمة تكريما وفضلا كقوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وروى ابن أبي حاتم حدثنا
أبي حدثنا ابن نفيحدثنا موسى بن أعين عن ليث عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم
يوم القيامة » ثم تلا هذه الآية (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَهْدِي السَّيْلَ كَيْفَ يَشَاءُ لِيُخْرِجَ
مِنْ خَلْقِهِ قَادِرًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِكُونَ • فَأَنْظِرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ أَلْوَنٍ • وَمَوْ
قَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • وَتَبَيَّنَ أَرْسَلْنَا رَحْمَةً لِقَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ مُصَفَّرًا لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

يبين تعالى كيف يخلق السحاب الذي ينزل منه الماء قال تعالى (الله الذي يرسل الريح فتثير سحابا) إما من البحر
كما ذكره غير واحد أو مما يشاء الله عز وجل (فيسقطه في السماء كيف يشاء) أي يهده فيسقطه وينيه ويصل من القليل
كثيرا ينشأ سحابة ترى في رأي العين مثل الترس ثم يسقطها حتى تملأ أرجاء الأفق ، وتارة يأتي السحاب من نحو

البحر فقالا ملومة كما قال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح جبراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالا سقانا ليلد ميت - إلى قوله - كذلك نخرج اللؤلؤ والياقوت كذلك قال ههنا (الله الذي يرسل الرياح خبيراً بما يفسطه في السماء كيف يشاء ويعصيه كسفا) قال مجاهد وأبو عمرو بن العلاء ومطر الوراق وقادة بنى قنطرا . وقال غيره مرقا كما كاتاله السجك وقال غيره : أسود من كثرة الماء تراه مدنياً قتيلا قريبا من الأرض وقوله تعالى (قترى الودق يخرج من خلاله) أي قترى للطر وهو القطر يخرج من بين ذلك السحاب (فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) أي حاجتهم إليه يفرحون بنزوله عليهم ووسوه اليهم . وقوله تعالى (وإن كانوا من قبل أن نزل عليهم من قبله لمبلسين) معنى السلام أن هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا الطر كانوا قاطنين أزلين من نزول للطر اليهم قبل ذلك فلما جاءهم جاءهم على فاقة فوقع منهم موقعا عظيما ، وقد اختلف الصحابة في قوله (من قبل أن نزل عليهم من قبله لمبلسين) فقال ابن جرير هو تاركيد ، وحكاه عن بعض أهل السرية . وقال آخرون من قبل أن نزل عليهم للطر من قبله أي الانزال لمبلسين ، ويحتمل أن يكون ذلك من دلالة التأسيس ويكون معنى الكلام أنهم كانوا محتاجين إليه قبل نزوله ومن قبله أيضا قد فلت عنهم نزوله وقتا بعد وقت فترقبوه في إنياء فتأخر ثم مضت مدة فترقبوه فتأخر ثم جاءهم بشفة بعد الإياس منه والقنوط فبعد ما كانت أرضهم مقشرة حامدة أصبحت وقد اهترت ورتبت وأثبتت من كل زوج بهيج ، ولهذا قال تعالى (فانظر إلى آثار رحمة الله) يعني للطر (كيف يحيى الأرض بنبوتها) ثم به بذلك على إحياء الأجساد بعد موتها وتفرقها وتمزقها فقال تعالى (إن ذلك لمحى للوحي) أي إن الذي فعل ذلك قادر على إحياء الأموات (إنه على كل شيء قدير) ثم قال تعالى (ولئن أرسلنا ريحا فرائده مصفرا لظفوا من بعده يكفرون) يقول تعالى (ولئن أرسلنا ريحا) بإسبة على الزرع الذي زرعه ونبت وشب واستوى على سوقه فرائده مصفرا أي قد اصفر وشرب في الفساد لظفوا من بعده أي بعد هذا الحال يكفرون أي يحدثنوا ما مضى منهم من التمس كقولهم تعالى (أقرأيتم ما يخرجون - إلى قوله - بل نحن محرومون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا هفيم عن يلى بن عطام عن أبيه عن عبيد الله بن عمرو قال : الريح ثمانية أربعة منها رحمة وأربعة منها عذاب ، فأما الرحمة فالتنويرات والنبيرات والبرسات والباريات ، وأما العذاب فالعقم والصرصر وهما في البر والواصف والقاصف وهما في البحر فإذا شاء سبحانه وتعالى حركة بحركة الرحمة فيجبه رخاء ورحمة ويشرى بين يدي رحمته ولاقما للسحاب تلقمه بجعله لاما كما يلقح الله كراشي بالحل ، وإن شاء حركة بحركة العذاب فيجبه عقبا وأودعه عذابا ألما وجعله قمة على من يشاء من عباده فيجبه صرصرأ وهما وبفسدا لما يمر عليه والريح مختلفة في مهاها صبا ، ودبور وجنوب وشمال ، وفي منقعتها وتأثيرها أعظم اختلاف فخرج لينة رطبة تفسد النبات وأبدان الحيوان وأخرى تجففه ، وأخرى تهلكه وتطيه ، وأخرى تسير وتصلبه ، وأخرى توهنه وتضعفه وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن عبيد الله بن أخى ابن وهب حدثنا حمى حدثنا عبد الله بن عياض حدثني عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصدقي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « الريح مفسخة في الثانية - يعني الأرض الثانية - فلا أراد أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عادا فقال يارب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور ، قال له الجبار تبارك وتعالى ، لا إنا تكفنا الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم قدر خاتم فهي التي قال الله في كتابه (ما نذر من شيء أنت عليه إلا جئته كالرمح) ههنا حديث غريب ورفعه منكر والأظهر أنه من كلام عبد الله بن عمرو رضي الله عنه

(فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْقَوْمَ الْآلِهَةَ إِذَا وَلَوْ أُمِدَّ بِرَبِّكَ • وَمَا أَمَّتْ يَهْدُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ صَلَاتِهِمْ
إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ)

يقول تعالى كما أنك ليس في قدرتك أن تسمع الأموات في أجدانها ولا تبلغ كلامك الصم الذين لا يسمعون وهم مع ذلك مدبرون عنك كذلك لا تدر على هداية العميان عن الحق وزدكم عن ضلالهم بل ذلك إلى الله فانه تعالى بقدرته يسمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء وليس ذلك لأحد سواه ، ولهذا قال تعالى (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتهم فهم مسلمون) أي خاضعون مستحيون مطيعون فأولئك هم الذين يسمعون الحق ويتبعونه وهذا حال المؤمنين ، والأول مثل الكافرين كما قال تعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون وللموت يوشعهم الله ثم إليه يرجعون) وقد استدل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بهذه الآية (إنك لا تسمع الموتى) على توهيم عبدالله ابن عمر في روايته مخاطبة النبي ﷺ القتل الذين ألقوا في قليب بدر بعد ثلاثة أيام ومما ثبته إمام وقهره لهم ، حتى قال له عمر يا رسول الله ما تخاطب من قوم قد جفوا ؟ فقال « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون » وتأولته عائشة على أنه قال « إنهم الآن يملعون أن ما كنت أقول لهم حق » وقال قتادة أحياهم الله له حتى سموا مقاتله قهرماً وتوبيخاً وهمة ، والصحيح عند العلماء رواية عبد الله بن عمر للحسا من الشواهد على صحته من وجوه كثيرة ، من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححاً له عن ابن عباس مرفوعاً « ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام » وثبت عنه ﷺ لأمة إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من مخاطبته فيقول للمسلم السلام عليكم دار قوم مؤمنين وهذا خطاب لمن يسمع ويقل ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة خطاب للمدوم والجامد ، والسلف مجمعون على هذا وقد توارث الآثار عنهم ما لبت يعرف بزيارة الحى له ويستبشر فروى ابن أبى الدنيا في كتاب القبور عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » وروى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام ، وروى ابن أبى الدنيا بإسناده عن رجل من آل حاصم الجندى قال رأيت حاصم الجندى في منامى بعد موته يستن قتل أبيه قمت ؟ قال بلى ، قلت فأين أنت ؟ قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا وقر من أصحابي مجتمع كل ليلة جمعة وسيعتني إلى بكر بن عبد الله اللزى فتلقى أخباركم . قال قلت أجسامكم أم أرواحكم ؟ قال هيئات قد بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح ، قال قلت فهل يملعون بزيارتنا إياكم ؟ قال نعم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قال قلت كيف ذلك دون الأيام كلها ؟ قال فضل يوم الجمعة وعظمته قال وحدتنا محمد بن الحسين ثنا بكر بن محمد ثنا حسن القصاب قال كنت أخدم مع محمد بن واسع في كل غداة سبت حتى نأى أهل الجبلان فتقف على القبور فنسلم عليه وندعو لهم ثم تصرف قلت ذات يوم لو سويت هذا اليوم يوم الاثنين ؟ قال بلنى أن الوقي يملعون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبلها ويوما بعدها . قال ثنا محمد ثنا عبد العزيز بن أبان قال ثنا سفيان الثوري قال بلنى عن الضحاك أنه قال : من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم لبت بزيارته ، فقيله وكيف ذلك ؟ قال لكان يوم الجمعة . حدثنا خالد بن خداس ثنا جعفر بن سليمان عن أبى التياح يقول كان مطرف يبدو فلما كان يوم الجمعة ادخل . قال وصمت أبا التياح يقول بلنا أنا كان يزل بفرطة فأقبل لىة حتى إذا كان عند القابر يقوم وهو على فرسه فرأى أهل القبور كل صاحب . قبر جالساً على قبره فقالوا هذا مطرف يأتي الجمعة يصلون عندهم يوم الجمعة ؟ قالوا نعم ونسلم ما يقول فيه الطير . قلت وما يقولون ؟ قال يقولون سلام عليكم ؟ حدثني محمد ابن الحسن ثنا يحيى بن أبى بكر ثنا الفضل ابن اللوق ابن خال سفيان بن عيينة قال لما كنت أبيع جزة على جراح عاصدينا فكنت آتى قبره في كل يوم ثم نصرت عن ذلك ما شاء الله ثم آتى أخته يوماً فبينما أنا جالس عند القبر غلبني عياني فتمت فرائيت كأن قبر أبى قد أخرج وكأنه قاعد في قبره متوشح أكفائه عليه سحنة اللون قال فكأنى بكيت المارأته قال يا بلى ما أباطأك عنى قلت وإنك تلم بجيى ؟ قال ما جئت مرة إلا علفتها وقد كنت تأتيني فأسر بك وسر من حولي بدعائك قال فكنت آيه بذلك كثيراً ، حدثني محمد حدثنا يحيى بن بسطام ثنا عثمان بن سويد الطفاوى قال وكانت

أمة من العابدات وكان يقال لها راهبة قال : لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت يا ذخرى وذخرك من علي
اعتادى في حياتى وبعد موئى لا تخدلى عندلوت ولا توحشى . قال فانت فكنت أتبها في كل جمعة فأدعو لها وأستغفر
لها ولأهل القبور فأبها ذات يوم في منامى قتلها يا ألى كيف أنت ؟ قالت ألى بنى إلى الموت لكربة عديدة وأنى
بمحمد الله لى برنخ محمود غفرى فيه الرمان وتوسد السندس والاسترق إلى يوم النشور قتلها ألك حاجة ؟ قالت
نم ، قلت وما هى ؟ قالت لا تدع ما كنت تصنع من زياراتنا والثناء لنا فانى لأبشر بميتك يوم الجمعة إذا أبليت من
أهلك يقال لى يا راهبة هذا ابنك قد أقبل فأسر وسر بك لمن حولى من الأموات ، حدثنى محمد حدثنا محمد بن عبد العزيز
ابن سليمان حدثنا بشر بن منصور قال لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبان فيشهد الصلاة على الجنان فإذا
أمسى وقف على القابر فقال آسى الله وحشتكم ورحم غريبتكم ، ونجاؤكم عن مسيتكم ، وقبل حسناتكم لا يزيد على هؤلاء
الكلمات قال فأسميت ذات ليلة واضرقت إلى أهل ولما أتت القابر فأدعو كما كنت أدعو ، قال فبينما أنا قائم إذا غلقت قد
جاءونى قتل ما أتم وما حاجتكم ؟ قالوا نحن أهل القابر ، قتلنا ما حاجتكم ؟ قالوا إنك عودتنا منك بعد بعد الصرافك
إلى أهلك ، قلت وماهى ؟ قالوا الدعوات التى كنت تدعونها ، قال قلت فأنى أعود لك ، قال لما تركتها بعد ، وأبلغ
من ذلك أن الميت يعلم بعمل الحى من آثاره وإخوانه . قال عبد الله بن المبارك حدثنى ثور بن يزيد عن إبراهيم بن أيوب
قال تعرض أعمال الأحياء على الموتى فإذا رأوا حسنا فرحوا واستبشروا ، وإن رأوا سوءا قالوا اللهم راجع به
وذكر ابن أبي الدنيا عن أحمد بن أبي الخوارى قال ثنا محمد بن عباد بن عباد بن إبراهيم بن صالح وهو طي
فلسطين قال عطفى ، قال بم أعطاك أسلمك الله ؟ بلى أن أعمال الأحياء تعرض على أقرابهم من الموتى فانظر ما تعرض
على رسول الله ﷺ من عملك فبى إبراهيم حتى أخضل لحيتي . قال ابن أبي الدنيا وحدثنى محمد بن الحسين بنى
خالد بن عمرو الأموى ثنا صدقة بن سليمان الجبفرى قال : كانت في شربة حمصة فأتى فبنت ونذمت على ما فرطت
ثم زلت أبا زلة قرأيت ألى في المنام فقال ألى بنى ما كان أشد فرخى بك بأعمالك تعرض علينا فنفسها بأعمال الصالحين
فلما كانت هذه المرة استجيت لذلك حياء شديدا فلا تخزنى فيمن حولى من الأموات قال فكنت أحمه بعد ذلك يقول
في دعائه في السحر وكان جارألى بالكوكة أسألك بإية لا رجعة فيها ولا حور يا مصلى الصالحين ويا هادى المضلين
ويا أرحم الراحمين . وهذا باب فيه آثار كثيرة عن الصحابة ، وكان بعض الأنصار من أقراب عبد الله بن رواحة يقول :
اللهم إنى أعوذ بك من عمل أخزى بعدد عبد الله بن رواحة ، كان يقول ذلك بعد أن استشهد عبد الله . وقد شرع السلام
على الموتى ، والسلام على من لم ينصر ولا يعلم بالمسلم محال وقد علم النبي ﷺ أنه إذا رأوا القبور أن يقولوا سلام
عليكم أهل الديار من المؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون رحم الله المستديمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا
ولكم العافية ، فهذا السلام والحطاب والنداء لوجود يسمع ومخاطب ومقتل ويرد وإن لم يسمع المسلم الرد والله أعلم

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَكَّةً بِمَنْ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾

بنيه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالا بعد حال فأعده من تراب ثم من نقطة ثم من علقته ثم من مضغة ثم
بصر عظاما ثم تكسى العظام لحما وينفخ فيه الروح ثم يخرج من بطن أمه ضعيفا نحينا وأهنا القوى ثم يربى قليلا قليلا
حتى يكون متفريا ثم حدثا ثم مراهما ثم شابا وهو القوة بعد الضعف ثم يشرع في التنص فيكبل ثم يشب ثم يهرم وهو
الضعف بعد القوة فتضعف الهمة والحركة والبطش وتשב الهمة وتغير الصفات الظاهرة والباطنة ، ولهذا قال
تعالى (ثم جعل من بعد قوته ضعفا وشيبة فخلقنا خلقا يشابه ألى بغل ما يشاء ويصرف في عبيده بما يريد (وهو العلم القدير) قال الإمام
أحمد حدثنا وكيع عن فضيل ويزيد حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفى قال : قرأت على ابن عمر (الله

الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا فقال (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا) ثم قال قرأت على رسول الله ﷺ كما قرأت على فأخذ على كما أخذت عليك ، ورواه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث فضيل به ورواه أبو داود من حديث عبد الله بن جابر عن عطية عن أبي سعيد بنحوه

(وَيَوْمَ نَقُولُ لِلْسَّاعَةِ يُقِيمُ الصُّبْرَ مَنْ مَّا لَيْثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ قَدْ لَبِثُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَيْتِ هَذَا يَوْمُ الْبَيْتِ وَلَكِنَّكُمْ كُفْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ • فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْدَرُهمْ وَلَا هُمْ يَسْتَمْتِعُونَ)

غير تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة في الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الأوثان وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضا فنه إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا غير ساعة واحدة في الدنيا ومقصودهم بذلك علم قيام الحجة عليهم وأنهم لم ينظروا حتى يندر إليهم . قال الله تعالى (كذلك كانوا يؤفكون • وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث) أي فبعد عليهم للؤمنون الملاء في الآخرة كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا فيقولون لهم حين خلقكم ما لبثوا غير ساعة (لقد لبثتم في كتاب الله) أي في كتاب الأعمال (إلى يوم البعث) أي من يوم خلقكم إلى أن يهتم (ولكنكم كنتم لا تعلمون) قال الله تعالى (فيومئذ) أي يوم القيامة (لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم) أي اعتذارهم عما فعلوا (ولا هم يستنجون) أي ولا هم يرجعون إلى الدنيا كما قال تعالى (وإن يستنبوا فإمام من المسلمين) .

(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَنْ جِثْمُهمْ بِآيَةٍ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْتَطَلُونَ • كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ • فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)

يقول تعالى (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي قد بيناهم الحق ووضحناه لهم وضربنا لهم فيه الأمثال ليستبينوا الحق ويتبعوه (ولأن جثمهم بآية يقولون الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون) أي لورأوا أي آية كانت، سواء كانت باقتراحهم أو غيره لا يؤمنون بها ويصدقون أنها محر وباطل كما قالوا في انشقاق القمر ونحوه كما قال تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون • ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) ولهذا قال ههنا (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون • فاصبر إن وعد الله حق) أي اصبر على عاقبتهم وعنادهم فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إليك عليهم وجهه العاتية لك ولن أهلك في الدنيا والآخرة (ولا يستخفك الذين لا يؤقنون) أي بل أثبت على ما بينك الله به فإنه الحق الذي لا مرية فيه ولا تبدل عنه وليس فيه سواه هدى يتبع بل الحق كله منصرفه . قال سعيد عن قتادة نادى رجل من الخوارج عليا رضي الله عنه وهو في صلاة القعدة فقال : (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فأعست له على حتى فهم ما قال فأجابوه وهو في الصلاة (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يؤقنون) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وقد رواه ابن جرير من وجه آخر فقال حدثنا وكيع حدثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عثمان عن أبي ذرعة عن علي بن ربيعة قال : نادى رجل من الخوارج عليا رضي الله عنه وهو في صلاة القعدة فقال (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فأجابوه على رضي الله عنه وهو في الصلاة (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك

الدين لا يوقون) : (طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن الجهم أخبرنا شريك عن عمران بن طيخان عن أبي يحيى قال صلى على أبي طالب رضى الله عنه صلاة القبر فساداه رجل من الخوارج (لأن أشركت ليحيطن عملك ولنكونن من الخاسرين) فأجابه على رضى الله عنه وهو في الصلاة (فاسبرأ وعد الله حق ولا يستخفك الدين لا يوقون)

(ما روى في فضل هذه السورة الشريفة واستجاب قراءتها في القبر)

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد الملك بن عمير سمعت شبيب بن روح يحدث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح فقرأ فيها الروم فأومأ فلما انصرف قال «إني أليس علينا القرآن فان أقواما منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء فن شهد منكم الصلاة معنا فليحسن الوضوء » وهذا إسناده حسن ومتم حسن ، وفيه سر عجب . وثبأ غرب ، وهو أنه ﷺ تأثر بشقان وضوء من اتهم به فدل ذلك على أن صلاة للأومئ متعلقة بصلاة الإمام . آخر تفسير سورة الروم وفي الحمد ولله

(تفسير سورة لقمان وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الأم . تلك آيات الكتاب الحكيم . هدى ورحمة لقوم يفتخرون . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

تقدم في أول سورة البقرة عامة الكلام على ما يتعلق بصدر هذه السورة وهو أنه سبحانه وتعالى جعل هذا القرآن هدى ونفاه ورحمة للمحسنين وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة فأقاموا الصلاة القروضة بجدودها وأوقاتها وما يتيسر من نوافل راتية وغير راتية ، وآتوا الزكاة للقروضة عليهم إلى مستحقها ، ووصلوا أرحامهم وقربانهم وأغنوا بالجزاء في المار الآخرة فرفضوا إلى الله في ثواب ذلك لم يراءوا به ولا أرادوا جزاء من الناس ولا شكورا فمن فعل ذلك كذلك فهو من الذين قال الله تعالى (أولئك على هدى من ربهم) أي على صيرة وينتقمون من الناس على (وأولئك هم المفلحون) أي في الدنيا والآخرة .

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لِحْزِيلًا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ . وَإِذَا تَنَادَى عَلَيْهِ إِيقَاتًا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْ كَإِنِّي بِأُتِيهِ وَقَدْ أَتَى بِهِ بَذَابًا لِّهِمْ)

ما ذكر تعالى حال السعداء وهم الذين يهدون بكتاب الله وينتقمون بضاعه كما قال تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تحشرونه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) الآية عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانقياد بضاع كلام الله وأقبلوا على استماع للزماير والقضاء بالآلحان وآلات الطرب كما قال ابن مسعود في قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) قال هو والله التناء روى ابن جرير حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب أخبرني يزيد بن يونس عن أبي صخر عن ابن معاوية الجبلي عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء البكري أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسأل عن هذه الآية (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) فقال عبد الله بن مسعود التناء والله الذي لا إله إلا هو ، يرددها ثلاث مرات حدثنا عمرو بن علي حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا حميد الخراط عن عمار بن سعيد بن جبير عن أبي

الصبيان أنه سأل ابن مسعود عن قول الله (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) قال التناء وكذا قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومكحول وعمر بن شعيب وعلى بن بديعة . وقال الحسن البصري نزلت هذه الآية (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم) في التناء والزمير ، وقال قتادة: قوله (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم) والله له لا يثيق فيه مالا ولكن شرائه مستجابة بحسب الرد من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضر على ما ينفع ، وقيل أراد بغير علم (يشتري لهو الحديث) اشتراك التفتيات من الجوابي ، قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع عن خالد الصفار عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال « لا يجل بيع للفتيات ولا شراؤهن وأكل آفاتهن حرام ، وفيهن أنزل الله عز وجل على (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) » وهكذا رواه الترمذي وابن جرير من حديث عبيد الله بن زحر بنحوه ثم قال الترمذي هذا حديث غريب وضعف على بن يزيد للذكور (قلت) على وشيخه والراوى عنه كلهم ضعاف والله أعلم ، وقال الضحاك في قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) قال يعني الشرك وبه قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختار ابن جرير أنه كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله ، وقوله (ليضل عن سبيل الله) أي إنما يصنع هذا للتخالف للإسلام وأهله وعلى قراءة فتح السبيل تكون اللام العاقبة أو تعليلًا للامر القسدي أي قيسوا لذلك ليكونوا كذلك وقوله تعالى (ويخذلها هروا) قال مجاهد ويخذل سبيل الله هروا يستهزئ بها . وقال قتادة يعني ويخذل آيات الله هروا وقول مجاهد أولى . وقوله (أولئك لهم عذاب مهيون) أي كآسناها آيات الله وسبيله أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر . ثم قال تعالى (وإذا تلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعا كأن في أذنيه وقرا) أي هذا للقليل على الهوى والمحب والطرب إذا تليت عليه الآيات القرآنية ولى عنها وأعرض وأدير وتعام وما به من صمم كأنه ما سمعها لأنه يتأذى بسماعها إذ لا انتفاع له بها ولا أرب له فيها (فيشره بئساب أليم) أي يوم القيامة يؤله كما تألم ببيع كتاب الله وآياته

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ • خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَوْءِدُ الَّذِينَ ظَلَمُوا)

هذا ذكر ما كمال الأبرار من السعادة في الآخرة الذين آمنوا بالله وصدقوا بالرسولين وعملوا الأعمال الصالحة التابعة لشرعية الله (لهم جنات النعيم) أي يتمتعون فيها بأنواع اللذات والسرور من كل المشرب والملاهي والملابس والمساكن والمرائب والنساء والنفرة والسباع الذي لم يخطر ببال أحدوم في ذلك مقيمون دائما لا يظنون ولا يفتنون عنها جولا وقوله تعالى (وعند الله حقا) أي هذا كائن لا محالة لأنه من وعد الله والله لا يخلف الميعاد لأنه الكريم المنان الصالح لما يشاء القادر على كل شيء (وهو العزيز) الذي قهر كل شيء ودان له كل شيء (الحكيم) في أقواله وأفعاله الذي جبل القرآن هدى للمؤمنين (قل هو الله الذي آتونا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم سمى) الآية ، وقوله (وتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا)

(خَلَقَ السَّمَوَاتِ بَيِّنَاتٍ حُدُودَهُنَّ وَإِنَّا فِي الْأَرْضِ رَوَّاسِينَ أَنْ يُحْيِدَ بِكُمْ وَيَتَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ • هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ يَلِي الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

يعني سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السموات والأرض وما فيها وما بينهما فقال تعالى (خلق السموات بغير عمد) قال الحسن وقتادة ليس لما عهد مرئية ولا غير مرئية . وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد لما عهد لا ترونها

وقد تقدم تحرير هذه المسألة في أول سورة الرعد بما أغنى عن إعادته (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ) يعني الجبال أُرْسَتْ
الْأَرْضَ وَتَقَلَّتْهَا لِكُلِّ تَضَرُّعٍ بِأَهْلِهَا عَلَى وَجْهِ السَّاءِ . ولهذا قال (أَنْ تَعْبُدَ بَيْنَكُمْ) أي ثلاثاً تعبد بَيْنَكُمْ . وقوله تعالى
(وَبَيْنَ فِئَةٍ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) أي ودنوا فيها من أصناف الحيوانات بما لا تلم عدداً شاكلها وألوانها إلا إلهي خلقها ، ولما
قرر سبحانه أنه الخالق تَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ الرَّازِقُ بِقَوْلِهِ (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) أي من كل
زَوْجٍ مِنَ النَّبَاتِ كَرِيمٍ أي حسن للنظر . وقال الشعبي والناس أيضاً مَنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ فَمِنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَهُوَ كَرِيمٌ وَمَنْ
دَخَلَ النَّارَ فَهُوَ لَيْثٌ ، وقوله تعالى (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ) أي هذا الذي ذكره تعالى من خلق السموات والأرض وما بينهما
صادر عن فعل الله وخلقهم وتقديره وحده لا شريك له في ذلك ولهذا قال تعالى (فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)
أي بما تعبدون وتدعون من الأصنام والأنداد (يَلِ الظَّالِمُونَ) يعني للشركيين بالله العابدين معه غيره (في ضلال)
أي بما جهل وعسى (مين) أي واضح ظاهر لا خفاء به .

(وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِي مِمَّا نَشْكُرُ فَإِنَّا نَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَمِيدٌ)

اختلف السلف في لقمان هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير نبوة ؟ على قولين الأكثرين على الثاني . وقال
سفیان الثوري عن الأشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً وقال قتادة عن عبد الله بن الزبير
قلت لجابر بن عبد الله ما انتهى إليكم من شأن لقمان ؟ قال كان قصيرا أنفلس الأنف من النبوة ، وقال يحيى بن سعيد
الأصمري عن سعيد بن السبيح قال كان لقمان من سواد مصر ذا مشافر أعطاه الله الحكمة ومنه النبوة ، وقال
الأوزاعي حدثني عبد الرحمن بن جرمة قال جاء رجل أسود إلى سعيد بن السبيح يسأله فقال له سعيد بن السبيح
لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان
الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر ، وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابن أبي الأصبغ عن خالد الربيعي قال
كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً فقال له مولاة أذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال أخرج أطيب مضغتين فيها فأخرج اللسان
والقلب ، ثم مكث ما شاء الله ثم قال أذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال أخرج أثبت مضغتين فيها فأخرج اللسان
والقلب ، فقال له مولاة أمرت بك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وأمرت بك أن تخرج أثبت مضغتين فيها
فأخرجتهما ، فقال لقمان إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أثبت منهما إذا خبثا ، وقال شعبة عن الحكم
عن مجاهد كان لقمان عبداً صالحاً ولم يكن نبياً ، وقال الأعمش قال مجاهد كان لقمان عبداً أسود عظيم الشفتين مشفق
القدمين ، وقال حكيم بن أسلم عن سعيد الزبيدي عن مجاهد كان لقمان الحكيم عبداً حبشياً غليظ الشفتين مصفع القدمين
قاضياً على بني إسرائيل ، وذكر غيره أنه كان قاضياً على بني إسرائيل في زمان داود عليه السلام ، وقال ابن جرير حدثنا
ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا عمرو بن قيس قال كان لقمان عبداً أسود غليظ الشفتين مصفع القدمين فأثابه رجل وهو
في مجلس ناس يحدثهم فقال له أئت الذي كنت ترعى يعني القتم في مكان كذا وكذا ؟ قال نعم قال فاطلب بك ما أرى ؟
قال صدق الحديث والصمت عما لا ينبغي ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا
عبد الرحمن بن يزيد عن جابر قال : إن الله رفع لقمان الحكيم بحكمته وأمره رجل كان يعرفه قبل ذلك فقابلته ألتستعبد
بني فلان الذين كنت ترعى بالأمس ؟ قال بلى قال فاطلب بك ما أرى ؟ قال قدر الله وأداه الأمانة وصدق الحديث
وتركي ما لا ينبغي فهذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبياً ومنها ما هو مشعر بذلك ، لأن كونه عبداً لقسمه الرق
ينافي كونه نبياً لأن الرسل كانت تميم في أحساب قومها ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً وإنما ينقل كونه نبياً
عن عكرمة إن صح السند إليه فإنه رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة قال
كان لقمان نبياً وجار هذا هو ابن يزيد الجعفي وهو ضعيف والله أعلم وقال عبد الله بن وهب أخبرني عبد الله بن عيسى التميمي عن
عمر مولى غفرة قال وقصر رجل على لقمان الحكيم فقال أنت لقمان أنت عبد بنى الحساس فقال نعم ، قال أنت راعي القتم قال نعم

قال أنت الأسود ! قال أما سوادى فظاهر لما الذى يسبىك من أمرى ! قال وطء الناس بساطك ، وغشهم بأبك ،
ورغام بكوك ، قال يا ابن أخى إن مفيت إلى ما أقول لك كنت كذلك ، قال لقمان غشى صرى وكفى لسانى ووعنة
علمتى وحظى فرجى وقولى بصدى ، ووفائى مبهدى وتكر من شيق وحظى جارى وتركى مالا يمينى ، فذاك
الذى صيرنى إلى ما ترى وقال ابن أبى حاتم حدثنا أنى حدثنا ابن فضال حدثنا عمرو بن وقاد عن عبدة بن رباح عن
ريمية عن أبى البراء أنه قال يوما وذكر لقمان الحكيم فقال ما أوتي من أهل ولا مال ولا حسب ولا خصال
ولكنه كان رجلا مصمصا سكتنا طول الفكر حقيق النظر لم ينم نهاراً قط ولم يره أحد قط يرق ولا يتنشق ولا
يقول ولا يتفوط ولا يتنسل ولا يبيت ولا يضحك ، وكان لا يبعد منطقاً قطه إلا أن يقول حكمة يستعدها ليل
أحد ، وكان قد تزوج وولد له أولاد لما تواظف بك عليهم ، وكان ينشئ السلطان ويأبى الحكام لينظر ويشكر
ويحترق فبذلك أوتي ما أوتي . وقد ورد أثر غريب عن قتادة روى ابن أبى حاتم فقال حدثنا أبى حدثنا العباس بن
الوليد حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعى حدثنا سعيد بن بشر عن قتادة قال : خير الله لقمان الحكيم بين النبوة
والحكمة فاختار الحكمة على النبوة قال فأتاه جبريل وهو نائم فقرأ عليه الحكمة أورشى عليه الحكمة قال فأصبح
ينطق بها : قال سعيد فسمعت عن قتادة يقول قيل لقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خورك ربك ؟ فقال
إنه لو أرسل إلى بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنك أرجو أن أجوم بها ولكنه خيرني ففخت أن أضف
عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلى . فهذا من رواية سعيد بن بشر وفيه ضعف قد تكلموا فيه بسببه فله أعلم ؟
والذى رواه سعيد بن أبى عروبة عن قتادة في قوله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) أى الفقه فى الإسلام ولم يكن
نبياً ولم يوح إليه وقوله (ولقد آتينا لقمان الحكمة) أى الفهم والعلم والتبصر (أن اشكره) أى أمرناه أن يشكر
الله عز وجل على ما آتاه الله ومنحه ووجهه من الفضل الذى خصه به ممن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه ثم قال
تعالى (ومن يشكر لى ما آتاه الله فإنا نزيد له) أى إنما يود تفع ذلك وتوابه على الشاكرين لقوله تعالى (ومن حمل صالحاً
فلا نقسم يهدون) وقوله (ومن كفر فإن الله غنى عن عباده) أى غنى عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الأرض كلهم
جميعاً فانه الله عما سواه ؟ فلا إله إلا الله ولا نبي إلا الله

(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعَلِّمُهُ يَبْنَى لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوصينا الإنسان بوالديه
إليه حسنة * أَنَّهُ وَهْنًا عَلَى وَغْنٍ وَفَصْلَةٌ فِي عَمَلَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى التَّعْصِيرِ * وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَى أَنْ تَشْرِكَ
بِىَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَنْمُ إِلَىٰ مَرْيَمَ كُمْ
فَاتَّبِعْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

يقول تعالى خبراً عن وصية لقمان لولده وهو لقمان بن عطاء بن سدون واسم ابنه ثارن في قول حكاه السهيلي .
وقد ذكره الله تعالى بأحسن الذكر أنه آتاه الحكمة وهو يوصى ولده الذى هو أشفق الناس عليه وأحبه إليه فهو
حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ثم قال محذراً له (إن
الشرك لظلم عظيم) أى هو أعظم الظلم قال البخارى حدثنا تميم حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن
عبد الله قال لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) حق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا : أتينا لم يلبس إيمانهم بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه ليس بذلك إلا أسمع إلى قول لقمان (يا بنى
لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) « وزواه مسلم من حديث الأعمش به ثم قرن بوصيته بإبادة الله وحده البر
بالوالدين كما قال تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) وكثيراً ما يقرن تعالى بين ذلك في

القرآن ؟ وقال هبنا (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) قال مجاهد مشقة وهن الولد ؟ وقال قتادة جهدا على جهد ؟ وقال عطاء الخراساني ضغفا على ضعف . وقوله (وفصالة في عابدين) أي تربيته وإرشاده بعد وضعه في عابدين قال تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) الآية ومن ههنا استبسط ابن عباس وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه قال في الآية الأخرى (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلا ونهار ليدرك الولد بإحسانها التقدم إليه كما قال تعالى (وقال رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) ولهذا قال (أن اشكر لي ولوالديك إلى الصبر) أي فإني سأجزيك على ذلك وأوفر جزاء قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبي شبة ومحمود بن غيلان قالا حدثنا عبيد الله أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب قال : قدم علينا معاذ بن جبل وكان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إني رسول رسول الله ﷺ إليكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تطيعوا ولا تأوكم خيرا ، وإن الصبر إلى الله إلى الجنة أو إلى النار إقامة فلا ظعن وخلود فلا موت . وقوله (وإن جاهدك على أن تشرك في ما ليس لك به علم فلا تطعهما) أي إن حرصا عليك كل الحرص على أن تنابهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك ولا يمنك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفا أي عسنا إليهما (واتبع سبيلا من أتى إلى) يعني المؤمنين (ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) قال الطبراني في كتاب الضربة حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أحمد بن أيوب بن راشد حدثنا مسلمة بن علقمة عن داود بن أبي هند أن سعد بن مالك قال أنزلت في هذه الآية (وإن جاهدك على أن تشرك في ما ليس لك به علم فلا تطعهما) الآية قال كنت رجلا برا بأبي فلما أسلمت قالت يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت لنفسك هذا أو لا تأكل ولا تشرب حتى أموت فتعبر في فقال يا قاتل أمه قتل لا تفعل يا أمه فاني لأضع ديني لهذا الشيء . فبكنت يوما وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فشككت يوما آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فشككت يوما وليلة أخرى لم تأكل ، فأصبحت قد اشتدت جهدهما ، فلما رأيت ذلك قلت يا أمه لمطين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت كلها فماتت ديني هذا لهذا فان شئت فسلني وإن شئت لا تأكلني . فأكلت

(يَبْقَىٰ لَهَا إِنْ تَكَثَّرَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنْ أَلْهَىٰ اللَّهُ لَطِيفٌ خَيْرٌ • يَبْقَىٰ أَقْمَرُ الصُّلَّةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَمْرٌ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَمْرٌ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنْ ذَلِكَ مِنْ قَرْحٍ أَوْ مَوْبِ • وَلَا تَصْرُخْ فِي الْفَنَاءِ وَلَا تَنْشُرْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنْ اللَّهُ لَا يُجِيبُ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ • وَأَنْصَبِ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصَوْتُ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ)

هذه ومايا ناقة قد حكها الله سبحانه عن قتيان الحكم ليلتها الناس ويقتدوا بها فقال (يا بني إنا إنك مقال حبة من خردل) أي إن الظلمة أو الخطيئة لو كانت بمقال حبة خردل وجوز بمنهم أن يكون الضمير في قوله إنا هيا ضمير الشأن والقيمة ، وجوز على هذا رفع مقال والأول أولى . وقوله عز وجل (يأت بها الله) أي أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط ويجازي عليها إن خيرا فخير وإن شرا فشر كما قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا) الآية وقال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ولو كانت تلك الذرة عصاة محبة في داخل صخرة صماء أو غاية ذاهبة في أرجاء السموات والأرض فان الله يأتي بها لأنه لا تخفى عليه خافية ولا يهرب منه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولهذا قال تعالى (إن الله لطيف خبير) أي لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وعضادت (خير) بذييب الخيل في الليل البهيم

وقد زعم بعضهم أن الراد بقوله (تسكن في سفرة) أنها سفرة تحت الأرضين السبع ، وذكره السدي بإسناده ذلك الطورق عن ابن مسعود وابن عباس وجهات من الصحابة إن صح ذلك ، ويرى هذا من عليه العرف وأبي مالك والثورى والنهال بن عمرو وغيرهم وهذا والله أعلم كأنه متلقى من الأسرانيات التي لا تصدق ولا يمكن والظاهر والله أعلم أن الراد أن هذه الحجة في حقايقها لو كانت داخل سفرة فإن الله سيديها وبظهرها بلطف عليه . كما قال الإمام أحمد حسن بن موسى حدثنا ابن لمية حدثنا دراج عن أبي الجهم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال « لو أن أحدكم يعمل في سفرة صباء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كأننا ما كان » ثم قال (يا بني أقم الصلاة) أي يحذوها وقرضها وأوقاتها (وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر) أي بحسب طاعتك وجهك (وأمر على ما أسألك) علم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر وقوله (إن ذلك من عزم الأمور) أي إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور وقوله (ولا تصرخ خلفك للناس) يقول لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كوكك احتقاراً منك لهم واستكباراً عليهم ، ولكن ألق جانبك وابسط وجهك إليهم كما جاء في الحديث « ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط وإليك وإسبال الأزار فإياه من الخيلة والخيلة لا يحبها الله » قال بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولا تصرخ خلفك للناس) يقول لا تكبر فتصغر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك ، وكذا روى العوفي وعكرمة عنه ، وقال مالك عن زيد بن أسلم (ولا تصرخ خلفك للناس) لا تكلم وأنت مريض وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وزيد بن الأصم وأبي الجوزاء وسعيد ابن جبير والضحاك وابن زيد وغيرهم ، وقال إبراهيم النخعي يمتن بذلك التشديد في الكلام . والصواب القول الأول قال ابن جرير وأصل الصرداء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تخلت أعناقها عن رؤوسها فتشبه به الرجل التكبر ومنه قول عمرو بن حنبل

ولكن إذا الجبار سرخده • ألقا لمن فيه فقوموا

وقال أبو طالب في شعره :

وكنا قديماً لا نجر ظلامة • إذا ما نواصر الدروس شيعنا

وقوله (ولا تمس في الأرض مرخاً) أي خيلاً منكباً جباراً عتيداً لا تضع ذلك بينك وبينك الله ولهذا قال (إن الله لا يحب كل مختال فخور) أي مختال مجبب في نفسه فخور أي على غيره ، وقال تعالى (ولا تمس في الأرض مرخاً) إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً) وقد تقدم الكلام على ذلك في موضعه وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضري حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا أبي عن أبي ليلى عن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ثابت بن قيس بن شماس قال : ذكر الكبر عند رسول الله ﷺ فنشد فيه فقال « إن الله لا يحب كل مختال فخور » فقال رجل من القوم والله يا رسول الله إني لأغسل ثيابي فيمبيني يانها ويمبيني شراك لعل وعلاقة سوطي ، فقال « ليس ذلك الكبر إنما الكبر أن تسفه الحق وتضبط الناس » ورواه من طريق أخرى بمثله وفيه قصة طويلة ومقتل ثابت ووصيته بعد موته وقوله (واقصد في مشيك) أي امش مقتصداً مشياً ليس بالبطيء للثبط ولا بالسرير القرمط بل عدلاً وسطاً بين . وقوله (واغضض من صوتك) أي لا تبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ولهذا قال (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) قال مجاهد وغير واحد إن أقيح الأصوات لصوت الحمير أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفقه ، ومع هذا هو يفيض إلى الله تعالى ، وهذا التنبيه في هذا الحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم لأن رسول الله ﷺ قال « ليس لنا مثل السوء العائد في هبة كالكلب يحيى ثم يعود في قيته » وقال النسائي عند تفسير هذه الآية حدثنا قتية بن سعيد حدثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن الأخرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إذا صممت صليح الديكة فاسألوا الله من فضله ، وإذا صممت نهيق الحمير فمؤذوا بالله من الشيطان فإنها رأيت شيطاناً وقد أخرجته بقية الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن جعفر بن ربيعة

به ، وفي بعض الأناط بالليل فله أعلم فنهذه وصايا نافعة جداً وهي من قصص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم وقد روى عنه من الحكم والواعظ أشياء كثيرة فلندكر منها أن نمدحها ودستورا إلى ذلك قال الإمام أحمد حدثنا علي ابن إسحاق أخبرنا ابن المبارك أخبرنا سفيان أخبرني نيشل بن جهم الضبي عن قزعة عن ابن عمر قال : أخبرنا رسول الله ﷺ قال : « إن لقمان الحكيم كان يقول إن الله إذا استودع شيئا حفظه » وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن موسى بن سليمان بن القاسم بن خزيمة أن رسول الله ﷺ قال : « قال لقمان الحكيم لابنه وهو يسلطه يا بني إليك والتفتع فانه خوفة بالليل مذمة بالهار » وقال حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان بن ضمرة حدثنا الثوري بن يحيى قال : قال لقمان لابنه يا بني إن الحكمة أجلبت للساكنين جالساً للولك وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا عبد الرحمن السعدي عن عون بن عبد الله قال : قال لقمان لابنه يا بني إذا أتيت نادى قوم فارمهم باسم الإسلام يعني التسليم ثم اجلس في ناحيتهم فلا تتطرق حتى ترام قد نطقوا فان أفاضوا في ذكر الله فأجل سهلك معهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا شمرة عن حصن بن عمر قال : وضع لقمان جراباً من خردل إلى جانبته وجعل يسلطه ابنه وعظله وخرج خردله حتى شد الحردل فقال يا بني لقد عرفتك موعظتك وموعظتك وعظمتها جبل فخطر قال فخطرت به ، وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الباقي السيصي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الحارثي ثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي حدثنا أنس بن سفيان القدسي عن خليفة بن سلام عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة : لقمان الحكيم والتجاشي وبلال المؤذن » . قال الطبراني أراد الحبشي (فصل في الخول والتواضع) وذلك متعلق بوسية لقمان عليه السلام لابنه وقد جمع في ذلك الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا كتاباً مفرداً ونحن نذكره من مقاصده قال : حدثنا إبراهيم ابن المنذر حدثنا عبد الله بن موسى اللدن عن أسامة بن زيد بن حصن بن عبد الله بن أنس عن جده أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « رب أشعث ذئ طمرين يصفع عن أبواب الناس إذا أقسم على الله لأبره » ثم رواه من حديث جعفر بن سليمان عن ثابت وطى بن زيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وزاد « منهم البراء بن مالك » وروى أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « طوبى للأخياء الأثرياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا أولئك مصايح مجردون من كل فتنة غيراه مشتتة » وقال أبو بكر بن سهل التميمي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد عن عياض بن عباس عن عيسى بن عبد الرحمن عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه أنه دخل للنجد فإذا هو بمجاهدين جبل يكي عند قبر رسول الله ﷺ فقال له ما يكيك يا معاذ ؟ قال حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : سمعته يقول « إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأخياء الأثرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يعرفوا ، قسارهم مصايح الهدى ينجون من كل غيراه مظلة » حدثنا الوليد بن شجاع حدثنا غنام بن طى عن حميد بن عطاء الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رب ذئ طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الله الجنة ولم يسله من الدنيا شيئاً » وقال أيضاً حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من أمئ من لو أنى باب أحدكم يسأله ديناراً أو درهماً أو فلساً لم يسله ، ولو سأله الجنة لأعطاه إياها ، ولو سأله الدنيا لم يسله إياها ولم يمنحها إياه لموانه عليه ، ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » وهذا مرسل من هذا الوجه وقال أيضاً حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا جعفر بن سليمان حدثنا عوف قال : قال أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من ملوك الجنة من هو أشعث أقبر ذو طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأنذوا على الأمراء لم يؤذن لهم ، وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا ، وإذا قالوا لم يمتص لهم ، حوائج أحدكم تتجلبج في صدره ، لو قسم نوره

يوم القيامة بين الناس لوسمهم » قال وأنشدني عمر بن شبة عن ابن عائشة قال : قال عبدالله بن المبارك :

ألا رب ذي طمرين في منزل غدا زرايه ميثوقة وتمارة
قد اطردت أنواره حول قصره وأشرق والتفت عليه حدائقه

وروى أيضا من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعا « قال الله : من أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ، ذو حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه وأعطاء في السر ، وكان غامضا في الناس لا يشار إليه الأصابع إن صبر على ذلك » قال ثم أخذ رسول الله ﷺ بيده وقال « عجنفت منيته ، وقل مراته وقلت بواكيه » وعن عبدالله بن عمرو قال : أحب عباده إلى الله الترياء ، قيل ومن الترياء ، قال الترياءون بدينهم يجمعون يوم القيامة إلى عيسى بن مريم . وقال الفضيل بن عياض بلغني أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أنم عليك ألم أعطك ألم أسترك ألم ... ألم ... ألم أعمل لك كرك . ثم قال الفضيل إن استطعت أن لا تعرف فافل وما عليك أن لا يثي عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس محبوا عند الله . وكان ابن عجير يقول اللهم إني أسألك ذكرا خاملا ، وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني في نسي من أوضع خلقك . وعند الناس من أوسط خلقك . ثم قال « باب ما جاء في الشهرة » حدثنا أحمد بن عيسى للصرى حدثنا ابن وهب عن عمر بن الحارث وابن لمية عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال حسب امرئ من الثبر إلا من عصم الله أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه ، وإن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم » وروى مثله عن إسحاق بن البهلول عن ابن أبي فديك عن محمد بن عبد الواحد الأحمسي عن عبد الواحد بن أبي كثير عن جابر بن عبد الله مرفوعا مثله ، وروى عن الحسن مرسل نحوه قليل للحسن فانه يشار اليك بالأصابع ، قال إنما المراد من يشار إليه في دينه بالعبادة وفي دنياه بالفسق : وعن علي رضي الله عنه قال : لا تبدأ لأن تنهر ، ولا ترفع شخصك لذكر وتعلم واكنم واصمت تسلم ، تسر الأبرار وتبسط القبحار . وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ماسدق الله من أحب الشهرة . وقال أيوب ماسدق الله عبد لا يشمر بكنائه . وقال محمد بن الصلاء من أحب الله أحب أن لا يعرفه الناس . وقال سناك بن سلمة لملك وكثرة الأخلاء . وقال أبان بن عثمان إن أحببت اليك دينك فأقلع من المعارف . كان أبو المالية إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة نهض وتركهم . وقال حدثنا علي بن الجهم أخبرنا شعبة عن عوف عن أبي رجاء قال رأى طلحة قوما يمشون معه فقال ذباب طمع وفراس النار : وقال ابن إدريس عن هرون بن أبي عيسى عن سليم بن حنظلة قال بينما نحن حول أبي إذ علاه عمر بن الخطاب بالمرءة وقال : إنها مدلة لنا في فتنة للمتبع وقال ابن عون عن الحسن خرج ابن مسعود فأنبه أناس فقال والله لو تعلمون ما أغلق عليه باي ما اتبعني منكم رجلان . وقال حماد بن زيد كنا إذا مروا على المجلس ومنا أيوب فلم ردوا وما شديدا فكان ذلك نعمة . وقال عبد الرزاق عن معمر كان أيوب يطيل قيصة قتيله في ذلك فقال إن الشهرة فيما مضى كانت في طول القمص واليوم في تسميره . واصطنع مرة نعلين على حذو نعل النبي صلى الله عليه وسلم فلبسهما أيما ثم خلعهما وقال لم أر الناس يلبسونهما . وقال إبراهيم النخعي لأتلبس من الثياب ما يشر في الفقهاء ولما يزديك البغواء . وقال الثوري كانوا يكرهون من الثياب الجياد التي يشتر بها ويرفع الناس إليه فيها أفسارهم . وثالث الرديئة التي يحتر فيها ويستلذذ به ، وحدثنا خلف بن خديش حدثنا حماد عن أبي حنيفة صاحب الزبدي قال كنا عند أبي قتابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال يا كم وهذا الجار الهالك . وقال الحسن رحمه الله إن قوما جعلوا الكبر في قلوبهم والتواضع في ثيابهم ، فصاحب الكساء بكساه أعجب من صاحب اللطيف بمطره ما لم يخافوا ، وفي بعض الأخبار أن موسى عليه السلام قال لى إسرائيل مالك تاتون عليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب القاذب البسوا ثياب للوكة وآلينا قلوبكم بالحشية « فصل في حسن الخلق » قال أبو النخعي عن أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا ، وعن عطاء عن ابن عمر قيل يا رسول الله أي اللؤمين أفضل ؟ قال « أحسنهم خلقا » وعن نوح بن عباد عن ثابت عن أنس مرفوعا « إن البهذ ليخ يحسن خلقه

درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العادة وإنه ليبلغ بسوء خلقه درك جهنم وهو عابد، وعن سيار بن هارون عن حميد عن أنس مرفوعاً «ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة» وعن عائشة مرفوعاً «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار» وقال ابن أبي الدنيا حدثني أبو مسلم عبد الرحمن بن بوش حدثنا عبد الله بن إدريس أخبرني أني وعمي عن جدي عن أبي هريرة رضي الله عنه سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال «الأجوفان والتم والفرج» وقال أسامة بن شريك كنت عند رسول الله ﷺ فباهته الأعراب من كل مكان فقالوا يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان قال «حسن الخلق»

وقال يعل بن سمالك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء يبلغ به قال: ما من شيء أهمل في اللباز من خلق حسن، وكذا رواه عطاء عن أم الدرداء به وعن مسروق عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً» حدثنا عبد الله بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن عيسى عن محمد بن أبي سارة عن الحسن بن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله ليطيئ العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يفتدو عليه الأجر وروح» وعن مكحول عن أنس ثعلبة مرفوعاً «إن أحبك إلى وأقربكم مني مجلساً أحسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني منزلاً في الجنة مساوكم أخلاقاً الثراون للثمدون للضيقون» وعن أبي أويس عن محمد بن النكدر عن جابر مرفوعاً «ألا أخبركم بأكثركم إيماناً أحسنكم أخلاقاً للوطؤون أكنافاً الذين يؤثرون وبألفون» وقال الليث عن يزيد بن عبد الله بن أسامة عن بكر بن أبي القرات قال: قال رسول الله ﷺ «ما حسن الله خلق رجل وخلفه قطع له النار» وعن عبد الله بن غالب الحدادي عن أبي سعيد مرفوعاً «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق» وقال ميمون بن مهران عن رسول الله ﷺ «ما من ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق» وذلك أن صاحبه لا يخرج من ذنب إلا وقع في آخر. قال حدثنا علي بن الجعد حدثنا أبو القزعة الأحمسي حدثنا عبد الرحمن ابن إسحق عن رجل من قريش قال: قال رسول الله ﷺ «ما من ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق، إن الخلق الحسن ليزيد الأثوب كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيئ ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل» وقال عبد الله بن إدريس عن أبيه عن جده عن أبي هريرة مرفوعاً «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسهمكم بسط وجوه وحسن خلق» وقال محمد بن سيرين حسن الخلق عون على الدين، (فصل في ذم الكبر) قال ملقة عن ابن مسعود رفته «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من كبر» إيمان» وقال إبراهيم بن أبي عبد الله بن عبد الله بن عمرو مرفوعاً «من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر أكبه الله على وجهه في النار» حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا أبو معاوية عن عمر بن راشد عن إياس بن سلمة عن أبيه مرفوعاً «لا يزال الرجل يلعب بنفسه حتى يكتب عند الله من الجبارين فيصيه ما أساهم من العذاب»، وقال مالك بن دينار ركب سليمان بن داود عليهما السلام ذات يوم البساط في مائة ألف من الإنس ومائة ألف من الجن فرفع حتى سمع تسييح للملائكة في السماء ثم خفض حتى مست قدمه ماء البحر فسمعوا صوتاً لو كان في قلب صاحبك مثقال ذرة من كبر لحسف به أبعد مما رفع قال حدثنا أبو خيثمة حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال كان أبو بكر يخطبنا يذكر بده خلق الإنسان حتى إن أحداً لا يقدر شمه يقول: خرج من مجرى البول مرتين وقال الشيء من قتل اثنين فهو جبار ثم تلا (أتريد أن تتفاني كما قتلت قسماً بالأسن إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض) وقال الحسن عجلال بن آدم يسأل الحرة يده في اليوم مرتين ثم يتكبر يمارض جبار السموات. قال حدثنا خالد بن خديش حدثنا حماد بن زيد عن أبي الحسن عن الضحاك بن سفيان فذكر حديث ضرب مثل الدنيا بما يخرج من ابن آدم. وقال الحسن عن يحيى عن أبي قال أن مطعم بن آدم ضرب مثلاً لدنيا وإن فرقه وملحه. وقال محمد بن الحسين بن علي من لدن رسول الله ﷺ دخل قلب رجل من شيء من الكبر إلا نقص من عقله بقدر ذلك. وقال

يونس بن عبيد ليس مع السجود كبير ولا مع التوحيد شاق ، ونظر طاوس إلى عمر بن عبد المزيو وهو غثال في مشيئة ذلك قبل أن يستخلف فظن طاوس في جنبه بأصبعه وقال ليس هذا شأن من في بطنه خرد ؟ فقال له كالمستدر إليه : يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه الشية حتى تملتها قال أبو بكر بن أبي الدنيا كانوا يؤمنون بأمية يضربون أولادهم حتى يتلون هذه الشية (فصل في الاختيال) عن ابن أبي ليلى عن ابن بريدة عن أبيه مرفوعا « من جرثومة خيلاء ينظر الله إليه » ورواه عن إسحاق بن إسماعيل عن سفيان عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعا مثله وحدثنا محمد بن بكار حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعا « لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرأه ، وبيننا رجل يتبختر في برديه أعجبته نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وروى الزهري عن سالم عن أبيه بينا رجل إلى آخره

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَّرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمَنْ الْإِنْسَانُ مَنْ يُجِدِلْ فِي اللَّهِ يَغْيِرْ عَلَيْهِمْ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابَ مُبِينٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آتُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ)

يقول تعالى منها خلقه على نعمة عليهم في الدنيا والآخرة بأنه سخر لهم ما في السموات من نجوم يستغيثون بها في ليالهم ونهارهم وما خلق فيها من سحب وأمطار وتلج ويرد وجهه إليها لهم سقفا محفوظا وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع ونمار وأسبغ عليهم نعمة الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإزالة الكتب وإزاحة الشبه والعلل ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم بل منهم من يجادل في الله أي في توحيد وإرساله الرسل ومجادته في ذلك بغير علم ولا مستند من حجة صحيحة ولا كتاب مأثور صحيح ، ولهذا قال تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين) أي مبين مضى (وإذا قيل لهم أي هؤلاء المجادلين في توحيد الله (اتبعوا ما أنزل الله) أي على رسوله من الترائع للظاهرة (قالوا بل تتبع ما وجدنا عليه آباءنا) أي لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين ، قال الله تعالى (أولو كان آباؤهم لا يقولون شيئا ولا يهتدون) أي فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع آباءهم أنهم كانوا على ضلالة وأنتم خلفتم لهم فيما كانوا فيه ولهذا قال تعالى (أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير)

(وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ * وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * نُنْظِرُهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ)

يقول تعالى محسناً عما أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل واتقاد لأمره واتبع شرعه ، ولهذا قال (وهو محسن) أي في عمله : باتباع ما به أمر ، وترك ما به نهي (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي قد أخذ موثما من الله متيناً أنه لا يضل به (وإلى عاقبة الأمور * ومن كفر فلا يحزنك كفره) أي لا تحزن عليهم بما عاهد في كفرهم بالله بما عاهد به فان قدر الله نافذ فيه وإلى الله مرجعهم فينبئهم بما عملوا أي فيجزئهم عليه (إن الله عليم بذات الصدور) فلا تخفى عليه خائفيه ثم قال تعالى (ينصبرهم قليلا) أي في الدنيا (ثم نصبرهم) أي تلجئهم (إلى عذاب غليظ) أي فظيع صعب مشق على النفوس كما قال تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * منع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۖ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ﴾

يقول تعالى خبرا عن هؤلاء المشركين به أنهم يعرفون أن الله خالق السموات والأرض وحده لا شريك له ومع هذا يبدون معه شركاء يعرفون أنها خلق له وملك له ، ولهذا قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله) أى إذا قامت عليكم الحجة باعترافكم (بل أكثرم لا يعلمون) ثم قال تعالى (لله ما فى السموات والأرض) أى هو خلقه وملكه (إن الله هو الغنى الحميد) أى الغنى هما سواء وكل شىء قدير إليه الحميد فى جميع ما خلق له الحمد فى السموات والأرض على ما خلق وشرع وهو الحمود فى الأمور كلها

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۖ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنُفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

يقول تعالى خبرا عن عظمته وكبرياته وجلاله وأسمائه الحسن وصفاته العلا وكلماته التامة التى لا يحيط بها أحد ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل والأوصى شاء عليك أنت كما أنشئت على نفسك فقال تعالى (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) أى ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاما وجعل البحر مدادا وأمد سبعة أبحر معه فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام وقطعت ماء البحر ولو جاء أمثالها مددا ، وإنما ذكرت السبعة على وجه البلاغة ولم يرد الحصر ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطه بالعالم كما يقوله من تلقاه من الاسرارىيات التى لا تصدق ولا تكذب بل كما قال تعالى فى الآية الأخرى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلماتى ولو جئنا بمثله مددا) فليس للراد بقوله (مثله) آخر قط بل مثله ثم مثله ، ثم مثله ثم مثله ثم جرا لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته قال الحسن البصرى لو جعل شجر الأرض أقلاما وجعل البحر مدادا ، وقال الله إن من أمرى كذا ومن أمرى كذا لتفدما البحر وتكسرت الأقلام ، وقال قتادة قال للمشركون إنما هذا كلام يوشك أن ينفذ فقال الله تعالى (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام) أى لو كان شجر الأرض أقلاما ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفذ عناب ربي وحكمته وخلقته وعلمه . وقال الربيع بن أنس إن مثل علم المباد كلهم فى علم الله كقطرة من ماء البحور كلها ، وقد أنزل الله ذلك (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام) الآية يقول لو كان البحر مدادا لكلمات الله والأشجار كلها أقلاما لتكسرت الأقلام ونفى ماء البحر وجبت كلمات الله قائمة لا غنىها شىء لأن أصداء لا يستطيع أن ينفذ قسره ولا شىء عليه كما يبنى حتى يكون هو الذى يبنى على شىء إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول . وقد روى أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود قال ابن إسحق حدثني محمد بن أبى محمد عن سيد بن جبيرة وعكرمة عن ابن عباس أن أخبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدنية يا محمد أرأيت قولك (وما أوتيتهم من السلم إلا قليلا) إيانا تريد أم قومك ؟ فقال رسول الله ﷺ « كلا » قالوا أأنت تتلو فيها جامك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل شىء ؟ فقال رسول الله ﷺ « إنها فى علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم » وأنزل الله فيها سألوه عنه من ذلك (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام) الآية وهكذا روى عن عكرمة وعطاء بن يسار وهذا يقتضى أن هذه الآية مدنية لا مكية وللشهور أنها مكية والله أعلم وقوله (إن الله عزيز حكيم) أى عزيز قد عز كل شىء وقهره وغلبه فلا مانع لما أراد ولا مخالف ولا مقب لحكمه حكيم فى خلقه وأمره وأقواله وأفعاله وشرعه وجميع شئونه وقوله تعالى (ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة) أى ما خلق جميع الناس وبشهم يوم اللاد بالنسبة إلى

قدرته إلا كنيسة خلق نفس واحدة الجميع عين عليه (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) (وما أمرا إلا واحدة كلج البحر) أي لا بأس بالشيء إلا مرة واحدة فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى تكرره وتوكيده (فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة) وقوله (إن الله صبيح بصير) أي كما هو صبيح لأتوالم بصير بأفالمم كسمه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة ولهذا قال تعالى (ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة) الآية

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَمْشُونَ خَبِيرٌ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝ ﴾

غير تعالى أنه (يولج الليل في النهار) يعني يأخذ منه في النهار فيطول ذلك ويقصر هذا وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية ثم يشرع في التقص فيطول الليل ويقصر النهار وهذا يكون في الشتاء (وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى) قيل إلى غاية محدودة وقيل إلى يوم القيامة وكلا اللذين صحيح ويستشهد القول الأول بحديث أبي ذر رضى الله عنه الذي في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يا أبا ذر أندري أين تمسح هذه الشمس ؟ » قلت الله ورسوله أعلم . قال « فانها تلمس فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثنا محيي بن أيوب عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال : الشمس بمنزلة الساعة تجري بالنهار في السماء في فلها فإذا غربت جرت بالليل في فلها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها قال وكذلك القمر إنسانه صحيح ، وقوله (وإن الله بما تعملون خبير) كقوله (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض) ومعنى هذا أنه تعالى الخالق العالم بجميع الأشياء كقوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) الآية وقوله تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل) أي إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق أي الوجود الحق الإله الحق وأن كل ما سواه باطل فإنه التقى مما سواه وكل شيء قدير إليه لأن كل ما في السموات والأرض الجميع خلقه وعبيده لا يقدر أحد منهم على تحريك ذرة إلا بإذنه ولو اجتمع كل أهل الأرض على أن يخلقوا ذبابا لمجزوا عن ذلك ، ولهذا قال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير) أي العلى الذي لا أعلى منه الكبير الذي هو أكبر من كل شيء فكل خاضع خفي بالنسبة إليه

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلَّكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِإِذْنِ اللَّهِ يَرْسُمُ لَهَا مَنَازِلَ وَأَنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلُلِ دَعَاؤُهُمْ أَنَّا اللَّهُ خَلِّصْنَا لَهُمُ الْدُفَيْنِ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَعُتِبُوا مُنْكَصِرِينَ وَمَا يَجْحَدُ بِمَا يَنْفَعُنَا إِلَّا كُفْلًا خَتَّارٌ مُّكَوِّرٌ ۝ ﴾

غير تعالى أنه هو الذي سخر البحر لتجري فيه الفلك بأمره أي بطقه وتسخره فانه لولا ما جعل في الماء من قوة يعمل بها السفن لما جرت ، ولهذا قال (ليرىكم من آياته) أي من قدرته (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أي صبار في الضراء شكور في الرخاء ، ثم قال تعالى (وإذا غشيهم موج كالظلل) أي كالجبال والنام (دعوا الله) فخلصين له الدين (فما نجاهم إلى البر فأنهم مقتصد) قال مجاهد أي كافر كأنه فسر القصد ههنا بالمجاهد (الفلك) الآية ثم قال تعالى (فما نجاهم إلى البر فأنهم مقتصد) قال مجاهد أي كافر كأنه فسر القصد ههنا بالمجاهد كما قال تعالى (فما نجاهم إلى البر فأنهم مقتصد) وقال ابن زيد هو التوسط في العمل وهذا الذي قاله ابن زيد

هو للراد في قوله تعالى (فمن ظالم لنفسه ومنهم مقتصد) الآية فالتقصد هنا هو التوسط في العمل ، ومحمّل أن يكون مراداً هنا أيضاً ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأحوال والأموال العظام والآيات الباهرات في البحر ثم بعد ما أنعم الله عليه بالخلاص كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام والشّوق في العبادة واللبّادة إلى الخيرات ، فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصراً والحالة هذه والله أعلم . وقوله تعالى (وما يحسد باياتنا إلا كل خثار كفور) الخثار هو القذار . قاله مجاهد والحسن وقادة ومالك عن زيد بن أسلم وهو الذي كلما عاهد هضم عهده والعثر أتم التسدر وأبلفه . قال عمرو بن معديكرب :

وإنك لو رأيت أبا حمير ملأت يديك من غدر وخر

وقوله (كفور) أى جود فبتم لا يشكرها بل يتأساها ولا يذكرها

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَالِدَ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾

يقول تعالى منذراً للناس يوم للماد وأمرأ لهم بتقواه والعنف منه والخشية من يوم القيامة حيث (لا يجزى والله عن ولده) أى لو أراد أن يغديه بنفسه لما قبل منه . وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله (فلا تفرنكم الحياة الدنيا) أى لا تلهيكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة (ولا يفرنكم بالله الغرور) يعنى الشيطان . قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقادة فانه يشرب ابن آدم ويسده ويغنيه وليس من ذلك شيء بل كان كما قال تعالى (يهدم ويمنهم وما يهدم الشيطان إلا غروراً) قال وهب بن منبه قال عزير عليه السلام لما رأيت بلاد قومي اشتد حزني وكثر همي وأرق نومي فتضرعت إلى ربى وصليت وصمت فأنا في ذلك التضرع أبكي إذ أتاني الملك فقلت له خبرني هل تشفع أرواح الصديقين للظلمة أو الآباء لأبنائهم ؟ قال إن القيامة فيها فصل القضاء وملاك ظاهر ليس فيه رخصة لا يحكم فيها أحد إلا بالعدل والرحمة ، ولا يؤخذ فيه والدع عن ولده ولا ولد عن والده ولا أخ عن أخيه ولا عبد عن سيده ولا بنت عن أبيه ، ولا يحزن لحزنه ولا أحد يرحمه ، كل مشفق على نفسه ، ولا يؤخذ إنسان عن إنسان ، كل يهجم همه ويكفى حوله ، ويحمل وزره ولا يحمل وزره معه غيره . رواه ابن أبي حاتم

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

هذه مفاتيح التيب التي استأنى الله تعالى بطلها فلا يسلها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها ؟ فعمل وقت الساعة لا يلمه في مرسل ولا ملك مقرب (لا يعلمها لوقتها إلا هو) وكذلك إزال التيب لا يلمه إلا الله ولكن إذا أمر به علمته الملائكة للوكلون بذلك ومن يشاء الله من خلقه وكذلك لا يلمه ما في الأرحام مما يريد أن يخلقته تعالى سواء ولكن إذا أمر بكونه ذكر أو أنثى أو شقياً أو سعيداً علم للملائكة للوكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه ، وكذلك لا تدرى نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخرها (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) في بلدنا أو غيره من أى بلاد الله كان لاعلم لأحد بذلك وهذه شبهة بقوله تعالى (وعنده مفاتيح التيب لا يلمها إلا هو) الآية . وقد وردت السنة بسمية هذه المفاتيح التيب

قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة سمعت أبا بريدة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « خمس لا يلمهن إلا الله عز وجل (إن الله عنده علم الساعة وينزل التيب ويصلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله علم خير) » هذا حديث

صحيح الإسناد ولم يخرجوه (حديث ابن عمر) قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « مفاتيح التيب خمس لا يعلمن إلا الله (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وما تدرى نفس باي أرض تموت إن الله عليم خبير) » انفراد بإخراجه البخاري فرواه في كتاب الاستسقاء في صحيحه عن محمد بن يوسف القزويني عن سفيان بن سعيد الثوري به ، ورواه في التفسير من وجه آخر فقال حديثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب حدثني عمر بن محمد ابن زيد بن عبد الله بن عمر أن أباه حدثه أن عبد الله بن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « مفاتيح القيب خمس » ثم قرأ (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام) انفراد به أيضا . ورواه الإمام أحمد عن غندر عن شعبة عن عمر بن محمد أن مع أباه يحدث عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخس (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باي أرض تموت إن الله عليم خبير) » (حديث ابن مسعود) رضى الله عنه قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن شعبة عن عمرو ابن مرة عن عبد الله بن سلمة قال : قال عبد الله أوتي نبيك صلى الله عليه وسلم مفاتيح كل شيء فیه خمس (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باي أرض تموت إن الله عليم خبير) وكذا رواه عن محمد بن جعفر عن شعبة عن عمرو بن مرة به وزاد في آخره . قال قلت له أنت سمعت من عبد الله : قال نعم أكثر من خمسين مرة ، ورواه أيضا عن وكيع عن مسر عن عمرو بن مرة به وهذا إسناد حسن على شرط أصحاب السنن ولم يخرجوه (حديث أبي هريرة) قال البخاري عند تفسيره هذه الآية : حدثنا إسحاق بن جبر عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يوما بارزا للناس إذ أتاه رجل يعشى فقال يا رسول الله : ما الإيمان ؟ قال « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبقائه وتؤمن بالبعث الآخر » قال يا رسول الله ما الإسلام قال « الإسلام . أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة للفروضة وتحصم رمضان » قال يا رسول الله ما الإحسان . قال « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » قال يا رسول الله متى الساعة ، قال « ما للشئ عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها : إذا ولدت الأمة ربها فذلك من أشراطها ، وإذا كان الحفاة المرأة رموس الناس فذلك من أشراطها في خمس لا يعلمن إلا الله ، إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم مافي الأرحام » الآية ثم انصرف الرجل فقال « ردوه على » فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئا فقال « هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم » ورواه البخاري أيضا في كتاب الإيمان وسلم من طرق عن أبي حيان به وقد تكلمنا عليه في أول شرح البخاري وذكرنا ثم حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في ذلك بطوله وهو من أفراد مسلم (حديث ابن عباس) قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد المجيد حدثنا بهز حدثنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : جلس رسول الله ﷺ مجلسا فأتاه جبريل فيجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا كفيه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الإسلام ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الإسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل وتعبد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن عمدا عبده ورسوله » قال فلماذا فعلت ذلك فقد أسلمت ، قال « إذا فعلت ذلك فقد أسلمت » قال يا رسول الله حدثني ما الإيمان ؟ قال « الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين ، وتؤمن بالموت والحياة بعد الموت ، وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان ، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره » قال فلماذا فعلت ذلك فقد آمنت ، قال « إذا فعلت ذلك فقد آمنت » قال يا رسول الله حدثني ما الإحسان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الإحسان أن تسلم لله كأنك تراه فإن كنت لاتراه فإنه يراك » قال يا رسول الله فحدثني متى الساعة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هي - سبحانه الله - في خمس لا يعلمن إلا الله (إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس باي أرض تموت إن الله عليم خبير) ولكن إن

ثبت حديثك بما لم يدون ذلك - قال أجل يا رسول الله فحدثني قال رسول الله ﷺ - إذا رأيت الأمة ولدت ربتها - أو رها - ورأيت أصحاب البيان يضطاولون في البيان ، ورأيت الحفظة الجليح العالة رموس الناس فذلك من معالم الساعة وأشرطها ؟ قال يا رسول الله ومن أصحاب البيان الحفظة الجليح العالة ؟ قال « العرب » حديث غريب ولم يخرجوه (حديث رجل من بني عامر) روى الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن ربيعة بن حراش عن رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ فقال أأجج ؟ قال النبي ﷺ لحادمه « اخرجي إليه فإنه لا يحسن الاستئذان فتولى له فلبلق السلام عليكم أأدخل » قال فسمعت يقول ذلك فقلت السلام عليكم أأدخل ؟ فأذني فدخلت فقلت بيم آميننا ؟ قال « لم أتكم إلا بخير ، أتيتكم بأن تصيدوا الله وحده لا شريك له ، وأن تدعوا اللات والعزى ، وأن تصابوا بالليل والنهار خمس صلوات ؟ وأن تصوموا من السنة شهراً ، وأن تحجوا البيت وأن تأخذوا الزكاة من مال أغنيائكم فتدوها على فقرائكم » قال فقال فهل بقي من العلم شيء لا تعلمه ؟ قال « قد علمت الله عز وجل خير أو إن من العلم ما لا يعلمه إلا الله عز وجل : الحس (إن الله عند علم الساعة ، وينزل الوحي ، ويعلم ما في الأرحام) » الآية وهذا إسناد صحيح وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد جاء رجل من أهل البادية فقال إن امرأتى حبلت فأخبرني ما تلد ، وبلادنا عدية فأخبرني متى ينزل الوحي ، وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت فأنزل الله عز وجل (إن الله عنده علم الساعة - إلى قوله - علم خير) قال مجاهد وهي مفتاح السيب التي قال الله تعالى (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير . وقال الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) وقوله تعالى (وما تدري نفس بأي أرض تموت) قال قتادة أشياء استأمر الله بها فلم يطلع عليهن ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسل (إن الله عنده علم الساعة) فلا يدري أحدهم الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو في أي شهر أو في أي أول أو في أي أول (وينزل الوحي) فلا يعلم أحد متى ينزل الوحي ليلاً أو نهاراً (ويعلم ما في الأرحام) فلا يعلم أحد ما في الأرحام أذكر أم أنثى أحمر أو أسود وما هو (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) أخير أم شر ، ولا تدري أي ابن آدم متى تموت لعلك للث غدا للصاب غدا (وما تدري نفس بأي أرض تموت) أي ليس أحد من الناس يدري أين مضيه من الأرض أي يحرق أم ير أو سهل أو جبل . وقد جاء في الحديث « إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة » قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير في مسند أسامة ابن زيد حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن أبي الليث عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جعل الله ميتة عبد بأرض إلا جعل له فيها حاجة » وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن أبي إسحاق عن مطر بن عكاس قال ؟ قال رسول الله ﷺ « إذا قضى الله ميتة عبد بأرض جعل له إليها حاجة » وهكذا رواه الترمذي في القدر من حديث سفيان الثوري به ثم قال حسن غريب ولا يعرف لمطر عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث وقد رواه أبو داود في الترمذي قاله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن أبي الليث عن أسامة عن أبي عزة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله قبض روح عبد بأرض جعل له فيها - أو قال بها - حاجة » وأبو عزة هذا هو بشار بن عبيد الله ويقال ابن عبد المطلب . وأخرجه الترمذي من حديث إسماعيل ابن إبراهيم وهو ابن علي وقال صحيح . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عاصم الأنصاري حدثنا للؤلؤ ابن إسماعيل حدثنا عبيد الله بن أبي حميد عن أبي الليث عن أبي عزة الملقب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله عنده علم الساعة - إلى - علم خير) . (حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا أحمد بن ثابت الجعدي ومحمد بن يحيى القطعي قالا حدثنا عمر بن علي حدثنا إسماعيل عن قيس عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل لها إليها حاجة » ثم قال البرزاني وهذا الحديث لا نعلم أحداً

يرفضه إلا عمر بن علي القدي . وقال ابن أبي الدنيا حدثني سليمان بن أبي مسيح قال أنشدني محمد بن الحكم لأعشى همدان .

فما تزود مما كان يحبه	سوى خنوط غداة الين مع خرق
وغير تحفة أعواد تشب له	وقل ذلك من زاد لنطلق
لا تأسين على شيء فكل فتى	إلى منيته سيار في عنق
وكل من ظن أن لولت يخطئه	مطل بأعالي من الحق
بأيما بلدة تفسد منيته	إلا يسر إليها طامعا يلق

أورده الحافظ ابن عساكر رحمه الله في ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث وهو أعشى همدان وكان الشعبي زوج أخته وهو مزوج بأخت الشعبي أيضا ، وقد كان بمن طلب العلم والنفقة ثم عدل إلى صناعة الشعر فصرف به ، وقد روى ابن ماجه عن أحمد بن ثابت وعمر بن شبة كلاهما عن عمر بن عكرمة مرفوعا إذا كان أجلا أحدكم بأرض أمته إليها حاجة فإذ بلغ أقصى أثره قبضه الله عز وجل فقول الأرض يوم القيامة : يارب هذا ما أودعته قال الطبراني حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبي الليث عن أسامة أن رسول الله ﷺ قال «ما جعل الله منية عبد بأرض إلا جعل له إليها حاجة» . آخر تفسير سورة لقمان ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

(تفسير سورة الم السجدة ، وهي مكية)

روى البخاري في كتاب الجمعة حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال . كان النبي ﷺ قرأ في التجر يوم الجمعة (ألم تنزل) السجدة (هل أتى على الإنسان) ورواه مسلم أيضا من حديث سفيان الثوري به . وقال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر أخبرنا الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ ألم تنزل السجدة وتبارك الذي بيده الملك ، فترد به أحمد .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿ اَلَمْ تَزِلْ لِّلْكَتٰبِ لَآرِیْبَ فِیْهِ مِّنْ رَّبِّ السَّمٰوٰتِیْنَ • اَمْ یَقُولُوْنَ اَفْتَرٰهٗۤ بَلْ هُوَ الْخُبْرُ مِنْ رَّبِّكَ لَیَنْزِلَنَّ قَوْمًا مِّنْ اٰتَمِهِمْ مِّنْ نَّذِیْرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَمَّا تَعْلَمُوْنَ یَهْتَدُوْنَ ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف للقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته هنا ، وقوله (تنزل الكتاب لأرب فيه) أي لا شك فيه ولا مرة أنه منزل (من رب العالمين) ثم قال تعالى عبراً عن الشركين (أم يقولون افتراه) بل يقولون افتراه أي اختلقه من تلقاء نفسه (بل هو الحق من ربك لتندر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لهم يهتدون) أي يتبعون الحق .

﴿ اَللّٰهُ الَّذِیْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَتَاٰیٰتِهِنَّ فِیْ سِتَّةِ اَیَّامٍ ثُمَّ اَسْتَوٰی عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِهِۦ مِنْ وَّلٰیٍّ وَلَا شَفِیْعٍ اَفَلَا تَتَذَكَّرُوْنَ • یَذْكُرُ الْاُمَمِیْنَ اَلَسَّآءَ اِلٰی الْاَرْضِ ثُمَّ یَرْجِعُ الْبَلٰی فِیْ یَوْمٍ كَانَ مِثْقٰلُ ذَرَّةٍ اَلْفَ سِنَةٍ مَّا تَدُوْنَ • ذٰلِكَ عَلِیْمُ النَّبِیِّ وَالشَّهَیْدَةِ الْعَزِیْزِ الرَّحِیْمِ ﴾

غير تعالى أنه خالق للأشياء لمحق السموات والأرض وما فيها في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وقد تقدم الكلام على ذلك (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) أي بل هو الملك لأزمة الأمور الخالق لكل شيء للدير لكل شيء القادر على كل شيء فلا ولي خلقه سواه ، ولا شفيع إلا من بعد إذنه (أفلا تذكرون) أي أيها المبادون

غيره للتوكلون على من عبده تعالى وتوكله أن يكون له نظير أو شريك أو وزير أو نديد أو عدل ، لا إله إلا هو ولا رب سواه ، وقد أورد النسائي هنا حديثاً قال : حدثنا إبراهيم بن يقطين عن محمد بن الصالح حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا الأخضر بن عجلان عن أبي جريح عن الحكمي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أخذ يدي فقال : **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ** ، فخلق التربة يوم السبت ، والجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الاثنين ، وللكروم يوم الثلاثاء ، والتوت يوم الأربعاء ، والذباب يوم الخميس ، وأتم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر ، وخلق من آدم الأرض أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها ، من أجل ذلك جعل الله من بني آدم الطب والخيث . هكذا أورد هذا الحديث إسناداً ومتمماً ، وقد أخرج مسلم والنسائي أيضاً من حديث حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج عن إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحو من هذا السياق . وقد عله البخاري في كتاب التاريخ الكبير فقال وقال بعضهم أبو هريرة عن كعب الأحبار وهو أصح وكذا عله غير واحد من الحفاظ والله أعلم ، وقوله تعالى (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه) أي ينزل أمره من أعلى السواوات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة كما قال تعالى (الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن مثلن ينزل الأمر بينهن) الآية وترفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة سنة . وقال مجاهد وقادة والضماء القول من الملك في مسيرة خمسمائة عام وسعوده في مسيرة خمسمائة عام ولكنه يقطعها في طرفة عين ولهذا قال تعالى (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) ذلك عالم القيب والعبادة أي للدبر لهذه الأمور الذي هو شديد على أعمال عباده يرفع إليه جليلها وحقيقها وصغيرها وكبيرها ، هو العزيز الذي قد عز كل شيء قهره وغلبه ودانت له العباد والرقاب الرحم بعباده المؤمنين فهو عزيز في رحمته رحيم في عزته وهذا هو الكمال المزة مع الرحمة والرحمة مع العزة فهو رحيم بلائذ

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ • ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ • ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى خبراً أنه الذي أحسن خلق الأشياء وأتمها وأحكمها . وقال مالك عن زيد بن أسلم (الذي أحسن كل شيء خلقه) قال أحسن خلق كل شيء كأنه جعله من اللحم واللب ، ثم لا ذكر تعالى خلق السموات والأرض شرع في ذكر خلق الإنسان فقال تعالى (وبدأ خلق الإنسان من طين) يعني خلق أبا البشر آدم من طين (ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين) أي يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وراثت للراة (ثم سواه) يعني آدم لما خلقه من تراب خلقه سوا مستتباً (ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) يعني القول (قليلاً ما تشكرون) أي بهذه القوى التي رزقكموها الله عز وجل فالسيد من استعملها في طاعة ربه عز وجل

﴿ وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَهْنَا لَنَبْذُلَنَّ بِهَا مَا يُلَاقِي رَبَّنَا كَفَرُونا • قُلْ يَقْتُلْكُمْ رَبُّكُمُ الْمَوْتُ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى خبراً عن الشركين في استجدامهم للماد حيث قالوا (أنذا ضلنا في الأرض) أي تمزقت أجسامنا وتفرقت في أجزاء الأرض وذهبت (أنما لنا في خلق جديد) أي أنما لنعود ببدننا الجاهل ؟ يستبدون ذلك وهذا إما هو بيد بالنسبة إلى قدرهم العاجزة لا بالنسبة إلى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم ، الذي إما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ولهذا قال تعالى (بل هم بقاء جهنم كافرون) ثم قال تعالى (قل يتوفاكم ملك اللوت الذي وكل به) الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو التبادر من حديث البراء للتقدم ذكره في سورة

إبراهيم وقد صمى في بعض الآثار بزرئيل وهو المشهور . قاله قتادة وغير واحد وله أعوان ، وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه يتزعجون الأرواح من سائر الجسد حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت ، قال مجاهد: حوت له الأرض فجلست مثل الطست يتناول منها متى يشاء . ورواه زهير بن محمد عن النبي ﷺ بنحوه مرسل . وقاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن أبي يحيى للقرى حدثنا عمر بن حمزة عن جعفر ابن محمد قال سمعت أبي يقول : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي ﷺ « يا بلال ملك الموت أرقق بصاحبي فانه مؤمن » فقال ملك الموت يا محمد طيب نفساً وقر عيناً فأتى بكل مؤمن رفيق ، واعلم أن ما في الأرض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أنصفهم في كل يوم خمس مرات حتى إنى أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ، والله يا محمد لو أتى أردت أن أبيض روح بوضوء ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر قبضها ، قال جعفر بلقي أنه إنما يتصفهم عند موافقت الصلاة فإذا حضروهم عند الموت فإن كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه للكل ودفع عنه الشيطان ولقنه للكل لا إله إلا الله محمد رسول الله في تلك الحال العظيمة ، وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة قال سمعت مجاهداً يقول : ما لي ظهر الأرض من بيت شعر أو مد إلى الأومك الموت يطرف به كل يوم مريعين ، وقال كعب الأبحار والله ما من بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلا وأومك الموت يقوم على يابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمر أن يتوفاه . رواه ابن أبي حاتم ، وقوله تعالى (ثم إلى ربكم ترجعون) أي يوم معادكم وتياكم من قبوركم لجوازكم

﴿ وَتَوَرَّأَ إِلَى الْعَجْرَمُونَ نَا كَسُوا رُءُوسَهُمْ حَتَّى دَخَلُوا رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجَعْنَا لِنَعْمَلَ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدًيًا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَكُم وَذُوقُوا عَذَابَ الْغُلْغُلَىٰ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

غير تعالى من حال المشركين يوم القيامة وقلم حين ماينوا البت وقاموا بين يدي الله عز وجل خزين ذليلين ناكس رؤوسهم أي من الحياء والحجل يقولون (ربنا أبصرنا وسمنا) أي نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك كما قال تعالى (أجمع بهم وأبصر يوم يأتونا) وكذلك يهودون على أنفسهم باللامعة إذا دخلوا النار بقولهم (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السمر) وهكذا هؤلاء يقولون (ربنا أبصرنا وسمنا فارحنا) أي إلى دار الدنيا (نعمل صالحاً) إنا موقنون (أي قد آتينا ونحققنا فيها أن وعدك حق وقعادك حق ، وقد علم الرب تعالى أنه لو أعادهم إلى دار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفاراً يكذبون بآيات الله وخالفون رسله كما قال تعالى (ولو ترى إذ أقروا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا) الآية وقالهنا (ولو شئنا لآتيناه كل نفس هداه) كما قال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) (ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي من السفين فدارهم النار لا يحسد لهم عنها ولا يحسب لهم منها . فعد بالله وكلماته التامة من ذلك (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي يقال لأهل النار على سبيل التعريق والتوبيخ فذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبدادكم وقوعه وتناسيك له إذ علمتموه معاملة من هو ناس له (إنا نسيناكم) أي سنماتكم معاملة الناس لأنه تعالى لا ينسى شيئاً ولا يضل عن شيء . بل من باب القابلة كما قال تعالى (فالיום ننساكم كما نسيناكم لقاء يومكم هذا) وقوله تعالى (وذوقوا عذاب الجحيم بما كنتم تعملون) أي بسبب كفركم وتكذيبكم كما قال تعالى في الآية الأخرى (لا يذوقون فيها برذا ولا لثماً أباً) لإلحاحها وغشاقها . إلى قوله - فلن نزيدكم إلا عذاباً

﴿ إِنَّمَا يُرْمِىُ بِأَيْدِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَىٰ

جُوبِهِمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ • فَلَا تَأْكُمُ نَفْسٌ مِمَّا آخَفَى لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى (إنما يؤمن بآياتنا) أي إنما يصدق بها (الذين إذا ذكروا بها سجدوا) أي استمعوا لها وأطاعوها قولا وفعلًا (وسبحوا بحمدهم وهم لا يستكبرون) أي عن اتباعها والالتفات لها كما يفهم الجمله من السكرة الفجرة ، قال الله تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) ثم قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطنية ، قال مجاهد والحسن في قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) يعني بذلك قيام الليل ، وعن أنس وعكرمة ومحمد بن النكدر وأبي حازم وقائدة هو الصلاة بين المشاين وعن أنس أيضا هو انتظار صلاة العتمة . رواه (ابن جرير بإسناد جيد ، وقال الضحاك هو صلاة المشاء في جماعة وصلاة النداء في جماعة) يدعون ربهم خوفا وطمعا أي خوفا من وبال عقابه وطمعا في جزيل ثوابه (ومما رزقناهم ينفقون) فيجمعون بين فعل القربات اللازمة للتعبية ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم في الدنيا والآخرة رسول الله ﷺ كما قال عبادة ابن ربيعة رضي الله عنه :

وفينا رسول الله ﷺ يتلو كتابه • إذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهندي يمد العمي قلوبنا • به موقنات أت ما قال واقع
بيئت عيالي جنبه عن فراشه • إذا استقبلت بالمشركين للمضاجع

وقال الإمام أحمد حدثنا روح وعفان قال حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال « عيب ربنا من رجلين : رجل ثار من وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة بما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله تعالى فاتهموا فسلم ما عليه من القرار وما له في الرجوع فرجع حتى أهرق دمه رغبة فيما عندي وشفقة بما عندي ، فيقول الله عز وجل لللائكة : انظروا إلى عبدي رجوع رغبة فيما عندي ورهبة مما عندي حتى أهرق دمه » وهكذا رواه أبو داود في الجهاد عن موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة به بنحوه . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسبح فقلت يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال « لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا . وتقم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت - ثم قال - ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفى الحطية ، وصلاة الرجل في جوف الليل - ثم قرأ - (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) حتى يبلغ (جزاء بما كانوا يعملون) » ثم قال - ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ - قلت بلى يا رسول الله فقال - رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله - ثم قال - ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ - قلت بلى يا نبي الله فأخذ بلسانه ثم قال « كف عليك هذا » فقلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ، فقال « ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أقوال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم » ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم من طرق عن معمر بن وهب وقال الترمذي حسن صحيح ورواه ابن جرير من حديث شعبة عن الحكم قال : سمعت عروة بن الزناد يحدث عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال له « ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة والصدقة تطفى الحطية وقيام الليل في جوف الليل » وتلاه هذه الآية « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون » ورواه أيضا من حديث الثوري عن منصور بن العتير عن الحكم بن عيمون بن أبي شبيب عن معاذ عن النبي ﷺ بنحوه ومن حديث الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت والحكم بن عيمون بن أبي شبيب

عن معاذ مرفوعاً بنحوه ومن حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر عن معاذ أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) قال « قيام الليل من الليل » وروى ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون حدثنا قطر بن خليفة عن حبيب بن أبي ثابت والحكم وحكيم بن جبير عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فقال « إن شئت نأتيك بأبواب الخير ، الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل » ثم تلا رسول الله ﷺ (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآية ثم قال حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله ﷺ « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء منادى بصوت يسمع الخلائق فيقول أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي لقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع - ألا يفتقونهم وهم قليل » وقال البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا الوليد بن عطاء بن الأغر حدثنا عبد الحميد بن سليمان حدثني مصعب بن زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال بلال لما نزلت هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآية كنا نجلس في المجلس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد للقرآن إلى الغداة فنزلت هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) ثم قال لا تعلم روى أسلم عن بلال سواء وليس له طريق عن بلال غير هذه الطريق وقوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) الآية أي فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعم للقيم والذات التي لم يطلع على مثلها أحد لما أخفوا أعمالهم كذلك أخفى الله لهم من الثواب ، جزاء وفاقاً فإن الجزاء من جنس العمل ، قال الحسن البصري : أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم يرعين ولم يخطر على قلب بشر . رواه ابن أبي حاتم . قال البخاري قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) الآية حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » قال أبو هريرة أقروا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) قال وحدثنا سفيان حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال الله مثله . قيل لسفيان رواية قال فأى شيء ؟ ورواه مسلم والترمذي من حديث سفيان بن عيينة به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال البخاري حدثنا إسحق بن نصر حدثنا أبو أسامة عن الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرنا من نعمنا ما لم نطلعهم عليه » ثم قرأ (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) قال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قرأ أبو هريرة (قرأت أعين) أنفرد به البخاري من هذا الوجه وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر بن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ « إن الله تعالى قال أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » أخرجه في الصحيحين من رواية عبد الرزاق قال ورواه الترمذي في التفسير وابن جرير من حديث عبد الرحمن بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وقال حماد بن سلمة عن ثابت بن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حماد أحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من يدخل الجنة يتم خمساً ، لا ينالها غيره ، ولا ينالها غيره ، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به وروى الإمام أحمد حدثنا هارون حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر أن أبا حازم حدثه قال سمعت سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يقول شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال في آخر حديثه « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ثم قرأ هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع - إلى قوله - يمدلون) وأخرجه مسلم في صحيحه عن هارون بن معروف وهارون بن سعيد كلاهما عن ابن وهب به

يخرج تعالى عن عدله وكرمه أنه لا يساوى في حكمه يوم القيامة من كان مؤمناً بآياته متباً لرسله بمن كان فاسقاً
أى خارجاً عن طاعة ربه يكذباً ورسلاً إليه كما قال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا
وعملوا الصالحات سواء بحيماء وعنتهم ساء ما يحكمون) وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفاسدين في
الأرض أم نجعل للثنتين كالثقل) وقال تعالى (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) الآية ولهذا قال تعالى ههنا
(أفن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستويون) أى عند الله يوم القيامة وقد ذكر عطاء بن يسار والصدى وغيرهما أنها نزلت
في طي بن أبى طالب وعقبة بن أبى معيط ولهذا فصل حكمهم فقال (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى صدقت قلوبهم
بآيات الله وعملوا بمقتضاها وهى الصالحات (فلهن جنات اللأوى) أى التى فيها الساكن والدور والثرف العالية (نزلنا)
أى ضيافة وكرامة (بما كانوا يعملون * وأما الذين فسقوا) أى خرجوا عن الطاعة فأسوأهم النار كلما أرادوا أن
يخرجوا منها أعيدوا فيها بكفوله (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) الآية قال الفضيل بن عياض
والله إن الأبدى لموتة وإن الأرجل هقيدة وإن القلب ليرفهم وللانكبة تهمهم (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار
الذى كنتم به تكذبون) أى يقال لهم ذلك عذراً وتوبيخاً . وقوله تعالى (ولندقيهم من العذاب الأدنى دون
العذاب الأكبر) قال ابن عباس معنى بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأقسامها وآفاتهما وإملاهم بأهلها بما يبذل الله به
عباده ليتوبوا إليه ؛ وروى مثله عن أبى بن كعب وأبى العالية والحسن وإبراهيم النخعى والشافع وعلمة وعطية
ومجاهد وقادة وعبد الكريم الجزرى وخسيف ، وقال ابن عباس فى رواية عنه معنى به إقامة الحدود عليهم . وقال
البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة معنى به عذاب القبر ، وقال النسائى أخبرنا عمرو بن طي أخبرنا عبد الرحمن بن مهادى
عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص وأبى عبيدة عن عبد الله (ولندقيهم من العذاب الأدنى دون العذاب
الأكبر) قال سنون أصابتهم ، وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنى عبد الله بن عمر القواريرى حدثنا يحيى بن سعيد بن
شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العوفى عن يحيى بن الجزار عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب فى هذه الآية
(ولندقيهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) قال القمى والسخان قد مضى بالبشارة والقرآن ، ورواه مسلم
من حديث شعبة به موقوف نحوه وعند البخارى عن ابن منعمود نحوه ، وقال عبد الله بن مسعود أيضاً فى رواية عنه
العذاب الأدنى ما أصابهم من القتل والسبي يوم بدر ، وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم قال السدى وغيره لم يبق بيت
بمكة إلا دخله الحزن على قتيل لهم أو أسير فأسيروا أو غرموا ومنهم من جمع له الأمران . وقوله تعالى (ومن أظلم
من ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) أى لا أظلم من ذكره الله بآياته وبينها له ووضحها ثم بعد ذلك تركها وجعلها
وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها . قال قتادة : لما كرم والإعراض عن ذكر الله فإن من أعرض عن ذكره فقد
اغترأكبر الترة وأعوز أشد العوز وعظم من أعظم الذنوب ، ولهذا قال تعالى متنبهاً لمن فعل ذلك (إنا من المجرمين
منتقمون) أى سأنتقم من فعل ذلك أشد الانتقام . وروى ابن جرير حدثنى عمران بن بكراً السكلاعى حدثنا محمد بن
البارك حدثنا إسماعيل بن عيسى حدثنا عبد العزيز بن حبيد الله عن عبادة بن نسي عن جنادة بن أمية عن معاذ بن جبل
قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث من فعلهن فقد أجرم ، من عقد لواء فى غير حق وأوقع والده
أو مشى مع ظالم يصمره فقد أجرم يقول الله تعالى (إنا من المجرمين منتقمون) ورواه ابن أبى حاتم من حديث إسماعيل
ابن نجيح به وهذا حديث غريب جداً .

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لَّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ • وَجَعَلْنَا
مِنْهُمْ آفَئَةً يَهُدُّونَ بِأَفْرَاقٍ لَا تَأْخُذُهُمْ وَلَا يَتَذَكَّرُونَ • إِن رَّبَّكَ هُوَ يَفْعَلُ بِهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)

يقول تعالى غيراً عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه آتاه الكتاب وهو التوراة ، وقوله تعالى (فلا تكن في مرة من لقائه) قال قتادة يعني به ليله الإسراء ثم روى عن أبي العالقة الرياحي قال حدثني ابن عم نبيك يعني ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « أريت ليلة أسري في موسى بن عمران رجلاً آدم طويلاً جليلاً كأنه من رجال شنوءة . ورايت عيسى رجلاً مبروح الخلق إلى الحمرة والياض سبط الرأس ، ورايت مالهكا خازن النار والدجال » في آيات أراه من الله إياه (فلا تكن في مرة من لقائه) أنه قد رأى موسى ولقي موسى ليلة أسري به .

وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا الحسن بن علي الحلواني حدثنا روح بن عباد حدثنا سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن أبي العالقة عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالى (وجعلناه هدى لئلي إسرائيل) قال جبل موسى هدى لئلي إسرائيل وفي قوله (فلا تكن في مرة من لقائه) قال من لقاء موسى ربه عز وجل وقوله تعالى (وجعلناه) أي الكتاب الذي آتينا به (هدى لئلي إسرائيل) كما قال تعالى في سورة الإسراء (وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه هدى لئلي إسرائيل أن لا تتخذوا من دوني وكيلاً) وقوله تعالى (وجعلناه أمّة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) أي لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك زواجره وصديق رسله واتباعهم فيما جاءهم به كان منهم أمّة يهدون إلى الحق بأمر الله ويندعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ثم لما بدلوا وحرّفوا وأولوا سلوا ذلك للقام وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه فلا عمل صالحاً ولا اعتقاداً صحيحاً ولهذا قال تعالى (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والقادة وسفيان لما صبروا عن الدنيا وكذلك قال الحسن ابن صالح قال سفيان هكذا كان هؤلاء ولا ينبغي للرجل أن يكون إماماً يقتدى به حتى يتعاضى عن الدنيا ، قال وكعب قال سفيان لا بد للدين من العلم كالابن للجسد من الحيز وقال ابن بنت الشافعي: قرأ أبي على عمي أوحى لي أبي سئل سفيان عن قول علي رضي الله عنه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ألم سمع قوله (وجعلناه أمّة يهدون بأمرنا لما صبروا) قال لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوساً قال بعض العلماء بالصبر واليقين مثال الإمامة في الدين ولهذا قال تعالى (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم نبيا من الأمر) الآية كما قال هنا (إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي من الاعتقادات والأعمال

(أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مَن أَلْفَرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً أَفَلَا يَسْمَعُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ فَتَخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأُخْشُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ)

يقول تعالى أولم يهد لهم كَمْ أَهْلَكْنَا من قبلهم من الأمم للآية بتكذيبهم الرسل وخالفهم إياهم فيما جاءهم به من قوم السبل فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً) ولهذا قال (يمشون في مساجدكم) أي وهؤلاء الكذابين يمشون فيما كن أولئك للكذابين ، فلا يرون فيها أجداً عن كان يسكنها ويسمرها ذهبوا منها (كأن لم ينزوا فيها) كأنهم قتلوا في بيوتهم خاوية بما ظلموا) وقال (وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبشر مطقة وقصر مشيد أقم يسروا في الأرض - إلى قوله - ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) ولهذا قال ههنا (إن في ذلك لآيات) أي إن في ذهاب أولئك القوم ومدارهم ومخالجهم بسبب تكذيبهم الرسل ونجاة من آمن بهم آيات وعبرا ومواعظ ودلائل متناظرة (أفلا يسمعون) أي أخبار من تقدم كيف كان أمرهم وقوله تعالى (أولم يروا أننا نسوق الماء إلى الأرض الجزر) بين تعالى لطفه خلقه وإحسانه إليهم في إرساله للماء إما من السماء أو من السبح وهو ما يحمله الأنهار وينحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته ولهذا قال تعالى (إلى الأرض الجزر) وهي التي لا نبات فيها كما قال تعالى (وإننا لجاعلون ما عليها خسراناً جزيلاً) أي

ييساً لا تبت عينا ، وليس للراد من قوله (إلى الأرض الجرز) أرض مصر فقط بل هي بعض القصور وإن مثلها كثير من التفسيرين فليست هي المقصودة وحدها ولكنها مرادة قطعا من هذه الآية فأنها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء نزل عليها مطراً تهبط أنبتها فيسوق الله تعالى إليها النيل بما يتجمعه من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة وفيه طين أحمر فينقى أرض مصر وهي أرض سيخة مرملية تحتاج إلى ذلك الماء ، وذلك الطين أيضا لينبت الزرع فيه فيستغلون كل سنة على ما وجد من بطور في غير بلادهم وطين جديد من غير أرضهم فيسبحان الحكيم الكريم التائب الحمود أبداً ، قال ابن طيعة عن قيس بن حجاج عن حدثه قال : لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص وكان أميراً بها حين دخل بؤونة من أشهر العجم فقالوا أيها الأمير إن ثلثنا هذا سنة لا يجرى إلينا بها . قال وما ذاك قالوا إذا كانت ثلثنا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أيوبها فأرضينا أيوبها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم أقمناها في هذا النيل فقال لهم عمرو إن هذا لا يكون في الإسلام ، إن الإسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا بؤونة والنيل لا يجرى حتى هموا بالجلاد فصكت عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب إليه عمر إنك قد أصبت بالي فقلت ، وقد بشت إليك بيطاعة داخل كتابي هذا فألقها في النيل ففما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر أما بعد فإنك إن كنت إنما يجرى من قبلك فلا يجرى ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجرى فنسأل الله أن يجرى بك . قال فألقى البطاقة في النيل فأصبعوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، وقد قطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم . رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي الطبري في كتاب السنة له . ولهذا قال تعالى (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً كل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يصرون) كما قال تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صبنا للماء صبا) الآية ولهذا قال ههنا (أفلا يصرون) وقال ابن أبي نجيع عن رجل عن ابن عباس في قوله (إلى الأرض الجرز) قال هي التي لا تخطر إلا مطراً لا ينفع عنها شيئاً إلا ما يأتيها من السيول ، وعن ابن عباس ومجاهد هي أرض اليمن ، وقال الحسن رحمه الله هي قرى فباين اليمن والشام . وقال عكرمة والضحاك وقادة والسدي وابن زيد الأرض الجرز التي لا نبات فيها وهي مغبرة قلت وهذا كقوله تعالى (وآية لهم الأرض للتي أحييناها) الآيتين

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ • فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِلَهُكُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن استعجال الكفار ووقوع بأس الله بهم وحلول غضبه ونقمته عليهم استبعاداً وتكديفاً وعناداً (ويقولون متى هذا الفتح) أي متى تصر علينا يا محمد كما تزعم أن لك وقتاً تدال علينا وينفك منك منا فتى يكون هذا ما نراك أنت وأصحابك الإسلاميين خائفين ذليلاً قال الله تعالى (قل يوم الفتح) أي إذا حل بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الآخرة (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون) كما قال تعالى (فلما جاءهم رسلم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) الآيتين . ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أهد النجدة ، وأخطأ فأفحش ، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ لإسلام الطلقاء وقد كانوا قريباً من الفتح ، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله تعالى (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون) وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل كقوله (فاتضح بيني وبينهم فتحا) الآية وكقوله (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتن بيننا بالحق) الآية وقال تعالى (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) وقال تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) وقال تعالى (إن استفتحوا قد جاءك الفتح) ثم قال تعالى (فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون) أي أعرض عن هؤلاء للشركين وبلغ ما أنزل إليك من ربك كقوله تعالى (اتبع ما أوحى إليك من ربك لإله إلا هو) الآية وانتظر فإن الله سينجز لك

ما وعدك وسينصرك على من خافك إنه لا يخلف ليعاء وقوله (إني منتظرون) أي أنت منتظر وهم منتظرون
وتبرصون بكم الدوائر (أم يقولون شاعر ترقى به ريب للنون) وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء
رسالة الله في نصرته وتأييده وسيدجون غيب ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك من وييل عقاب الله لهم وحول عذابه
بهم وحسبنا الله ونعم الوكيل آخر تفسير سورة السجدة والله الحمد والمنة

(تفسير سورة الاحزاب وهي مدنية)

قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن هشام حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهمة عن زر قال : قال لي أبي بن كعب كآين
تقرأ سورة الاحزاب أو كآين تملها ؟ قال قلت ثلاثا وسبعين آية فقال قط لقد رأيتهما وإني لتمادل سورة البقرة
ولقد قرأنا فيها الشيخ والفيحة وأنا زينا فارجعوا البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ورواه النسائي من وجه آخر
عن عاصم وهو ابن أبي الجود وهو أبو بهمة به ، وهذا إسناد حسن وهو يقتضي أنه قد كان فيها قرآن ثم نسخ
لفظه وحكمه أيضا والله أعلم

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُطِيعُوا الْكُفْرِينَ وَالشَّافِقِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا أَنْ يَأْمُرَ بِالسَّعْيِ مَا يَأْمُرُ
إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ إِنْ هُوَ إِلَّا أَنْ يَأْمُرَ بِالسَّعْيِ مَا يَأْمُرُ)

هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى فانه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلا يأمر من دونه بذلك بطريق الأولى
والأخرى ، وقد قال طلق بن حبيب : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك مصيبة
الله على نور من الله خوفا من عذاب الله . قوله تعالى (ولا تطيعوا الكافرين والمنافقين) أي لا تسمع منهم ولا تسلمهم
(إن الله كان عليا حكيم) أي فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه فانه علم بمواقب الأمور حكيم في أقواله وأفعاله
ولهذا قال تعالى (واتبع ما يوحى إليك من ربك) أي من قرآن وسنة (إن الله كان بما تعملون خبير) أي فلا تخفى عليه خافية
وتوكل على الله أي في جميع أموركم وأحوالكم (وكفى بالله وكيفا) أي وكفى به وكيفا لمن توكل عليه وأتاب إليه

(مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُوفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي فُتِّهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ
أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ)

يقول تعالى موطن قبل التصود للنوى أمرا معروفا حسيا وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه
ولا تصير زوجته التي يظهر منها بقوله أنت على كظهر أي أماله ، كذلك لا يصير الدمى وادا للرجل إذا تبناه
فدناه ابنه فقال (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) كقوله عز
وجل (ما هن أمهاتهم) إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم الآية . وقوله تعالى (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) هذا هو المقصود
بالنفي فانه انزلت في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبناه
قبل النبوة فكان يقال له زيد بن محمد فأراد الله تعالى أن يقطع هذا اللحاق وهذه النسبة بقوله تعالى (وما جعل
أدعياءكم أبناءكم) كما قال تعالى في أثناء السورة (ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)

وكان الله بكل شيء عليا) وقال هبنا (ذلكم قولكم بأفواهكم) يعني تنبئكم لم قول لا يقتضى أن يكون ابنا حقيقيا
فانه مخلوق من صلب رجل آخر فما يمكن أن يكون له أبوان كالا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان (والله يقول الحق
وهو يهدي السبيل) قال سعيد بن جبير (يقول الحق) أي العدل ، وقال قتادة (وهو يهدي السبيل) أي الصراط المستقيم
وقد ذكر غير واحد أن هذه الآية نزلت في رجل من قريش كان يقال له ذو القليين وأنه كان يزعم أن له قليين كل
منهما يقتل واقر فأنزله الله تعالى هذه الآية ردا عليه . هكذا روى السوفى عن ابن عباس ، وقاله بجاهد ومكرمة
والحسن وقاتدة واختاره ابن جرير . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن قابوس يعني ابن أبي طيخان قال
إن أباه حدثه قال قلت لابن عباس رأيت قول الله تعالى (ما جعل الله لرجل من قليين في جوفه) ما عني بذلك قال قام
رسول الله ﷺ يوما يسلي فخطر خطرة فقال للناقصون الذين يسلون منه ألا ترون له قليين قلبا معه
وقلبا معهم فأنزله الله تعالى (ما جعل الله لرجل من قليين في جوفه) وهكذا رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن
الهمداني عن ساعد الحارثي عن عبد بن حميد عن أحمد بن يونس كلاهما عن زهير وهو ابن معاوية به ثم قال وهذا حديث
حسن ، وكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زهير به . وقال عبد الرزاق أن خبرنا معمر عن الزهري في قوله
(ما جعل الله لرجل من قليين في جوفه) قال بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثل : يقول ليس ابن رجل آخر
ابنك وكذا قال بجاهد وقاتدة وابن زيد أنها نزلت في زيد بن حارثة رضى الله عنه ، وهذا يوافق ما قدمنا من التفسير
والله سبحانه وتعالى أعلم . وقوله عز وجل (ادعوم لأبائهم هو أوسط عند الله) هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء
الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب وهم الأعداء فأمر تبارك وتعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة وأن هذا
هو العدل والوسط والبر . قال البخاري رحمه الله حدثنا معلى بن أسد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة قال
حدثني سالم عن عبد الله بن عمر قال إن زيد بن حارثة رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه
إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن (ادعوم لأبائهم هو أوسط عند الله) وأخرجه مسلم والترمذى والنسائي من طرق عن
موسى بن عقبة . وقد كانوا يماثلونهم بمعاملة الأبناء من كل وجه في الخلوة بالخارج وغير ذلك ، ولهذا قالت سهلة بنت سهيل
امراة أبي حذيفة رضى الله عنها يا رسول الله كنا ندعو سالما ابنا وإن الله قد أنزل ما أنزل وإنه كان يدخل على
وإني أجد في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا ، فقال صلى الله عليه وسلم « أرضعني تحري عليه » الحديث ، ولهذا لما
نسح هذا الحكم أباح تبارك وتعالى زوجة الدعى ، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش
مطلقة زيد بن حارثة رضى الله عنه ، وقال عز وجل (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم إذا قضوا أمتهن
وطرأ) وقال تبارك وتعالى في آية التحريم (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) احترازاً عن زوجة الدعى فانه
ليس من الصلب فأما الابن من الرضاة فنزل منزلة ابن الصلب شرعا بقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين « حرما
من الرضاة من يحرم من النسب » فأما دعوة التبر ابنا على سبيل التكريم والتعجيل فليس بها نهي عنه في هذه الآية
بدليل ما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذى من حديث سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن الحسن الرضى عن
ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أغيلة بنى عبد المطلب على جمرات لنا من
جمع ففضل بطلع أنفخاذا ويقول « أبى لا ترموا الحجر حتى تطلع الشمس » قال أبو عبيدة وغيره أبى صغير أبى وهذا ظاهر
الدلالة فان هذا كان في حجة الوداع سنة عشر . وقوله (ادعوم لأبائهم) في شأن زيد بن حارثة رضى الله عنه وقد نزل
في يوم مؤتة سنة ثمان وأيضاً ففى صحيح مسلم من حديث أبى عوانة الوضاح بن عبد الله الشكري عن الجعد أبي عثمان
البصرى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ « يا بنى » ورواه أبو داود والترمذى ، وقوله
عز وجل (فان لم تعلموا آباءهم فليخو انكم في الدين ومواليكم) أمر تعالى برد أنساب الأعداء إلى آبائهم إن عرفوا فإن لم
يعرفوا فهم إخوانهم في الدين ومواليهم أى عوضا عما قاتهم من النسب ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم خرج من مكة عام حجرة القضاء وتبعهم ابنة حمزة رضى الله عنها تتادى ياعم يا عم فأخذها على رضى الله عنه

وقال لما طلع رضى الله عنها دونك اية عمك ، فاحتلمنا فاختصم فيها على يزيد وجعفر رضى الله عنهم فى ايمهم يكلمها
فكل ادى بحجة . فقال على رضى الله عنه انا احق بها وهى اية عمى ، وقال زيدبانة اخى ، وقال جعفر بن ابي طالب
اية عمى وخالتها حتى يبنى اسماء بنت حميس ، قضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال « الحالة بمنزلة الأم »
وقال لعلى رضى الله عنه « أنت منى وأنا منك » وقال لجعفر رضى الله عنه « أشبهت خلقى وخلقى » وقال يزيد رضى
الله عنه « أنت اخوتنا ومولانا » فى هذا الحديث أحكم كثيرة من أحسنها أنه عليه السلام حكم بالحق وأرضى كلا من
المتنازعين وقال يزيد رضى الله عنه « أنت اخوتنا ومولانا » كاتال تعالى (فإخوانكم فى الدين ومواليكم) وقال ابن
جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عتبة عن عينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال أبو بكر رضى الله عنه
قال الله عز وجل (ادعوم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم) فأنما بمن
لا يعرف أبوه فأنما من إخوانكم فى الدين ، قال أبى والله إنى لأظنه أنه لو علم أن أباه كان حاررا لانتسب إليه وقد جاء
فى الحديث « ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يسهله إلا كفر » وهذا تشديد وتهديد ووعد أ كيد فى التبرى من النسب
المعلوم ولهذا قال تعالى (ادعوم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم) ثم قال
تعالى (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أى إذا نسبتم بسنهم إلى غير أبيه فى الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد واستغراق
الوسع فإن الله تعالى قد وضع الحرج فى الخطأ ورفع عنه كما أرشد إليه فى قوله تبارك وتعالى آمرا عباده أن يقولوا
(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) وثبت فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله
عز وجل قد فعلت » . وفى صحيح البخارى عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر » وفى الحديث الآخر « إن الله تعالى رفع
عن أمى الخطأ والنسيان والأمر الذى يكرهون عليه » وقال تبارك وتعالى ههنا (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به
ولكن ما عمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحبا) أى وإما الإثم الذى من تعدد الباطل كما قال عز وجل (لا يؤاخذكم
الله بالغو فى أيمانكم) الآية . وفى الحديث المتقدم « ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يسهله إلا كفر » وفى القرآن للتسويغ
فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آياتكم . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن عمرو رضى الله عنهم أنه قال : إن الله تعالى بث عهدا صلى الله عليه وسلم
بالحق وأزل معال الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجنا بعده ، ثم قال
قد كنا نقرأ (ولا ترغبوا عن آياتكم فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آياتكم) وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
« لا تنظرونى كما أنظرى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فأنما أنا عبد الله فقولوا عبده ورسوله » وربما قال معمر « كما
أطرت النصارى ابن مريم » ورواه فى الحديث الآخر « ثلاث فى الناس كفر ، الطعن فى النسب ، والنياحة على البيت .
والاستسقاء بالنجوم » .

﴿ الَّذِينَ آؤُوا بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ أَسْمُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَنْ تَقْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَتْرُوقًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾

قد علم الله تعالى شفقة رسوله عليه السلام على أمته ونصحه لهم فحفظه أولى بهم من أنفسهم ، وحكمه فيهم كان
مقدما على اختيارهم لأنفسهم كما قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وفى الصحيح « والذى تقضى يده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه
وماله وولده والناس أجمعين » وفى الصحيح أيضا أن عمر رضى الله عنه قال يارسول الله والله لأنت أحب إلى من
كل شيء إلا من شئى ، فقال صلى الله عليه وسلم « لا ياعمر حتى أكون أحب إليك من نفسك . فقال يارسول الله

والله لأنت أحب إلى من كل شيء حتى من نفسي ، فقال صلى الله عليه وسلم « الآن يا عمر » ولهذا قال تعالى في هذه الآية (التي أولى المؤمنين من أنفسهم) ، وقال البخاري عنده هذه الآية الكريمة حدثنا إبراهيم بن النضر حدثنا محمد بن فليح حدثنا أبي عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة : اقرءوا إن شئتم (التي أولى المؤمنين من أنفسهم) فأما مؤمن ترك مالا فليبره عصبت من كانوا ، وإن ترك ديناً أو ضيقاً فليأتني فأنا مولاه » فخره البخاري ورواه أيضاً في الاستقراض وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن فليح به مثله ، ورواه أحمد من حديث أبي حنيفة عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بنحوه ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله (التي أولى المؤمنين من أنفسهم) عن أبي سلفة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ كان يقول « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فأما رجل مات وترك ديناً فلي ، ومن ترك مالا فهو لورثته » ورواه أبو داود عن أحمد ابن حنبل به نحوه وقوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) أي في الحرمة والاحترام ، والتوقير والاكرام والاعظام ، ولكن لا يجوز الخلوة بين ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالاجماع ، وإن سمى بعض العلماء بناتهن أخوات المؤمنين كما هو منصوص الشافعي رضي الله عنه في المختصر ، وهو من باب إطلاق العبارة لإثبات الحكم ، وهل يقال للمأوى وأمثاله خال للمؤمنين ؟ فيه قولان للعلماء رضي الله عنه على أنه لا يقال ذلك ، وهل يقال لمن أمهات المؤمنات فيدخل النساء في جمع للذكر السالم تلياً ؟ فيه قولان ، صرح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لا يقال ذلك وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه . وقد روى عن أبي بكر بن عباس رضي الله عنهما رضي الله عنهما أنها قرأت (التي أولى المؤمنين من أنفسهم) وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم . وروى نحو هذا عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه . حكاه الباقون وغيره واستأنسوا عليه بالحديث الذي رواه أبو داود رحمه الله حدثنا عبد الله بن محمد النخعي حدثنا ابن المبارك عن محمد بن عجلان عن القتيبي عن حكيم بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب يمينه » وكان يأمر بثلاثة أحجار ونهى عن الروث والرمة . وأخرج النسائي وابن ماجه من حديث ابن عجلان ، والوجه الثاني أنه لا يقال ذلك واحتجوا بقوله تعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) . وقوله تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) أي في حكم الله (من المؤمنين والمهاجرين) أي القربات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالخلف وللؤاخاة التي كانت بينهم كما قال ابن عباس وغيره : كان المهاجري يرث الأنصاري دون قربائه وذوي رحمه للأخوة التي آخى بينهما رسول الله ﷺ ، وكذا قال سعيد بن جبير وغير واحد من السلف والخلف . وقد أورد فيه ابن أبي حاتم حديثاً عن الزبير بن العوام فقال حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي بكر الصفي من سائر كوفيين عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال أنزل الله عز وجل فينا خاصة معشر قريش والأنصار (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) وذلك أنا معشر قريش لما قمنا للدينه قمنا ولا أموال لنا فوجدنا الأنصار فهم الإخوان فواخناهم ووارثناهم فآخى أبو بكر رضي الله عنه خارجة بن زيد ، وآخى عمر رضي الله عنه فلانا ، وآخى عثمان رضي الله عنه رجلاً من بني زريق ابن سعد الزرقى ويقول بعض الناس غيره قال الزبير رضي الله عنه وواخيت أنا كعب بن مالك فبنته فابنته فوجدت السلاح قد قتلته فبأبى فوالله أبى لومات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري حتى أنزل الله تعالى هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة فرجنا إلى موارثنا . وقوله تعالى (إلا أن ضلوا إلى أوليائكم معروفات) أي ذهب للبراث وبقي النصر والبر والصفة والاحسان والوصية ، وقوله تعالى (كان ذلك في الكتاب مسطوراً) أي هذا الحكم وهو أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول الذي لا يبدل ولا

بشر . قاله مجاهد وغير واحد وإن كان تعالى قد شرع خلافه في وقت لاله في ذلك من الحكمة البالغة وهو يعلم أنه سيستخسه إلى ما هو جار في قدره الأزلي وقضائه القدرى الشرعى والله أعلم .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَمْ نُوْحٌ وَإِبْرَاهِيْمُ وَمُوسٰى وَعِيسٰى ابْنُ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۚ لَيْسَ لِلْكَافِرِيْنَ مِنْ صِدْقِهِمْ أَعْدٌ لِّلْكَافِرِيْنَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾

يقول تعالى غيراً عن أولى العزم الحجة وبقية الأنبياء أنه أخذ عليهم العهد واليثاق في إقامة دين الله تعالى وإبلاغ رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق كما قال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقرنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) فهذا العهد واليثاق أخذ عليهم بعد إرسالهم وكذلك هذا ، وض من بينهم على هؤلاء الحجة وهم أولو العزم وهو من باب عطف الحاصل على الصام وقد صرح بذكرهم أيضاً في هذه الآية وفي قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فذكر الطرفين والوسط القاطع والخاتم ومن بينهما على الترتيب فهذه هي الوصية التي أخذ عليهم اليثاق بها كما قال تعالى (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) فبدأ في هذه الآية بالخاتم لشرقه صلوات الله عليه ثم ربهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة السعدي حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد بن بشر حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قول الله تعالى (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأي قبلهم » سعيد بن بشر فيه ضعف ، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسل وهو أشبه ، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفاً والله أعلم . وقال أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو أحمد حدثنا حمزة الأرقط حدثنا عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وعمراد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم . موقوف وحزمة فيه ضعف ، وقد قيل إن المراد بهذا اليثاق الذي أخذ منهم حين أخرجوا في صورة النار من صلب آدم عليه الصلاة والسلام كما قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العباس عن أبي بن كعب قال : ورفع أباهم آدم فنظر إليهم يعني خديته وأن فيهم النبي والفقيه وحسن الصورة ودون ذلك قال : رب لوسوت بين عبادك فقال : إني أحببت أن أشكر . ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوصاً بميثاق آخرهم الرسالة والنبوة وهو الذي يقول الله تعالى (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وهذا قول مجاهد أيضاً ، وقال ابن عباس : لليثاق التليظ العهد وقوله تعالى (ليسال الصادقين عن صدقهم) قال مجاهد للبين المؤدين عن الرسل ، وقوله تعالى (وأعد للكَافِرِيْنَ) أي من أهمهم (عذاباً أليماً) أي موجعاً فمن شهد أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ونصحوا الأم وأصباحوا لهم عن الحق للبين الواضع الجلي الذي لا يس فيه ولا شك ولا امتراء وإن كتبهم من كذبهم من الجهلة والماندين واللازقين والقاسطين ، لما جاءت به الرسل هو الحق ومن خالفهم فهو على الضلال كما يقول أهل الجنة (قد جابت رسل ربنا بالحق)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ مُجُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ قَوْمِكُمْ وَهِيَ أَصْفَلُ بِكُمْ فَأَذِنْتُمُ لَهُمُ اتِّبَاعَهُمْ وَبَلَغْتَ الْقُلُوبُ الْحُنَاجِرَ وَتَوَلَّوْا بِأَلْسِنَتِكُمْ ۝﴾

يقول تعالى خبرا عن نعمته وفصله وإحسانه إلى عباده المؤمنين في صفة أعداءهم وهزمه أيام عام تألبوا عليهم وغزبوا وذلك عام الحندق ، وذلك في ثلاث سنة خمس من الهجرة على الصحيح للجمهور ، وقال موسى بن عبيدة وغيره كان في سنة أربع وكان سبب قدوم الأحزاب أن غراما من أشرف يهودي النضير الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى خيبر منهم سالم بن أبي الحقيق وسالم بن مشكم وكنانة بن الربيع خرجوا إلى مكة فاجتمعوا بأشراف قريش وأبومى على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وودعهم من أنفسهم النصر والاعانة فاجابوهم إلى ذلك ثم خرجوا إلى غطفان فدعوم فاستجابوا لهم أيضا ، وخرجت قريش في حاضيتها ومن تابعها وقتلهم أبو سفيان صخر بن حرب ، وعلى غطفان عينه بن حسن بن بدر ، والجميع قريب من عشرة آلاف فلما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصر أمر المسلمين بغفر الحندق حول المدينة مما إلى الشرق ، وذلك بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فصل للمسلمون فيه واجتهدوا وقتل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وحفر ، وكان في حفره ذلك آيات بينات ودلائل واضحات ، وجاء للمشركون فزولوا شرقي للمدينة قريبا من أحد وزلت طاقة منهم في أعالي أرض للمدينة كما قال الله تعالى (إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم) وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وهم نحو من ثلاثة آلاف وقيل سبعة فاستندوا ظهورهم إلى سلع وجوههم إلى نحو المدو ، والحندق خير ليس فيه ماء بينهم وبينهم يجب الحياة والرجاء أن تصل إليهم وحمل النساء والعرارى في أعالي للمدينة ، وكانت بوقريظطة طائفة من اليهود لهم حصن شرقي للمدينة ولهم حصن من النبي صلى الله عليه وسلم ودمه وهم قريب من ثمانمائة مقاتل فذهب إليهم حتى بن أخطب النضري فلم يزل بهم حتى تشقوا العهد ومالوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمظلم الحطب واعتد الأمر وضاق الحال كما قال الله تبارك وتعالى (هناك ابتلى المؤمنين وزلزالا شديدا) وسكوا غاصرين لاني صلى الله عليه وسلم وأصحابه قريسا من شهر إلى أشهر لا يصلون إليهم ولم يقع بينهم قتال ، إلا أن عمرو بن عبد ود العامري وكان من الفرسان الشجعان للشهورين في الجاهلية ركب معه فوارس فاتحوا الحندق وخلصوا إلى ناحية للمسلمين فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيل المسلمين إليه فيقال إنه لم يزل إليه أحد ، فأمر عليا رضي الله عنه فتخرج إليه فتجاولوا ساعة ثم قتل على رضي الله عنه فكان علامة على النصر . ثم أرسل الله عز وجل على الأحزاب رجلا شديدة المهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيلة ولا شيء ، ولا توجد لهم نار ولا يقرهم قرار حتى ارتحلوا خائفين خاسرين كما قال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم رجلا وجنوا) قال مجاهد وهي الصبا ، ويؤيده الحديث الآخر « نصرت بالصبا وأهلك ما باليد » وقال ابن جرير حدثني محمد بن الحسن حدثنا عبد الله حدثنا داود عن عكرمة قال : قالت الجنوب لرجال لية الأحزاب انطلق تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لرجال إن الحرة لا تسرى بأبيل قال : فكانت الرع التي أرسلت عليهم الصبا ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن حصن بن غياث عن داود عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره وقال ابن جرير أيضا حدثنا يونس حدثنا ابن وهب حدثني عبيد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال أرسلني خالي عثمان ابن مظعون رضي الله عنه لية الحندق في برد شديد ورجع إلى المدينة فقال اتنا بطعام ولحاف قال فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي وقال « من أثبت من أصحابي جرمهم يرجعوا » قال فنهبت والرع تسقى كل شيء فجعلت لا أتقي أحد إلا أمرته بالرجوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال فما يولى أحد منهم عتقه ، قال وكان معي ترس لي فكانت الرع تقربه على وكان فيه حديد قال فضرته الرمح حتى وقع بعض ذلك الحديد لي كفي فأيدها إلى الأرض .

وقوله (وجنودا لم يروها) هم الملائكة زارتهم وأتت في قلوبهم العرب والخوف فكان رئيس كل قبيلة يقول يا ابن فلان إلى فيجتمعون إليه فيقول: التجاء، التجاء ما أتى الله من وجل في قلوبهم من العرب ، وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : قال في من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان رضى الله عنه يا أبا عبد الله أترى رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وسلم وصحبته ؟ قال: نعم يا ابن أخي قال وكف كنتم تسمون ؟ قال والله لقد كنا نجهد ، قال الفتي والله لو أدركناه

ما تركناه يمشى على الأرض ولجناه على أعناقنا . قال : قال حذيفة رضى الله عنه يا ابن أخى والله لو رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالحنق وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يا من الليل ثم التفت فقال « من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ؟ » يشترط له النبي ﷺ أن يرجع - أدخله الله الجنة » قال فما قام رجل ، ثم صلى رسول الله ﷺ هويا من الليل ثم التفت إلىنا فقال الله ، فما قام منا رجل ، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت إلىنا فقال « من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع » - يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيق في الجنة » فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يبق أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي يد من القيام حين دعاني فقال ﷺ « يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا » قال فنهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله عز وجل تفعل بهم ما تفعل لا حرم قرار ولا ناراً ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يا مشرق قرشي لينظر كل امرئ من جلسه . قال حذيفة رضى الله عنه فأخذت بيد الرجل الذى إلى جنبي فقلت من أنت فقال أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان يا مشرق قرشي إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع وأخلفتنا بنو قريظة وبلتنا عنهم الذى نكره ولقبنا من هذه الريح ما ترون والله ما علمتم لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتجوا فاني مرحت ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني لو شئت لقتلته بسهم ، قال حذيفة رضى الله عنه فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يمشى في مرط لبعض نسائه مرحل فلما رأيته أدخلني بين رجله وطرح على طرف المرط ثم ركع وسجدوا لي فيه ، فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت ضطكان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : كنا عند حذيفة بن اليمان رضى الله عنه فقال له رجل لو أدركت رسول الله ﷺ فقلت معه وأجليت : فقال له حذيفة أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب في ليلة ذات رجب شديدة وقر قال رسول الله ﷺ « ألا رجل يأتى غير القوم يكون معي يوم القيامة » فلم يجبه منا أحد ثم الثانية ثم الثالثة مثله ثم قال صلى الله عليه وسلم « يا حذيفة قم فأتنا بخبر من القوم » فلم أجد بدا إلا دعاني باسمي أن أقوم فقال « اتق بخبر القوم ولا تدعهم على » قال فضيت كاعا أمشى في حمام حتى أتيتهم فإذا أبو سفيان يمشى ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد قوسى وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعهم على ولو رميته لأسبته قال فرجعت كاعا أمشى في حمام فأعيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أما بى البرد حين فرغت وقررت فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وألبسى من فقل عبادة كانت عليه يمشى فيها فلم أزل نائما حتى الصبح فلما أن أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قم يا نومان » ورواه يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال إن رجلا قال لحذيفة رضى الله عنه تفكروا إلى الله سبحانه رسول الله ﷺ إنكم أدر كنتموه ولم ندره ورايتهم ولم نره فقال حذيفة رضى الله عنه ونحن تفكروا إلى الله إيمانكم به ولم نره والله لا تدري يا ابن أخى لو أدركته كيف كنت تكون لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الحندق في ليلة باردة مطيرة ثم ذكر نحو ما تقدم مطولا . وروى بلال ابن رباح البسى عن حذيفة رضى الله عنه نحو ذلك أيضا وقد أخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عكرمة ابن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلى عن عبد العزيز بن أخى حذيفة قال ذكر حذيفة رضى الله عنه مشاهد مع رسول الله ﷺ فقال جلساءه أما والله لو شهدنا ذلك لكننا فعلنا وفعلنا . قال حذيفة لا نغوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعودا وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة لليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا في أصوات رعيها أمثال الصواعق وهى ظلمة ما يرى أحدنا أصميه فحصل لنا نقون يستأذنون النبي ﷺ ويقولون : إن يوتنا عورة وما هي عبورة ، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ، وإذا نلهم فليسلون أو نحن ثلثائة ونحن ذلك

إِذَا اسْتَقْبَلَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا رَجُلًا حَتَّى آتَى عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الصَّدْوِ وَلَا مِنَ الْبَرْدِ إِلَّا مَرُطًا لَامِرَاتِي مَا يَجَاوِزُ رَكْبَتِي قَالَ فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا جَائِعٌ عَلَى رَكْبَتِي فَقَالَ « مِنْ هَذَا ؟ » قُلْتُ حَدِيْقَةٌ قَالَ « حَدِيْقَةٌ » فَقَاصَرْتُ الْأَرْضَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَرَاهِيَةُ أَنْ أَقُومَ قَعْمَتُ فَقَالَ « إِنَّكَ كَائِنٌ فِي الْقَوْمِ خَيْرٌ فَأَتْنِي بِخَيْرِ الْقَوْمِ » قَالَ وَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّاسِ فَرَمَا وَأَهْضَمَ قَرَأَ قَالَ فَخَرَجْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اللَّهُمَّ احْظُمْنِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ قُوَّتِهِ وَمِنْ نَعْتِهِ » قَالَ فَوَاللَّهِ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَمًا وَلَا قَرَمًا فِي جَوْفِي إِلَّا خَرَجَ مِنْ جَوْفِي شَيْءٌ أَجِدُ فِيهِ شَيْئًا قَالَ فَلَمَّا وَلِيْتُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « يَا حَدِيْقَةُ لَا تَحْدِثِي فِي الْقَوْمِ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي » قَالَ فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا دَنَوْتُ مِنْ عَسْكَرِ الْقَوْمِ نَظَرْتُ فِي ضَوْءِ تَارٍ لَمْ تَوَدَّ فَلَمَّا رَجُلٌ أَدَمُ ضَنْجٍ يَقُولُ يَسِدُهُ عَلَى النَّسَارِ وَيَسْعُ خَاصِرَتَهُ وَيَقُولُ: الرِّحْلُ الرِّحْلُ وَلَمْ أَكُنْ أَهْرَفُ أَبَا سَفْيَانَ قَبْلَ ذَلِكَ فَاتَّزَعَتْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي أَيْشُ الرِّيشِ فَأَضَعْتُ فِي كَبِدِ قَوْسِي لِأَرْمِي بِهِ فِي ضَوْءِ النَّارِ فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ « لَا تَحْدِثِي فِيهِمْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي » قَالَ فَأَمْسَكْتُ وَرَدَدْتُ سَهْمِي إِلَى كِنَانَتِي ثُمَّ إِنِّي شَجِيتُ نَفْسِي حَتَّى دَخَلْتُ الْعَسْكَرَ فَلَمَّا أَدْنَى النَّاسُ مِنِّي بَنُو عَامِرٍ يَقُولُونَ يَا آلَ عَامِرِ الرِّحْلُ الرِّحْلُ لِمَقَامِ لَكُمْ . وَإِذَا الرِّيحُ فِي عَسْكَرِكُمْ مَا تَجَاوِزُ عَسْكَرَكُمْ شَيْءًا فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتَ الْحِجَابَةِ فِي رِجَالِهِمْ وَفَرَشِهِمُ الرِّيحُ قَضَبِهِمْ بِهَا ثُمَّ خَرَجْتُ نَحْوَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا انْتَصَفْتُ فِي الطَّرِيقِ أَوْ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ إِذَا أَنَا بِنَحْوٍ مِنْ عَشْرِينَ فَارِسًا أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مَعْتَمِينَ فَقَالُوا أَخْبِرْ صَاحِبَكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَفَاهُ الْقَوْمَ ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ فِي فَخَّةٍ يَصِلُ فَوَاللَّهِ مَا عَدَا أَنْ رَجَعْتُ رَاجِعِي الْقَرَى وَجِئْتُ أَقْرَفُ فَأَوَامًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدُهُ وَهُوَ يَصِلُ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَأَسْبَلُ عَلَى فَخَّةٍ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبٌ بِأَمْرٍ صَلَّى فَأَخْبَرْتَهُ خَيْرَ الْقَوْمِ وَأَخْبَرْتَهُ آتَى رِكَتَهُمْ يَرْتَحِلُونَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُفِّرُوا بَعْثُهُمْ أَلَيْسَ بِهِمْ نِعْمَةٌ عَلَيْهِمْ إِذْ جَاءَكُمْ) بَنُو فَارِسٍ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجَالًا وَجُنُودًا لَمْ يَرَوْهَا وَكَانَ الْبَاءُ تَصْلُحُ لَهَا (بَصِيرًا) وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَةِ مَنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبٌ بِأَمْرٍ صَلَّى مِنْ حَدِيثِ عِكْرَمَةَ بْنِ عِمَارٍ بِهِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى (إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ قَوْسِكُمْ) أَيُّ الْأَحْزَابِ (وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْكُمْ) تَقْدِمُ عَنْ حَدِيثِ قُرَيْشٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْهُمْ بِتَوْفِيقِهِ (وَإِذَا غَاثَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) أَيُّ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْفَزَعِ (وَتَنْظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ ظَنُّ بَعْضٍ مِنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الدَّائِرَةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَّ الْفَسِيْفِلَ ذَلِكَ ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَإِذَا غَاثَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَتَنْظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) ظَنُّ لِلْمُؤْمِنِينَ كُلِّ ظَنٍّ وَنَجْمِ النَّفَاقِ حَتَّى قَالَ مَعْتَبُ بْنُ قُتَيْبٍ أَخُو أَبِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ كَانَ مُحَمَّدٌ يَدْعُو أَنْ تَأْكُلَ كَبُوزُ كَسْرَى وَقِيصَرُ وَاحِدًا لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُلْهَبَ إِلَى النَّاطِقِ ، وَقَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (وَتَنْظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) ظَنُّونَ غَضَلَةٌ ظَنُّ لِلنَّاقِثِينَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ يَتَأَمَّلُونَ . وَأَيْقَنَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ مَا وَعَدَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقٌّ وَأَنَّهُ سَيُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَامٍ الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو طَمْرَحٍ وَحَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو طَمْرٍ الْقُدْسِيُّ حَدَّثَنَا الزَّيْرِيُّ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَفَانَ بَرْنَى اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَجُلٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْنَا يَوْمَ الْحَنْدَقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ مِنْ شَيْءٍ يَقُولُ قَدْ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ؟ قَالَ ﷺ : نَمَ ، وَقَوْلُوا اللَّهُمَّ اسْرِعْ عَوْرَاتِنَا ، وَأَمِّنْ رَوَاتِنَا ، قَالَ فَضَرَبَ وَجْهَهُ أَعْدَاهُ بِالرَّيْحِ فَهَزَمَهُمُ بِالرَّيْحِ وَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ أَبِي طَمْرٍ الْقُدْسِيِّ

﴿ هَالِكٌ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَدُوِّرُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا ﴾ . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مُتَّعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولَهُ إِلَّا هُرُورًا . وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ الْيَمَنِ لَا يَرْبَ لَكُمْ قَارِعٌ وَبَسْتَانِذٌ قَرِينٌ مِنْهُمْ أَتِيهِمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُبَوِّذُنَا غُورَةٌ وَمَا جَاءَ بِسُورَةٍ إِلَّا فَرَقَانَا ﴿

يقول تعالى خبرا عن ذلك الحال حين تزلت الأحزاب حول المدينة وللسلون محصورون في غاية الجهد والضييق ورسول الله ﷺ بين أظهرهم أنهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلزلا شديدا فحينئذ ظهر التفاق وتكلم الدين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم (وإذا يقول للناقون والدين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) أما للتافي فنجم ثقاة ، والذي في قلبه شبهة أو حسكة شغف حاله تنتفس بما يجده من الوسواس في نفسه لتنفذ إعانة وشدة ما هو فيه من ضيق الحال ، وقوم آخرون قالوا كما قال الله تعالى (وإذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب بني المدينة كما جاء في الصحيح «أريت في المنام دار هجرتكم أرض بين حرتين فنذهب وهلى أنها هجر فلأنها هي يثرب» وفي لفظ للمدينة ، فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن منهدى حدثنا صالح بن عمر عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن البراء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى إنما هي طابة هي طابة» فهد به الإمام أحمد وفي إسناده ضعف والله أعلم ، وقال إنما كان أصل تسميتها يثرب برجل ثلها من المعاليق يقال له يثرب بن عبيد بن مهليل بن عوص بن حمال بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح . قاله السهيلي ، قال وروى عن بعضهم أنه قال إن لها في التوراة أحد عشر اسما : للمدينة وطابة وطيبة والسكينة والنجارة والمهبة والمحبوبة والقاصمة والمجبورة والسنداء والرحومة . وعن كعب الأشجاء قال : إنما نجد في التوراة يقول الله تعالى للمدينة يا طيبة ويا طيبة ولا مسكينة لا تقبلى الكنوز أرفع أحاجرك على أحاجر القري وقوله (لا مقام لكم) أى هنا ينون عند النبي صلى الله عليه وسلم في مقام الرابطة (فارجوا) أى إلى بيوتكم ومنازلكم (ويستأذن فريق منهم النبي) قال المولى عن ابن عباس رضى الله عنهما م ينوحارة قالوا يوتسا تخاف عليها السراق وكذا قال غير واحد ، وذكر ابن إسحاق أن القتال لذلك هو أوس بن قيطى ينى اعتشدوا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة أى ليس دونها ما يحجبها من العدو فهم يخشون عليها منهم قال الله تعالى (وما هي بعورة) أى ليست كما يزعمون (إن يريدون إلا فرارا) أى هربا من الزحف

(وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَفْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا النَّفْتَةَ لَأَتَوْهَا وَمَنَّا لِنَبْتَلِيَ بِهَا الْإِنْسِيْرَ * وَلَقَدْ كَانُوا عَهْدًا عَلَى اللَّهِ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُوكَ إِلَّا دَبْرًا * وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا * قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفَرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَسْمَعُونَ إِلَّا قِيلِيلًا * قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيْرًا)

خبر تعالى عن هؤلاء الدين (يقولون إن يوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا) أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة وقطر من أفطارها ثم سألوا النفثة وهي الدخول في الكفر لسكروا سرعا ولم لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفرج ، هكذا فسرها قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن جبرير وهذا دم لهم في غاية الدم ، ثم قال تعالى يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف أن لا يولوا الأديار ولا يفترون من الزحف (وكان عهد الله مسئولا) أى وإن الله سيألم عن ذلك العهد لابد . من ذلك ، ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم ولا يطول أعمارهم بل ربما كان ذلك سببا في تعجيل أخذهم غرة ولهذا قال تعالى (وإذا لا تخشون إلا قليلا) أى بد هربكم وفراركم (قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى) ثم قال تعالى (قل من ذا الذي يمسك من الله) أى يمنعكم (إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) أى ليس لهم ولا لتبرم من دون الله حير ولا مغيب .

(قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَمِئَةً عَلَيْهِمْ)

فَإِذَا جَاءَ أَخْلَافُ رَأْيِهِمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُشْتَقَىٰ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْبَتِ ۖ إِذَا ذَهَبَ أَخْلَافُكَ سَلَكُوكُم بِالسَّيْرِ حَذَا أَسْجَةِ عَلَى الْغَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٧﴾

يُخبر تعالى عن إحاطة علمه بالموثقين ليرحم من شهد الحرب والقائلين لإخوانهم أي أصحابهم وعشراتهم وخطابهم (هلم إلينا) أي إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار وهم مع ذلك (لا يأتون البأس إلا قليلا) أشعة عليكم أي غلاء بالورد والشفقة عليكم ، وقال السدي (أشعة عليكم) أي في القتال (فلذا جاء الخوف رأيهم) ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يشق عليه من اللوت (أي من شدة خوفه وجزعه ، وهكذا خوف هؤلاء الجناء من القتال (فلذا ذهب الخوف سلكوك بالسنة حداد) أي فلذا كان الأمن تكمّلوا كلاما يليقاً فصيحاً عالياً وادعوا لأنفسهم للقمامات العالية في الشجاعة والتجدة وهم يكذبون في ذلك ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما (سلكوك) أي استقبلوك ، وقال قتادة أما عندما التفتنا فأنشع قوم وأسوأهم فأسأعونا أعطونا قد شهدنا معكم ، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله لالحق وهم مع ذلك أشعة على الخير أي ليس فيهم خير قد جموا الجبن والكذب وقلة الخير فيهم كقتال في أمثالهم الشاعر:

أفي السلم أعيار جفاء وغلظة وفي الحرب أمثال النساء الموارك

أي في حال اللسالة كأنهم الحر ، والأعيار جمع عير وهو الحمار ، وفي الحرب كأنهم النساء الحبيض ، ولهذا قال تعالى (أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أفعالهم وكان ذلك على الله يسيراً) أي سهلاً هيناً عنده .

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَو أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُون عَنْ أُنْبِيَائِهِمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾

وهذا أيضاً من صفاتهم القبيحة في الجبن والخوف (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) بل هم قريب منهم وإن لم يذهبوا إليهم (وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبيائكم) أي يودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم مع حذوكم (ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا) أي ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قليلا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يمينهم والله سبحانه وتعالى العالم بهم .

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا وَلَمْ يَكُنْ يُؤْمِنُونَ إِلَّا الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَّقَ اللَّهُ وَأَنَّاسُهُ﴾

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر بتبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرايسته ومجاهدته وانظاره الفرج من ربه عز وجل وسلواته وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تعلقوا وتضجروا وتزولوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي هلا اتقديتم به وتأسيتم بشماله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) ثم قال تعالى خبراً عن عباده المؤمنين الصادقين بوعود الله لهم وجعله الماقية حاصلة لهم في الدنيا والآخرة فقال تعالى (ولا رأى المؤمنين الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) قال ابن عباس رضى الله عنهما وقاتدة يمينون قوله تعالى في سورة البقرة (لم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولا بأنكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول

الرسول والذين آمنوا معه من نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب) أى هذا ما وعدنا الله ورسوله من الأتلاء والاختيار والامتحان الذى يقبضه النصر القريب ولهذا قال تعالى (وصدق الله ورسوله) . وقوله تعالى (وما زلنا نرسلنا) دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم كما قال جمهور الأئمة إنه يزيد وينقص وقد قرنا ذلك فى أول شرح البخارى لله الحمد ولله ومضى قوله جلّت عظمتة (وما زلنا) أى ذلك الحال والظيق والشدة (إلا إنا) بالله (وتسلينا) أى إتيانا لأوامره وطاعة لرسوله ﷺ

(مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)
لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا)

لما ذكر عز وجل عن المنافقين أنهم هضوا العهد الذى كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الأديار ، وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد واليثاق (صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) قال بعضهم أجله وقال البخارى عهده وهو يرجع إلى الأول (ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) أى وما غيروا عهده الله ولا هضوه ولا بدلوه ، قال البخارى حدثنا أبو ايمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال : لما نسخنا للصحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه الذى جبل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) يتردد به البخارى بدون مسلم وأخرجه أحمد فى مستدرقه والترمذى والنسائى فى التفسير من سننهما من حديث الزهري به وقال الترمذى حسن صحيح وقال البخارى أيضا حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى حدثني أبي عن ثمة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال نرى هذه الآية زلت فى أنس بن النضر رضى الله عنه (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) الآية أخرجه البخارى من هذا الوجه ، ولكن لهواحد من طرق أخر . قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال : قال أنس : سمى أنس بن النضر رضى الله عنه سميت به لمشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر فشق عليه وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه لأن أراى الله تعالى مشهدا فبما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرى الله عز وجل ما أسنع . قال فهاب أن يقول غيرها فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد فاستقبل سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال له أنس رضى الله عنه يا أبا عمرو أين وإها لربع الجنة إني أجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل رضى الله عنه قال فوجد في جسده بضع وعمانون بين ضربة وطمعة ورمية قتلت أخته عمى الربيع ابنة النضر لما عرفت أخى إلا بيناته قال فنزلت هذه الآية (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) قال فكانوا يرون أنها زلت فيه ، وفى أصحابه رضى الله عنهم ورواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة ورواه النسائى أيضا وابن جرير من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه به نحوه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا حميد عن أنس رضى الله عنه قال إن عمه يبنى أنس بن النضر رضى الله عنه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين لأن أنشدهنى الله عز وجل قتالا للمشركين ليرى الله تعالى ما أسنع ، قال فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال : اللهم إني أعتر بك ما صنع هؤلاء - يبنى أصحابه - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يبنى المشركين - ثم تقدم فلقى سعد يبنى ابن معاذ رضى الله عنه دون أحد فقال أنا معك قال سعد رضى الله عنه فلم أستطع أن أصنع ما صنع قتلا قال فوجد فيه بضع وعمانون ضربة سيف وطمعة رمح ورمية سهم وكانوا يقولون فيه وفى أصحابه زلت (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) وأخرجه الترمذى فى التفسير عن عبد بن حميد والنسائى فيه أيضا عن إسحق بن إبراهيم كلاهما عن يزيد بن هرون به

وقال الترمذي حسن . وقد رواه البخاري في التمازي عن حسان بن حسان عن محمد بن طلحة عن مصرف عن حميد عن أنس رضي الله عنه به ولم يذكر نزول الآية ورواه ابن جرير من حديث الثعلبي بن سليمان عن حميد عن أنس رضي الله عنه به : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن الفضل السعدي حدثنا سليمان بن أيوب بن سليمان حدثنا عيسى بن موسى بن طلحة ابن عبيد الله حدثني أبي عن جدي عن موسى بن طلحة عن أبيه طلحة رضي الله عنه قال : لما أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد سعد للبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وعزى للسليمان بما أسأهم وأشهر بما لهم فيه من الأجر والشر ثم قرأ هذه الآية (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) الآية كلها ، فقام إليه رجل من المسلمين فقال يا رسول الله من هؤلاء ؟ فأقبلت وعلي ثوبان أخضران حصرمان فقال « أياها السائل هذا منهم » وكذا رواه ابن جرير من حديث سليمان بن أيوب الطلحي به ، وأخرجه الترمذي في التمهيد والثنايب أيضا وابن جرير من حديث يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى بن طلحة عن أبيهما رضي الله عنه به وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يونس وقال أيضا حدثنا أحمد بن عمار الأصبغ حدثنا أبو عامر - يعني القدي - حدثني إسحاق - يعني ابن طلحة بن عبيد الله - عن موسى بن طلحة قال : دخلت على معاوية رضي الله عنه فلما خرجت دعاني فقال ألا أضع عنك يا ابن أخي حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ؟ أشهد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « طلحة ممن قضى نحبه » ورواه ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الحماني عن إسحاق بن يحيى بن طلحة الطلحي عن موسى بن طلحة قال : قام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « طلحة ممن قضى نحبه » ولهذا قال بجاهد في قوله تعالى (فمنهم من قضى نحبه) يعني عهده (وممن من ينتظر) قال يوما فيه القتال فيصدق في التمام وقال الحسن (فمنهم من قضى نحبه) يعني موته على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر الموت على مثل ذلك ومنهم من لم يبدل تبديلا وكذا قال قتادة وابن زيد وقال بعضهم : نحبه نذرته وقوله تعالى (وما بدلوا تبديلا) أي وما غيروا عهدهم وبدلوا الوفاء بالندر ، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه وما تقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا (إن يوتنا عورة وما هي بعورة) إن يردون إلا فرارا ﷻ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأديار) وقوله تعالى (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويسعب المنافقين إن شاء أو يوب عليهم) أي إنما يخبر عياده بالخوف والزلزال ليعز الخبيث من الطيب فيظهر أمر هذا بالفعل وأمر هذا بالفعل مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه ولكن لا يذهب الحلق بملء فيه حتى يعملوا بما يعلمه منهم كما قال تعالى (ولنبأكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) فهذا علم بالشيء بعد كونه وإن كان العلم السابق حاصل به قبل وجوده : وكذا قال الله تعالى (ما كان الله ليجزى المؤمنين على ما أتم عليه حتى يعز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطعكم على التوب) ولهذا قال تعالى هنا (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) أي بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه وقيامهم به وعافيتهم عليه (ويسعب المنافقين) وهم الناقضون لهدهم الخالقون لأوامره فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه ولكنهم تحت مشيئة في الدنيا إن شاء استمرهم على ما فعلوا حتى يقوه فيعذبهم عليه وإن شاء تاب عليهم بأن أرحمهم إلى التزوع عن النفاق إلى الإيمان والسلم الصالح بسا السوء والصيان ولما كانت رحمة وراثة تبارك وتعالى خلقه هي الغالبة لقبه قال (إن الله كان غفورا رحيما)

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِصَفِيَّهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾

يقول تعالى خبرنا عن الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة بما أرسل عليهم من الرمح والجنود الإلهية ولولا أن الله جل رسوله رحمة للعالمين لكانت هذه الرمح عليهم أشد من الرمح القديم التي أرسلها على عاد ولكن قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) فسلط عليهم هواء فرق قبلهم كما كان سبب اجتماعهم من الهوى وهم أخلط من قبائل شتى أحزاب وأكراء ، فغلب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم ودرهم خائبين خاسرين بغيرهم وحققهم لم ينالوا خيرا لافي

الدنيا بما كان في أنفسهم من الظفر واللقم ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول ﷺ بالعداوة
 وهمم بقتله واستئصال جيشه ، ومن ثم بشيء وصدق معه بقله فهو في الحقيقة كفاهه . وقوله تبارك وتعالى
 (وكفى الله المؤمنين القتال) أي لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم حتى يلاحقهم عن بلادهم ، بل كفى الله وحده ونصر عبده
 وأعز جنده . ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده
 وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده » أخرجه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه . وفي الصحيحين
 من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال
 « اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزمهم » وفي قوله عز وجل (وكفى الله
 المؤمنين القتال) إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش وهكذا وقع بعدها لم يزلهم للشرك بل غزاهم للسكون
 في بلادهم ، قال محمد بن إسحق لما انصرف أهل الحندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يفتننا « لن
 تغزونا قريش بعد عامك هذا ولكنكم تغزونهم » فلم تغز قريش بعد ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
 يغزوم بعد ذلك حتى فتح الله تعالى مكة ، وهذا الحديث الذي ذكره محمد بن إسحق حديث صحيح كما قال الإمام
 أحمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني أبو إسحق قال سمعت سليمان بن صرد رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يوم الأحزاب « الآن تغزوم ولا يغزونا » وهكذا رواه البخاري في صحيحه من حديث الثوري وإسرائيل
 عن أبي إسحق به وقوله تعالى (وكان الله قويا عزيزا) أي بجوهر وقوته ودم خالين لم يالوا خيرا وأعز الله الإسلام
 وأمله وصدق وعده ونصر رسوله وعنده الله الحمد والمنة

﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صِبْيَانِهِمْ هُوًّا قَدْ قُرِبَ إِلَيْهِمْ إِلَهُهُمْ قَرِيبًا فَتَقَالُوا
 وَتَأْتِرُونَ قَرِيبًا ۖ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَرَائِهِمْ وَأَرْضَانَهُمْ تَطْغَوْهَا ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝﴾

قد تقدم أن بني قريظة لما قدمت جنود الأحزاب ونزلوا على المدينة هضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من العهد وكان ذلك بفسادة حي بن أخطب التثري لئنه الله دخل حسنه ولم يزل يسيدهم كعب بن أسد
 حتى هضم العهد وقال له فيما قال ويحك قد جئت بك بمن اللهز أتيتهك بقريش وأحايشها وغطفان وأتباعها ، ولا يزالون
 ههنا حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه ، فقال له كعب بل والله أتيته بذي الدهر . ويحك يا حي إنك مشغوم فعدتنا منك
 فلم يزل يقتل في البروة والتارب حتى أجابه واشترط له حي إن ذهب الأحزاب ولم يكن من أمرهم شيء أن يدخل معهم
 في الحصن فيكون له أسوتهم ، فلما قضت قريظة وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ساءه وعق عليه وعلى المسلمين
 جدا فلما أيد الله تعالى ونصره وكبت الأعداء وردهم خائنين بأخسر صفقة ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
 المدينة مؤبدا منصورا ووضع الناس السلاح ، فبينما رسول الله ﷺ يقتل من وعاء تلك الرابطة في بيت
 أم سلمة رضى الله عنها إذ تبدى له جبريل عليه الصلاة والسلام معجرا بهامة من استبرق على بقة عليها قطعة من
 ديباج فقال : أوصمت السلاح يا رسول الله ؟ قال ﷺ « نعم » قال لكن للامكة لم تمنع أسلحتها وهذا
 الآن رجوعي من طلب القوم ، ثم قال : إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تهض إلى بني قريظة ، وفي رواية
 فقال له عديرك من مقاتل أوصمت السلاح ؟ قال « نعم » قال لكننا لم نضع أسلحتنا بعد ، اتهم إلى هؤلاء قال صلى الله
 عليه وسلم « أن ١ » قال بني قريظة فإن الله تعالى أمرني أن أنزل عليهم فتهض رسول الله صلى الله عليه وسلم من فوره
 وأمر الناس بالسير إلى بني قريظة وكانت على أميال من المدينة وذلك بعد صلاة الظهر ، وقال صلى الله عليه وسلم
 « لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة » فسار الناس فأدركتهم الصلاة في الطريق فصلى بعضهم في الطريق
 وقالوا لم يرد منا رسول الله ﷺ إلا تسهيل للسير ، وقال آخرون لا تصلها إلا في بني قريظة فلم يصف

واحدًا من القرنيين ، وتبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وأعطى الراية لعل بن أبي طالب رضى الله عنه . ثم نزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة ، فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس رضى الله عنه لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية ؟ واعتقدوا أنه بحسب إليهم في ذلك كما فعل عبد الله بن أبي سؤل في مواليه بن قيسل حين استطلقهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن هؤلاء أن سعدًا سيقبل فيهم كما فعل ابن أبي في أولئك ولم يملوا أن سعدًا رضى الله عنه كان قد أسأه سهم في أكله أيام الحندق فكسوا رسول الله ﷺ في أكله وأنزله في قبة في المسجد ليعوده من قريب وقال سعد رضى الله عنه فيا دعا به : اللهم إن كنت أحببت من حرب قريش شيئًا فأجني لها ، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاقبرها ولا تفتي حق قريش من بني قريظة ، فاستجاب الله تعالى دعاءه وقدر عليهم أن نزلوا على حكمه باختيارهم طلبًا من تلقاء أنفسهم ، فعند ذلك استدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ليحكم فيهم ، فلما أقبل وهو راكب على خمار قد وطئوا له عليه جبل الأوس يولذون به ويقولون يا سعد إنهم مواليك فأحسن فيهم ويرفقوهم عليهم وبطقوهم وهو ساكت لا يرد عليهم فلما أكثروا عليه قال رضى الله عنه ، لقد آتاكم سعدًا أن لا تأخذوه في الله لومة لائم . فغرفوا أنه غير مستقيم فلما دعا من الحجة التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قوموا إلى سيدكم » فقام إليه للسؤال فأنزلوه إعظامًا وإكرامًا واحترامًا له في عمل ولايته ليكون أئمة لحكمهم فيهم فلما جلس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هؤلاء - وأشار إليهم - قد نزلوا على حكمك فأحكم فيهم بما شئت » فقال رضى الله عنه وحكمي فاتفق عليهم ، قال صلى الله عليه وسلم « نعم » قال وطئ من في هذا الحجة ؟ قال « نعم » قال وطئ من ههنا وأشار إلى الجانب الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض بوجهه عن رسول الله ﷺ إجلالًا وإكرامًا وإعظامًا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » فقال رضى الله عنه إلى أي حكم أن تقتل مقاتلتهم وتسي ذريتهم وأموالهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة » ، وفي رواية « قد حكمت بحكم الملك » ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأخاديد فعدت في الأرض ووجه بهم مكتفين ففرض أعناقهم وكانوا بين السماء إلى الثمانية وسبعمائة لم يبيت منهم مع النساء وأموالهم ، وهذا كله مقرر مفصل بأدلة وأحاديثه وبسطه في كتاب الميرة الذي أفردهنا مع جزاءه وبسطه والله الحمد والمنة ولهذا قال تعالى (وأنزل الذين ظاهروهم) أي عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أهل الكتاب) يعني بني قريظة من اليهود من بعض أسباط بني إسرائيل كان قد نزل آباؤهم الجحاز قديمًا فلما في اتباع النبي الأمي الذي يحدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) فسلم لئنه الله ؟ وقوله تعالى (من صياصيم) يعني حصونهم . كذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم من السلف ومنه سمى صياصيم البقر وهي قرونها لأنها أعلى شيء فيها (وقذف في قلوبهم الرعب) وهو الخوف لأنهم كانوا ماؤا للتركين على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وليس من يعلم كنه لا يعلم وأخافوا للمسلمين وراموا قتلهم ليعزوه في الدنيا فانكس عليهم الحال ، وأخلى إليهم القتل انشمر للتركين ففازوا بصفة التبرون ، فكما راموا العز ذلوا وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤسوا ، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة فصارت الجنة أن هذه هي الصفة الحاسرة ؟ ولهذا قال تعالى (فريقًا يفتنون ويأسرون فريقًا) فالذين قتلوا هم لفاتة والأسراء هم الأصغر والنساء ، وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم بن بشير أخبرنا عبد الملك بن حمير عن عطية القرظي قال عرضت للنبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فتكروا في فأمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن ينظروا هل أنبت بعد فنظروا فلم يجدوا أنبت ففعل عني وأخفى بالسبي ، وكذا رواه أهل السنن كلهم من طرق عن عبد الملك بن حمير به وقال الترمذي حسن صحيح ، ورواه النسائي أيضًا من حديث ابن جريج عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن عطية بنحوه وقوله تعالى (وأورسكم أرضهم وديارهم وأموالهم) أي جعلها لكم من كل شيء لهم (وأرسلنا تطاوعوا) قبل خير وقيل

عكة رواء مالك عن زيد بن أسلم ، وقيل فارس والروم ، وقال ابن جرير يجوز أن يكون الجميع مراداً (وكان الله على كل شيء قديراً) قال الإمام أحمد حديثاً يزيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال : أخبرني عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت يوم الحندق أقصوا الناس فسمعت وييد الأرض ورائي فلذا أنا بعد من معاذ رضي الله عنه ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل عنقه قالت فجلست إلى الأرض فرى سعد رضي الله عنه وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه فانا أخوف على أطراف سعد قالت وكان سعد رضي الله عنه من أعظم الناس وأطولهم فر وهو يرتجز ويقول :

ليث قليلا جهد المبيحا حمل ما أحسن للوث إذا حان الأجل

قالت فتمت فالتحمت حديق فلذا فيها ضر من للسليين وإذا فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيهم رجل عليه نسبة له تسمى للفر فقال عمر رضي الله عنه ما جاء بك ؟ لعمري والله إنك لجريرة ، وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تخور قالت لما زال يومني حتى تمنت أن الأرض انشقت في ساعدت فدخلت فيها فرفع الرجل النسبة عن وجهه فلذا هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال : يا عمر وعيك إنك قد كثرت منذ اليوم ، وابن التخور أو القرار إلى الله تعالى قالت وري سعد رضي الله عنه رجل من قريش يقال له ابن الرقة بسهمه وقاله خذها وأنا ابن الرقة فأصاب أكمله فقطعه فدعا الله تعالى سعد رضي الله عنه قال : اللهم لا تمتني حتى تخرجيني من بني قريظة قالت وكانوا حلفاء ومواليه في الجاهلية قالت فرقا كلمه وبث الله تعالى الرمح على الشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فحسبوا في مياصمهم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمر بقة من أدم فضررت على سعد رضي الله عنه في للسجد قالت فجاهه جبريل عليه السلام وان على ثيابه لنقع التبر فقال أوقد وضعت السلاح ؟ لا والله ما وضعت للسلاح بعد السلاح أخرج إلى بني قريظة فقاتلهم قالت فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وأذن في الناس بالرجل أن يخرجوا فر على بني تميم وهم جيران للسجد فقال « من مريبك » قالوا امرئنا دحية الكلبي وكان دحية الكلبي يشبه لحية وسنه ووجهه جبريل عليه الصلاة والسلام فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصروهم خمسا وعشرين ليلة فلما اشتد حصارهم واشتد البلاد قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروا أبا لاية بن عبد الله فآشار إليهم إنه الدع ، قالوا نزل على حكم سعد ابن معاذ رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ « انزلوا على حكم سعد بن معاذ » فنزلوا وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ رضي الله عنه فأتى به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه ، وحف به قومه فقالوا يا أبا عمرو حلفائك ومواليك وأهل الكتاب^(١) ومن قد علت قالت فلا يرجع إليهم شيئا ولا يلتفت إليهم ، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال : قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم . قالت قال أبو سعيد فلما طلع : قال رسول الله ﷺ « قوموا إلى سيدكم فأنزلوه » قال سعد رضي الله عنه سيدنا الله قال « أنزلوه » فأنزلوه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحكم فيهم » قال سعد رضي الله عنه فأتى أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذرائعهم وتقسم أموالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد حكمت فيهم بحكم الله تعالى وحكم رسوله » ثم دعا سعد رضي الله عنه : فقال الله إن كنت أجبت على نبيك من حرب قريش شيئا فأجني لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فأجنيك اليك ، قال فأنشجر كلمه وكان قد برى منه إلا مثل الخرص ورجع إلى قبه التي ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما قالت فوالذي نفس محمد بيده إنني لأعرف بكاء أي بكر رضي الله عنه من بكاء عمر رضي الله عنه وأنا في حجرني وكانوا كما قال الله تعالى (رحمهم بينهم) قال علقمة قلت أي أمه فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ؟ قالت كانت عينه لا تندم على أحد ولكنه كان إذا وجد فلما هو آخذ بليته صلى الله عليه وسلم وقد أخرج البخاري

(١) في النسخة السليكية : وأهل النكابة .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قالت عائشة رضى الله عنها أنزلت آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه فقال ﷺ «إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجل حتى تستأمرى أبويك» قالت وقد علم أن أبوي لم يكونا بأمرائى بخراقة قالت ثم قال «إن الله بارك وتعالى قال (يا أيها النبي قل لأزواجك)» الآيتين قالت عائشة رضى الله عنها فقلت ألى هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة رضى الله عنهن وأخرجته البخاري ومسلم جميعاً عن قتبية عن الألب عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها مثله وقال الإمام أحمد حديثاً أبو معاوية حديثاً الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يدها علينا شيئاً أخرجه من حديث الأعمش . وقال الإمام أحمد حديثاً أبو عامر عبد الملك بن عمرو حديثاً زكريا بن إسحق عن أبي الزبير عن جابر رضى الله عنه قال أقبل أبو بكر رضى الله عنه يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يابيه جلوس والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فلم يؤذن له ، ثم أقبل عمر رضى الله عنه يستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لأبي بكر وعمر رضى الله عنهما فدخلوا والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساءه وهو صلى الله عليه وسلم ساكت فقال عمر رضى الله عنه لا تكلم النبي ﷺ لعله يضحك فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتني النفقة آتفا فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بكت نواجذه وقال «هن حولى يسأئني النفقة» فقام أبو بكر رضى الله عنه إلى عائشة ليضربها وقام عمر رضى الله عنه إلى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهد هذا المجلس ما ليس عندنا قال وأزل الله عز وجل الخيار فبدأ بعائشة رضى الله عنها فقال «إنه يذكر لك أمراً ما أحب أن تعجل فيه حتى تستأمرى أبويك» قالت وما هو؟ قال فلا عليا (يا أيها النبي قل لأزواجك) الآية قالت عائشة رضى الله عنها أنيك أستأمر أبوي؟ بل أختار الله تعالى ورسوله وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نساءك ما اخترت فقال ﷺ «إن الله تعالى لم يفتني معناه ولكن يفتني معاً ميسراً لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها» انفراداً بخراجه مسلم دون البخاري فرواه هو والنسائي من حديث زكريا بن إسحق السكي به . وقال عبد الله بن الإمام أحمد حديثاً شريح بن يونس حدثنا علي بن هاشم بن البرزدي عن محمد بن عبيد الله بن علي بن أبي رافع عن عثمان بن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ خير نساءه الدنيا والآخرة ولم يغيرهن الطلاق وهذا منقطع . وقد روى عن الحسن وقائدة وغيرها نحو ذلك وهو خلاف الظاهر من الآية فإنه قال (فتعالين أمتكن وأسرحن سراحاً جيلاً) أى أعطينكم حقوقكن وأطلق سراحكن ، وقد اختلف العلماء في جواز تزوج غيره لمن لو طلقهن على قولين أصبحها نعم لو وقع ليحصل القصد من السراح والله أعلم قال عكرمة وكان تحته يومئذ تسع نساء خمس من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة ومسودة وأم سلمة رضى الله عنهن ، وكانت تحته ﷺ سبعة بنت حبي النضيرية (١) ويمونه بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث الصقلية رضى الله عنهن وأرضاهن أجمعين

﴿يَنْتَسِئُ الْكُفَىُّ مِنْ بَآئِ مَيْسَكُنْ بِفَجْشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَفُّ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وََمَنْ يَنْتِ مَيْسَكُنْ لِيُدْرِسْهُ وَتَمَسَّ صَاحِبًا ثَوْبًا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾

يقول تعالى وأعطا نساء النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة واستقر أمرهن تحت رسول الله ﷺ فناسب أن يغيرهن بحكمهن وتخصيصهن دون سائر النساء بأن من يأت منهن بفاجشة مبينة. قال ابن عباس رضى الله عنهما وهى التشويز وسوء الخلق وعلى كل تقدير فهو شرط والشرط لا يقتضى الوقوع

(١) فى البوى : الحيرية .

قوله تعالى (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) وكنفوه عز وجل (ولواشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) (فل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) (لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لأصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الواحد القهار) فلما كانت عجلتن رفيعة ناسب أن يجعل الدين لو وقع منهن مغفلة صيانة لجناهن وحجابهن الرفيع ولهذا قال تعالى (من بأت منكن بشاحشة ميتة يضاعف لها العذاب ضعفين) قال مالك عن زيد بن أسلم (يضاعف لها العذاب ضعفين) قال في الدنيا والآخرة ، عن ابن أبي نجیح عن مجاهد مثله (وكان ذلك على الله يسيرًا) أي سهلًا هينًا ، ثم ذكر عدله وفضله في قوله (ومن بقنت منكن لله ورسوله) أي يطع الله ورسوله ويستجب (نؤها أجراها مرتين واعتدنا لها رزقًا كريمًا) أي في الجنة طاهرين في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش

(يَسَاءَ الَّذِي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِّنْ أَنْسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا) وَفَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّا يُرِيدُ أَنْ لِيُذِيبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمُ تَطْهِيرًا وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ هَآئِثِ اللَّهِ وَالْحَكْمَةِ إِنَّا اللَّهُ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)

هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ ونساء الأمة تبع لهن في ذلك فقال تعالى مخاطبا للنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن فإنه لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمزلة ثم قال تعالى (فلا تخضعن بالقول) قال السدي وغيره يعني بذلك تريق الكلام إذا خاطبن الرجال ولهذا قال تعالى (فطمع الذي في قلبه مرض) أي دخل (وقلن قولا معروفا) قال ابن زيد: قولا حسنا جميلا معروفا للخير، ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخييم أي لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها . وقوله تعالى (وقرن في بيوتكن) أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة ، ومن الخواص الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه كما قال رسول الله ﷺ « لا تمنعوا إمام الله مساجد الله وليخرجن وهن ثقلات » وفي رواية « ويوتهن خير لهن » وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا أبو رجاء السكبي روح بن السبب ثقة حدثنا ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال : جئن النساء إلى رسول الله ﷺ فقلن يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل والمجاهد في سبيل الله تعالى فلما عملت ندرت به عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ « من قدمت - أو كلمة نحوها - منكن في بيتها فماتت عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى » ثم قال لا تعلم . رواه عن ثابت لإدراج في السبب وهو رجل من أهل البصرة مشهور

وقال البرزاني أيضا حدثنا محمد بن الثني حدثني عمرو بن ماسم حدثنا همام عن قتادة عن موريق عن أبي الأعمس عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة رها وهي في قصر بيتها » ورواه الترمذي عن بندار عن عمرو بن ماسم به نحوه . وروى البرزاني بإسناده المتقدم وأبو داود أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « صلاة المرأة في عندتها أفضل من صلاحها في بيتها وصلاتها في بيتها أفضل من صلاحها في حجرتها » وهذا إسناد جيد ، وقوله تعالى (ولا تبرزن تبرز الجاهلية الأولى) قال مجاهد كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فلذلك تبرز الجاهلية . وقال قتادة (ولا تبرزن تبرز الجاهلية الأولى) يقول إذا خرجت من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسر وتفتج فنهى الله تعالى عن ذلك ، وقال مقاتل بن حيان (ولا تبرزن تبرز الجاهلية الأولى) والتبرز أنها تلي الحجر على رأسها ولا تشده

فيواري قلائدها وقرطها وعنفها ويذو ذلك كله منها وذلك التبرج ثم همت نساء المؤمنين في التبرج . وقال ابن جرير حدثني ابن زهير حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا داود بن أبي الفرات حدثنا أبي بن أصرع عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تلا هذه الآية (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) قال كانت فانيا بين نوح وإدريس وكانت ألف سنة وإن يبلطن من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة . وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة ، وإن إيليس لسه الله آتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فآجر نفسه منه فكان يخدمه فأخذ إيليس شيئا من مثل الذي يرمقه الرعاء فجاء به يصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله فأتا بهم يسمعون إليه واخذوا عيدا يجتمعون إليه في السنة فيتبرج النساء للرجال قال وتزين الرجال لمن وإن رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عديم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أسنابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهن فنزلوا معهن وظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله تعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وقوله تعالى (وأتقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) ناهن أولاعن الضر ثم أمرهن بالخبر من إقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين (وأطعن الله ورسوله) وهذا من باب عطف العام على الخاص . وقوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا لأن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح . وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة . وهكذا روى ابن أبي حاتم قال : حدثنا علي بن حرب اللؤلؤي حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين بن واقد عن زيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، وقال عكرمة من شاء باهله إياها نزلت في شأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح ، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ففي هذا نظر فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أهم من ذلك (الحديث الأول) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا علي بن زيد عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر باب فاطمة رضي الله عنها ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول « الصلاة يا أهل البيت ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عفان به وقال حسن غريب (حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو نعيم حدثنا يونس عن أبي إسحق أخبرني أبو داود عن أبي الجراء قال رايت المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله ﷺ قال رأيت رسول الله ﷺ إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة رضي الله عنهما فقال « الصلاة يا أهل البيت » قال الإمام أيضا أيضا حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الأوزاعي حدثنا شاذان بن عمار قال دخلت على عائشة بن الأسمع رضي الله عنه وعنده قوم فذكروا عليا رضي الله عنه فشموه فشمته معهم فلما قاموا قال لي شمتت هذا الرجل قلت قد شمتوه فشمته معهم ألا أخبركم بما رأيت من رسول الله ﷺ ؟ قلت بلى قال أتيت فاطمة رضي الله عنها أسأله عن علي رضي الله عنه فقالت توجه إلى رسول الله ﷺ فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ومعه علي وحسن وحسين رضي الله عنهم أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة رضي الله عنهما وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذيه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلا ﷻ هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وقال « اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق » . وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن عبد الكرم بن أبي عمير عن الوليد بن مسلم عن أبي عمرو الأوزاعي بسند نحوه زادني آخره قال وأئله رضي الله عنه قلت وأئله رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم من أهلك ؟ قال صلى الله عليه

وسلم « وأنت من أهل » قال وإنا لله وانا إليه راجعون ثم رواه أيضا عن عبد الأعلى بن واصل عن الفضل بن ذكوان عن عبد السلام بن حرب عن كلثوم المخاربي عن شداد بن أبي عمار قال إني لجالس عند واثلة بن الأسقع رضى الله عنه إذ ذكروا عليا رضى الله عنه فشموه فلما قاموا قال اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شمتوه إني عند رسول الله ﷺ إذ جاء على واطلة وحسن وحسين رضى الله عنهم فأتاني ﷺ عليهم كساء له ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قلت يا رسول الله وأنا ؟ قال ﷺ « وأنت » قال فوالله إنها لأوثق عمل عندي

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن غير حدثنا عبد الله بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح حدثني من سمع أم سلمة رضى الله عنها تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها فأتته فاطمة رضى الله عنها بيرة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال صلى الله عليه وسلم لها « ادعى زوجك وابنيك » قالت فبأه طي وحسن وحسين رضى الله عنهم فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له وكان تحته صلى الله عليه وسلم كساء خيري قالت وأنا في الحجرة أصلي فأترل الله عز وجل هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت رضى الله عنها فأخذ صلى الله عليه وسلم فضل الكساء فغطاهم به ثم أخرج يده فألقى بها إلى السماء ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قالت فأدخلت ورأى البيت فقلت وأنا معك يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « إنك إلى خير إنك إلى خير » في إسناده من لم يسم وهو شيخ عطاء وبقية جاله فها (طريق أخرى) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مصعب بن النعمان حدثنا سعيد بن زكريا عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن أم سلمة رضى الله عنها قالت جاءت فاطمة رضى الله عنها إلى رسول الله ﷺ بيرة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق فوضعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال « أين ابن عمك وابناك ؟ » فقالت رضى الله عنها في البيت فقال صلى الله عليه وسلم « ادعهم » فبأهت إلى علي رضى الله عنه فقالت أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وابناك قالت أم سلمة رضى الله عنها فلما رأهم مقبلين مد صلى الله عليه وسلم يده إلى كساء كان على الثامنة فده وبسطه وأجلسهم عليه ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه فقال « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » (طريق أخرى) قال ابن جرير حدثنا ابن حماد حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن حكيم ابن سعد قال ذكرنا على ابن أبي طالب رضى الله عنه عند أم سلمة رضى الله عنها فقالت في بيتي نزلت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت أم سلمة جاء رسول الله ﷺ إلى بيتي فقال « لا تأذني لأحد » فجاءت فاطمة رضى الله عنها فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها ، ثم جاء الحسن رضى الله عنه فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه ثم جاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه عن جده صلى الله عليه وسلم وأمه رضى الله عنهم ثم جاء علي رضى الله عنه فلم أستطع أن أحجبه فاجتمعوا فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال « هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت قلت يا رسول الله وأنا ؟ قالت فوالله ما أتم وقال « إنك إلى خير » (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبي السد عن عطية الطفاوي عن أبيه قال إن أم سلمة رضى الله عنها حدثتني قالت بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي يوما إذ قالت الخادم إن فاطمة وعليا رضى الله عنهما بالسلعة قالت فقال لي رسول الله ﷺ « قومي فتحي عن أهل بيتي » قالت فقممت فتحي في البيت قريبا فدخل علي واطلة ومعهما الحسن والحسين رضى الله عنهم وهما مديان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجرة قبلهما واعتنق عليا رضى الله عنه بإحدى يديه واطلة فترضى الله عنها بأيد الأخرى وقبل فاطمة وقبل عليا وأغنى عليهم خيصة سوداء وقال « اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي » قالت فقلت وأنا يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « وأنت » (طريق أخرى) قال ابن جرير

حدثنا أبو كريب حدثنا الحسن بن عطية حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضى الله عنها قالت إن هذه الآية نزلت في يتي (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت وأنا جالسة على باب البيت قتل يارسل الله ألت من أهل البيت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « إنك إلى خير ، أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم » قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وطى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم (طريق أخرى) رواها ابن جرير أيضا عن أبي كريب عن وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة رضى الله عنها بنحوه (طريق أخرى) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا خالد بن مخلد حدثني موسى بن يقوب حدثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمة قال أخبرني أم سلمة رضى الله عنها قالت إن رسول الله ﷺ جمع عليا وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم ، ثم أدخلهم تحت ثوبه ثم جأ إلى الله عز وجل ثم قال : « هؤلاء أهل بيتي » قالت أم سلمة رضى الله عنها قتل يارسل الله أدخلهم معهم فقال ﷺ « أنت من أهل » .

(طريق أخرى) رواها ابن جرير أيضا عن أحمد بن محمد الطوسي عن عبد الرحمن بن صالح عن محمد بن سليمان الأصهباني عن يحيى بن عبد الله عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة عن أمه رضى الله عنها بنحو ذلك (حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا محمد بن بشر عن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت : قالت عائشة رضى الله عنها خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاها الحسن رضى الله عنه فأدخله معه ثم جاء الحسين رضى الله عنه فأدخله معه ثم جاءت فاطمة رضى الله عنها فأدخلها معه ثم جاء علي رضى الله عنه فأدخله معه ثم قال صلى الله عليه وسلم (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) رواه مسلم عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن محمد بن بشره . (طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا شريح بن يونس أبو الحارث حدثنا محمد بن يزيد عن العوام يعني ابن حوشب رضى الله عنه عن ابن عمه قال دخلت مع أبي علي عائشة رضى الله عنها فسألتها عن علي رضى الله عنه فقالت رضى الله عنها : تسألني عن رجل كان من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وكانت تحت ابنته وأحب الناس إليه ؟ لقد رأيت رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم دعا عليا وفاطمة وحسنا وحسينا رضى الله عنهم فألقى عليهم ثوبا فقال « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قالت فدنوت منهم قتل يارسل الله وأنا من أهل بيتك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « تنح فانك على خير » (حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا ابن للثي حدثنا بكر بن يحيى بن زيان المنزى حدثنا مندل عن الأعصم عن عطية عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة » (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) « قد تقدم أن فضيل بن مرزوق رواه عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضى الله عنها كما تقدم وروى ابن أبي حاتم من حديث هرون بن سعد العجلي عن عطية عن أبي سعيد رضى الله عنه موقوفاً والله سبحانه وتعالى أعلم (حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا ابن للثي حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا بكير بن مسمار قال سمعت ثامر بن سعد رضى الله عنه قال : قال سعد رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ حين نزل عليه الوحي فأخذ علياً وابنيه وفاطمة رضى الله عنهم فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال « رب هؤلاء أهلي وأهل بيتي » (حديث آخر) وقال مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب وشجاع بن مخلد جميعاً عن ابن علي قال زهير حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثني أبو حيان حدثني يزيد بن حبان قال انطلق أنا وحسين بن سبرة وعمر ابن سلمة إلى زيد بن أرقم رضى الله عنه فلما جلسنا إليه قال له حسين لقد قيلت يازيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وصممت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد قيلت يازيد خيراً كثيراً . حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حدثتكم فأتوا وما لا فلا تكلفوا فيه ، ثم قال : قام فبنا رسول الله ﷺ

يوما خطيا بماء يدعى خاين مكة وللدنية فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال « أما بعد ألا أيها الناس فإنا أنا بنو سوك أن يأتي رسول الله فأنجب وأنا نارك فيكم فجلين أولمنا كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه ثم قال « وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي » ثلاثا فقال له حسين ومن أهل بيته يزيد ؟ أليس نسائه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قال ومن هم ؟ قال هم آل جعفر وآل عباس رضى الله عنهم قال كل هؤلاء حرم الصدقة بعده ؟ قال نعم ، ثم رواه عن محمد بن الريان عن حسان بن إبراهيم عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حبان عن زيد بن أرقم رضى الله عنه فذكر الحديث بنحو ما تقدم وفيه قلت له من أهل بيته نسائه ؟ قال لا ، وأبى الله إن المرأة تكون مع الرجل الضر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها ، أهل بيته أسله وعصبته الدين حرما الصدقة بعده . هكذا وقع في هذه الرواية والأولى أولى والأخذيها أخرى . وهذه الثانية تحتمل أنه أراد ضمير الأهل للذكور في الحديث الذى رواه إنما للرجال بهم آله الذين حرما الصدقة أو أنه ليس للرجال بالأهل الأزواج قطع ، بل هم مع آله ، وهذا الاحتمال أرجح مما بينا وبين الرواية التى قبلها وجما أيضا بين القرآن والأحاديث للتقدمة إن سمعت فإن في بعض أسانيدنا نظرا والله أعلم ثم الذى لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال تعالى بعد هذا كله (وإذا كن ما تلى في يوتكن من آيات الله والحكمة) أى واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم في يوتكن من الكتاب والسنة . قاله قتادة وغير واحد وإذا كن هذه النعمة التى خصكن بهامن بين الناس ، أن الوحى ينزل في يوتكن دون سائر الناس ، وعاشة الصديقة بنت الصديق رضى الله عنها أولاهن بهذه النعمة وأحظاهن بهذه التسمية وأخصهن من هذه الرحمة العيمة ، فانه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى في فراش امرأة سواها كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه قال بعض العلماء رحمه الله لأنه لم يتزوج بكرا سواها ولم يتم معها رجل في فراشها سواه صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها فناسب أن تخصص بهذه التسمية ، وأن تفرده بهذه للربة العلية ، ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته فقرأنا أحق بهذه التسمية كما تقدم في الحديث « وأهل بيتي أحق » وهذا يشبه ما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ لما سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم فقال « هو مسجدى هذا » فهذا من هذا القبيل فإن الآية إنما نزلت في مسجد قباء كما ورد في الأحاديث الأخرى ، ولكن إذا كان ذلك أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله ﷺ أولى بتسميته بذلك والله أعلم ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد حدثنا أبو عوانة عن حسين بن عبد الرحمن عن أبي جميلة قال إن الحسن بن علي رضى الله عنهما استخلف حين قتل على رضى عنهما قال . فبينما هو يسئ إذ وثب عليه رجل فطعنه فخنجره ، وزعم حسين أنه بلغه أن الذى طعنه رجل من بني أسد وحسن رضى الله عنه ساجد . قال فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه فرض منها أنشراها ثم برأ فقص على النبي ﷺ قال يا أهل العراق اشقوا الله فإنا فانا أمراؤكم وضيغانكم ونحن أهل البيت الذى قال الله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قال لما زال قولها حتى ما بقى أحسن أهل للسجد لا وهو عن بكاء ، وقال السدى عن أبي الدرداء قال : قال علي بن الحسين رضى الله عنهما لرجل من أهل الشام أما قرأت في الأحزاب (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قال نعم ولأتم هم ؟ قال : نعم وقوله تعالى (إن الله كان لطيفا خبيرا) أى يطفه بكن بفتن هذه المنة وغيرها بكن وأنكن أهل لذلك أعطاكم ذلك وخصكن بذلك ، قال ابن جرير رحمه الله وإذا كنوا نعمة الله عليكم بأن جعلكن في بيوت تنلى فيها آيات الله والحكمة فاشكرن الله تعالى على ذلك واحمدنه (إن الله كان لطيفا خبيرا) أى ذا لطف بكن إذ جعلكن في البيوت التى تنلى فيها آيات الله والحكمة . وهى السنة ، خيرا بكن إذ اختركن لرسوله أزواجا وقال قتادة (وإذا كن ما تلى في يوتكن من آيات الله والحكمة) قال يمتن عليهن

بذلك رواه ابن جرير وقال عطية السوفى في قوله تعالى (إن الله كان لطيفاً خبيراً) يعنى لطيفاً باستخراجها خيراً بموضعها
رواه ابن أبي حاتم ثم قال وكذا روى عن الربيع بن أنس عن قتادة .

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالْذَّاكِرِينَ وَالْذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عظيماً ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شيبة قال سمعت
أم سلمة رضى الله عنها زوجها النبي ﷺ وسلم يقول قلت للنبي ﷺ ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟
قالت فلي رعى منه ذات يوم إلا ودأؤه على التبر قالت وأنا أسرح شعري فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرتي
حجرة بيتي فجلست معي عند الجريد فإذا هو يقول عند التبر « يا أيها الناس إن الله تعالى يقول إن للسليبين وللصالحات
والمؤمنين والمؤمنات » إلى آخر الآية وهكذا رواه النسائي وابن جرير من حديث عبد الواحد بن زياد به مثله (طريق
أخرى عنها) قال النسائي أيضاً حدثنا محمد بن حاتم حدثنا سويد أخبرنا عبد الله بن شريك عن محمد بن عمرو عن
أبي سلمة عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ يا بني الله ما لي أسمع الرجال يذكر الكرون في القرآن والنساء
لا يذكرن ؟ فأقول الله تعالى (إن للسليبين وللصالحات والمؤمنين والمؤمنات) وقد رواه ابن جرير عن أبي
كريب عن أبي معاوية عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب حدثه عن أم سلمة رضى
الله عنها قالت : قلت يا رسول الله أذكر الرجال في كل شيء ولا تذكر ؟ فأقول الله تعالى (إن للسليبين والمسلمات) الآية
(طريق أخرى) قال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : قالت أم سلمة رضى الله عنها يا رسول الله
يذكر الرجال ولا يذكرنا ؟ فأقول الله تعالى (إن للسليبين والمسلمات) الآية (حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا
أبو كريب قال حدثنا سنان (١) بن مظاهر العمري حدثنا أبو كدينة يحيى بن الهلب عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال النساء للنبي صلى الله عليه وسلم : بالله يذكركم المؤمنين ولا يذكر المؤمنين
فأقول الله تعالى (إن للسليبين والمسلمات) الآية وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة دخل لساء على نساء
النبي ﷺ فقلن قد ذكر كن الله تعالى في القرآن ولم تذكر يحيى أما فينا ما يذكر ؟ فأقول الله تعالى (إن المسلمين
والمسلمات) الآية لقوله تعالى (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) دليل على أن الإيمان غير الإسلام وهو
أخص منه لقوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) وفي
الصحيحين « لا يبنى الثاني حين يبنى وهو مؤمن » فيسلبه الإيمان ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين فدل على
أنه أخص منه كما قررنا أول في شرح البخاري . وقوله تعالى (والتقنين والقناتين) القنوت هو الطاعة في سكون
(أمن هو قنات آتاه الليل ساجداً وقائماً يحمد الآخر ويرجو رحمة ربه) وقال تعالى (وله من في السماوات والأرض
كل في قناتون) (يامرهم اتق ربك واسجدوا واركعوا مع الرَّاكِعِينَ) (وقوموا لله قانتين) فالإسلام بسببه مربية
يرتقى إليها وهو الإيمان ثم القنوت ثلثيها (والمصدقين والمصدقات) هذا في الأموال فإن الصدق خصلة معودة
ولهذا كان بعض الصحابة رضى الله عنه لم يجرب عليه كذبة لا في الجاهلية ولا في الإسلام ، وهو علامة على الإيمان
كما أن الكذب أماره على الفناء ، ومن صدق نجا ، عليه السلام الصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإياكم
والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار . ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق
حتى يكتب عند الله صديقاً ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً والأحاديث فيه كثيرة
جداً (والصابرين والصابرات) هلله سجيبة الأثبات وهى الصبر على الصائب والمعلم بأن المقدر كائن لا محالة وتلقى
(١) اتقى في تفسير ابن جرير سيار بن مظاهر التمرى وهو الواقى لا في تحريم التهذيب .

الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالى في هذه السورة (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً) الآية إن شاء الله تعالى ، وقوله تعالى (أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً) خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أي أن الله تعالى قد أعد لهم أي حياً لهم مغفرة له ذنوبهم وأجراً عظيماً وهو الجنة

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾

قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها فخطبها فقالت لست بنا بكنته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بلى فانكجه» قالت يا رسول الله أوامرني نفسي فبينما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً) الآية قالت قد رشيته لي يا رسول الله منكها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نعم» قالت إنا لا نعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسي وقال ابن أبي عمير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضي الله عنه فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية كلها وهكذا قال جاهد وقادة ومقاتل ابن حبان أنها نزلت في زينب بنت جحش رضي الله عنها حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فاستنكفت ثم أجابت . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها وكانت أول من هاجر من النساء يعني بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه يعني والله أعلم بعد فراقه زينب فسخطت هي وأخوها وقالوا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده قال فنزل القرآن (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً) إلى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا (التي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) قال فذلك خاص وهذا أجمع وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال خطب النبي ﷺ على جلييب امرأة من الأنصار إلى أبيها فقال حق استأمر أمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم «نعم» فتمم إذا قال فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لما فقالت لاهأ الله إذن ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جلييباً وقد منناها من فلان وفلان قال والجارية في - ترها تسمع قال فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . فقالت الجارية أمريدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره إن كان قد رضي لكم فانكحوه قال فكأنها جلت من أبيها وقالت صدقت قلبه أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت رشيته فقد رشيته قال صلى الله عليه وسلم «فاني قد رشيته» قال فزوجها ثم فرغ أهل المدينة فركب جلييب فوجدوه قد قتل وحواله ناس من المسلمين قد قتلهم قال أنس رضي الله عنه فقد رأيتها وإني لمن أيقن بيت بالمدينة . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن أبي سليمان عن ثابت عن كنانة بن نعيم المدني عن أبي برة الأسدي قال إن جلييباً كان امرأ يدخل على النساء يمرنهن ويلاجهن فقلت لامرأتي لا تدخلن عليكن جلييباً فإنه إن دخل عليكن لأضلن ولأضلن قالت وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أم لم يزوجها حتى يعلم للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار «زوجني ابتك» قال نعم وكرامة يارسول الله ونعمة عين فقال صلى الله عليه وسلم «إني لست أريدك نفسي» قال فلن يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم «جلييب» فقال يا رسول الله أثارو أمها فاني أمها فقال رسول الله ﷺ خطب ابتك قالت نعم ونعمة عين فقال إنه ليس

يخطبها لنفسه إنا يخطبها جليلية قالت: أجليب ما به أجليب ابنه ! الأعرم الله لا تزوجه ، فلما أراد أن يقوم ليأتى رسول الله ﷺ فيخبره بما قالت أمها قالت الجارية من خطبتي إليك فأخبرتها أمها قالت أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه ادفوني إليه فانه لن يضيئ فانتقل أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شأنك بها فزوجها جليليا قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة له فلما أفا الله عليه قال لأصحابه رضى الله عنهم « هل تتقدون من أحد ؟ » قالوا نعم فلانا ونقد فلانا قال صلى الله عليه وسلم « انظروا هل تتقدون من أحد » قالوا لا قال صلى الله عليه وسلم « لكننى أقصد جليليا » قال صلى الله عليه وسلم « فاطلبوه في القتل » فطلبوه فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتله فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ها هو ذا إلى جنب سبعة قد قتلهم فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه فقال « قتل سبعة وقتلوه هذا منى وأنا منه » مرتين أو ثلاثا ثم وضع رسول صلى الله عليه وسلم على ساعديه وخبر له ماله سرير إلا ساعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم وضعه في قبره ولم يذكر أنه غسله رضى الله عنه قال ثابت رضى الله عنه لما كان في الأنصار أيم أئق منها وحدث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابثا هل تعلم ما دعا لما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قال « اللهم صب عليها صبا ولا تحمل عيشا كذا » وكذا كان لما كان في الأنصار أيم أئق منها هكذا أوردته الإمام أحمد بطوله وأخرج منه مسلم والنسائي في الفضائل قصة قتله وذكر الحافظ أبو هرير بن عبد البر في الاستيعاب أن الجارية لما قالت في خبرها أتردون على رسول الله ﷺ أمه نزلت هذه الآية (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) وقال ابن جريج أخبرني عامر بن ماصب عن طاوس قال إنه سأل ابن عباس عن ركنين يمد السرير فنهأ وقرأ ابن عباس رضى الله عنه الآية (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) فهذه الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشئ فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأى ولا قول كما قال بركة وتعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وفي الحديث « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ولهذا شد في خلاف ذلك فقال (ومن يمس الله ورسوله فقد شغل الله) كقولهم تعالى (فليعلم الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)

(وَإِذْ قَوْلُ قَلْبِي أَنُمْتُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَانْمَتَ عَلَيْهِ أُنْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي هَيْكَلٍ مَّا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَ لِلْكِ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زُطُوحِ أَدْيِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا)

يقول تعالى خبرا عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال لمولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه وهو الذى أنعم الله عليه أى بالإسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم (وانمت عليه) أى بالعتق من الرق وكان سيدا كبير الشأن جليل القدر حبيا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقال له الحب ويقال لآبته أسامة الحب ابن الحب قالت عائشة رضى الله عنها ما يشه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سزية إلا أمره عليهم ، ولو عاش بعده لا استخلفه ، روى الإمام أحمد عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد عن وائل بن خادو عن عبد الله البهي عنها . وقال البراءة حديثا عن زيد بن أسامة حديثا عن محمد بن عمرو حديثا عن داود حديثا عن أبو عوانة حديثا عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال حدثني أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : كنت في المسجد فأتاني العباس وطى بن أبي طالب رضى الله عنه فقالا يا أسامة استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقلت : على والعباس يستأذنان فقال صلى الله عليه وسلم « أترى ما حاجتهما ؟ » قلت لا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم

« لكنى أدري » قال فأذن لها قال يا رسول الله جئناك لنخبرنا أى أهلك أحب إليك ؟ قال صلى الله عليه وسلم « أحب أهلى إلى فاطمة بنت محمد » قال يا رسول الله ما نسألك عن فاطمة ، قال صلى الله عليه وسلم « فأسامة بن زيد بن حارثة الذى أئتم الله عليه وأئمت عليه » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوجه بآية حمته زينب بنت جحش الأسدية رضى الله عنها وأما أمية بنت عبد المطلب وأصدقها عشرة دنانير وستين درهما وخمرا وملحة ودرما وخمسين مد من طعام وعشرة أمداد من تمر قاله مقاتل بن حيان ، فكتكت عنده قريمان سنة أو فوثها ثم وقع بينهما ففجاء زيد يشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول له « أمسك عليك زوجك واتق الله » قال الله تعالى (ونحفي في نفسك ما الله مبديه ونحفي الناس والله أحق أن نخشاه) ذكر ابن أبى حاتم وابن جرير هاتين آياتنا عن بعض السلف رضى الله عنهم أحيينا أن يضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها . وقد روى الإمام أحمد ههنا أيضا حديثنا من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضى الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضا . وقد روى البخارى أيضا بضعة مختصرا فقال : حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا يعلى ابن منصور عن حماد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال إنه نهى الآية (ونحفي في نفسك ما الله مبديه) زلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضى الله عنهما . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حاتم عن هشام ابن مروزق حدثنا ابن عيينة عن طعن بن زيد بن جندب قال سألنى طعن بن الحسين رضى الله عنهما ما يقول الحسن في قوله تعالى (ونحفي في نفسك ما الله مبديه) فذكرت له فقال لا ولكن الله تعالى أعلم بنيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد رضى الله عنه ليشكوها إليه قال واتق الله وأمسك عليك زوجك » فقال: قد أخبرتك أنك مزوجها ونحفي في نفسك ما الله مبديه . وهكذا روى عن السدى أنه قال نحو ذلك

وقال ابن جرير حدثني إسحق بن شاهين حدثني خلف عن داود عن عامر عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : لو كنت محمد صلى الله عليه وسلم غيثا مما أوحى إليه من كتاب الله تعالى لكتبت (ونحفي في نفسك ما الله مبديه) ونحفي الناس وإذ أحق أن نخشاه » وقوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) الوطء هو الحاجة والأرب أى لما فرغ منها وفارقها زوجناكها وكان الذى ولى تزويجها منه هو الله عز وجل بمعنى أنه أوحى إلي أن يدخل عليها بلا ولى ولا عقد ولا مهر ولا عهد من البشر ، قال الإمام أحمد حدثنا هشام بن أبى القاسم أخبرنا أنس بن مالك حدثنا سليمان بن القيس عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال لما انقضت عدة زينب رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة « اذهب فاذكرها على » فانطلق حتى أتاهما وهى تخمر عينيها قال فلما رأيتها عظمت في صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها وأقول إن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها بطهرى ونكصت على عفي وقلت يا زينب أبشري أرسلنى رسول الله ﷺ يذكرك ، قالت ما أنا بصائمة شيئا حتى أقامر ربي عز وجل فقامت إلى مسجدنا وزل القرأت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها فغير إذن ، ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطعنا عليها الحزن واللام فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فقبل صلى الله عليه وسلم يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك ؟ لما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبر فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) الآية كلها ورواه مسلم والنسائي من طرق عن سليمان ابن اللثية به ، وقد روى البخارى رحمه الله عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال إن زينب بنت جحش رضى الله عنها كانت تضر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات وقد قلنا في سورة النور عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تفاخرت زينب وعائشة رضى الله عنهما فقالت زينب رضى الله عنها أنا التى نزل تزويجي من السماء ، وقالت عائشة رضى الله عنها أنا التى نزل عسدي من السماء فاعترفت لها زينب رضى الله عنها وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن الثوري عن الشعبي قال : كانت

زينب رضى الله عنها تقول لنى صلى الله عليه وسلم إني لأدُل عليك ثلاث: ما من نساء امرأة تمل بهن: إني جدى وجدك واحد، وإني أنسبكك الله عز وجل من السماء، وإن السفير جبريل عليه الصلاة والسلام. وقوله تعالى (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً) أى إنما إجماعك تزويجها وصلنا ذلك لتلايق خرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبنى زيد ابن حارثة رضى الله عنه فكان يقال له زيد بن محمد فلما قطع الله تعالى هذه النسبة بقوله تعالى (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) - إلى قوله تعالى - ادعواهم لأبائهم هو أفسط عند الله) ثم زاد ذلك يائناً وتأكيذاً بوقوع تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش رضى الله عنها لما طلقها زيد بن حارثة رضى الله عنه، ولهذا قال تعالى في آية التحريم (وحلال أنبائكم الذين من أصلاك) ليحتز من الآن الدعي فإن ذلك كان كثيراً فيهم. وقوله تعالى (وكان أمر الله مفوضاً) أى وكان هذا الأمر الذى وقع قد قدره الله تعالى وحتمه وهو كائن لا محالة، كانت زينب رضى الله عنها في علم الله مستصية من أزواج النبي ﷺ

(مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فَيَأْتِرْضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) يقول تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أى فيما أحله وأمره به من تزويج زينب رضى الله عنها التى طلقها دعيه زيد بن حارثة رضى الله عنه وقوله تعالى (سنة الله في الذين خلوا من قبل) أى هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله لم يكن يأمرهم بشئ وعليهم في ذلك حرج وهذا رد عن من توهم من للتأنيث قصاً في تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيه الذى كان قد تبناه (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) أى وكان أمره الذى يقدره كائن لا محالة وواقعاً لا محيد عنه ولا مبدل لما شاءه وما لم يشأ لم يكن

(الَّذِينَ يَبْتَلُونُ رِسَالَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنِيَ بِاللَّهِ حَسْبَهُ) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

يخرج تبارك وتعالى (الذين يبلون رسالات الله) أى إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها (ويخشونه) أى يخافونه ولا يخافون أحداً سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالى (وكفى بالله حسيباً) أى وكفى بالله ناصرنا ومعيننا، وسيد الناس في هذا المقام بل وفي كل مقام محمد رسول الله ﷺ فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغرب إلى جميع أنواع بني آدم وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع فإنه قد كان النبي قبله إنما يمت إلى قومه خاصة، وأما هو صلى الله عليه وسلم فإنه يمت إلى جميع الخلق جبريهم وعصبيهم (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده فكان أملى من قام بها بعده أصحابه رضى الله عنهم بطوا عنه كما أمرهم به في جميع أحوالهم وأمناء وأحوالهم إليه ونهاره ووضعه وسفره وسره وعلايته فرضى الله عنهم وأرضاهم ثم ورثة كل خلف عن خلفهم إلى زماننا هذا فينورهم فيقتدى بالهدى والهدى على منهجهم يسلك للواقفون فتسأل الله الكريم لئان أن يجعلنا من خلفهم. قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير أخبرنا الأعمش عن عمرو بن عمرو بن مرة عن أبي البخري عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يحقرن أحدكم غصه أن يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقوله فيقول الله ما يمنك أن تقول منه فيقول رب خشيت الناس فيقول فأتا أحق أن يخشى» ورواه أبضاع بن عبد الرزاق عن الثوري عن زيد بن عمرو بن مرة، ورواه ابن ماجه عن أبي كريب عن عبد الله بن نمير وأبي معاوية كلاهما عن الأعمش به. وقوله تعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) نهى أن يقال بعد هذا زيد بن محمد أى لم يكن أباه وإن كان قد تبناه فإنه صلى الله عليه وسلم لم يشأ له ولد ذكر حتى بلغ الحلم، فإنه صلى الله عليه وسلم ولد له القاسم والطيب والطاهر

من خديجة رضى الله عنها فأتوا أسفارا ، وولد له صلى الله عليه وسلم إبراهيم من مارية القبطية فحسب أيضا
رضيما وكان صلى الله عليه وسلم من خديجة أربع بنات : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضى الله عنهم أجمعين فأتت في
حياته صلى الله عليه وسلم ثلاث وتأخرت فاطمة رضى الله عنها حتى أصيبت به صلى الله عليه وسلم ثم ماتت بعد سنة أشهر
وقوله تعالى (ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليا) كقوله عز وجل (الله أعلم حيث يجعل
رسالته) فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذ كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأخرى لأن
مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينكس وبذلك وردت الأحاديث للتواتر عن رسول
ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، قال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر الأزدى حدثنا زهير بن
محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال « مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنه لم يضمها ففضل الناس يطوفون بالبيان
ويسجون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة ؟ فأتنا في النبيين موضع تلك اللبنة » ورواه الترمذى عن يشار عن أبي عامر
المقدسى به وقال حسن صحيح (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا المختار
ابنلفل حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرسالة والنبوة قداهطمت
فلا رسول بعدى ولا نبي » قال فشق ذلك على الناس فقال « ولكن للبشرات » قالوا يا رسول الله وما للبشرات ؟
قال « رؤيا الرجل للسلم وهي جزء من أجزاء النبوة » وهكذا رواه الترمذى عن الحسن بن محمد الزعفرانى عن عفان بن مسلم
به وقال صحيح غريب من حديث المختار بنلفل

(حديث آخر) قال أبو داود الطيالسى حدثنا سلم بن حبان عن سعيد بن مينا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة
فكان من دخلها فظفر إليها قال ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة فأتنا موضع اللبنة فخرى الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام » ورواه البخارى ومسلم والترمذى من طرق عن سلم بن حبان به وقال الترمذى صحيح غريب من هذا الوجه
(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثل النبيين كمثل رجل بنى دارا فأتمها إلا لبنة واحدة فبحث أنا
فأتممت تلك اللبنة » اشهد به مسلم من رواية الأعمش به . (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد
حدثنا حماد بن زيد حدثنا عثمان بن عبيد الراسبي قال سمعت أبا الطفيل رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « لا نبوة بعدى إلا للبشرات » قيل وما للبشرات يا رسول الله قال « الرؤيا الحسنة » — أو قال —
« الرؤيا الصالحة » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا
ما حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن مثلى ومثل الأنبياء من
قبل كمثل رجل ابني بيوتا فأكملها وأحسنها وأجملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها ففضل الناس يطوفون
ويجهمون البيان ويقولون ألو وضعت ههنا لبنة فيتم بيتا لك — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فكنت أنا اللبنة »
أخرجاه من حديث عبد الرزاق (حديث آخر) عن أبي هريرة رضى الله عنه أيضا قال الإمام مسلم حدثنا يحيى بن أيوب ووثيبة
وطى بن حجر قالوا حدثنا إسماعيل بن جعفر عن السلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الثنائم ، وجعلت
لى الأرض مسجدا وطهورا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بنبيون » ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث
إسماعيل بن جعفر وقال الترمذى حسن صحيح (حديث آخر) وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن
أبي صالح عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلى ومثل الأنبياء من قبل كمثل
رجل بنى دارا فأتمها إلا موضع لبنة واحدة فبحث أنا فأتممت تلك اللبنة » ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب

كلاماً عن أبي معاوية به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح حدثنا سعيد بن مسروق السكبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن الرباض بن سارية رضى الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم « إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لنجدل في طيبته » (حديث آخر) قال الزهري أخبرني محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لي أمماً : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الناعي الذي يدعو الله تعالى في الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي » أخرجه في الصحيحين . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هيرة عن عبد الرحمن ابن جبير قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ما كلودع فقال « أنا محمد النبي الأمي - ثلاثاً - ولا نبي بعدى ، أتيت فوابع الكلم وجوامعها وخواتمها وعلت كم خزنة النار وحملة العرش ، ونجوز في دعوتك ودعوت أمي فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم ، فلما ذهب في فليكم بكتاب الله تعالى أحلوا حلاله وحرموا حرامه » فخر به الإمام أحمد .

ورواه الإمام أحمد أيضاً عن يحيى بن إسحاق عن ابن لهيعة عن عبد الله بن هيرة عن عبد الله بن شريح الخولاني عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما فذكر مثله سواء والاحاديث في هذا كثيرة فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم ثم من تشرفه لهم ختم الأنبياء وللرسولين به وإكمال الدين الخفيف له ، وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنة للتواتر عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا القام بعده فهو كذاب أفك دجال ضال مضل ، ولو تخبرني وشيد وآتى بأنواع السحر والطلاس والتبريجات فكلمها بحال وضال عند أولى الأبواب كما تجري الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن ومسلمة الكذاب بالجماعة من الأحوال الفاسدة والأفوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله وكذلك كل مدح لذلك إلى يوم القيامة حتى يثمتوا بالمسيح الدجال ، فكل واحد من هؤلاء الكذابين خلق الله تعالى معهم الأمور ما يشهد العلماء وللمؤمنون بكتبهم من جاء بها وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقهم بضرورة الواقع لا يأمرهم بمحرف ولا ينهون عن منكر إلا على شيل الاضاحي أولاً لم فيه من المقاصد إلى غيره ويكون في غاية الأفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم كما قال تعالى (هل أنبشكم على من تنزل الشياطين تنزل كل أفك أنب) الآية وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والمدح في أقوالهم وسلوكهم فيهم مع ما يؤيدون به من الحوارق للمعاد والعدة الواضحات والبراهين الباهرات فضوات الله وسلامه عليهم دائماً مستمراً ما دامت الأرض والسموات

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ هُوَ الَّذِي يُسَلِّ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ يُخَيِّرُ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ إِلَى الثَّوَرِ ۚ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَاحِمًا ۚ تَجِبُهُمْ يَوْمَ تَأْتِيهِمْ سَكْرَةٌ ۖ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾

يقول تعالى أمرًا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تبارك وتعالى التمج عليهم بأنواع التمج وصنوف الثناء لما لهم في ذلك من جزيل الثواب ، وجليل المكاب . قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن سعيد حدثني مولى ابن عباس عن أبي مجرة عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبشكم بغير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم » قالوا وما هو يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « ذكر الله

عز وجل » وهكذا رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد مولى ابن عباس عن أبي بحريه واحمد بن عبد الله بن قيس البراعمى عن أبي الهريثه رضى الله عنه به ، قال الترمذى ورواه بعضهم عنه فأرسله ، قلت وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى (والله أكبر من ذلك بكثير) (والله أكبر) فى مسند الإمام أحمد من حديث زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس أنه بلغه عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بنحوه والله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا روى بن فضالة عن أبي سعيد الحمصى قال : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول : دعاء سمعته من رسول الله ﷺ لا أدعه : اللهم اجعلنى أعظم شكرك وأتبع نصيحتك وأكثر ذكرك وأحفظ وصيتك ورواه الترمذى عن يحيى بن موسى عن وكيع عن أبي فضالة الفرج بن فضالة عن أبي سعيد الحمصى عن أبي هريرة رضى الله عنه فذكر مثله وقال غريب وهكذا رواه الإمام أحمد أيضا عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن لرج بن فضالة عن أبي سعيد اللرى عن أبي هريرة رضى الله عنه فذكره . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس قال سمعت عبد الله بن بشر يقول جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما يا رسول أى الناس خير ؟ قال صلى الله عليه وسلم « من طاب عمره وحسن عمله » وقال الآخر يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فبى أمر أثبتت به قال صلى الله عليه وسلم « لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى » وروى الترمذى وابن ماجه الفصل الثانى من حديث معاوية بن صالح به ، وقال الترمذى حديث حسن غريب . وقال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث قال : إن دراجا أبا السمع حدثته عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أذكروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون » . وقال الطبرانى حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عتبة بن مكرم العمى حدثنا سعيد بن سفيان الجحدرى حدثنا الحسن بن أبي جعفر عن عتبة بن أبي شيبه الراسى عن أبي الهيثم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « اذكروا الله ذكرا » حتى يقول للناطق إنكم تراءون » ، وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا شداد أبو طلحة الراسى سمعت أبا الوازع جابر بن عمرو يحدث عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « مامن قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه إلا أرواه حسرة يوم القيامة » وقال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (اذكروا الله ذكرا كثيرا) إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم حفر أهلها فى حال البذر غير الذى ذكره الله تعالى لم يحمل له حدا انتهى اليه ولم يذكر أحدا فى تركه إلا مغلوبا على تركه فقال (اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) بالليل والنهار فى البر والبحر ، وفى السفر والحضر ، والنقى والفقر ، والسقم والصحة ، والسر والملاينة ، وعلى كل حال . وقال عز وجل (وسبحوه بكرة وأصيلا) فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته ، والأحاديث والآيات والآثار فى الحث على ذكر الله تعالى كثيرة جدا وفى هذه الآية الكريمة الحث على الاكثار من ذلك . وقد صنف الناس فى الأذكار للتعلة بآناء الليل والنهار كالنساء والمعمري وغيرهما . ومن أحسن الكتب للؤلؤة فى ذلك كتاب الأذكار للشيخ يحيى الدين النويرى رحمه الله وقوله تعالى (وسبحوه بكرة وأصيلا) أى عند الصبح والمساء كقوله عز وجل (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) وله الحمد فى السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون) وقوله تعالى (هو الذى صلى عليكم وملائكته) هذا تهيج إلى الذكر أى تمسح بانه يذكركم فاذكروا ثم كقولهم عز وجل (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون) وقال النبي ﷺ « يقول الله تعالى من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملاذ ذكرته فى ملاذ خير منه » والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند اللاتسكة حكمه البخارى عن أبي العالمة ورواه أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عنه ، وقال غيره الصلاة من الله عز وجل الرحمة . وقد يقال

لا منافاة بين القولين والله أعلم ، وأما الصلاة من الملائكة فيمضي الدماء للناس والاستغفار كقوله تبارك وتعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمدهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فأغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم) وقهم السيئات (الآية . وقوله تعالى (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) أي بسبب رحمة بكم وثباته عليكم ودعاء ملائكته لكم ليخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين (وكان بالمؤمنين رجا) أي في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فانه هدمام إلى الحق الذي جهه غيرهم وبصرهم الطريق الذي شل عنه وحاد عنه من سوامم من البعثة إلى الكفر أو البدعة وأتباعهم من الطعام ، وأما رحمتهم بهم في الآخرة فأنهم من القزع الأكبر وأمر ملائكته بملقوتهم بالإشارة بالنور بالجنة والنجاة من النار وما ذاك إلا لهديته لهم ورأفته بهم قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال : مر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه رضي الله عنهم وصبي في الطريق فلما رأته أمه القوم خضيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسمى وتقول : ابني ، ابني وسعت فأخذته فقال القوم يا رسول الله ما كانت هذه تلتقي ابنتها في النار قال فضضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « لا ، والله لا يلتقي حبيبه في النار » إسناده على شرط الصحيحين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، ولكن في صحيح الإمام البخاري عن أسير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبي قد أخذت صبيا لها فأخضته إلى صدرها وأرضعته فقال رسول الله ﷺ « آثرون هذه تلتقي ولدها في النار وهي تضر على ذلك ؟ » قالوا لا قال رسول الله ﷺ فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولسها . وقوله تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) الظاهر أن الراد والله أعلم تحيتهم أي من الله تعالى يوم يلقونه سلام أي يوم يسلم عليهم كما قال عز وجل (سلام قولا من رب رحيم) وزعم قتادة أن الراد أنهم يحيي بعضهم بعضا بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة ، واختاره ابن جرير : [قلت] وقد يستدل بقوله تعالى (دعواهم فيها بسماواتك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) وقوله تعالى (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة وما فيها من الماء كل والشرب واللابس والسكن والتناكح والملاذ واللناظر عمالا من رأت ولا أدن ضمت ولا خطر على قلب بشر

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۖ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۚ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنْ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ۚ وَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَهْلَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۚ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان حدثنا هلال بن أبي عن عطاء بن يسار قال لبيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله إنه لوصوفى التوراة يعنى صفته في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وحرزا للأمين أنت عيسى ورسولى ، سميتك للتوكل ليس يفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يغفو ويصفح ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به للذة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله فينجي بها أعيناهما ، وأكادنا صبا ، وقلوبا غلفا ، وقد روى البخاري في البيوع عن محمد بن سنان عن فليح بن سليمان عن هلال بن أبي عن رواد في التفسير عن عبد الله قيل ابن رجا ، وقلنا بن صالح عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو به . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبد الله بن رجا عن عبد العزيز بن أبي سلمة للاشجون به .

وقال البخاري في البيوع وقال سعيد بن هلال عن عطاء بن عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، وقال وهب بن منبه إن الله تعالى أوصى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له شمعاء : أن قم في قومك بني إسرائيل فاني منطلق لسانك يوحى وأبشأ أميا من الأميين ، أبشأ ليس يفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يمر إلى جنب سراجم لم يطغته من

سكينة ، ولو يمشى على القصب لم يسمع من تحت قدميه مبشرا ونذيرا لا يقول الحنا ، أنتج به أعينا كلها وآذانا صبا وقولها غلغا ، أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم ، وأجل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتعوى ضميره ، والحكمة منطقته ، والصدق والوفاء طبيعته ، والغبو واللروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته والمهدي إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمداسمه أهديه به بعد الضلال ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخسالة ، وأعرف به بعد النكرة ، وأكثر به بعد العلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين أمم متفرقة وقلوب مختلفة . وأهواء متشتتة ، وأستنقذ به نفاما من الناس عظيمة من المهلكة ، وأجل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، موحدن مؤمنين مخلصين ، مصدقين لما جاءت به رسل ، المهتمم بالتبشير والتوحيد ، والثناء والتكبير والتوحيد ، في مساجدهم ومجالسهم ومناجسهم ومنقلبهم ومثواهم يصلون لي قياما وقعودا ويقفون في سبيل الله صوفوا وزحوا ، ومخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتي ألوبا ، يظهرن الوجوه والأطراف ويشدون الثياب في الأنصاف ، قربانهم دماؤهم . وأنجالهم في صدورهم ، رهبان البليل ليوث بالها ، وأجل في أهل بيته وذريته السابقين ، والصدقين والشهداء والصالحين ، أمته من يده يهدون بالحق وبه يعدلون ، وأعز من نصرهم وأقرب من دعا لهم ، وأجل دائرة السوء على من خالفهم ، أو بغي عليهم أو أراد أن يتزعج شيئا مما في أيديهم ، أجلبهم وريثة لنبيهم ، والهادية إلى ربهم ، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم أختهم الحجر الذي بدا به بأولهم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وأنا ذو الفضل العظيم . هكذا رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه العماني رحمه الله . ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله القرشي عن شيان النحوي أخبرني قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزل (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وقد كان أمر عليا ومعازنا رضي الله عنهما أن يسيرا إلى اليمن فقال « انطلقا فيسرا ولا تفترقا ، ويسرا ولا تمسرا ، إنه قد أنزل على (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) » ورواه الطبراني عن محمد بن نصر بن حيد البراء البغدادي عن عبد الرحمن بن صالح الأزدي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العزمي بإسناده مثله . وقال في آخره « فانه قد أنزل على يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا على أمتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله بإذنه وسراجا منيرا بالقرآن » . وقوله تعالى (شاهدا) أي لله بالوحدانية ، وأنه لا إله غيره وعمل الناس بأعمالهم يوم القيامة وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كقوله (لتكنوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وقوله عز وجل (ومبشرا ونذيرا) أي بشرا للمؤمنين بمجزيل الثواب ونذيرا للكافرين من ويل العقاب . وقوله جل عظمته (وداعيا إلى الله بإذنه) أي داعيا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك (وسراجا منيرا) أي وأمره ظاهر فيها جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها لا يمحدها إلا مماند . وقوله جل وعلا (ولا تطلع الكافرين وللتائقين ودع أدام) أي لا تطعمهم وتوسع منهم في الذي يقولونه (ودع أدام) أي اصمح وتجاوز عنهم وكل أمرهم إلى الله تعالى فان فيه كفاية لهم ولهذا قال جل جلاله (وتوكل على الله وكفى بالله وكيل)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنَّمُوهُنَّ وَسَّرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا)

هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة منها إطلاق النكاح على القودحده وليس في القرآن آية أمصرح في ذلك منها ، وقد اختلفوا في النكاح هل هو حقيقة في العقد وحده أو في الوطء أو فيهما ؟ على ثلاثة أقوال ، واستعمل القرآن إنما هو في العقد والوطء بعده إلا في هذه الآية فانه استعمل في العقد وحده لقوله تبارك وتعالى (إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسُوهُنَّ) وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها . وقوله تعالى (الْمُؤْمِنَاتِ) خرج

ههنا كما قاله المجاهد وغير واحد وقد كان مهره لنساء اثنتي عشرة أوقية ونشر وهو نصف أوقية فالجميع خسافة درهم
إلا أم حبيبة بنت أبي سفيان فإنه أمهرها عنه النجاشي رحمه الله تعالى بأربعة دنانير وإلا صفية بنت حيي فإنه أصطفاهما
من سبي خيبر ثم أعتهما وجعل عتقها صدقاتها ، وكذلك جويرية بنت الحارث الصطليقة أدعى عنها كتابتها إلى ثابت بن
قيس بن شماس وتزوجها رضي الله عنهما أجمعين - وقوله تعالى (وما ملكك يتيك بما آتاه الله عليك) أي وأباح لك
التسرى مما أخذت من القاتم وقد نكح صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما ، وملك رجانة بنت شمعون النضرية
ومارية القبطية أم ابنه إبراهيم عليهما السلام وكانت من السراي رضى الله عنهما وقوله تعالى (وبنت عمك وبنت
عماتك وبنت خالك وبنت خالاتك) الآية هذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط فإن النصارى لا يتزوجون المرأة
إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعدا ، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته ، فجابت هذه الشريعة
الكلمة الطاهرة بهدم إفراط النصارى فأباح بنت العم والعممة ، وبنت الخال والحالة وتحريم ما فرطت فيه اليهود من
إباحة بنت الأخ والأخت وهذا شنيع فظيع ، وإنما قال (وبنت عمك وبنت عمتك وبنت خالك وبنت خالاتك)
فوحده لفظ الذكر لشره فوجع الاناث لنقصن كقوله (عن العيين واليهاميل) (يخرجهم من الظلمات إلى النور) (وجعل
الظلمات والنور) وله نظائر كثيرة وقوله تعالى (اللان هاجرن منك) قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عمار
ابن الحارث الرازي حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هانئ قالت خطبني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتنرت إليه ففترني ، ثم أنزل الله تعالى (إنا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت
أبوهن وما ملكك يتيك مما آتاه الله عليه وبنت عمك وبنت عمتك وبنت خالك وبنت خالاتك اللان
هاجرن منك قالت فلم أكن أحل له ولم أكن بمن هاجر معه كنت من الطلقاء. ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن
عبيد الله بن موسى ثم رواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عنها بنحوه ، ورواه الترمذي
في جامعه . وهكذا قال أبو زرير وتادة إن الراد من هاجر معه إلى المدينة . وفي رواية عن قتادة (اللان هاجرن
مك) أي أسلمن ، وقال الضحاك قرأ ابن مسعود (واللان هاجرن منك)

وقوله تعالى (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك) الآية أي ويحل لك أيها
النبي المرأة المؤمنة إن وهبت نفسها لك أن تزوجها بغير مهر إن شئت ذلك . وهذه الآية تنال فيها شرطان كقوله
تعالى إخبارا عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه (ولا يفتك قصصى إن أردت أن أصح لك إن كان الله يريد أن
يفوضكم) وكقول موسى عليه السلام (يا قوم إن كنتم آمتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) وقال ههنا (وامرأة
مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) الآية وقد قال الإمام أحمد حدثنا إسحق أخبرنا مالك عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي
أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة فقالت يا رسول الله إني قد وهبت نفسي لك فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال
يا رسول الله زوجني إن لم يكن لك بها حاجة ، فقال رسول الله ﷺ « هل عندك من شيء تصديقي إياه ؟ »
فقال ما عندي إلا إزارى هذا ، فقال رسول الله ﷺ « إن أعطيتنا إزارك جلست لا إزار لك فالتمس
شيئا » فقال لا أجد شيئا ، فقال « التمس ولو خاتما من حديد » فالتمس فلم يجد شيئا ، فقال له النبي ﷺ « هل معك
من القرآن شيء ؟ » قال نعم سورة كذا وسورة كذا - السور يسما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « وزوجتك يا معك من
القرآن » أخرجه من حديث مالك وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا مرحوم سمعت ثابتا يقول : كنت مع أنس
جالسا وعنده ابنة له فقال أنس جادت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت يا نبي الله هل لك في حاجة فقلت ابنته ما كان أقل
حياها فقال « هي خير منك رغبت في النبي ففرشت عليه نفسها » انفراد بإخراجه البخارى من حديث مرحوم بن عبد العزيز
عن ثابت البناني عن أنس به : وقال أحمد أيضا حدثنا عبد الله بن بكر حدثنا سنان بن ربيعة عن الحضرى عن
أنس بن مالك أن امرأة آتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله أنى لكذا وكذا فذكرت من حسنها وجيها
فأثارتك بها فقال « قد قبلتها » فلم تزل تمدحها حتى ذكرت أنها لم تصنع ولم تشك شيئا قط فقال « لا حاجة لي في بنتك »

لم يخرجوه ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا ابن أبي الوضاح يعني محمد بن مسلم عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة قالت التي وهبت نفسها للنبي ﷺ خولة بنت حكيم ، وقال ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن وابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه أن خولة بنت حكيم بن عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وفي رواية له عن سعيد بن عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه كانت تتحدث أن خولة بنت حكيم كانت وهبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة سالحة . فيحتمل أن أم سلم هي خولة بنت حكيم أو هي امرأة أخرى ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وعمر بن الحكم وعبيد الله بن عبيدة قالوا : تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة امرأة ستا من قريش : خديجة وعائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة ، وثلاثا من بني عامر بن صعصعة وامرأتين من بني هلال بن عامر : ميمونة بنت الحارث وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وزينب أم السالكين ، وامرأة من بني بكر بن كلاب من القرظيات وهي التي اختارت الدنيا وامرأة من بني الجون وهي التي استأذنت منه وزينب بنت جحش الأديبة ، والسبتين صفية بنت حيي ابن أخطب وجويرة بنت الحارث بن عمرو بن الصطلق الخزاعية ، وقال تميم بن أبي عروة عن قتادة عن ابن عباس (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) قال هي ميمونة بنت الحارث فيه انقطاع هذا مرسل وللشهور أن زينب التي كانت تسمى أم السالكين هي زينب بنت خزيمة الأنصارية وقد ماتت عند النبي ﷺ في حياته ﷺ أعلم . والعرض من هذا أن اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ كثير كما قال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو أسامة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ وأقول : أتنبئ المرأة نفسها ؟ فإني أرى أنزل الله تعالى (ترجى من تشاء منها وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) قلت ما أرى ربك إلا يسارع في هواك . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن منصور الجعفي حدثنا يونس بن بكير عن عتبة بن الأزهري عن سحابة عن حكيمه عن ابن عباس قال لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن يونس بن بكير أي أنه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له وإن ذلك مباح له وخصوصا لأنه مردود إلى مشيئة كما قال الله تعالى (إن أراد النبي أن يستكفيها) أي إن اختار ذلك .

وقوله تعالى (خالصة لك من دون المؤمنين) قال عكرمة أي لا تحمل اللوهوبة لغيرك ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحمل له حتى يعطيها شيئا وكذا قال مجاهد والشامي وغيرهما أي أنها إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل فإنه متى دخل بها وجب عليه لها مهر مثلها كما حكم به رسول الله ﷺ في تزويج بنت واشق لما فوضت فعلم لها رسول الله ﷺ بصدائق مثلها لما توفي عنها زوجها وللولت والداخل سوء في تقرير للهر وثبوت مهر للثقل في اللقوضة لغير النبي ﷺ فأما هو عليه الصلاة والسلام فإنه لا يجب عليه اللقوضة شيء ولو دخل بها لأن له أن يتزوج بغير صدائق ولا ولي ولا شهود كما في قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها ولهذا قال قتادة في قوله (خالصة لك من دون المؤمنين) يقول ليس لامرأة تنهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر إلا لالنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (قد علنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم) قال ابن أبي كعب ومجاهد والحسن وقتادة وابن جرير في قوله (قد علنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) أي من حصرهم في أربع نسوة حرائر ومائتاهن وامن الإمام واشتراط الولي والهر والشهود عليهم وم الأمة وقد رخصنا لك في ذلك فلم نوجب عليك شيئا منه (لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما)

(تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتِغَيْتَ مِّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَقْرَأَهُنَّ وَلَا تَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا)

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تغير من النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألا تستحي للراء أن تعرضن أنفسهن بغير صدق ؟ فأقول الله عز وجل (ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء) الآية قالت إني أرى ربك يسارع بك في هواك . وقد خدم أن البخاري رواه من حديث أبي أسامة عن هشام بن عروة قال هذا على أن للراء بقوله (ترجى) أي تؤخر (من تشاء منهن) أي من الواهبات (وتؤوى إليك من تشاء) أي من شئت قبلتها ومن شئت رددتها ، ومن رددتها فأنت فيها أيضا الخيار بعد ذلك إن شئت عدت فيها فأويتها ولهذا قال (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) قال عامر الشعبي في قوله تعالى (ترجى من تشاء منهن) الآية كن نساءا وهبن أنفسهن لني صلى الله عليه وسلم قد دخل يعضن وأرجأ بعضهن لم يشكن بعده ، منهن أم شريك ، وقال آخرون بل للراء بقوله (ترجى من تشاء منهن) الآية أي من أزواجك لا حرج عليك أن ترك القسم لمن تقدم من شئت وتؤخر من شئت وتجماع من شئت وترك من شئت هكذا يروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبي زرير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ، ومع هذا كان النبي ﷺ يقسم لمن ولهذا ذهب طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجبا عليه صلى الله عليه وسلم واحتجوا بهذه الآية الكريمة ، وقال البخاري حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله هو ابن للبارك أخبرنا عاصم الأحول عن معاذ عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يستأذن في اليوم للراء منا بعد أن نزلت هذه الآية (ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء) فقالت لها ما كنت تقولين ؟ قالت كنت أقول إن كان ذلك إليك فاني لا أريد يا رسول الله أن أؤثر عليك أحدا . فهذا الحديث عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجود القسم وحديث الأول يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات ، ومن ههنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده أنه غير فيهن إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم ، وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي وفيه جميع بين الأحاديث ولهذا قال تعالى (ذلك أدنى أن تحر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتن كلهن) أي إذا علم أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم ، فلان شئت قسمت وإن شئت لم تقسم لا جناح عليك في أي ذلك فلت تسمع هذا أن تقسم لمن اختيارا منك لأنه على سبيل الوجوب فرحن بذلك واستبشرن به وحلن جميلك في ذلك ، واعتزفن بمتك علمين في قسمتك لمن وتسويتن بينهن وإنصافك لمن وعدتك فبين . وقوله تعالى (والله يعلم ما في قلوبكم) أي من الليل إلى بعضهن دون بعض مما لا يمكن دفعه كما قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن أبيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول « اللهم هذا فعلى فإياك فلا تلعن فإياك ولا تأكل ولا تأملك » ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن سلمة وزاد أبو داود بعد قوله « فلا تلعن فإياك ولا تأكل ولا تأملك » يني القلب . وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ولهذا عقب ذلك قوله تعالى (وكان الله عليا) أي يفاضل السرائر (حليا) أي يحلم ويغفر .

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ الْأَنْسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾

ذكر غير واحد من العلماء كابن عباس ومجاهد والنسائي وقتادة وابن زيد وابن جرير وغيرهم أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضا عنهن على حسن متبعين في اختيارهن الله ورسوله والبار الآخرة لما خبرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في الآية ، فلما اخترن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جزاؤهن أن الله تعالى قصره عليهن وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن ولو أعجبه حسنهن إلا الإمام والسراير فلا حرج عليه فيهن ، ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك ونسخ

حكم هذه الآية ، وأباح له التزوج ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لشكون المنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم
قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن عطاء عن عائشة رضى الله عنها قالت مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى أحل الله له النساء ، ورواه أيضا من حديث ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمر عن عائشة ، ورواه الترمذي
والنسائي في سننهما ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن خزيمة حدثني عمر بن أبي بكر
حدثني الثوري بن عبد الرحمن الحزامي عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله عن عبد الله بن وهب بن زعنة عن أم سلمة أنها قالت : لم
يأت رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات عكرم . وذلك قول الله تعالى (نرجس من
نشأ منها) الآية فبطلت هذه ناسخة التي بعدها في التلاوة كما في عدة الوفاة في البقرة ، الأولى ناسخة التي بعدها
والله أعلم ، وقال آخرون بل معنى الآية (لا يحل لك النساء من بعد) أي من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي
أحلنا لك من نساك اللاتي آتيت أجورهن ومملكت يمينك ، وبنات العم والعمة والحال والحالات والواحدة
وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك ، وهذا ما روى عن أبي بن كعب ومجاهد في رواية عنه وعكرمة
والضحاك في رواية وفي زريق في رواية عنه وأبي صالح والحسن وقتادة في رواية والسدقي وغيرهم قال ابن جرير
حدثنا يعقوب حدثنا ابن علي بن داود بن أبي هند حدثني محمد بن أبي موسى عن زياد عن رجل من الأنصار قال
قلت لأبي بن كعب أ رأيت لو أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم توفين إما كان له أن يتزوج ؟ فقال وما يمنعه من
ذلك ؟ قال قلت قول الله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد) فقال إنما أحل الله له ضربا من النساء فقال تعالى (يا أيها النبي
إنا أحلنا لك أزواجك - إلى قوله تعالى - إن وهبت نفسك للنبي) ثم قيل له (لا يحل لك النساء من بعد)
ورواه عبد الله بن أحمد بن حنبل عن طريق عن داود ، وروى الترمذي عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن
تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك) فأحل الله فتياتك المؤمنات ، وامرأة مؤمنة
إن وهبت نفسها للنبي وحرم كل ذات دين غير الإسلام ثم قال (ومن يكثر بالإجماع فقد حبط عمله) الآية
وقال تعالى (يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن - إلى قوله تعالى - خالصة لك من دون
المؤمنين) وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء ، وقال مجاهد (لا يحل لك النساء من بعد) أي من بعد ما يمي
لا مسلمة ولا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ، وقال أبو صالح (لا يحل لك النساء من بعد) أمر أن لا يتزوج أعرابية
ولا عرية ويتزوج بعد من نساء تهامة وما شاء من بنات العم والعمة والحال وإن شاء ثلاثا ، وقال عكرمة
(لا يحل لك النساء من بعد) أي التي ممي الله ، واختار ابن جرير رحمه الله أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف
النساء ، وفي النساء اللواتي في عصمته وكن تسما ، وهذا الذي قاله جيد وله مراد كثير من حكينا عنه من السلف
فإن كثيرا منهم روى عنه هذا وهذا ولا منافاة والله أعلم . ثم أورد ابن جرير على نفسه ما روى أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وعزم على فراق سودة حتى وهبت يومها لعائشة ، ثم أجاب بأن هذا كان قبل
نزول قوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج) الآية ، وهذا الذي قاله من أن هذا كان
قبل نزول الآية صحيح ولكن لا يحتاج إلى ذلك فإن الآية إنما دلت على أنه لا يتزوج بمن عدا اللواتي في عصمته
وأنه لا يستبدل بهن غيرهن ولا يدل ذلك على أنه لا يطلق واحدة منهن من غير استبدال الله أعلم ، فأما قضية
سودة ففي الصحيح عن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها وهي سبب نزول قوله تعالى (وإن امرأة خافت من
بعلها تنوزا أو إعرضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا) الآية ، وأما قضية حفصة فروى أبو داود والنسائي
وابن ماجه وابن حبان في صحيحهم طرق عن يحيى بن زكريا بن أيزائدة عن صالح بن صالح بن حي عن سلف بن كعب
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وهذا إسناد قوى
وقال الحافظ أبو بكر محمد بن بكر عن الأعمش عن أبي صالح عن ابن عمر قال : دخل عمر على

خفصة وهي تبكى فقال ما يبكيك ؟ لعل رسول الله ﷺ طلقك ، إنه كان طلقك مرة ثم راجعك من أجل والله لئن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبداً . ورجاله على شرط الصحيحين . وقوله تعالى (ولا تأتوا بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) فنهى عن الزيادة عليهن إن طلقوا واحدة منهن واستبدال غيرها بها إلا ما ملكتك يمينه وقدروى الحافظ أبو بكر البرزاري حديثاً نسباً ذكره فيها فقال حدثنا إبراهيم بن نصر حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا عبد السلام ابن حرب عن إسحاق بن عبد الله القرشي عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : كان البذل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل بادلي امرأتك وأبدلك بأمرأتى أى تنزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى فأزال الله (ولأن تبديل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) قال فدخل عيينة بن حصن القزاري على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فدخل بغير إذن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « فأين الاستئذان ؟ » فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الحجرية إلى جنبك ؟ فقال رسول الله ﷺ « هذه عائشة أم المؤمنين » قال أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق ؟ قال « يا عيينة إن الله قد حرم ذلك » فلما أن خرج قالت عائشة من هذا ؟ قال « هذا أحق مطاع وإنه على ما ترين لسيد قومه » ثم قال البرزاري : إسحاق بن عبد الله بن الحديث جداً وإنما ذكرناه لأنهم يحفظه إلا من هذا الوجه ويينا الله فيه

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْبَسِرُوا وَلَا مَسْتَشِينَ لِلْحَدِيثِ) ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَعِجِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِي مِنْ أَحَدٍ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقَوْلِكُمْ وَقَوْلِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَيْنِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا إِنْ تُبْذُوا شَيْئًا أَوْ تُخَفَوْهُ فَلَنْ يَكُلَ مِنْهُ غُلِيًّا

هذه آية الحجاب وفيها أحكام وآداب شرعية وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه أنه قال وافقت ربي عزوجل في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخلفت من مقام إبراهيم صلى فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى) وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفجور فلو حجبتن فأنزل الله آية الحجاب وقلت لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم لما تأملن عليه في البقعة (عن ربه إن طلقكن أن يبدلهن أزواجاً خيراً منكن) فنزلت كذلك وفي رواية لسم ذكر أسارى بدر وهي قضيه رابعة وقد قال البخاري حدثنا مسدد عن يحيى عن ٣٠٠ عن أنس بن مالك قال : قال عمر بن الخطاب يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب وكان وقت نزولها في مسجدة عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بزئب بنت جحش التي تولى الله تعالى تزويجها بنفسه وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة في قول قتادة والواقدي وغيرهما ، وزعم أبو عبيدة معمر بن اللثمي وخليفة بن خياط أن ذلك كان في سنة ثلاث فانه أعلم قال البخاري حدثنا محمد بن عبد الله القزافي حدثنا معمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو جحائل عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زئب بنت جحش دعا القوم فطمعوا ثم جلسوا يتحدثون فإذا هو بشياً لقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام ، فلما قام ، قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس ثم اتهم قاموا فانطلقوا فبحث فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا فجهاد حتى دخل فذهبت أدخل فأتاني الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَابِرِينَ

إنه ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا) الآية وقد رواه أيضا في موضع آخر، ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر بن سليمان به ثم رواه البخاري منفردا به من حديث أيوب عن أبي قتابة عن أنس رضي الله عنه بنحوه ثم قال حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : بين النبي صلى الله عليه وسلم بنسب بنت جحش فخرج ولم فأرسلت على الطعام داعيا فجيء قوم فياكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فياكلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحدا أَدْعُوهُ فقلت يا رسول الله ما جئ أحدكم فقالوا (أرضوا أطعمكم) وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال « السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته » قالت وعليك السلام ورحمة الله وكيف وجدت أهلك يا رسول الله بورك الله لك ؟ فترى حجر نسائه كلهن يقول لمن كما يقول لعائشة وقلن له كما قالت عائشة ، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا ثلاثة رهط في البيت يتحدثون وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة فلما درى أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله والأخرى خارجه أرخى الستر بين يمينه وأنزلت آية الحجاب . انفراد البخاري من بين أصحاب الكتب الستة سوى النسائي في اليوم والليلة من حديث عبد الوارث ثم رواه عن إسحاق هو ابن منصور عن عبد الله بن بكير السهمي عن حميد عن أنس بنحو ذلك وقال جلال انفراد به من هذا الوجه وقد تقدم في أفراد مسلم من حديث سليمان بن اللبيرة عن ثابت عن أنس ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو المنظر حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عتيان اليشكري عن أنس بن مالك قال قال أعرس رسول الله ﷺ بيض نسائه فصنعت أم سليم حيسا ثم جعلته في تور فقالت أذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقره مني السلام وأخبره أن هذا مني له قليل قال أنس : والناس يومئذ في جهد فيجئ به فقلت يا رسول الله بشت بهذا أم سليم إليك وهي تهرئك السلام وتقول أخبره أن هذا مني له قليل فنظر إليه ثم قال « ضمه » فوضته في ناحية البيت ثم قال « انذهب فادع لي فلانا وفلانا » فسمى رجلا كثيرا وقال « ومن قبيل من للسليمن » فدعوت من قال لي ومن قبيل من للسليمن فجيئت والبيت والصفة والحجرة ملائ من الناس فقلت يا أبا عتيان كم كانوا ؟ فقال كانوا زهاء ثلاثمائة قال أنس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « جئ به » فجيئت به إليه فوضع يده عليه ودعا وقال « ما شاء الله » ثم قال « ليتخلق عشرة عشرة وليسوا وليا لكل كل إنسان مما يليه » فجلسوا يسمون وبأكلون حتى أكلوا كلهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارفعه » قال فجيئت فأخذت الثور فنظرت فيه فما أدرى أهو حين وضعت أكثر أم حين أخذت قال وتختلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الخائط فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس حياء ، ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزرا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على حجره وعلى نسائه فلما رآوه قد جاء ظنوا أنهم قد تناولوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا في الحجرة فكش رسول الله ﷺ في بيته يسيرا وأنزل الله عليه القرآن فخرج وهو يتلو هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي) الآية قال أنس فقرأهن في قبل الناس فانا أحدث الناس بهن عهدا ، وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعا عن قتبية عن جعفر بن سليمان به ، وقال الترمذي حسن صحيح وعلقه البخاري في كتاب النكاح فقال : وقال إبراهيم بن طهمان عن الجعد أبي عتيان عن أنس فذكر نحوه ، ورواه مسلم أيضا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد به ، وقد روى هذا الحديث عبد الله بن المبارك عن شريك عن ينان بن بشر عن أنس بنحوه ، وروا البخاري والترمذي من طريق آخر عن ينان بن بشر الأحمسي السكوني عن أنس بنحوه ، ورواه ابن أبي حاتم أيضا من حديث أبي نضرة العبدى عن أنس بن مالك بنحو ذلك ولم يخرجوه ، ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ومن حديث الزهري عن أنس بنحو ذلك ، وقال الإمام أحمد حدثنا جزوه هاشم بن القاسم قال حدثنا سليمان بن اللبيرة عن ثابت عن أنس قال لا أخضت عدة زينت قال رسول الله

زيد « اذهب فاذكرها على » قال فانطلق زيد حتى أتاها - قال - وهي تخمر عجبها فلما رأيتهما عظمت في صدرى ، وذكر تمام الحديث كما قدمناه عند قوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا) وزاد في آخره بعد قوله : ووعظ القوم بما وعظوا به . قال هاثم في حديثه (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) الآية . وقد أخرج مسلم والنسائي من حديث جعفر بن سليمان به . وقال ابن جرير حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن أبي بن وهب حدثني عمي عبد الله بن وهب حدثني يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى الناس - وهو صيد أبيض - وكان عمر يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أحجب نسائك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفعل ، فخرجت سودة بنت زمعة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى : قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب قالت فأنزل الله الحجاب . هكذا وقع في هذه الرواية ، والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب كما رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تحفى على من يعرفها فركها عمر بن الخطاب فقال يا سودة أما والله ما تفتنين علينا فانظري كيف تخرجين . قالت فانكأنت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت وإنه ليتشى وفي يده عرق فدخلت فقالت يا رسول الله إنى خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا ، قالت فأوحى الله إلي ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال « إنه قد أذن لكن أن تخرجين لحاجتك » لفظ البخاري قوله تعالى (لا تدخلوا بيوت النبي) حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام حتى غار الله هذه الأمة فأمرهم بذلك وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة ولهذا قال رسول الله ﷺ « إياكم والدخول على النساء » الحديث ثم استثنى من ذلك فقال تعالى (إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه) قال مجاهد وقادة وغيرهما أى غير متحججين لفضله واستواءه أى لا ترقبوا الطعام إذا طبع حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول فإن هذا مما يكرهه الله ويؤذمه وهذا دليل على تحريم التطويل وهو الذى تسميه العرب الضيفن ، وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتابا في ذم الطويلين وذكر من أخيارهم أشياء يطول إيرادها ، ثم قال تعالى (ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا) وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرسا كان أو غيره » وأصله في الصحيحين ، وفي الصحيح أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو دعيت إلى ذراع لأجبت ولو أهدى إلى كراع لقبلت ، فإذا فرغتم من الذى دعيت إليه فحففوا عن أهل المنزل وانتشروا في الأرض » ولهذا قال تعالى (ولا تستأنسين لحديث) أى كما وقع لأولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ونسوا أنفسهم حتى شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (إن ذلك كان يؤذى النبي فيستحي منك) وقيل الرد أن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به ، ولكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك من شدة حياله عليه السلام حتى أنزل الله عليه النبي عن ذلك ولهذا قال تعالى (والله لا يستحي من الحق) أى ولهذا نهاهاكم عن ذلك وذكركم عنه ثم قال تعالى (وإذا سألتوهن متاعا فاسألوهن من ورادهن) أى وكأنيبهنكم عن الدخول عليهن كذلك لا تنتظروا إليهن والكلية ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ولا يسألن حاجة إلا من ورادهن وحجاب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن مسعر عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد عن عائشة قالت كنت أكل مع النبي ﷺ حنسا في قعب فمر عمر فطعا فأكل فأصابته أصبه أصبى فقال حسن أو أوملوا طاع فيسكن ما رأيته عينا فنزل الحجاب حنسا (ذلك أظهر قالوا به وقولهم) أى هذا الذى أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أظهر وأطيب وقوله تعالى (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تتكلموا بأزواجه من بعده أبدا إن ذلك عند الله عظيم) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن محمد بن أبي حماد حدثنا مهرا عن سفيان عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) قال نزلت في رجل م أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعده

قال رجل لمفيا نأهي عائشة ؟ قال قد ذكرنا ذلك وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وذكر بسنده عن السدي أن الذي عزم على ذلك طلحة بن عبد الله رضى الله عنه حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك ، ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من نوى عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين كما تقدم واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته هل يحل لغيره أن يتزوجها ؟ على قولين يأخذهما أهل دخلت هذه في عموم قوله (من بعده) أم لا ؟ فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها قال في حلها لغيره والحالة هذه زنا والله أعلم ، وقال ابن جرير حدثني محمد بن لثمي حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن عامر أن نبي الله ﷺ مات وقد ملك قيلة ابنة الأشعث - يعني ابن قيس - فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك فشق ذلك على أبي بكر مشقة شديدة فقال له عمر يا خليفة رسول الله إنها ليست من نسائه إنها لم يغيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها وقد برأها الله منه بالردة التي ارتدت مع قومها ، قال فاطمان أبو بكر رضى الله عنه وسكن ، وقد علم الله ببارك وتعالى ذلك وشدد فيه وتوعد عليه بقوله (إن ذلكم كان عند الله عظيما) ثم قال تعالى (إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما) أي مهما تكنه ضاهركم وتنطوى عليه سرايركم ، فإن الله يعلمه فإنه لا تخفى عليه خافية (يعلم خاتنة الأعين وما تخفي الصدور)

(لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أبنَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا أبنَاءَ أَخَوَاتِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَقْرَبُ إِلَهُكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا)

لما أمر ببارك وتعالى النساء بالحجاب من الأجانب بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم كما استلزام في سورة النور عند قوله تعالى (ولا يبدن زينة ولا ليموتن أو أبائهن أو آبائهن بولتهن أو أبنائهن أو أبناء بولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسايتن أو ما ملكت أيمانهن أو التابيعين غير أولى الإربة من رجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) وفيها زيادات على هذه وقد تقدم تفسيرها والكلام عليها بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقد سأل بعض السلف فقال : لم لم يذكر الم والحال في هاتين الآيتين ؟ فأجاب عكرمة والشعبي بأنهما لم يذكرهما لأنهما قد يصفان ذلك لبنيهما ، قال ابن جرير حدثني محمد بن لثمي حدثنا حجاج بن منهل حدثنا حماد حدثنا داود عن الشعبي وعكرمة في قوله تعالى (لا جناح عليهن في آبائهن) ألا قلت ما شأن الم والحال لم يذكر ؟ قال لأنهما يستأنها لأبنائهما وكرها أن تضع خارها عند خالها وعمها . وقوله تعالى (ولا نسايتن) يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء للمؤمنات ، وقوله تعالى (وما ملكت أيمانهن) يعني بأرقاهن من الله كور والإناث كما تقدم التنبيه عليه ، وإيراد الحديث فيه قال سعيد بن المسيب إنما يعني به الإماء فقط رواد ابن أبي حاتم وقوله تعالى (وأقرب) إن الله كان على كل شيء شهيدا (أي وأخفيته في الخفية والملاينة فإنه شهيد على كل شيء لا تخفى عليه خافية فراقين الرقيب

(إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَصْطَلُونَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا حَضَرُوا الْقِبْلَةَ وَمِنْ يَمِينِهِمْ وَمِنْ شَمَالِهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا فَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهَا وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ هَادٍ إِنَّ اللَّهَ هَادٍ ضَالِّ)

قال البخاري : قال أبو المالة : صلاة الله تعالى ثلثوه عليه عند الصلاة ، وصلاة الثلاثكة الصلاة ، وقال ابن عباس : يصلون يركون هكذا بالبخاري عنها ؛ وقد رواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي المالة كذلك وروى مثله عن الربيع أيضا وروى على بن أبي طلحة عن ابن عباس كما قاله سواء ، رواها ابن أبي حاتم ، وقال أبو عيسى الترمذي وروى عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا : صلاة الرب الرحمة وصلاة الثلاثكة الاستغفار ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو الأودي حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمرو بن مرة قال الأعمش أراه عن عطاء بن أبي رباح (إن الله وملائكته يصلون على النبي) قال : صلاته ببارك وتعالى سبح قدوس سبقت رحمة

غضبى . وللقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده وثبته عنده في اللاأطى بأنه يثب على
عند اللائكة للقرين وأن اللائكة تصلى عليه ثم أمر تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء
عليه من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعا ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا بن أبي الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن
حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحق عن جعفر بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن نبيا إسرائيل
قالوا لموسى عليه السلام هل يصلى ربك ؟ فقال له عز وجل : يا موسى سألتك هل يصلى ربك قتل نعم أنا أصلى
وملائكتي على أنبيائي ورسلي ، فأزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم (إن الله وملائكته يصلون على النبي
يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) . وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه يصلى على عباده المؤمنين في قوله تعالى
(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته (الآية وقال
تعالى) وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم
الآية ، وفي الحديث « إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف » ، وفي الحديث الآخر « اللهم صل على آل
أبي أوفى » وقال رسول الله ﷺ لامرأة جابر وقد سألته أن يصلى عليها وعلى زوجها : « صلى الله عليك
وعلى زوجك » ، وقد جاءت الأحاديث للتواتر عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصلاة عليه ، وكيفية الصلاة
عليه ونحن نذكر منها إن شاء الله ما تيسر والله السمعان ، قال البخارى عند تفسير هذه الآية حدثنا سعيد بن
عيسى بن سعيد أخبرنا أبي عن مسعر عن الحكم عن ابن أبي لبي عن كعب بن عجرة قال : قيل يا رسول الله ﷺ صلوا
عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة ؟ قال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك
حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد »
وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم قال : سمعت ابن أبي لبي قال لقيني كعب بن عجرة
فقال ألا أهدى لك هدية ؟ خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله قد علمنا أو عرفنا كيف السلام
عليك فكيف الصلاة ؟ فقال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة
في كتبهم من طرق متعددة عن الحكم وهو ابن عتيبة زاد البخارى وعبد الله بن عيسى كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي لبي
فذكرهم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا هشيم بن بشير عن يزيد بن أبي زياد حدثنا عبد الرحمن بن أبي
لبي عن كعب بن عجرة قال لما نزلت (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)
قال : قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟ قال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل
إبراهيم إنك حميد مجيد » وكان عبد الرحمن بن أبي لبي يقول وعلينا معهم ، ورواه الترمذى بهذه الزيادة ومعنى قولهم
أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذى فى التشهد الذى كان يطمع إياه كما كان يطمع السورة من القرآن وفيه السلام
عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته (حديث آخر) قال البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن ابن الهادي
عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف تصلى عليك قال
« قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على آل إبراهيم » قال أبو صالح عن الليث : على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم . حدثنا إبراهيم بن حمزة
حدثنا أبي عن حازم بن الدرداء عن يزيد بن أبي الهادي قال : قال الليث على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على
إبراهيم وآل إبراهيم . وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث ابن الهادي . (حديث آخر) قال الإمام أحمد قرأت على عبد الرحمن
مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن عمرو بن سليم أنه قال أخبرني أبو حنيفة الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف
تصلى عليك قال « قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته

كما بارتك على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » وقد أخرجه بقية الجماعة سوى الترمذى من حديث مالك به .
 (حديث آخر) قال مسلم حدثنا يحيى بن يحيى الحمصى قال : قرأت على مالك عن نعيم بن عبد الله المجهري
 أخبرني محمد بن عبد الله بن زيد الأنصاري قال : وعبد الله بن زيد هو الذي كان أرى النداء بالصلاة أخيره عن أبي
 مسعود الأنصاري قال : أئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادَةَ فقال
 له بشير بن سعد : أمرنا أن نصلّي عليك يا رسول الله فكيف نصلّي عليك ؟ قال نصكت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حتى تخمينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
 كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد
 والسلام كما قد علمت » وقد رواه أبو داود والترمذى والنسائي وابن جرير من حديث مالك به وقال الترمذى
 حسن صحيح وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن
 إسحق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد بن أبي مسعود البدرى أنهم قالوا يا رسول الله أما
 السلام فقد عرفناه فكيف نصلّي عليك إذا نحن صليتنا صلاتنا فقال وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » وذكره
 ورواه الشافعى رحمه الله في مسنده عن أبي هريرة مثله ، ومن هنا ذهب الشافعى رحمه الله إلى أن يجب على المصلّي
 أن يصلّي على رسول الله ﷺ في التشهد الأخير فإن تركه لم تصح صلاته ، وقد شرع بعض التأخيرين
 من المالكية وغيرهم يمنع على الإمام الشافعى في اشتراطه ذلك في الصلاة ويؤم أنه قد نفرد بذلك ، وحكى الاجماع
 على خلافه أبو جعفر الطبري والطحاوى والخطاوى وغيرهم فيما نقله القاضي عياض عنهم ، وقد تنصّف هذا القائل في رده
 على الشافعى وتكلف في دعواه الاجماع في ذلك وقال ما لم يحط به علما فانا قد روينا وجوب ذلك والأمر بالصلاة على
 رسول الله ﷺ في الصلاة كما هو ظاهر الآية ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود
 وأبو مسعود البدرى وجابر بن عبد الله ، ومن التابعين الشعبي وأبو جعفر الباقر ومقاتل بن حيان وإليه ذهب الشافعى
 لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضاً ، وإليه ذهب الإمام أحمد أخيراً فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقى به ، وبه قال
 إسحق بن راهويه والفقهاء الإمام محمد بن إبراهيم اللخوف ، وابن اللوازى المالكي رحمهم الله حتى إن بعض أئمة
 الحنابلة أوجب أن يقال في الصلاة عليه ﷺ كما علمهم أن يقولوا لما سألوهم وحتى إن بعض أصحابنا أوجب
 الصلاة على آله فيما حكاه البندنجي وسليمان الرازى وصاحبه نصر بن إبراهيم القدسي ، وقوله إمام الحرمين
 وصاحبه الفزائى قولاً عن الشافعى . والصحيح أنه وجه ، على أن الجمهور على خلافه وحكموا بالاجماع على خلافه وللقول
 بوجوبه ظواهر الحديث والله أعلم . والترض أن الشافعى رحمه الله يقول بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
 في الصلاة سلفاً وخلفاً كما تقدم والله الحمد ولثة فلا اجماع على خلافه في هذه المسئلة لا قديماً ولا حديثاً والله أعلم .
 وما يؤيد ذلك الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وصححه ، والنسائي وابن خزيمة وابن حبان
 في صحيحهما من رواية حذوة بن شريح للصري عن أبي هانئ حميد بن هانئ عن عمرو بن مالك التميمي عن فضالة
 ابن عبيد رضى الله عنه قال سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لمحمد الله ولم يصل على النبي
 فقال رسول الله ﷺ « عجل هذا » ثم دعاه فقال له أو لتبهره « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل
 والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليندع بعد بما شاء » وكذا الحديث الذي رواه ابن ماجه من رواية عبد الله بن
 ابن عباس بن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا صلاة لمن لا وضوء
 له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه . ولا صلاة لمن لم يصل على النبي ، ولا صلاة لمن لم يحب الأنصار »
 ولكن عبد الله بن مسعود هذا متروك وقد رواه الطبراني من رواية أخيه أبي بن عباس ولكن في ذلك نظر وإنما يعرف
 من رواية عبد الله بن مسعود والله أعلم .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا إسماعيل عن أبي داود الأعمى عن بريدة قال : قلنا

يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نسلم عليك ؟ قال ؟ « قولوا اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » أبو داود الأعمى اسمه تميم بن الحارث متروك (حديث آخر) موقوف رويته عن طريق سعيد بن منصور وزيد بن هارون وزيد بن الجباب ثلاثهم عن نوح بن قيس حدثنا سلامة الكندي أن علياً رضي الله عنه كان يعلم الناس هذا الدعاء اللهم داحي للدعوات ، وبارئ للسعوات وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها ، اجعل شرائف صلاتك ، ونواحي بركاتك ، ورأفة رحمك ، على محمد عبدك ورسولك النافع لا أخلق ، والناقم لما سبق ، واللمن الحق بالحق ، واللهامغ لجيشات الأبطال ، كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك ، مستوفزا في مرضاتك غير نسل في قدم ، ولا وهن في عزم ، وإعيا لوجيك ، حافظا لعهدك ، ماضيا على نفاذ أمرك حتى أوري قسبا لقياس ، آلاء الله فصل بأهله أسبابه ، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإيم ، وأبجج موضحات الأعلام ، ونافرات الأحكام ، ومنيرات الإسلام ، فهو أمينك للأمن ، وخازن علمك الخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبينك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة ، اللهم أفسح له في عدتك واجزه مشاعفات الخير من فضلك ، مهنك له غير مكدرات ، من فوز ثوابك المألوف وجزيل عطائك الملول ، اللهم أعل على بناء الناس بناء وأكرم مشاءه لديك ونزله ، وأتم له نوره واجزه من ابتائك له مقبول الشهادة . مرضى للقالة ذا منطق عدل . وخطه فصل . وحجة وبرهان عظيم . هذا مشهور من كلام علي رضي الله عنه وقد تكلم عليه ابن تيمية في مشكل الحديث وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي في جزء جمعه في فضل الصلاة على النبي ﷺ إلا أن في إسناده نظرا . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا . كذا قال وقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني هذا الأثر عن محمد بن علي الصائغ عن سعيد بن منصور حدثنا نوح بن قيس عن سلامة الكندي قال كان علي رضي الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي ﷺ فيقول اللهم داحي للدعوات وذكرة

(حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا زيد بن عبد الله حدثنا السعدي عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة عن الأسود ابن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال إذا صليت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا له علمنا ، قال قولوا : اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين ، وإمام التقيين ، وخاتم النبيين ، محمد عبدك ورسولك ، إمام الخير وقائد الخير ، ورسول الرحمة . اللهم ابنيه مقاماً محموداً يفضله به الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وهذا موقوف ؟ وقد روى إسحاق بن إسماعيل القاضي عن عبد الله بن عمرو وأبو عمر على الشك من الراوي قريبا من هذا : (حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا أبو إسرائيل عن يونس بن خباب قال حدثنا بشار بن فارس فقال (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسلياً) فقال أنبأتني من مع ابن عباس يقول هكذا أنزل قلنا أو قالوا يارسول الله علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وأرحم محمد وآل محمد كما رحمت آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد » فيستدل بهذا الحديث من ذهب إلى جواز الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو قول الجمهور ويضده حديث الأعرابي الذي قال : اللهم أرحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً فقال رسول الله ﷺ « لقد حجرت واسماً » وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منه قال وأجلزه أبو محمد بن أبي زيد ،

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر أخبرنا شعب عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من صلى على صلاة لم نزل للملائكة تسلي عليه ماضى على فليقل عبد من ذلك وليكثر » ورواه ابن ماجه من حديث شعبة به .

(حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذي حدثنا بندار حدثنا محمد بن خالد بن عتبة حدثني موسى بن يعقوب الزمعي حدثني عبد الله بن كيسان أن عبد الله بن شداد أخبره عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أولى الناس لي يوم القيامة أكثرهم على صلاة» تفرد بروايته الترمذي رحمه الله ثم قال هذا حديث حسن غريب (حديث آخر) قال إسماعيل القاضي حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن يعقوب بن يزيد بن طلحة قال: قال رسول الله ﷺ «أما أتت من رب فقال لي مامن بمدي يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشراً» فقام إليه رجل فقال يا رسول الله ألا أجعل نصف دعائي لك؟ قال «إن شئت» قال ألا أجعل ثلثي دعائي لك؟ قال «إن شئت» قال ألا أجعل ثلثي دعائي لك كله قال «إذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة» فقال شيخ كان بمكة يقال له منيع لسفيان عمن أسنده قال لأدري (حديث آخر) قال إسماعيل القاضي حدثنا سعيد بن سلام الطمار حدثنا سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في جوف الليل فيقول «جاءت الراحفة تتبعها الرادفة جاء اللوت بما فيه» فقال أبي يارسول الله إني أصلي من الليل أنا أجعل لك ثلث صلاتي؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الشرط» قال أنا أجعل لك شطر صلاتي؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الثلثان» قال أنا أجعل لك صلاتي كلها قال «إذن يغفر لك ذنبك كله» وقد رواه الترمذي بنحوه فقال حدثنا هناد حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال «يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله» جاءت الراحفة تتبعها الرادفة، جاء اللوت بما فيه، جاء اللوت بما فيه» قال أبي قلت يارسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال «ما شئت» قلت الأربع قال «ما شئت فإن زدت فهو خير لك» قلت فأنصف قال «ما شئت فإن زدت فهو خير لك» قلت أجعل لك صلاتي كلها قال «إذن يكفيك ذنبك» ثم قال هذا حديث حسن. وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال: قال رجل يارسول الله أ رأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال «إذن يكفيك ما أهمك من دنياك وآخرتك» (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أبو سلمة منصور بن سلة الخزامي ويونس هو ابن محمد قال حدثنا ليث عن يزيد بن المهدي عن عمرو بن أبي عمر عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الرحمن بن عوف قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبته حتى دخل فخلا فسجد فأطال السجود حتى خفت أو خشيت أن يكون قد توفاه الله أوقضه: قال فبحث أنظر فرفع رأسه فقال «مالك يا عبد الرحمن؟» قال فذكرت ذلك له فقال «إن جيريل عليه السلام قال لي ألا أضرك إن الله عز وجل يقول من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه» (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا سليمان بن بلال حدثنا عمرو بن أبي عمر عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف قال: قام رسول الله ﷺ فوجهه فدخل فاستقبل القبة فخرساجدا فأطال السجود حتى ظننت أن الله قد قبض نفسه فيها فدونت منه ثم جلست فرفع رأسه فقال «من هذا» قلت عبد الرحمن قال «ما شئت» قلت يارسول الله سجدت سجدة خشيت أن يكون الله قبض روحك فيها فقال «إن جيريل أتاني فيسئرن أن الله عز وجل يقول لك من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله عز وجل شكرا» ورواه إسماعيل بن إسحق القاضي في كتابه عن يحيى بن عبد الحميد عن الدراوردي عن عمرو بن عبد الواحد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف به، ورواه من وجه آخر عن عبد الرحمن (حديث آخر) قال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن جبير بن عبد الله بن معاوية بن جبير بن ريان حدثنا يحيى بن أيوب حدثني عبد الله بن عمر عن الحكم بن عتيبة عن إبراهيم التيمي عن الأسود بن يزيد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ لحاجة فلم يجد أحداً يتبعه ففرغ عمر فاتاه بمطهرة من خلفه فوجد النبي ﷺ ساجدا في مشربة فتتبعه عنه من خلفه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال «أحسنتم حين وجدني

ساجدا فتحتحت عنى إن جبريل أتانى فقال من صلى عليك من أمتهك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات» وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء للقدس في كتابه المستخرج على الصحيحين ، وقد رواه إسماعيل القاضي عن القاضي عن سلمة بن وردان عن أنس عن عمر بنحوه ، ورواه أيضا عن يقوب بن حديد عن أنس بن عياض عن سلمة بن وردان عن مالك بن أنس بن الحديثان عن عمر بن الخطاب بنحوه (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت بن سلبان مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله إننا نرى السرور في وجهك فقال «إنه أتاني الملك فقال يا أحمد ما يرضيك أن ربك عز وجل يقول إنه لا يصلى عليك أحد من أمتهك إلا صليت عليه عشرا ، ولا يصلى عليك أحد من أمتهك إلا يابست عليه عشرا قلت ؟ بلى » ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة به وقد رواه إسماعيل القاضي عن إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة بنحوه (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا شرح حدثنا أبو معشر عن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبي طلحة الأضاري قال أصبح رسول الله ﷺ يوما طيب النفس يرى في وجهه البشر قالوا يا رسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر قال « أجل أتاني آت من ربي عز وجل فقال من صلى عليك من أمتهك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات. ووقع له عشر درجات ، ورد عليه مثلها » وهذا أيضا إسناد جيد ولم يخرجوه . (حديث آخر) روى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث إسماعيل بن جعفر عن الولاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرا » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح توفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف وعامر بن ربيعة وعمارو أبي طلحة وأنس وأبي كعب ، وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا شريك عن ليث عن كعب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « صلوا على فاتها زكاة لكم وسلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في أعلا الجنة ولا ينالها إلا رجل ، وأرجو أن أكون أنا هو » ثم ربه : أحمد وقد رواه البزار من طريق مجاهد عن أبي هريرة بنحوه فقال حدثنا محمد بن إسحاق البجلي حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا داود بن علي عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلوا على فاتها زكاة لكم ، وسلوا الله لي الوسيلة من الجنة » فأنشأه أو أخبرنا فقال « هي درجة في أعلى الجنة وهي لرجل وأرجو أن أكون ذلك الرجل » في إسنادهم بعض من تكلم فيه (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن شعبة عن عبد الرحمن بن بريح الحولاني سمعت أبا قيس مولى عمرو بن العاص سمعت عبد الله بن عمرو يقول : من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته لها سبعين صلاة ، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر وسمعت عبد الله بن عمرو يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالودع فقال « أنا محمد النبي الأمي — قاله ثلاث مرات — ولا يني بدي ، أو تبت فوانح الكلام وخواتمه وجواممه ، وعلت كم خزنة النار وحمة العرش ونجوز في عوفيت وعوفيت أمي ، فاسمعوا وأطيعوا مادمت فيكم ، فإذا ذهب في قبلكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه :

(حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو سلمة الحراساني حدثنا أبو إسحاق عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ذكرت عنده فليصل على ومن صلى على مرة واحد صلى الله عليه عشرا » ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث أبي داود الطيالسي عن أبي سلمة وهو للتيرة بن مسلم الحراساني عن أبي إسحاق حمرو بن عبيد الله السبيعي عن أنس به (حديث آخر) عن أنس قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو عن يونس بن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي مريم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الملك ابن حمرو وأبو سعيد حدثنا سليمان بن بلال عن عمارة بن غزية عن عبد الله بن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن الحسين

عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « البخل من ذكرت عنده لم يصل على » وقال أبو سعيد « فليصل على » ورواه الترمذي من حديث سليمان بن بلال ثم قال هذا حديث حسن غريب صحيح ومن الرواة من جله من مسند الحسين بن علي ومنهم من جله من مسند علي نفسه

(حديث آخر) قال إسماعيل القاضي حدثنا حجاج بن متاهل حدثنا حماد بن سلمة عن معبد بن هلال المزني حدثنا رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل على » (حديث آخر) مرسل قال إسماعيل وحدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصلي على » (حديث آخر) قال الترمذي حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا ربيع بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد القبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يفترقه ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخله الجنة » ثم قال حسن غريب . قلت وقد رواه البخاري في الأدب عن محمد بن عبيد الله حدثنا ابن أبي حازم عن كثير بن زيد عن الوليد بن ربيع عن أبي هريرة مرفوعا بنحوه ، وروناه من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به قال الترمذي وفي الباب عن جابر وأنس قلت وابن عباس وكعب بن عجرة وقد ذكرت طرق هذا الحديث في أول كتاب الصيام عند قوله (إما يلقن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) وهذا الحديث والذي قبله دليل على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر وهو مذهب طائفة من العلماء منهم الطحاوي والحليقي ويتقوى بالحديث الآخر الذي رواه ابن ماجه حدثنا جنادة بن للنس حدثنا حماد بن زيد حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة » جنادة ضعيف ولكن رواه إسماعيل القاضي من غير وجه عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة » وهذا مرسل يتقوى بالذي قبله والله أعلم . وذهب آخرون إلى أنه يجب الصلاة عليه في المجلس مرة واحدة ثم لا يجب في بقية ذلك المجلس بل تستحب بقية الترمذي عن بعضهم وتأييد بالحديث الذي رواه الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصالحوا على بينهم إلا كان عليهم فترة يوم القيامة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم » تفرد به الترمذي من هذا الوجه ورواه الإمام أحمد عن حجاج ويزيد بن هارون كلاهما عن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعا مثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن

وقد روى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ من غير وجه وقد رواه إسماعيل القاضي من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي سعيد قال « ما من قوم يقيمون ولا يصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم يوم القيامة حسرة وإن دخلوا الجنة لا يرون من الثواب » وحكى عن بعضهم أنه إنما يجب الصلاة عليه ... عليه الصلاة والسلام ... في الممر مرة واحدة امتثالا لأمر الآية . ثم هي مستحبة لكل حال وهذا هو الذي نصره القاضي عياض بعدما حكى الإجماع على وجوب الصلاة عليه ﷺ في الجنة . قال وقد حكى الطبري أن عمل الآية على الندب وأدعى فيه الإجماع قال ولله نيا زاد على الررة والواجب فيه مرة كالشهادة به بالثبوت ومزاد على ذلك مذنب ومرغب فيه من سنن الإسلام وعشار أهله [قلت] وهذا قول غريب فانه قد ورد الأمر بالصلاة عليه في أوقات كثيرة فلها واجب ومنها مستحب على ما نئنه . فمتعبد التداء للصلاة للحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سميرة حدثنا كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يقول إنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول إنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إذا سمعتم مؤذنا يقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلى الله عليه بها

عسرا ثم سألوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنفى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة » وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث كعب بن علقمة (طريق أخرى) قال إسماعيل القاضي حدثنا محمد بن أبى بكر حدثنا عمرو بن حلى عن أبى بكر الجشمى عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « من سأل الله لى الوسيلة حقت عليه شفاعتى يوم القيامة » .

(حديث آخر) قال إسماعيل القاضي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا سعيد بن زيد عن لىث عن كعب هو كعب الأحبار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « سألوا لى فإن صلاكم على زكاة لكم وسألوا الله لى الوسيلة » قال فلما حدثنا وإما سألتاه « الوسيلة أعلى درجة فى الجنة لا ينالها إلا الرجل وأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل » ثم رواه عن محمد بن أبى بكر عن معتمر عن لىث وهو أبى بن سلم به وكلمة الحديث الآخر . قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لمية حدثنا بكر بن سودة عن زياد بن نهم عن ورقاء الحضرمى عن زوفيع بن ثابت الأنصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من صلى على محمد وقال اللهم أنزه للتقديس عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى » وهذا إسناد لا بأس به ولم يخرجوه (أثر حسن) قال إسماعيل القاضي حدثنا لى بن عبد الله حدثنا سفيان حدثني معمر عن ابن طاوس عن أبيه سمعت ابن عباس يقول : اللهم تقبل شفاعته محمد الكبرى وارفع درجته العليا ، وأعطه سؤلته فى الآخرة والأولى كما ثبت إبراهيم وموسى عليهما السلام . إسناد جيد قوى صحيح .

ومن ذلك عند دخول المسجد والخروج منه للحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا لىث بن أبى سلمة عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن جدته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لى ذنوبى واغفر لى ذنوبى واغفر لى أبواب رحمتك ، وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لى ذنوبى واغفر لى أبواب فضلك » وقال إسماعيل القاضي حدثنا يحيى بن عبد الجيد حدثنا سفيان بن عمرو التميمى عن سليمان الضبي عن لى بن الحسين قال ، قال لى بن أبى طالب رضى الله عنه : إذا مررت بالمسجد فسلوا على النبي صلى الله عليه وسلم . وأما الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فقد قلنا الكلام عليها فى التشهد الأخير ومذهب لى ذلك من العلماء منهم الشافعى رحمه الله وأكرمه ، وأما التشهد الأول فلا تجب فيه قولاً واحداً وهل تستحب ؟ لى قولين للشافعى ومن ذلك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى صلاة الجنازة فإن السنة أن يقرأ فى التكبيرة الأولى فاتحة الكتاب ، وفى الثانية أن يصل على النبي صلى الله عليه وسلم وفى الثالثة يدعو للميت وفى الرابعة يقول اللهم لا تحرمننا أجره ولا تفتنا بصدقه قال الشافعى رحمه الله : حدثنا مطرف بن مازن عن معمر عن الزهرى أخبرنى أبو أمامة بن سهل بن حنيف أنه أخبره رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن السنة فى الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يقرأ فاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرا فى نفسه ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويخلص السجدة للجنائز وفى التكبيرات لا يقرأ فى شيء منها ثم يسل سرا فى نفسه . ورواه النسائى عن أبى أمامة ضمه أنه قال من السنة فذكره ، وهذا من الصحاح فى حكم الرفع على الصحيح . ورواه إسماعيل القاضي عن محمد بن لىث عن عبد الأظى عن معمر عن الزهرى عن أبى أمامة بن سهل عن سعيد بن المسيب أنه قال : السنة فى الصلاة على الجنازة فذكره . وهكذا روى عن أبى هريرة وابن عمر والشعبى ومن ذلك فى صلاة العيد قال إسماعيل القاضي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائى حدثنا حماد بن أبى سليمان عن إبراهيم عن علقمة أن ابن مسعود وأبى موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة يوماً قبل العيد فقال لهم إن هذا العيد قد بدأ فكيف التكبير فيه ؟ قال عبد الله بدأ تكبير تكبيرة فتفتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلى على النبي ﷺ ثم تدعو وتكبر وتضلل مثل ذلك ، ثم تكبر وتضلل مثل ذلك ، ثم تكبر وتضلل مثل ذلك ، ثم تقرأ ثم تكبر وتركع ، ثم تقوم فترأى وتحمد ربك وتصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتضلل مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة وأبى موسى مدق أبو عبيد الرحمن إسناد صحيح ، ومن ذلك أنه يستحب ختم الدعاء بالصلاة عليه صلى الله عليه

وسلم قال الترمذى حدثنا أبو داود حدثنا النضر بن عمار عن أبي قرّة الأندلسي عن سعيد بن السيب عن عمر بن الخطاب قال :
 السماء موقوف بين السماء والأرض لا يصدمته شيء حتى تصلى على نبيك وكذا رواه أيوب بن موسى عن سعيد بن السيب
 عن عمر بن الخطاب . ورواه معاذ بن الحارث عن أبي قرّة عن سعيد بن السيب عن عمر مرفوعاً ، وكذا رواه زهير
 ابن معاوية في كتابه مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « السماء موقوف بين السماء والأرض لا يصدم حتى يصلى
 على فلا تصولون كغير الرّاكب صلو على أول السماء وآخره وأوسطه » وهذه الزيادة إنما تروى من رواية جابر
 ابن عبد الله في مسند الإمام عبد بن حميد السكيت حيث قال : حدثنا جعفر بن عون أخبرنا موسى بن عبيدة عن إبراهيم
 ابن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال : قال جابر قال لنا رسول الله ﷺ « لا تصولون كغير الرّاكب إذا علق تماثيله
 أخذ قدسه فلاء من الماء فإن كان له حاجة في الوضوء توضأ ، وإن كان له حاجة في الشرب شرب وإلا هراق
 ما فيه اجعلوا في أول السماء وفي وسط السماء وفي آخر السماء » وهذا حديث غريب موسى بن عبيدة ضعيف
 الحديث ، ومن أكد ذلك دعاء القنوت لما رواه أحمد وأهل السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم مث
 حديث أبي الجوزاء عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال علق رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر
 اللهم اهتدي فيمن هديت . وعافني فيمن عافيت . وتوفني فيمن توليت . وبارك في ما أبغيت . وفقني شر ما قضيت . فإنيك
 تقضي ولا يفضي عليك . إنه لا يذل من واليت . ولا يبر من عاديت . تباركت ربنا وتعاليت . وزاد النسائي في سننه
 بعد هذا وصلى الله على محمد . ومن ذلك أنه يستحب الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة . قال الإمام
 أحمد حدثنا حسين بن علي الجعفي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأعشى السنعاني عن أوس بن أوس الثقفي
 رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض ، وفيه النفخة ؟
 وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي » قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك
 صلاتنا وقد أرمت ؟ يسي وقد بليت ، قال « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » ورواه أبو داود
 والنسائي وابن ماجه من حديث حسين بن علي الجعفي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والنووي
 في الأذكار (حديث آخر) قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا عمرو بن سواد البصري حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو
 ابن الحارث عن سعيد بن أبي حلال عن زيد بن أبين عن عباد بن نسي عن أبي الهرداء قال : قال رسول الله ﷺ
 « أكرتوا الصلاة على يوم الجمعة فانه مشهود تشهد للأنبياء وإن أحداً لم يصلى على فيه إلا حرمت على صلاته
 حتى يفرغ منها » قال قلت وبعد الموت ؟ « قال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنه الله يحرم يرضى » هذا
 حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع بين عباد بن نسي وأبي الهرداء فانه لم يذكره والله أعلم
 وقد روى البيهقي من حديث أبي أمامة وابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بالاكثر من الصلاة
 عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن في إسنادها ضعف والله أعلم . وروى مسند الحسن البصري فقال إسماعيل
 القاضي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن البصري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « لا تأكل الأرض جسد من كلمه روح القدس » مرسل حسن والنووي في الأذكار (١) وقال القاضي وقال الشافعي
 أخبرنا إبراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة
 فأكثروا الصلاة على » هذا مرسل وهكذا يجب على الخطيب أن يصلى على النبي ﷺ يوم الجمعة على الثلب في الخطبتين
 ولا تصح الخطبتين إلا بذلك لأنها عبادة . وذكر الله شرط فيها فوجب ذكر الرسول ﷺ فيها كالأذان
 والصلاة هذا مذهب الشافعي وأحمد رحمهما الله ومن ذلك أنه يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره صلى الله
 وسلم قال أبو داود حدثنا ابن عوفيه عن محمد حدثنا القرى حدثنا حيوه عن أبي صخر حميد بن زائد عن يزيد بن عبد الله
 ابن قيس عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ما منكم من أحد يعلم على إلا رد الله على روعه حتى أرد
 عليه السلام . » ثم قال أبو داود وصححه النووي في الأذكار . ثم قال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح قال : قرأت
 (١) كذا في الأصل .

والوقاع وغير ذلك بما لم ترد فيه السنة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (حديث آخر) قال إسماعيل القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر القندي حدثنا عمرو بن حارون عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « صلو على أنبياء الله ورسله فان الله يشهم كما يشي » في إسناده ضعيفان وهما عمرو بن حارون وشيخه والله أعلم . وقد رواه عبد الرزاق عن الثوري عن موسى بن عبيدة الأريدي ، ومن ذلك أنه يستحب الصلاة عليه عند طين الأذن إن صح الخبر في ذلك على أن الإمام أبوبكر محمد بن إسحق بن خزيمة قد رواه في صحيحه فقال : حدثنا زيد بن يحيى حدثنا عمر بن محمد ابن عبيد الله عن علي بن أبي رافع عن أبيه أبي رافع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل على وليقل ذكر الله من ذكرني بخير » إسناده غريب وفي ثبوته نظر والله أعلم .

(مسئلة) وقد استحب أهل الكتابة أن يكرر الكتاب الصلاة على النبي ﷺ كلما كتبه ، وقد ورد في الحديث من طريق كاذب بن رحة من نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى على في كتاب لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب » وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة وقد روى من حديث أبي بكر وابن عباس ولا يصح أيضا ، قال الحافظ أبو عبد الله الشافعي شيخنا أحسن موضوعا ، وقد روى نحوه عن أبي بكر وابن عباس ولا يصح من ذلك شيء والله أعلم . وقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه [الجامع الآداب الراوى والسامع] قال : رأيت بخط الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كثيرا ما يكتب اسم النبي صلى الله عليه وسلم من غير ذكر الصلاة عليه كتابة قال : وبلغني أنه كان يصلى عليه لفظا . (فصل) وأما الصلاة على غير الأنبياء فإن كانت على سبيل التبيين كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وآله وأزواجه وذريته فهذا جائز بالإجماع وإنما وقع النزاع فيها إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون يجوز ذلك واحتجوا بقول الله تعالى (هو الذي يصلى عليكم وملائكته) ويقول (أولئك عليهم صلات من ربهم ورحمة) ويقول (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم) الآية ومحدث عبد الله ابن أبي أوفى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم يصدقونهم قال « اللهم صل عليهم » فأتاه أبي بصدقة فقال « اللهم صل على آل أبي أوفى » أخرجاه في الصحيحين ، ومحدث جابر بن أمرأته قالت يا رسول الله صل على وعلى زوجي فقال « صل الله عليك وعلى زوجك » قال الجمهور من العلماء لا يجوز إفراذ غير الأنبياء بالصلاة لأن هذا قد صار شعارا للأنبياء إذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا يقال قال أبو بكر صلى الله عليه أو قال على صلى الله عليه ، وإن كان للمنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عز وجل ، وإن كان هزوا جليلا لأن هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدماء لهم ولهذا لم يثبت شعارا لآل أبي أوفى ولا لجابر وأمرأته وهذا مسلك حسن . وقال آخرون لا يجوز ذلك لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صارت من شعار أهل الأهواء يصلون على من يقدون قيم فلا يقتدى بهم في ذلك والله أعلم ؛ ثم اختلفت للشافعية من ذلك هل هو من باب التحريم أو الكراهة التنزيهية أو خلاف الأولى ؟ على ثلاثة أقوال . حكاه الشيخ أبو ذكريا النووي في كتاب الأذكار . ثم قال والصحيح الذي عليه الأكثر أنه مكروه كراهة تنزيه لأنه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم ، والمكروه هو ما ورد فيه نهى مقصود . قال أصحابنا وللمتد في ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالأنبياء كما أن قولنا عز وجل خصوص بالله تعالى فكذلك لا يقال قال محمد عز وجل وإن كان عززا جليلا لا يقال أبو بكر أو علي صلى الله عليه ؛ هذا لفظ بحروفه ؛ قال وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا هو في معنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الأنبياء فلا يقال على عليه السلام وسواء في هذا الأحياء والأموات وأما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك وسلام عليكم أو السلام عليك أو عليكم وهذا جمع انتهى ما ذكره (قلت) وقد غلب هذا في عبارة كثير من النسخ فكتب أن يفرد على رضى الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه ؛ وهذا وإن كان معناه صحيحا لكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك فان

هذا من باب التمتع والسكرام ، فالشيخان وأما المؤمن عثان أولى بذلك منه رضى الله عنهم أجمعين قال إسماعيل القاضى حدثنا عبد الله بن عبد الواحد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثني عثان بن حكيم بن عباد بن حنيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : لا تصح الصلاة على أحد إلا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يدعى للمسلمين والصلوات بالخبرة ، وقال أيضا حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حسين بن علي عن جعفر بن برقان قال كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد فإن ناسا من الناس قد اتسوا الهدى يحمل الآخرة ، وإن ناسا من القصاص قد أخذوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاءك كتابي هذا فسلمهم إن تكون صلاحهم على النبيين ودعائهم للمسلمين عامة ويدعوا ماسوي ذلك . أمر حسن ، قال إسماعيل القاضى حدثنا معاذ بن أسد حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا ابن لهيعة حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن نبيه ابن وهب أن كعبا دخل على عائشة رضى الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب : ما من فاجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من اللائكة حتى يحضون بالقبور يضربون بأجنحتهم يسلون على النبي صلى الله عليه وسلم وسبعون ألفا نازل وسبعون ألفا بالتراسق إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفا من اللائكة يزفونه . (فرج) قال النورى إذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم فلا يقتصر على أحدهما فلا يقول صلى الله عليه فقط ولا عليه السلام فقط ، وهذا الذي قاله مترجم من هذه الآية الكريمة وهو قوله (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فالأولى أن يقال ﷺ تسليما

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَنَنُكِّلَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَنَعَدُ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۖ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا ظَاهِرًا كَتَبْنَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا جُزَاءً مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى متهددا ومتوعدا من آذاه بخالفه أوامره وإرتكاب زواجه وإصراره على ذلك وإذاءه رسول بهب أو ينص : عياذا بالله من ذلك - قال عكرمة في قوله تعالى (إن الذين يؤذون الله ورسوله) نزلت في السورين . وفي الصحيحين من حديث صفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل : يؤذي ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر أقلب إليه وجهه » ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون بأخية الدهر فعل بنا كذا وكذا فيسندون أمثال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه وإنما التاعل لذلك هو الله عز وجل فنبى عن ذلك . هكذا قرره الشافعى وأبو عبيدة وغيرهما من العلماء رحمهم الله وقال الموفى عن ابن عباس في قوله تعالى (إن الذين يؤذون الله ورسوله) نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ في تزويجه صفية بنت حيي بن أخطب . والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه شيء ومن آذاه كذا أى الله كما كان من أطاعه فقد أطاع الله كما قال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا إبراهيم بن سعد عن عبيدة بن أبي ربيعة الخداع الجاهلى عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن الفضل لزمى قال : قال رسول الله ﷺ « الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بدنى فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » وقد ورواه الترمذى من حديث عبيدة بن أبي ربيعة الخداع عن عبد الله بن الفضل به ، ثم قال وهذا حديث غريب لا يخرجه إلا من هذا الوجه

وقوله تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) أى ينسبون إليهم ما لم يعملوه ولم يفعلوه (فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) وهذا هو البهتان الكبير أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل المييب والتقصي لهم ، ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة وينسبونهم بما قد برأهم الله منه وصفونهم بتقصي ما أخبر الله عنهم فإن الله عز وجل قد أخبر أنه قد رضى

عن المهاجرين والأنصار ومدحهم وهؤلاء الجهة الأغنياء يسبونهم ويتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فضلوه أبداً فهم في الجنة منسكو القلوب يمدون للمدحون ويمدحون للذميين ، وقال أبو داود حدثنا القعني حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أنه قيل يا رسول الله ما النية ؟ قال « ذكر كذا خاك بما يكره » قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال « إن كان فيه ما أقول فقد اغتبت ، وإن لم يكن فيه ما أقول فقد بهت » وهكذا رواه الترمذي عن تميم عن الزوردي به ثم قال حسن صحيح ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا أبو كريم حدثنا معاوية بن هشام عن عمار بن أنس عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ لأصحابه « أي الربا أرى عند الله ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « أرى الربا عند الله استغلال عرض امرئ مسلم » ثم قرأ « والذين يؤذون المؤمنين وللمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » ،

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكُمْ وَبَنَاتَكِ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِكُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبٍ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُسْرَنَ فَلَإِ يُوْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْكَافِرُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُخَارُجُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا شَقِيقُوا أُخْرِجُوا مِنْهُ وَمِنْ كُنُوزِهِ يَكْفُونَ ۝ أَفَرَأَيْتَ إِنْ تَبَدَّلَ خُلُوفًا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝ ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ تسلياً أن يأمر النساء اللواتي - خاصة أزواجه وبناته لغيرهن - بأن يدين عليهن من جلابيبهن ليتمرن. عن سيات نساء الجاهلية وسيات الاماء ، والجلباب هو الرداء فوق الحمار . قاله ابن مسعود وعبيدة وقادة والحسن البصري. وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وعطاء الخراساني وغير واحد وهو بمنزلة الازرار اليوم . قال الجوهري : الجلباب اللبسة ، قالت امرأة من هذيل ثرتي قتيلاً

تمشى التمشير إليه وهي لاهية تمشى المذارى عليهن الجلابيب

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ويدنين حيناً واحدة ، وقال محمد بن سيرين سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل (يدين عليهن من جلابيبهن) فغطي وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى وقال عكرمة تغطي ثمره خرها بجلبابها نديه عليها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهري أنها كتبت إلى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خنيس عن صفية بنت شيبة عن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية (يدين عليهن من جلابيبهن) خرج نساء الأنصار كأن علي رءوسهن الثريان من السكينة وعليهن أكمية سود يلبسها ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثنا يونس ابن يزيد قال وسأناه يعني الزهري هل على الوليدة خمار متزوجة أو غير متزوجة ؟ قال عليها الحمار إن كانت متزوجة ونهى عن الجلباب لأنه يكره لمن أن يتشبه بالحرائر المحصنات وقد قال الله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) ، وروى عن سفيان الثوري أنه قال : لباس بالنظر إلى زينة نساء أهل السنة وإما نهى عن ذلك لحرف الفتنة لا لتمرتهن واستدل بقوله تعالى (ونساء المؤمنين) وقوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي إذا فعلن ذلك عرفن أين حرار ، لسن يلموا ولا عواهر. قال السدي في قوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) قال كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة فيعرضون للنساء وكانت تسمى كن أهل المدينة فيقه فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن فكان أولئك الصفاق ينتهون ذلك منهن ، فإذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا هذه حرة فكفوا عنها ، وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا هذه أمة فوثبوا عليها ،

وقال مجاهد يتجلبن فيعلم أنهم حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا رية ، وقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما)
أي لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهم علم بذلك ، ثم قال تعالى متوعدا للنافقين وهم الذين يظهرون
الإيمان ويطنون للكفر (والذين في قلوبهم مرض) قال عكرمة وغيره هم اثنتان ههنا (وللرقيقون في المدينة)
يعني الذين يقولون جاء الأعداء وجاءت الحروب وهو كذب واقتراء لأن لم يتهاوا عن ذلك ورجعوا إلى الحق
(لتتركهم) قال بن أبي طلحة عن ابن عباس أي لتسلطك عليهم ، وقال قتادة لتعرضك بهم ، وقال السدي
لعلكم بهم (ثم لا يهاورونك فيها) أي في المدينة (إلا قليلا) ملعونين حال منهم في مدة إقامتهم في المدينة مدة
قرية مطرودين مبددين (أينما هفوا) أي وجدوا (أخذوا) لقتلهم وقتلهم (وقتلوا هتيل) ثم قال تعالى (سنة الله
في الدين خلوا من قبل) أي هذه سنة في النافقين إذا تردوا على عقابهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه أهل الإيمان
يسلطون عليهم ويقربونهم (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي وسنة الله في ذلك لا تبدل ولا تغير

﴿ يَسْتَأْذِنُ الْإِنْسَ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّا عَمَلُنَا عِنْدَ اللَّهِ وَتَأْيِيدُكَ لَمَلِ السَّاعَةِ تَكُونُ قَرِيبًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَكَنَ
الْكَاثِرِينَ ۖ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۖ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ يَوْمَ تَقَلَّبَ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ
يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ۖ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَ ۖ رَبَّنَا
ءَاتِنَا مِنْ عَذَابِ الْعَذَابِ لَعْنًا كَبِيرًا ۖ ﴾

يقول تعالى غيرا لرسوله صلوات الله وسلامه عليه أنه لا علم له بالساعة وإن سأله الناس عن ذلك ، وأوردته
أن يرد عليها إلى الله عز وجل قال قال الله تعالى في سورة الأعراف وهي مكة وهذه مدينة فاستمر الحال في رد عليها
إلى الذي يقيمها لكن أخبره أنها قرية بقوله (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) كما قال تعالى (اقرب
الساعة وإنشئ القمر) وقال (اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) وقال (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) ثم
قال (إن الله لمن الكافرين) أي أهدم من رحمة (وأعد لهم سعيرا) أي في الدار الآخرة (خالدين فيها
أبدا) أي ما كثين مستمرين فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها (لا يجدون وليا ولا نصيرا) أي وليس
لهم مفيت ولا معين يتقدم محام فيه ثم قال (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا)
أي يسحبون في النار على وجوههم وتلوى وجوههم على جهنم يقولون وهم كذلك يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا
من أطاع الله وأطاع الرسول كما أخبر الله عنهم في حال العرصات بقوله (ويوم يرضى الظالم على يديه يقول ياليتني
أخضت مع الرسول سبيلا) ياليتنا ليتني لم أتحذ فلانا خلافا • لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان
للإنسان خذولا) وقال تعالى (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه أنهم
يودون أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا (وقالوا ربنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأصلحنا السبيل)
وقال طاووس : سادات بني الأعراف وكبراء بني النخلاء رواه ابن أبي حاتم أي اتبعنا السادة وهم الأمراء والسكباء
من المشيخة وخالفنا الرسل واعتدنا أن عندهم شيئا وأنهم على شيء فلإذا هم ليسوا على شيء (ربنا آتاهم شفين من العذاب)
أي يكفرهم وإخوانهم إيانا (والضمير لنا كبيرا) قرأ بعض القراء بالياء للوحدة ، وقرأ آخرون للثنية وهما قريبا
للمنى كما في حديث عبد الله بن عمرو أن أبا بكر قال يا رسول الله علني دعاء أدعو به في صلاتي قال « قل اللهم إني ظلمت
نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي انك أنت الغفور الرحيم » أخرجاه في
الصحيحين ، روى كثيرا وكثيرا وكلاما بمعنى صحيح واستحب بعضهم أن يجمع الدعاء بين الغفلتين في دعائه وفي ذلك
نظر ، بل الأولى أن يقول هذا تارة وهذا تارة كما أن القاريء غير بين القراءتين أيتهما قرأ أحسن وليس لاجتماعيهما

والله أعلم وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا ضراب بن صرد حدثنا علي بن هاشم عن عبيد الله ابن أبي رافع عن أبيه في تسمية من شهد مع علي رضي الله عنه الحجاج بن عمرو بن غزية وهو الذي كان يقول عند اللقاء يا معشر الأصاثر اريدون أن تقولوا ربنا إذا لقيناه (ربنا إنا أظننا سادتنا وكبرانا قاضونا السبيل) وربنا آثم ضفين من العذاب والنهم لنا كبيرا ؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَذَّبُوا مُوسَىٰ فَرَّاهُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾

قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا عوف عن الحسن وعمر بن خلاص عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن موسى كان رجلاً حياً وذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عنده وجيهاً) هكذا أورد هذا الحديث هنا مختصراً جداً وقد رواه في أحاديث الأتباع بهذا السند يمينه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن موسى عليه السلام كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه فكانه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر إلا من عيب في جلده إما برص وإما أدره وإما آفة . وإن الله عز وجل أراد أن يبره بما قالوا لموسى عليه السلام فخلا يوماً وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا ثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فأرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله عز وجل وأبراه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بصاه فوأنه إن بالحجر لئدب من أضر به فلما أواربها أو خسا — قال — لذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) وهذا سياق حسن مطول وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم وقال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم . وخلاص وعمر بن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) قال : قال رسول الله ﷺ : « إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يكاد يرى من جلده شيء استحياء منه . » ثم ساق الحديث كما رواه البخاري مطولاً ورواه عنه في تفسيره عن روح بن عوف به . ورواه ابن جرير من حديث الثوري عن جابر الجعفي عن طاهر الشعبي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ينحو هذا . وهكذا رواه من حديث سليمان بن مهران الأحمسي عن للهبان بن عمرو عن سعيد بن جبير وعبد الله بن الحارث عن ابن عباس في قوله (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) قال : قال قومه له إنك أدر فخرج ذات يوم يشتغل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشد ثيابه وخرج يتبعها عرياناً حتى انتهت به مجالس بني إسرائيل قال فرأوه ليس بأدر فذلك قوله (فبرأه الله مما قالوا) وهكذا رواه الموقفي عن ابن عباس رضي الله عنهما سواء . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا روح بن حاتم وأحمد بن حنبل في الحديثين في حماد بن عمار بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال « كان موسى عليه السلام رجلاً حياً وإنه أتى — أحسبه قال للاء — ليقتل فوضع ثيابه على صخرة وكان لا يكاد يبدو عوره فقال بنو إسرائيل إن موسى أدر أو به آفة — يعني أنه لا يضع ثيابه — فاحتلت الصخرة ثيابه حتى صارت بجداً مجالس بني إسرائيل فنظروا إلى موسى كأحسن الرجال وأما قاله ذلك قوله (فبرأه الله مما قالوا) وكان عند الله وجيهاً) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم بن سعيد ابن جبير عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في قوله (فبرأه الله مما قالوا) قال سعد موسى وهارون الجبل فأتاهم عليه السلام فقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام أنت تكلمت بكوت لنا منك وأشد حياءً فكانوه من ذلك فأمر الله للأنكة فجعلته فرأوه به على مجالس بني إسرائيل فكلمته بكوت له عرف موضع قبره إلا الرخم وإن الله جل جلاله أسم أبكم وهكذا رواه ابن جرير عن علي بن موسى الطوسي عن عباد بن العوام به ثم قال وجازأن

يكون هذا هو الراد بالأذى وجاز أن يكون الأول هو الراد فلا قول أولى من قول الله عز وجل [قلت] يحتمل أن يكون السك مراءاً وأن يكون معه غيره والله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال قسم : رسول الله ﷺ ذات يوم قسماً فقال رجل من الأنصار إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله قال : قتل يادعو الله أما لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت فحككت ذلك لاني صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه ثم قال « رحمة الله على موسى لقد أودى بأكثر من هذا نصير » أخرجه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش به (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا حجاج سمعت إسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هشام مولى همدان عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه « لا يلينى أحد عن أحد من أصحابي شيئاً فاني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » فأتى رسول الله ﷺ مال قسمه قال فررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الهاد الآخرة قال ثبت حتى سمعت ما قالاً ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إنك قلت لنا « لا يلينى أحد عن أحد من أصحابي شيئاً » وإني مررت بخلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا ؟ فاحمر وجه رسول الله ﷺ وشق عليه ثم قال « دعنا منك لقد أودى موسى بأكثر من هذا نصير » وقدرناه أبو داود في الأدب عن محمد بن يحيى الذهلي عن محمد بن يوسف القرياني عن إسرائيل عن الوليد بن أبي هشام به مختصراً « لا يلينى أحد عن أحد شيئاً فاني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » وكذا رواه الترمذي في التلقيب عن الذهلي سواء إلا أنه قال زيد بن زائدة ، ورواه أيضاً عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن محمد عن عبيد الله بن موسى وحسين بن محمد كلاهما عن إسرائيل عن السدي عن الوليد بن أبي هشام به مختصراً أيضاً فراد في إسناده السدي ثم قال غريب من هذا الوجه وقوله تعالى (وكان عند الله وجيهاً) أي وجهاً وجاء عنده به عز وجل . قال الحسن البصري كان مستجاب الدعوة عند الله وقال غيره من السلف لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ولكن منع الرؤية لما شاء عز وجل . وقال بعضهم من وجهاته العظيمة عند الله أنه شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه فأجاب الله سؤاله فقال (وخبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

يقول تعالى أمرا عباده المؤمنين بتقواه وأن يبدوه عبادة من كآته يراه وأن يقولوا (قولاً سديداً) أي مستقياً لا اعوجاج فيه ولا انحراف ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أتاهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم أي يوفقهم للأعمال الصالحة وأن يفرغ لهم الذنوب الماضية . وما قد يقع منهم في المستقبل يليهم التوبة منها ثم قال تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) وذلك أنه يجاز من نار الجحيم ويصير إلى النعيم المقيم . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو ابن عوف حدثنا خالد بن ليث عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فلما انصرف أومأ إلينا بيمينه فجلسنا فقال « إن الله تعالى أمرني أن أترككم أن تقولوا الله وقولوا قولاً سديداً » ثم أتى النساء فقال « إن الله أمرني أن أترككم أن تقولوا الله وتقولوا قولاً سديداً » وقال ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى حدثنا محمد بن عباد بن موسى حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الزهرى حدثنا عيسى بن سيرة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت لما قام رسول الله ﷺ على المنبر لإمامته يقول (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً) الآية غريب جداً ، وروى عبد الرحمن بن زيد العمي عن أبيه عن محمد بن كعب عن ابن عباس موقوفاً : من سره أن يكون أكرم الناس فليتنق الله ، قال عكرمة القول السديد لا إله إلا الله وقال غيره السديد الصدق وقال مجاهد هو السداد وقال غيره هو الصواب والسك الحق

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لَيْسَ بِأَمْنٍ إِلَّا اللَّهُ الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَةَ وَتَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

قال العوفي عن ابن عباس يني بالأمانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن يرضها على آدم فلم يلقها فقال لآدم : إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يلقها فهل أنت تأخذ بما فيها ؟ قال يارب وما فيها ؟ قال إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله تعالى (وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : الأمانة القرائض عرضها الله على السموات والأرض والجبال إن أدوها أتأبهم وإن ضيحوها عذبهم فكروها ذلك وأشفقوا عليه من غير معصية ولكن تعطلوا الذين الله أن لا يؤمروا بها ثم عرضها على آدم قبلها بما فيها وهو قوله تعالى (وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) يني غرا بأمر الله ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي جسر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) قال عرضت على آدم فقال خلها بما فيها فإن أطعت غفرت لك وإن عصيت عذبتك قال قلت فما كان إلا مقدار ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخليفة ، وقد روى الضحاك عن ابن عباس قريبا من هذا وفيه نظر وأقطع بين الضحاك وبينه والله أعلم . وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن البصري وغير واحد : إن الأمانة هي القرائض ، وقال آخرون هي الطاعة وقال الأعمشي عن أبي الضحى عن مسروق قال : قال أبي بن كعب من الأمانة أن الرأفة أوثقت على فرجها . وقال قتادة الأمانة الدين والقرائض والحدود ؟ وقال بعضهم التسليم من الجناية . وقال مالك عن زيد ابن أسلم قال الأمانة ثلاثة الصلاة والصوم والاعتقال من الجناية وكل هذه الأقوال لاتفاق بينها بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والتواهي بمرطها وهو أنه إن قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب قبلها الإنسان على ضعفه وجهه وظله إلا من وفق الله وبالله للستان ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن الليث البصري حدثنا حماد بن واقد يني أباهر الصفار سمعت أبا معمر يني عون بن معمر يحدث عن الحسن يني البصري أنه تلا هذه الآية (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) قال عرضها على السبع الطرائق التي زينت بالجنوم ، وحملها العرض العظيم ، قيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال قيل لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت قالت : لا ، ثم عرضها على الأرضين السبع الشداد ، التي عدت بالأوتاد ، وذلك بالمهاد ، قال قيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال قيل لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت ، قالت لا ، ثم عرضها على الجبال اتهم التواضع الصواب الصلاب قال قيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت قالت : لا . وقال مقاتل بن حيان إن الله تعالى حين خلق خلقه جمع بين الإنس والجن والسموات والأرض والجبال فبدأ بالسموات فرض عليها الأمانة وهي الطاعة فقال لمن آتمن هذه الأمانة ولكن على الفضل والكرامة والثواب في الجنة ؟ قلن يارب إنا لنستطيع هذا الأمر وليس بنا قوة ولكننا لك مطيعين ، ثم عرض الأمانة على الأرضين فقال لمن : آتمن هذه الأمانة وتقبلنا مني وأعطينك الفضل والكرامة في الدنيا ؟ قلن : لا صبر لنا على هذا يارب ولا نطيع ولكننا لك سامعين مطيعين لانتصيك في شيء أمرتنا به . ثم قرب آدم فقال له آتمن هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها ؟ فقال عند ذلك آدم مالي عندي ؟ قال يا آدم إن أحسنت وأطعت ووعيت الأمانة فلك عندي الكرامة والفضل وحسن الثواب في الجنة ، وإن عصيت ولم ترعها حق رعايتها وأسأت فلني مذبذب ومعاقب وأنزلك النار ، قال : رضيت يارب وتحملها فقال الله عز وجل عند ذلك

[illegible]

الودائع . فقلت البراء قتلت ألا تسمع ما يقول أخوك عبد الله ؟ قال صدق وقال شريك وحدثنا عياش العامري عن زاذان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولما ذكر الأمانة في الصلاة وفي كل شيء استأذنه جيد ولم يخرجوه . وما يتعلق بالأمانة الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جند قلوب الرجال ثم نزل القرآن فطوا من القرآن وعلموا من السنة . ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : ينال الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الجمل كجمر دحرجته على رجله تراه متتبها وليس فيه شيء - قال ثم أخذ حصي قد خرج على رجله قال - فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلا أميناً ، حتى يقال للرجل ما أحله وأظرفه وأعقله وما في قلبه حبة خرد من إيمان ، ولقد أتى على زمان وما أبالي أيكم يا بيت إن كان مسلماً ليرده على دينه ، وإن كان نصرانياً أو يهودياً ليرده على سامية فأما اليوم فما كنت أبأبع منكم إلا فلانا وفلانا . وأخبرناه في الصحيحين من حديث الأعمش به . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خلق وعفة طعمة » هكذا رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنها ، وقد قال الطبراني في مسنده عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف الصرمي حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ابن حبيزة عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خلق وعفة طعمة » فزاد في الإسناد ابن حبيزة وجهه في مسند ابن عمر رضى الله عنهما وقد ورد النبي عن الحلف بالأمانة قال عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد حدثنا شريك عن أبي إسحاق الشيباني عن خاس بن سحيم أو قال جبلة بن سحيم قال أقبلت مع زيد بن حدير من الجابية فقلت في كلامي لا والأمانة فجعل زيد يكي ويكي فظننت أن أوتيت أمراً عظيماً فقلت له أ كان يكره هذا ؟ قال : نعم ، كان عمر بن الخطاب ينهى عن الحلف بالأمانة أهد النبي وقد ورد في ذلك حديث مرفوع قال أبو داود حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا زهير حدثنا الوليد بن ثعلبة الطائي عن ابن بريدة عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف بالأمانة فليس منا » تفرد به أبو داود رحمه الله ، وقوله تعالى (ليجلب الله للمتقين وللنافقات وللشركاء) أى إنما حمل على آدم الأمانة وهي التكليف ليجلب الله للمتقين وللنافقات ، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفاً من أهله ويظنون الكفر متانة لأهله (وللشركاء وللشركاء) وهم الذين ظاهروا طعنهم على الشرك بالله وعماقه رسله (وتوب الله على المؤمنين وللمؤمنات) أى ويرحم المؤمنين من الخلق الذى آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته (وكان الغفور الرحيم) آخر تفسير سورة الأحزاب والله الحمد ولله .

(تفسير سورة سبا وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَأْ أَنْ تَسْجُوتِ وَيَأْفِي الْأَرْضُ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * يَنْفَعُ مَا يَبْلُغُ فِي الْأَرْضِ وَيَنْفَعُ مِنْهَا وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَمْزِجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾

بجز تعالى عن ثمة السكرة أن له الحمد للطلق في الدنيا والآخرة لأنه للتم للفضل على أهل الدنيا والآخرة ،

الملك لجميع ذلك الحاكم في جميع ذلك كما قال تعالى (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون) ولهذا قال تعالى ههنا (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض) أي الجميع ملكه وعيده وتحت تصرفه وقهره كما قال تعالى (وإن لنا الآخرة والأولى) ثم قال عز وجل (وله الحمد الآخرة) فهو النبؤة ابتداء بالحمود على طول الذي وقوله تعالى (وهو الحكم) أي في أموره وأفعاله وشريعته وقدره (الحقير) الذي لا تخفى عليه خافية ولا يخبى عنه شيء وقال مالك عن الزهري: خير خلقه حكم بأمره، ولهذا قال عز وجل (يعلما ما يبلغ في الأرض وما يخرج منها) أي يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض. والحب للنبور والسكنى فيها، ويسلم ما يخرج من ذلك عدده وكيفيته وصفاته (وما ينزل من السماء) أي من قطر وورق، وما يخرج فيها أي من الأعمال الصالحة وغير ذلك (وهو الرحيم الغفور) أي الرحيم بعباده فلا يبالغ بعصامته بالقوة الغفورة عن ذنوب التائبين إليه للتوكلين عليه

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِيَنَا سَاعَةٌ قُلْ إِنِّي وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْيَوْمِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ • لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ • وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُجْرِمِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ • وَيَرْحَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْمُبِينِ

هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لها من أمر الله تعالى برسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع للعلم لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهن في سورة يونس عليه السلام وهي قوله تعالى (ويستنبئون أحق هو قل إني وري إنه لحق وما أنتم بمعجزين) والثانية هذه (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بل وري تأتيناكم) والثالثة في سورة النازعات وهي قوله تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قدامي وري لتبعن ثم لتنبؤن بما حكمتم وذلك على الله يسر) قال تعالى (قل بل وري لتأتينكم) ثم وصفه بما يؤكد ذلك وغرره فقال (عالم النيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا كتاب مبين) قال مجاهد وقناة لا يعزب عنه لا يخبى عنه أي الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه شيء، فالنظام وإن تلافى وتفرقت وتفرقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت ثم يبعثها كما بدأها أول مرة فانه بكل شيء عليم. ثم بين حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله تعالى (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) والذين سَعَوْا في آيَاتِنَا (معاجزين) أي سَعَوْا في الصد عن سبيل الله تعالى وتكذيب رسوله (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) أي ليعلم العباد من المؤمنين ويضرب الأتقياء من الكافرين كما قال عز وجل (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) وقال تعالى (أم نجعل الذي آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار)

وقوله تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليكم من ربك هو الحق) هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة وجزاء الأبرار والفجار بالذي كانوا قد علموه من كتب الله تعالى في الدنيا رأوه حيث عين اليقين ويقولون يومئذ (لقد جاءت رسلنا بالحق) يقال أيضا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) (لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث) ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليكم من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد (الحميد) العزيز هو للنج الجانب الذي لا يغالب ولا يمانع بل قد قهر كل شيء وغلبه الحميد في جميع أموره وأفعاله وشريعته وقدره وهو الحمود في ذلك كله جل وعلا

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدَّبُكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلُّ مَزْقٍ إِنَّا لَنَرِيكُمْ لَعْنَةً أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتُ اللَّهِ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا يَبْعَثُ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَقَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشْأَتَهُمْ لَشَيْءٌ مُخْتَفٍ بِهِمْ الْأَرْضُ أَوْ نَسْفُطُ عَلَيْهِمْ كَيْفًا مِنْ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾

هذا إخبار من الله عز وجل عن استبعاد الكفرة للمحدثين قيام الساعة واستهزائهم بالرسول ﷺ في إخباره بذلك (وقال الذين كفروا هل ندبكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق أي تحرقتم أجسادكم في الأرض وذهبت فيها كل مذهب وتمزقت كل عرق (إنكم) أي بعد هذا الحال (لنفي خلق جديد) أي تمودون أحياء ترزقون بعد ذلك وهو في هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين إما أن يكون قد تمعد الافتراء على الله تعالى أنه قد أوحى إليه ذلك أو أنه لم يتمعد لكن لبس عليه كما يلبس على المتوه والمتنون ولهذا قالوا (أنترى على الله كذبا أم به جنة) قال الله عز وجل راداً عليهم (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) أي ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه بل محمد صلى الله عليه وسلم هو الصادق البار المرشد الذي جاء بالحق، وهم الكذبة البهلاء الأغبياء (في العذاب) أي الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله تعالى (والضلال البعيد) من الحق في الدنيا ثم ، قال تعالى منها لهم على قدرته في خلق السموات والأرض فقال تعالى (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) أي حينما توجهوا وذهبوا فالسما مطة عليهم والأرض تحتهم كما قال عز وجل (والسماء بئسناها بأيدي ونا لموسمون) والأرض فرشناها فتم الماهدون) : قال عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) قال إنك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك أومن بين يديك أو من خلفك رأيت السماء والأرض . وقوله تعالى (إن نشأ تخفف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء) أي لو شئنا لقلنا بهم ذلك بظلمهم وقدرتنا عليهم ولكن تؤخر ذلك لحبنا وعفونا ثم قال (إن في ذلك لآية لكل عبد منيب) قال معمر عن قتادة (منيب) تائب ؟ وقال سفيان عن قتادة: المنيب المقبل إلى الله تعالى أي إن في النظر إلى خلق السموات والأرض لدلالة لكل عبد فطن ليب رجاء إلى الله ، على قدرة الله تعالى على بث الأجساد ووقوع المادلان من قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وهذه الأرضين في انخفاضها ، وأطوالها وأعراسها إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر المريم من العظام ، كما قال تعالى (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى) وقال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَلُ أَوِي مَمَةً وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْجَنَّةَ • أَنْ أَهْلَ سَبِيحَةٍ وَقَدَّرَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

غير تعالى ما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام بما آتاه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتمكن ، والجنود ذوى المدد والمدد وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات . الصم الشاخات ، وتقف له الطيور السارحات : والناديات والراحات : ويجابهو بأنواع اللغات . وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت أبي موسى الأشعري رضى الله عنه يقرأ من الليل فوق فاستمع قراءته ثم قال صلى الله عليه وسلم « لقد أوتى هذا مزماراً من مزامير آل داود » وقال أبو عبيان

التهديد ما سمعت صوت صنع ولا يربط ولا وتر أحسن من صوت أبي موسى الأعمري رضى الله عنه ، ومعنى قوله تعالى (أوى) أى سعى قاله ابن عباس ويجاهد وغير واحد وزعم أبو ميسرة أنه بمعنى سعى بلسان الحبشة وفى هذا نظر فان اتأوب فى اللغة هو الترجع فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى فى كتابه - الجبل - فى باب النداء منه (يا جبال أوى معه) أى سرى معه بالتهار كله والتأوب سير التهارة كله ، والإسداء سير الليل كله وهذا لفظه وهو غريب جداً لم أره لغيره وإن كان له مساعدة من حيث اللفظ فى اللغة لكنه بعيد فى معنى الآية وهنا السواب أن للمنى فى قوله تعالى (أوىمعه) أى رجى مسيحة معه كاتقدم والله أعلم وقوله تعالى (وأنا له الحديدي) قال الحسن البصرى وقناة والأعمش وغيرهم كان لا يحتاج أن يدخله نارا ولا يضربه بمطرقة ، بل كان يخته يده مثل الخيوط ولهذا قال تعالى (أن أحمل سابقات) وهى الدروع قال قتادة وهو أول من عملها من الخلق وإنما كانت قبل ذلك صفائح ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا ابن مساعة حدثنا ابن شمرة عن ابن شاذب قال : كان داود عليه السلام يرفع فى كل يوم درعاً فيبصمها بستة آلاف درهم اثنين له ولأهله وأربعة آلاف درهم يطعم بها بنى إسرائيل خبز الخوارى (وقدر فى السرد) هذا إرشاد من الله تعالى لنيه داود عليه السلام فى تعليمه صنعة الدروع ، قال مجاهد فى قوله تعالى (وقدر فى السرد) لاتبقي للسهل فيخلق فى الحلقة ولا تظلمه فيقسمها واجهه جند ، وقال الحكم بن عتيبة لا تظلمه فيقسم ولا تدعه فيخلق ، زهكدا روى عن قتادة وغير واحد وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : السرد : خلق الحديد . وقال بعضهم يقال درج مسرودة إذا كانت مسرورة الخلق واستشهد بقول الشاعر :

«وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوايح تبع

وقد ذكر الحافظ ابن عسكراً فى ترجمة داود عليه الصلاة والسلام من طريق إسحاق بن بشر وفيه كلام عن أبى الياس عن وهب بن منبه ما مضونه أن داود عليه السلام كان يخرج متنكراً فيسأل الركبان عنه وسير بغلا يسأل أحداً إلا أنى عليه خيراً فى عبادته وسيره وعده عليه السلام ، قال وهب حتى بعث الله تعالى ملكاً فى صورة رجل فلقبه داود عليه الصلاة والسلام فسأله كان كان يسأل غيره فقال هو خير الناس لنفسه ولأمته إلا أن فيه خصلة لو لم تكن لكان كاملاً قال له ما هى ؟ قال يأكل ويظلم حياله من مال المسلمين يبنى بيت لئال فعند ذلك نصب داود عليه السلام إلى ربه عز وجل فى الله ما أدان يعله عملاً يده يستغنى به ويغنى به عياله فالأن الله عز وجل له الحديد وعده صنعة الدروع فعلم الدروع وهو أول من عملها فقال الله تعالى (أن أحمل سابقات) يعنى مسامير الحديد ، قال وكان يعمل الدرع فلما ارتفع من عمله درج باعها فصدق بثلتها واشترى بثلتها ما يكفيه وعياله ، وأمسك الثلث يتصدق به يوماً يوماً إلى أن يعمل غيرها وقال إن الله تعالى أعطى داود عيشاً ما يعله غيره من حسن الصوت إنه كان إذا قرأ الزبور تجتمع الوحوش إليه حتى يؤخذ بأعناقها وما صنعت الشياطين للزماير والبرابط والصنوج إلا على أستاذ صوته عليه السلام وكان شديد الاجتهاد ، وكان إذا افتتح الزبور بالقرأة كأنما ينفض فى الزماير ، وكان قد أعطى سبعين مزاراً فى حلقه ، وقوله تعالى (واعملوا صالحاً) أى فى الذى أعطاكم الله تعالى من النعم (إنى بما تعملون بصير) أى مراقبك بصير بأعمالكم وأقوالكم لا يفتنى على من ذلك شيء

﴿ وَلَسْتَ مِنَ الرَّاجِعِ ۖ عُدُّوْهُمَا شَبْرًا وَوَحْشًا شَبْرًا ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِبْنَ مَن يَمَلَّ يَبْنَ يَدَيْهِ ۖ يَذِنَ رَبِّهِ ۖ وَمَنْ يَرْغَبْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذَرُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ يَمْكُورُونَ لَهُ مَا يَشَآءُونَ مِنْ مَّحْرَبٍ ۖ وَنَسْئِلُ ذُرِّيَّتَهُمْ أَجْنَابَ ۖ وَتَقْدِيرَ رَاسِيَّتِهِ ۖ أَعْلَوْا ۚ قَالَ دَاوُدُ ۖ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ۝﴾

لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام من تسخير الرمح له

تحمل يساهم فخدوما شهر ورواحها شهر . قال الحسن البصري كان يندو على بساطه من دمشق فينزل باصطخر ينشده
 بها وينهب وأما من اصطخر فيبيت بكابل ، وبين دمشق واصطخر شهر كامل للمسرع ، وبين اصطخر وكابل شهر
 كامل للمسرع . وقوله تعالى (وأسلمنا له عين القطر) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني
 وقناة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد القطر الحساس قال قتادة وكانت
 باليمن فكل ما يصنع الناس مما أخرج الله تعالى لسليان عليه السلام ، قال السدي وإنما أسليت له ثلاثة أيام وقوله تعالى
 (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه) أى وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن ربه أى بقدره وتسخيرهم لهم
 بعيشته ما يشاء من البنات وغير ذلك (ومن يرغ منهم عن أمرنا) أى ومن يمدد ويخرج منهم عن الطاعة (نذقه من
 عذاب السعير) وهو الحريق . وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا فقال حدثنا أبو صالح حدثنا
 معاوية بن صالح عن أبي الزهراء عن جبير بن نفير عن أبي ثعلبة الخشني رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال
 « الجن على ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحاون ويظنون » رفته
 غريب جدا . وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا حمزة حدثنا ابن وهب أخبرني بكر بن مضر عن محمد بن بجير عن ابن أنس
 أنه قال : الجن ثلاثة أصناف صنف لهم الثواب وعليهم العقاب ، وصنف طيارون فيما بين السماء والأرض وصنف حيات
 وكلات . قال بكر بن مضر ولا أعلم إلا أنه قال حدثني أن الإنس ثلاثة أصناف ، صنف يظلمهم الله بظلم عرشه يوم القيامة .
 وصنف كالأنعام بل هم أضل سبيلا . وصنف في صور الناس على قلوب الشياطين . وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا علي بن
 هاشم بن مرزوق حدثنا سلمة بنى ابن الفضل عن إسحاق بن الحسن قال الجن ولد إبليس والإنس ولد آدم ومن
 هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون وهم شركاءهم في الثواب والعقاب ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله
 تعالى ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان . وقوله تعالى (يعملون ما يشاء من محارب وقيال) أما المحارب
 فهو البناء الحسن وهو أشرف شيء في السكن وصدره وقال مجاهد المحارب بيان دون القصور . وقال الضحاك هو
 للساجد وقال قتادة هو القصور والساجد وقال ابن زيد هو الساكن . وأما القائل فقال عطية المولى والضحاك والسدي
 القائل للصور . قال مجاهد وكانت من نحاس وقال قتادة من طين وزجاج
 وقوله تعالى (وجنان كالجواب وقدر راسيات) الجواب جمع جاية وهي الحوض الذي يجري فيه الماء كما
 قال الأعشى ميمون بن قيس :

تروح على آل الملق جفنة كجاية الشيخ الرائي ضحك

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (كالجواب) أى كالجوبة من الأرض وقال المولى عنه كالجياض
 وكذا قال مجاهد والحسن وقناة والضحاك وغيرهم . والقدر الراسيات أى الثابتات أى ما كان لا يتحرك ولا يتحول عن
 أما كنها لعظماء كذا قال مجاهد والضحاك وغيرهما وقال عكرمة أنانيها منها وقوله تعالى (اعلموا آل داود شكرا)
 أى وقتنا لهم اعلموا شكرا على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا ، وشكرا مصدر من غير الفعل أو أنه مفعول له وعلى
 التقديرين فيمدح الله على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنية كقَالَ الشاعر :

أفادتكم النماء منى ثلاثة يدي ولساني والضمير المجبا

قال أبو عبد الرحمن السلمي : الصلاة شكر والصيام شكر وكل خير تمهله عن رجل شكر وأفضل الشكر الحمد
 رواه ابن جرير وروى هو وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح
 وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل . وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولا وعملا .
 قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت البناني قال قال داود عليه السلام
 قبحراً على أهله ولده ونسائه الصلاة فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي
 فتمترهم هذه الآية (اعلموا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور) وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ

أنه قال « إن أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سديسه ، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى » . وقد روى أبو عبد الله بن ماجه من حديث سعيد بن داود حدثنا يوسف بن محمد بن السكدر عن أبيه عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت أم سليمان بن داود عليهم السلام لسليمان يا بني لا تشكر النعم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل قتيلا يوم القيامة » وروى ابن أبي حاتم عن داود عليه الصلاة والسلام هنا أنرا غريبا مطولا جدا ، وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمران بن موسى حدثنا أبو زيد قبيصة بن إسحق الرقي قال : قال فضيل في قوله تعالى (اعلموا آل داود شكرا) قال داود يارب كيف أشكرك والفكر نعمتك ؟ قال « الآن شكرتني حين علمت أن النعمة منى » وقوله تعالى (وقليل من عباده الشكور) إشارة عن الواقع

(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْقَتِيبَ مَا لَيْتُوا فِي الْعَذَابِ الْمُبِينِ)

يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجان السخريين له في الأعمال الشاقه فانه مكث متوكئا على عصاه وهي منسأة كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة نحو من سنة فلما أكلتها دابة الأرض وهي الأرضة ضخت وسقط إلى الأرض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة ، وتبينت الجن والإنس أيضا أن الجن لا يملكون التيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك . وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب وفي صحته نظر . قال ابن جرير حدثنا أحمد بن منصور حدثنا موسى بن مسعود حدثنا أبو حذيفة حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عطاء عن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال « كان نبي الله سليمان عليه السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك ؟ فتقول كذا فيقول لأى شيء أنت ؟ أنت فأن كانت تفرس غرست وإن كانت لغواء كتبت ، فبينما هو يصل ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك ، قالت الحروب قال لأى شيء أنت ؟ أنت فخراب هذا البيت فقال سليمان عليه السلام اللهم هم على الجن موقفي نعم الإنسان أن الجن لا يملكون التيب ففتحت عصا فتوكلوا عليها حولا ميتا والجن فعمل ، فأكلتها الأرضة فتبينت الإنسان أن الجن لو كانوا يعلمون التيب ما لبثوا حولا في العذاب للهبان » قال وكان ابن عباس يخرؤها كنكك قال فسكرت الجن للأرضة فكانت تأتيا للماء وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث إبراهيم بن طهمان به وفي رقه غرابة ونكارة والأقرب أن يكون موقفا وعطاء بن أبي مسلم الحراساني له غرابات وفي بعض حديثه نكارة . وقال السدي في حديثه نكارة وقال السدي في حديث ذكره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن مرة الحمداي عن ابن مسعود رضى الله عنه وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم قال : كان سليمان عليه الصلاة والسلام يتحرر في بيت للقدس السنة والستين والنهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فأدخل في المرة التي توفي فيها فكان به ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا يبيت الله في بيت للقدس شجرة فأتياها فيسألها ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا ، فإن كانت تفرس غرسها وإن كانت قتبت دواء قالت نبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك ، حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك قالت أنا الخروبة قال ولأى شيء نبتت قالت نبت الحراب هذا السجد قال سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان الله ليخبره وأنا ناسي أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت للقدس فترعها وغرسها في حائط لهم دخل الحراب فقام يصل منكئا على عصاه فأتى ولم يلم به الشياطين وهم في ذلك يملكون له يخافون أن يخرج عليهم فيأتهم ، وكانت الشياطين تجتمع حول الحراب وكان الحراب كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذى يريد أن يخلص يقول ألسن جلدا إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فروم يكن شيطان ينظر

إلى سليمان عليه السلام في الحرب إلا احترق ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوق في البيت ولم يحترق ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحو عليه فأخرجوه. ووجدوا منسأته وهي الصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرض ولم يملوا منذم ملتفخوضوا الأرض على الصا فأكلت منها يوماً وليلة ثم حبسوا على ذلك النحو فوجدوا قد مات منمنمتوهي في قراءة ابن مسعود رضى الله عنه . فلكوا يدينون له من يسمونه حولاً كاملاً ، فأقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم يطلعون على القيب لملوا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يملون له ؛ وذلك قول الله عز وجل (ما حكمهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خزيت الجن أن لو كانوا يملون النبي ما لبثوا في العذاب البين) يقول تبيين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ، ثم إن الشياطين قالوا للأرض لو كنت تأكلين الطعام أتيك بأطيب الطعام ولو كنت تهرين الشراب سقيتك أطب الشراب ولكننا سنقل إليك الماء والطيب قال فهم يقولون لهذا حيث كانت ، قال ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الحطب فهو ما أتته به الشياطين شكرها لها ، وهذا الأمر والله أعلم بما هو عما تلقى من علماء أهل الكتاب وهي وقف لا يصدق منه إلا ما وافق الحق ولا يكذب منها إلا ما خالف الحق والباقي لا يصدق ولا يكذب ، وقال ابن وهب وأصبح بن القزح عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تبارك وتعالى (ما حكمهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) قال : قال سليمان عليه السلام ملك الموت إذا أمرت في فأعلمني فأنه قال : يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سومة ففدا الشياطين فنوا عليه صرحاً من قوارير وليس له باب فقام يصلي فاستكأ على عصاه ، قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت ، قال والجن تحمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي قال فبث الله عز وجل دابة الأرض قال والدابة تأكل العبدان يقال لها القادح فدخلت فيها فأكلتها حتى إذا أكلت جوف الصا ضمنت وتقل عليها فخر بيتاً ، فلما رأت ذلك الجن اضطوا ونهبوا قال ففك قوله تعالى (ما حكمهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) قال أمغ بلخي عن غيره أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر ، وذكر غير واحد من السلف أنها من هذا والله أعلم

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِكُمْ آيَاتٌ جَبَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبِّ قُحُورٍ * فَأَعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْلٍ مَحْطٍ وَأَتْلُ وَشَىءٌ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ فِي غُجْرٍ مُّجْرٍ إِلَّا الْكَافِرِينَ ﴾

كانت سبأ ممالك اليمن وأهلها وكانت التباينة منهم وبقية صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جعلتهم وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم وذرورهم وثمارهم وبث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بوجده وعبادته فكانوا كذلك ما شاءه تعالى ثم أعرضوا عما أمروا به فضربوا بإرسال لسليل والتفرق في البلاد أيدي سبأ شغل منكر كما سيأتي إن شاء الله تعالى فحصل له وبناؤه قريبا وبه الثقة ، قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هيرة عن عبد الرحمن بن وعله قال سمعت ابن عباس يقول إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض ؟ قال صلى الله عليه وسلم « بل هو رجل وله له عشرة فسكن اليمن منهم ستة والثام منهم أربعة فأما الجانيون فندج وكندة والأزد والأعرجون . آثار وحير ، وأما الشامية فلخم وجذام وطمة وغسان » ورواه عن عبد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة به وهذا سند حسن ولم يخرجوه وقد رواه الحافظ أبو جمر بن عبد البرقي كتاب التصدق الأمم ، بحرفة أصول أنساب العرب . الصبح - من حديث ابن لهيعة عن علقمة بن علقمة عن ابن عباس رضى الله عنهما فذكر نحوه . وقد روى نحوه من وجه آخر وقال الإمام أحمد أيضاً وعبد بن حميد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا أبو جندب يحيى بن أبي حية الكلبي عن

ابن هارون عن عروة عن فروة بن مسيك رضى الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أقاتل بمقتل قومي مديرم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم قاتل بمقتل قومك مديرم » فلما وليت دعائي فقال « لا تقاظمهم حتى تدعوم إلى الإسلام » فقلت يا رسول الله أرأيت سبأ وأدهو أو جبل أو ماهو ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لا بل هو رجل من العرب وله عشرة قتيامن ستة وتسامم أربعة تيمان الأزد والأشعريون وحمير وكندة ومنجج وأغار الذين يقال لهم بجيلة وخشم ، وتسامم لهم وجذام وعاملة وغسان » وهذا أيضا إسناد حسن وإن كان فيه أبو جناب الكلبي وقد تكلموا فيه لكن رواه ابن جرير عن أبي كريب عن العنقري عن أسباط بن نصر عن يحيى بن هاني الرازي عن عمه أوعن أبيه - شك أسباط - قال قدم فروة بن مسيك رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره (طريق أخرى) لهذا الحديث : قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب حدثني ابن لهيعة عن ثوبان بن غير عن عبد العزيز بن أبي رباح أنه أخبره قال كنا عند عبيدة بن عبد الرحمن بالفرقية فقال يوما ما أظن قوما بأرض ولا دم من أهلها فقال علي بن أبي رباح كلا قد حدثني فلان أن فروة بن مسيك الضليل رضى الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن سبأ قوم كان لهم عز في الجاهلية وإنى أخشى أن يردوا عن الإسلام فأنا قاتلهم فقال ﷺ « ما أمرت فيهم شيء » فأنزلت هذه الآية (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) الآيات فقال له رجل يا رسول الله من سبأ ؟ فذكر مثل هذا الحديث الذي قبله أن رسول الله ﷺ سئل عن سبأ ؟ ماهو أبه أم رجل أم امرأة ؟ قال ﷺ « بل رجل وله عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام أربعة أما الجانيون فمنجج وكندة والأزد والأشعريون وأغار وحمير وغير ماحلها وأما الشام فلمهم وجذام وغسان وعاملة » فيه غرابة من حيث ذكر نزول الآية بالمدينة والسورة مكية كلها والمنسب لهما وتعالى أعلم

(طريق أخرى) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثنا الحسن بن الحكم حدثنا أبو سبرة النخعي فروة بن مسيك التميمي رضى الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله أخبرني عن سبأ ماهو أرض أم امرأة ؟ قال ﷺ « ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل وله عشرة من الولد قتيامن ستة وتسامم أربعة فأما الذين تسامموا فلمهم وجذام وعاملة وغسان وأما الذين تيمانوا فكندة والأشعريون والأزد ومنجج وحمير وأغار » فقال رجلا ما ؟ قال ﷺ « الذين منهم خشم وبجيلة » ورواه الترمذي في جامعه عن أبي كريب وعبد بن حميد قال حدثنا أبو أسامة فذكره أسباط من هذا ثم قال هذا حديث حسن غريب . وقال أبو عمر بن عبد البر حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير حدثنا جعفر الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا ابن كثير هو عثمان بن كثير عن أبيه عن سعد عن موسى بن طي عن يزيد بن حصين عن تميم البارقي رضى الله عنه قال إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن سبأ فذكر مثله فتوى هذا الحديث وحسن . قال علماء النسب منهم محمد بن إسحاق - اسم سبأ عبد قيس بن يشجب بن يرب بن قحطان وإنما سمى سبأ لأنه أول من سبأ في العرب وكان يقال له الراش لأنه أول من غنم في الغزو فأعطى قومه فسمى الراشيم ، والعرب تسمى للراشيم ريشا وريشا . وذكروا أنه جسر رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمانه للشقم وقال في ذلك شعرا :

سملك بدنا ملكا عظيما	نبي لا يرخص في الحرام	وعلك بصد منهم ملوك
يدنيون القياح بكل دامي	وعلك بدم منا ملوك	يسير للناقينا بقتسام
وعلك بصد قحطان نبي	تقي غيت خير الأنام	يسمى أحسدا ياليت أنى
أعمر بصد ميثه بمام	فأعصده وأجوده بصرى	بكل منجج وبكل رام

من يظهر فكونوا تاصريه . ومن يقاه يلقاه سلامي

ذكر ذلك المحدث في كتاب - الأكليل - واختلقوا في قحطان على ثلاثة أنوال (أجدها) أنه من سلافة إرم ابن سام بن نوح واختلقوا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاثة طرائق (والثاني) أنه من سلافة طابر وهو هود عليه

الصلاة والسلام واختلوا أيضا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضا (والثالث) أنه من سلالة إسحاق ابن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام ، واختلوا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضا . وقد ذكر ذلك مستقصى الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر الغري رحمه الله تعالى عليه في كتابه النسي - الانباه على ذكر أصول القبايل الرواه - ومعنى قوله ﷺ « كان رجلا من العرب » يعنى العرب العاربة الذين كانوا قبيل الخليل عليه الصلاة والسلام من سلالة سام بن نوح ، وعلى القول الثالث كان من سلالة الخليل عليه السلام وليس هذا بالمشهور عندهم والله أعلم . ولكن في صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقر من أسلم ينتضون فقال « ارموا بنى إسرائيل فان أبأكم كان رايها » فأسلم قبيلة من الأنصار - والأنصار أوسها وخزرجها من غسان من عرب الحجاز من سبأ - نزولوا يثرب لما غزرت سبأ في البلاد حين بعث الله عز وجل عليهم سيل العرم ونزلت طائفتهم بالشام ، وإنما قيل لهم غسان بماه نزولوا عليه قيل باليمن ، وقيل إنه قريب من الشلل كما قاله حسان بن ثابت رضى الله عنه

إما سألت فانا معشر نجيب الأزدر نسيثا وللاء غسان

ومعنى قوله ﷺ « وله عشرة من العرب » أى كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع اليهم أصول القبايل من عرب الحجاز لأنهم ولدوا من صلبه بل منهم من بينه وبينه الأيوان والثلاثة والأقل وأكثر كما هو مقرر مبين في مواضع من كتب النسب . ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم « يتيمان منهم ستة وتسام منهم أربعة » أى بعد ما أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم منهم من أقام ببلادهم ومنهم من نزح عنها إلى غيرها . وكان من أمر السد أنه كان لاء يأتهم من بين جبلين وتجمع اليه أيضا سيول أمطارهم وأوديتهم فسد ملوكهم الأقدام فبنوا بينهما سدا عظيما محكما حتى ارتفع الماء وحكم على سافات ذلك الجبلين ففسدوا الأشجار واستغلوا الخمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن كما ذكر غير واحد من السلف منهم قتادة أن الرأه كانت تمشى تحت الأشجار وعلى رأسها مكلل أوزنيل وهو الذى تخترق فيه الخمار فيسقط من الأشجار في ذلك ما يلؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطاف لكثرة ونفضه واستوائه ، وكان هذا السد بجارب بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل ، ويصرف بسد مارب وذكر آخرون أنه لم يكن يلد من الدباب ولا البعوض ولا البراغيث ولا شيء من الموام وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم ليودحوه ويعبدوه كما قال تبارك وتعالى (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) ثم فسرها بقوله عز وجل (جنتان عن يمين وشمال) أى من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك (كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) أى غفور لكم إن استمررت على التوحيد . وقوله تعالى (فأعرضوا) أى عن توحيد الله وعبادته وشكروه على ما أنعم به عليهم وعدلوا إلى عبادة الشمس من دون الله كما قال المحدث سليمان عليه الصلاة والسلام (وجشك من سبأ بنأ يقين) إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فسد من السبل فهم لا يتوبون) وقال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه بعث الله تعالى إليهم ثلاثة عشر نبيا ، وقال السدي أرسل الله عز وجل إليهم اثني عشر ألف نبى والله أعلم . وقوله تعالى (فأرسلنا عليهم سيل العرم) المراد بالعرم المياه ، وقيل الوادى وقيل الجرذ وقيل الماء الغزير فيكون من باب إضافة الاسم إلى صفته مثل مسجد الجامع ومسجد كرز ، حكى ذلك السهيلي . وذكر غير واحد منهم ابن عباس ووهب بن منبه وقاتدة والضحاك أن الله عز وجل لما أراد عقوبتهم بأرسال العرم عليهم بعث على السد دابة من الأرض يقال لها الجرذ هبته قال وهب بن منبه وقد كانوا يحدون في كتبهم أن سبب خراب هذا السد هو الجرذ فكانوا يرصدون عنده السنابير برهة من الزمان فلما جاء القدر غلبت النار السنابير وولبت إلى السد فتفتته فانهار عليهم وقال قتادة وغيره الجرذ هو الخلد هبت أساقه حتى إذا ضف ووهى وجاءت أيام السيول سدم للماء البناء فسقط فانساب للماء في أسفل الوادى وخرب ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك ونضب للماء عن

الأشجار التي في الجبلين عن يمين وفحال فيبست وتحملت وتبدلت تلك الأشجار للثمرة الأنيقة المنضرة كما قال الله تبارك وتعالى (وبدلناهم بجنتين ففانى كل حقل) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني والحسن وقادة والسدي وهو الأراك وأكلة البربر (وأثل) قال الموفى عن ابن عباس هو الطرء . وقال غيره هو شجر يشبه الطرء من صدر قليل) فهذا الذي صار أمر تينك الجنتين إليه بعد الثمار الضخيمة وللثمر الحسن والظلال العميقة والأنهار الجارية تبدلت إلى شجر الأراك والطرء والسدر ذي الثوب الكثير والتمر القليل ، وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل ، ولهذا قال تعالى (ذلك جزاؤكم بما كنتم تعملون) (الكفور) أي عاقبناكم بكفرهم قال مجاهد ولا يعاقب إلا الكفور . وقال الحسن البصري صدق الله العظيم لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور . وقال طائوس لا يناقش إلا الكفور . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عمر بن النحاس الرمي حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو البقاء عن هشام بن صالح التميمي عن ابن خزيمة وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال : جزء للصلاة الوهن في العبادة والضيق في العبادة والتصر في اللذة وما التصر في اللذة ؟ قال لا يصادف لذة حلال إلا جاءه من ينصته إليها

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَقْرَبَى أَنْ يَبْرُكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرَةَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ • قَالُوا رَبَّنَا بُدِّلْ لَنَا مَوْجِدًا نَسْتَكْفِرَ وَتَطْلَمُوا أَفْسُهُمْ فَبَدَّلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزِقٍ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَتَّكَفَّرُ عَنْكُمْ شَيْءٌ ﴾

يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والتبسط واليسر المعنى الرغد ، والبلاد الرخية ، والأماكن الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وغارها بحيث إن مسافرا ما يحتاج إلى حمل زاد ولما ، بل حيث نزل وجد ماء وحرًا ، وقيل في قرية وببيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم ولهذا قال تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) قال وهب بن منبه هي قرى بضمها ، وكذلك قال أبو مالك ، وقال مجاهد والحسن وسعيد بن جبيرة ومالك عن زيد بن أسلم وقادة والضحاك والسدي وابن زيد وغيرهم يعني قرى الشام يعنيون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة ، وقال الموفى عن ابن عباس القرى التي باركنا فيها بيت المقدس ، وقال الموفى عنه أيضا هي قرى عربية بين المدينة والشام (قرى ظاهرة) أي بيعة واضحة يرحلها المسافرون يقبلون في واحدة ويبعثون في أخرى ولهذا قال تعالى (وقدرنا فيها السَّيْرَ) أي جعلناها بحسب ما يحتاج السافرون إليه (سيرا فيها ليل وأيام آمنين) أي الأمن حاصل لهم في سيرهم ولا ينهاروا (قَالُوا رَبَّنَا بَدِّلْ لَنَا مَوْجِدًا وَتَطْلَمُوا أَفْسُهُمْ) أي سيرا في بلادهم وأيامهم آمنين ، وذلك أنهم بطروا هذه النعمة كما قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد وأجروا مفاوزهم بما يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والخفاف ، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم ما غابت الأرض من ثملها وقطنها وفومها وعدسها وصلها مع أنهم كانوا في عيش رغيد في من وسوا وما يشتهون من ما كل ومشرب وملابس مرصعة ولهذا قال لهم (أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مَسْأَلَةٌ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ اللَّيْلَةُ وَالسَّكَنَةُ وَبَادُوا بِضَبٍّ مِنْ اللَّهِ) وقال عز وجل (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِ قَرْيَةً طَبَرَتْ مَيْمَنَتُهَا) وقال تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئة يأمنها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) . وقال تعالى في حق هؤلاء (قَالُوا رَبَّنَا بَدِّلْ لَنَا مَوْجِدًا وَتَطْلَمُوا أَفْسُهُمْ) أي بكفرهم (فبدلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) أي جعلناهم حديثا للناس وسمرًا يتجددون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم وفرق عليهم بعد الاجتماع والألفة واليسر المعنى تفرقوا في البلاد

ههنا وههنا ولهذا يقول العرب في القوم إذا تفرقوا تفرقوا أيدي سبأ وأبادي سبأ وتفرقوا أشدر منبر
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال سمعت أبي يقول
سمعت عكرمة يحدث يحدث أهل سبأ قال (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جتان عن يمين وشمال - إلى قوله
تعالى - فأرسلنا عليهم سيل العرم) وكانت فيهم كهنة وكانت الشياطين يسترقون السح فأخبروا الكهنة بشيء
من أخبار الهاء . فسكان فيهم رجل كان شرف كثير المال وأنه خبر أن زوال أمرهم قد دنا وأن العذاب قد أظلمهم
فلم يدرك كيف يصنع لأنه كان له مال كثير من عقار فقال لرجل من بنيته وهو أعزهم أخوالا يا بني إذا كان غدا وأمرتك
بأمر فلا تفعله فإذا اتبركت فاتبركي ، فإذا لم تنك فاطمعي ، قال يا أبت لا تفعل إن هذا أمر عظيم وأمر شديد ،
قال يا بني قد حدث أمر لا يدمنه فلم يزل به حتى واثقه على ذلك ، فلما أصبحوا واجتمع الناس قال يا بني اعمل كذا
وكذا فإني فاتبره أبوه فأجاب به فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه فطمعه فوثب على أبيه فطمعه فقال ابني يطمعني ؟
على بالشفرة ، قالوا ما تصنع بالشفرة ؟ قال أذبحه ، قالوا تريد أن تلذج ابنك : الطمعه أو اصنع ما بدا لك قال فإني قال
فأرسلوا إلى أخواله فأعلمهم ذلك فجاء أخواله فقالوا خلصنا ما بدا لك فإني إلا أن يدبحه قالوا فلتمتون قبل أن تلذجه
قال فإذا كان الحديث هكذا فإني لا أرى أن أقم يلد بحال بيني وبين ابني فيه اشتراوى دوري واشتروا مني أرضى
فلم يزل حتى بلغ دورهم وأرضهم وقضاه فلما صار الثمن في يده وأحرزه قال : أي قوم إن العذب قد أظلمكم وزوال
أمركم قد دنا فمن أراد منكم دارا جديدا وحى شديدا . وسفرا يسيما . فليسبق بهان . ومن أراد منكم الحرو والخمر
والصير . وكلمة قال إبراهيم لم أخفها - فليسبق بصري ومن أراد الراسخات في الوحل : الطمعات في الحمل . التمتع
في القحل فليسبق ليثرب ذات النخل قال فأتوا على بطن مر فقال بنو عثان هذا مكان صالح لا ينبغي
الأوس والخزرج ويؤو عثان إلى يثرب ذات النخل قال فأتوا على بطن مر فقال بنو عثان هذا مكان صالح لا ينبغي
به بدلا فأقاموا به فسما ذلك خزاعة لأنهم اغزوه من أصحابهم واستقامت الأوس والخزرج حتى زلوا المدينة
وتوجه أهل عمان إلى عمان وتوجهت غسان إلى بصرى . هذا أثر غريب عجيب وهذا الكهان هو عمرو بن عامر أحد رؤساء
البنين وكبراء سبأ وكهنتهم وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في أول السيرة ما كان من أمر عمرو بن عامر الذي كان أول
من خرج من بلاد اليمن بسبب استنصاره بأمر السرم عليهم فقال : وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن فيها حدثني
به أبو زيد الأنصاري أنه رأى جرزا يخبر في سد مأرب الذي كان يحبس عنهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم
فلم أنه لا بقاء لعد على ذلك فاعتزم على الثقة عن اليمن وكاد قومه فأمر أسفر ولهم إذا غلظت له ولطمه أن يقوم إليه فطمعه
فقتل ابنه ما أمره به فقال عمرو لا أقيم يلد لطم وجهي فيها أسفر ولدي وعرض أمواله . فقال أشراف اليمن
اغتصوا غنصية عمرو فاشتروا منه أموالا وانتقل هو إلى ولده وولده ولده ، وقالت الأسد لا تتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا
أموالهم وخربوا ماله فسادوا حتى زلوا بلاد حكة يجازين يرتادون البلدان فحاربهم عك وكانت حريمهم سجالا في ذلك
يقول عباس بن مرداس السلمي رضى الله عنه :

وعك بن عدنان الذين تلبوا بسان حتى طردوا كل مطرد

وهذا البيت من قصيدة له . قال ثم ارتحلوا عنهم ففارقوا في البلدان قتل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ،
وزلت الأوس والخزرج يثرب ، ونزلت خزاعة نرا . وزلت أزد السراة ، وزلت أزد عمان عمان . ثم أرسل
الله تعالى على السد البليل فهدمه وفي ذلك أنزل الله عز وجل هذه الآيات . وقد ذكر السدي قصة عمرو بن عامر يسوعا
ذكر محمد بن إسحاق إلا أنه قال فأمر ابن أخيه مكان ابنه - إلى قوله - فباع ما له ورثه وأرسله ففارقوا واما ابن أبي حاتم
وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد أخبرنا سفيان عن ابن إسحاق قال يزعمون أن عمرو بن عامر وهو م القوم كان كاهنا
فرأى في كهنته أن قومه سيمزقون ويواعد بين أسفارهم . فقال لهم إني قد علمت أنكم ستزقون فمن كان منكم ذاهبا فليبد
وحمل شديد . ومزاد حديد : فليعلق بكأس أو كرود . قال فسكانت وادعة بن عمرو . ومن كان منكم ذاهبا فليبد . وأمر

دعن ، فليلحق بأرض شن ، فكانت عوف بن عمرو وهم الدين يقال لهم بلوق ، ومن كان منكم يريد عيشا أكثرا وحرما لئنا فليلحق بالأرضين فكانت خراعة ، ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل ، للطعاب في الحقل ، فليلحق يثرب ذات النخل فكانت الأوس والخزرج وهما هذان الحيان من الأنصار ومن كان منكم يريد خيرا وخيرا وذخرا وحريرا ، وملكا وتأميرا ، فليلحق بكوني وبصري ، فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام ومن كان منهم بالراق . قال ابن إسحق وقد سمعت بعض أهل العلم يقول إنما قالت هذه القليلة طريفة امرأة عمرو بن عامر وكانت كاهنة فرائت في كهانتها ذلك فأنه أعلم أي ذلك كان وقال سعيد عن قتادة عن الشعبي أما غسان فليحقوا بيهان فزقههم الله كل عرق بالشام ، وأما الأنصار فليحقوا بيثرب ، وأما خزاعة فليحقوا بتهامة ، وأما الأزد فليحقوا بيهان فزقههم الله كل عرق . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، ثم قال محمد بن إسحق حدثني أبو عبيدة قال : قال الأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة واسمه ميمون بن قيس : وفي ذلك للزومى أسوة • وأرب قني عليها المرم • رجاء ينته لهم حيز • إذا جاء مأوم لم يرم فاروى الزروع وأعنابها • على سمة مأوم إذ قسم • صاروا أيادي ماقدرو • من نه على شرب طفل فطم وقوله تعالى (إن في ذلك لآيات لكل صابر شكور) أي إن في هذا الذي حل بهؤلاء من النعمة والعذاب وتبدل النعمة وتحول العقوبة على ما ارتكبوه من الكثر والآثام لميرة ودلالة لكل عاصي صابر على الصواب شكور على النعم قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن وعبد الوزاري قالوا أخبرنا سفيان عن أبي إسحق عن البراء بن حريش عن عمر بن سعد عن أبيه هو سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم • عجبت من قضاء الله تعالى للؤمن إن أصابه خير حمد ربه وشكر ، وإن أصابه مصيبة حمد ربه وبصر • يؤجر للؤمن في كل شيء حتى في القصة يرفعهما إلى في امرأته . وقد رواه النسائي في اليوم والليلة من عتبت أي إسحق السبيعي به وهو حديث عزيز من رواية عمر بن سعد بن أبي وقاص ولكن له شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه • عجبا للؤمن لا يقضى الله تعالى له قضاء إلا كان خيرا له ، إن أصابه سرور شكر فكان خيرا له • وإن أصابه ضرر صبر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للؤمن . قال عبد حدثنا يونس عن سفيان عن قتادة (إن في ذلك لآيات لكل صابر شكور) قال كان طرف يقول : نعم العبد الصابر الشكور الذي إذا أعطى شكره وإذا ابتلى صبر

(وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ • وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَنَّ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ • مَن هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ • وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ حَيْثُ

لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان أخبر عنهم وعن أمثالهم عن اتباع إبليس والهوى وخالف الرشد والهدى فقال (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره هذه الآية كقولها تعالى إخبارا عن إبليس حين امتنع من السجود لآدم عليه الصلاة والسلام ثم قال (أرايتك هذا الذي كرمت على ثلث آخرتين إلى يوم القيامة لأحتكن ذريته إلا قليلا) وقال (ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا نجد أكثرهم شاكرين) والآيات في هذا كثيرة ، وقال الحسن البصري لما أخطأ آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ومعه حواء هبط إبليس فرحا بما أصاب منهما وقال إذا أصبت من الأيوين ما أصبت فالقيرة أضف وأضف وكان ذلك ظنا من إبليس فأزل الله عز وجل (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) فقال عند ذلك إبليس لا أفارق ابن آدم ما دام فيه الروح أعدو وأمنه وأخذعه ، فقال الله تعالى وعزى وجلالى لا أحجب عنه التجربة ما لم يفرغ بالموته . ولا يدعوني إلا أحبته ، ولا يسأئني إلا أعطيت ، ولا يستغفري إلا غفرت له رواه ابن أبي حاتم . وقوله تبارك وتعالى (وما كان له عليهم من سلطان) قال ابن عباس رضى الله عنهما أي من حجة وقال الحسن البصري والله ما ضربهم بسا ولا أكرهم على شيء وما كان إلا غرورا وأمانى دعام إليها

فأجابوه . وقوله عز وجل (إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة عن هونها في شك) أى إنما سلطناه عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء فيحسن عبادة ربه عز وجل في الدنيا عن هونها في شك . وقوله تعالى (ويركب على كل شيء خفيظ) أى ومع حفظه مثل من ضل من اتباع إبليس ، وحفظه وكلايته سلم من المؤمنين أتباع الرسل

(قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ ذَرَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْ ظَلِيمٍ) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ هُنَا إِلَّا لِمَنْ أِذْنُ لَهُ حَقٌّ إِذَا فَرَّغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اتَّبَعُوا الْهَوَىٰ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)

يقين تبارك وتعالى أنه الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا نظير له ولا شريك له بل هو المستقل بالأمور وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض قال (قل ادعوا الذين ذرعتم من دون الله) أى من الأئمة التي عبدت من دونه (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) كما قال تبارك وتعالى (والذين يدعون من دونه ما يملكون من ظهير) . وقوله تعالى (وما لهم فيما من شرك) أى لا يملكون شيئاً استقلالاً ولا على سبيل الشراكة (وما له منهم من ظهير) أى وليس له من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور ، بل الحق كلهم قراء إليه عبيد لديه قال قتادة في قوله عز وجل (وما له منهم من ظهير) من عون يئنه يهوى . ثم قال تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) أى لعظمته وجلاله وكبريائه لا يعتري أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا بإذنه له في الشفاعة كما قال عز وجل (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) وقال جل وعلا (وكم من ملك في السموات لا تنفي شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (ولا يشفون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) ولهذا ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم ، وأكبر شفع عند الله تعالى أنه حين يقوم للقاء الممجد ليشفع في الخلق كلهم أن يأتي بهم لفصل القضاء قال « فأسجد لله تعالى فدفعت ما شاء الله أن يدمي ، وفتح على محمد لأحسبها الآن ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وصل سمعته واغتنع تشفع » الحديث بتمامه . وقوله تعالى (حق إذا فرغ عن قلوبهم قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا الْحَقُّ) وهذا أيضاً مقام رفيع في العظمة وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحى فسمع أهل السموات كلامه أرددوا من الهيبة حتى يلصقهم مثل النسي ، قاله ابن مسعود رضى الله عنه ومسروق وغيرهما (حق إذا فرغ عن قلوبهم) أى زال الفزع عنها قال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وأبو عبد الرحمن السلمي والشعبي وإبراهيم النخعي والشماع والحسن وقاتدة في قوله عز وجل (حق إذا فرغ عن قلوبهم قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا الْحَقُّ) يقول خلق عن قلوبهم ، وقرأ بعض السلف ، وجاء مرفوعاً إذا فرغ الباقين للجمعة ويرجع إلى الأول فإذا كان كذلك سأل بعضهم بشيء ماذا قال ربكم ؟ فيجبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم ثم الذين يلونهم لمن تحتهم حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا ، ولهذا قال تعالى (قَالُوا الْحَقُّ) أى أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان (وهو العلى الكبير) . وقال آخرون بل معنى قوله تعالى (حق إذا فرغ عن قلوبهم) يعنى للشرىكين عند الاحتضار ويوم القيامة إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا ورجعت إليهم عقولهم يوم القيامة قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قيل لم الحق وأخبروا به مما كانوا عنه لامين في الدنيا قال ابن أبى نجیح عن مجاهد (حق إذا فرغ عن قلوبهم) كشف عنها النطاء يوم القيامة . وقال الحسن (حق إذا فرغ عن قلوبهم) يعنى ما فيها من الشك والتكذيب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (حق إذا فرغ عن قلوبهم) يعنى ما فيها من الشك قال فرغ الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانهم وما كان يشغلهم (قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) قال وهباني بن آدم هذا عند الموت أقرأوا حين لا ينفعهم الإقرار وقد اختار ابن جرير القول الأول أن الضمير عائد على

للالسكة وهذا هو الحق الذي لامر في لسعة الأحاديث فيه والآثار ، ولندكر منها طرفا يدل على غيره قال البخاري عند تفسير هذه الآية الكريمة في صحيحه حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت لللائكة بأنجبها خضما فتوله كأنه مسل على سفوان فلما فرغ عن قولهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا لقد قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان يده فحرفها وتشر بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته ، ثم يلقها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن فرميا أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بذلك الكلمة التي سمعتم من السماء » انقرد بإخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه ، وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به والله أعلم .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرزاق قال : حدثنا معمر أخبرنا الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ جالسا في حجر من أصحابه قال عبد الرزاق من الأنصار فرمى بنجم فاستثار فقال صلى الله عليه وسلم « ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية » قالوا كنا نكفر بولاه عظيم أو يموت عظيم . قلت للزهري أكان يرمى بها في الجاهلية ، قال نعم ولكن غلظت حين بث النبي صلى الله عليه وسلم قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فاتها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياة ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرا سبح حمله العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلوهم حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستخير أهل السماء الذين يلوون حمله العرش فيقول الذين يلوون حمله العرش لحمله العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء وتخطف الجن السمع فيرمون ، فاجابوا به على وجه فهو حق ولكنهم يفترون فيه وي زيدون » هكذا رواه الإمام أحمد ، وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث صالح بن كيسان والأوزاعي ويونس ومعلق بن عبيد الله أريتهم عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل من الأنصار به وقال يونس عن رجال من الأنصار رضي الله عنهم ، وكذا رواه النسائي في التفسير من حديث الأبيدي عن الزهري به ، ورواه الترمذي فيه عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل من الأنصار رضي الله عنه والله أعلم .

(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف وأحمد بن منصور بن سيار الرمادي والسياق ل محمد بن عوف قال : حدثنا نعم بن حماد حدثنا الوليد هو ابن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الله بن أبي زكريا عن رجاء ابن حيوة عن النواصب بن صمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحى بأمره تكلم بالوحي ، فإذا تكلم السموات منه رجعة - أو قال رجعة - شديدة من خوف الله تعالى فإذا سمع بذلك أهل السموات سقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد فيمضي به جبريل عليه الصلاة والسلام على اللائكة كلما مر بهاء سماء يسأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل ، فيقول عليه السلام : قال الحق وهو العلي الكبير . فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله تعالى من السماء والأرض » وكذا رواه ابن جرير وابن خزيمة عن زكريا ابن أبيان للصري عن نعم بن حماد به وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول : ليس هذا الحديث بالثابت عن الوليد بن مسلم رحمه الله وقد روى ابن أبي حاتم من حديث الوقي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وعن قتادة أنهما فسرا هذه الآية بإتيان إمام الله تعالى إلى محمد ﷺ بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام ، ولا شك أن هذا أولى ما دخل في هذه الآية .

ابن أبان عن عكرمة قال سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول : إن الله تعالى فضل محمداً صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء . قالوا يا ابن عباس فم فضله على الأنبياء ؟ قال رضى الله عنه إن الله تعالى قال (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه لين لهم) وقال لنى صلى الله عليه وسلم (وما أرسلناك إلا كافة للناس) فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس . وهذا الذى قاله ابن عباس رضى الله عنهما قد ثبت فى الصحيحين رضى عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطيت خصالاً يطمئن أحد من الأنبياء قبل : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فأما رجل من أمى أدركنه الصلاة فليصل ، وأحلت لى القنائم ولم تحل لأحد قبل وأعطيت الشفاعة ، وكان الذى يموت إلى قومه خاصة ويموت إلى الناس عامة » وفى الصحيح أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يشت إلى الأسود والأحمر » قال مجاهد بنى الجن والإنس وقال غيره بنى العرب والعجم والكل صحيح . ثم قال عز وجل مخبر عن الكفار فى استبعادهم قيام الساعة (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) وهذه الآية كقول عز وجل (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذى آمنوا مشفقون منها ويقولون إنما الحق) الآية ثم قال تعالى (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أى لكم ميعاد مؤجل ممدود محدد لا يزداد ولا ينقص فلما جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم كما قال تعالى (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) وقال عز وجل (وما تؤخره إلا أجل ممدود • يوم يأتى لا تكلم نفس إلا بإذنه فمن شق وسعيد) .

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَوَلَّى قَوْمَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقَوْلُكُمْ هَٰذَا زُبْرُنَا جَمْعٌ يُضْمَنُ إِلَى بَعْضِ الْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا وَلَا أَنْتُمْ لَكُمْ مُؤْمِنُونَ • وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْصَرُّكُمْ عَنْ الْهَدْيِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ • وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْبَلِيلِ وَالْهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا الدَّامَةَ لَنَا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

غير تعالى عن تلمذ الكفار فى طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن الكريم وبما أخبر به من أمر المباد ولهذا قال تعالى (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) قال الله عز وجل شهد لهم ومتوعداً وخبراً عن مواقيهم الدلية بين يديه فى حال تخاصمهم وتحاجهم (يرجع بعضهم إلى بعضهم القول يقول الذين استضعفوا) وهم الأئمة (الذين استكبروا) منهم وهم قاذمهم وسادتهم (لولا أنهم لكانوا مؤمنين) أى لولا أنهم تصدوا لكانوا مؤمنين بالرسول وأتوا بما جاءوا به ، فقال لهم القادة والسادة وهم الذين استكبروا (نحن صدناكم عن الهدى بصد أن جاءكم) أى نحن ما فعلناكم أكثر من أننا دعوتكم فاتبعتكم ولا غير دليل ولا برهان وخالفتم الأدلة والبراهين والجميع الذى جادت بها الرسل ليهتدوا بها واختراكم لذلك ولهذا قالوا (بل كنتم مجرمين • وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر البليل والتهار) أى بل كنتم تمكرون بالبلايل والتهار وتخفون وتخفون وتخفون وتخفون وأنا على هدى وأنا على هدى • فإذا جمع ذلك باطل وكذب ومين ، قال قتادة وابن زيد (بل مكر البليل والتهار) يقول بل مكركم بالبلايل والتهار وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم مكركم بالبلايل والتهار (إذا تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً) أى نظراء وآله معه وتضميناً لنا شياً وأشياء من المبالغة فلو أنها (وأسروا الدمامة لما رأوا العذاب) أى الجميع من السادة والأتباع كل ندم على ما سلف منه (وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا) وهى السلاسل التى يجمع أيديهم مع أعناقهم (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) أى إنما يجازيكم بما عملكم كل بحسبه لعذاب بحسبه وللأتباع بحسبه (قال لكل ضعف

ولكن لا تملون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي الثراء حدثنا محمد بن سليمان بن الأصبهاني عن أبي سنان ضرار بن سرد عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن جهنم لما سبق إليها أهلها تلقاهم لها ثم تقبهم لقمة فلم يبق لحم إلا سقط على المرقوب » وحدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا الطيب أبو الحسن عن الحسن بن يحيى الخثعي قال ما في جهنم دارولا مفار ولا غل ولا قيد ولا سكة إلا اسم صاحبها عليها مكتوب قال فضدته أبا سليمان ينى الداراني رجعة الله عليه فبكي ثم قال وبك فكيف به لو جمع هذا كله عليه فجعل القيد في رجله والتل في يديه والسلكة في عنقه ثم أدخل النار وأدخل النار ؟ اللهم سلم :

﴿ وَنَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ • وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ • قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِنَا تُعَذِّبُكُمْ بِهَا وَلَئِن مَّا نَشَاءُ لَنَأْخُذَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَلَنُؤْتِيَنَّهَا لِمَن نَّشَاءُ وَلَنَكُونَنَّ مُعْذِيبِينَ • قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ لَهُ • وَنَا أُنْفِقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

يقول تعالى مسلماً لنبي ﷺ وأمره بالناس من قبله من الرسل وغيره بأنه ما بث نبيه في قرية إلا كذبه متروفاً واتبه ضفائهم كما قال قوم نوح عليه الصلاة والسلام (أنؤمن لك واتبك الأرذلون) (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) وقال الكبراء من قوم صالح (الذين استضعفوا لمن آمن منهم آمنون أن صالحاً مرسل من ربّه ؟ قالوا إنما بما أرسل به مؤمنون • قال الذين استكبروا إننا نأبى أنؤمن به كافرين) وقال عز وجل (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرمين ليجزوا فيها) وقال جل وعلا (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) وقال جل وعلا همتنا (وما أرسلنا في قرية من نذير) أي نبي أو رسول (إلا قال مترفوها) وهم أولو النعمة والحسنة والثروة والرياسة ، قال قتادة هم حيايرتهم وقادتهم وروسهم في الشر (إنما أرسلتم به كافرين) أي لا تؤمن به ولا تبعه ، قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا هارون بن إسحاق حدثنا محمد بن عبد الوهاب عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الساحل وبقى الآخر فلما بث النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى صاحبه يسأله ما فعل . فكتب إليه أنه لم يبقه أحد من قريسي إنما اتبعه أراذل الناس وسأكنهم قال فترك تجارتهم أتى صاحبه فقال دلتني عليه وكان يقرأ الكتب أو بعض الكتب قال فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إلام تدعو ؟ قال « أدعو إلى كذا وكذا » قال أشهد أنك رسول الله . قال ﷺ (وما عليك بذلك ؟) قال إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه أراذل الناس وسأكنهم قال فزلت هذه الآية (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنما بما أرسلتم به كافرين) الآية قال فأرسل إليه النبي ﷺ إن الله عز وجل قد أنزل مصديقي ما قلت وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك اللسان قال فيها وسألتك أشفاء الناس اتبعه أم أشراهم فزعمت بل ضفائهم وهم أتباع الرسل . وقال بشارك وصالي إخبارا عن الترفين للسكدين (وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعديين) أي اتفخروا بكثرة الأموال والأولاد واعتقدوا أن ذلك دليل على حجة الله تعالى لهم واعتناهم بهم وأنه ما كان لمصطفيهم هذا في الدنيا ثم يذهبهم في الآخرة وهنيت

لم ذلك قال الله تعالى (أعجبون أمّا نحمد به من مال وبنين ناسرع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وقال تبارك وتعالى (فلا تمسك أموالكم ولا أولادكم إنما يريد الله ليذهب في الحياة الدنيا وتزهر أنفسهم وهم كانوا) وقال عز وجل (ذرني ومن خلقت رجيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت له تعبيداً ثم يعلم أن أزيد كلاً إنه كان لأياتنا عنيدا) سأرقه صعداً) وقد أخبر الله عز وجل عن صاحب تينك الجنتين أنه كان ذا مال ومهر وولد ثم لم يكن عنه شيئاً بل سلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة ولهذا قال عز وجل هاهنا (قل إن ربى يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يسطر للآل لمن يحب ومن لا يحب فيفقر من يشاء ويغني من يشاء وله الحكمة التامة البالغة والحجة القاطعة الدامغة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ثم قال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تهربكم عندنا زلّى) أي ليست هذه دليلاً على محبتنا لكم ولا اعتنائنا لكم. قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا كثير حدثنا جعفر حدثنا يزيد بن الأصم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» ورواه مسلم وابن ماجه من حديث كثير بن هشام عن جعفر بن برقان به، ولهذا قال الله تعالى (إلا من آمن وعمل صالحاً) أي إنما يقرّبكم عندنا زلّى الإيمان والعمل الصالح (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) أي تضاعف لهم الحسنه بفساد أعمالها إلى سبعائة ضعف (وهم في الثورات آمنون) أي في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى ومن كل شر يحلر منه. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ثور بن أبي اللؤلؤ الكندي حدثنا القاسم وطى بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحق عن النعمان بن سعد عن طى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن في الجنة لثرفاً ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها» فقال أعرابي لمن هي؟ قال صلى الله عليه وسلم «لن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام» (والذين يسمعون في آياتنا معاجزين) أي يسمعون في الصد عن سيل الله واتباع رسله والتصديق بآياته (فأولئك في العذاب محضرون) أي جميعهم يحضرون بأعمالهم فيها مجسم. وقوله تعالى (قل إن ربى يسطر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أي بحسب ماله في ذلك من الحكمة يسطر على هذا من لئال كثيراً ويضيق على هذا ويقتدر على هذا رزقه جداً وله في ذلك من الحكمة مالا يدركها غيره كما قال تعالى (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) أي كما هم متفاوتون في الدنيا هذا بقدر مدق وهذا غنى موسع عليه فكذلك هم في الآخرة هذا في الثرفات في أعلى الدرجات وهذا في الصفات في أسفل الدرجات؛ وأطيب الناس في الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم «قد أفلق من أسلم ورزق كفافاً وقعه الله بما آتاه» رواه مسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما. وقوله تعالى (وما أفقتم من شيء فهو يخلفه) أي مهما أفقتم من شيء فبما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت في الحديث «يقول الله تعالى أشق أشق عليك» وفي الحديث أن ملكين يصيحان كل يوم يقول أحدهما: اللهم أعط مسكاً تلقا ويقول الآخر: اللهم أعط متفقاً خلفاً. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أشقى بلالاً ولا تخش من ذى العرش إقلاقاً» وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي عن يزيد بن عبد العزيز القلاس حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إلا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض يمشي اللوسر على ماني يده حذار الاثاق» ثم تلا هذه الآية (وما أفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقال الحافظ أبو يعلى اللؤلؤ حدثنا روح بن حاتم حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إلا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض يمشي اللوسر على ماني يده حذار الاثاق» قال الله تعالى (وما أفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وفي الحديث «شرار الناس يبايعون كل مضطر ألا إن بيع للظلمين حرام، ألا إن بيع للظلمين حرام، اللهم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله إن كان عندك معروف فعده على أخيك وإلا فلا تزده هلاكاً إلى هلاكه» هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي إسناده ضعف وقال سفيان الثوري عن أبي يونس الحسن بن يزيد

قال : قال مجاهد لا يتأولن أحدكم هذه الآية (وما أنقم من شيء فهو يخلفه) إذا كان عند أحدكم ما يقيمه فليقصد فيه فإن الرزق مقسوم

﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِمَ تَكُونُوا أَعْدَاءَ آبَائِكُمْ كَانُوا يَمُونُونَ ۖ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِينَ أَكْثَرَهُمْ يَبْغُونَ ۖ قَالُوا لَمْ لَا يَكُفُّ عَنْكُمْ لِيَمْنٍ بِكُمْ لِمَعْنِي هَذَا وَلَا ضَرَا ۖ وَقَوْلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوْقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝﴾

غير تعالى أنه يقرع للشركون يوم القيامة على رؤوس الخلائق فيسأل لللائكة الذين كان للشركون زعمون أنهم يبدون الأنداد التي هي على صورهم ليقربوهم إلى الله التي يقول لللائكة (أهؤلاء أياكم كانوا يعبدون) أي أياكم أمرت هؤلاء بعبادتك كما قال تعالى في سورة الفرقان (أأنت أعلم ما هم شأوا السبل) وكما يقول لميس عليه الصلاة والسلام (أأنت قلت لناس اتخوذوني وأمي وأبن من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) وهكذا يقول لللائكة (سبحانك أي تحليت وتقدس عن أن يكون معك إله) أنت ولينا من دونهم أي نحن عبيدك وتبرأ إليك من هؤلاء. (بل كانوا يبدون الجن) يعنون الشياطين لأنهم هم الذين زفوا لهم عبادة الأوثان وأضلواهم (أكثرهم بهم مؤمنون) كما قال تبارك وتعالى (إن يبدعون من دونه إلا أنا نؤمن به ولا شيطاناً امرئنا لعنه الله) قال الله عز وجل (فاليوم لا علك بسفكم بعض خعاً ولا ضراً) أي لا يقع لك شع عن كنتم ترجون تفعل اليوم من الأنداد والأوثان التي ادخرت عبادتها لشعائكم وكرهكم اليوم لا يعلكون لكم تفعا ولا ضراً (وقول للذين ظلموا وهم للشركون (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) أي يقال لهم ذلك خبزاً وتوبيخاً

[illegible]

غير تعالى عن الكفار أنهم يستحقون منه العقوبة والألم من العذاب لأنهم كانوا إذا تلى عليهم آياته ينادون سمعونا غصّة طرية من لسان رسوله ﷺ (قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كنتم بعبادة آلهاكم) ينادون أن دين آبائهم هو الحق وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل ، عليهم وعلى آبائهم لعائن الله تعالى (وقالوا ما هذا إلا إنك مفرى) ينادون القرآن (وقال الذين كفروا للحق إما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين) قال الله تعالى (وما آتيناهم من كتب يدرونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) أي ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن وما أرسل إليهم نبياً قبل محمد ﷺ وقد كانوا يرددون ذلك ويقولون لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب لكننا أهدى من غيرنا ، قلنا من الله عليهم بذلك كذبوه وجحدوه وعاندوه قال تعالى (وكذب الذين من قبلهم) أي من الأمم (وما يلتموا مثارا ما آتيناهم) قال ابن عباس رضي الله عنهما أي من القوة في الدنيا . وكذلك قال قتادة والسدي وابن زيد كما قال تعالى (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلناهم سماً وأصاراً وثائرة فما أخفى منهم مسمى ولا أصارهم ولا أثرتهم من شيء إذ كانوا يصيحون يا آيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون • أنزل بسوراني الأرض فينظروا كيف كان عقابا الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة) أي وما دفع ذلك

عَنْهُم عَذَابُ اللَّهِ وَلَا رَدَّ ، بَلْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمَّا كَذَبُوا رَسُولَهُ وَلِهَذَا قَالَ (فَكَذَبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) أَيِ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ وَنَكَالِي وَاتِّصَارِي لِرَسُولِي

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بَوَاحِدَةً أَنْ تَقُولُوا لِلَّهِ مَنَّىٰ وَتَقُولُوا مَا يَصَاحِبُكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا يُدِيرُ بَيْنَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾

يقول تبارك وتعالى قل يا محمد هؤلاء الكافرين اراهم انك جنون (انا اعظمكم بواحده) انا اعمى امركم بواحده وهى (ان قوموا الى منى وفراى ثم تفكروا ما يصحبكم من جنه) اى قوموا ايما خالسا لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية فينال بضعك بمشاهل محمد من جنون فينصح بضعك بضا (ثم تفكروا) اى ينظر الرجل لنفسه فى امر محمد صلى الله عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه ان اُكل عليه وينكر فى ذلك ولهذا قال تعالى (ان) تقوموا له منى وفراى ثم تفكروا ما يصحبكم من جنه (هذا معنى ما ذكره مجاهد ومحمد بن كعب والسدى وقادة وغيرهم وهذا هو المراد من الآية فأما الحديث الذى رواه ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة ابن خالد حدثنا عات بن ابي السائكة عن ط بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة رضى الله عنه قال: (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « اعطيت ثلاثا لم يعطهن أحد قبلى ولا اخر - اُسلت لى التمام ولم تحل لى قبلى ، كانوا قبلى يجمعون فغانهم فيحرقونها ، وبشت الى كل امر اسود ، وكان كل لى يمشى الى قومه خاصة ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهورا اتيهم بالصعيد وأصلى فيها حيث ادركنى الصلاة قال الله تعالى (ان قوموا له منى وفراى) وأعتب بالرب مسير شهرين يدى » فهو حديث منصف الإسناد ، وتفسير الآية بالقيام فى الصلاة فى جماعة وفراى بيدولله بمقيم فى الحديث من بعض الرواة فان أصله ثابت فى الصحيح وغيرها والله اعلم

وقوله تعالى (إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لِّكُم يَوْمَ يَبْدَىٰ عَذَابٌ شَدِيدٌ) قال البخاري عندهما حديثا في بن عبد الله حديثا محمد ابن حازم حديثا الأعمش عن عمرو بن مرتض عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في يومئذ يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقالوا مالك ؟ فقال « أرايتم لو أخبرتكم أن الدواب يومئذ يصبحنكم أوعى منكم أما كنتم تصدقون ؟ » قالوا بلى فقال صلى الله عليه وسلم « فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقال أبو لهب تباه هذا حديثنا . فأنزل الله عز وجل (تَبَتَّ يَدَايَ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) وقد تقدم عند قوله تعالى (وأندر عشرتك الأقرين) وقال الإمام أحمد حديثا أبو سعيد حديثا بشر بن الحجاج حديثا عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال : خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فتأذى ثلاث مرات فقال « أيها الناس سمعوني ما مثلي ومثلكم ؟ » قالوا الله تعالى ورسوله أعلم . قال ﷺ « إنا مثلي ومثلكم مثل قوم خلقوا عدوا بأنفسهم فيشوا رجلا يتراءى لهم فيها هو كذلك أجبر العدو فأقبل لينلهم وخشى أن يفركه العدو قبل أن ينلر قومه فأهوى شوبه ، أيها الناس أوتيتم أيها الناس أوتيتم ثلاث مرات ، وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله ﷺ « بشت أنا والساعة فيما بين كادت لتسبقني » نذر به الإمام أحمد في مسنده

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَبْتُمْ إِلَى اللَّهِ وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَوِيذٌ • قُلْ إِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ الْبِلَالَ الْبَلِيلَ وَمَا يُبْدِيهِ الْبَلِيلُ • قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنَّهُ يَشِيعُ قَرِيبٌ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين (ما سألتكم من أجر فهو لكم) أى لا تزيد

منكم جملا ولا عطاء على أداء رسالة الله عز وجل إليكم ونصحي إياكم وأمركم بعبادة الله (إن أجرى إلا على الله)
 أي إنما أطلب ثواب ذلك من عند الله (وهو على كل شيء شهيد) أي عالم بجميع الأمور بما أنا عليه من إخباري
 عنه بارساله إياي إليكم وما أتم عليه . وقوله عز وجل (قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب) كقوله تعالى (يلقى
 الروح من أمره على من يشاء من عباده) أي يرسل لللك إلى من يشاء من عباده من أهل الأرض وهو عالم الغيوب
 فلا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض وقوله تبارك وتعالى (قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد)
 أي جاء الحق من الله والشرع العظيم وذهب الباطل وزهق وأضمحل كقوله تعالى (بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه
 فأذهو زاهق) ولهذا لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم الفتح ووجد تلك الأصنام منصوبة
 حول الكعبة جعل يلعن الصنم منها بسية قوسه ويقرأ (قل جاء الحق وزهق الباطل إن كان الباطل زهوقا) (قل
 جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وحده عند هذه الآية كلهم من حديث
 الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عبد الله بن مسخرة عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أي لا يبق للباطل
 مقالة ولا ربيعة ولا كلمة ، وزعم قتادة والسدي أن للراد بالبطل هاهنا إبليس أي أنه لا يخلق أحدا ولا يبيده ولا يقدر
 على ذلك وهذا وإن كان حقا ولكن ليس هو للراد ههنا والله أعلم . وقول تبارك وتعالى (قل إن ضللت فإني
 أضل على نفسي وإن اهتديت فبأمر ربي) أي الخيرة كلها من عنده لله وفيها أنزل الله عز وجل من الوحي والحق
 للبين فيه الهدى والبيان والرشاد ومن ضل فإني أضل من تلقاء نفسه كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما سئل
 عن تلك الشبهة المتقدمة أقول فيها برأي فإن يكن سوابقا لله وإن يكن خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله
 بريان منه . وقوله تعالى (إنه سمع قريب) أي سمع لأقوال عباده قريب يجب دعوة الداعي إذا دعاه ، وقد روى
 النسائي ههنا حديث أبي موسى الذي في الصحيحين « إنكم لا تدعون أصم ولا غابا إنما تدعون ميمما قريبا مجيبا »

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَاتَّخَذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ • وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ اتِّخَاذُ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ • وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ • وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُصِّلَ لِأَشْيَاقِهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾

يقول تبارك وتعالى ولو ترى يا محمد إذا فرغ هؤلاء الكذابين يوم القيامة فلا قوت أي فلا مفر لهم ولا وزير لهم ولا ملجأ
 (وأخذوا من مكان قريب) أي لم يمكنوا أن يمتنعوا في الهرب بل أخذوا من أول وهلة . قال الحسن البصري حين خرجوا
 من قبورهم وقال مجاهد عطية المولى وقادة من تحت أقدامهم ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما والضحالك بن عذابهم
 في الدنيا ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن قتله يوم بدر والصحيح أن للراد بذلك يوم القيامة وهو الطامة العظمى ، وإن
 كان ما ذكر متصلا بذلك ، وحكى ابن جرير عن بعضهم قال إن للراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة ولدىة في أيام
 بني العباس رضي الله عنهم . ثم أورد في ذلك حديثا موضوعا بالكسيلة ثم لم ينب على ذلك وهذا أمر عجيب غريب
 منه (وقالوا آمنا به) أي يوم القيامة يقولون آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله كما قال تعالى (ولوترى إذا الجبرمون ناكسو
 رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا ومننا فارجتنا نممل لأفئدة موقنون) ولهذا قال تعالى (وأنى لهم التناوش من
 مكان بعيد) أي وكيف لهم تناوش الإيمان وقد بسدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى النار الآخرة وهي دار الجزاء
 لا دار الابتلاء فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك ناضج ولكن بعد مصيرهم إلى النار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول
 الإيمان كما لا سبيل إلى حصول الشيء من يتناوله من بعيد . قال مجاهد (وأنى لهم التناوش) قال التناول ذلك . وقال
 الزهري : التناوش تناولهم الإيمان وهم في الآخرة وقد اخطعت عنهم الدنيا ، وقال الحسن البصري أما إنيهم طلبوا
 الأمر من حيث لا ينال تناولوا الإيمان من مكان بعيد ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : طلبوا الرجعة إلى الدنيا

والتوبة مأمور فيه . وليس بحين رجعة ولا توبة . وكذا قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله . وقوله تعالى (وقد كفروا به من قبل) أي كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا الرسل (وقد فوفون بالنيب من مكان بعيد) قال مالك عن زيد بن أسلم (وقد فوفون بالنيب) قال الظن قلنا كما قال تعالى (رجبا بالنيب) فتارة يقولون شاعر وتارة يقولون كاهن وتارة يقولون ساحر وتارة يقولون مجنون إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة ، ويكذبون بالبعث والنشور والعاد (ويقولون إن نفلن إلا غنا وما نحن بمستيقنين) قال قتادة وجاهد يرجون بالظن لا يثبت ولا جنة ولا نار وقوله تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) قال الحسن البصري والضحاك وغيرهما يعني الإيمان وقال السدي (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) وهي التوبة وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله . وقال جاهد (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من هذه الدنيا من مال وزهرة وأهل ، وروى نحوه عن ابن عمر وابن عباس والربيع ابن أنس رضي الله عنهم وهو قول البخاري وجماعة والسحيح أنه لا منافاة بين القولين فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما يطلبوه في الآخرة فنشعوا منه . وقد ذكر ابن أبي حاتم هنا أثرًا غريبًا عجيبًا جدًا فنذكره بطوله فإنه قال : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا بشر بن حجير الشامي حدثنا علي بن منصور الأنباري عن الرقي بن قطامي عن سعيد ابن طريف عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) إلى آخر الآية قال كان رجل من بني إسرائيل فاعًا إن تبع الله تعالى له مالا فأتى فورته ابن له تافه أي فاسد فكان يسل في مال الله تعالى بمعاصي الله تعالى عز وجل فلما رأى ذلك أخوات أبيه أو ألقى فضلوهم ولا موه ففصر الفتي فباع عقاره بصامت ثم رحل فأتى عينا بحاجة ففسح فيها ماله وأبنتي فصرنا فيينا هو ذات يوم جالس إذ حملت عليه ربح بامرأة من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا أي ربحا فقالت من أنت يا عبد الله ؟ فقال أنا امرؤ من بني إسرائيل قالت فلك هذا القصر وهذا المال ؟ فقال نعم . قالت فهل لك من زوجة ، قال لا . قالت فكيف يهينك العيش ولا زوجة لك ، قال قد كان ذاك ، قال فهل لك من بعل ، قالت لا قال فهل لك إلى أن أتزوجك ، قالت إني امرأة تنكح على مسيرة ميل فإذا كان غد فتزود زاد يوم والتمني وإن رأيت في طريقك هولا فلا تهونك فلما كان من اللد تزود زاد يوم وانطلق فأتته إلى قصر فقرر رتاجه فخرج إليه شاب من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا أي ربحا فقال من أنت يا عبد الله ، فقال أنا الإسرائيلي قال فما حاجتك ، قال دعني صاحبة هذا القصر إلى نفسها قال صدقت ، قال فهل رأيت في الطريق هولا ، قال نعم ولولا أنها أخبرتني أن لا بأس على لمانتي الذي رأيت قال مارأيت ، قال أقبلت حتى إذا اخرجت في السبيل إذا أنا بكعبة فاتحة فلما فزعرت فوثبت فلذا أنا من وراءها وإذا جراؤها ينيهن في بطنها فقال له الشاب لست تدرى هذا ، هذا يكون في آخر الزمان فقاعد التلام الشبهة في مجلسهم ويسرم حديثه ، قال ثم أقبلت حتى إذا اخرجت في السبيل إذا أنا بجاعة عز حقل وإذا فيها جدي يصمها فإذا آتى عليها وظن أنه لم يترك شيئا فتح فاه يلمس الزيادة فقال لست تدرى هذا ، هذا يكون في آخر الزمان ملك يجمع صامت الناس كلهم حتى إذا ظن أنه لم يترك شيئا فتح فاه يلمس الزيادة ، قال ثم أقبلت حتى إذا اخرجت في السبيل إذا أنا بشجر فأعجبني غصن من شجرة منها فأردت قطعه فنادتني شجرة أخرى يا عبد الله منى فخذ حتى ناداني الشجر أجمع يا عبد الله منى فخذ فقال لست تدرى هذا ، هذا يكون في آخر الزمان رجل الرجال ويصكر النساء حتى إن الرجل ليخطب المرأة فتدعوه العشر والشعرون إلى أنفسهم ، قال ثم أقبلت حتى إذا اخرجت في السبيل فإذا أنا برجل قائم على عين يرف لكل إنسان من لاء فإذا صدعوا عنه صب في جرتهم فلم تعلق جرتهم من لاء شيء ، قال لست تدرى هذا ، هذا يكون في آخر الزمان القاصي يعلم الناس العلم ثم يخالفهم إلى معاصي الله تعالى ، قال ثم أقيمت حتى إذا اخرجت في السبيل إذا أنا بمنز وإذا يقوم قد أخذوا بقوائمها وإذا رجل قد أخذ بقرنها وإذا رجل قد أخذ بدنبها وإذا راك قد ركبا وإذا رجل محتلبا فقال أما المنز فهي الدنيا والآخذ أخذوا بقوائمها يستاقطون من عيشها ، وأما الذي أخذ بقرنها فهو رجال من عيشها ضيقا . وأما الذي أخذ بدنبها فقد أدبرت عنه ، وأما الذي ركبا فقد

تركها ؛ وأما الذي جلبها فبعث بخ ذهب ذلك بها ، قال ثم أقبلت حتى إذا أخرج في السيل إذا أنا برجل يتبع على قلبه كلما أخرج دلوه صبه في الخوض فالتاب للاء راجعا إلى القلب قال هذا رجل رد الله عليه صالح عمله فلم يقبه قال ثم أقبلت حتى إذا أخرج في السيل إذا أنا برجل ينثر ببرا فيستحصد فلذا حنطة طيبة قال هذا رجل قبل الله صالح عمله وأزكاه له . قال ثم أقبلت حتى إذا أخرج في السيل إذا أنا برجل مستلق على قفاه قال يا عبد الله أدن مني فخذ يدي وأقعدني فوالله ما قدرت منذ خلقني الله تعالى فأخذت يده فقام يسرى حتى ما أراه فقال له انقضى هذا عمر الأبد فقد ، أنا ملك اللوت وأنا للرائع أتيتك الله تعالى فقبض روح الأبد في هذا المكان ثم أسيرته إلى نار جهنم قال فقيه نزلت هذه الآية (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) الآية هذا أمر غريب وفي صحنه نظر ، وتزول الآية عليه وفيه معنى أن الكفار كلهم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا كما جرى لهذا للزور للفتون ذهب يطلب مراده فجاءه ملك اللوت فجاءه بضة وحيل بينه وبين ما يشتهى . وقوله تعالى (كافل بأشياعهم من قبل) أي كما جرى للأمر للامنة للكذبة بالرسول لما جاءهم بأمر الله أن لو آمنوا فلم يقبل منهم (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) فتركهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد دخلت في عباده وخسر هناك الكافرون . وقوله تبارك وتعالى (إني أنزلت الكتاب في مكة في الدنيا في مكة) فلماذا لم يقبل منهم الإيمان عند معانيه العذاب : قال قتادة لما أكرموا الشك والرية فان من مات على ذلك بشيعة عليه ، ومن مات على يقين بشيعة عليه . آخر تفسير سورة سبأ والله سبحانه وتعالى للوفيق للصواب

(تفسير سورة فاطر وهي مكة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتِلْكَ وَرَبِّكَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

قال سنيان الثوري عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما : قال كنت لا أدرى ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعريان يختصمان في بئر فقال أحدهما لصاحبه أنا فطرناها أي بدأها وقال ابن عباس رضى الله عنهما أيضا (فاطر السموات والأرض) أي بديع السموات والأرض ، وقال الضحاك كل شيء في القرآن فاطر السموات والأرض فهو خالق السموات والأرض . وقوله تعالى (جاعل الملكة رسلا) أي بينه بين أنبيائه (أولى أجنحة) أي يطفرون بها ليلنوا ما أمروا به سرعا (متنى وثلاث ورباع) أي منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ومنهم من له أكثر من ذلك كما جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء وله ستائة جناح بين كل جناحين كابين الشرق والغرب ولهذا قال جبريل وعلا (يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) قال السدي يزيد في الأجنة وخلقهم ما يشاء وقال الزهري وابن جريج في قوله تعالى (يزيد في الخلق ما يشاء) يعني حسن الصوت رواه عن الزهري البخاري في الأدب وابن أبي حاتم في تفسيره وقرئ في الشاذ (يزيد في الخلق) بالحاء للهمة والله أعلم .

(مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

غير تعالى أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع . قال الإمام أحمد حدثنا علي ابن عاصم حدثنا مغيرة أخبرنا عامر عن وراذ مولى للثيرة بن شعبة قال إن معاوية كتب إلى الثيرة بن شعبة اكتب لي بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني الثيرة فكتبت إليه إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من الصلاة ولا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لله الملك وله الحمد

وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما مننت ولا ينفع ذا الجند منك الجند » وصمته ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال . وعن واد النبات ، وعقوق الأمهات ، ومنع وهات . وأخرجه من طرق عن وراد به وثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول « مع الله لمن حمد الله ربنا لك الحمد ملء السماء والأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد اللهم أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد . اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما مننت ولا ينفع ذا الجند منك الجند » وهذه الآية كقول تبارك وتعالى (وإن بمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك غير فلا راد لفضله) ولها نظائر كثيرة . وقال الإمام مالك رحمه الله عليه كان أبو هريرة رضى الله عنه إذا مطروا يقول مطربنا بنو القنص ثم قرأ هذه الآية (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يحملكوا بمعصيته فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) ورواه ابن أبي حاتم عن يونس عن ابن وهب عنه

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَزِيدُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)

فيه تعالى عباده ويرشدكم إلى الاستدلال على توحيد في أفراد العبادة له كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليغرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ولهذا قال تعالى (لا إله إلا هو فأنى تؤفكون) أى كيف تؤفكون بعد هذا البيان ، ووضح هذا البرهان ، وأتم به هذا تمديد الأنداد والأوثان والله أعلم

(وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْفُرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

يقول تبارك وتعالى وإن يكذبوك يا محمد هؤلاء للشركون بالله وبخالفوك فيها جتهم به من التوحيد فلك الذين سلف قبلك من الرسل أسوة فانهم كذلك جاءوا قومهم بالبينات وأمرهم بالتوحيد فكذبهم وخالفهم (وإلى الله ترجع الأمور) أى وسنجزهم على ذلك أوفر الجزاء . ثم قال تعالى (يا أيها الناس إن وعد الله حق) أى الماد كان لا محالة (فلا تفرنكم الحياة الدنيا) أى العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تلهوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية (ولا يفرنكم بالله التور) وهو الشيطان قاله ابن عباس رضى الله عنهما أى لا يفتنكم الشيطان ويصرفكم عن اتباع رسل الله وتصدق كذباته فانه غرار كذاب أفك ، وهذه الآية كالأية التي في آخر لقمان فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله التور وقال مالك عن زيد بن أسلم هو الشيطان كما قال المؤمنون للنافقين يوم القيامة حين يضرب (بينهم بسور له باب باطن فيه الرحمة وظاهر من قبله المذاب) ينادونهم ألم تكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرركم الأماني حتى جاء أمر الله وغرركم بالله (التور) ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أى هو مبارز لكم بالمناوذة فعادوه أتم أشد العداوة وخالفوه وكذبوه فبا يفرنكم به (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) أى إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوهم إلى عذاب السعير فهذا هو الدو اللعين نال الله القوي العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان وأن يرزقنا اتباع كتابه ، والافتقار بطريق رسوله إنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ، وهذه كقولته تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه فاتخذوه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا)

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ أَقْنِ ذُنُوبَ
لَهُ سَوْءَ عَمَلِهِ قَرَأَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ
اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿

لما ذكر تعالى أن أبايع إبليس مصيرهم إلى السير ذكر بعد ذلك أن الدين كفروا لهم عذاب شديد لأنهم أطاعوا
الشيطان وعصوا الرحمن وأن الذين آمنوا بالله ورسوله (وعملوا الصالحات لهم مغفرة) أى لما كان منهم من ذنب (وأجر
كبير) على ما عملوه من خير ثم قال تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) يعنى كالكفار والتجار يملكون أعمالا
سيئة وهم في ذلك يمشقون ويحسبون أنهم يحسنون صنعا أى أفمن كان هكذا قد أضله الله ألك فيه حيلة ، لا حيلة
لك فيه (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) أى قدره كان ذلك (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أى
لا تأسف على ذلك فإن الله حكيم في قدره إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي لما له في ذلك من الحجة البالغة والعلم
التام ولهذا قال تعالى (إن الله علم بما يصنعون) . وقال ابن أبي حاتم عند هذه الآية حدثنا أبو حنيفة عن عوف
الحمصى حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو الشيبانى أو ربيعة عن عبد الله بن الديلى قال أتيت
عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما وهو فى حائط بالطائف يقال له الوهط قال سمعت رسول الله ﷺ يقول الله « إن
الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ فقد اهتدى ومن أخطأ منه ضل فذلك
أقول جف القلم على ما علم الله عز وجل » ثم قال حدثنا محمد بن عبد العزيز بن حبان بن حبان البصرى حدثنا
إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشى عن سديد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضى الله عنه قال
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « الحمد لله الذى يهدي من الضلالة ويبلى الضلالة على من أحب »
وهذا أيضا حديث غريب جداً

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنِيهِمْ سَحَابًا فَأَسْقَيْنَهُمَ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ
النُّشُورُ ﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُبْورُ ﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَفْثَةٍ ثُمَّ
جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا بِكُتْبِ
إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿

كثيرا ما يستدل تعالى على اللماذ بأحيائه الأرض بعد موتها كما فى أول سورة الحج ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على
ذلك فإن الأرض تكون ميتة هامة لا نبات فيها فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها (اهتزت وربت
وأنبتت من كل زوج بهيج) كذلك الأجساد إذا أراد الله تعالى بثها ونشورها أنزل من تحت العرش مطرا يسم
الأرض جميعا وأنبت الأجساد فى قبورها كما تبت الحية فى الأرض ولهذا جاء فى الصحيح « كل ابن آدم يبلى إلا
عجب الذنب ، منه خلق ومنه يركب » ولهذا قال تعالى (كذلك النشور) وتهم فى الحج حديث أبى رزين قلت
يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى ؟ وما آية ذلك فى خلقه . قال صلى الله عليه وسلم « يا أبا رزين أما مررت
بوادى قومك ممحلاهم مررت به يهترخضرا » قلت بلى ، قال صلى الله عليه وسلم « فكذلك يحيى الله الموتى »

وقوله تعالى (من كان يريد العزة قلله العزة جميعا) أى من كان يحب أن يكون عززا في الدنيا والآخرة فليسلم طاعة الله تعالى فإنه يحصل له مقصوده لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعا كما قال تعالى (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا) وقال عز وجل (ولا يعز نك قولهم ، إن العزة لله جميعا) وقال جل جلاله (وله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن للنافقين لا يسلون) قال مجاهد (من كان يريد العزة) بعبادة الأوثان (فإن العزة لله جميعا) وقال قتادة (من كان يريد العزتان العزوة جميعا) أى فليتمتع ببطانة الله عز وجل وقيل من كان يريد علم العزة لمن هو (فإن العزة لله جميعا) وحكاية ابن جرير ، وقوله تبارك محمد بن إسماعيل الأحمسي أخبرني جعفر بن عون عن عبد الرحمن بن عبد الله السعدي عن عبد الله بن الحارث عن أبيه الحارث بن سلم قال : قال لنا عبد الله هو ابن مسعود رضى عنه إذا حدثناكم بحديث أتيناكم تصديق ذلك من كتاب الله تعالى إن العبد المسلم إذا قال سبحان الله وعلمه والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تبارك الله أخذته ملك فصلى عن تحت جناحه ثم صعد بهن إلى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا له حتى يمشي بهن وجه الله عز وجل ثم قرأ عبد الله رضى الله عنه (إياه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وحديث يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علي أخبرنا مسعود بن الجريري عن عبد الله بن شقيق قال : قال كعب الأحبار إن لسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله أكبر لهوا حول العرش كدوى النخل يذكرون لصاحبين والعمل الصالح في الخزان والحمد لله ولا إله إلا الله أكبر لهوا حول العرش كدوى النخل يذكرون لصاحبين والعمل الصالح في الخزان وهذا إسناد صحيح إلى كعب الأحبار رحمة الله عليه ، وقدرى مرفوعا . قال الإمام أحمد حدثنا ابن غير حدثنا موسى بن أبي مسلم الطحان عن عون بن عبد الله عن أبيه أو عن أخيه عن الثمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (الذين يذكرون الله من جلال الله من تسبيحه وتكبيره وتحميده وتهليله يضاطفون حول العرش لمن دوى كدوى النخل يذكرون صاحبين لأعجب أحدكم أن لا زال له عند الله شيء يذكر به) وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بشر بكر بن خلف عن يحيى بن سعيد الطحان عن موسى بن مسلم الطحان عن عون بن عبد الله عن عتبة ابن مسعود عن أبيه أو عن أخيه عن الثمان بن بشير رضى الله عنه به . وقوله تعالى (والعمل الصالح يرفعه) قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما الكلم الطيب ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله عز وجل والعمل الصالح أداء الفريضة فمن ذكر الله تعالى في أداء فريضة حمل عمله ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله عز وجل ومن ذكر الله تعالى ولم يؤد فريضة رد كلامه على عمله فكان أولى به وكذا قال مجاهد : العمل الصالح يرفع الكلم الطيب وكذا قال أبو المالح وعكرمة وإبراهيم النخعي والضحاك والسدي والريعي بن أنس وشهر بن حوشب وغير واحد وقال إياس بن معاوية القاضي لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام وقال الحسن وقاعدة لا يقبل قوله إلا بسلم

وقوله تعالى (والذين يذكرون الميثاق) قال مجاهد وسعيد بن جبير وشهر بن حوشب هم الرادون بأعمالهم يعني يذكرون بالناس يوهون أنهم في طاعة الله تعالى وهم بضياء إلى الله عز وجل يرادون بأعمالهم (ولا يذكرون الله إلا قليلا) وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم الشركون ، والصحیح أنها عامة والشركون داخون بطريق الأولى ولهذا قال تعالى (لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يورث) أى يفسد ويضل ويظهر زهيم عن قريب لأولى البصائر والنهي فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على منجات وجهه وفنانت لسانه وما أسر أحد سريرة إلا أكساه الله تعالى رداها وإن خيرا فخير وإن شرا فشر ، فالمرأى لا يروج أمره ويستمر إلا على غي ، أما المؤمنون للفرس فلا يروج ذلك عليهم بل يكشف لهم عن قرب وعالم القريب لا تخفى عليه خافية . وقوله تبارك وتعالى (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة) أى ابتداء خلق أيكم آدم من تراب ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين (ثم جعلكم أزواجا) أى ذكر وأنى لطفنا منه ورحمة أن جعل لكم أزواجا من جنسكم لتسكنوا إليها وقوله عز وجل (وما يحمل من أنثى ولا تضع إلا بمله) أى هو عالم بذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء بل (ما تسقط من ورقه إلا

يسمى ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) وقد تقدم الكلام على قوله تعالى (الله يعلم ما نحمل كل أثق وما تخفي الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) عالم القرب والشهادة الكبير للعال (وقوله عز وجل (وما يمر من عمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) أى ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل بمله وهو عنده في الكتاب الأول (وما ينقص من عمره) الضمير عائد على الجنس لا على العين لأن الطويل العمر في الكتاب وفى علم الله تعالى لا ينقص من عمره وإنما عاد الضمير على الجنس قال ابن جرير وهذا كقولهم عندي ثوب ونصفه أى ونصف ثوب آخر ، وروى من طريق الموفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (وما يمر من عمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير) يقول ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له فأعما يتنهي إلى الكتاب الذى قدرت لا يزداد عليه ، وليس أحد قدرت له أنه قصر العمر والحياة يبلغ العمر ولكن يتنهي إلى الكتاب الذى كتبت له فذلك قوله تعالى (ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير) يقول كل ذلك فى كتاب عنده وهكذا قال الضحاك بن مزاحم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه (ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) قال ما لفظت الأرحام من الأولاد من غير تلم ، وقال عبد الرحمن بن ضميرها ألا ترى الناس يعيش الإنسان مائة سنة وآخر يموت حين يولد فهذا ، وقال قتادة : والذى ينقص من عمره فالحق يموت قبل ستين سنة ، وقال مجاهد (وما يمر من عمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) أى فى بطن أمه يكتب له ذلك لم يخلق الخلق على عمر واحد بل لهذا عمر ولهذا عمر هو أقص من عمره فكل ذلك مكتوب لمصاحبه بالغ ما بلغ ، وقال بضمه بل منناه (وما يمر من عمر) أى ما يكتب من الأجل (ولا ينقص من عمره) وهو ذهابه قليلا قليلا الجمع معلوم عند الله تعالى سنة بعد سنة وشهرا بعد شهر ، وجمعة بعد جمعة ، ويوما بعد يوم ، وساعة بعد ساعة الجمع مكتوب عند الله تعالى فى كتابه . فله ابن جرير عن أبي مالك وإليه ذهب السدى وعطاء الخراساني ، واختاره ابن جرير الأول وهو كما قال ، وقال النسائي عند ضمير هذه الآية الكريمة حدثنا أحمد بن محمد بن أبي زيد بن سليمان قال سمعت ابن وهب يقول حدثني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من سره أن يسقط له فى رزقه ويسأله فى أثره فليصل رحمه » وقد رواه البخارى ومسلم وأبو داود من حديث يونس بن يزيد الإيلي به وقال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا الوليد بن الوليد بن عبد الملك بن عبيد الله أبو سرح حدثنا عثان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله عن عمه أبي مسجة بن ربي عن أبي النرداء رضى الله عنه قال : ذكرنا عند رسول الله ﷺ فقال « إن الله تعالى لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها ، وإنما زيادة العمر بالبرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم فى قبره فذلك زيادة العمر » وقوله عز وجل (إن ذلك على الله يسير) أى سهل عليه يسير لديه عمله بذلك وبشخصه فى جميع مخلوقاته فإن عمله شامل للجميع لا يخفى عليه شيء منها

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا فَوَاحٍ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَاكُونٍ لِّحَافٍ طَرِيبًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حُلِيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لِّتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَكُمْ سَمَكٌ تَشْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى منها فى قدرته العظيمة فى خلقه الأشياء المختلفة خلق البحرين العذب الزلال وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس من كبار وصغار بحسب الحاجة إليها فى الأقاليم والأمصار ، والعمران والبرارى والقفار ، وهى عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك (وهذا ملح أجاج) أى مر وهو البحر الساكن الذى تسمى فيه السفن الكبار ، وإنما تكون مالحة زعاقا مرة ولهذا قال (وهذا ملح أجاج) أى مر ثم قال تعالى (ومن كل تأكلون لحما طريا) أى السمك (وتستخرجون حلية تلبسونها) كما قال عز وجل (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) فبأى آلاء ربكماتكم ذبان) وقوله جل

وعلا (و ترى الفلك فيه مواخر) أى تخمره وتنشقه بعجزها وهو مقدمها السنن التى يشبه جؤجؤ الطير وهو صدره ، وقال مجاهد تخمر الریح السفن ولا يخمر الریح من السفن إلا العظام ، وقوله جل وعلا (لتبنيوا من فضله) أى بأسفاركم بالتجارة من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم (ولعلكم تشكرون) أى تشكرون ربكم على تسخيركم لهذا الخلق العظيم وهو البحر تصرفون فيه كيف شئتم وتلهبون أين أردتم ولا يمتنع عليكم شئ منه ، بل بقدرته قد سخر لكم مافى السموات وما فى الأرض الجميع من فضله ورحمته .

﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْعِيرٍ ۚ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَكُمْ وَتَوَسَّعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

وهذا أيضاً من قدرته التامة وسلطانه العظيم فى تسخير الأيل بظلامه والنهار بضياؤه وبأخذ من طول هذا فيزيده فى قصر هذا فيتبدلان ، ثم يأخذ من هذا فى هذا فيطول هذا ويقصر هذا ثم يشارضان سيفا وشقاء (وسخر الشمس والقمر) أى والنجوم السيارات ، والثواب الثاقبات ، بأضوائهن أجرام السموات ، الجميع يسبون بمقدار معين . وعلى منهاج معين محرر ، هدير من عزز عليهم (كل يجرى لأجل مسمى) أى إلى يوم القيامة (ذلكم الله ربكم) أى الذى فعل هذا هو الرب العظيم الذى لا إله غيره (والذين تدعون من دونه) أى من الأوثان والأنداد التى هى على سورة من تزعمون من الملائكة القرين (ما يملكون من قطمير) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء وعطية السوفى والحسن وقادة وغيرهم : القطمير هو القفافة التى تكون على نواة النخلة أى لا يملكون من السموات والأرض شيئا ولا بمقدار هذا القطمير ثم قال تعالى (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) يعنى الآلهة التى تدعوهم منها دون الله لا تسمع دعاءكم لأنها حماد لا أرواح فيها (ولو سمعوا ما استجابوا لكم) أى لا يقدرون على شئ مما يطلبون منها (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أى يتردون منكم كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ۚ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (وأخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ۚ كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًا) وقوله تعالى (ولا ينبتك مثل خبير) أى ولا يخبرك بمواقب الأمور وما لها وما نصير إليه مثل خبير بها قال قتادة يعنى نفسه تبارك وتعالى فإنه أشبر بالواقع لا عالة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ ۚ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جُهْلَةٍ لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا تَكُنْ دَاخِرَةً ۖ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكَا فإِنَّمَا يَتَرَ كُفْرًا يَتَرَىٰ لِنَفْسِهِ إِلَى اللَّهِ اتِّصِيرٌ ۙ ﴾

يخبر تعالى بضعائه عما سواه وبافتقار الخلق لكها إليه وتخليها بين يديه فقال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) أى هم محتاجون إليه فى جميع الحركات والسكنات وهو تعالى الذى عنهم بالذات ولهذا قال عز وجل (والله هو الغنى الحميد) أى هو اللغزذ بالنى وحده لا شريك له وهو الحميد فى جميع ما يفعله وقوله وقدره وضرعه ، وقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أى لو شاء لأذهبكم أيها الناس وآتى بخلق غيركم وما هذا عليه بسبب ولا يمتنع ولهذا قال تعالى (وما ذلك على الله بعزيز) . وقوله تعالى (ولا تزد وازرة وزر أخرى) أى يوم القيامة (وإن تدع مثقلة إلى حملها) أى وإن تدع نفس مثقلة بأوزانها إلى أن تساعد على حمل ما عليها من الأوزار أو بضعه

(لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) أى وإن كان قريبا إليها حتى ولو كان أباه أو ابنها ، كل مشغول بنفسه وحاله ، قال عكرمة في قوله تعالى (وإن تمنع متقة إلى حملها) الآية قال هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول يا ربمسل هذا لم أنطق بآية دونى ، وإن السكنة . يتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له يا مؤمن إن لي عندك بدأ قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا وقد احتجت إليك اليوم فلا يزال للمؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده إلى منزل دون منزله وهو في النار ، وإن الولد . يتعلق بولده يوم القيامة فيقول يا بنى أى والله كنت لك في الدنيا خيرا فيقول له يا بنى قد احتجت إلى متقال ذرة من حسناتك أجوبها بما ترى فيقول له ولله يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكني أخوف مثل ما تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئا ، ثم يتعلق بزوجه فيقول يا فلانة أو يا هسله أى زوج كنت لك فتنتي خيرا فيقول لها إنى أطلب إليك حسنة واحدة تهيبها لى لعل أجوبها بما ترى ، قال فتقول ما أيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا إنى أخوف مثل الذى تتخوف ، يقول الله تعالى (وإن تمنع متقة إلى حملها) الآية ، ويقول ببارك وتعالى (لا يجرى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) ويقول تعالى (يوم يفر الله من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) رواه ابن أبي حاتم رحمه الله عن أبى عبد الله الزهراني عن حصص ابن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة به ، ثم قال ببارك وتعالى (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة) أى إنما ينطق بما جئت به لأول البصائر والتهى الخائفون من ربهم الفاعلون ما أمرهم به (ومن نرى فإعما يترك نفسه) أى ومن حمل صالحا فإعما يسود نفسه على نفسه (وإلى الصير) أى وإليه للرجع والقلب وهو سريع الحساب ويسبى كل حامل بسمة إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر

(وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ • وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ • وَلَا الظُّلُّ وَلَا الظُّلُورُ • وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعُ مَن فِي الْقُبُورِ • إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ • إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا • وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ • وَإِن يَسْكُذُّ بُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ • وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ • ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)

يقول تعالى كما لا تستوى هذه الأشياء الثمانية المختلفة كالأعمى والبصير لا يستويان بل بينهما فرق ويون كثير وكما لا تستوى الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحور كنفك لا تستوى الأحياء ولا الأموات وهكذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء والكافرين وهم الأموات كقوله تعالى (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) وقال عز وجل (مثل القرصين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا ؟ فالؤمن بصير جميع في نور يمشى على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشى لا خروج له منها ، بل هويته في غيبه وضلاله في الدنيا والآخرة حتى يغشى به ذلك إلى الحور والسموم والجسم ، وظل من محموم لا بارد ولا كريم وقوله تعالى (إن الله يسمع من شاء) أى يهديهم إلى مبالغ الحمية وقبولها والاعتقادها (وما أنت عسمع من في القبور) أى كما لا ينتفع الأموات بمد موتهم وصيرورتهم إلى ميورهم وهم كفار بالهداية والدعوة إليها كذلك هؤلاء للشركون الذين كتب عليهم العقوبة لا حيلة لك فيهم ولا تستطيع هدايتهم (إن أنت إلا نذير) أى إنما عليك البلاغ والالذار والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) أى بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) أى وما من أمة خلت من بين آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر وأزاح عنهم الضلال كما قال تعالى (إنما أنت منبئ ولكل قوم هاد) وكما قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا

الطاغوت منهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة (الآية والآيات) في هذا كثيرة . وقوله تبارك وتعالى (وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جادهم رسالهم بالبينات) وهي السجرات الباهرات والأدلة القاطعات (وبالزبر) وهي الكتب (وبالكتاب اللين) أي الواضح البين (ثم أخذت الذين كفروا) أي ومع هذا كله كذب أولئك رسالهم فيما جادهم به فأخذتهم أي بالعقاب والنعكال (فكيف كان نكير) أي فكيف رأيت إنكري عليهم عتيا شديدا بلينا والله أعلم

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَايِبُ سُودٌ • وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ وَالْأَشْيَاءِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُسْلِمُونَ ﴾

يقول تعالى منها على كمال قدرته في خلقه الأشياء للتنوع المختلفة من الشيء الواحد وهو الماء الذي ينزله من السماء يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض إلى غير ذلك من ألوان الثمار كما هو للشاهد من تنوع ألوانها ولحموها وروائحها كما قال تعالى في الآية الأخرى (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخل متلون وغير متلون يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يفكرون) وقوله تبارك وتعالى (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها) أي وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان كما هو للشاهد أيضا من بيض وحمر ، وفي بعض الطرائق وهي الجدد جمع جدة مختلفة الألوان أيضا . قال ابن عباس رضي الله عنهما : الجدد الطرائق ، وكذا قال أبو مالك والحسن وقائدة السدي ومنها غرايب سود قال عكرمة : الغرايب الجبال الطوال السود ، وكذا قال أبو مالك وعطاء الخرساني وقائدة ، وقال ابن جرير والعرب إذا صفوا الأسود بكثرة السواد قالوا أسود غريب ولهذا قال بعض التفسيرين في هذه الآية هذا من اللطم وللآخر في قوله تعالى (وغرايب السود) أي سود غريب وفيما قاله نظر وقوله تعالى (ومن الناس والأنعام مختلف ألوانه كذلك) أي كذلك الحيوانات من الأناس والحيوانات وهو كل ما دب على القوائم ، والأنعام من باب عطف الخاص على العام كذلك هي مختلفة أيضا فأناس منهم بربر وجوش وطلمط في غاية السواد ومقابلة وروم في غاية البياض ، والعرب بين ذلك والمنود دون ذلك ، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى (واختلاف ألوانكم) والوأنكم إن في ذلك لآيات للمالين) وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان حتى في الجنس الواحد بل النوع الواحد منها مختلف الألوان بل الحيوان الواحد يكون أبيض فيه من هذا اللون وهذا اللون تبارك الله أحسن الخالقين . وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا الفضل بن سهل حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا زياد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أيسبغ ربك قال (نعم سبغا لا يبيض أحمر وأسفر وأبيض) وروى مرسل وموقوفا والله أعلم . ولهذا قال تعالى بعد هذا (إنما يخشى الله من عباده العلماء) أي إنما يخشاه حتى خشية العلماء المارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعلم العظيم للوصف بصفت السكال للتموت بالأمعاء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) قال الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير . وقال ابن أبي عمير عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس قال العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك شيئا ، وأحل حلاله وحرم حرامه وحفظ وصيته وأيقن أنه ملائكة وحاسب بماله ، وقال سعيد بن جبير الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل ، وقال الحسن البصري : العالم من خشي الرحمن باليقين ورغب فيما رغب الله

فيه وزهد فيها سخط الله فيه ثم تلا الحسن (إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الحشية . وقال أحمد بن صالح الضرير عن ابن وهب عن مالك قال : إن العلم ليس بكثرة الرواية وإنما العلم نور يحلله الله في القلب . قال أحمد بن صالح للصرى معناه أن الحشية لا تترك بكثرة الرواية وإنما العلم الذي فرض الله عز وجل أن يتبع فلما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة رضى الله عنهم ومن يهدم من أمة المسلمين فهذا لا يدرك إلا بالرواية ويكون تأويل قوله : نور يرد به فهم العلم ومعرفة معانيه . وقال سفيان الثوري عن أبي حيان التميمي عن رجل قال : كان يقال العلماء ثلاثة عالم بالله عالم بأمر الله ، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله . وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله ، فالعالم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والقرائن ، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود والقرائن ، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذي يعلم الحدود والقرائن ولا يخشى الله عز وجل .

﴿ إِن الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَفْتَوْا بِمَا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ۚ يُوَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه من إقام الصلاة والافتاء عما رزقهم الله تعالى في الأوقات المشروعة ليلا ونهارا سرا وعلانية (يرجون تجارة لن تبور) أي يرجون ثوابا عند الله لا يدمر حصوله ، كما قدمنا في أول التفسير عند فضائل القرآن أنه يقول لصاحبه إن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة ولهذا قال تعالى (ليوفيه أجورهم ويزيدهم من فضله) أي ليوفيه ثواب ما عمله وضاعفه لهم بزيادات لم تخسر لهم (إنه غفور) أي لذنوبهم (شكور) للقليل من أعمالهم قال قتادة كان مطرف رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول هذه آية القراء . قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا سالم بن غيلان قال : إنه سمع دراجا أبا السمع يحدث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إن الله تعالى إذا رضى عن العبد أثنى عليه بسبعة أمانات من الخير لم يعله وإذا سخط على العبد أثنى عليه بسبعة أمانات من الشر لم يعله » غريب جدا

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾

يقول تعالى (والذي أوحينا إليك) يا محمد من الكتاب وهو القرآن (هو الحق مصدق لما بين يديه) أي من الكتب المتقدمة يصدقها كما شهدت هي له بالتبويه وأنه منزل من رب الصالحين (إن الله سبحانه خير بصير) أي هو خيرهم بصير عن يستحق ما يفضله به على من سواه ، ولهذا فضل الأنبياء والرسل على جميع البشر وفضل النبيين بعضهم على بعض ورفع منهم درجات وجعل منزلة محمد ﷺ فوق جميع صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ،

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۖ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾

يقول تعالى ثم جعلنا القامتين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفيناهم من عبادنا وهم هذه الأمة ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال تعالى (فمنهم ظالم لنفسه) وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات (ومنهم مقتصد) وهو المؤدى للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات (ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) وهو القائل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات

وبعض للباحث . قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (ثم أورتنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) قال هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورتهم الله تعالى كل كتاب أزلهم فظالمهم ينفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا ، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح وعبد الرحمن بن معاوية التيمي قالا حدثنا أبو الطاهر بن السرح حدثنا موسى بن عبد الرحمن الصنعاني حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذات يوم « شفاعة لأهل الكبار من أمي » قال ابن عباس رضى الله عنهما السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب وللمقتصد يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعته محمد ﷺ وكذا روى عن غير واحد من السلف أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين على ما فيه من عوج وتنصير . وقال آخرون بل الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة ولا من المصطفين الوارثين للكتاب قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا طي بن هاشم بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن ابن عباس رضى الله عنهما فنههم ظالم لنفسه قال هو الكافر وكذا روى عنه عكرمة وبه قال عكرمة أيضا فبارواه ابن جرير ، وقال ابن أبي عمير عن مجاهد في قوله تعالى (فنههم ظالم لنفسه) قال هم أصحاب الشام ، وقال مالك عن زيد بن أسلم والحسن وقتادة هو للناظر ثم قد قال ابن عباس والحسن وقتادة وهذه الأقسام الثلاثة كالأقسام الثلاثة للذكورة في أول سورة الواقعة وآخرها ، والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة وهذا اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضا ونعم إن شاء الله تعالى نورد منها ما تيسر

(الحديث الأول) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الوليد بن المزاريق أنه سمع رجلا من هذيل يحدث عن رجل من كنانة عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : في هذه الآية (ثم أورتنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) فنههم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات يؤذن الله) قال « هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي إسناده من لم يسم وقدرناه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شعبة به نحوه ومعنى قوله بمنزلة واحدة أى في أنهم من هذه الأمة وأنهم من أهل الجنة وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة (الحديث الثاني) قال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا أنس بن عياض الليثي أبو حمزة عن موسى بن عقبة عن طي بن عبد الله الأزدي عن أبي البرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى (ثم أورتنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) فنههم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات يؤذن الله) فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظفروا أنفسهم فأولئك الذين يحسون في طول الحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور) الذي أحلنا دار القامة من فضله لا يمننا فيها نصب ولا يمننا فيها لنوب) » (طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم حدثنا أسيد بن عاصم ثنا الحارث بن ابن حفص حدثنا سفيان عن الأعمش عن رجل عن أبي ثابت عن أبي البرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ثم أورتنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فنههم ظالم لنفسه - قال - فأما الظالم لنفسه فيجب حتى يصيبه لهم والحزن ثم يدخل الجنة » ورواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري عن الأعمش قال ذكر أبو ثابت أنه دخل لتسجد فجلس إلى جنب أبي البرداء رضى الله عنه فقال اللهم آنس وحشتي وارحم غربتي وسرلى جليسا صالحا فقال أبو البرداء رضى الله عنه لئن كنت صادقا لأنا أسعد بك منك سأحدثك حديثا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدث به منذ سمعته منه ذكر هذه الآية (ثم أورتنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) فنههم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب ، وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا . وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من التمام والحزن وذلك قوله تعالى (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) (الحديث الثالث) قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس حدثنا ابن مسعود أخبرنا سهل

ابن عبد ربه الرازي حدثنا عمرو بن قيس عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما (فمن ظالم نفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) الآية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كلهم من هذه الأمة» (الحديث الرابع) قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عزيز حدثنا سلامة عن عتيل عن ابن شهاب عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «أمتي ثلاثة أثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلث يحصون ويكشفون ثم تأتي لللائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا إله إلا الله وحده يقول الله تعالى صدقوا لإلهي إلا أنا أدخلهم الجنة بقولهم لا إله إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل النار وهي التي قال الله تعالى (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) ومصدقها في التي فيها ذكر لللائكة قال الله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) فجلهم ثلاثة أفواج وهم أصناف كلهم فمنهم ظالم لنفسه فهذا الذي يحصى ويكشف «غريب جدا» (أثر عن ابن مسعود) رضي الله عنه قال ابن جرير حدثني ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير عن عمرو بن قيس عن عبد الله بن عيسى رضي الله عنه عن يزيد بن الحارث عن شقيق أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : إن هذه الأمة ثلاث أثلاث يوم القيامة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يعيشون بذنوب عظام حتى يقول الله عز وجل ما هؤلاء ؟ وهو أعلم بآمره تعالى فتقول لللائكة هؤلاء جاءوا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا بك شيئا فيقول الرب عز وجل أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي . وتلا عبد الله رضي الله عنه هذه الآية (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية (أثر آخر) قال أبو داود الطيالسي عن الصلت بن دينار بن الأشعث عن عتبة بن صهبان الهنالي قال سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الآية فقالت يا بني هؤلاء في الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحياة والرزق وأما المقتصد فمن أتبع أثره من أصحابه حتى لحق به ، وأما الظالم لنفسه فثقل ومثلكم قال فبطلت نفسها رضي الله عنها معنا وهذا منها رضي الله عنها من باب الهضم والتواضع وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى قال أمير المؤمنين عمار بن عوف رضي الله عنه في قوله تبارك وتعالى فمنهم ظالم لنفسه قال هي لأهل بدونا ومقتصدنا أهل حضرة وسابقنا أهل الجهاد رواه ابن أبي حاتم وقال عوف الأعرابي حدثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل قال حدثنا كعب الأحبار رحمه الله عليه قال إن الظالم لنفسه من هذه الأمة وللمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة ، ألم تر أن الله تعالى قال (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) جات عدن يدخلونها - إلى قوله عز وجل - والذين كفروا لهم نار جهنم (قال فهؤلاء أهل النار رواه ابن جرير من طريق عن عوف به . ثم قال حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا حميد عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث عن أبيه قال إن ابن عباس رضي الله عنهما سألا كعبا عن قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا - إلى قوله - بإذن الله) قال تمنت منا كعبهم ورب كعب ثم أعطوا الفضل بأعمالهم ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن أبي إسحاق السبيعي في هذه الآية (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية قال أبو إسحاق أما ما حفت من ذي بنتين سنة فكلهم ناج ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم بن حميد حدثنا عمرو بن محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال إنها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمقتصد في الجنان عند الله والسابق بالخيرات في المخرجات عند الله . ورواه الثوري عن إسماعيل بن عيسى عن رجل عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه بنحوه . وقال أبو الجارود : سألت محمد بن علي - يعني الباقر - رضي الله عنهما عن قول الله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه) فقال هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا . فهذا ما تيسر من إيراد الأحاديث والآثار المتعلقة بهذا المقام . وإن شئنا فإنا الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة في هذه الأمة فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة وأولى الناس

بهذه الرحمة فانهم كما قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عاصم بن رجا بن حيوة عن قيس بن كثير قال قدم رجل من أهل المدينة إلى أبي الرداءة رضى الله عنه وهو يدمشق فقال ما أقدمك أي أخي ؟ قال حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ ، قال أما قدمت لتجارة ؟ قال لا ، قال أما قدمت لحاجة قال لا ؟ قال أما قدمت إلى ؟ قال نعم . قال رضى الله عنه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من سلك طريقا يطلب فيها علما سلك الله تعالى به طريقا إلى الجنة وإن للامانة تسعة أجنحتها رضا الطالب العلم وإنه ليستغفر للعالم من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . إن العلماء هم روضة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه به أخذ بحظ وافر » وأخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن حديث كثير بن قيس ومنهم من يقول قيس بن كثير عن أبي الرداءة رضى الله عنه ، وقد ذكرنا طريقه واختلاف الرواة فيه في شرح كتاب الدماء من صحيح البخاري وفي الحمد والمئة وقد تقدم في أول سورة طه حديث ثعلبة بن الحكم رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء إني لم أضع علي وحكما فيكم إلا وأنا أريد أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي »

﴿ جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَتَفُورُ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّ فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّ فِيهَا ثُغُوبٌ ﴿

يخبر تعالى أن هؤلاء المصطفين من عباده الذين أودعوا الكتاب للقرآن من رب العالمين يوم القيامة ما أوام جنات عدن أي جنات الاقامة يدخلونها يوم معادهم وقدمهم على الله عز وجل (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا) كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » (ولباسهم فيها حرير) ولهذا كان محظورا عليهم في الدنيا فأباحه الله تعالى لهم في الآخرة ، وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » وقال « هي لهم في الدنيا ولهم في الآخرة »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن سواد السرحي أخبرنا ابن وهب عن ابن لبيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة رضى الله عنه قال إن أبا أمامة رضى الله عنه حدث أن رسول الله ﷺ حدثهم وذكر حل أهل الجنة فقال « مسورون بالذهب والفضة مكللة بالدر وعلمهم أكاليل من در وإاقوت متواصلة وعليهم تاج كعنان اللؤلؤ شباب جردمرد مكحولون » (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) وهو الخوف من المندور أزاحه عنا وأراحنا بما كنا نتخوفه ونحلمه من هموم الدنيا والآخرة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكان بأهل لا إله إلا الله ينفسون التراب عن ردوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » رواه ابن أبي حاتم عن حديثه وقال الطبراني حدثنا جعفر بن محمد القزويني حدثنا موسى بن يحيى المروزي حدثنا سليمان بن عبد الله بن وهب الكوفي عن عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في اللوت ولا في الثور ولا في النشور وكان أنظر إليهم عند الصيحة ينفسون ردوسهم من التراب يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور » قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره : غفر لهم الكثير من السيئات وشكرهم اليسير من الحسنات (الذي أحلنا دار القامة من فضله) يقولون

الذى أعطانا هذه اللززة وهذا القمام من فضله ومنه ورحمته ثم تكمن أعمامنا تساوى ذلك فكأن ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «لن يدخل أحدكم عمله الجنة» قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال «ولا أنا إلا أن يتخبر الله تعالى برحمة منه وفضل» (لا يمينا فيها نصب ولا يمينا لقوب) أى لا يمينا فيها عنام ولا إعياء . والنصب والقنوب كل منهما يستعمل في التعب وكان للرباد بنى هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم والله أعلم ، فمن ذلك أنهم كانوا يدثون أنفسهم في العبادة في الدنيا فسقط عنهم التكليف بدخولها وصاروا في راحة دائمة مستعرة قال الله تبارك وتعالى (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية)

في ذلك من الحديث كما سنورده لا كما زعمه ابن جرير من أن الحديث لم يصح في ذلك لأن في إسناده من يجب الثبوت في أمره ، وقد روى أصبغ بن نباتة عن علي رضي الله عنه أنه قال : **المرء الذي يهرم الله به في قوله (أولم نمركم ما يذكر فيه من تذكر) - ستون سنة .** وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حماد بن أبي فديك حدثني إبراهيم بن الفضل الخروسي عن ابن أبي حسين السكي أنه حدثه عن عطاء هو ابن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « إذا كان يوم القيامة قيل أن أبناء الستين وهو المرء الذي قال الله تعالى فيه (أولم نمركم ما يذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) » وكذا رواه ابن جرير عن علي بن شبيب عن إسماعيل بن أبي فديك به وهكذا رواه الطبراني من طريق ابن أبي فديك به ، وهذا الحديث فيه نظر لحال إبراهيم بن الفضل والله أعلم **(حديث آخر)** قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن رجل من بني غفار عن سعيد القبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « لقد أعذر الله تعالى إلى عبد أجاه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة » لقد أعذر الله تعالى إليه لقد أعذر الله تعالى إليه « وهكذا رواه الإمام البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه حدثنا عبد السلام بن مطهر عن عمر بن علي عن محمد بن محمد الصفاري عن سعيد القبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعذر الله عز وجل إلى امرئ آخر عمره حتى بلغ ستين سنة » ثم قال البخاري تأميه أبو حازم وابن عجلان عن سعيد القبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فأما أبو حازم فقال ابن جرير حدثنا أبو صالح القرظي حدثنا محمد بن سوار أخبرنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القادر أبي الاسكندر حدثنا أبو حازم عن سعيد القبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عمره الله تعالى ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر » وقد رواه الإمام أحمد والنسائي في الرقاق جميعاً عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن به ، ورواه البزار قال : حدثنا هشام بن يوسف حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سعيد القبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم قال « العمر الذي أعذر الله تعالى فيه إلى ابن آدم ستون سنة » يعني (أولم نمركم ما يذكر فيه من تذكر) وأما متابعة ابن عجلان فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو السريجي عن محمد بن عبد الملك بن قرعة بسامرا حدثنا أبو عبد الرحمن القري حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا محمد بن عجلان عن سعيد القبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أمت عليه ستون سنة فقد أعذر الله عز وجل إليه في العمر » وكذا رواه الإمام أحمد عن أبي عبد الرحمن هو القري به ورواه أحمد أيضاً عن خلف عن أبي مشر عن أبي سعيد القبري . (طريق أخرى) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ابن جرير حدثني أحمد بن القرج أبو عتبة الحمصي حدثنا بقية بن الوليد حدثنا اللطيف بن مازن الكنايني حدثني معمر بن راشد قال : سمعت محمد بن عبد الرحمن النخعي يقول : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ « لقد أعذر الله عز وجل في العمر إلى صاحب الستين سنة والسبعين » قد صرح هذا الحديث من هذه الطرق فلو لم يكن إلا الطريق التي أرفضاها أبو عبد الله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفتم . وقول ابن جرير إن فرجه بعض من يجب الثبوت في أمره لا يلتفت إليه مع تصحيح البخاري والله أعلم . وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الأطباء مائة وعشرون سنة للإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال الستين ثم يمرض بعدهما في نقص والمهرم كآقال الشاعر :

إذا بلغ القى ستين عاماً فقد ذهب السرة والقواء

ولما كان هذا هو العمر الذي يعتد الله تعالى إلى عباده به ويزج به عنهم الشلل كان هو الغالب على أعمار هذا الأمة كما ورد بذلك الحديث ، قال الحسن بن عرفة رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعمار أمم ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعاً في كتاب الزهد عن الحسن بن عرفة به ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نرفعه إلا من هذا الوجه . وهذا عجيب من الترمذي فإنه قد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا من وجه

آخر وطريق أخرى عن أبي هريرة حيث قال حدثنا سليمان بن عمرو عن محمد بن ربيعة عن كامل أبي السلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعمار أمي السنين إلى السبعين وأظلم من يجوز ذلك » وقد رواه الترمذي في كتاب إرثه أيضا عن إبراهيم بن سعيد الجوهري عن محمد بن ربيعة به ثم قال هذا حديث حسن غريب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه وقد روى عن غير وجه عنه هذا صه جروفة في اللوذين والله أعلم . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو موسى الأنصاري حدثنا ابن أبي فديك حدثني إبراهيم ابن الفضل مولى بني عزم عن القبري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « متمرك للناس ما بين السنين إلى السبعين » وبه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقل أمي أبناء سبعين » إسناده ضعيف (حديث آخر) في معنى ذلك قال الحافظ أبو بكر البراقبي منسند حدثنا إبراهيم بن هاني حدثنا إبراهيم بن مهدي عن عثمان ابن مطر عن أبي مالك عن ربيعة عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال يا رسول الله أنبتا بأعمار أمك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بين الخمسين إلى الستين » قالوا يا رسول الله فأبناء السبعين قال **بلى** « قل من يبلغها من أمي » رحم الله أبناء السبعين ورحم الله أبناء الثمانين » ثم قال البراقبي يروى بهذا الإسناد عثمان بن مطر من أهل البصرة ليس بقوى ، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثا وستين سنة وقيل ستين وقيل خمس وستين ، والشهور الأول والله أعلم . وقوله تعالى (وجاءكم النذير) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة وأبي جعفر الباقر رضى الله عنه وقناة وسفيان بن عيينة أنهم قالوا يعني الشيب وقال السدي وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم يعني به رسول الله **صلى الله عليه وسلم** (هذا نذير من النذر الأولى) وهذا هو الصحيح عن زيادة في رواد شيئا منه أنه قال : استج عليهم بالمر والرسول وهذا اختيار ابن جرير وهو أظهر لقوله تعالى (ونادوا يا مالك ليضرب علينا ربك قال إنكم ما تكون « قد جئناكم بالحق ولكن أكثركم بالحق كارهون) أي لقد بينا لكم الحق على السنة الرسل فأبيت وخالفتم ، وقال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبشركم) وقال تبارك وتعالى (كلما أتى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير « قالوا بلى قد جاءنا نذير « فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير) وقوله تعالى (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أي تذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم للأنبيا في مدة أعمالكم فلما كنتم اليوم ناصرين فندمكم عما أنتم فيه من العذاب والهلاك والأغلال

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ قَمَنَ كَفَرٌ فَعَمَلِكُمْ كُفْرًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا عُتُوًّا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ۝﴾

يخبر تعالى بطله غيب السموات والأرض وأنه يعلم ما كنتم السرائر وما تنطوي عليه الضمائر وسيجازي كل عامل بعمله . ثم قال عز وجل (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) أي خلف قوم لا خيرين قبلهم وجبل لجبل قبلهم . كما قال تعالى (وجعلكم خلفاء الأرض فمن كفر فعليه كفره) أي فأتيناكم بعد ذلك على نفسه دون غيره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا عقابا) أي كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى ، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بخلاف المؤمنين فأنهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله أرحمت درجته ومزنته في الجنة وإذا أجرة وأحبه خالقه وباراه رب العالمين .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُم كِتَابًا فَمَن عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِن يَبْدُو ظَاهِرًا بِمَظْهَرِهِمْ بِمَظْهَرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُبْصِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَن تَرَوْهَا وَلَقَدْ عَلِمْنَا لُؤْلُؤًا مِّنْ أَعْيُنِكُمْ قَبْلَ أَنْ تُبْصِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾

يقول تعالى رسوله ﷺ أن يقول للمشركين (أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أي من الأصنام والأنداد (أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات) أي ليس لهم شيء من ذلك ما يعلوكون من قطيع وقوله (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) أي أم أنزلنا عليهم كتابا بما يقولونه من الشرك والكفر ؟ ليس الأمر كذلك (بل إن يمد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا) أي بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانهم التي غنوها لأنفسهم وهي غرور وباطل وزور ، ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أحدهما وجل فيها من القوة للأكسدة لما قال (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) أي أن تضطربا عن أمانتهما كما قال عز وجل (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) وقال تعالى (ومن يأت به فهو الساء والأرض بأمره) (ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) أي لا يقدر على دوائهما وإزائهما إلا هو وهو مع ذلك حليم غفور أي يرى عباده وهم يكفرون به وخصونه وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يحبل ويستر آخرين ويغفر ولهذا قال تعالى (إنا كان حليفا غفورا) وقد أورد ابن أبي حاتم هنا حديثا غريباً لم يتركنا قال حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد حدثنا إسحاق بن إبراهيم نخعي هشام بن يوسف عن أمية بن سهل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى عليه الصلاة والسلام في الليل قال : وقع في نفس موسى عليه الصلاة والسلام هل ينال الله عز وجل فأرسل الله تعالى إليه ملكاً فأرثه ثلاثاً وأعطاه قارورين في كل يد قارورة وأمره أن يحفظهما قال فعزل ينام ومكاد يدها تلتقيان ثم يستيقظ فيجسب إحداهما عن الأخرى حتى تان نومه فاستيقظ يدها فالتصرت القارورتان ، قال ضرب الله له مثلاً إن الله عز وجل لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض ، والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع بل من الإسرائيليات للسكره فإن موسى عليه الصلاة والسلام أجل من أن يجوز على الله سبحانه وتعالى النوم وقد أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز بأنه (الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) ما في السموات وما في الأرض) وثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى لا ينام ولا يلهي له أن ينام يغشى القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجاب النور أو التارلو كشفه لأجرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصر من خلقه) وقد قال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن بكاش حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وال قال : جاء رجل إلى عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه فقال من أين جئت ؟ قال من الشام قال من قيت ؟ قال قيت كبا قال ما حدثك ، قال حدثني أن السموات تدور على منكب ملك ، قال أصدفته أو كذبت ؟ قال ما صدفته ولا كذبت قال لوددت أنك التديت من رحلتك إليه براحتك ورحتها كذب كذب إن الله تعالى يقول (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعد) وهذا إسناد صحيح إلى كعب وإلى ابن مسعود رضي الله عنه ثم روى ابن جرير عن ابن حميد عن جرير عن ثوبة عن إبراهيم بن إسماعيل قال ذهب جندب البجلي إلى كعب بالشام فذكر نحوه ، وقد رأيت في مصنفه في حديث إبراهيم بن تزيين الظليلي سماه - سير السقاء - أورد هذا الخبر عن محمد بن عيسى بن الطباع عن وكيع عن الأعمش به ، ثم قال وأخبرنا زونان بن عبد الملك بن الحسين عن ابن وهب عن مالك أنه قال السماء لا تدور واحتج بهذه الآية ومحدث (إن بالقرب باباً للتوبة لا يزال مفتوحاً حتى تطلع الشمس منه) قلت وهذا الحديث في الصحيح والله سبحانه وتعالى أعلم

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَئِنْ جَاءَكُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ الْإِهْدَىٰ الْأُمَمِ هَٰؤُلَاءِ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا شُكُورًا هَٰؤُلَاءِ كِبَارُ فِي الْأَرْضِ وَتَكَرَّرَ الشَّيْءُ وَلَا يَحِيقُ الْكَرُّ الشَّيْءُ إِلَّا بِأَعْيُنِهِمْ يَنْظُرُونَ إِلَّا شَرَّتِ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَحِدَ لِحَتِّ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَحِدَ لِحَتِّ اللَّهِ تَحْوِيلًا)

يخبر تعالى عن قرصى العرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم قبل إرسال الرسول إليهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم أى من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل بالله الضحك وغيره كقوله تعالى (أن تجولوا إنما أنزل الكتاب على طائفة من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين • أو هولوا لو أن أنزل علينا الكتاب لكننا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) وكقوله تعالى (وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكر من الأولين لكننا جحد الله المخلصين • فكفروا به فموف يصفون) قال الله تعالى (فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم بما أنزل معه من الكتاب العظيم وهو القرآن للذين (ما زادهم إلا نفورا) أى ما ازدادوا إلا كفرا إلى كفرهم ثم بين ذلك بقوله (استكبارا فى الأرض) أى استكبروا عن اتباع آيات الله (ومكر السوء) أى ومكروا بالناس فى صدهم بإيادهم عن سبيل الله (ولا يحق للكر السوء إلا بأهله) أى وما يسود وبأن ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم . قال ابن أبى حاتم ذكر طى بن الحسين حدثنا ابن أبى عمير حدثنا سفيان عن أبى ذر الكوفى عن رجل حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إياك ومكر السوء فإنه لا يحق للكر السوء إلا بأهله ولهم من الله طاب » وقال محمد بن كعب القرظى : ثلاث من فعلهن لم ينجح حق ينزل به من مكر أو بى أو نكت وصدها فى كتاب الله تعالى (ولا يحق للكر السوء إلا بأهله) (إنما يبيح على أشك) (ومن نكت فاعلم ينكت على نفسه) وقوله عز وجل (فهل ينظرون إلا سنة الأولين) بى عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسوله ومخالفتهم أمره . (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى لا تخرى ولا تبدل بل هى جارية كذلك فى كل مكذب (ولن تجد لسنة الله تحولا) أى (وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له) (ولا يكشف ذلك عنهم وحملوه هنيئا أحد والله أعلم

(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنَّا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانَ اللَّهُ يُعْجزُهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا • وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظُهُرِهِمْ دَابَّةً وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا يَصْنَعُونَ بَصِيرًا)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جتبه به من الرسالة سيراوا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها فغفلت منهم منازلهم وسلبوا ما كانوا فيه من النعم بعد كمال القوة وكثرة العدد والعدد ، وكثرة الأموال والأولاد فما أغنى ذلك شيئا ولا دفع عنهم من عذاب الله من شىء . لما جاء أمر ربك لأنه تعالى لا يعزوه شىء إذا أراد كونه فى السموات والأرض (إنه كان عليا قديرا) أى عليهم بجميع الكائنات فغير على مجموعاتهم قال تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهورها من دابة) أى لو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك جميع أهل السموات والأرض وما يملكونه من دواب وأزواق . قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان الثوري عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص عن عبد الله قال : كأد الجبل أن يذهب فى جحره بذهب ابن آدم ثم قرأ (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهورها من دابة) وقال سعيد بن جبيرة والسدى فى وله تعالى (ما ترك على ظهورها من دابة) أى لما سقام للطرفات جميع الدواب (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) أى ولكن ينظرهم إلى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ ويوفى كل عامل به . فيه يجازى بالثواب أهل الطاعة وبال عقاب أهل العصية ولهذا قال تبارك وتعالى (فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا) آخر خسر سورة فاطر لله الحمد والمنة .

(تفسیر سورة یس وهى مکیة)

قال أبو عيسى الترمذى حدثنا تميم وسفيان بن وكيع حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسى عن الحسن بن صالح عن يارون أبى محمد عن مقاتل بن حيان عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراتها قرأة القرآن عشر مرات » ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد بن عبد الرحمن. وهارون أبو محمد شيخ مجهول . وفي الباب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا يصح لضعف إسناده ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه منقول فيه أما حديث الصديق رضي الله عنه بفرواه الحكيم الترمذي في كتابه نوادر الأصول ، وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال أبو بكر الزيار حدثنا عبد الرحمن بن الفضل حدثنا يدهوان الجباب حدثنا حميد هو للسكنى مولى آل علقمة عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس » ثم قال لا نعلم رواه إلا زيد عن حميد . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إسحق بن أبي إسرائيل حدثنا حجاج بن محمد عن هشام بن زياد عن الحسن قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ « من قرأ يس في ليلة أصبح مغفوراً له » ، ومن قرأ حم التى يذكر فيها الدخان أصبح مغفوراً له » إسناده جيد . وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا محمد بن إسحق ابن إبراهيم مولى ثقف حدثنا الوليد بن شعاع بن الوليد السكوني حدثنا أبي حدثنا زياد بن خزيمة حدثنا محمد ابن جعدة عن الحسن بن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ يس في ليلة ابتغى وجهه الله عز وجل غفر له » . وقد قال الإمام أحمد حدثنا طرم حدثنا معتمر عن أبيه عن رجل عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « البقرة ستام القرآن وذروها نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً . واستخرجت (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) من تحت العرش فوصلت بها . أو فوصلت بسورة البقرة . ويس قلب القرآن لا يقرأها رجل يريد الله تعالى والدار الآخرة إلا غفر له وأقرهوها على موتاكم » . وكذا رواه النسائي في اليوم واليلة عن محمد بن عبد الأعلى عن معتمر بن سليمان به : ثم قال الإمام أحمد حدثنا طرم حدثنا ابن المبارك حدثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان وليس بالتهدي عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقرهوها على موتاكم » . ينى يس ورواه أبو بلود والنسائي في اليوم واليلة وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك به إلا أن في رواية النسائي عن أبي عثمان عن معقل بن يسار رضي الله عنه ، ولهذا قال بعض العلماء من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله تعالى ، وكان قراءتها عند البيت لتنزّل إلهم والبركة وليسهل عليه خروج الروح والله تعالى أعلم . قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو القيرة حدثنا صفوان قال : كان للشيخة يقولون إذا قرئت ينى يس عندليلت خفف الله عنها . وقال الزيار حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا إبراهيم بن الحكم ابن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمق » ينى يس

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يس ﴾ وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ • إِنَّكَ لَئِنْ أَرْمَيْتَ لَئِنْ أَرْمَيْتَ لَئِنْ أَرْمَيْتَ • تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ • لَتَنْزِيلُ قَوْمًا أَتَذَرُ أَبَاؤَهُمْ فَأَقْبَرُ • قَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿

قد تقدم الكلام على الحروف القطعة في أول سورة البقرة . وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والضحاك والحسن وسفيان بن عيينة بن يحيى بن الحسن ، وقال سعيد بن جبير هو كذا في لغة الحبشة ، وقال مالك عن زيد بن أسلم هو اسم من أسماء الله تعالى (والقرآن الحكيم) أى الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (إنك) أى يا محمد (لمن الرسلين) على صراط مستقيم (أى على منج ودين قوم وشعر مستقيم) تنزيل العزيز الرحيم أى هذا الصراط والمنهج والدين الذى جئت به تنزيل من رب البرية الرحيم بعباده المؤمنين كما قال تعالى (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) صراط الله الذى له مافى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور .) وقوله تعالى (لتنزل قوماً أنذر آبائهم فظانن) ينى هم العرب فأنما أتاهم من نذر من قبله وذكرهم وحدهم لئلا ينسى من عداهم

كان أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم وقد تقدم ذكر الآيات والأحاديث للتواتر في عموم بيته صلى الله عليه وسلم عند قوله تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) : وقوله تعالى (قد حق القول على أكثرهم) قال ابن جرير لقد وجب المذهب على أكثرهم بأن الله تعالى قد سمع عليهم أم الكتاب أنهم لا يؤمنون (فهم لا يؤمنون) بالله ولا يصدقون رسوله

(إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً فَبِهِ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ • وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَبَيْنَ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ • وَسَوْفَ عَلَيْهِمْ أَنْزَلَ نَذِيرُهُمْ أَنْ لَمْ تَنْذِرْهُمْ إِنَّا تَنْذِيرُ مَنِ أَنْتُمْ الذِّكْرُ وَخَشِيَ الرَّحْمَنُ الْغَلِيظُ قَبْسَهُ عِتْقَهُ وَأَجْرُ كَرِيمٍ • إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَمَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَكَاتَبُوا كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)

يقول تعالى إنا جعلنا هؤلاء الممنوع عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنفية من جبل في عقبه غل فجمع يديه مع عقبه تحت ذقنه فارفع رأسه فصار مقبها ولهذا قال تعالى (فهم مقمحون) وللقمح هو الارتفاع رأسه كما قالت أم ذريح في كلامها : وأشر ب فأتخمس ، أي أشرب فأروى وأرفع رأسي تهنيئا وتروءاء ، ولا كنى بذكر النمل في النمل عن ذكر الدين وإن كانتا مرادتين كما قال الشاعر :

لما أدري إذا جمعت أرضاً • أريد الخير أيهما يلحق
أالخير الذي أنا أجيء • أم الشر الذي لا يأتيني

فاكتفى بذكر الخير عن ذكر الشر لما دل الكلام والسباق عليه : وهكذا هذا لما كان القتل إنما يعرف فيما جمع الدين مع النمل اكتفى بذكر النمل عن الدين ، قال الموفى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (إنا جعلنا في أعناقهم أغشياء فهي إلى الأذقان فهم مقمحون) قال هو كقوله عز وجل (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) . يعني بذلك أن أيديهم موقوفة إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يسطروها بخير . وقال مجاهد (فهم مقمحون) قال رافعي رموسهم وأيديهم موضوعة على أفواههم فهم مغلولون عن كل خير وقوله تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سدا) قال مجاهد عن الحق (ومن خلفهم سدا) قال مجاهد : عن الحق فهم يترددون . وقال قتادة في الضلالات وقوله تعالى (فأغشيناهم) أي أغشيناهم إصارهم عن الحق (فهم لا يسمعون) أي لا يسمعون بخير ولا يهتدون إليه ، قال ابن جرير : وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ (فأغشيناهم) بالعين للهمله من المشا وهو داء في العين وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : جعل الله تعالى هذا السد بينهم وبين الإسلام والإيمان فهم لا يخلصون إليه وقرأ (إن الدين حقت عليهم فلا ربك لا يؤمنون ولو جاءهم كل آية حتى يروا المذابح الأكم) ثم قال : فمن منه الله تعالى لا يستطيع . وقال مكرمة قال أبو جهل لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن فأنزلت (إنا جعلنا في أعناقهم أغشياء) إلى قوله — فهم لا يسمعون) قال وكانوا يقولون هذا محمد فيقول أين هو أين هو ! لا يصبره ، روى ابن جرير ، وقال محمد بن إسحق حدثني يزيد بن زيد عن محمد بن كعب قال : قال أبو جهل وهم جلوس إن محمداً يزعم أنك إن تابعتوه كنتم ملوكاً فإذا تم بعتهم بد موتكم وكانت لكم جنات خير من جنات الأردن ، وأنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح ثم بعتهم بد موتكم وكانت لكم نار تصدون بها وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وفي يده خنفة من تراب قد أخذ الله تعالى على أعينهم دونه فجعل يدها على رموسهم وقرأ (يس • والقرآن الحكيم) . حتى انتهى إلى قوله نالي — وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يسمعون) وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته وباتوا رصداً على باب حقه خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار فقال مالك : قالوا ينتظر محمداً

قال قد خرج عليكم لما بقي منكم من رجل إلا وضع على رأسه تراباً ثم ذهب لحاجته ، فبصل كل رجل منهم ينفض
ما على رأسه من التراب . قال وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي جهل فقال « وأنا أقول ذلك إن لهم مني
لذبحاً وإنه لأخذهم » وقوله تبارك وتعالى (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي قد ختم الله عليهم
بالضلالة فما يجد فهم الإنذار ولا يتأثرون به ، وقد ختم نظيرها في أول سورة البقرة وكما قال تبارك وتعالى (إن الذين
حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ، ولوجاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأبليم) (إنما تنذر من اتبع الذكر) أي إنما
يتنفع بإنذار المؤمنين الذين يتبعون الذكر وهو القرآن العظيم (وخشى الرحمن بالتيب) أي حيث لا يراه أحد إلا الله
تبارك وتعالى يعلم أن الله مطلع على حاله بما يعمل (فيشره بمغفرة) أي للذنوبه (وأجر كريم) أي كثير واسع حسن جميل
كما قال تبارك وتعالى (إن الذين يشكون ربهم بالتيب لهم مغفرة وأجر كبير) ثم قال عز وجل (إنا نحن نحيي الموتى
نحييهم بعد ذلك إلى الحقي كما قال تعالى بعد ذكر نسوة القلوب (اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم
الآيات لعلكم تتقون) وقوله تعالى (ونكتب ما قمتموا) أي من الأعمال ، وفي قوله تعالى (وآثارهم) قولان (أحدهما)
نكتب أعمالهم التي بشروها بأنفسهم وآثارهم التي أثروها من بدم فتجزئهم على ذلك أيضاً إن خيراً أو غير وإن شراً
فشر كقولهم صلى الله عليه وسلم « من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من
غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من
غير أن ينقص من أجورهم شيئاً » رواه مسلم من رواية شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن النضر بن جرير عن أبيه
جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه ، وفيه نسخة جتاني البخاري للفرسين ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يحيى
ابن سليمان الجبلي عن أبي الهيثم يحيى بن يعلى عن عبد الله بن عمر بن جرير بن عبد الله رضى الله عنه فذكر الحديث
بطوله ثم تلا هذه الآية (ونكتب ما قمتموا وآثارهم) وقد رواه مسلم من رواية أبي عوانة عن عبد الله بن عمر بن النضر
ابن جرير عن أبيه فذكره ، وهكذا الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث . من علم يتنفع به ، أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده »
وقال سفيان الثوري عن أبي سعيد رضى الله عنه قال سمعت مجاهداً يقول في قوله تعالى (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب
ما قمتموا وآثارهم) قال ما أوردوا من الضلالة وقال ابن أبي عمير عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله تعالى
(ونكتب ما قمتموا وآثارهم) يعني ما أثروا ، يقول ما سنوا من سنة فعمل بها قوم من بعد موتهم فإن كانت خيراً فلهم
مثل أجورهم لا ينقص من أجر من عمل به شيئاً ، وإن كانت شراً فلهم مثل أوزارهم ولا ينقص من أوزار من عمل
بها شيئاً ذكرها ابن أبي حاتم ، وهذا القول هو اختيار البيهقي (والقول الثاني) أن المراد بذلك آثار خطام إلى
الطاعة أو اللصية ، قال ابن أبي نجيب وغيره عن مجاهد (ما قمتموا) أعمالهم (وآثارهم) قال خطام بأرجلهم ، وكذا
قال الحسن وقتادة (وآثارهم) يعني خطامهم وقال قتادة لو كان الله عز وجل مغفلاً شيئاً من شأنك يا ابن آدم أفضل
ما تنسى الرياح من هذه الآثار ولكن أحسى على ابن آدم أمره وعمله كله حتى أحسى هذا الأمر فما هو من طاعة الله
تعالى أو من معصيته ، فمن استطاع منكم أن يكتب أمره في طاعة الله تعالى فليعمل . وقد وردت في هذه للنسج أحداث
(الحديث الأول) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا الجري عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما قال قلت للباق حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينقلوا قرب المسجد فيبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لهم « إنه يعني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد » قالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال ﷺ « يا بنو سلمة
« دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم » وهكذا رواه مسلم من حديث سعيد الجري وكهيس بن الحسن كلاهما
عن أبي نضرة وإسحاق بن النضر بن مالك بن نطعة البجلي عن جابر رضى الله عنه به (الحديث الثاني) قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد
ابن الوزيرواسطي حدثنا إسحاق الأزرق عن سفيان الثوري عن أبي سفيان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال

كانت بنوا سلة في ناحية من اللدنية فأرادوا أن ينشقوا إلى قريب من المسجد فنزلت (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) فقال لهم النبي ﷺ «إنا نأثمكم نكتب» فلم ينقلوا، ثم روي بإخراجه الترمذي عند تفسيره هذه الآية الكريمة عن عبد بن الوزير به ثم قال حسن قريب من حديث الثوري، ورواه ابن جرير عن سليمان بن عمر بن خالد الرقي عن ابن المبارك عن سفيان الثوري عن طريق الثوري، وهو ابن شهاب أبو سفيان السدي - عن أبي نضرة به، وقد روي من غير طريق الثوري فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن زياد الساجي حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضى الله عنه قال: إن بني سلة شكوا إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم من المسجد فنزلت (ونكتب ما قدموا وآثارهم) فأقاموا في مكانهم وحدثنا محمد بن الحسن حدثنا عبد الأعلى حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضى الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكاملها مكية فأنه أعلم، (الحديث الثالث) قال ابن جرير حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا إسرائيل عن من عاك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد فأرادوا أن ينقلوا إلى المسجد فنزلت (ونكتب ما قدموا وآثارهم) فقالوا ثبت مكاننا، هكذا رواه وليس في شيء مرفوع، ورواه الطبراني عن عبيدة بن محمد بن سعيد بن أبي مريم عن محمد بن يوسف القرياني عن إسرائيل عن من عاك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد فأرادوا أن ينقلوا إلى المسجد فنزلت (ونكتب ما قدموا وآثارهم) فثبتوا في منازلهم، (الحديث الرابع) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن هبة حدثني يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحجلي عن عبد الله عمرو رضى الله عنهما قال توفي رجل بالمدينة فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال «يأليته مات في غير موله» فقال رجل من الناس: ولم يارسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ «إن الرجل إذا توفي في غير موله قيس له من موله إلى منقطع أثره في الجنة» ورواه النسائي عن يونس بن عبد الأعلى وابن ماجه عن حرمة كلاهما عن ابن وهب عن يحيى بن عبد الله به وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا أبو ثعلبة حدثنا الحسين عن ثابت قال مشيت مع أنس رضى الله عنه فأسرعت للشي فأخذ يدي فنشيتا رويدا قلنا فتعينا الصلاة قال أنس مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت الشيء فقال يا أنس أما شعرت أن الآثار تكتب؟ وهذا القول لاتفاق بينه وبين الأول بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأخرى فانه إذا كانت هذه الآثار تكتب فلأن تكتب تلك التي فيها قدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى والله أعلم وقوله تعالى (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) أي وجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ والإمام المبين ههنا هو أم الكتاب قاله مجاهد وقادس عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم، وكذا في قوله تعالى (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) أي يكتب أمهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير أو شر كما قال عز وجل (ووضع الكتاب وجىء بالبينين والشهداء) وقال تعالى (ووضع الكتاب قرى المبرمين مشفقين بما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يفاد صغيرة ولا كبيرة إلا أحسابها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا ينظرون إليك أحدنا)

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ • إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتَّقِينَ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَرَّرْنَا بِتِلْكَ أَلْفَاظًا مِثْلَهَا • قَالُوا مَا أَنُتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَتَاكَرَّ السَّمْعُ مِن شَيْءٍ إِنَّا أَنُتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ • قَالُوا رَبُّنَا يَلْمُزُ • إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ • وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

يقول تعالى واضرب وأضرب واعد لقومك الذين كذبوك (مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون) قال ابن إسحاق فيها بلغة عن ابن عباس رضى الله عنهما وكب الأخبار ووهب بن منبه أنها مدينة انطاكية وكان بها ملك يقال له الطيخس ابن الطيخس بن انطيوخس وكان يعبدا الأصنام فبعث الله تعالى اليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وسدوق وشلوم فكذبهم

وهكذا روى عن يربعة بن الحبيب وعكرمة وقادة والزهرى أنها انطاكية ، وقد استشكل بعض الأئمة كونها انطاكية بما سذكره بعد تمام القصة إن شاء الله تعالى

وقوله تعالى (إذ أرسلنا إليهم اثنتين فكذبوا) أى بادروها بالكذب (فمزنا بها) أى قوبلناها وشدنا أزرها برسول قال ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شبيب الجبالي قال كان اسم الرسولين الأولين شعون ويوحنا واسم الثالث بولس والقرية انطاكية (فقالوا) أى لأهل تلك القرية (إنا إليكم مرسلون) أى من ربكم الذى خلقكم يأمركم بعبادته وحده لا شريك له ، وقاله أبو العالية وزعم قادة بن دعامة أنهم كانوا رسل المسيح عليه السلام إلى أهل انطاكية (قالوا ما أنتم إلا بشر مثنا) أى فكيف أوحى إليكم وأتمم بشر ونحن بشر فلم لأوحى إلينا مثلكم ولو كنتم رسلا لكنتم ملائكة وهذه شبهة كثير من الأمم للكذبة كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله عز وجل (ذلك بأنه كانت تأتهم رسلهم بالبينات فقالوا بما لا يهديهم صراطا فأتونا فأتونا سلطان مبين) وقوله تعالى حكاية عنهم في قوله عز وجل (قل لو كنتم رسلنا لفرغتم من قبلنا أن نعذبكم عذابا شديدا) أى استجبوا من ذلك وأنكروه ، وقوله تعالى (قالوا إن أنتم إلا بشر مثنا نريدون أن تصدوننا عما كان عبد آبائنا فاتنونا سلطان مبين) وقوله تعالى حكاية عنهم في قوله عز وجل (قل لو كنتم رسلنا لفرغتم من قبلنا أن نعذبكم عذابا شديدا) وقوله تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أيعت الله بشرا أرسلنا) ولهذا قال هؤلاء (ما أنتم إلا بشر مثنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذيبون) قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) أى أجابهم رسلهم الثلاثة قائلين الله يعلم أن رسله إليكم ولو كنتم كذبة عليه لا تقصمنا أحد الاغنام ولكنه سبحانه ويصغرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عقوبة الدار كقوله تعالى (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما فى السموات وما فى الأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) (وما علينا إلا البلاغ للذين) يقولون إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم فإذا أظفتم كانت لكم السعادة فى الدنيا والأخرى وإن تعجبوا فاستمعوا فما فعل ربكم وقوله تعالى (قل لو كنتم رسلنا لفرغتم من قبلنا أن نعذبكم عذابا شديدا) وقوله تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أيعت الله بشرا أرسلنا) ولهذا قال هؤلاء (ما أنتم إلا بشر مثنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذيبون) قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) أى أجابهم رسلهم الثلاثة قائلين الله يعلم أن رسله إليكم ولو كنتم كذبة عليه لا تقصمنا أحد الاغنام ولكنه سبحانه ويصغرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عقوبة الدار كقوله تعالى (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما فى السموات وما فى الأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) (وما علينا إلا البلاغ للذين) يقولون إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم فإذا أظفتم كانت لكم السعادة فى الدنيا والأخرى وإن تعجبوا فاستمعوا فما فعل ربكم

(قالوا إنا نصبرنا نأبىكم كئن لم تلتفتوا لترك مجتكم ولستم منا عذاب أليم) قالوا طائر كم مسكم أين ذكركم بل أنتم قوم مسرفون)

فقد ذك ذلك قال لهم أهل القرية (إنا نصبرنا بكم) أى لم نر على وجوهكم خيرا فى عيشنا . وقال قادة يقولون إن أصابنا شر فاعا هو من أجلكم . وقال مجاهد يقولون لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عذب أهلها (لكن لم تفتوا لترك مجتكم) قال قادة بالمجاعة ، وقال مجاهد بالشم (ولستم منا عذاب أليم) أى عقوبة شديدة ، فقالت لهم رسلهم (طائر كم مسكم) أى مردود عليكم كقوله تعالى فى قوم فرعون (فلما جاءهم الحسنة قالوا التاهنوا وإن تصبهم سيئة يطيروا) أى من معه إلا أعاطهم عند الله) وقال قوم صالح (اطيرنا بك وعين ملك قال طائر كم عند الله) وقال قادة وهوب بن منبه أى أحمالكم مسكم . وقال عز وجل (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندنا) قل كل من عند الله فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) وقوله تعالى (أفئن ذكركم بل أنتم قوم مسرفون) أى من أجل أنا ذكركم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له فالتفتونا بهذا الكلام وتوعدونا وتهدتونا بل أنتم قوم مسرفون . وقال قادة أى إن ذكركم بالله تطيرتم منا بل أنتم قوم مسرفون

(وبآء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم أتيتكم من أنبياء من أنبياءكم لا يسألكم أخبارا وهم هفتون) وبآء لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون * أأنذ من دونه عاقبة إن يؤذن الزمزم يضرب لا نفع على شعبتهم شيئا ولا يفتنون * إني إذا لى ضلل مبين * إني أعتد ربكم عاقبتهم)

قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب الأحبار ووهب بن منبه: إن أهل القرية هموا بقتل رسولهم فجاهد . جل من أنصى للدينه يسمى أى ليصبرهم من قومه قالوا وهو حبيب وكان يسل الحرير وهو الحباك وكان رجلا سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان كثير الصدقة يصدق بنصف كسبه مستقيم النظرة (١) ، وقال ابن إسحاق عن رجل سمع عن الحكم بن عيسى أو عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اسم صاحب يس حبيب وكان الجذام قد أسرع فيه وقال الثوري عن عاصم الأحمول عن أبي مجاز كان اسمه حبيب بن مري وقال شبيب بن بصر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اسم صاحب يس حبيب التجار قتلوه قومه وقال السدي كان قصارا وقال عمر بن الحكم كان إسكافا وقال قتادة كان يتعبد في ظر هناك (قال يا قوم اتبعوا للرسلين) يحض قومه على اتباع الرسل الذين أنوهم (اتبعوا من لا يسألكم أجرا) أى على إبلاغ الرسالة (وهم مبتدون) فيها يدعوكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له (ومال لا أعبد الاى فطرني) أى وما يمتنى من إخلاص العبادة للذى خلقني وحده لا شريك له (والإبراهيمون) أى يوم للهادي يجازيكم على أعمالكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر (أأخذ من دونه آلهة) استهزاء إنكار وتوبيخ وتهميز (إن يردني الرحمن بضر لا تنعني شفاعتهم شيئا ولا يفتنون) أى هذه الآلهة التي تعبدونها من دونه لا يسلكون من الأمر شيئا فإن الله تعالى لو أرادني بسوءه (فلا أكشف له إلا هو) وهذه الأسنان لا تلك دفع ذلك ولا منه ولا يفتنونني بما أنا فيه (إن إذا لقي شلال ميين) أى إن أخذتها آلهة من ذون الله ، وقوله تعالى (إني أنتم بريكم فاصمون) قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب ووهب يقول قومه (إني أنتم بريكم) الذى كثرتم به (فاصمون) أى فاصموا قولى ويحتمل أن يكون خطابه للرسل بقوله (إني أنتم بريكم) أى الذى أرسلكم (فاصمون) أى فاشبهوا على بذلك عنده وقد حكاه ابن جرير فقال وقال آخرون بل خاطب بذلك الرسل وقال لهم اسموا قولى للتشبهوا لى بما أقول لكم عند ربى (إني أنتم بريكم) وابتعكم وهذا القول الذى حكاه عن هؤلاء أظهر فى اللحن والله أعلم ، قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب ووهب رضي الله عنهما قال ذلك وتوابعه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن له أحد يمنع عنه ، وقال قتادة جعلوا يرجونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي فاهم لا يملكون فلم يزالوا به حتى أقسموه وهو يقول كذلك فقتلوه رحمه الله

(قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ • بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ • وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُودٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ • إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خِيدُونَ) قال محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصه من دبره وقال الله له (ادخل الجنة) فدخلها فهو يورق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحرزها ونصبا وقال مجاهد قيل لحبيب التجار ادخل الجنة وذلك أنه قتل فوجب له فلما رأى الثواب (قال يا ليت قومي يعلمون) قال قتادة لا تلقى للزمن إلا ناسعا لانتقامه غشا . لما عاين ما عاين من كرامة الله تعالى (قال يا ليت قومي يعلمون) بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) نعم والله أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما همم عليه وقال ابن عباس تصح قومه فى حياته بقوله (يا قوم اتبعوا للرسلين) وبعد مماثلة فى قوله (يا ليت قومي يعلمون) بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) (رواه ابن أبي حاتم وقال سفيان الثوري عن عاصم الأحمول عن أبي مجاز (بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) (يعلماني يرى وتصديق الرسلين ومقصوده أنهم لو اطلوا على ما حصل لى من هذا الثواب والجزاء والتبتم للقيم فقام ذلك إلى اتباع الرسل فرحمه الله ورضى عنه فلقد كان حرصا على هداية قومه . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا ابن جابر هو محمد عن عبد الملك بنى ابن حمير قال : قال عروة بن مسعود الثقفى رضي الله عنه لى صلى الله عليه وسلم ابشئ إلى قومي أدمعهم إلى الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أخاف أن (١) فى النسخة السليكية . النظرة .

يَتَنَبَّأُ « قَالَ لَوْ وَجِدْتَنِي نَائِمًا مَا أَهْظَوْنِي فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « انْطَلِقْ » فَاِنْطَلَقَ فَرَزَّ عَلَى اللَّاتِ وَالْمَرْيَةِ فَقَالَ لَأَسْبِغَنَّكَ غَدًا بِمَا يَسُوكُ فَتَضَيَّبْتَ تَهَيَّبَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ تَهَيَّبَ إِنْ اللَّاتَ لَلَّاتٌ وَإِنْ الْمَرْيَةَ لَامَرْيَةُ أَسْلَمُوا تَسْلَمُوا يَا مَعْشَرَ الْأَحْلَافِ إِنْ الْمَرْيَةَ لَا عَزَى وَإِنْ اللَّاتَ لَلَّاتٌ أَسْلَمُوا تَسْلَمُوا قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَرَمَاهُ رَجُلٌ فَأَصَابَ أَكْحَمَهُ فَتَنَبَّأَ فَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ « هَذَا مِنْهُ كَثَلٌ صَاحِبُ يَسَ » (قَالَ لَا يَتَقَوْمِي يَمْلُونُ بِمَا غَفَرُ لِي ربي وَجَعَلَنِي مِنَ الْكَرَمِينَ) . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْمَرٍ عَنْ حُزَمٍ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ كُتُبِ الْأَجْبَارِ أَنَّهُ ذَكَرَ لَهُ حَبِيبُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ مَازِنَ بْنِ النَّجَّارِ الْهَدْيِيِّ كَانَ مَسِيلَةً الْكَلْبَابِ قَطْعَةً بِالْجَمَامَةِ حِينَ جَبَلَ يَسَاءَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَجِبُ يَقُولُ لَهُ : تَأْتِيهِمْ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ؟ يَقُولُونَ نَعَمْ ثُمَّ يَقُولُ أَتَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ لَا أَسْمَعُ فَيَقُولُ لَهُ مَسِيلَةً لَمَنَ اللَّهُ أَسْمَعُ هُنَا وَلَا تَسْمَعُ ذَاكَ ؟ يَقُولُونَ نَعَمْ فَيَجِبُ يَقْطَعُهُ عَضْوًا عَضْوًا كُلَّمَا سَأَلَهُ لَمْ يَزِدْهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ فِي يَدَيْهِ فَقَالَ كُتِبَ حِينَ قِيلَ لَهُ اسْمُهُ حَبِيبٌ وَكَانَ وَاللهُ صَاحِبُ يَسَ اسْمُهُ حَبِيبٌ . وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جَنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزَلِينَ) خَيْرٌ تَعَالَى أَنَّهُ انْقَضَ مِنْ قَوْمِهِ بَعْدَ قَتْلِهِمْ بِإِعْضَابِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا رُسُلَهُ وَقَتَلُوا وَلِيَّهُمْ وَلَدَ كَرِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ وَمَا احتَاجَ إِلَى إِهْلَاكِهِ لِأَنَّهُ إِلَى إِنْزَالِ جَنْدٍ مِنَ اللَّائِيكَةِ عَلَيْهِمْ بِأَمْرِ الْأَمْرِ كَانَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ نَبَا رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَقَ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جَنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزَلِينَ) أَيُّ مَا كَثُرَ نَامُ بِالْجُلُوعِ ، الْأَمْرُ كَانَ أَيْسَرُ عَلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَيُذَا مِنْ خَامِدُونَ) قَالَ فَأَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ لِلَّهِ وَأَهْلَكَ أَنْطَاكِيَةَ فَيَا دَوَاعِي وَجْهَ الْأَرْضِ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ وَقِيلَ (وَمَا كُنَّا مُنْزَلِينَ) أَيُّ وَمَا كُنَّا نَزَلُ لِلَّائِيكَةِ عَلَى الْأُمَمِ إِذَا أَهْلَكَنَا بِأَمْرِ نَبِيٍّ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ يَدْمُرُهُمْ ، وَقِيلَ لِلنَّبِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جَنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ) أَيُّ مِنْ رِسَالَةٍ أُخْرَى إِلَيْهِمْ قَالَه مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ قَالَ قَتَادَةُ فَلَا وَاللَّهِ مَا عَابَ اللَّهُ قَوْمَهُ بَعْدَ قَتْلِهِ (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَيُذَا مِنْ خَامِدُونَ) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ وَالْأَوَّلُ أَسْخَرُ لِأَنَّ الرِّسَالَةَ لَا تَسْمَى جَنْدًا . قَالَ الْقُسَيْرِيُّ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَأَخَذَ بِضَادَتِهِ بِأَبِ يَدِهِ ثُمَّ ضَلَحَ بِهِمْ صِيحَةً وَاحِدَةً فَيُذَا مِنْ خَامِدُونَ عَنْ آخِرِهِمْ لَمْ يَبْقَ بِهِمْ رُوحٌ تَرْتَدُّ فِي جَسَدِهِ ، وَقَدْ خَدَمَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ هِيَ أَنْطَاكِيَةُ ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ كَانُوا رِسَالًا مِنْ عِنْدِ السَّيِّحِ عِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَذْكُرْ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ مُتَأَخِّرِي الْقُسَيْرِيِّينَ غَيْرُهُ ، وَفِي ذَلِكَ نَظَرٌ مِنْ وَجْهِهِ (أَحَدُهُمَا) أَنَّ ظَاهِرَ الْقِصَّةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا رِسَالًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا مِنْ جِهَةِ السَّيِّحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا قَالَ تَعَالَى (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ) - إِلَى أَنْ قَالُوا - رَبَّنَا إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ لِلنَّبِيِّ) وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْخَوَارِجِ لَقَالُوا لِمَا عَابَهُمْ مِنْ عِنْدِ السَّيِّحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ، ثُمَّ لَوْ كَانُوا رِسَالًا مِنَ السَّيِّحِ لَمَا قَالَوا لَهُمْ (إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا بِجَرِيرَةٍ) (الثَّانِي) أَنَّ أَهْلَ أَنْطَاكِيَةِ آمَنُوا بِرِسَالَةِ السَّيِّحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانُوا أَوَّلَ مَدِينَةٍ آمَنَتْ بِالْمَسِيحِ وَلِهَذَا كَانَتْ عِنْدَ النَّصَارَى إِحْدَى لِلدَّائِنِ الْأَرْمينية اللَّاتِيَّةِ فِيهِمْ بَنَارُكَ وَهِيَ الْقُدْسُ لِأَنَّهَا بَلَدُ السَّيِّحِ وَأَنْطَاكِيَةُ لِأَنَّهَا بَلَدُ آمَنَتْ بِالْمَسِيحِ عَنْ آخِرِ أَهْلِهَا ، وَالْأَسْكَنْدَرِيَّةُ لِأَنَّ فِيهَا اسْتَصْلَحُوا عَلَى اخْتِزَالِ الْبَنَارِ وَاللَّطَارِيَةِ وَالْإِسْقَافِ وَالْقِسَاوَةِ وَالشَّهَادَةِ وَالرَّهَابِينَ . ثُمَّ رُومِيَّةٌ لِأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ قُسْطَنْطِينَ الَّذِي نَصَرَ دِينَهُمْ وَأَوْطَدَهُ ، وَلَمَّا ابْتَدَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ تَهَوُّوا الْبَتْرَكَ مِنْ رُومِيَّةٍ إِلَيْهَا كَمَا ذَكَرَ مُغِيرَةُ وَاحِدٌ مِنْ ذِكْرِ تَوَارِيخِهِمْ كَمَعْدِنٍ بِطَرِيقٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالسَّلَامِينَ فَيُذَا يَقْرَرُ أَنَّ أَنْطَاكِيَةَ أَوَّلَ مَدِينَةٍ آمَنَتْ فَأَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ كَذَّبُوا رُسُلَهُ وَأَنَّهُ أَهْلَكَهُمْ بِصِيحَةٍ وَاحِدَةٍ أَخَذَهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ (الثَّلَاثُ) أَنَّ قِصَّةَ أَنْطَاكِيَةِ مَعَ الْخَوَارِجِ أَصْحَابِ السَّيِّحِ بَعْدَ زَوَالِ التَّوْرَةِ ، وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرُهُ وَاحِدٌ مِنَ السَّلَفِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ إِزْرَاهُ التَّوْرَةَ فِي يَدِهَا أَمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ عَنْ آخِرِهِمْ بِغَضَبٍ يَمِثُّ عَلَيْهِمْ بَلْ أَمْرٌ لِلزُّمَيْنِ بَعْدَ ذَلِكَ بَقِيَ لِلشَّرِكِيِّينَ ، ذَكَرَهُ عَنْهُ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى) فَهَلْ هَذَا يَتَّبِعُ أَنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ لِلذِّكْرِ فِي الْقُرْآنِ قَرْيَةٌ أُخْرَى

غير انطاكيا كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضاً . أو تكون انطاكيا إن كان لفظها عفوفاً في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه الشهورة المروفة فان هذه لم يعرف أنها اهلكت لا في اللغة النصرانية ولا قبل ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم ، فاما الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسين بن إسحق التستري حدثنا الحسين بن أبي السري السقاني حدثنا حسين الأفرح حدثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : البقي ثلاثة : السابق إلى موسى عليه الصلاة والسلام يوشع بن نون ، والسابق إلى عيسى عليه الصلاة والسلام صاحب ينس ، والسابق إلى محمد صلى الله عليه وسلم حتى ين أبى طالب رضى الله عنه . فانه حديث متكرر لا يعرف إلا من طريق حسين الأشقر وهو شيعي متروك والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

(يَسْتَصْرِئُ عَلَى الْآلِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ • أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ أَقْوَامٍ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ • وَإِنْ كُلُّ لَكَ جَمِيعٌ أَفَلَا تَحْضُرُونَ)

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (يا حسرة على العباد) أى ياويل العباد قال قتادة (يا حسرة على العباد) أى يا حسرة العباد على أنفسهم على ما ضيعت من أمرهم وفرطت على جنب الله ، وفي بعض القراءات يا حسرة العباد على أنفسهم ومعنى هذا يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عابوا المذاب كيف كذبوا رسل الله وخالفوا أمر الله فانهم كانوا في الدار الدنيا الكاذبون منهم (ما يأتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) أى يكذبونه ويستهزئون به ويحسدون ما أرسل به من الحق ثم قال تعالى (ألم يروا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) أى ألم يظنوا بمن آلهتنا قبلهم من المكذبين لرسل كيف لم يكن لهم إلى هذه الدنيا كربة ولا رجة وليكن الأمر كما زعم كثير من جهلهم وفجرتهم من قولهم (إنهم إلى الأحياء الدنيا يموت ونحي) وهم القائلون بالدور من الدهرية وهم الذين يقتضون جهلا منهم أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها فرد الله تبارك وتعالى عليهم ما طلبهم فقال تبارك وتعالى (ألم يروا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) وقوله عز وجل (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) أى وإن جميع الأمم للآخرة والآية يستنصر لحساب يوم القيامة بين يدي الله جل وعلا فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها ، ومعنى هذا كقوله جل وعلا (وإن كلا لما يوفينهم ربك أعمالهم) وقد اختلف القراء في آهأ هذا الحرف فمنهم من قرأ (وإن كل لما) بالتخفيف فمتدآن إن ثلاثيات ومنهم من غدد (لما) وجعل ان نافية ولما بمعنى إلا ، تحديه وما كل إلا جميع لدينا محضرون ومعنى القراءتين واحد والله سبحانه وتعالى أعلم

(وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمْنُوا بِأَلْحَادٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ • وَقَدْ خَلَقْنَا سَمَواتِنا وَالأَرْضَ وَالْأَرْضَ أَلَمُ الْأَرْضِ النَّيْتَةُ أَحْيَيْتُهَا وَأَخْرَجْتُ مِنْهَا حَباً فَيَنْهَ يَا كَلُونَ • وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ • سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا يَمَّا تَنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ)

يقول تبارك وتعالى (وآية لهم) أى دالة لهم على وجود الصانع وقدرته التامة وإحيائه للوق (الأرض اللينة) أى إذا كانت ميتة هامة لا شيء فيها من النبات ، فلما أنزل الله تعالى عليها الماء اهتزت وربت وأنبئت من كل زوج بهيج ، ولهذا قال تعالى (أحييناهما وأخرجنا منها حبا فمنه يا كَلُونَ) أى جعلنا رزقا لهم ولأنهم لم (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون) أى جعلنا فيها أنهارا سارحة في أمكنة يحتاجون إليها ليا كَلُوا من ثمره : لما آمن على خلقه بإيجاد الزروع لهم عطف بذكر النجار وتنوعها وأصنافها . وقوله جل وعلا (وما عملته أيديهم) أى وما ذاك كله إلا من رحمة تعالى الله بهم لا بسهم ولا كدهم ولا بجوعهم وقوتهم قال ابن عباس رضى الله عنهما وقادة ولهذا قال تعالى (أفلا يشكرون) أى فهلا يشكروه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد

ولا نصى ، واختار ابن جرير - بل جزم به ، ولم يحك غيره إلا احتيالا - أن حافى قوله تعالى (وما حملته أيديهم)
بمضى الذى شديده لياكلوا من ثمره وما حملته أيديهم أى غرسوه ونصبوه ، قال وهى كذلك فى قراءة ابن مسعود
رضى الله تعالى عنه (لياكلوا من ثمره وما حملته أيديهم أفلا يشكرون) ، ثم قال تبارك وتعالى (سبحان الذى
خلق الأزواج كلها مما ثبت الأرض) أى من زروع ونمار ونبات (ومن أنفسهم) فبجلهم ذكرا وأثى (وما
لا يلبسون) أى من مخلوقات شتى لا يعرفونها كما قال جل وعظمته (ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلك تدركون)

﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَن لَّيْلٌ نَّسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَاذَاهُمْ يَنْظُرُونَ • وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ • وَالْقَمَرَ قَدَرًا مَّنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ • لَّا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ
سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

يقول تعالى ومن آياته لم على قدرته تبارك وتعالى العظيمة خلق الليل والنهار هذا بظلامه وهذا بضائه
وجعلهما يتتابعان بمعنى هذا فيذهب هذا ، ويلهب هذا فيجىء هذا كما قال تعالى (ينشئ الليل النهار يطلبه حثيثا)
ولهذا قال عز وجل ههنا (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) أى نصروه منه فيذهب فيقبل الليل ولهذا قال تبارك
وتعالى (فاذا هم مظلمون) كاجاء ، فى الحديث « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر
الصائم » هذا هو الظاهر من الآية وزعم قتادة أنها كقوله تعالى (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) وقد
نسب ابن جرير قول قتادة ههنا ، وقال إنما معنى الإيلاج الأخذ من هذا فى هذا وليس هذا مرادا فى هذه الآية
وهذا الذى قاله ابن جرير حق ، وقوله جل جلاله (والششمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) فى معنى قوله
(لمستقر لها) قولان أحدهما أن للراد مستقرها للكانى وهو تحت العرش مما على الأرض من ذلك الجانب وهى
أبنا كانت فهى تحت العرش وهى جميع المخلوقات لأنه سقفها وليس بكبر كما يزعم كثير من أرباب الميتة ، وإنما هو قبة
ذات قوائم تحمى للملكة وهو فوق العالم مما على رؤوس الناس فالشمس إذا كانت فى قبة الفلك وقت الظهور تكون
أقرب ما تكون إلى العرش ، فلذا استدارت فى فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت
أبعد ما تكون إلى العرش فحيث تسجد وتستأنن فى الطلوع كما جاءت بذلك الأحاديث. قال البخارى حدثنا أبو يعلى
حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضى الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ فى المسجد
عند غروب الشمس فقال صلى الله عليه وسلم « يا أباذر أتندرى أين قرب الشمس ؟ » قلت الله ورسوله أعلم قال
صلى الله عليه وسلم « فلها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى (والششمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير
العزيز) » حدثنا عبد الله بن الزبير الجندى حدثنا وكيع حدثنا عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر
رضى الله عنه ، قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله تبارك وتعالى (والششمس تجري لمستقر لها) قال
صلى الله عليه وسلم « مستقرها تحت العرش » هكذا أورد ههنا ، وقد أخرجه فى أماكن متعددة ورواه
بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش به وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد عن الأعمش عن إبراهيم
التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال كنت مع رسول الله ﷺ فى المسجد حين غربت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم
« يا أباذر أتندرى أين تذهب الشمس ؟ » قلت الله ورسوله أعلم ، قال صلى الله عليه وسلم « فلها تذهب حتى تسجد
بين يدي ربه عز وجل فتستأنن فى الرجوع فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجسى من حيث جئت ترجى إلى مطالعها
وذلك مستقرها - ثم قرأ - (والششمس تجري لمستقر لها) » وقال سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن
أبيه عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس « أتندرى أين تذهب ؟ »
قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم « فلها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأنن فيؤذن لها ، ويوشك

أن تسجد فلا يقبل منها ؟ وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقرها ذلك تقدير العزيز العليم) »

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي إسحاق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال في قوله تعالى (والشمس تجري لمستقرها) قال إن الشمس تطلع فتردها ذنوب بني آدم حتى إذا غربت سلت وسجدت واستأذنت فيؤذن لها حتى إذا كان يوم غربت قلت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها فقول إن للسير بيد وإن إن لا يؤذن لي لأبلغ قممها ما شاء الله أن يحبس ثم قال لها اطلعي من حيث غربت قال بن يونس إلى يوم القيامة لا ينفع قسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا . وقيل للراد يستقرها هو ابتداء سيرها وهو غاية الرضا عنها في البقاء في الصيف وهو أوجها ، ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الخفيض (والقول الثاني) أن للراد يستقرها هو متى سيرها وهو يوم اقيامة يطول سيرها وتكون حركتها وتكون وثقى هذا العالم إلى غاية . وهذا هو مستقرها الزمان قال قتادة (لمستقرها) أي لوقتها ولأجل لاندوه ، وقيل للراد أنها لأنزل تنقل في مطالعها الصبيبة إلى مدة لا تزيد عليها ثم تنقل في مطالع الشتاء إلى مدة لا تزيد عليها ، يروى هذا عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما . وقرأ ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما (والشمس تجري لمستقرها) أي لأقرارها ولا تكون ، بل هي سائرة ليلا ونهارا لا تنقر ولا تحف كقول بشارك تعالى (وسفر لك الشمس والقمر دائبين) أي لا تغتران ولا يقفان إلى يوم القيامة (ذلك تقدير العزيز) أي الذي لا يخالف ولا يبالغ (العلم) بجميع الحركات والسكنات وقد قدر ذلك وقته على منوال (لا اختلاف فيه) ولما كس قال عز وجل (فائق الإصباح وجبل الليل سكا والشمس والقمر حسيان ذلك تقدير العزيز العليم) وهكذا يتم حم السجدة بقوله تعالى (ذلك تقدير العزيز العليم) ثم قال جل وعلا (والقمر قدر منازل) أي جبلتها يسيرا آخر يستدل به على معنى الشهور كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار كما قال عز وجل (يسألونك من الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) . وقال تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) الآية وقال بشارك تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فحسونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا) فجعل الشمس لها ضوء فحسبوا والقمر له نور فحسبوا وفاوت بينهما ههنا فالحسب تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد ولكن تنقل في مطالعها ومغارها صيفا وشتاء يطول بسبب ذلك النهار وقصر الليل ثم يطول الليل وقصر النهار وجعل سلطانها بالنهار فهي كوكب نهارى ، وأما القمر فقدوره منازل يطلع في أول ليلة من الشهر ضياء قليل النور ثم يزداد نورا في الليلة الثانية ويرضع منزلة ثم كلما ارتفع ازدد ضياء وإن كان مقتبسا من الشمس حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة ثم يرضع في النفس إلى آخر الشهر حتى يصير كالمرجون القديم . قال ابن عباس رضى الله عنهما وهو أصل العنق ، وقال جاهد المرجون القديم أي العنق اليابس متى ابن عباس رضى الله عنهما أصل العنق من الرطب إذا عتق ويس وأغص ، وكذا قال غيرها ثم بعد هذا يديه الله تعالى جديدا في أول الشهر الآخر والعرب تسمى كل ثلاث ليال من الشهر باسم باعتبار القمر فيسمون الثلاث الأول غرة والقواني بعدها ثلث ، والقواني بعدها سبع لأن آخرها من التاسعة إلى القواني بعدها عشر لأن أولها من الباشرة والقواني بعدها البيض لأن ضوء القمر فين إلى آخره ، والقواني بعدها من جمع جمع دعاء لأن أولها أسود فتأخر القمر في أولها منه يومه الفاء المبرها وهي التي رأسها أسود ويهبط ثلاث ظلم ثم ثلاث حنادس وثلاث عناق لأنما القمر أول الشهر فبين ، وكان أبو عبيدة رضى الله عنه يشكر التسع والشهر . كذا قال في كتاب غريب اللصف . وقوله بشارك تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) قال جاهد لكل منهما حد لا يبدوه ولا يقصر دونه إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا ، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن في قوله تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) قال ذلك ليلة الهلال . وروى ابن أبي حاتم عنها عن عبد الله بن المبارك أنه قال إن الربع جنبها

وإن القمر يأوى إلى غلاف من لاء ، وقال الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح لا يدرك هذا ضوءهذولا هذا ضوءهذلا . وقال عكرمة في قوله عز وجل (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) يني أن لكل منهما سلطانا فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل . وقوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) يقول لا ينبغي إذا كان الليل أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل ، وقال الضحاك لا يذهب الليل من ههنا حتى يجرى النهار من ههنا وأوما يده إلى الشرق ، وقال مجاهد (ولا الليل سابق النهار) يطليان حيثين يسلم أحدهما من الآخر ، والشي في هذا أنه لا فترة بين الليل والنهار بل كل منهما يقب الآخر بلامهة ولا ترابع لأنهما مسخران دائمين يطالبان طلبا حثيثا . وقوله تبارك وتعالى (وكل في فلك يسبحون) يني الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون أي يدورون في فلك السماء . قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وقادة وعطاء الخراساني ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في فلك بين السماء والأرض . رواه ابن أبي حاتم وهو غريب جدا بل منكرو ، قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد من السلف في فلكه كفلكه للنزل ، وقال مجاهد الفلك كحديدة الرمح أو كفلكه للنزل لا يدور للنزل إلا بها ولا تدور إلا به

(وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْهُونِ • وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ • وَإِنْ نَشَأْ نُفْرِقَهُمْ فَلَا ضَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ • إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ)

يقول تبارك وتعالى ودلالة لهم أيضا على قدرته تبارك وتعالى تسخير البحر ليحمل السفن فمن ذلك بل أوله سفينة نوح عليه الصلاة والسلام التي أجهاد الله تعالى فيها بمن معه من المؤمنين الذين لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم عليه الصلاة والسلام غيرهم ولهذا قال عز وجل (وآية لهم أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) أي آباءهم (في الفلك المشحون) أي في السفينة المملوءة من الأمته والحيوانات التي أمره الله تبارك وتعالى أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : المشحون المورق ، وكذا قال سعيد بن جبير والشعبي وقادة والسدي ، وقال الضحاك وقادة وابن زيد وهي سفينة نوح عليه الصلاة والسلام . وقوله جل علا (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) قال الموفى عن ابن عباس رضي الله عنهما يني بذلك الإبل فانها سفن البر يحملون عليها ويركبونها ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن وقادة في رواية وعبد الله بن شداد وغيرهم ، وقال السدي في رواية هي الأنعام . وقال ابن جرير حدثنا الفضل بن الصالح حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أئدرون ما قوله تعالى (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) قلنا لا ، قال هي السفن جعلت من جد سفينة نوح عليه الصلاة والسلام على مثلها ، وكذا قال أبو مالك والضحاك وقادة وأبو صالح والسدي أيضا المراد بقوله تعالى (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) أي السفن ، وقرئ هذا المذهب في المتن قوله جل وعلا (إِنَّا لَمَّا طَسَّيْنَا مَا يَرْكَبُونَ) أي السفن لنعلمكم بذكره وتميها إذن وأية) . وقوله عز وجل (وَإِنْ نَشَأْ نُفْرِقَهُمْ) يني الذين في السفن (فلا ضريح لهم) أي فلا ميت لهم عامهم فيه (ولا هم ينقذون) أي بما أساءهم (إلا رحمتنا) وهذا استثناء منقطع تهديره ولكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر ونسلمكم إلى أجل مسمى ولهذا قال تعالى (ومتاعا إلى حين) أي إلى وقت معلوم عند الله عز وجل

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَتَأْمِنُوا بِكُلْمِكُمْ • تَزْحَمُونَ • وَتَأْمِنُ بِهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ)
إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ • وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَتَمْنُوا تُمْسِكُمْ • فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ
لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَمُهْذَبَةٌ إِنْ أَرَادَ إِلَّا فِي شَكْلِ مُبِينٍ)

يقول تعالى عبرا عن عبادي للتركين في غيهم وضلالهم وعدم إكترائهم بذنوبهم التي أسلفوها وما يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة (وإذا قيل لهم اهتدوا بما بين أيديكم وما خلفكم) قال مجاهد من الذنوب وقال غيره بالعكس (لعلكم ترجعون) أي لعل الله بأخانتكم ذلك يرحمكم ويؤتمنكم من عذابه ويهدر الكلام أنهم لا يجيبون إلى ذلك بل يرسنونه عنه ، واكتفى عن ذلك بقوله تعالى (وما تأتهم آية من آيات من ربهم) أي على التوحيد وصدق الرسل (إلا كانوا عنها معرضين) أي لا يتأملونها ولا يقبلونها ولا يتفهمونها . وقوله عز وجل (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله (أي عن أي وإذا أمروا بالأفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمهاجرين) قال الذين كفروا للذين آمنوا (أي عن الذين آمنوا من الفقراء أي قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالأفاق حاجين لهم فيما أمرهم به) أنطم من لو يشاء الله أطعمه (أي هؤلاء الذين أمرعونا بالأفاق عليهم لوشاء الله لأغنهم من رزقه فنحن نوافق مشيئة الله تعالى فيهم (إن آتاكم إلا في ضلال مبين) أي في أمركم لنا بذلك ، قال ابن جرير ويحتمل أن يكون من قول الله عز وجل للكافرين ناظروا المؤمنين وردوا عليهم قتال لهم (إن آتاكم إلا في ضلال مبين) وفي هذا نظر والله أعلم

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ • فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾

غير تعالى عن استبعاد الكفرة قيام الساعة في قولهم (متى هذا الوعد) (يستحيل بها الذين لا يؤمنون بها) قال الله عز وجل (ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون) أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهذه والله أعلم نغمة الفزع ينفض في الصور نغمة الفزع والناس في أسواقهم ومعايشتهم يخصمون ويتشاجرون على عاداتهم فينبأهم كذلك إذ أمر الله عز وجل إسرائيل فنفخ في الصور نغمة يطولها ويعدا فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أسمى لياتورع لينا وهي صفة النقي يتسمع الصوت من قبل السماء ، ثم يساق للوجود من الناس إلى عسر القيامة بالار تحيط بهم من جوانبهم ولهذا قال تعالى (فلا يستطيعون توصية) أي على ما يملكونه ، الأمر أمهم من ذلك (ولا إلى أهلهم يرجعون) وقد وردت ههنا آثار وأحاديث ذكرناها في موضع آخر ، ثم يكون بعد هذا نغمة الصق التي تعوت بها الأحياء كلهم ماعدا إلى القيوم ثم بعد ذلك نغمة البعث

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَذاَهُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ • قَالُوا يَوْمَئِذٍ لَّئِنْ كُنَّا مِنْ مُرْقَدَاتٍ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ • إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَلَذاَهُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ • قَالِيَوْمَ لَا تُنْفَعُ النَّفْسُ شَيْئًا وَلَا نَجْوَى زُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

هذه هي النغمة الثالثة وهي نغمة البعث والنشور لقيام من الأجداث والقبور ولهذا قال تعالى (فلذاهم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) والنسلان هو إلى السرع كما قال تعالى (يوم يخرجون من أراكانهم إلى نصب يوفضون) قالوا يا ويلنا من بستان من مرقدنا (ينون قبورهم التي كانوا يتصدقون في الدار الدنيا أنهم لا يثبون منها فلما عابوا ما كذبوا به في عثرهم) قالوا يا ويلنا من بستان من مرقدنا (وهذا لا ينفى عذابهم في قبورهم لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد . قال أبي بن كعب رضى الله عنه ومجاهد والحسن وقادة : ينامون نومة قبل البعث قال قتادة وذلك بين التفتحين فلذلك يقولون من بستان من مرقدنا فلما قالوا ذلك أجابهم المؤمنين ، قاله غير واحد من السلف (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) وقال الحسن إنما يجيبهم بذلك لللائكة ، ولا منافاة إذا الجمع ممكن والتسبباته وتعالى أعلم . وقال عبد الرحمن بن زيد : الجميع من قول الكفار (يا ويلنا من بستان من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) فله ابن جرير واختار الأول وهو أصح وذلك كقوله تبارك وتعالى في الصفات (وقالوا

يا زينا هذا يوم الدين • هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون (وقال الله عز وجل (يوم تقوم الساعة بشم
الجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون • وقال الذين أتوا العلم والإيمان لقد لبتم في كتاب الله إلى يوم
البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون)
وقوله تعالى (إن كانت إلا سحابة واحدة فلذا هم جميع لدينا محضرون) كقوله عز وجل (فلأنما هي زجرة واحدة •
فلذا هم بالساهرة) وقال جلّت عظمتة (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب) وقال جل جلاله (يوم يدعوك
فتستجيون بحمده وتنظنون إن لبتم إلا قليلا) أي إنما تأمرهم أمرا واحدا فلذا الجميع محضرون (فالיום لا تظلم نفس
شيئا) أي من حملها (ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون)

﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَسْكَوْنَ • هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْضِ أَنَّكَ مُتَكَبِّرُونَ • لَهُمْ
فِيهَا فَكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ • سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾

غير تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من الرصات فزلوا في روضات الجنات أنهم في شغل
عن غيرهم بما هم فيه من التمتع القيم والقور العظيم ، قال الحسن البصري وإسماعيل بن أبي خالد في شغل صحابة أهل النار
من المذاب ، وقال مجاهد (في شغل فاكهون) أي في نعيم معجبون أي به . وكذا قال قتادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما
فاكهون أي فرحون ، قال عبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن السبي وعكرمة والحسن وقاتدة
والأعمش وسليمان التيمي والأوزاعي في قوله تبارك وتعالى (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) قالوا شغلهم
افتقاص الأيسر ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه (في شغل فاكهون) أي بضع الأوتار ، وقال أبو حاتم
له غلط من السمع وإنما هو افتقاص الأيسر . وقوله عز وجل (هم وأزواجهم) قال مجاهد وحلائلهم (في ظلال)
أي في ظلال الأشجار (على الأرض متكنون) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب والحسن وقاتدة
والسدي وخفيف (الأرض) هي السرور تحت الجبال [قلت في نظيره في الدنيا هذه التخت تحت الباشاخين والله
سبحانه وتعالى أهل . وقوله عز وجل (لهم فيها فاكهة) أي من جميع أنواعها (ولهم ما يدعون) أي ما يطلبوا وجدوا
من جميع أصناف اللذ . قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا محمد
ابن مهاجر عن الضحاك اللعاف عن سليمان بن موسى حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد رضي الله عنهما يقول : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا هل مشر إلى الجنة ! فإن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة . نور كلها
يتلاها ، ورعاية تهز ، وقصر مشيد ونهر مطرد ، وثمره نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ، ومقام في أبد
في دار سلامة . وفاكهة خضرة وخير ونعمة في حلة عالية بنية » قالوا نعم يا رسول الله نحن للشعرون لها قال
ﷺ « قولوا إن شاء الله » فقال القوم إن شاء الله ، وكذا رواه ابن ماجه في كتاب الزهد من سننه من
حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر به . وقوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) قال ابن جرير قال ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) قال الله تعالى نفسه سلام على أهل الجنة وهذا الذي قاله
ابن عباس رضي الله عنهما كقوله تعالى (يحييهم يوم يلقونه سلام) . وقد روى ابن أبي حاتم معنا حديثا وفي إسناده
نظر فانه قال : حدثنا موسى بن يوسف حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي الشوارب حدثنا أبو عاصم المبادي حدثنا الفضل
الرقاشي عن محمد بن النكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « بينا أهل
الجنة في نعيم إذ سطع عليهم نور فرموا رءوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم
يا أهل الجنة فذلك قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) قال فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من
النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يجتنب عنهم ويوق نوره وبركته عليهم وفي ديارهم » ورواه ابن ماجه في كتاب السنة

هذه النار التي كتبها تكذيبون ه أنصر هذا أم أنتم لا تبصرون) وقوله تعالى (اليوم نحتم على أفواههم وتكلمنا
أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) هذا حال الكفار وللناققين يوم القيامة حين ينشرون ما جرموه في الدنيا
وعملون ما فعلوه فيحتم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم بما عملت . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو شعبة إبراهيم
ابن عبد الله بن أبي شعبة حدثنا مناجب بن الحارث التميمي حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا سفيان عن عبيد للكتب
عن الفضل بن عمرو عن الشعبي عن أنس بن مالك عرض الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنضحك حتى
بدت نواجذه ثم قال صلى الله عليه وسلم « أندرون مم أمضح ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم
« من عبادة المبدية يوم القيامة يقول رب ألم تجزني من الظلم ؟ فيقول بلى ، فيقول لا أجيز على إلا شاهدا من نفسي ،
فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والكرام الكابئين شهودا فيحتم على فيه وقال لأركانه انطق فتتطرق بعلمه ثم يخفى
بينه وبين الكلام فيقول بدا لكن وسخا فصنكت كنت أناضل » وقد رواه مسلم والنسائي كلاهما عن أبي بكر بن
أبي النضر عن أبي النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن سفيان بن عيينة عن أبي بصير عن أبي بصير
روى هذا الحديث عن سفيان بن عيينة عن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير عن أبي بصير
عن عبد الملك بن عمرو الأسدي وهو الشدي عن سفيان ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه
عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال « إنكم تدعون مفلما على أفوهكم بالقدم فأقول ما يسأل عن أحدكم
فخذه وكشفه رواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق ، وقال سفيان بن عيينة عن سفيان بن عيينة عن أبي بصير
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث القيامة الطويل قال فيه « ثم يلقى الثالث فيقول
ما أنت فيقول أنا عبدك أنت بك وبنيك وبكتاك وصمت وصليت وصدقت وبني غير ما استطاع » قال - فيقال له
ألا نبث عليك شاهدا ؟ قال فيفكر في نفسه من الهدى شهد عليه فيحتم على فيه وقال لقضه الطائي - قال -
نتنطق فخله وجهه وعظامه بما كان يعمل وذلك المناقق وذلك ليمدر من نفسه وذلك الهدى يسخط الله تعالى عليه
ورواه مسلم وأبو داود من حديث سفيان بن عيينة بن بطوله ثم قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا هشام بن
عمار حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا ضمضم بن زرعة عن شرح بن عبيد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أول عظم من الإنسان ينكسر يوم يحتم على الأفواه فخله من الرجل اليسرى »
ورواه ابن جرير عن محمد بن عوف عن عبد الله بن المبارك عن إسماعيل بن عياش به مثله . وقسود إسناده الامام أحمد
رحمه الله فقال حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شرح بن عبيد الحضرمي عن
حدثه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إن أول عظم من الإنسان ينكسر يوم يحتم
على الأفواه فخله من الرجل اليسرى » وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية حدثنا يونس بن عبيد
عن حميد بن هلال قال : قال أبو بردة قال أبو موسى هو الأشعري رضي الله عنه يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة
فيرض عليه به علمها بينه وبينه فيترف فيقول لهما رب حملت حملت قال فينظر الله تعالى له ذنوبه ويسترهما قال لما
على الأرض خليفة ترى من تلك الذنوب شيئا وتبدوا حسنته فود أن الناس كلهم يرونها ، ويدعي الكافر والمناقق
للحساب فيرض عليه به عمله فيجحد ويقول أي رب وعزتك أي رب ما حملت فإذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه قال أبو موسى
كنا في يوم كنا في مكان كذا ؟ فيقول لا وعزتك أي رب ما حملت فإذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه قال أبو موسى
الأشعري رضي الله عنه فاني أحسب أول ما ينطق منه التفتد الحق ثم تلا (اليوم نحتم على أفواههم وتكلمنا
أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) وقوله تبارك وتعالى (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط
فاني بصرون) قال ط بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها يقول ولو نشاء لأشكلكنا عن الهدى
فكيف يهتدون وقال مرة أعينهم وقال الحسن البصري لو شاء الله لطمس على أعينهم فيضلهم مما يريدون وقال السدي
يقول ولو نشاء أعيننا أبصارهم وقال مجاهد وأبو صالح وقائدة والسدي فاستبقوا الصراط يعني الطريق وقال ابن زيد بن

بالصراط ههنا الحق فأنى يصرون وقد طمنا على أعينهم وقال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما فأنى يصرون لا يصرون الحق . وقوله عز وجل (ولولمنا لمسخنا على مكاتهم) قال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما أهلكناهم وقال السدى يبنى لغيرنا خلقهم . وقال أبو صالح لطنانم حجارة ، وقال الحسن البصرى وقادة لأقدم على أرجلهم ولهمنا قال تبارك وتعالى (فما استعاضوا مضياً) أى إلى أمام (ولا يرجعون) إلى وراء بل يلبسون حالا واحدا لا يتبدلون ولا يتأخرون .

(وَمَنْ يُضْمِرْهُ نَزَغَةُ الشَّيْطَانِ فِي تَخْلُقِ أَفْلا يَقُولُونَ • وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ • لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ)

خبر تعالى عن ابن آدم أنه كلما طال عمره رد إلى الضعف بعد القوة والصبر بعد النشاط كما قال تبارك وتعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) وقال عز وجل (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) والرداد من هذا والله أعلم الأخبار عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال لادار دوام واستقرار ولهمنا قال عز وجل (أفلا يتفكرون) أى يتفكرون بمقوله في ابتداء خلقهم ثم صبرهم إلى سن الشيبة ثم إلى الشيخوخة ليطوا أنهم خلقوا للدار أخرى لازوال لها ولا انتقال منها ولا عيدينها وهى الدار الآخرة ، وقوله تبارك وتعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) يقول عز وجل خبراً عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه ما علمه الشعر (وما ينبغي له) أى ما هو في طبعه فلا يحسنه ولا يجبه ولا يفتنيه جلته ولهمنا ورد أنه ﷺ كان لا يحفظ بيتاً على وزن منتظم بل إن أنشد زخه أوم يثمه ، وقال أبو زرعة الرازى حدثنا إسماعيل بن عمار عن أبيه عن الشعبي أنه قال ما ولد عبد للطلب ذكر ولا أنثى إلا يقول الشعر إلا رسول الله ﷺ ذكره ابن عساکر في ترجمة عتبة بن أبى لهب الذى أكله الأسد بالزرقاء قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو سفيان حدثنا حماد بن مسلمة عن أبى زيد عن الحسن هو البصرى قال إن رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت • كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهياً • فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله • كفى الشيب والاسلام للمرء ناهياً • قال أبو بكر أو عمر رضى الله عنهما: أشهد أنك رسول الله يقول تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) وهكذا روى البيهقي في الدلائل أن رسول الله ﷺ قال : للعباس بن مرداس السلى رضى الله عنه « أنت القائل : • أجمل نهبي ونهب العبيد بين الأفرع وعينة • » فقال إنما هو بين عينة والأفرع فقال ﷺ « السكك سواء » يبنى في اللحن صلوات الله وسلامه عليه والله أعلم . وقد ذكر السهيلي في الروض الأنف لهذا التقديم والتأخير الذى وقع في كلامه ﷺ في هذا البيت مناسبة أقرب فيها ، حاصلها شرف الأفرع بن حابس على عينة بن بدر القزاري لأنه ارتد أيام الصديق رضى الله عنه بخلاف ذلك والله أعلم ، وهكذا روى الأصبغى في منازبه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يثنى بين القتلى يوم بدر وهو يقول « خلقى هاما » فيقول الصديق رضى الله عنه متملا للبيت

موت رجال أمة علينا وهم كانوا أعق وأظنا

وهذا لبعض شعراء العرب في قصيدة له وهى في الحماة وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا منيرة عن الشعبي عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا استراب الحرب تمثل فيه بيت طرفه :

• ويأتيك بالأخبار من لم تزود • وهكذا رواه النسائي في اليوم واللييلة من طريق إبراهيم بن مهاجر عن الشعبي عنها ورواه الترمذى والنسائي أيضا من حديث القدام بن شريح بن هانئ عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها كذلك ثم قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أسامة عن زائد عن

مماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ يمثل من الأنضر
• وبأبيك بالأخبار من لم تزود • ثم قال ورواه غير زائدة عن مماك عن عطية عن عائشة رضي الله عنها وهذا في غير
طرفة بن العبد في مقلته المشهورة وهذا للذكور عجز بيت منها أوله

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
وبأبيك بالأخبار من لم تبع له
بناها ولم تضرب له وقت موعد

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قيل لعائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله ﷺ يمثل بشي من الشعر ؟ قالت
رضي الله عنها كان أبش الحديث إليه غير أنه ﷺ كان يمثل بيت أخي بني قيس فيجعل أوله آخره وآخره أوله
فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس هذا هكذا يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ « إني والله ما أنا بشاعر وما ينبغي لي »
رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وهذا لفظه وقال معمر عن قتادة بلغني أن عائشة رضي الله عنها مثلت هل كان
رسول الله ﷺ يمثل بشي من الشعر فقال رضي الله عنها لا إلا بيت طرفة

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
وبأبيك بالأخبار من لم تزود

فبصل صلى الله عليه وسلم يقول « من لم تزود بالأخبار » فقال أبو بكر ليس هذا هكذا فقال صلى الله عليه وسلم
« إني لست بشاعر ولا ينبغي لي » وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو خص عمر بن أحمد
ابن نعيم وكيل للثقي يفتاد حدثنا أبو محمد عبد الله بن هلال النحوي الضرير حدثنا علي بن عمرو والأصمري حدثنا سفيان
ابن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما جمع رسول الله ﷺ بيت شعر قط إلا بيئا واحدا
فضاده ما تهوى يكن قلعا يقال لشيء كان إلا تحقفا

سألت شيخنا الحافظ أبا الجراح الذي عن هذا الحديث فقال هو منكر ولم يعرف شيخ الحاكم ولا الضرير وثبت
في الصحيح أنه ﷺ مثل يوم خمر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ولكن تبعا لقول أصحابه رضي الله
عنه فاتهم كانوا يهزؤون وهم يحفرون فيقولون

لا هم لولا أنت ما لعدتنا • ولا تصدقنا ولا صلينا • فأتران سكتة علينا

وثبت الأقدام إن لا قينا • إن الأولى قد بضوا علينا • إذا أرادوا قتلة أيينا

ورفع ﷺ صوته بقوله أيينا وبمعها وقد روى هذا بزحاف في الصحيحين أيضا • وكذا ثبت أنه ﷺ قال يوم حنين
وهو راكب البقرة خدم بها في محور الصدو .

أنا النبي لا كذب • أنا ابن عبد المطلب

لكن قالوا هذا وقع اتفاقا من غير قصد لو زن شعر بل جرى على اللسان من غير قصد إليه وكذلك ما ثبت في الصحيحين
عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في غار فنكبت أمية فقال صلى الله عليه وسلم
هل أنت إلا أصعب دعيت • وفي سبيل الله ما قيت

وسأني عند قوله تعالى (إلا اللهم) إنشاد

إن تضر اللهم تضر جما
وأى عبد لك ما أنا

وكل هذا لا ياتي كونه ﷺ ما علم شعرا وما ينبغي له فان الله تعالى إنما علمه القرآن العظيم (الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وليس هو بشعر كازع عطا فقه من جهلة كفار قريش ولا كهانة
ولا مفتعل ولا سحر يؤثر كما تنوع فيه أقوال الضلال وآراء الجهال وقد كانت سجيته صلى الله عليه وسلم تأتي صناعة
الشعر طبعا وشعرا كما رواه أبو داود قال حدثنا عبد الله بن عمرو حدثنا عبد الله بن مسعود حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا
شرحبيل بن يزيد اللخاري عن عبد الرحمن بن رافع التنوخي قال سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول سمعت
رسول الله ﷺ يقول « ما أبالي ما أوتيت إن أنا شربت ترياقا أو صلقت تيمعة أوقات الشعر من قبل قضى »

تقدم به أبو داود وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل قال سألت عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألك عنده الشرع فقالت قد كان أبيض الحديث إليه ، وقال عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيبه الجوامع من السماء ويدع ما بين ذلك وقال أبو داود حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « لأن يتلى جوف أحدكم قيصا خير له من أن يتلى شعرا » أخرجه به من هذا الوجه وإسناده على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا قزعة بن سويد الباهلي عن عاصم بن محله عن أبي الأشعث الصنعاني ح وحدثنا الأشيب فقال عن ابن عاصم عن أبي الأشعث عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرض بيت شعر بعد النساء الآخرة لم يقبل له صلاة تلك الليلة » وهذا حديث غريب من هذا الوجه لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وللمراد بذلك نظمه لا إنشاده والله أعلم ، على أن الشعر فيه ماهو مشروع وهو هجاء للشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام كصهبن بن ثابت رضي الله عنه وكعب بن مالك وعبد الله ابن رواحة وأمثالهم وأضرابهم رضي الله عنهم أجمعين ، ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « آمن شعره وكفر قلبه » وقد أشد بعض الصحابة رضي الله عنهم لقي رضي الله عنه وسلم مائة بيت يقول **عقب كل بيت « هيه »** يعني يستطعمه فيزيده من ذلك ، وقد روى أبو داود من حديث أبي بن كعب وبريدة بن الحصيب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكمة » ولهذا قال (وما علمناه الشعر) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما علمه الله الشعر (وما ينفي له) أي وما يصلح له (إن هو ذكر وقرآن مبين) أي ما هذا الذي علمناه (لا ذكر قرآن مبين) أي بين واضح جلي لمن تأمله وتدره ولهذا قال تعالى (لينذر من كان حيا) أي لينذر هذا القرآن الذين كل حي على وجه الأرض كقوله (لأنذركم به ومن بلغ) وقال جل وعلا (ومن يكفر به من الأحزاب لانا رموده) وإنا منتقم بئذاه من هو حي القلب مستنير البصيرة كما قال قتادة حي القلب حي المر والمصر والضالكين عاقل (ويحق القول على الكافرين) أي هو رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين .

﴿ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا حَقَّقْنَا لَهُمْ مِمَّا حَمَلَتْ أَيْدِينَا أَنْتُمْ لَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهُمْ لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذا الأنعام التي سخرها لهم (فهم لها ملكون) قال قتادة مطبقون أي جعلهم يهرونها وهي ذليلة لهم لا تنتفع منهم بل لوجاء صغير إلى جبر لأننا خلقناه ولو شاء لأفاناه وساقه وقال دليل منقاد معه وكذا لو كان الظفار مائة بئر أو أ كتر لساير الجميع بئر الصغير ، وقوله تعالى (فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) أي منها ما يركبون في الأنعام ويعملون عليه الأتقال إلى سائر الجهات والأظفار (ومنها يأكلون) إذا شاموا أعروا واجتزروا (ولهم فيها منافع) أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها أكتافا ومتاعا إلى حين (ومشارب) أي من ألبانها وأوبالها لمن يتداوى ونحو ذلك (أفلا يشكرون) أي أفلا يوحدون خالق ذلك ومسخره ولا يشكرون به غيره ؟

﴿ وَأَنْتُمْ ذُنُوبٌ أَلَيْسَ لَكُمْ بِكُمْ نُصْرَةٌ * لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَهُمْ جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ * فَلَا يَصِيرُ لَكُمْ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾

يقول تعالى منكرا على الشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله يبتغون بذلك أن تصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتصيرهم إلى الله زاني قال الله تعالى (لا يستطيعون نصركم) أي لا تقدر الآلهة على نصر عابديها بل هي أضعف من

لك وأقل وأذل وأحق وأدحر بل لا تقدر على الاستمرار لأنفسها ولا الانتقام عن أربابها بصود لأبها جاد لا تسمع ولا نقل ، وقوله تبارك وتعالى (وم لهم جند محضرون) قال مجاهد يعني عند الحساب يريد أن هذه الأسماء محشورة جموعة يوم القيامة محشورة عند حساب عابديها ليكون ذلك أبلغ في حزنهم وأدل عليهم في إقامة الحجة عليهم وقال قتادة (لا يستطيعون نصرهم) يعني الآلة (وم لهم جند محضرون) والشركون بضربون للآلة في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تدفع عنهم شرا إنما هي أسمنام وهكذا قال الحسن البصري وهذا القول حسن وهو اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى ، وقوله تعالى (فلا يحزنك قولهم) أي تكذيبهم لك وكفرهم بالله (إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون) أي نحن نعلم جميع ما هم فيه وسنجزيهم وصفهم ونعلمهم على ذلك يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلا ولا حقيرا ولا صغيرا ولا كبيرا بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديما وحديثا

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۖ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْطِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُخْبِتُهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۚ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُؤْقِدُونَ﴾

قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي وقادة جاء أي بن خلف لله تعالى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه عظم رميم وهو يفته ويلدوه في الهواء وهو قول ياعلم أن الله يبعث هذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم « نعم يبعثك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار » ونزلت هذه الآيات من آخر يس (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) إلى آخره ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد حدثنا محمد بن الملاء حدثنا عثمان ابن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن العاصي بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء ففقه يسيد ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبعث الله هذا بعد ما أرى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم يبعثك الله ثم يحبك ثم يهلكك جهنم » قال ونزلت الآيات من آخر يس ، ورواه ابن جرير عن يعقوب بن إبراهيم عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر ابن عباس رضي الله عنهما وروى من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء عبد الله بن أبي بظلم ففقه وذكر نحو ما تقدم ، وهذا منكر لأن السورة مكية وعبد الله بن أبي سؤل إنما كان بالمدينة وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبي بن خلف أو العاصي بن وائل أو فيها فهي عامة في كل من أنكر البعث ، والألف واللام في قوله تعالى (أولم ير الإنسان) للجنس يرم كل منكر للبعث (أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين) أي أولم يستدل من أنكر البعث بالبدن على الإعادة فإن الله أبدأ خلق الإنسان من سلاله من ماء مهين فخلقته من شيء خبير ضئيف مهين كما قال عز وجل (ألم نخلقكم من ماء مهين) فجبناكم في قرار مكين (إلى قدر معلوم) وقال تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) أي من نطفة من أخلاط متفرقة فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته كما قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا أبو البيرة حدثنا حريز حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جعاش قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسق يوما في كفة فوضع عليها أصبعه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى بني آدم أي تجزي وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا بلغت التراقي قلت أصدق ما قال أوان الصدقة ؟ » ورواه ابن ماجه عن وللا أرض منك وثيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أصدق ما قال أوان الصدقة ؟ » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن حريز بن عثمان به ولهذا قال تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم) أي استبعد إعادة الله تعالى ذي القعدة المظلمة التي خلقت السموات والأرض للأجساد والمظالم الرمية ونسي نفسه وأن الله تعالى خلقه من الملم إلى الوجود فلم من شس ما هو أعظم عما استبداه وأنكره

وجعده ولهذا قال عز وجل (قل عجبها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) أي يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها أين ذهبت وأين تفرقت وتزقت ، قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن حمير عن ربیع قال : قال عتبة بن عمرو لحذيفة رضي الله عنها : ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعته صلى الله عليه وسلم يقول « إن رجلا حضره الموت فلما أيس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيرا جزلا ثم أوقدوا فيه نارا حتى إذا أكلت لحى وخلصت إلى عظمي فامسحت فخذوها فذوقوها فذروها في الي ففعلوا فجمعهم الله تعالى إليه ثم قال له لم فعلت ذلك ؟ قال من خشيتك فغفر الله عز وجل له » فقال عتبة بن عمرو : وأنا سمعته صلى الله عليه وسلم يقول ذلك وكان نباشا ، وقد أخرجه في الصحيحين من حديث عبد الملك بن حمير بالفاظ كثيرة منها أنه أمر بنيه أن يحرقوه ثم يسحقوه ثم يندروا نصفه في البر ونصفه في البحر في يوم رابع أي كثير الهواء ففعلوا ذلك ، فأمر الله تعالى البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال له كن فإذا هو رجل قائم فقال له ما حالك على ما صنعت ؟ قال : عاتقتك وأنت أعلم ، فما تلافا أن يغفر له ، وقوله تعالى (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) أي الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرا فصار نارا ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً توقد به النار كذلك هو فعال لما يشاء قادر على ما يريد لا يئسه شيء . قال قتادة في قوله (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) يقول الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر على أن يبعثه ، وقيل للراد بذلك شجر اللرخ والغفار ينبت في أرض الحجاز فيأتي من أراد قبح نار وليس معه زناد فيأخذ منه عودين أخضرين ويذبح أحدهما بالآخر فتشوق النار من بينهما كالزناد سواء وروى هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي اللثل : لكل شجر نار واستمجد اللرخ والغفار ، وقال الحكماء في كل شجر نار إلا الساب .

(أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ • إِنَّا أَمَرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ • فَسَبِّحْ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

يقول تعالى عجباً منها على قدره العظيمة في خلق السموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والثواب والأرضين السبع وما فيها من جبال ورمال وبحار وقفار وما بين ذلك ومرشداً إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة كقوله تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقال عز وجل ههنا (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟) أي مثل البشر فيعدهم كما بدأهم ، قاله ابن جرير ، وهذه الآية الكريمة كقوله عز وجل (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يمسسهم خلقه من شيء بل هو على كل شيء قدير) وقال تبارك وتعالى ههنا (بل هو الخلاق العليم) إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (أي إنما يأمر بالله أمر واحد لا يحتاج إلى تكرار وتأكيد

إذا ما أراد الله أمراً فإنا • يقول له كن قوله فيكون

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن حمر حدثنا موسى بن السيب عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي ذر رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى يقول يا عبادي كل من مذهب إلا من عاقبت فاستغفروني أغفر لكم وكل من قهر إلا من أغضبت فإني جواد ماجد وأجود ما شاء ، عطائي كلام وعذابي كلام إذا أردت شيئا فاعما أقول له كن فيكون » . وقوله تعالى (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) أي تنزيهه وتقديسه وتبره من سوءه للحي القيوم الذي بيده مقاليد السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله وله الخلق والأمر وإليه ترجع العباد يوم المباد فيجازي كل عامل بمسئله وهو العادل للتمم التفضل . ومعنى قوله سبحانه وتعالى (فسبحان

الذي يديه ملكوت كل شيء) كقول عز وجل (قل من يده ملكوت كل شيء) ١) وكقوله تعالى (تبارك الذي بيده الملك) فالملك والملكوت واحد في اللفظ كرحمة ورحموت ورحمة وزهوت وجبر وجبروت ، ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الأجساد والملكوت هو عالم الأرواح والصحيح الأول وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم . قال الإمام أحمد حدثنا شرح بن النعمان حدثنا حماد عن عبيد الملك بن عمير حدثني ابن عثمة الخديفة عن حذيفة وهو ابن الحارث رضي الله عنه قال قلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقرأ السبع الطوال في ركعات وكان صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال مع الله لمن حمده - ثم قال - الحمد الذي ذى الملكوت والجبروت والكبرياء والمظلة » وكان ركوعه مثل قيامه ، وسجوده مثل ركوعه ، فأصرف وقد كادت تكسر رجلاي . وقد روى أبو داود والترمذي في التباين والنسائي من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة مولى الأنصار عن رجلين بنى عيسى عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم من الليل وكان يقول « الله أكبر - ثلاثاً - ذى الملكوت والجبروت والكبرياء والمظلة » ثم استفتح فقرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحواً من قيامه وكان يقول في ركوعه « سبحان ربى العظيم » ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحواً من ركوعه وكان يقول في قيامه « لربى الحمد » ثم سجد فكان سجوده نحواً من قيامه وكان يقول في سجوده « سبحان ربى الأعلى » ثم رفع رأسه من السجود وكان يقعد فيها بين السجدين نحواً من سجوده وكان يقول « رب اغفر لى رب اغفر لى » فبلى أربع ركعات فقرأ فيها البقرة وآل عمران والنساء والافات وأما الأمام - شك شعبة - هذا لفظ أبي داود . وقال النسائي : أبو حمزة عندنا طلحة بن زيد ، وهما الرجل يشبهان يكونون صلاة كذا قالوا الأخيه أن يكونا بن عم حذيفة كما تقدم في رواية الإمام أحمد والله أعلم . وأما رواية صف بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه فأنها في صحيح مسلم ولكن ليس فيها ذكر الملكوت والجبروت والكبرياء والمظلة . وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عمرو ابن قيس عن عاصم بن حميد عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : قلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ قال ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه « سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والمظلة » ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بال عمران ثم قرأ سورة سورة ، ورواه الترمذي في التباين والنسائي من حديث معاوية بن صالح به . آخر تفسير سورة يس والله الحمد ولله

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع ، وأوله سورة الصافات

(فهرس الجزء الثالث من تفسير ابن كثير)

٢ (تفسير سورة سبأ)	٢٠٣ (تفسير سورة الحج)	٤٠٦ ثأ سيدنا نوح مع قومه
٣ قصة الاسراء والبراج	٢١٥ ألقا سيدنا إبراهيم الحج	٤٠٧ ثأ سيدنا إبراهيم عليه السلام
٢٤ إلقاء سيدنا موسى عليه السلام	٢٢٤ دفاع الله عن المؤمنين	٤٢٢ (تفسير سورة الروم)
٢٨ سورة الرسل ٢٧ كتاب الأعمال	٢٣٧ (تفسير سورة المؤمنين)	٤٢٩ الآيات الدالة على قدره ورجل
٢٨ سورة الرسل ٢٧ كتاب الأعمال	٢٤٠ بيان كيفية خلق الإنسان	٤٤١ (تفسير سورة لقمان)
٢٣ القرون الماضية بمذبح	٢٦٥ (تفسير سورة النور)	٤٤٤ وصية لقمان لابنه
٢٣ علة من آخر الدنيا على الآخرة	٢٦٥ ماجاء في القرآن ٢٦٨ قصة الألف	٤٥٦ تفسير سورة السجدة
٣٧ الأمر بالتوسط في الاتفاق	٢٧٨ الأمر بالاستئذان	٤٥٨ صفات المؤمنين
٥١ بحسبكم في أتم	٢٨١ أمر المؤمنين بنسأ أسرارهم	٤٦٥ (تفسير سورة الأحزاب)
٦٠ الكلام على الروح	٢٨٢ أمر المؤمنين بنسأ أسرارهم	٤٦٧ التي أولى المؤمنين من أنفسهم الخ
٦٢ لو اجتمع الإنس والجن على أن	٢٨٦ الأمر بتكلم الآيات المؤمنين	٤٦٩ أخذ العهد على الأنبياء
يأتوا بمثل هذا القرآن لميزوا	٢٨٩ تفسير قوله تعالى : الله نور	٤٧٤ الأمر بالافتداء برسول الله صلى
٦٦ إيتا موسى عليه السلام التسميات	السماوات والأرض	الله عليه وسلم
٧٥ (تفسير سورة الكهف)	٢٩٢ الأمر ببناء المساجد وتطهيرها	٤٨٢ فضل أسماء للمؤمنين
٧٢ قصة أصحاب الكهف	٣٠٨ (تفسير سورة الفرقان)	٤٨٧ ما أهدى الله المؤمنين والمؤمنات
٨٢ قصة صاحب الجنتين	٣٢٤ صفات عباد الرحمن	٤٩٤ الأمر بالإكثار من ذكر الله
قصة سيدنا موسى مع الخضر	٣٣٠ (تفسير سورة الشعراء)	٥٠٣ آية الجواب ٥٠٦ الأمر بالصلاة
١٠٠ قصة ذي القرنين	٣٣٦ قصة سيدنا موسى مع فرعون	على النبي ﷺ
(١١٠) تفسير سورة مريم	٣٣٧ قصة سيدنا إبراهيم مع قومه	٥١٨ أمر المؤمنين بتطويل الثياب
١١٠ قصة سيدنا زكريا عليه السلام	٣٤٠ قصة سيدنا نوح مع قومه	٥٢٤ (تفسير سورة سبأ)
١١٤ قصة السيدة مريم	٣٤١ قصة سيدنا هود مع قومه	٥٢٧ تفسيره الحج والجن لسيدنا سليمان
١٢٢ قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام	٣٤٤ قصة سيدنا لوط مع قومه	٥٣٠ قصة سبأ ٥٣٨ إرسال النبي ﷺ
١٢٤ قصة سيدنا موسى عليه السلام	٣٤٥ قصة سيدنا شعيب مع قومه	إلى الناس كافة
١٢٥ قصة سيدنا إسماعيل عليه السلام	٣٥٥ (تفسير سورة النمل)	٥٤٦ (تفسير سورة فاطر)
١٢٦ قصة سيدنا إدريس عليه السلام	٣٥٦ قصة سيدنا موسى مع فرعون	٥٤٦ ما بين الله للناس من رحمة فلا
١٣١ للروح على الصراط	٣٥٧ قصة سيدنا داود وسليمان	عصمك لها
١٤١ (تفسير سورة طه)	٣٦٦ قصة سيدنا صالح مع قومه	٥٥١ الكلام على قوله تعالى : يا أيها
١٤٣ قصة سيدنا موسى مع فرعون	٣٧٤ قصة العجوة التي خرج من الأرض	الناس أتم القرآن إلى الله
١٧٢ تفسير سورة الأنبياء	٣٧٧ التنفخ في الصور	٥٥٤ الكلام على قوله تعالى : إن الذين
١٨١ قصة سيدنا إبراهيم مع قومه	٣٧٩ (تفسير سورة القصص)	يتلون كتاب الله . . . الع
١٨٥ قصة سيدنا داود وسليمان	٣٧٩ ثأ سيدنا موسى مع فرعون	٥٦٢ (تفسير سورة يس)
١٨٨ قصة سيدنا أيوب عليه السلام	٣٨٨ قصة قارون	٥٦٦ أصحاب القربة
١٩١ قصة سيدنا يونس عليه السلام	٤٠٤ (تفسير سورة التكموت)	٥٨١ الدليل على البعث

